أثر أعمال القلوب
على الداعية والدعوة

د. إبراهيم بن حسن الحضريتي



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
جامعة الملك عبد العزيز
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
قسم الشريعة والدراسات الإسلامية



أثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة

بحث مقدم لاستكمال متطلبات درجة الدكتوراه في الشريعة والدراسات الإسلامية
تخصص عقيدة ودعوة

إعداد الطالب:

إبراهيم بن حسن الحضريتي

الرقم الجامعي: ١٦٠٢٣١١

إشراف الدكتور:

موفق بن عبد الله بن علي كدسة

أستاذ العقيدة المشارك بقسم الدراسات الإسلامية والشريعة

العام الجامعي: ١٤٤١/ ٢٠٢٠م



Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Education
King Abdu Aziz University
Faculty of Arts and Humanities
Department of Islamic Law and Studies

The effects of heart`s acts on an Islamic preacher and his preaching (da'wa)

A research submitted to complete the requirements of the PHD degree in the Islamic and law studies.

Specialty: Aqidah (Creed of Islam) and da'wa

Prepared by the student:

Ibrahim bin Hassan Alhidraity

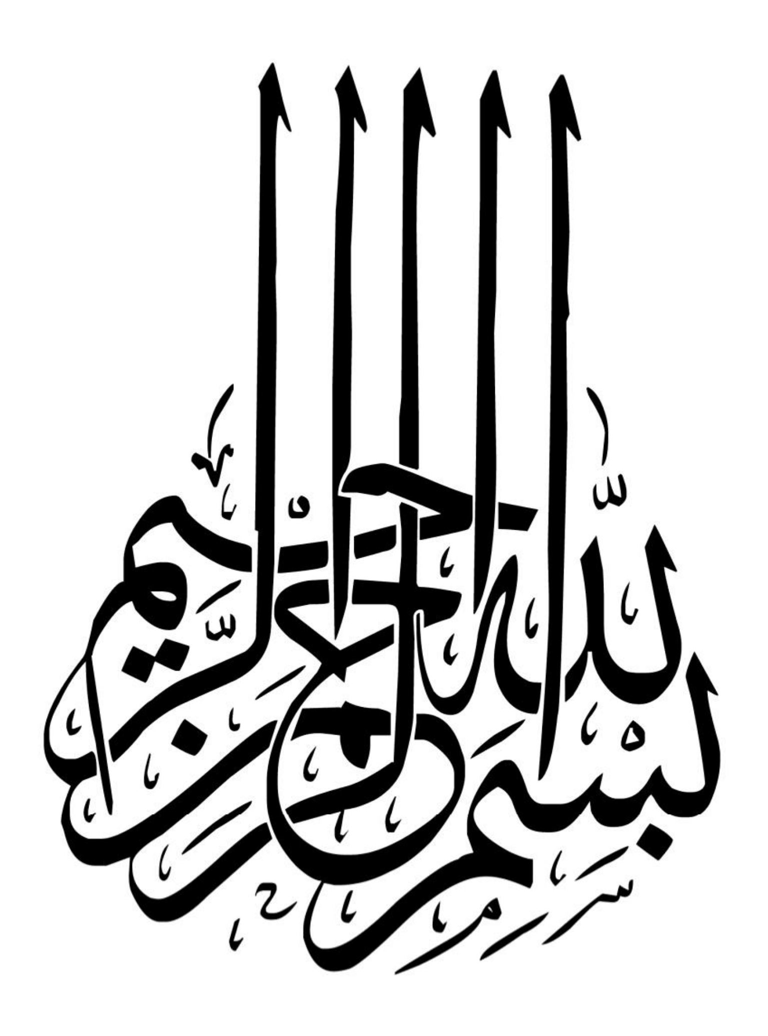
University ID: ١٦٠٢٣١١

The supervisor:

Dr**. Mowafak bin Abdullah bin Ali Kdasa**

Associating Aqidah's Professor in The Islamic Law and Studiesstudies Department .

Academic Year: ١٤٢١H / ٢٠٢١


بسم الله الرحمن الرحيم

مستخلص الرسالة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي ﷺ.

أما بعد، فهذه الدراسة بعنوان(أثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة)، من إعداد الطالب: ابراهيم بن حسن الحضريتي، وهي دراسة مقدمة لجامعة الملك عبد العزيز قسم الشريعة والدراسات الإسلامية تخصص عقيدة ودعوة لإكمال متطلبات درجة الدكتوراه، وهي دراسة مهمة لأنها تتكلم عن قضية مهمة تتعلق بأثر عمل القلب على الداعية في نفسه وعلى دعوته، والدراسة تشتمل على مقدمة وتمهيد وأربعة أبواب، ذكرت في **المقدمة** مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، **وذكرت في الباب الأول:** أعمال القلوب ومكانتها، وإثبات أثرها وتأثرها من خلال نصوص الكتاب والسنة، ونبذة موجزة عن عقيدة السلف في عمل القلب والمخالفين لهم ، وفيه ثلاثة فصول، **وذكرت في الباب الثاني:** نماذج من أعمال القلوب المؤثرة على الداعية ودعوته، مع ذكر أمثلة تطبيقية من حياة دعاة السلف يظهر فيها أثر عمل القلب عليهم في حياتهم ودعوتهم، وفيه فصلان، **وذكرت في الباب الثالث:** من آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في نفسه، وفي دعوته، وفيه فصلان، **في الفصل الأول:** ذكرت أثني عشر مبحثاً تبين آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في نفسه، **وفي الفصل الثاني:** ذكرت أحد عشر مبحثاً تبين آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في دعوته، **وذكرت في الباب الرابع:** من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب على نفسه وعلى دعوته، وفيه **فصلان، الفصل الأول:** من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب على نفسه، وفيه خمسة عشر مبحثاً، **والفصل الثاني:** من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب على دعوته، وفيه خمسة مباحث، **ثم ختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات**، ومن أهم النتائج التي ظهرت للباحث أن نجاح الداعية في دعوته أو فشله في ذلك يرجع لأسباب على رأسها اهتمام الداعية بصلاح قلبه وسلامته، أو حصول المرض في القلب وفساده، وذكرت توصيات عملية في هذا المجال، والله الموفق والمعين.

مستلخص الرسالة باللغة الإنجليزية

In the Name of Allah, the Most Beneficent, the Most Merciful
The Dissertation Abstract in English:

Praise be to Allah, God of the worlds, and prayers and peace be upon on the faithful Muhammad bin Abdullah, may Allah's prayers and peace be upon on him and all his family and companions.

This is a study which is entitled (**The effects of heart`s acts on an Islamic preacher and da'wa " inviting to the Way of Allah")**. It is a dissertation submitted in fulfillment of the Requirements of the PHD Degree By me: **Ibrahim bin Hassan Alhidraity**. And it is introduced to King Abdel Aziz university, Department of Islamic Law and Studies , Specialty: Aqidah (Creed of Islam) and da'wa.

From my point of view, this study is important. Because it tells about an important issue related to the influence of the heart acts on an Islamic preacher himself and on his preaching. This study contains an introduction, a preface and four chapters. In the introduction, I mention the research's problem, it's objectives, it's importance, and the previous studies.

After the preface , I mention -**in chapter one**- the acts of hearts and their importance, proving their impact and influence through the texts of the Qur'an and Sunnah. I also mention a brief summary about the Aqidah (Creed) of the Salaf about the acts of hearts and those who disagree with them in three subchapters.

I mention- **in chapter two**- some examples of heart's acts that affect an Islamic preacher and his da'wa, with some practical examples from the life of the Salaf that show the imact of the heart's act on their lives and their da'wa. That is in two subchapters.

In chapter three, I mention the effects of realizing heart's acts on an Islamic preacher himself, and on his preaching. And that is in two subchapters. In the first one, I mention twelve researches that indicate the effects of heart's acts on an Islamic preacher himself. In the second subchapter, I mention eleven researches show the effects of heart's acts of an Islamic preacher on his preaching.

In chapter four, I mention some effects of neglecting an Islamic preacher his heart's acts on himself and on his preaching, and that is in two subchapters. In the first one, I talk about the effects of neglecting an Islamic preacher of his heart's acts on himself, and it contains fifteen researches. The second subchapter, the effects of neglecting an Islamic preacher of his heart's acts on his preaching, and it has five researches.

Then, I conclude the research with the most important findings and recommendations. One of the most important findings that I find is that an Islamic preacher`s success in his preaching depends on many reasons. On the top of them is **purification and integrity of his heart** .On the other hand, one of the major reasons of an Islamic preacher`s failure in preaching is **the spiritual diseases of his heart** .And I mentioned practical recommendations about that. May Allah bless and help.

إهداء

محمل بالجميل والثناء العاطر إلى والدي الكريمين فقد كان لهما بعد الله أعظم الأثر وأبلغه في تشجيعي على طلب العلم فجزاهم الله عني خير الجزاء وأوفاه، ثم أثني بأسرتي الكريمة وجهدها الكبير في مساندتي على تحمل أعباء البحث وصبرهم على ذلك، وأهدي ثناء عاطراً لكل من قدم لي توجيهاً وأرشاداً يخدم البحث من قريب أو بعيد.

وإليك أخي الداعية الموفق الذي يسعى في تعليم الناس الخير ودلالتهم عليه، هذا جهد من أخ ناصح يريد لنفسه ولك الفلاح والفوز في طريق الدعوة طريق الأنبياء.

وإلى لكل قارئٍ محب للخير أهدي هذا الجهد المتواضع، وأسأل الله التوفيق والسداد والإخلاص في القول والعمل.

شكر وتقدير

الحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات، هداني لهذا وفتح عليّ ووفقني، فله الحمدُ والفضلُ والمنةُ والثناءُ الحسن.

وأصلي وأسلم على سيد الأولين والآخرين مُحَمَّد بن عبد الله وعلى آله وصحبه أجمعين.

ثم الشكر والتقدير لكل من تعاون معي، وأخص منهم الأستاذ الدكتور أحمد ال سرور الغامدي مرشدي والذي أشرف على البحث فترة من الزمن واستفدت منه كثيراً فجزاه الله خيراً، وكذلك الأستاذ الدكتور ياسر الأحمدي الذي شجعني على البحث في هذا الموضوع فجزاه الله خيراً.

والشكر موصول لفضيلة مشرفي الحالي: الأستاذ المشارك بقسم العقيدة والدعوة، فضيلة الشيخ الدكتور موفق بن عبد الله كدسة الغامدي، فلقد وقف معي مواقفَ عظيمةً لا أستطيع أن أرد جميلَه، ولكني أحيله على الكريم العظيم فجزاه الله عني خير الجزاء وأوفاه، كما أشكر أصحابَ الفضيلة أساتذتي الفضلاء في قسم العقيدة والدعوة لما لمسته منهم من حرص على الطلاب، وتشجيعٍ كبير لهم فجزاهم الله خيراً.

كما أتقدم بوافر الشكر وأتمهِ وأكملهِ لصاحبي الفضيلة أعضاء لجنة المناقشة الموقرة:

فضيلة الأستاذ الدكتور الشيخ: أبو زيد مُحَمَّد مكي، أستاذ العقيدة بجامعة أم القرى، وفضيلة الشيخ الدكتور: مُحَمَّد بن سعيد آل مدشة الغامدي، أستاذ العقيدة بقسم الشريعة والدراسات الإسلامية بالجامعة ورئيس قسم العقيدة والدعوة، أشكرهما على تفضلهما بقبول مناقشتي في هذه الرسالة وعلى ما بذلاه من جهد كبير في مطالعتها من أجل إسداء الملاحظات والتصويبات والتوصيات التي ترقى بهذا البحث إلى المستوى المأمول، فجزاهما الله خيراً، وبارك في علمهما وعملهما.

وأقدم الشكر الوافر لجامعة الملك عبد العزيز بجدة على ما تيسره لطلاب العلم من إمكانات عظيمة.

وأختم هذه الكلمة سائلاً الله أن يتقبل مني هذا العملَ وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.





المقدمة

إن الحمدَ لله، نحمدُهُ، ونستعينُهُ، ونستغفرُهُ، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسِنا، ومن سيئاتِ أعمالِنا، من يهدهِ اللهُ فلا مضلَّ له، ومن يضْلِل فلا هاديَ له، وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ لهُ، وأشهدُ أن محمدًا عبدُهُ ورسولُه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد: فإن الاهتمام بأعمال القلوب، وبيان أثرها على الداعية والدعوة، والكتابة فيها من الأهمية بمكان؛ لأن من أعظم أسباب نجاح الدعاة إلى الله تعالى اهتمامَهم بأعمال القلوب وتحقيقَهم لها في أنفسهم، وفي دعوتهم، وما يظهر اليوم من ضعف في أثر الدعوة وتأخرها في ميادين كثيرة من أعظم أسبابه ضعف أعمال القلوب عند الدعاة في أنفسهم، وضعف الاهتمام بها في دعوتهم، ولا ريب أن تتبع هذه الأسباب وبيان آثارها على الداعية ودعوته من الأولويات؛ لأن أمر الدعوة شأنها عظيم، كيف لا وهي رسالة رسل رب العالمين كلهم عليهم الصلاة والسلام! ولهذا

آثرتُ أن يكون موضوع دراستي في مرحلة الدكتوراه يتعلق بأثر أعمال القلوب على الداعية في نفسه وعلى دعوته، وأسأل الله تعالى أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم.

مشكلة البحث:

تدور هذه الدراسة في مجملها حول أثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة، وفق الأسئلة الآتية:

س١- ما مكانة أعمال القلوب؟

س٢- ما الأدلة من الكتاب والسنة على إثبات أثر أعمال القلوب؟

س٣- ما الأسباب الجالبة لصلاح أعمال القلوب؟

س٤- اذكر أمثلة من أعمال القلوب لها أثر على الداعية ودعوته.

س٥- اذكر أمثلة من حياة السلف يظهر عليها أثر عمل القلب في أنفسهم وفي دعوتهم.

س٦- ما الآثار المترتبة على تحقيق أعمال القلوب على الداعية والدعوة؟

س٧- ما الآثار السلبية لإهمال أعمال القلوب على الداعية والدعوة؟

أهداف البحث:

١. بيان أهمية أعمال القلوب ومكانتها.
٢. بيان الآثار العظيمة والثمرات المباركة لتحقيق أعمال القلوب على الداعية والدعوة.
٣. بيان الآثار السلبية لإهمال أعمال القلوب على الداعية والدعوة.
٤. بيان الأسباب الجالبة لصلاح أعمال القلوب.
٥. ذكر أمثلة تطبيقية من حياة علماء السلف، تبين أثر عمل القلب عليهم وعلى دعوتهم.
٦. ذكر نماذج من أعمال القلوب لها تأثير في نجاح الداعية في دعوته.

أهمية البحث:

وتظهر من خلال الآتي:

١- القلوب وأعمالها هي محل نظر الرب ﷻ، عَن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»[١].

٢- صلاح الجوارح مرتبط بصلاح القلب، وهذا له أثره الكبير على الداعية والدعوة، قال ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[٢].

٣- إن الاهتمام بأعمال القلوب سبب رئيس من أسباب نجاح الداعية في دعوته.

٤- إن التقصير في العناية بصلاح أعمال القلوب سبب رئيس من أسباب فشل الداعية في دعوته، أو انحرافه عن المنهج الصحيح.

الدراسات السابقة:

لم أعثر -خلال بحثي في المكتبات وعبر الشبكة العنكبوتية- على دراسة علمية اعتنت بأثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة بطريقة تفصيلية، وهناك بحوث ودراسات كثيرة عن أعمال القلوب، ويمكن تقسيمها إلى عدة أقسام، على النحو التالي:

القسم الأول: دراسات في أعمال القلوب، وربطها بالإيمان، وبيان عقيدة أهل السنة والجماعة في ذلك، مع ذكر الفرق المخالفة والرد عليها، ومن الأمثلة على هذا القسم:

---

(١) أخرجه مسلم (٤/ ١٩٨٧) ح (٢٥٦٤)، وسيأتي تخريجه.

(٢) أخرجه البخاري (١/ ٢٠) ح (٥٢)، ومسلم (٣/ ١٢١٩) ح (١٥٩٩)، وسيأتي تخريجه.

أولًا: أعمال القلوب وأثرها في الإيمان، رسالة دكتوراه.

للباحث: مُحَمَّد دوكوري بن مُحَمَّد، إشراف: الدكتور أحمد عطية الغامدي، الجامعة الإسلامية، عام ١٤١٧هـ.

تحدث الباحث عن الأعمال القلبية المحضة، ومما فصل القول فيه الإخلاص والمراقبة، والمحبة والرجاء، والخوف والتقوى.. ثم فصل القول في الأعمال المشتركة بين القلوب وسائر الجوارح من مثل: الصبر والرضا، والشكر والذكر، والحلم والتواضع والحياء.

ثانيًا: أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم، رسالة دكتوراه.

للباحث: سهل بن رفاع العتيبي، إشراف: الشيخ الدكتور عبد الرحمن البراك، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢٣هـ، وقد طبعت الرسالة جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٦هـ وتقع في (١٠٤٦) صفحة.

ذكر الباحث فيها أعمال القلوب: حقيقتها، ومنزلتها من الإيمان، وأهميتها، وأقسامها، وأمراضها، وتحدث عن أحكام أعمال القلوب فذكر فيها: عبودية القلب، والتلازم بين أعمال القلوب، وتفاضلها، وأسبابه... وذكر مذاهب المخالفين في أعمال القلوب والرد عليهم، وفصل القول فيها بذكر مذهب المتكلمين والرد عليهم، ومذهب مرجئة الفقهاء والرد عليهم، ومذهب الصوفية والرد عليهم.

ثالثًا: أعمال القلوب عند الإمام ابن القيم جمعًا ودراسة، رسالة ماجستير.

للباحثة: وفاء بنت زيد العزيري، إشراف: الدكتور مُحَمَّد بن عبد الله الوهيبي، جامعة الملك سعود، عام ١٤٢٥هـ.

تحدثت الباحثة -مستشهدة بكلام ابن القيم في قضايا البحث- عن حقيقة أعمال القلوب، ومنزلتها، وأنواعها، والعلاقة بينها وبين الجوارح، ثم تحدثت عن تفاضل أعمال القلوب، وأسبابه، ودرجات الناس فيها، ثم ذكرت أحكام عبودية القلب، وقسمتها إلى أعمال واجبة ومستحبة ومباحة، وإلى أعمال محرمة ومكروهة،

ثم ذكرت موقف ابن القيم من أبرز المخالفين في هذا الباب، وقسمته إلى موقفه من الصوفية، وموقفه من المرجئة.

رابعًا: أعمال القلوب بين المتكلمين والصوفية وموقف أهل السنة منهم، رسالة دكتوراه.

للباحث: مطر سالم بن حميد العازمي، إشراف: أ. د. مُحَمَّد السيد الجليند، جامعة القاهرة، عام ٢٠١٠م.

طبعت الرسالة في (٣٦٧) صفحة.

تحدث الباحث في رسالته عن الأعمال القلبية المحضة من مثل: النية والإخلاص والمراقبة، والمحبة والخوف والرجاء، واليقين والتوكل، وذكر الأعمال المشتركة بين القلوب وسائر الجوارح، ومثل لذلك بالصبر والرضا، والشكر والذكر، والزهد والتوبة.

وطريقته في عرض الأعمال: أنه يقرن بين كل عملين أو ثلاثة -كما سبق في الوصف- ثم يعرضها وفق منهج أهل الكلام، وكذلك وفق منهج أهل التصوف، ثم يرد على ذلك، فما وافق الكتاب والسنة أقره، وما خالف بيّن بطلانه، وذلك وفق منهج أهل السنة والجماعة.

خامسًا: أعمال القلوب عند شيخ الإسلام ابن تيمية جمعًا ودراسة، رسالة ماجستير.

للباحث: غزمند مهمتي بن عمر، إشراف: الدكتور مُحَمَّد بن خليفة التميمي، الجامعة الإسلامية، عام ١٤٣٢هـ.

والرسالة في (١٠٣٤) صفحة، تحدث فيها الباحث عن مفهوم أعمال القلوب، وأنواعها، ومنزلتها من الإيمان عند شيخ الإسلام، وفصّل القول في دراسة مستفيضة للأعمال القلبية، وذكر أمثلة ونماذج على ذلك، وبيّن تفاضل الناس ودرجاتهم فيها، ثم ختم البحث بالكلام عن المخالفين لأهل السنة والجماعة في أعمال القلوب، والرد عليهم من كلام شيخ الإسلام.

سادسًا: أعمال القلوب عند الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله جمعًا ودراسة، رسالة ماجستير.

للباحث: عبد الله بن عبد الرحمن بن ناجي الرحيلي، إشراف: الدكتور ذياب بن مدحل دخيل العلوي، الجامعة الإسلامية، عام ١٤٣٤هـ.

تحدث الباحث -مستشهدًا بكلام السعدي في قضايا البحث- عن حقيقة القلب، وأقسامه، وأمراضه، ثم بين منزلة أعمال القلوب من الإيمان، وتفاضلها، وأسبابه، ودرجات الناس فيها، ثم فصل القول بدراسة لأعمال القلوب، وذكر تسعة عشر عملًا، ومن ذلك: الإخلاص، المحبة، الخوف والخشية، الرجاء والصدق، التوكل، الصبر، الرضا، اليقين...

ويظهر للمتأمل في هذا القسم الأول أن هذه الرسائل العلمية تتفق -في الغالب- في ثلاث قضايا:

الأولى: حقيقة أعمال القلوب، وأقسامها، وتفاضل أهلها فيها، وعلاقتها بالإيمان.

الثانية: نماذج لأعمال القلوب.

الثالثة: منهج أهل السنة والجماعة في التعامل مع أعمال القلوب، وذكر المخالفين والرد عليهم.

ولا شك أنه -إن شاء الله تعالى- ستتم الإفادة من بعض هذه القضايا المحورية في بحثي؛ ولكن يضيف بحثي إضافة أرى أنها جوهرية، وجديرة بالبحث والتفصيل، وهي ربط هذه القضايا بأثرها على الداعية والدعوة.

القسم الثاني: من اقتصر في دراسته على عمل من أعمال القلوب أو أكثر، ومن أمثلته:

أولًا: الخوف والرجاء في الكتاب والسنة، رسالة ماجستير.

للباحث: عبد الرحمن سليمان علي الشمسان، إشراف: الدكتور عبد المحسن بن حمد العباد، الجامعة الإسلامية، عام ١٤١١هـ.

ذكر الباحث الخوف وعرّف به، وذكر أقسامه وأسبابه، ونماذج من الأمور المخوفة. وتكلم عن الرجاء وعرّف به، وذكر درجاته وأسبابه، ثم بيّن الآثار الطيبة لوجود الخوف والرجاء، والآثار السيئة لفقدانهما، ثم عرّج على مسالك الناس في الخوف والرجاء، فذكر منهج أهل السنة والجماعة في ذلك، وقول الخوارج والمرجئة والصوفية.

ثانيًا: الإخلاص حقيقته ونواقضه، رسالة ماجستير.

للباحث: عبد الله بن عيسى الأحمدي، إشراف: أ. د. مُحَمَّد حسان كسبة، جامعة أم القرى، عام ١٤٢٤هـ.

وقد طبعت الرسالة في (٦٣٠) صفحة.

تكلم الباحث عن الإخلاص حقيقته وثماره، وعن نواقض الإخلاص.

ثالثًا: اليقين في الاعتقاد حقيقته ونواقضه، رسالة ماجستير.

للباحث: عبد الله بن علي بن عبد الله الرشيد، إشراف: أ. د. سعود بن عبد العزيز العريفي، جامعة أم القرى.

وتقع الرسالة في (٦١٠) صفحة.

تكلم فيها الباحث عن حقيقة اليقين وأنواعه، وأسبابه وثمراته، ونواقضه ومنقصاته، ومفهوم اليقين عند المخالفين.

وعند التأمل في هذا القسم لم أر أنه تعرض لربط أعمال القلوب بالداعية والدعوة، ولذا أرى أن الحاجة ملحة للكتابة في هذا الموضوع، وربط أعمال القلوب بالداعية والدعوة؛ وبيان آثار ذلك لحاجة الدعاة الماسة للتفصيل في هذه الآثار.

القسم الثالث: من اقتصر في دراسته على تزكية النفس، وتعرض من خلال دراسته لبعض أعمال القلوب وأثرها على تزكية النفس، ومن الأمثلة على هذا القسم:

- منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، رسالة دكتوراه.

للباحث: أنس أحمد كرزون، إشراف: الدكتور أحمد أبو السعادات، جامعة أم القرى، عام ١٤١٥هـ.

طبعت الرسالة في (٩٢٨) صفحة في مجلدين.

تكلم الباحث عن النفس الإنسانية من ناحية صفاتها وأحوالها، وعرّج على المناهج المختلفة فيها، ثم ذكر الأسس العقدية لتزكية النفس والجوانب العلمية في ذلك، ثم تحدث عن أمراض النفس ومعوقات تزكيتها وجوانب من الانحراف في المفاهيم المتعلقة بتزكيتها، مع بيان الصواب في ذلك، ثم ختم بذكر ثمرات تزكية النفس في المنهج الإسلامي.

في أصل الرسالة كان عنوان البحث: "منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله"، وعند طباعته للرسالة حذف عبارة: "وأثره في الدعوة إلى الله"؛ لأنه يرى التقارب بين التزكية والدعوة، وفي نظري أن التزكية من أهم مقاصد الدعوة، ولم أر أنه تعرض لأثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة، وعليه فأرى لزامًا أن تسد هذه الثغرة العظيمة بالكتابة فيها، ولا أراني مبالغًا لو قلت: إنها تحتاج لأكثر من دراسة لأهميتها وتعدد جوانبها.

وقد استفدت من هذه الدراسة في وضع جوانب من هيكلة البحث -فجزى الله الجميع خيرًا- والله الهادي إلى سواء السبيل.

والمقصود أن هذه الدراسة تركز على مسألة آثار أعمال القلوب على الداعية والدعوة، ويمكن إجمال الفروق في الأمور التالية:

١- جمع ما تفرق في مسألة أعمال القلوب وأثرها على الداعية والدعوة.

٢- ربط أعمال القلوب بالداعية والدعوة.

٣- أثر تحقيق أعمال القلوب على الداعية والدعوة.

٤- الآثار المترتبة على إهمال أعمال القلوب على الداعية والدعوة.

منهج البحث:

ستكون الدراسة -إن شاء الله تعالى- قائمة على المنهج الاستقرائي التحليلي، وذلك باستقراء نصوص الكتاب والسنة وأقوال علماء السلف المتعلقة بأعمال القلوب، وتحليلها، وربطها بالداعية والدعوة، وبيان آثارها إيجابًا أو سلبًا.

حدود البحث:

سيكون البحث -بعون الله وتوفيقه- في أثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة، وذلك في حدود هيكل البحث المذكور في العنصر التالي.

هيكل البحث:

يشتمل البحث على: مقدمة، وتمهيد، وأربعة أبواب، وخاتمة، وذلك على النحو الآتي:

المقدمة: تحتوي على مشكلة البحث، وأهدافه، وأهميته، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وحدوده، وهيكله.

التمهيد ويشمل التعريف بمصطلحات عنوان البحث وما يتعلق به، وفيه ثلاث مسائل:

المسألة الأولى: التعريف بمصطلحات العنوان.

المسألة الثانية: فضائل الدعوة.

المسألة الثالثة: فضائل الداعية.

الباب الأول: أعمال القلوب مكانتها، تأثرها وأثرها من خلال نصوص الكتاب والسنة، وموقف السلف والمخالفين منها، وأسباب صلاحها، وفيه ثلاثة فصول:

الفصل الأول: أعمال القلوب: مكانتها، تأثرها وأثرها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مكانة أعمال القلوب في الكتاب والسنة، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: نصوص القرآن الكريم في بيان مكانة أعمال القلوب، وفيه فرعان:

الفرع الأول: مكانة أعمال القلوب التي يحبها الله.

الفرع الثاني: خطر أعمال القلوب التي يبغضها الله.

المطلب الثاني: نصوص السنة النبوية في بيان مكانة أعمال القلوب.

المبحث الثاني: النصوص من الكتاب والسنة في بيان أثر عمل القلب وتأثره، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: من نصوص القرآن الكريم في إثبات أثر عمل القلب وتأثره.

المطلب الثاني: من نصوص السنة في إثبات أثر عمل القلب.

الفصل الثاني: أعمال القلوب بين السلف والمخالفين لهم، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مجمل معتقد أهل السنة والجماعة في أعمال القلوب.

المبحث الثاني: مجمل قول المخالفين لأهل السنة والجماعة في أعمال القلوب.

المبحث الثالث: مجمل الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في أعمال القلوب.

الفصل الثالث: أسباب صلاح القلب، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الأسس العقدية لصلاح أعمال القلوب، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: التوحيد.

المطلب الأول: أثر عمل القلب على طلبه للعلم، وتعليمه للناس، وفيه فرعان:

الفرع الأول: أثر عمل القلب في طلبه للعلم.

الفرع الثاني: تعليمه العلم للناس وبذله لطالبه، وما تركه للأمة من مؤلفات.

المطلب الثاني: ورعه وزهده في الدنيا وتعلق القلب بالآخرة، وكثرة ذكره وعبادته، وفيه فرعان:

الفرع الأول: ورعه وزهده وتعلق القلب بالآخرة.

الفرع الثاني: تعلق القلب بالله وكثرة الذكر والعبادة.

المطلب الثالث: أثر عمل القلب على ثبات الإمام ابن تيمية على عقيدة السلف، وصبره على ما لقيه في ذلك.

المطلب الرابع: أثر عمل القلب على حسن خلقه رحمه الله، وعفوه عمن آذوه.

المطلب الخامس: أثر عمل القلب على نظرته التفاؤلية للمستقبل، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

المبحث الثالث: مواقف من حياة الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله، يظهر فيها أثر أعمال القلوب عليه وعلى دعوته، وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أثر عمل القلب على طلبه للعلم، وتعليمه للناس، وفيه فرعان:

الفرع الأول: أثر عمل القلب في طلبه للعلم.

الفرع الثاني: أثر عمل القلب على تعليمه للناس الخير وعلى رأس ذلك التوحيد، وإنكاره للشرك أينما حل، وما تركه للأمة من مؤلفات.

المطلب الثاني: أثر عمل القلب على ثبات الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب على عقيدة السلف، وصبره على ما لقيه في سبيل دعوته.

المطلب الثالث: أثر عمل القلب على حسن خلقه رحمه الله، وسلامة قلبه، وعفوه

عمن آذوه.

المطلب الرابع: أثر عمل القلب على نظرته التفاؤلية للمستقبل، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

الباب الثالث: من آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في نفسه، وفي دعوته، وفيه فصلان:

الفصل الأول: من آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في نفسه، وفيه اثنا عشر مبحثًا:

المبحث الأول: سلامة المقصد وخلوصه لله وحده.

المبحث الثاني: الشعور بمعية الله ورعايته له.

المبحث الثالث: الشعور بتوفيق الله وإعانته له.

المبحث الرابع: اليقين بنصر الله تعالى لدينه.

المبحث الخامس: التفاؤل وعدم اليأس.

المبحث السادس: تعلق القلب بالله تعالى.

المبحث السابع: الزهد في الدنيا وتعلق القلب بالآخرة.

المبحث الثامن: طمأنينة القلب وقوته.

المبحث التاسع: الرضا بما يلقاه في ذات الله تعالى.

المبحث العاشر: المسارعة في فعل القربات.

المبحث الحادي عشر: الثبات.

المبحث الثاني عشر: الفوز والنجاة في الآخرة.

الفصل الثاني: من آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في دعوته، وفيه

أحد عشر مبحثاً:

المبحث الأول: الإخلاص لله في الدعوة، والتجرد من حظوظ النفس.

المبحث الثاني: الاهتمام العظيم بعقيدة التوحيد.

المبحث الثالث: الدعوة إلى الله على بصيرة.

المبحث الرابع: الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة.

المبحث الخامس: الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة.

المبحث السادس: المجادلة بالتي هي أحسن.

المبحث السابع: الحرص على هداية الناس.

المبحث الثامن: الرحمة والشفقة بالمدعوين.

المبحث التاسع: إقبال الناس على دعوته.

المبحث العاشر: نبذ أسباب التفرق والاختلاف.

المبحث الحادي عشر: التأييد والتمكين في الأرض.

الباب الرابع: من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب على نفسه وعلى دعوته، وفيه فصلان:

الفصل الأول: من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب على نفسه، وفيه خمسة عشر مبحثاً:

المبحث الأول: التعلق بمطامع الدنيا والتنازل عن الأصول من أجلها.

المبحث الثاني: قسوة القلب وتسلط الشيطان.

المبحث الثالث: اتباع الهوى، والوقوع في فتنة الشبهات والشهوات.

المبحث الرابع: التطلع إلى الرياسة للمكاسب الدنيوية.

المبحث الخامس: الركون إلى الكفار والظلمة.

المبحث السادس: الهزيمة النفسية.

المبحث السابع: لبس الحق بالباطل وكتمانه.

المبحث الثامن: العُجْب، والرياء والسمعة، والكبر.

المبحث التاسع: الاستعجال.

المبحث العاشر: الضيق والتبرم من النصيحة، وعدم حب الناصحين.

المبحث الحادي عشر: تتبع العثرات، وتصيد الهفوات، والفرح بزلات الآخرين.

المبحث الثاني عشر: البخل والشح والعجز والكسل والجبن والهم والحزن.

المبحث الثالث عشر: الخذلان وقلة التوفيق.

المبحث الرابع عشر: الغفلة عن الآخرة.

المبحث الخامس عشر: الخسارة في الآخرة.

الفصل الثاني: من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب على دعوته، وفيه خمسة مباحث:

المبحث الأول: التفرق والاختلاف والتنازع وذهاب الريح.

المبحث الثاني: تسلط الأعداء على الأمة.

المبحث الثالث: تسلط أعداء الأمة على الدعاة، وتنفير الناس من دعوتهم.

المبحث الرابع: نفور الناس من الدعاة، وتفرقهم عنهم.

المبحث الخامس: تأخر النصر.

الخاتمة، وفيها أهم النتائج والتوصيات.

أبرز عناصر منهجية البحث التي سرت عليها:

١- قمت بعزو الآيات إلى سورها عقبها، مع ذكر رقمها، والالتزام بالرسم العثماني.

٢- خرّجت الأحاديث من مصادرها الأصلية بذكر المصدر والكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث، وقمت بذكر أقوال العلماء في الحكم عليها؛ إذا كان الحديث في غير الصحيحين أو أحدهما.

٣- وذكرت تخريج الحديث عند أول وروده، وإذا تكرر فإني لا أحيل إلى ما سبق حتى لا أثقل الحواشي.

٤- وضبطت بالشكل ما يحتاج إلى ضبط من الأحاديث، ومما تشكل قراءته.

٥- ذكرت بيانات المصدر عند أول وروده.

٦- ترجمت للأعلام باختصار عند ورود أول ذكر للعلم، واستثنيت ترجمة الأنبياء والصحابة، إلا ما تدعو الحاجة إليه ممن لا يعرف من الصحابة على الأقل للباحث.

٧- التعريف بالأماكن، واستثنيت الدول وعواصمها لشهرتها.

٨- رجعت في التوثيق إلى المصادر الأصلية، إلا أن تدعو الحاجة للأخذ من المصادر المتأخرة كالرسائل الجامعية.

٩- عرفت بالفرق والمذاهب عند أول ورد لها في البحث.

١٠- ختمت بذكر الفهارس العلمية، وهي على نحو الآتي:

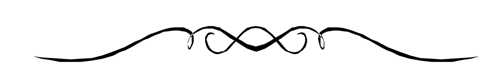
- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.
- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجم لهم.
- فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة.
- فهرس الفرق والمذاهب المعرّف بها.

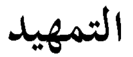
- فهرس المصادر.
- فهرس الموضوعات.

وصلى الله على نبينا مُحَمَّد

وعلى آله وصحبه

أجمعين





التمهيد

التعريف بمصطلحات عنوان البحث وما يتعلق به

المسألة الأولى: التعريف بمصطلحات العنوان.

المسألة الثانية: فضائل الدعوة.

المسألة الثالثة: فضائل الداعية.

توطئة:

لا ريبَ أن الدعوةَ إلى الله تعالى هي وظيفةُ الرسل عليهم الصلاة والسلام، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

وكانت المهمة العظيمة للرسل عليهم الصلاة والسلام الدعوة إلى توحيد الله، وتحذير الناس من عبادة غير الله، كما قال تعالى عن جميع الرسل: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

وختم الله هذه الرسالات برسالة النبي ﷺ إلى الناس كافة، فقال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، فجاء ﷺ بأعظم الرسالات وأتمها وأكملها، فقال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فبلَّغ ﷺ الرسالةَ، وأدى الأمانة، ودعا إلى الله ليلًا ونهارًا، حتى أظهره الله على الدين كله، ثم قامت أمته بمهمة الدعوة إلى هذا الدين، حتى بلغ مشارق الأرض ومغاربها، وقال تبارك وتعالى عنهم: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠][1].

---

(١) ينظر: منهج ابن الجوزي في الدعوة (١٢١-١٢٢) للدكتور عبد الرحيم المغذوي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية ط١، ١٤٣١هـ.

ولا شك أن المتأمل في سير الأنبياء، والمصلحين الذين ساروا على دربهم، سيتضح له أحد أعظم أسرار تميزهم، وهو وجود أمرٍ عظيم حرّك تلك الهمم لحمل الرسالة وإيصالها إلى العالمين، في حركة دؤوبة في الليل والنهار والسر والجهار.

قال تعالى في وصف نبيه نوح عليه السلام في دعوته لقومه: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِي إِلَّا فِرَارًا ۝٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ۝٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا﴾ [نوح: ٥-٩].

وذلك الأمر الذي أنتج هذه الهمة العظيمة عند أولئك الدعاة إلى الله تعالى الذين اقتفوا أثر الأنبياء عليهم السلام هو صلاح عمل القلب وسلامته من الآفات، وهذا -ولله الحمد والمنة- هو محور دراستي، حول أثر عمل القلب على الداعية والدعوة، ورأيت من المناسب أن أمهد لهذه الدراسة بالمسائل الآتية:

المسألة الأولى: التعريف بمصطلحات العنوان.

المسألة الثانية: فضائل الدعوة.

المسألة الثالثة: فضائل الداعية.

المسألة الأولى: التعريف بمصطلحات العنوان:

وعنوان الدراسة هو: **(أثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة)**، وعليه فتكون المصطلحات المراد تعريفها هي: **(الأثر، العمل، القلب، الداعية، الدعوة)**.

أولًا: تعريف الأَثَر في اللغة والاصطلاح:

الأثر في اللغة يطلق على معان، منها:

أَثَر الشيء أي: حصول ما يدل على وجوده. **وبقية الشيء**، فتقول: أَثَارَةٌ من علم أي: بقية منه. وعلى **الأجل، والخبر، والعلامة**. وجاء في **أَثَره** أي: في عقبه.

ويطلق أيضًا على **ما خلَّفه السابقون**، وعلى **لمعان السيف**، ومن معانيه: **سنن النبي** ﷺ[١].

وعُرِّف الأثر في الاصطلاح بعدة تعريفات[٢]، ويعود هذا إلى أن أصحاب كل فن[٣] يعرفونه على حسب ما يخدم فنَّهم، ولعل أقربها إلى مقصود الدراسة ما ذكره صاحب التعريفات[٤] ضمن تعريفه للأثر، بقوله: "بمعنى: النتيجة، وهو الحاصل من الشيء"[٥].

فيكون المعنى على هذا: ما يحصل من أعمال القلوب من أثر على الداعية ودعوته.

---

(١) ينظر في هذه المعاني: الصحاح (٢/ ٥٧٦) للجوهري، ت: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ، المفردات (٦٢) للراغب الأصفهاني، ت: صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، لسان العرب (٤/ ٥، ٦) لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ، المعجم الوسيط (١/ ٥) مجمع اللغة العربية بالقاهرة لإبراهيم مصطفى وآخرين، دار الدعوة، مادة (أثر).

(٢) ومنها: يطلق الأثر في مصطلح فقهاء خرسان على ما يروى عن الصحابي، وعند أهل مصطلح الحديث يطلق على الموقوف الذي رواه الصحابي من قوله أو فعله، وعند ابن حجر يطلق أيضًا على المقطوع، ويطلق عند الفقهاء والأصوليين على بقية الشيء، فيقال: أثر النجاسة.
ينظر: نزهة النظر (١١٤) لابن حجر العسقلاني، ت: عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ، تدريب الراوي (١/ ٢٠٣) للسيوطي، ت: أبي قتيبة الفاريابي، دار طيبة، الموسوعة الفقهية الكويتية (١٩/ ١٤) صادر عن وزارة الأوقاف الكويتية، ط ١٤٠٤-١٤٢٧هـ.

(٣) ويقصد بالفن واحد الفنون وهي الأنواع. ينظر: الصحاح (٦/ ٢١٧٧) مادة (فنن).
والمقصود أنه يختلف التعريف لكلمة الأثر في الاصطلاح بحسب نوع كل علم.

(٤) علي بن مُحَّد بن علي، المعروف بالسيد الشريف الجرجاني الحنفي، توفي رحمه الله سنة (٨١٦هـ) بشيراز، وله الكثير من المصنفات منها: التعريفات، وهو كتاب مختصر جمع فيه تعريفات الفنون.
ينظر: كشف الظنون (١/ ٤٢٢) لحاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، ط١٩٤١م، الأعلام (٥/ ٧) للزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.

(٥) التعريفات (٩) للجرجاني، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

ثانيًا: تعريف العَمَل في اللغة والاصطلاح:

العَمَل في اللغة: له عدة معان، منها:

الفعل بقصد، إعمال الذهن في التفكير والتدبر والاستنباط، فيقال: أعمل فلان ذهنه في كذا وكذا إذا تدبَّره وفكر فيه، **العَمَل** أي: المهنة والفعل[(١)].

العمل في الاصطلاح: يكون معناه بحسب استعماله، ففي التقسيم الإداري ما يكون تحت حكمه ويضاف إليه، فيقال: قرية فلان من أعمال مركز كذا.

وعند أصحاب الاقتصاد: مجهود يبذله الإنسان مقابل تحصيل منفعة[(٢)].

وقال الراغب[(٣)] رحمه الله عن ورود لفظ العمل في القرآن الكريم: "والعمل يستعمل في الأعمال الصالحة والسيئة، قال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [النساء: ١٢٤]، ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ [النساء: ١٢٣]، ﴿وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ﴾ [التحريم: ١١]، وأشباه ذلك. ﴿إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾ [هود: ٤٦]"[(٤)].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٢/ ٢٥٥) للأزهري، ت: مُحَمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠١م، لسان العرب (١١/ ٤٧٥)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٢٨) مادة (عمل).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٢٨)، وينظر: الموسوعة الحرة على الشبكة.

(٣) أحد الأعلام، النحوي، اللغوي، المفسر: حسين بن محمّد بن المفضل، الأصفهاني، أو الأصبهاني، المعروف بالراغب، أبو القاسم. وفاته رحمه الله سنة (٥٠٠هـ)، وقيل: سنة (٥٠٢هـ)، وقيل غير ذلك، حتى إن الإمام الذهبي رحمه الله قال: "لم أظفر له بوفاة ولا بترجمة". من مصنفاته: مفردات ألفاظ القرآن، الذريعة في مكارم الشريعة، وغير ذلك. ينظر ترجمته في: معجم الأدباء (٣/ ١١٥٦) لياقوت الحموي، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٢٠) للذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ، بغية الوعاة (٢/ ٢٩٧) للسيوطي، ت: مُحَمَّد أبو الفضل، المكتبة العصرية لبنان.

(٤) المفردات (٥٨٧).

ويطلق العمل على أفعال القلوب والجوارح، ولهذا يقال: النية عمل القلب[١]، وهو المقصود من الدراسة.

ثالثًا: تعريف القلب في اللغة والاصطلاح:

القلب في اللغة: يطلق على عدة معان، منها:

المضغة[٢] أي: العضو الموجود في داخل الصدر، **العقل**، ويسمى **لب الشيء وخالصه** قلبًا، **والقلب تحويلك الشيء عن وجهه.**

وسمي القلب بهذا الاسم لكثرة تقلبه، وقال الشاعر[٣]:

مَا سمِّيَ القلبُ إلَّا من تقلُّبِه[٤]

والقلب في الاصطلاح: يطلق على معنيين[٥]:

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٥/ ٤٠٠)، الكليات (٦١٦) للكفوي، ت: عدنان درويش ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة.

(٢) والمضغة: قطعة من اللحم قدر ما يمضغ؛ لأن القلب كالقطعة التي تؤخذ فتمضغ.
ينظر: الصحاح (٤/ ١٣٢٦)، مقاييس اللغة (٥/ ٣٣٠) لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ، المفردات في غريب القرآن (٧٧٠) مادة (مضغ).

(٣) استشهد به الخليل بن أحمد في العين (٥/ ١٧١) ولم ينسبه لأحد، وكتاب العين ت: د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، وهو كذلك في التهذيب (٩/ ١٤٣)، واللسان (١/ ٦٨٧) غير منسوب. ينظر: مادة (قلب).

(٤) ينظر في هذه المعاني: تهذيب اللغة (٩/ ١٤٣)، الصحاح (١/ ٢٠٤)، مقاييس اللغة (٥/ ١٧)، مادة (قلب).

(٥) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٣) للغزالي، دار المعرفة بيروت، التبيان في أقسام القرآن (٤١٤) لابن ت: محمد الفقي، دار المعرفة بيروت، التعريفات (١٧٨)، التنوير شرح الجامع الصغير (٣/ ١٥١) لمحمد بن إسماعيل الأمير، ت: د. محمد إسحاق، مكتبة دار السلام الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ، التعريفات الفقهية (١٧٦) للبركتي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ، أعمال القلوب للدكتور خالد السبت (١/ ١٦)، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٩هـ.

١- العضو الذي في الجهة اليسرى من الصدر، ويضخُّ الدم إلى سائر أجزاء الجسم.

٢- لطيفة[١] ربانية لها تعلق وثيق بالقلب، وهي التي تحتوي على مشاعر الإنسان وإحساسه وحقيقته، وبها تحصل أعمال القلوب من الحب والخوف والرجاء والإخلاص والصدق واليقين ونحوه، أو ضد ذلك من آفات القلوب من الكبر والحسد والعجب والرياء واتباع الهوى... وهذه اللطيفة المتعلقة بالقلب من أمور الغيب التي لا تدركها العقول، وإنما يرجع فيها إلى الوحي، وهنا يحسن الكلام عن مسألة: هل العقل في القلب أم في الدماغ؟

ومجمل الأقوال في هذه المسألة على قولين:

القول الأول: إن العقل في القلب، وهو قول عمر وعلي وأبي هريرة رضي الله عنهم[٢]، وهو قول الجمهور، قال به الشافعية والمالكية، وهو الراجح من قولي العلماء عند الإمام أحمد، وقال به جماهير المتكلمين[٣].

---

(١) اللطيفة: أمر خفي لطيف رقيق.
ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ٨٢٦) (لطف).

(٢) ينظر: العدة في أصول الفقه (١/ ٩١-٩٣) لأبي يعلى، ت: د. أحمد بن علي سير المباركي، بدون ناشر، ط٢، ١٤١٠هـ، التمهيد في أصول الفقه (١/ ٥٠-٥١) لأبي الخطاب الحنبلي، ت: مفيد أبو عمشة ومُحَمَّد بن علي بن إبراهيم، الناشر: مركز البحث العلمي جامعة أم القرى، طبعة دار المدني، ط١، ١٤٠٦هـ.

(٣) ينظر: التمهيد في أصول الفقه (١/ ٤٨)، المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٣١٤) للمازري، ت: مُحَمَّد الشاذلي النيفر، الدار التونسية والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط٢، ١٩٨٨م، شرح النووي على مسلم (١١/ ٢٩) المسمى: المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ، وقال النووي: "وحكوا الأول أيضًا عن الفلاسفة"، الذخيرة للقرافي (١٢/ ٣٦٩)، ت: مُحَمَّد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١، ١٩٩٤م، الأمنية في إدراك النية (١٧) للقرافي، دار الكتب العلمية بيروت، شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٢٤٦) دار العبيكان، ط١، ١٤١٣هـ، أضواء البيان (٥/ ٢٧٥) للشنقيطي، دار الفكر بيروت، ١٤١٥هـ.

=

القول الثاني: في الدماغ، ونسب إلى الأحناف[١]، والرواية الثانية عند الإمام أحمد، وهي المنصوص عليها عنه[٢]، وهو قول الأطباء[٣].

أدلة أصحاب القول الأول:

يقول أصحاب القول الأول: جاءت النصوص الكثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ في النص صراحة على أن العقل في القلب، وأُسِندَ إلى القلب العمى، والفقه، والإيمان، ومرض النفاق، وغير ذلك من الأمور التي أخبر بها ﷺ، وأسندها إلى القلب ولم يسندها إلى الدماغ، فدل ذلك على أن العقل في القلب، وهذه بعض الأدلة على إثبات ذلك:

الدليل الأول: قول الله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ [الحج: ٤٦].

والمتكلمون مصطلح يطلق على: من يعتمد على علم الكلام لإثبات العقائد بالحجج العقلية، وقد ذمه السلف وحذروا منه.

ينظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (٢١) للدكتور سليمان الغصن، دار العاصمة الرياض، ط٢، ١٤٣٣هـ.

وينظر أيضًا في ذم علم الكلام وأهله ما ورد في المصدر السابق (٧٤-١٠٦) تحت عنوان: موقف السلف من علم الكلام والمتكلمين.

(١) ينظر: البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري (١/ ٤٢)، البحر الرائق لابن نجيم المصري، وعلى هامشه منحة الخالق لابن عابدين، وتكملة البحر الرائق للطوري، دار الكتاب الإسلامي، ط٢، وينظر كذلك: شرح النووي على مسلم (١١/ ٢٩).

(٢) ينظر: العدة في أصول الفقه (١/ ٨٩-٩٠)، شرح الزركشي على مختصر الخرقي (٧/ ٢٤٦).

(٣) ينظر: المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٣١٤)، شرح النووي على مسلم (١١/ ٢٩)، ونسبه الشنقيطي رحمه الله إلى الفلاسفة، ينظر: أضواء البيان (٥/ ٢٧٥).

وينظر أيضًا: الفتاوى (٣٢) للعلامة محمَّد الأمين الشنقيطي، ت: سليمان العمير، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، دار عالم الفوائد، إشراف العلامة بكر أبو زيد، ط١، ١٤٢٦هـ.

استدلَّ أهل العلم بهذه الآية على أن العقل محله القلب، وفيها دلالة صريحة على ذلك؛ حيث إنه ﷻ أسند العقل إلى القلب لأنه محله، كما أن السمع محله الأذن، ودونَك طرفًا من أقوالهم في تفسيرهم لهذه الآية:

قال القرطبي[(١)] رحمه الله: "أضاف العقل إلى القلب لأنه محله"[(٢)].

وقال السمعاني[(٣)] رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "أي: يعلمون بها، ويقال: إن العقل علم غريزي[(٤)]، واستدل من قال: إن محله القلب بهذه الآية"[(٥)].

---

(١) محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري المالكي أبو عبد الله القرطبي، وكان من عباد الله الصالحين، والعلماء العارفين الورعين الزاهدين في الدنيا، المشغولين بما يعنيهم من أمور الآخرة، وكان إمامًا علمًا، من الغوّاصين على معاني الحديث، حسن التصنيف، جيد النقل، وكان رحمه الله في تفسيره يميل إلى مذهب الأشعري في العقيدة في باب الأسماء والصفات. من مؤلفاته: الجامع لأحكام القرآن، الكتاب الأسنى في أسماء الله الحسنى، والتذكرة بأمور الآخرة وغيرها. توفي عليه رحمة الله في سنة (٦٧١هـ).
ينظر: شذرات الذهب (٧/ ٥٨٤) لابن العماد الحنبلي، ت: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير دمشق بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ، نفح الطيب (٢/ ٢١٠) للتلمساني، ت: إحسان عباس، دار صادر بيروت، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٧/ ٣٩٦) للمغرواي، المكتبة الإسلامية القاهرة والنبلاء للكتاب مراكش، ط١.

(٢) تفسير القرطبي (١٢/ ٧٧) ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.

(٣) أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار التميمي السَّمْعاني، مفتي خرسان، له تصانيف عديدة، وكان شوكًا في أعين المخالفين وحجة لأهل السنة، وكان مناظرًا فقيهًا، وصنف التفسير وكتاب الانتصار في الحديث، والبرهان والقواطع في أصول الفقه، وغيرها، توفي رحمه الله في سنة (٤٨٩هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ١١٤)، البداية والنهاية (١٦/ ١٥٩) لابن كثير، ت: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ، سنة النشر ١٤٢٤هـ، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٦/ ٣٦٨).

(٤) من الغريزة وهي الطبيعة، وكأنها شيء غرز في الإنسان، ينظر في ذلك: مقاييس اللغة (٤/ ٤١٦)، لسان العرب (٥/ ٣٨٧) مادة (غرز).

(٥) تفسير السمعاني (٣/ ٤٤٥) ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس دار الوطن الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

وقال الشنقيطي[١] رحمه الله: "والتحقيق: أن العقل في القلب كما دل عليه الوحي"[٢].

وقال أيضًا: "والآية تدل على أن محل العقل في القلب، ومحل السمع في الأذن"[٣].

الدليل الثاني على أنه في القلب: قوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

ومن ضمن ما قال الرازي[٤] رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: ".. هل تدل الآية على أن العقل هو العلم وعلى أن محل العلم هو القلب؟ الجواب: نعم؛ لأن المقصود من قوله: ﴿قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ العلم، وقوله: ﴿يَعْقِلُونَ بِهَآ﴾ كالدلالة على

(١) الإمام المفسر محمّد الأمين بن محمّد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي، كان رحمه الله يتمتع بأخلاق ومزايا فاضلة أكسبته الثقة والاحترام في أوساط أولي الأمر وكبار أهل العلم، وكان أديبًا ضليعًا، تلقى العلم على يديه أفواج لا يحصون من طلاب العلم، من مصنفاته: أضواء البيان في تفسير القرآن، ومنع جواز المجاز، وألفية في المنطق. وفاته: سنة (١٣٩٣هـ) عليه رحمة الله.
ينظر: الأعلام (٦/ ٤٥)، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (١٠/ ١)، ترجمة الشيخ الملحقة بكتابه أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن (٩/ ٤٧٩).

(٢) العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير (١/ ١٦١) للشنقيطي، ت: خالد السبت، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد مكة، ط٢، ١٤٢٦هـ.

(٣) أضواء البيان (٥/ ٢٧٥).

(٤) العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين مُحَمَّد بن عمر بن الحسين الرازي، انتشرت كتبه في البلاد شرقًا وغربًا، وكان يتوقد ذكاء، وقد بدت منه في تواليفه بلايا وعظائم وسحر وانحرافات عن السنة، عرف بعدائه لعقيدة السلف، وألف الكتب في ذلك، والله يعفو عنه، فإنه توفي على طريقة حميدة، والله يتولى السرائر. توفي عليه رحمة الله سنة (٦٠٦هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٥٠٠)، البداية والنهاية (١٧/ ١١)، موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية (٧/ ٢٨٣).

أن القلب آلة لهذا التعقل، فوجب جعل القلب محلًّا للتعقّل، ويسمَّى الجهل بالعمى؛ لأن الجاهل لكونه متحيرًا يشبه الأعمى"(١).

وقد أشار الشنقيطي رحمه الله إلى أن هذه الآية تدلّ على أن العقل محله القلب(٢).

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧].

قال القرطبي رحمه الله عن المراد بالقلب هنا: "أي: عقل؛ لأن القلب محل العقل في قول الأكثرين"(٣).

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٧٩].

قال الشنقيطي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "وقوله: ﴿لَّا يَفْقَهُونَ﴾ الفقه في لغة العرب معناه: الفهم والإدراك، أي: لا يفهمون بهذه القلوب عن الله؛ لأن الله لم ينفعهم بها... كما قال: ﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأحقاف: ٢٦]، ونفيه الفقه عن القلوب يدل كما ذكرنا مرارًا على أن مركز العقل هو القلب، لا الدماغ كما يقوله الإفرنج(٤)، ومما يؤسفنا أن عامة المسلمين لا يكاد في الوقت الحاضر -لجهلهم- يختلف من عامتهم اثنان في أن العقل في الدماغ..

---

(١) تفسير الرازي (٢٣/ ٢٣٣-٢٣٤) مع تصرف يسير، مفاتيح الغيب للفخر الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.

(٢) ينظر: العذب النمير (٤/ ٤٠).

(٣) تفسير القرطبي (١/ ١٨٩).

(٤) جيل من الناس يسكنون أوروبا كما في المعجم الوسيط (١/ ٢١) مادة (أفر)، وهو اسم أطلقه العرب على الأوروبيين بعد الحروب الصليبية في الشرق. ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ١٠٢) للدكتور أحمد مختار عبد الحميد ومعه فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ.

والله يصرح بأن العقل في القلب، ولا شكَّ أن الذي خلق نور العقل وجعله في العبد ونوَّره به هو أعلم بالموضع الذي وضعه فيه... فالذي يقول: ليس الفقه في القلوب كالذي يقول: ليس الإبصار بالعيون، وليس السماع بالآذان؛ لأن الله قال: ﴿قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ ﴿أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا﴾ ﴿ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ﴾، فدلَّ على أن الإبصار بالعين، والسماع بالأذن، والفقه بالقلب.

وهذا أمر معروف لا تكاد تحصَى الآيات الدالة عليه في القرآن"[١].

الدليل الخامس والسادس: قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

و﴿كَتَبَ﴾ أي: ثبّت الإيمان في قلوبهم وغرسه غرسًا، لا تؤثر فيه الشبه والشكوك، وذكر القلوب لأنها موضع الإيمان[٢].

وذكر الشنقيطي رحمه الله في تعليقه على الآيتين السابقتين كلامًا مؤداه: أن الآيتين صريحتان في أن الموضع الذي يدخله الإيمان من المؤمن وينتفي دخوله فيه من الكافر هو القلب لا الدماغ؛ لأن أساس الإيمان إيمان القلب، والجوارح تبع له، كما قال ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ

(١) العذب النمير (٤/ ٣٤٧-٣٤٨) مع بعض الاختصار والتصرف اليسير.

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٦٣) ت: مُحَمَّد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ، تفسير السعدي (٨٤٨) ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.

فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ»[١].

فظهر لك دلالة الآيتين المذكورتين على أن المصدر الأول للإيمان القلب، فإذا آمن القلب آمنت الجوارح بفعل المأمورات وترك المنهيات، وذلك لأن القلب أمير البدن، وذلك يدل دلالة واضحة على أن القلب ما كان كذلك إلا لأنه محل العقل الذي به الإدراك والفهم كما ترى[٢].

الدليل السابع والثامن: قول الله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ [البقرة: ٧]، وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

وفي هاتين الآيتين ذكر الله أنه عاقب أصحاب القلوب التي كفرت بالطبع عليها، فلا تنتفع بالمواعظ، ولا تهتدي إلى الإيمان، ولا ينفذ فيها، وعاقب القلوب التي زاغت[٣] أن أزاغها الله عن الهدى والاستقامة، وأوقعها في الشك والحيرة والخذلان بسبب من أهلها[٤].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، وهو لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ، أخرجه في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (١/ ٢٠) ح (٥٢)، ومسلم في صحيحه، وهو لمسلم بن الحجاج النيسابوري ت: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت، أخرجه في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/ ١٢١٩) ح (١٥٩٩) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه.

(٢) ينظر: الفتاوى للشنقيطي (٢٩).

(٣) من الزيغ، وهو الميل عن الاستقامة إلى الضلال. ينظر: المفردات في غريب القرآن (٣٨٧).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٩) ت: سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ، وتفسير السعدي (٤١).

ومن هاتين الآيتين يتضح اتصال العقل بالقلب، وأن محله في القلب، فكم من صاحب عقل عظيم وقدرات عقلية كبيرة، لكنه لما طُمِس على قلبه بسبب ضلاله لم ينفعه عقله الكبير -نسأل الله العافية من الخذلان-، تجده يعبد الأوثان من البقر والحجر المنحوت على شكل إنسان أو غيره، أو يدعو صاحب قبر ويطلب منه ما لا يُطلَبُ إلا من الله، ولديه أعلى الشهادات العلمية، والكثير من براءات الاختراع، لكن هذا العقل الكبير الذي طمس على قلب صاحبه لم ينتفع به فيترك عبادة المخلوق، ويتوجه إلى عبادة الخالق المستحق للعبادة ﷻ، وقال تعالى عنهم وعن أمثالهم: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠]، وهؤلاء ما ظلمهم الله ولكن ظلموا أنفسهم؛ ببعدهم عن الحق واتباع شياطين الإنس والجن، فصار علمهم الواسع في الدنيا، وأما الآخرة فقد غفلوا عنها، كما قال تعالى عنهم: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

الدليل التاسع: قوله ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ».

قال المازري[1] رحمه الله في بيان وجه الاستدلال بهذا الحديث على أن العقل في

(١) الشيخ الإمام الفقيه مُحَمَّد بن علي بن عمر التيمي المازري، الفقيه المالكي، أحد الأعلام، كان من كبار أئمة زمانه، وآخر المشتغلين من شيوخ إفريقية بتحقيق الفقه ورتبة الاجتهاد ودقة النظر، له تآليف تدل على إمامته منها: كتاب المعلم بفوائد مسلم، وكتابٌ في الرد على الإحياء لأبي حامد الغزالي سماه: الكشف والإنباء عن كتاب الإحياء، وكتاب التعليقة على المدونة وغيرها، إلا أن مما يؤاخذ على المازري رحمه الله تعالى أشعريته الواضحة، وكتابه المعلم بفوائد مسلم خير دليل على ذلك، وتوفي رحمه الله سنة (٥٣٦هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٨٥) لابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط١٩، ١٩٧١، ١٩٩٤م، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٠٤)، موسوعة مواقف السلف (٧/ ١١٥).

القلب: "واحتجوا أيضًا بهذا الحديث[١]، وقد جعل النبي ﷺ صلاح الجسد كلّه وفساده كلّه تابعًا للقلب، والدّماغُ من جملة الجسد، فاقتضى ظاهر الحديث كون فساده وصلاحه تبعًا للقلب، وهذا يدل على أنه ليس بمحلّ للعقل"[٢].

الدليل العاشر من الأثر: قول علي رضي الله عنه: "إن العقل في القلب"[٣].

أما أدلة أصحاب القول الثاني: فيستدل من يقول: إن العقل في الدماغ بأدلة عقلية وحسية، ولا يُعلم لهم دليل من الكتاب أو السنة[٤]، والله أعلم.

ومن أدلتهم أنه إذا فسد الدماغ مع سلامة القلب فسد العقل، فلو كان موطن العقل القلب لما حصل له خلل، ويقولون: يحصل للقلب خلل فلا يتأثر العقل.

وأجيب: بأن هناك ارتباطًا بين العقل والقلب، والنصوص دلَّت على أنه في القلب، وأنه لا يمنع أن يكون هناك ارتباط بين القلب والدماغ[٥]، لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى، والله أعلم.

وهنا قول يتفرَّع عن القول الأوَّل، وهو أن العقلَ في القلب وله اتصال وثيق بالدماغ، وهذا القول أقرب الأقوال؛ لأن فيه جمعًا بين القولين مع الإقرار بأن العقل في القلب كما جاء في الكتاب والسنة.

والعقل الذي في القلب له اتصال بالدماغ، والدليل الحسي يدل دلالة قوية على الترابط بين العقل والدماغ، والعلم عند الله تعالى.

---

(١) أي: القائلون بأن العقل في القلب.

(٢) المعلم بفوائد مسلم (٢/ ٣١٤).

(٣) البخاري عن علي رضي الله عنه في الأدب المفرد (٢٨١) ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ، وذكره البيهقي في شعب الإيمان (٦/ ٣٦٨) للبيهقي، ت: د. عبد العلي، مكتبة الرشد الرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٤) ينظر: الفتاوى للشنقيطي (٣٥).

(٥) ينظر: الذخيرة (١٢/ ٣٦٩)، التبيان في أقسام القرآن (٤٠٥).

والذي ظهر من كلام شيخ الإسلام[١] أنه يميل إلى ذلك حيث يقول رحمه الله: "والتحقيق[٢] أن الروح التي هي النفس لها تعلق بهذا وهذا، وما يتصف من العقل به يتعلق بهذا وهذا[٣]، لكن مبدأ الفكر والنظر في الدماغ، ومبدأ الإرادة في القلب"[٤].

وهو الذي يرجحه ابن القيم[٥] حيث يقول رحمه الله: "والتحقيق أن منشأ ذلك ومبدأه من القلب، ونهايته ومستقره في الرأس، وهي المسألة التي اختلف فيها الفقهاء: هل العقل في القلب أو في الدماغ؟ على قولين حكيا روايتين عن الإمام أحمد، والتحقيق أن أصله ومادته من القلب وينتهي إلى الدماغ"[٦].

---

(١) أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن تيمية الحراني شيخ الإسلام، أبو العباس، الإمام العالم المفسر الفقيه المجتهد الحافظ المحدث، نادرة العصر، ذو التصانيف الباهرة، والذكاء المفرط، وطلب الحديث، واشتغل بالعلوم حتى صار من الأئمة الأعلام؛ كان عالِمًا باختلاف العلماء، وأعرف الناس بفقه المذاهب من أهلها الذين كانوا في زمانه وغيره، متضلعًا في الأصول والفروع والنحو واللغة، وله التصانيف الكثيرة. توفي رحمه الله سنة (٧٢٨هـ).

ينظر: البداية والنهاية (١٨/ ٢٩٥)، الدرر الكامنة (١/ ١٦٨) لابن حجر العسقلاني، ت: محمد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ، البدر الطالع (١/ ٦٣) للشوكاني، دار المعرفة بيروت.

(٢) وفي هذا -والله أعلم- إشارة إلى ترجيحه لهذا القول.

(٣) أي: القلب والدماغ.

(٤) مجموع الفتاوى (٩/ ٣٠٣-٣٠٤) لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ. ومن أراد أن يتوسع في هذه المسألة، فلينظر كلام شيخ الإسلام رحمه الله في مجموع الفتاوى (٩/ ٣٠٣-٣٠٤).

(٥) الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي ثم الدمشقي الحنبلي المفسر النحوي الأصولي، الشهير بابن قيم الجوزية، وسمع الحديث واشتغل بالعلم، وبرع في علوم متعددة لا سيما علم التفسير والحديث والأصلين، لازم شيخ الإسلام سنين عدة وأخذ عنه علمًا وافرًا، وفاق أقرانه، واشتهر في الآفاق، وتبحر في معرفة مذاهب السلف، وله مصنفات قيمة، منها: زاد المعاد، وإعلام الموقعين، وبدائع الفوائد. مات رحمه الله تعالى في سنة (٧٥١هـ).

ينظر: البداية والنهاية (١٨/ ٥٢٣)، الدرر الكامنة (٥/ ١٣٧)، البدر الطالع (٢/ ١٤٣).

(٦) التبيان في أقسام القرآن (٤٠٤).

وقال الشيخ ابن عثيمين[١] رحمه الله: "فالعقل في القلب، والقلب في الصدر، لكن الدماغ يستقبل ويتصور، ثم يرسل هذا التصور إلى القلب لينظر أوامره، ثم ترجع الأوامر من القلب إلى الدماغ، ثم ينفذ الدماغ.

إذن الدماغ بمنزلة (السكرتير)[٢] ينظم المعاملات ويرتبها، ثم يرسلها إلى القلب، إلى المسؤول الذي فوقه، هذا القلب يوقِّع يمضي أو يرد، ثم يدفع المعاملة إلى الدماغ، والدماغ يأمر الأعصاب وتتمشى، وهذا القول هو الذي تطمئن إليه النفس، وهو الموافق للواقع"[٣].

وقال الشيخ الشنقيطي رحمه الله: "وجمع بعض العلماء بين قول أهل السنة وقول الفلاسفة بأن قال: إن أصل العقل في القلب كما في الكتاب والسنة، إلا أن نوره يتصل شعاعه بالدماغ"[٤].

---

(١) الإمام الفقيه أبو عبد الله مُحَمَّد بن صالح بن مُحَمَّد بن عثيمين المقبل الوهيبي التميمي. ولد الشيخ في مدينة عنيزة في أسرة يعرف عنها الدين والاستقامة والصلاح، يعتبر من أكابر علماء هذا العصر الذين نصروا ورفعوا عقيدة السلف الصالح، ومؤلفاته في نصرة عقيدة أهل الكتاب والسنة أشهر من أن تذكر، فدروسه ومحاضراته وخطبه ومؤلفاته شاهدة على وضوح هذا الأمر، ويعد الشيخ رحمه الله من المراجع الرئيسة لطلبة العلم بل وللعلماء في معرفة عقيدة السلف، وأما مؤلفاته فكثيرة جدًّا منها: فتح رب البرية بتلخيص الحموية، وشرح الواسطية لابن تيمية، والشرح الممتع على زاد المستقنع. كان رحمه الله زاهدًا ورعًا متواضعًا، مشهودًا له بمواقف الخير والجهاد في سبيل الله تعالى والدعوة إليه، وتوفي رحمه الله سنة (١٤٢١هـ).

ينظر: موسوعة مواقف السلف (١٠/ ٤٣٤)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٣/ ٢١١٨).

(٢) كلمة محدثة تطلق على من يقوم بحفظ سر العمل، ويسمى الأمين، مدير المكتب الذي يقوم على ترتيب المعاملات حسب أهميتها أو حسب ما يتفق عليه، ويوصلها إلى رئيس الدائرة، ويسمى قديماً الحاجب.

ينظر: المعجم الوسيط(٢/٧٧٦) مادة(كتم)، معجم لغة الفقهاء(١٧٥) لمحمد قلعجي وقنيبي، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ.

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٧/ ٣٠٠).

(٤) العذب النمير (١/ ١٦٠).

وقال أيضًا عن هذا القول: "ومَنْ جمع بين القولين فقوله جائز عقلًا، ولا تكذيب فيه للقرآن ولا للسنة، ولكنه يحتاج إلى دليل يجب الرجوع إليه، ولا دليل عليه من النقل، فإن قام عليه دليل من عقل أو استقراء محتج به فلا مانع من قبوله، والعلم عند الله تعالى"(١).

والذي يظهر أنه قد قام الدليل من السنة والعقل والحس على الترابط بين أجزاء الجسد، وتأثير القلب فيها جميعًا، كما في حديث النعمان بن بشير ﷺ الذي سبق(٢)، ويدل على الترابط بين أجزاء الجسد أيضًا قوله ﷺ: «مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ؛ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى»(٣).

فالقلب إذن الذي هو محل العقل مرتبطٌ بالدماغ الذي يقوم بمهمة تحريك الأعضاء وتنفيذ الأوامر الصادرة من العقل الذي في القلب، والله أعلم.

رابعًا: تعريف الداعية في اللغة والاصطلاح:

الداعية في اللغة: يطلق على معان، منها:

الذي يَمِيلُ الشيء إليه بصوت وكلام منه، طلب إحضار الشيء، الذي يحث على فعل شيء(٤).

---

(١) الفتاوى للشنقيطي (٣٥)، وقد فصل القول في مسألة هل العقل في القلب أو الدماغ؟ ومن أراد التوسع فلينظر ثَمَّ (٢٤-٣٥).

(٢) وهو حديث: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ».

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم وتعاضدهم (٤/ ١٩٩٩) ح (٢٥٨٦).

(٤) ينظر في هذه المعاني: مقاييس اللغة (٢/ ٢٧٩)، المعجم الوسيط (١/ ٢٨٦) مادة (دعا).

وعُرِّفَ الداعية في الاصطلاح بعدة تعريفات[(١)]، ومن أجمعها -فيما يتعلق بمقصود البحث- التعاريف الآتية:

التعريف الأول: عرف الإمام ابن القيم رحمه الله الدعاة بقوله: "جمع دَاعٍ؛ كقاض قُضَاة، ورام ورماة، وإضافتهم إليه للاختصاص، أَي: الدعاة المخصوصون بِهِ الَّذين يدعونَ إِلَى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته"[(٢)].

التعريف الثاني: عرفه بعض الباحثين المعاصرين[(٣)] بقوله: "المبلّغ للإسلام، والمعلّم له، والساعي إلى تطبيقه"[(٤)].

التعريف الثالث: ومن التعاريف الشاملة أن الداعية هو: "كل من تتوفر فيه عوامل التأهيل والتكليف الشرعي، والقائم على إيصال دين الإسلام إلى الناس كافة... وفق منهج الدعوة القويم"[(٥)].

والذي يظهر أن التعريف الثالث هو أدق التعاريف؛ لأنه في التعريف الأول والثاني أغفل تأهيل الداعية، ولأنه لا ينبغي أن يتصدى للدعوة إلى الله تعالى إلا من كان مؤهلًا لهذه المهمة العظيمة، وهذا ما نص عليه في التعريف الثالث، وأضاف في التعريف إضافة مهمة، وهي أن يكون الداعية يسير وفق منهج الدعوة القويم، الذي سار عليه الأنبياء عليهم السلام.

خامسًا: تعريف الدعوة في اللغة والاصطلاح:

الدعوة لغة: تطلق على عدة معان، سبق ذكر بعضها عند تعريف الداعية في

---

(١) ينظر: كتاب الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (٥٠٢-٥٠٣) للدكتور عبد الرحيم المغذوي، دار الحضارة الرياض، ط٢، ١٤٣١هـ، فقد ذكر حفظه الله عشرة تعاريف للداعية.

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٣) لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) هو: الدكتور محمد أبو الفتح البيانوني.

(٤) المدخل إلى علم الدعوة (٤٠) للدكتور محمد البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٣٥هـ.

(٥) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (٥٠٤).

اللغة[١]، وقال ابن منظور[٢] رحمه الله: "ودعا الرجلَ دعوًا ودعاءً: ناداه، والاسم: الدعوة، ودعوت فلانًا أي: صحت به واستدعيته"[٣].

وعُرِّفت الدعوة اصطلاحًا بعدة تعريفات[٤]، وذلك يرجع إلى أن كل من كتب في الدعوة نظر لها من جانب معين، فعرّفها بناء على رؤيته، واهتمامه بهذا الجانب، ولذا -في الغالب- تكون التعاريف من باب التنوع لا التضاد، وهذه جملة منها:

التعريف الأول: إنها "الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه"[٥].

التعريف الثاني: "إيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، وفق المنهج القويم، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين، ويلائم أحوال وظروف المخاطبين في كل زمان ومكان"[٦].

التعريف الثالث: قيام من له أهلية من المسلمين فردًا أو جماعة بتبليغ دين

---

(١) ينظر ص (٣٧).

(٢) محمد بن مكرم بن أبي الحسن القاضي الأديب البليغ الأنصاري الرويفعي ولد بالقاهرة. قال ابن حجر: "وجمع في اللغة كتابًا سماه: لسان العرب، جمع فيه بين التهذيب والمحكم والصحاح والجمهرة، جوَّده ما شاء ورتبه ترتيب الصحاح، وهو كبير"، وفيه تشيع بلا رفض، ومات رحمه الله سنة (٧١١هـ).
ينظر: معجم الشيوخ الكبير (٢/ ٢٨٨) للذهبي، ت: محمد الهيلة، مكتبة الصديق الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ، الدرر الكامنة (٦/ ١٥).

(٣) لسان العرب (١٤/ ٢٥٨) (دعا).

(٤) أوصلها صاحب كتاب الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية إلى عشرين تعاريفًا ينظر: (٤٤-٤٧).

(٥) مجموع الفتاوى (١٥/ ١٥٧-١٥٨).

(٦) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (٤٩).

الإسلام إلى الناس كافة أفرادًا أو جماعات، في كل زمان ومكان، بالقول أو الفعل، مقتفين في ذلك أثر رسول الله ﷺ، متأسّين به، سالكين لذلك طرقًا مشروعة مخصوصة(١).

والمتأمل في هذه التعريفات: يجد أن التعريف الأول ركز على محتوى الدعوة بشيء من التفصيل، والتعريف الثاني والثالث تطرقا إلى محتوى الدعوة بإجمال، وكذلك من يقوم بالدعوة وفق المنهج القويم؛ لأن الدعوة منظومة متكاملة تقوم على تبليغ دين الإسلام إلى الناس كافة، ومن يقوم بهذه المهمة العظيمة من الدعاة المؤهلين، وذلك وفق المنهج القويم؛ ولذا أرى أن هذه التعاريف من أشمل ما عُرِّفت به الدعوة في الاصطلاح، والله أعلم.

ومما سبق ذكره يمكن أن يقال: إن مقصود الدراسة **(بيان الأثر الحاصل من تحقيق الداعية لأعمال القلوب في نفسه وعلى دعوته، وكذلك ما يحصل من آثار سلبية لإهمال أعمال القلوب على الداعية والدعوة)**.

المسألة الثانية: فضائل الدعوة:

وللدعوة فضائل كثيرة أذكر منها على سبيل المثال:

- **الدعوة إلى الله هي الغاية من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام:**

إنَّ المتتبع لقصص الرسل عليهم الصلاة والسلام التي ذكرها الله في كتابه يجد أنهم كلهم دعوا أقوامهم إلى عبادة الله ﷻ وحده دون سواه، فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى

---

(١) ينظر: الثبات على دين الله (١/ ٤٠٤) للدكتور الأمين الصادق، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٢، ١٤٣١هـ.

ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

قال ابن القيم رحمه الله في بيان الغاية من إرسال الرسل عليهم الصلاة والسلام: "فالدعوة إلى الله تعالى هي وظيفة المرسلين وأتباعهم، وهم خلفاء الرسل في أممهم والناس تبع لهم، والله ﷻ قد أمر رسوله أن يبلغ ما أنزل إليه، وضمن له حفظه وعصمته من الناس، وهكذا المبلغون عنه من أمته، لهم من حفظ الله وعصمته إياهم بحسب قيامهم بدينه وتبليغهم لهم. وقد أمر النبي ﷺ بالتبليغ عنه ولو آية[١]، ودعا لمن بلغ عنه ولو حديثًا[٢]، وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم.

جعلنا الله تعالى منهم بمنه وكرمه"[٣].

- **الدعوة إلى الله تعالى من أسباب خيرية الأمة وفلاحها:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

---

(١) قال ﷺ: «بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً». أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب ما ذكر عن بني إسرائيل (٤/ ١٧٠) ح (٣٤٦١).

(٢) سيأتي لفظه وتخريجه.

(٣) جلاء الأفهام (٤١٥) لابن القيم، ت: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ.

وفي الآيتين ذكر الله أن خيرية الأمة وفلاحها مرتبط بتحقيق الدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

- **الدعوة إلى الله من أسباب السلامة من الخسران في الدنيا والآخرة:**

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [سورة العصر].

وفي هذه السورة حدد الله أسباب النجاة من خسارة الدنيا والآخرة، وهي: الإيمان، والعمل الصالح، والدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصبر على ذلك.

- **الدعوة من أعظم الأعمال وأحبها إلى الله تعالى:**

عن سهل بن سعد ﷺ: قال ﷺ يَوْمَ خَيْبَرَ(١): «لَأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُفْتَحُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ»، فَبَاتَ النَّاسُ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَى، فَغَدَوْا كُلُّهُمْ يَرْجُوهُ، فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيٌّ؟»، فَقِيلَ: يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، فَبَصَقَ(٢) فِي عَيْنَيْهِ وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ فَقَالَ: أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ(٣) حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ

---

(١) وهي بلدة معروفة اليوم، تبعد عن المدينة ١٦٥ كلم شمالًا على طريق الشام، عرفت بهذا الاسم منذ أقدم العصور، وتشتمل على حصون ومزارع ونخل كثير، وقد فتحها النبي ﷺ في سنة سبع للهجرة.
ينظر: معجم البلدان (٢/ ٤٠٩) لياقوت الحموي، دار صادر بيروت، ط٢، ١٩٩٥م، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (١١٨) لعاتق البلادي، دار مكة للنشر مكة، ط١، ١٤٠٢هـ، والموسوعة الجغرافية على الشبكة.

(٢) البصق والبزق: هو التفل بالفم، ولا بد أن يكون معه شيء من الريق.
ينظر: لسان العرب (١١/ ٧٧) مادة (تفل).

(٣) أي: تأنَّ ولا تستعجل.
ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٢٢٣)، لسان العرب (١١/ ٢٨٢) مادة (رسل).

عَلَيْهِمْ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»[١].

وهذا الحديث يدل على فضيلة الدعوة إلى الله تعالى؛ لأن النبي ﷺ جعل هداية رجل واحد بدعوته إلى الإسلام والتوبة من الآثام خير من حمر النعم التي هي الإبل النفيسة، كما قال الإمام النووي في شرحه على هذا الحديث: "هي الإبل الحمر، وهي أنفس أموال العرب، يضربون بها المثل في نفاسة الشيء، وأنه ليس هناك أعظم منه"[٢].

المسألة الثالثة: فضائل الداعية:

ونصت الآيات والأحاديث على فضل الداعية إلى الله تعالى، ومن ذلك:

- **أن الداعية إلى الله تعالى العامل بعلمه لا أحد أحسن قولًا منه**[٣]:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فُصِّلَت: ٣٣].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب في فضل من أسلم على يديه رجل (٤/ ٦٠) ح (٣٠٠٩)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﭫ، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﭬ (٤/ ١٨٧٢) ح (٢٤٠٦).

(٢) شرح النووي على مسلم (١٥/ ١٧٨).

(٣) وفي سنن الترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٥/ ٥٠) عن الفضيل بن عياض رحمه الله، يقول: "عالم عامل معلم يدعى كبيرًا في ملكوت السموات"، وسنن الترمذي، ت: أحمد شاكر (جـ ١، ٢) ومحمد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ.

ونقل ابن جرير رحمه الله في تفسيره عن الحسن البصري رحمه الله أنه تلا هذه الآية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ فقال: "هذا حبيب الله، هذا ولي الله، هذا صفوة الله، هذا خيرة الله، هذا أحب أهل الأرض إلى الله، أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب الله فيه من دعوته، وعمل صالحًا في إجابته".

ينظر: تفسير الطبري (٢٠/ ٤٢٩).

وهذه الآية تدل على المكانة العظيمة للداعية إلى الله عند ربه سبحانه وتعالى.

- **مكانة الداعية إلى الله تعالى على بصيرة:**

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

يقول السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ للناس: ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أحث الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه.

ومع هذا فأنا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية.

﴿أَنَا۠﴾ كذلك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره.

﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله.

﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في جميع أموري، بل أعبد الله مخلصًا له الدين"(١).

ولا شك أن اقتفاء منهج النبي ﷺ في الدعوة إلى الله مع حصول بصيرة الداعية من أسباب فلاحه ونجاحه في دعوته، وتمكنه من تعليم الناس الخير، ومعرفته بأسباب التأثير في المدعوين، وسيأتي مزيد بيان لذلك(٢).

---

(١) تفسير السعدي (٤٠٦).

(٢) ينظر: (٤٨٥).

- **الداعية إلى الله تعالى ينال من الأجور بقدر من انتفع بدعوته:**

عن أبي هريرة ﷺ: قال ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»(١).

- **أن من أعظم ما يدل على فضل الداعية إلى الله تعالى ما يحصل له من ثناء الله تعالى عليه، ودعاء غيره من المخلوقات له:**

فعن أبي أمامة الباهلي ﷺ: قال ﷺ: «إِنَّ اللهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»(٢).

وصلاة الله: ثناء على عبده في الملأ الأعلى، وصلاة غيره: دعاء واستغفار(٣).

يقول ابن القيم رحمه الله: "لما كان تعليمه للناس الخير سببًا لنجاتهم وسعادتهم وزكاة نفوسهم جازاه الله من جنس عمله، بأن جعل عليه من صلاته وصلاة ملائكته وأهل الأرض ما يكون سببًا لنجاته وسعادته وفلاحه، وأيضًا فإن معلم الناس الخير لما كان مظهرًا لدين الرب وأحكامه، ومعرفًا لهم بأسمائه وصفاته، جعل الله من صلاته وصلاة أهل سمواته وأرضه عليه ما يكون تنويهًا به وتشريفًا له، وإظهارًا للثناء عليه بين

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٤/ ٢٠٦٠) ح (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٥/ ٥٠) ح (٢٦٨٥) وقال: "حسن صحيح غريب"، وقال ابن القيم في جلاء الأفهام (٤٧٢): "حديث حسن صحيح"، وقال الألباني: صحيح كما في صحيح الجامع الصغير وزيادته(٢/ ٧٧٦) ح (٤٢١٣) طبعة المكتب الإسلامي، وحسّنه لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٤٤) ح (٨١) مكتَبة المعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ، والحديث حسن بشواهده، والله أعلم.

(٣) قال أبو العالية في معنى صلاة الله، وصلاة الملائكة على النبي ﷺ: "صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء". ينظر: صحيح البخاري (٦/ ١٢٠). وفي فيض القدير لزين الدين المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط١، ١٣٥٦هـ (٤/ ٤٣٢): "... ليصلون على معلم الناس الخير أي: يستغفرون لهم". وينظر أيضًا: تحفة الأحوذي (٧/ ٣٨٠).

أهل السماء والأرض"(١).

- **دعا النبي ﷺ لمن يبلغ الناس حديثه بالنضرة والجمال والبهاء، والداعي إلى الله يناله نصيب من ذلك:**

عن زيد بن ثابت ﷺ: قال ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ لَيْسَ بِفَقِيهٍ»(٢).

قال الخطابي(٣) رحمه الله في شرحه للحديث: "قوله: (نضر الله) معناه: الدعاء له بالنضارة، وهي النعمة والبهجة"(٤).

وقال المناوي(٥) رحمه الله في شرح الحديث: "ومعناه: ألبسه النضرة وخلوص اللون، يعني: جمّله الله وزيّنه، أو معناه: أوصله الله إلى نضرة الجنة وهي نعيمها، قَالَ تَعَالَىٰ:

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٦٣).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب فضل نشر العلم (٣/ ٣٢٢) ح (٣٦٦٠) ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، والترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في الحث على تبليغ السماع (٥/ ٣٣) ح (٢٦٥٦)، وابن ماجه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من بلغ علمًا (١/ ٨٤) ح (٢٣٠) ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي،، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٤٥) ح (٦٧٦٣)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود، طبعة دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ (٥/ ٥٠١) ح (٣٦٦٠): "إسناده صحيح".

(٣) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي البستي، قال الإمام أبو المظفر بن السمعاني: قد كان من العلم بمكان عظيم، وهو إمام من أئمة السنة صالح للاقتداء به والإصدار عنه. كان إمامًا في الفقه والحديث واللغة، له التصانيف البديعة منها: غريب الحديث، ومعالم السنن في شرح سنن أبي داود، وكتاب إصلاح غلط المحدثين، وغير ذلك. توفي رحمه الله سنة (٣٨٨هـ).
ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ٢١٤)، وسير أعلام النبلاء (١٧/ ٢٣)، وطبقات الشافعية الكبرى (٣/ ٢٨٢)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٠٠٥).

(٤) معالم السنن (٤/ ١٨٧) للخطابي، المطبعة العلمية حلب، ط١، ١٣٥١هـ.

(٥) عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين، المناوي القاهري الشافعي، شارح الجامع الصغير شرحه شرحًا بسيطًا وشرحا مختصرًا، وشرح الشهاب، وشرح آداب القضاء وطبقات الصوفية وغير ذلك، =

﴿تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾ [المطفّفين: ٢٤]، ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٣]، ﴿وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا﴾ [الإنسان: ١١]"[١].

- **المكانة العالية للعلماء الدعاة؛ لأنهم ورثة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام:**

فعن أبي الدرداء ﵁: قال ﷺ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَطْلُبُ فِيهِ عِلْمًا سَلَكَ اللَّهُ بِهِ طَرِيقًا مِنْ طُرُقِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، وَالْحِيتَانُ فِي جَوْفِ الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ»[٢].

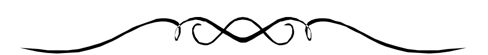
قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في شرحه للحديث السابق: "العلماء هم ورثة الأنبياء، ورِثوا العلمَ من الأنبياء، وورَّثوا العمل كما يعمل الأنبياء، وورثوا الدعوة إلى الله

يتأول في الصفات على طريقة الأشاعرة، وله اهتمام بالطرق الصوفية، وتوفي رحمه الله سنة (١٠٣١هـ). ينظر: البدر الطالع (١/ ٣٥٧)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٢/ ١٢٢١).

(١) فيض القدير (٦/ ٢٨٤).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب العلم، باب الحث على طلب العلم (٣/ ٣١٧) ح (٣٦٤١)، والترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في فضل الفقه على العبادة (٥/ ٤٨) ح (٢٦٨٢)، وابن ماجه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب فضل العلماء والحث على طلب العلم (١/ ٨١) ح (٢٢٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ١٠٧٩) (٦٢٩٧-٢١١٧) وحسنه في مشكاة المصابيح (١/ ٧٤) (٢١٢)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٥/ ٤٨٥) ح (٣٦٤١) وسنن ابن ماجه دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ (١/ ١٥١) ح (٢٢٣): "حسن بشواهده"، وهذا هو الصحيح؛ لأن في سنده ضعفًا ينجبر بالشواهد، فيصير الحديث حسنًا، والله أعلم.

عَزَّلَ، وورثوا هداية الخلق ودلالتهم على شريعة الله"[١].



(١) شرح رياض الصالحين (٥/ ٤٤٣) لمحمد بن صالح بن مُحَمَّد العثيمين، دار الوطن للنشر، الرياض ١٤٢٦هـ.

الباب الأول:

أعمال القلوب: مكانتها، تأثرها وأثرها

من خلال نصوص الكتاب والسنة،

وموقف السلف والمخالفين منها، وأسباب صلاحها.

الفصل الأول: أعمال القلوب: مكانتها، تأثرها وأثرها.

الفصل الثاني: أعمال القلوب بين السلف والمخالفين لهم.

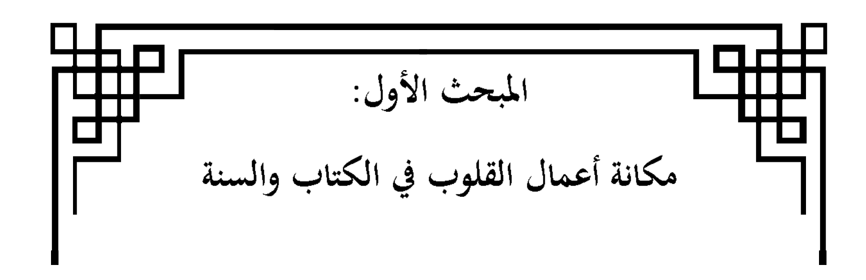
الفصل الثالث: أسباب صلاح القلب.

الفصل الأول:

أعمال القلوب: مكانتها، تأثرها وأثرها

المبحث الأول: مكانة أعمال القلوب في الكتاب والسنة.

المبحث الثاني: النصوص من الكتاب والسنة في بيان تأثر عمل القلب بما يعمل صاحبه، وإثبات أثر عمله.



المبحث الأول:
مكانة أعمال القلوب في الكتاب والسنة

المطلب الأول: نصوص القرآن الكريم في بيان مكانة أعمال القلوب:

الفرع الأول: مكانة أعمال القلوب التي يحبها الله.

الفرع الثاني: خطر أعمال القلوب التي يبغضها الله.

المطلب الثاني: نصوص السنة النبوية في بيان مكانة أعمال القلوب.

المبحث الأول:

مكانة أعمال القلوب في الكتاب والسنة

توطئة:

لأعمال القلوب مكانة عظيمة وأهمية عالية، تحدث عنها ابن القيم، فقال رحمه الله: "فعمل القلب هو روح العبودية ولبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح... ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما؟! وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه؟! وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت؛ ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان"(١).

وأعمال القلوب هي الأصل، وهي فرض على الأعيان باتفاق أهل الإيمان، من تركها بالكلية فهو إما كافر أو منافق، وأعمال الجوارح تابعة ومتممة لأعمال القلوب، فلا تتم إلا بها(٢).

وسيتضح من خلال هذا المبحث مكانة أعمال القلوب من خلال اهتمام الكتاب والسنة بها، والتفصيل في ذكر أحوال القلوب(٣).

---

(١) بدائع الفوائد (٣/ ١٩٢-١٩٣) لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت.

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٨٤-١٨٥)، بدائع الفوائد (٣/ ١٨٧-١٨٨).

(٣) ينظر في أحوال القلوب: أعمال القلوب د. سهل العتيبي (١٠٣-١١٥) من مطبوعات عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٢٦هـ.

وإن مما ينبغي التنبيه عليه أن الكثير من هذه الأعمال القلبية التي ستذكر في هذا المبحث سترد -إن شاء الله- في أثناء البحث بشيء من التفصيل.

وإن مما يدل على مكانة أعمال القلوب وأهميتها العظيمة عند الله تعالى إعتناء القرآن الكريم بالحديث عنها في كثير من آياته، وذلك بالثناء على المتصفين بأعمال القلوب التي يحبها الله، وبيان ما رتب ﷻ على ذلك من جزيل الثواب وعظيم العطايا في الدنيا والآخرة، وفي المقابل جاء التحذير من أعمال القلوب التي لا يحب الله من عبده أن يتصف بها، وذكر ﷻ ما رتب على ذلك من عقوبات إنذارًا وتحذيرًا، وهذا أوان الشروع في ذلك.

المطلب الأول: نصوص القرآن الكريم في بيان مكانة أعمال القلوب:

الفرع الأول: مكانة أعمال القلوب التي يحبها الله:

مما يدل على مكانة أعمال القلوب التي يحبها الله وأهميتها العظيمة عنده أنه أثنى في كتابه على المؤمنين المتصفين بها، وجعل لهم المنازل العظيمة، وسعادة الدنيا والآخرة، ودونك طرفًا من ذلك:

١- القلب السليم هو الذي ينفع صاحبَه يوم القيامة، حين لا ينفع مال ولا بنون:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩]. قال السعدي رحمه الله: "والقلب السليم معناه: الذي سلم من الشرك والشك ومحبة الشر، والإصرار على البدعة والذنوب، ويلزم من سلامته مما ذكر اتصافه بأضدادها من الإخلاص والعلم واليقين، ومحبة الخير وتزيينه في قلبه، وأن تكون إرادته ومحبته تابعة لمحبة الله، وهواه تابعًا لما جاء عن الله"(١).

(١) تفسير السعدي (٥٩٣).

٢- ومما يدل على مكانة عمل القلب: أن تعظيم شعائر الله دليل على تقوى القلوب:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢].

فتعظيم شعائر الله دليل على تقوى القلوب، وأضاف التقوى في الآية إلى القلب لأن حقيقة التقوى فيه، كما قال ﷺ: «التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّات. والمعظم لشعائر الله يبرهن على تقواه وصدق إيمانه[١]، وهذا يدل على أهمية عمل القلوب وأثرها على حياة العبد، فإذا حقق العبد التقوى ظهر عليه تعظيمه لشعائر الله تعالى في سره وجهره.

٣- ومما يدل كذلك على مكانة عمل القلب وأهميته: أن الإيمان مرتبط به، بل إن عمل القلب هو الأصل:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وقال تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات: ١٤].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "فأصل الإيمان في القلب، وهو قول القلب وعمله، وهو إقرار بالتصديق والحب والانقياد، وما كان في القلب فلا بد أن يظهر موجبه ومقتضاه على الجوارح، وإذا لم يعمل بموجبه ومقتضاه دل على عدمه أو ضعفه؛ ولهذا كانت الأعمال الظاهرة من موجب إيمان القلب ومقتضاه، وهي تصديق لما في القلب

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٥٦)، تفسير السعدي (٥٣٨).

ودليل عليه وشاهد له، وهي شعبة من مجموع الإيمان المطلق[١] وبعض له؛ لكن ما في القلب هو الأصل"[٢].

٤- ولما كان لعمل القلب عظيم المكانة عند الله جعله على رأس صفات عباده الصالحين في أكثر من موضع في كتابه، ومن ذلك:

أ) قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

فجعل الله ﷻ على رأس صفات المؤمنين في أول سورة الأنفال وجلَ قلوبهم عند ذكره تعالى.

ووجل القلوب هو خوفها من الله العظيم ﷻ؛ لأنها تعرفه حق المعرفة، وتؤمن بجلاله وعظمته، فإذا ذُكِر الله أو ذُكّرت به خافت منه، فأحدث لها ذلك خشية الله والانكفاف عن المعاصي، والمسارعة إلى الطاعات، وهذا من أعظم العلامات الدالة على الإيمان الحق، وخوف العبد من ربه[٣]، وتظهر هذه المقامات العظيمة أهمية عمل القلب، وأثره على إيمان العبد.

---

(١) الإيمان المطلق هو: الإيمان الكامل الذي أتى صاحبه بما يستطيع من الواجبات واجتنب كل المحرمات، وعكسه مطلق الإيمان وهو الإيمان الناقص الذي وقع صاحبه في الذنوب غير المكفرة، ويسمى صاحبه الفاسق الملي، فيقولون عنه: مؤمن ناقص الإيمان، أو مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته.
ينظر: العقيدة الواسطية (١١٤) لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ، شرح الطحاوية (٢/ ٤٩٥) لابن أبي العز الحنفي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ، الإيمان والرد على أهل البدع (مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام، الجزء الثاني) (ص٤) لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١ بمصر، ١٣٤٩هـ، النشرة الثالثة، ١٤١٢هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٤٤).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١١/ ٢٧-٢٨)، تفسير ابن كثير (٤/ ١١)، تفسير السعدي (٣١٥).

ب) قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

فجعل الله ﷻ على رأس صفات المؤمنين في أول سورة المؤمنون الخشوع في صلاتهم.

نقل الطبري رحمه الله عن الحسن(١) في معنى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾، قال: "كان خشوعهم في قلوبهم، فغضوا بذلك البصر، وخفضوا به الجناح"(٢).

أي: جعلوا أبصارهم في موضع سجودهم، واستحضروا عظمة الوقوف بين يدي الله، فخفضوا الجناح له من هيبته في قلوبهم(٣).

وقال ابن كثير(٤) رحمه الله:

---

(١) الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد، تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان العباد. ولد بالمدينة، وكانت أمه خيرة مولاة لأم سلمة فكانت تذهب لمولاتها في حاجة وتشاغله أم سلمة بثديها، فربما در عليه، وتوفي عليه رحمة الله سنة (١١٠هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٣)، الوافي بالوفيات (١٢/ ١٩٠) للصفدي، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، ١٤٢٠هـ، الأعلام للزركلي (٢/ ٢٢٦).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٨).

(٣) ونقل ابن أبي شيبة في مصنفه (٢/ ١٢٥) رقم (٧٢٤٥) ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ عن مجاهد رحمه الله قال: "كان ابن الزبير إذا قام في الصلاة كأنه عود من الخشوع"، قال مجاهد: وحدثت أن أبا بكر كان كذلك.

(٤) الإمام العلامة، الحافظ الكبير، عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير البصري ثم الدمشقي الفقيه الشافعي، المحدث المفتي البارع فقيه متفنن، محدث متقن، مفسر، وكان رحمه الله جيد الحفظ والفهم، مستقل الرأي، يدور مع الدليل حيث دار ولا يتعصب لمذهب، وكان يستحضر كثيرًا من التفسير والتاريخ، قليل النسيان، سارت تصانيفه في البلاد في حياته، وانتفع بها الناس بعد وفاته، له مؤلفات كثيرة كالتفسير والبداية والنهاية وجامع المسانيد والسنن وغير ذلك، وتوفي رحمه الله تعالى في سنة (٧٧٤هـ).
ينظر: الدرر الكامنة (١/ ٤٤٥)، شذرات الذهب (١/ ٦٧)، موسوعة مواقف السلف (٨/ ٣٧٤).

"والخشوع في الصلاة إنما يحصل بمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين[(١)]"[(٢)].

٥- ومما يدل على مكانة عمل القلب: أن الله جعل للمؤمنين جنة معجلة في الدنيا قبل جنة الآخرة، وهي ما يجدونه من طمأنينة القلوب التي هي من آثار ذكر الله وتلاوة كتابه وتدبره والعمل به.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

ومن العلامات الدالة على الإيمان أن القلوب تأنس بذكر الله وتلاوة كتابه، وتسعد وتفرح وتتلذذ بذلك، فيزول عنها قلقها واضطرابها[(١)]، ولا يجد ذلك إلا من أقبل على إصلاح قلبه وطهّره من أسباب فساده.

---

(١) يشير بذلك إلى حديثي النبي ﷺ:

الأول: «يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ أَرِحْنَا بِهَا». أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في صلاة العتمة (٤/ ٢٩٦) ح (٤٩٨٥)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٣٠٧) ح (٧٨٩٢)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٧/ ٣٣٨) ح (٤٩٨٥) "إسناده صحيح".

والثاني: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ». أخرجه أحمد (٢١/ ٤٣٣) ح (١٤٠٣٧) في المسند، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، إشراف: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ، والنسائي في سننه ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ، في كتاب عشرة النساء، باب حب النساء (٧/ ٦١) ح (٣٩٤٠)، والحاكم في المستدرك في كتاب النكاح (٢/ ١٧٤) ح (٢٦٧٦) وصححه ووافقه الذهبي، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٩٩) ح (٣١٢٤).

(٢) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦١-٤٦٢).

ونقل شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨) عن مجاهد رحمه الله قوله في معنى الآية: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]: "غض البصر وخفض الجناح، وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة يهاب الرحمن أن يشذ بصره، أو أن يحدّث نفسه بشيء من أمر الدنيا".

٦- من آثار صدق الإيمان في القلوب: زيادة الهدى والصبر والثبات:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَـٰهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟ فَقَالُوا۟ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَـٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٣، ١٤].

وهذا يدل على أهمية عمل القلب عند الشدائد، فإن الله بفضله ورحمته يزيد العبد -الصادق في إيمانه- هدى، ويربط على قلبه، فيثبته على الحق والصدع به، ولا يجعل قلبه يلتفت إلى زينة الحياة الدنيا وزخرفها، فيثبت على الحق، ويصبر على ما يلقاه في ذات الله.

٧- بشارة الله للمخبتين(٢) بخير الدنيا والآخرة(٣)، والإخبات ذلك العمل القلبي الذي يثمر وجل القلب عند ذكر الله، والصبر، وإقامة الصلاة، والإنفاق مما رزق الله:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا۟ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (٤١٧).

(٢) وفي تفسير السعدي (٥٣٨): "المخبت: الخاضع لربه، المستسلم لأمره، المتواضع لعباده".

(٣) ينظر: تفسير السعدي (٥٣٨).

وسيأتي مزيد بيان في المبحث الآتي[(١)].

٨- لقد نال أهلُ بيعة الرضوان تلك المنزلةَ العظيمة والمكانة العالية عند الله؛ لأنه ﷻ اطَّلَعَ على قلوبهم، فعلم ما فيها من الصدق والإيمان والوفاء والبذل والتضحية:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

قال ابن كثير الحافظ رحمه الله: "وقوله: ﴿فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ﴾ أي: من الصدق والوفاء، والسمع والطاعة، ﴿فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ وهي: الطمأنينة، ﴿عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ وهو: ما أجرى الله على أيديهم من الصلح بينهم وبين أعدائهم، وما حصل بذلك من الخير العام المستمر المتصل بفتح خيبر وفتح مكة، ثم فتح سائر البلاد والأقاليم عليهم، وما حصل لهم من العز والنصر والرفعة في الدنيا والآخرة"[(٢)].

٩- من أعمال القلوب العظيمة: خشية الله تعالى، ومما يدل على أهمية هذا العمل القلبي وروده في القرآن الكريم في مواضع متعددة، منها:

أ) قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨]. فجعلها الله من أبرز صفات العلماء.

---

(١) ينظر:(٩٠).

(٢) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٠).

قال ابن كثير رحمه الله: "أي: إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به؛ لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر"(١).

قال السعدي رحمه الله: "فكل من كان بالله أعلم كان أكثر له خشية، وأوجبت له خشية الله الانكفاف عن المعاصي، والاستعداد للقاء من يخشاه، وهذا دليل على فضيلة العلم، فإنه داع إلى خشية الله، وأهل خشيته هم أهل كرامته، كما **قَالَ تَعَالَىٰ**: ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾ [البينة: ٨]"(٢).

ب) قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ﴾ [الملك: ١٢]. فأعد الله لمن يخشونه بالغيب -وبالأخص حينما لا يطلع عليهم أحد من الخلق- مغفرة وأجرًا كبيرًا.

قال السعدي رحمه الله: "أي: في جميع أحوالهم، حتى في الحالة التي لا يطلع عليهم فيها إلا الله، فلا يقدمون على معاصيه، ولا يقصرون فيما أمر به. ﴿لَهُم مَّغۡفِرَةٞ﴾ لذنوبهم، وإذا غفر الله ذنوبهم وقاهم شرها، ووقاهم عذاب الجحيم، ولهم أجر كبير وهو ما أعده لهم في الجنة من النعيم المقيم، والملك الكبير، واللذات المتواصلات، والمشتهيات، والقصور والمنازل العاليات، والحور الحسان، والخدم والولدان، وأعظم من ذلك وأكبر رضا الرحمن الذي يحله الله على أهل الجنان"(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٦/ ٥٤٤).

(٢) تفسير السعدي (٦٨٩).

(٣) تفسير السعدي (٨٧٦).

ج) قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٩]. فمن صفات من يخشون الله بالغيب إشفاقهم من الساعة، وذلك بخوف قلوبهم ووجلها.

قال السعدي رحمه الله: "فقال: ﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: يخشونه في حال غيبتهم، وعدم مشاهدة الناس لهم، فمع المشاهدة أولى، فيتورعون عما حرم، ويقومون بما ألزم، ﴿وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ﴾ أي: خائفون وجلون؛ لكمال معرفتهم بربهم، فجمعوا بين الإحسان والخوف"(١).

ولهذا كانت العقوبة عظيمة تنخلع منها القلوب لمن ضعف في قلبه خشية الله بالغيب، فقال ﷺ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»(٢).

وإن مما يجعل القلب يخشى الله بالغيب: استحضار مراقبة الله له، واطلاعه عليه، وأن الله يسمعه ويراه، عليم بسره ونجواه، يقول تعالى: ﴿أَوَلَا يَعۡلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا

---

(١) تفسير السعدي (٥٢٥).

(٢) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب (٢/ ١٤١٨) ح (٤٢٤٥)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ، كتاب الحدود وغيرها، الترغيب في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٣/ ١٧٠) ح (٣٥٣٤): "رواه ابن ماجه ورواته ثقات"، وقال البوصيري في زوائد ابن ماجه، ت: محمد الكشناوي، دار العربية بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب (٤/ ٢٤٦) ح (١٥٢٥): "هذا إسناد صحيح رجاله ثقات"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٩١) ح (٢٣٤٦)، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ٣١٧) ح (٤٢٤٥).

يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴾ [البقرة: ٧٧]، وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [التوبة: ٧٨]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَىْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [آل عمران: ٥].

د) قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣].

فيتأثر من يخشون الله عند تلاوة القرآن الكريم أو سماعه، بقشعريرة الجلود، ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله.

وهذه صفة أصحاب القلوب التي تخشى الله، فإذا تلوا كتاب الله أو سمعوا آياته أصابهم من خشيتهم لله ما تقشعر منه الجلود وتضطرب من الخوف من الله عند آيات الوعيد والتذكير بعظمة الله، فيخشع القلب وتدمع العين، ثم تلين وتسكن وترق عند آيات الرحمة، وكما قال تعالى عنهم عند سماع آيات القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٣](١).

وعن قتادة رحمه الله عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ قال: "هذا نعت أولياء الله، نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم، وتبكي أعينهم، وتطمئن قلوبهم إلى ذكر الله، ولم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما هذا في أهل البدع، وهذا من

---

(١) ينظر: تفسير القرطبي (١٢/ ٥٩-٦٠).

الشيطان[(١)]"[(٢)].

١٠- ويدل على أهمية عمل القلب وعظيم مكانته عند الله: أنه ذكر ﷻ في اثنتي عشرةَ آية أنه عليم بذات الصدور وهي القلوب[(٣)]، وهذا يجعل المؤمن على خوف وحذر من أعمال القلوب التي لا يحبها الله؛ لأن الله لا يخفى عليه شيء منها، وقد أحاط بها علمًا.

ودونَك بعض هذه الآيات التي تبين هذه الحقيقة العظيمة، التي متى ما رسخت في القلب أثمرت الخوف من الله، وخشيته في السر والعلن:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿هَٰٓأَنتُمْ أُوْلَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ عَضُّواْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَنَامِلَ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۚ قُلْ مُوتُواْ بِغَيْظِكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

وقال تعالى: ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد: ٦].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤].

---

(١) وهو يقصد بهذا ما حصل بعد جيل الصحابة الكرام ﷺ من الغشي والصعق عند سماع آيات الوعد والوعيد.

(٢) تفسير البغوي (٧/ ١١٦)، تفسير ابن كثير (٧/ ٩٥).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٢/ ٩٦، ٣/ ٢٦)، فتح القدير (٤/ ٥١٩) للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ، تفسير السعدي (٢٢٤).

قال الطبري رحمه الله: "والله ذو علم بالذي في صدور خلقه من خير وشر وإيمان وكفر، لا يخفى عليه شيء من أمورهم، سرائرها وعلانيتها، وهو لجميع ذلك حافظ، حتى يجازي جميعهم جزاءهم على قدر استحقاقهم"(١).

١١- طهارة القلب وصلاحه من أسباب النجاة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة:

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [المائدة: ٤١].

ومما يدل على أهمية عمل القلب ما يستنبط من الآية الكريمة أن طهارة القلوب سبب للسلامة من خزي الدنيا وعذاب الآخرة(٢)، قال السعدي رحمه الله: "ودل على أن طهارة القلب سبب لكل خير، وهو أكبر داع إلى كل قول رشيد وعمل سديد"(٣).

١٢- ولمكانة خشوع القلب لذكر الله تعالى وما نزل من الحق، فقد عاتب المؤمنين على عدم ذلك، وحذرهم من قسوة القلب:

قال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلُ فَطَالَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَمَدُ فَقَسَتۡ قُلُوبُهُمۡۖ وَكَثِيرٞ مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٧٠).

(٢) وهذا يكون بمفهوم المخالفة، وهو حجة عند جمهور أهل الأصول ما عدا الأحناف.

ينظر: روضة الناظر وجنة المناظر (٢/ ١١٤) لابن قدامة المقدسي، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ.

(٣) تفسير السعدي (٢٣٢).

قال ابن مسعود ﷺ: "ما كان بين إسلامنا وبين أن عاتبنا الله بهذه الآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] إلا أربع سنين"(١).

وقال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "أي: ألم يجئ الوقت الذي تلين به قلوبهم وتخشع لذكر الله الذي هو القرآن، وتنقاد لأوامره وزواجره، وما نزل من الحق الذي جاء به محمد ﷺ؟! وهذا فيه الحث على الاجتهاد على خشوع القلب لله تعالى، ولما أنزله من الكتاب والحكمة، وأن يتذكر المؤمنون المواعظ الإلهية والأحكام الشرعية كل وقت، ويحاسبوا أنفسهم على ذلك، ﴿وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ﴾ أي: ولا يكونوا كالذين أنزل الله عليهم الكتاب الموجب لخشوع القلب والانقياد التام، ثم لم يدوموا عليه، ولا ثبتوا، بل طال عليهم الزمان واستمرت بهم الغفلة، فاضمحل إيمانهم وزال إيقانهم، ﴿فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾، فالقلوب تحتاج في كل وقت إلى أن تذكر بما أنزله الله، وتناطق بالحكمة، ولا ينبغي الغفلة عن ذلك؛ فإن ذلك سبب لقسوة القلب وجمود العين"(٢).

الفرع الثاني: خطر أعمال القلوب التي يبغضها الله:

يدل على خطورة أعمال القلوب الفاسدة ما يترتب على آثارها من العقوبات الربانية، فقد جعل ﷻ ما يحصل في القلوب من فساد وآفات وخلل سببًا لتلك العقوبات الربانية، وفي ذلك تحذير لأهل الإيمان؛ لأجل أن يتفقدوا قلوبهم، ويحرصوا على سلامتها من هذه الآفات، ودونك شيئًا من ذلك:

١- ختم الله على قلوب الكافرين وطبع عليها بسبب كفرهم؛ عقوبةً لهم:

---

(١) مسلم (٤/ ٢٣١٩).

(٢) تفسير السعدي (٨٤٠).

قال تعالى عن الكافرين: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ [البقرة: ٧].

وذكر الله في أكثر من آية أنه طبع على القلوب بسبب الذنوب عقوبةً لأصحابها، ومن ذلك:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٥٥].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وفي هذه الآيات ذكر الله أنه طبع على القلوب بسبب نقض الميثاق مع الله، والكفر، وقتل الأنبياء، والكبر والتجبر، وما ذلك إلا عقوبة لهم على ذنوبهم، وهذا يدل على خطورة هذه الأمراض والآفات على القلوب.

٢- ومما يدل على خطورة أمراض القلوب: أن الله ﷻ جعلها عقوبات لمن أعرض عنه، وتنكب طريق الحق، وهذه أمثلة على ذلك:

- فقد عاقب الله المنافقين على مرض قلوبهم أن زادهم الله مرضًا، فاستولى مرض النفاق على قلوبهم، فقال تعالى: ﴿فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠].
- وعاقب الله الذين ينقضون الميثاق بعدة عقوبات، ومن ضمنها جَعَلَ قلوبهم قاسية، فقال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

قال السعدي رحمه الله: "﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أي: غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيده الهدى، والخير إلا شرًّا"(١).

- وعاقب الله من أعرض عن القرآن بأن لا يفهمه، ولا يصل إلى قلبه، ولا ينتفع بهداه:

قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٥﴾ وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأَوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [الأنعام: ٢٥، ٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٤، ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٥٧].

- وعاقب الله الكافرين بسبب زيغهم أن أزاغ قلوبهم:

---

(١) تفسير السعدي (٢٢٥).

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

- وعاقب الله من أخلف وعده معه وكذب بمرض النفاق في قلبه:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنۡ ءَاتَىٰنَا مِن فَضۡلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٧٥ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضۡلِهِۦ بَخِلُواْ بِهِۦ وَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٧٦ فَأَعۡقَبَهُمۡ نِفَاقٗا فِي قُلُوبِهِمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ يَلۡقَوۡنَهُۥ بِمَآ أَخۡلَفُواْ ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُواْ يَكۡذِبُونَ﴾ [التوبة: ٧٥-٧٧].

- وعاقب الله من أراد الدنيا بعمله الصالح أن يحبط عمله، ويرده عليه، ولا يقبله في الآخرة، وجعل له النار.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمۡنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنۡ عَمَلٖ فَجَعَلۡنَٰهُ هَبَآءٗ مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

٣- ومما يدل على عظم خطورة الانحراف في عمل القلب على الأمة ما حدث ويحدث من فتن عظيمة بسبب زيغ القلوب التي تتَّبع المتشابه وتترك المحكم، فقال تعالى عنهم: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

وقد حذَّر ﷺ منهم أمته، فعن عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧]، قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ»[(١)].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ أي: ضلال وخروج عن الحق إلى الباطل، ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ﴾ أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها، لاحتمال لفظه لما يصرفونه، فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دامغ لهم وحجة عليهم، ولهذا قال: ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ أي: الإضلال لأتباعهم، إيهامًا لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهذا حجة عليهم لا لهم"[(٢)].

وقال السعدي رحمه الله في تفسيره لآية آل عمران: "وأن هذا الكتاب يحتوي على المحكم الواضح المعاني البين، الذي لا يشتبه بغيره، ومنه آيات متشابهات، تحتمل بعض المعاني، ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها، حتى تضم إلى المحكم، فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف -لسوء قصدهم- يتبعون المتشابه منه،

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران:٧](٦/ ٣٣) ح (٤٥٤٧)، ومسلم في كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن، والتحذير من متبعيه، والنهي عن الاختلاف في القرآن (٤/ ٢٠٥٣) ح (٢٦٦٥).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٨).

فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة وآرائهم الزائفة، طلبًا للفتنة، وتحريفًا لكتابه، وتأويلًا له على مشاربهم ومذاهبهم ليَضِلوا ويُضِلوا.

وأما أهل العلم الراسخون فيه، الذين وصل العلم واليقين إلى أفئدتهم، فأثمر لهم العمل والمعارف، فيعلمون أن القرآن كله من عند الله، وأن كله حق، محكمه ومتشابهه، وأن الحق لا يتناقض ولا يختلف.

فلعلمهم أن المحكمات معناها في غاية الصراحة والبيان، يردون إليها المشتبه الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم وناقص المعرفة، فيردون المتشابه إلى المحكم، فيعود كله محكمًا، ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ للأمور النافعة والعلوم الصائبة، ﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: أهل العقول الرزينة. ففي هذا دليل على أن هذا من علامة أولي الألباب، وأن اتباع المتشابه من أوصاف أهل الآراء السقيمة والعقول الواهية والقصود السيئة"[(١)].

٤- ومما يدل على خطر آفات القلوب أن مما صد القوم عن التوحيد وجعل قلوبهم تستنكره عدم إيمانهم بالآخرة، ووجود آفة الكبر في قلوبهم:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢].

قال ابن جرير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى ذكره: معبودكم الذي يستحق عليكم العبادة وإفراد الطاعة له دون سائر الأشياء معبود واحد؛ لأنه لا تصلح العبادة إلا له، فأفردوا له الطاعة، وأخلصوا له العبادة، ولا تجعلوا معه شريكًا سواه، ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ [النحل: ٢٢]، يقول تعالى

---

(١) تفسير السعدي (٩٦٢).

ذكره: فالذين لا يصدقون بوعد الله ووعيده ولا يقرون بالمعاد إليه بعد الممات ﴿قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ﴾ [النحل: ٢٢]، يقول تعالى ذكره: مستنكرة لما نقص عليهم من قدرة الله وعظمته وجميل نعمه عليهم، وأن العبادة لا تصلح إلا له، والألوهة ليست لشيء غيره، يقول: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ عن إفراد الله بالألوهة، والإقرار له بالوحدانية، اتباعًا منهم لما مضى عليه من الشرك بالله أسلافهم"[١].

٥- ومن خطر أمراض القلوب: أن الشيطان يتسلط بالفتنة على أصحابها، قَالَ تَعَالَى: ﴿لِّيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ [الحج: ٥٣].

المطلب الثاني: نصوص السنة النبوية في بيان مكانة أعمال القلوب:

إن مما يدل على المكانة العظيمة لأعمال القلوب كثرة ورودها في السنة بالحديث عن القلب وما يتعلق به من أعمال قلبية يحبها الله أو يبغضها، ونظرًا لكثرة الأحاديث في ذلك فإني أكتفي بذكر طرف منها، مع الإشارة إلى بيان الأهمية، والله الموفق والمعين:

١- **إن من الدلائل العظيمة على مكانة عمل القلب أن صلاح الجوارح أو فسادها مرتبطٌ بصلاح القلب أو فساده:**

يقول ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً؛ إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ».

٢- **ويكفي في الدلالة على أهمية عمل القلوب أنها موطن نظر الرب** ﷻ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ

---

(١) تفسير ابن جرير (١٤/ ١٩٧).

وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ»(١).

٣- **إكثار النبي ﷺ من الدعاء بتثبيت القلوب على الدين يدل على كثرة تقلبها بسبب كثرة أمراضها، وهذا يجعل المؤمن مهتمًّا بالإكثار من هذا الدعاء؛ لخوفه على قلبه من التقلب**، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟! قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»(٢).

٤- **ومما يدل على أهمية عمل القلب أن أحد شرطي(٣) قبول العمل إخلاص العبد لله رب العالمين**: عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ»، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره، ودمه وعرضه وماله (٤/ ١٩٨٧) ح (٢٥٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٩/ ١٦٠) ح (١٢١٠٧)، والترمذي في أبواب القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن (٤/ ٤٤٨) ح (٢١٤٠) وقال الترمذي: "هذا حديث حسن"، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب دعاء رسول الله ﷺ (٢/ ١٢٦٠) ح (٣٨٣٤)، والحاكم في المستدرك عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما في كتاب التفسير، ومن سورة آل عمران (٢/ ٣١٧) ح (٣١٤٠)، وصححه على شرط مسلم، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٧) ح (١٠٢) للخطيب التبريزي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط٣، ١٩٨٥م، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (١٩/ ١٦٠) ح (١٢١٠٧): "إسناده قوي على شرط مسلم".

(٣) لا يقبل العمل إلا بشرطين: الإخلاص، ومتابعة النبي ﷺ.

(٤) أخرجه النسائي في كتاب الجهاد، باب من غزا يلتمس الأجر والذكر (٦/ ٢٥) ح (٣١٤٠)، وجوّد =

٥- **ودل على مكانة عمل القلب أن شروط لا إله إلا الله ارتبطت بأعمال القلوب، وهي لا تنفع قائلها في الآخرة إلا إذا حقق هذه الشروط، وهذه إشارة إلى ذلك:**

أ) شهادة التوحيد مع إخلاص القلب بها سبب لشفاعة النبي ﷺ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ -يَا أَبَا هُرَيْرَةَ- أَنْ لاَ يَسْأَلنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّل مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»، أَوْ: «نَفْسِهِ».

ب) شهادة التوحيد مع يقين القلب بها سبب للبشارة بالجنة: من حديث أبي هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ»[1].

ج) شهادة التوحيد مع علم القلب بمعناها ومقتضاها ولوازمها وصدقه فيها سبب لدخول الجنة: فعَنْ عُثْمَانَ بنِ عفَّانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[2]،

= إسناده ابن حجر في الفتح (٦/ ٢٨) دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ١١٨) ح (٥٢) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى ، وقال في صحيح سنن النسائي، مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، (٢/ ٣٨٣-٣٨٤) ح (٣١٤٠): "حسن صحيح".

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/ ٦٠) ح (٣١)، من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/ ٥٥) ح (٢٦)، من حديث عثمان ﷺ.

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ صَادِقًا مِنْ قَلْبِهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[(١)].

٦- **وكذلك يدل على عظم عمل القلب أن السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، سبب حصولهم على ذلك ما وقر في قلوبهم من أعمال قلبية عظيمة،** فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: الإِمَامُ العَادِلُ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ طَلَبَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ، فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ أَخْفَى حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ»[(٢)].

٧- **وتبرز مكانة عمل القلب وأثره في الحياة أن السعادة مرتبطة بتعلق القلب بالآخرة، فمن جعل همه الآخرة، وسعى لها سعيها وهو مؤمن، رزقه الله السعادة بالقناعة والرضا بما قسم الله له، وفتح له أبواب الرزق والبركة من حيث لا يحتسب، ومن جعل همه الدنيا ضاقت عليه الدنيا، وتشعبت همومه في أوديتها، وسيطر على قلبه الطمع في الدنيا، ونزع الله البركة منه:** فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ

---

(١) أخرجه أحمد (٣٦/ ٣٢٩) ح (٢٢٠٠٣)، من حديث أنس ومعاذ رضي الله عنهما، قال محقق المسند شعيب الأرناؤوط (٣٦/ ٣٢٩) ح(٢٢٠٠٣): "إسناده صحيح على شرط الشيخين"، شعب الإيمان (١/ ٩٧) ح (٧)، مسند أبي يعلى الموصلي (٦/ ١٠) ح (٣٢٢٨) ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ، وقال محققه (٦/ ١٠) ح (٣٢٢٨): "إسناده صحيح".

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الأذان، باب من جلس في المسجد ينتظر الصلاة وفضل المساجد (١/ ١٣٣) ح (٦٦٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل إخفاء الصدقة (٢/ ٧١٥) ح (١٠٣١).

عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ»[(١)].

٨- **ومما يدل على مكانة عمل القلب أن حلاوة الإيمان ولذته وطعمه مرتبطة بتحقيق أعمال القلوب:** عَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ»[(٢)]، ويَقُولُ ﷺ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»[(٣)].

٩- **ومما يشعر بأهمية عمل القلب وأثره العظيم أن الله جعل موطن التقوى في القلوب، وجعل أسبابها في عمله:** فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.. الحديث.

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب.. (٤/ ٦٤٢) ح (٢٤٦٥)، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١١/ ٢٦٦) ح (١١٦٩٠) ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة،ط٢، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي من المجلد ١٣، دار الصميعي الرياض، ط١، ١٤١٥ هـ، وذكره الألباني في السلسة الصحيحة (٢/ ٦٣٣) ح (٩٤٩)، وصححه في صحيح الجامع (٢/ ١١٠٩) ح (٦٥٠٥).

وأخرجه ابن ماجه بلفظ: «مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ فَرَّقَ اللَّهُ عَلَيْهِ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ، وَمَنْ كَانَتِ الْآخِرَةُ نِيَّتَهُ جَمَعَ اللَّهُ لَهُ أَمْرَهُ، وَجَعَلَ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ» من حديث زيد بن ثابت ﷺ في كتاب الزهد، باب الهم بالدنيا (٢/ ١٣٧٥) ح (٤١٠٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٣٤) ح (٩٥٠)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ٢٢٧) ح (٤١٠٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الإكراه، باب من اختار الضرب والقتل والهوان على الكفر (٩/ ٢٠) ح (٦٩٤١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان (١/ ٦٦) ح (٤٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًّا (١/ ٦٢) ح (٣٤)، من حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ.

١٠- **ودل على مكانة عمل القلب مدحُ النبي ﷺ لأهل اليمن وثناؤه عليهم برقة القلوب ولينها**، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، وَالفَخْرُ وَالخُيَلاَءُ فِي أَصْحَابِ الإِبِلِ، وَالسَّكِينَةُ وَالوَقَارُ فِي أَهْلِ الغَنَمِ»[(١)].

١١- **ويدلُّ على أهمية تنقية القلب من أسباب الشقاء أن النبي ﷺ شهد لرجل بالجنة، والسبب سلامة قلبه من الغش والحسد:** فعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁ قَالَ: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، تَنْطِفُ لِحْيَتُهُ مِنْ وضُوئِهِ، قَدْ تَعَلَّقَ نَعْلَيْهِ فِي يَدِهِ الشِّمَالِ، فَلَمَّا كَانَ الْغَدُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ ذَلِكَ، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ مِثْلَ الْمَرَّةِ الْأُولَى. فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الثَّالِثُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ مِثْلَ مَقَالَتِهِ أَيْضًا، فَطَلَعَ ذَلِكَ الرَّجُلُ عَلَى مِثْلِ حَالِهِ الْأُولَى، فَلَمَّا قَامَ النَّبِيُّ ﷺ تَبِعَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ فَقَالَ: إِنِّي لَاحَيْتُ أَبِي فَأَقْسَمْتُ أَنْ لَا أَدْخُلَ عَلَيْهِ ثَلَاثًا، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تُؤْوِيَنِي إِلَيْكَ حَتَّى تَمْضِيَ فَعَلْتَ، قَالَ: نَعَمْ. قَالَ أَنَسٌ: وَكَانَ عَبْدُ اللهِ يُحَدِّثُ أَنَّهُ بَاتَ مَعَهُ تِلْكَ اللَّيَالِي الثَّلَاثَ، فَلَمْ يَرَهُ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ شَيْئًا، غَيْرَ أَنَّهُ إِذَا تَعَارَّ وَتَقَلَّبَ عَلَى فِرَاشِهِ ذَكَرَ اللهَ ﷻ وَكَبَّرَ، حَتَّى يَقُومَ لِصَلَاةِ الْفَجْرِ. قَالَ عَبْدُ اللهِ: غَيْرَ أَنِّي لَمْ أَسْمَعْهُ يَقُولُ إِلَّا خَيْرًا، فَلَمَّا مَضَتِ الثَّلَاثُ لَيَالٍ وَكِدْتُ أَنْ أَحْقِرَ عَمَلَهُ، قُلْتُ: يَا عَبْدَ اللهِ، إِنِّي لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَ أَبِي غَضَبٌ وَلَا هَجْرٌ ثَمَّ، وَلَكِنْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ لَكَ ثَلَاثَ مِرَارٍ: «يَطْلُعُ عَلَيْكُمُ الْآنَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»، فَطَلَعْتَ أَنْتَ الثَّلَاثَ مِرَارٍ، فَأَرَدْتُ أَنْ آوِيَ إِلَيْكَ لِأَنْظُرَ مَا عَمَلُكَ، فَأَقْتَدِيَ بِهِ، فَلَمْ أَرَكَ تَعْمَلُ كَثِيرَ عَمَلٍ، فَمَا الَّذِي بَلَغَ بِكَ مَا قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب قدوم الأشعريين وأهل اليمن (٥/ ١٧٣) ح (٤٣٨٨).

قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ دَعَانِي، فَقَالَ: مَا هُوَ إِلَّا مَا رَأَيْتَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ فِي نَفْسِي لِأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ غِشًّا، وَلَا أَحْسُدُ أَحَدًا عَلَى خَيْرٍ أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ. فَقَالَ عَبْدُ اللهِ: هَذِهِ الَّتِي بَلَغَتْ بِكَ، وَهِيَ الَّتِي لَا نُطِيقُ[(١)].

١٢- **مما يدل على خطورة أعمال القلوب الفاسدة كالرياء والسمعة: أن أهلها أول من تسعر بهم النار، ولا ينفعهم ما قدموه من عمل:**

دَخَلَ شُفَيٌّ الأصبحي المَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِحَقٍّ، وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثْنَا قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ

---

(١) أخرجه أحمد (٢٠/ ١٢٤) ح (١٢٦٩٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب في كتاب الأدب (٣/ ٣٤٨) ح (٤٣٨٤): "رواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم والنسائي، ورواته احتج بهم أيضًا إلا شيخه سويد بن نصر، وهو ثقة"، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء، طبعة دار ابن حزم بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، مطبوع بهامش إحياء علوم الدين (١٠٨٥): "رواه أحمد بإسناد صحيح على شرط الشيخين"، والهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الأدب، باب في سلامة الصدر من الغش والحسد (٨/ ٧٨- ٧٩) ح (١٣٠٤٨)، ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ، وقال: "ورجال أحمد رجال الصحيح"، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، ت: دار المشكاة للبحث العلمي، دار الوطن الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ (٦/ ٧٨) ح (٥٣٨٣): "هذا إسناد صحيح على شرط البخاري ومسلم"، وقال محقق المسند (٢٠/ ١٢٥) ح (١٢٦٩٧): "إسناده صحيح على شرط الشيخين".



فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ»، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ». وَقَالَ الوَلِيدُ أَبُو عُثْمَانَ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ أَنَّ شُفَيًّا هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا. قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: وَحَدَّثَنِي العَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ، أَنَّهُ كَانَ سَيَّافًا لِمُعَاوِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ

إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦][(١)].

وعن أبي هريرة ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ»[(٢)].

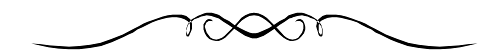
---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء في الرياء والسمعة (٤/ ٥٩١) ح (٢٣٨٢)، وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب"، وابن حبان في صحيحه، باب الإخلاص وأعمال السر، ذكر البيان بأن من راءى في عمله يكون في القيامة من أول من يدخل النار (٢/ ١٣٦) ح (٤٠٨) بترتيب: ابن بلبان، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ، والحاكم في المستدرك في كتاب الزكاة (١/ ٥٧٩) ح (١٥٢٧) وصححه وأقره الذهبي، وابن خزيمة في كتاب الزكاة، باب التغليظ في الصدقة مراءاة وسمعة.. (٢/ ١١٨٨) ح (٢٤٨٢) ت: د. الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٢٤هـ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٤) ح (٢٢)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان (٢/ ١٣٧) ح (٤٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل للرياء والسمعة استحق النار (٣/ ١٥١٣) ح (١٩٠٥).

١٣- **للإيمان أثر عظيم إذا خالطت حلاوته القلوب، فيفرح العبد به ويستبشر، ويكون ذلك من أسباب الثبات على الإيمان:** فعن عَبْدِ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رضي الله عنه قَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ: سَأَلْتُكَ: هَلْ يَزِيدُونَ أَمْ يَنْقُصُونَ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُمْ يَزِيدُونَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حَتَّى يَتِمَّ، وَسَأَلْتُكَ: هَلْ يَرْتَدُّ أَحَدٌ سَخْطَةً لِدِينِهِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ فِيهِ؟ فَزَعَمْتَ أَنْ لاَ، وَكَذَلِكَ الإِيمَانُ حِينَ تُخَالِطُ بَشَاشَتُهُ القُلُوبَ، لاَ يَسْخَطُهُ أَحَدٌ[1].

١٤- **الكبر من الآفات المفسدة للقلوب، والصادة لها عن الحق، ومن كان في قلبه شيء منه، ولو مثقال ذرة لا يدخل الجنة:** فقَالَ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ[2]، وَغَمْطُ النَّاسِ[3]»[4].



(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان وعلم الساعة (١/ ١٩) ح (٥١).

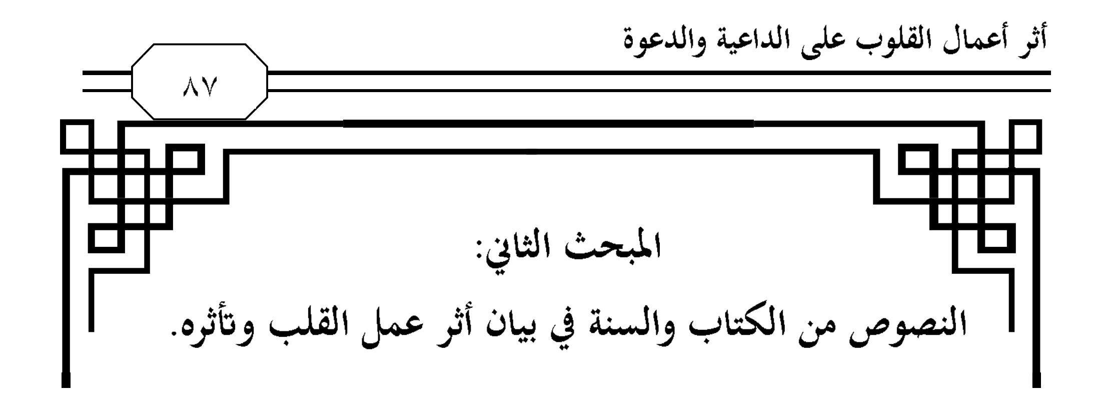
(٢) أي: يتكبر عن الحق ولا يقبله.

ينظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢٢٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١٣٥) مادة (بطر).

(٣) أي: احتقار الناس وازدراؤهم والاستهانة بهم.

ينظر: غريب الحديث لابن سلام (٣/ ٣١٤) ت: د. مُحَمَّد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٨٧) مادة (غمط).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر وبيانه (١/ ٩٣) ح (٩١).



المبحث الثاني:
النصوص من الكتاب والسنة في بيان أثر عمل القلب وتأثره.

المطلب الأول: من نصوص القرآن الكريم في إثبات أثر عمل القلب وتأثره.

المطلب الثاني: من نصوص السنة في في إثبات أثر عمل القلب.

المبحث الثاني:

النصوص من الكتاب والسنة في بيان أثر عمل القلب وتأثره[١].

المطلب الأول: من نصوص القرآن الكريم في إثبات أثر عمل القلب وتأثره:

أولًا: ورد في القرآن الكريم آيات كثيرة في إثبات أثر عمل القلب وتأثره بما يعمل صاحبه، فقد ذكر الله ﷻ أن قلوب المؤمنين يصيبها الوجل، وتطمئن بذكره، وأنها تخشع وتخضع لأمره، وذكر ﷻ كذلك أثر عمل القلب في نزول السكينة على المؤمن في وقت الشدائد، والثبات على الحق، والنصر على الأعداء، وأثر عمل القلب على كلمة التوحيد، والنصوص في ذلك كثيرة، ودونك أمثلة على ذلك:

١- **وجل القلب وخوفه من الله**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٢]. وفيها إثبات أثر ذكر الله على القلب بحصول الوَجَل، ومعناه: الخوف من الله[٢]، ولا شك أن الذكر لا يحدث أثره في حصول وجل القلب من الله تعالى إلا إذا تواطأ القلب مع الحواس.

٢- **طمأنينة القلب**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، دلت الآية على أثر ذكر الله على قلب المؤمن، فهو يأنس ويطيب ويسكن بذكر الله تعالى[٣].

---

(١) ينظر: ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي (٤٣٧-٤٤٠) للدكتور سفر الحوالي، دار الحسن البصري، ط١، ١٤٣٨هـ.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٤٢٥).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (١٦/ ٤٣٢) لمحمد بن جرير الطبري، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، ط١، ١٤٢٢هـ.

ذكر ابن القيم رحمه الله في بيان المقصود بقوله تعالى: ﴿بِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ قولين:

"أحدهما: أنه ذكر العبد ربه، فإنه يطمئن إليه قلبه ويسكن، فإذا اضطرب القلب وقلق فليس له ما يطمئن به سوى ذكر الله...

والقول الثاني: أن ذكر الله هاهنا القرآن، وهو ذكره الذي أنزله على رسوله، به طمأنينة قلوب المؤمنين، فإن القلب لا يطمئن إلا بالإيمان واليقين، ولا سبيل إلى حصول الإيمان واليقين إلا من القرآن، فإن سكون القلب وطمأنينته من يقينه، واضطرابه وقلقه من شكه، والقرآن هو المحصل لليقين، الدافع للشكوك والظنون والأوهام، فلا تطمئن قلوب المؤمنين إلا به. وهذا القول هو المختار"(١).

ولا شك أن أعظم ما يطمئن به القلب القرآن العظيم، ثم يليه ما ورد في السنة من أذكار.

٣- **تثبيت الله للقلوب المؤمنة على الحق عند الشدائد**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ إِذۡ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ لَن نَّدۡعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهٗاۖ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا﴾ [الكهف: ١٤]، وفي الآية بيان لأثر تثبيت الله لقلوب أصحاب الكهف على الحق، حيث ربط الله ﷻ على قلوبهم، بمعنى: ثبتهم وصبرهم، وجعل قلوبهم مطمئنة في تلك الحال المزعجة، وهذا منّة منه ﷻ ولطف بهم ورحمة، حيث ثبتهم وصبرهم على فراق قومهم، ومفارقة ما كانوا فيه من رغد العيش وكثرة النعم(٢)، وهكذا تكون القلوب إذا اتصلت بالله وقربت منه، يذيقها الله في الدنيا

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٨٠) لابن القيم، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ١٤٠)، تفسير السعدي (٤٧١).

جنة معجلة قبل جنة الآخرة، تغنيها عن لذائذ الدنيا ومتعها، وسيأتي الإشارة إلى ذلك في أثناء البحث.

٤- **إخبات القلب**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَلِيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤْمِنُوا۟ بِهِۦ فَتُخْبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج: ٥٤]، أثبت ﷻ للقلوب صفة الإخبات، وهو من أعمال القلوب ومعناه: "تخشع وتخضع، وتسلّم لحكمته، وهذا من هدايته إياهم"[١].

والإخبات له أثره على العبد المؤمن في صلاحه واستقامته، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝٣٤ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمْ وَٱلْمُقِيمِى ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [الحج: ٣٤، ٣٥].

وفي الآيتين دليل على أثر الإخبات -وهو عمل قلبي عظيم- في حصول الأمور الآتية:

- وجل القلب وخوفه من الله عند ذكره.
- الصبر على المصائب.
- إقامة الصلاة.
- الإنفاق في وجوه البر.

وهذا يدل على الأثر العظيم للإخبات في حياة العبد المؤمن.

٥- **نزول السكينة على القلب**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

أي: علم ﷻ ما في قلوبهم من الإيمان والوفاء والصدق والسمع والطاعة، فأنزل

---

(١) تفسير السعدي (٥٤٢).

في قلوبهم الطمأنينة، وأجرى على أيديهم الصلح الذي حصل به الخير العظيم من فتح خيبر ومكة، وما حصل من النصر والعزة والرفعة[(١)].

ثانيًا: وإذا تقرر هذا في حق المؤمنين في بيان أثر أعمال القلوب عليهم، وتأثر قلوبهم بما يعملون، فإن القرآن الكريم قد ذكر في مقابل ذلك حال الكفار وتأثر قلوبهم بما يعملون، وذكر ﷻ كذلك أثر أمراض قلوبهم عليهم؛ من الختم والطبع، وما أصابها من مرض النفاق، والزيغ عن الحق، والقسوة... وقد جاءت آيات كثيرة في بيان ذلك، ودونك أمثلة عليه:

١- من عقوبة الله لأصحاب القلوب المريضة الختم على القلب، وزيغه عن الحق، فقال تعالى عن الكافرين: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ۝٦ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾ [البقرة: ٦، ٧].

قال البغوي[(٢)] رحمه الله في تفسيره لمعنى الختم على القلوب: "فقال: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾: طبع الله ﴿عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ فلا تعي خيرًا ولا تفهمه"[(٣)].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ٣٤٠)، وتفسير السعدي (٧٩٣).

(٢) هو أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد الفراء البغوي، كان بحرًا في العلوم، وأخذ الفقه عن شيخ الشافعية القاضي حسين المروزي صاحب التعليقة، وكان سيدًا إمامًا عالمًا علامة زاهدًا قانعًا باليسير، وبورك له في تصانيفه ورزق فيها القبول التام؛ لحسن قصده، وصدق نيته، وتنافس العلماء في تحصيلها. ومنها: كتاب التهذيب في المذهب، وكتاب شرح السنة في الحديث، ومعالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم وغير ذلك. وله القدم الراسخ في التفسير والباع المديد في الفقه. توفي رحمه الله سنة (٥١٦هـ).
ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٣٦)، وسير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٣٩)، وطبقات الشافعية الكبرى (٧/ ٧٥) للسبكي، ت: د. محمود الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ.

(٣) تفسير البغوي (١/ ٦٤-٦٥).

وهذا الختم على القلوب عقوبة لهم بسبب منهم، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

وقال السعدي[1] رحمه الله في بيان أثر الزيغ الذي حدث منهم على قلوبهم: "﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ﴾ أي: انصرفوا عن الحق بقصدهم، ﴿أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ عقوبة لهم على زيغهم الذي اختاروه لأنفسهم ورضوه لها، ولم يوفقهم الله للهدى؛ لأنهم لا يليق بهم الخير، ولا يصلحون إلا للشر، ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ أي: الذين لم يزل الفسق وصفًا لهم، لا لهم قصد في الهدى. وهذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده، ليس ظلمًا منه، ولا حجة لهم عليه، وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعد ما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه، وتقليب القلوب عقوبة لهم وعدلًا منه بهم، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]"[2].

---

(١) العلامة عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله، أبو عبد الله السعدي، واشتغل بالعلم منذ صغره، ففاق الأقران، وكانت له عناية كبيرة بكتب ابن تيمية ابن القيم، وكتب أخرى في التفسير والحديث والتوحيد والفقه والأصول وغيرها، وكان متواضعًا حسن الخلق، ومن قرأ كتبه عرف فضله وعلمه وعنايته بالدليل فرحمه الله رحمة واسعة. وللشيخ الكثير من المؤلفات، منها: الحق الواضح المبين في توحيد الأنبياء والمرسلين، وتوضيح الكافية الشافية لابن القيم، وكتابه في التفسير المسمى: تيسير الكريم الرحمن، الذي أبدى فيه عقيدته السلفية، وتوفي رحمه الله على إثر مرض أصابه في سنة (١٣٧٦هـ).

ينظر: الأعلام للزركلي (٣/ ٣٤٠)، موسوعة مواقف السلف (٩/ ٣٢٧).

(٢) تفسير السعدي (٨٥٩).

٢- **خطر النفاق على القلب**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠]، ذكر ﷻ أن في قلوبهم مرض النفاق[١]، وزاده الله في قلوبهم عقوبة لهم، وفي ذلك بيان لأثر مرض النفاق على القلوب في فسادها وانحرافها.

٣- **الطبع على القلوب فلا تسمع الحق سماع الانتفاع به لنفورها من الحق وكرهها له**، قال ﷻ عنهم: ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝١٠٠ تِلْكَ ٱلْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآئِهَا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ بِمَا كَذَّبُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٠٠، ١٠١].

وهذا الطبع بمعنى الختم على القلب[٢]، فلا يدخل إليه الحق، ولا يصل إليه الخير، ولا يسمع ما ينفعه إلا سماع ما تقوم به الحجة عليه[٣]، وكل ذلك عقوبة لهم على ما حصل منهم من كره الحق والنفور منه.

٤- **من آثار النفاق على القلوب تقييدها عن الخير بما يحدث لها من التردد والتذبذب والشك والحيرة والكسل عن الطاعات وكرهها**، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴾ [التوبة: ٤٥]. والريب هو الشك، وهو من أثر أمراض النفاق على القلوب، فيتولد منه أثره على

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١/ ٢٨٩)، تفسير ابن كثير (١/ ١٧٩).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٠/ ٣٣٤)، تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥١).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (٢٩٨).

القلب بالتردد والتذبذب والكسل عن الطاعة وكرهها، فقال تعالى في بيان أثر النفاق على القلب: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢، ١٤٣].

وقال تعالى عن المنافقين: ﴿وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴾ [التوبة: ٥٤].

وقال تعالى في بيان أثر مرض النفاق على القلب وأن الله سبحانه وتعالى لا يمكِّن صاحبه من العمل، بل يقعده عنه عقوبةً له على ما في قلبه من مرض: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

وإذا وجد العبد أنه يثبَّط عن الطاعات، ويحال بينه وبينها، فليفتِّش عن مرض في قلبه.

٥- **من آثار الشرك وعدم الإيمان بالآخرة على القلب إنكاره للتوحيد**(١)**، ووقوعه في آفة الكبر التي صدته عن عبادة الله وحده لا شريك له،** قال تعالى في بيان أثر ذلك على القلب: ﴿إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكِرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ﴾ [النحل: ٢٢].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٥٦٥)، تفسير السعدي (٤٣٧).

٦- **حجب أثر القرآن الكريم عن القلب، فلا ينتفع بمواعظه، بل يحال بينه وبين تأثير القرآن عليه بسبب كفره ورده للحق،** كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝٤٥ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ [الإسراء: ٤٥، ٤٦].

قال السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى عن عقوبته للمكذبين بالحق الذين ردوه وأعرضوا عنه أنه يحول بينهم وبين الإيمان، فقال: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ الذي فيه الوعظ والتذكير والهدى والإيمان والخير والعلم الكثير، ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾ يسترهم عن فهمه حقيقة، وعن التحقق بحقائقه والانقياد إلى ما يدعو إليه من الخير، ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً﴾ أي: أغطية وأغشية لا يفقهون معها القرآن، بل يسمعونه سماعًا تقوم به عليهم الحجة، ﴿وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا﴾ أي: صممًا عن سماعه، ﴿وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ داعيًا لتوحيده ناهيًا عن الشرك به، ﴿وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا﴾ من شدة بغضهم له ومحبتهم لما هم عليه من الباطل، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]"(١).

(١) تفسير السعدي (٤٥٩).

٧- **قال الله تعالى في أثر الغفلة على القلب:** ﴿مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الأنبياء: ٢، ٣].

وصف الله ﷻ قلوبهم بأنها غافلة معرضة، فقد اشتغلت الأبدان باللعب والقلوب باللهو بمطالب الدنيا، واشتغلوا بتناول الشهوات المحرمة، والعمل بالباطل، والأقوال الردية[١].

٨- **مرض قلب العبد بالشبهات والشهوات بسببه يضرب القلب بالقسوة، ويتسلط عليه الشيطان، ويتمكن من فتنة العبد، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾ [الحج: ٥٣].

٩- **عمى القلوب الذي يجعلها غافلة عن الآخرة، ولا تنتفع بمواعظ القرآن، ولا بغيره من باب أولى، قَالَ تَعَالَىٰ:** ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]، وقال الله تعالى: ﴿بَلۡ قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ مِّنۡ هَٰذَا وَلَهُمۡ أَعۡمَٰلٞ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمۡ لَهَا عَٰمِلُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٣].

قال الطبري رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "ولكن ﴿قُلُوبُهُمۡ فِي غَمۡرَةٖ﴾: عمى عن هذا القرآن. وعني بالغمرة: ما غمر قلوبهم فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج"[٢].

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (٥١٨).

(٢) تفسير الطبري (١٧/ ٧٤).

١٠- حمية الجاهلية وأثرها على القلب في صده عن الحق، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦].

والحمية هي الأنفة والعصبية التي حالت بينهم وبين الحق.

وذلك حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام ﷺ عن البيت حتى لا تقول عنهم العرب: إنهم قتلوا أبناءهم ودخلوا مكة قاهرين لهم.

ومن حمية الجاهلية لم يقروا بكتابة بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، وأنكروا أن محمدًا رسول الله ﷺ، تلك هي حمية الجاهلية التي انطوت عليها قلوبهم(١).

١١- أثر الذنوب على القلب في تغطيته وحجبه عن رؤية الحق، كما في قول الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

أثبت الله تعالى أن الذنوب تغطي على القلوب، فتحجبها عن رؤية الحق فلا تقبله.

كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ(٢) فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ(٣) قَلْبُهُ، وَإِنْ

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٧/ ٣٢١)، تفسير القرطبي (١٦/ ٢٨٩)، تفسير السعدي (٧٩٤).

(٢) أي نُقِطَ نقطة في قلبه.

ينظر: الصحاح (١/ ٢٦٩)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ١١٤) لابن الأثير، ت: طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ. مادة (نكت).

(٣) وفي أكثر روايات الحديث: "صُقِلَ" بالصاد، والسقل والصقل بمعنى واحد، أي: جلاه ونظفه وصفاه وذهب عنه أثر الذنب.

ينظر: الصحاح (٥/ ١٧٤٤) مادة (صقل)، مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٦٢٢) لعلي القاري، دار الفكر، بيروت ط١، ١٤٢٢هـ، تحفة الأحوذي (٩/ ١٧٨) للمباركفوري، دار الكتب العلمية بيروت.

عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»[1].

فإذا غطت الذنوب القلب عمي عن رؤية الحق وانطمست بصيرته، كما قال تعالى: ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَٰكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

١٢- يعاقب الله المتكبر الجبار بالطبع على قلبه عقوبة له، كما قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

١٣- بشر الله ﷻ عباده الصالحين بأنه يعاقب الكافرين بإلقاء الرعب في قلوبهم، فيصيبهم الخوف من المؤمنين الصادقين والهزيمة، وذلك من أثر الشرك والكفر على قلوبهم[2]، فقال تعالى: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾ [آل عمران: ١٥١].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة في بيان أثر عمل القلب وتأثره.

---

(١) أخرجه أحمد (١٣/ ٣٣٣) ح (٧٩٥٢)، والترمذي واللفظ له، في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين:١][(٥/ ٤٣٤) ح (٣٣٣٤) وقال الترمذي: "حديث حسن صحيح"، وابن ماجه في سننه في كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب (٢/ ١٤١٨) ح (٤٢٤٤)، وابن حبان في صحيحه في باب الأدعية، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من تعقيب الاستغفار كل عثرة (٣/ ٢١٠) ح (٩٣٠)، الحاكم في مستدركه، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ، في كتاب التفسير، تفسير سورة المطففين (٢/ ٥٦٢) ح (٣٩٠٨) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧١) ح (١٦٢٠)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند (١٣/ ٣٣٤) ح (٧٩٥٢): "إسناده قوي".

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٢).

المطلب الثاني: من نصوص السنة في إثبات أثر عمل القلب:

وقد ورد في السنة ما يبين تأثر عمل القلب بما يعمل صاحبه، وإثبات أثره عليه، ومن ذلك:

١- **أثر عمل القلب على صلاح الجسد أو فساده**، ويدل عليه ما رواه النعمان بن بشير ﷺ قال: قال ﷺ: «أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ».

وفي الحديث إشارة -كما يقول ابن رجب[1] رحمه الله-: "إلى أن صلاح حركات العبد بجوارحه، واجتنابه المحرمات واتقاءه للشبهات بحسب صلاح حركة قلبه، فإذا كان قلبه سليمًا، ليس فيه إلا محبة الله ومحبة ما يحبه الله، وخشية الله وخشية الوقوع فيما يكرهه، صلحت حركات الجوارح كلها، ونشأ عن ذلك اجتناب المحرمات كلها، وتوقٍ للشبهات حذرًا من الوقوع في المحرمات.

وإن كان القلب فاسدًا، قد استولى عليه اتباع هواه، وطلب ما يحبه، ولو كرهه الله، فسدت حركات الجوارح كلها، وانبعثت إلى كل المعاصي والمشتبهات بحسب اتباع هوى القلب"[2].

---

(١) الإمام العلامة الزاهد القدوة الحافظ العمدة الثقة الحجة، واعظ المسلمين مفيد المحدثين، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب البغدادي ثم الدمشقي الحنبلي، صنف التصانيف المفيدة منها: شرح البخاري بلغ فيه إلى كتاب الجنائز، وله شرح على الترمذي، وذيل على كتاب طبقات الحنابلة، وغير ذلك، ومات عليه رحمة الله سنة (٧٩٥هـ).

ينظر: الرد الوافر (١٠٦) لابن ناصر الدين، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ، الدرر الكامنة (٣/ ١٠٨)، البدر الطالع (١/ ٣٢٨).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢١٠) لابن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ.

ويقول شيخ الإسلام رحمه الله: "وإذا قام بالقلب التصديق به والمحبة له[١] لزم ضرورة أن يتحرك البدن بموجب ذلك من الأقوال الظاهرة والأعمال الظاهرة، فما يظهر على البدن من الأقوال والأعمال هو موجب ما في القلب ولازمه ودليله ومعلوله"[٢].

٢- **ارتباط التقوى بعمل القلب**، يقول ﷺ: «التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ...

وذكر النووي[٣] في شرحه للحديث أن التقوى إنما تحصل بما في القلب من الأعمال، فيقول رحمه الله: "إن الأعمال الظاهرة لا يحصل بها التقوى، وإنما تحصل بما يقع في القلب من عظمة الله تعالى وخشيته ومراقبته"[٤].

٣- **ومما يدل على خطر أثر عمل القلب عليه أنه يتقلب كثيرًا بسبب الفتن؛ ولذا لا بد من سؤال الله تعالى ثبات القلب على الدين، وأن يكثر من هذا الدعاء في ليله ونهاره، كما كان يفعل ﷺ**، فعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه

---

(١) الضمير يعود إلى الله تعالى.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٤١).

(٣) الإمام الحافظ محيي الدين يحيى بن شرف، أبو زكريا النووي، ذو التصانيف النافعة. ولد بقرية نوى من أعمال دمشق بالشام، حفظ القرآن وقد ناهز الاحتلام، ومن مؤلفاته رحمه الله: شرح صحيح مسلم، ورياض الصالحين، والمجموع شرح المهذب، والأذكار، وروضة الطالبين وغيرها، وقد كتب الله لمؤلفاته القبول، ونفع بها نفعًا عظيمًا. وأول النووي رحمه الله بعض الصفات لا سيما الفعلية منها، وفوض معناها، ونسب هذا القول إلى جمهور السلف، وخاصة في شرحه على صحيح مسلم؛ لذلك قال الذهبي: إن مذهبه في الصفات السمعية السكوت، وإمرارها كما جاءت، وربما تأول قليلًا في شرح مسلم. وقال السخاوي: وصرح اليافعي والتاج السبكي رحمهما الله أنه أشعري. وتوفي رحمه الله سنة (٦٧٦هـ).
ينظر: تاريخ الإسلام (١٥/ ٣٢٤) للذهبي، ت: د. بشير عواد، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م، الأعلام (٨/ ١٤٩)، موسوعة مواقف السلف (٧/ ٤٠٣). والصحيح أن الإمام النووي ليس من الأشاعرة لأنه لا يوافقهم في كل أصولهم.

(٤) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٢١).

قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟! قَالَ: «نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».

والحديث يدل على خوف النبي ﷺ على أصحابه من تقلب القلوب، فكيف بمن عداهم؟!

٤- **أثر الفتن على القلب**، فعن حذيفة رضي الله عنه، يَقُولُ ﷺ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا[1] كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ»[2].

وفي هذا الحديث دليل على خطر الفتن على القلوب، وأنه ينبغي على الداعية أن يحذر على قلبه من فتن الشبهات والشهوات، ويحرص على سلامة قلبه من آثار الفتن بالحذر منها، والبعد عن مواطنها، ومحاسبة نفسه ومجاهدتها، والحرص على ملازمة الإيمان والتقوى، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ

(١) مربادًّا من الرُبدَةِ: لَوْنٌ يميل إلى الغُبْرَة، وهو لون يخالط سواده كدرة غير حسنة.
ينظر: الصحاح (٢/ ٤٧٢)، مقاييس اللغة (٢/ ٤٧٥) مادة (ربد).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريبًا وسيعود غريبًا، وأنه يأرز بين المسجدين (١/ ١٢٨) ح (١٤٤).

كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

قال ابن القيم رحمه الله في شرحه لحديث حذيفة السابق: "فشبَّه عرض الفتن على القلوب شيئًا فشيئًا كعرض عيدانِ الحصير -وهي طاقاتها[١]- شيئًا فشيئًا، وقسَّم القلوب عند عرضها عليها إلى قسمين:

قلب إذا عُرضت عليه فتنة أُشْرِبها، كما يشرب السِّفِنْج الماء، فتُنكَت فيه نكتة سوداء، فلا يزال يُشرب كل فتنة تعرض عليه، حتى يسودّ وينتكس، وهو معنى قوله: «كالكوز[٢] مُجَخِّيًا» أي: مكبوبًا منكوسًا، فإذا اسودَّ وانتكس عرض له من هاتين الآفتين مرضان خطران متراميان[٣] إلى الهلاك:

أحدهما: اشتباه المعروف عليه بالمنكر، فلا يعرف معروفًا، ولا ينكر منكرًا، وربما استحكم فيه هذا المرض، حتى يعتقد المعروف منكرًا والمنكر معروفًا، والسنة بدعة والبدعة سنة، والحق باطلًا والباطل حقًّا.

الثاني: تحكيمه هواه على ما جاء به الرسول ﷺ، وانقياده للهوى واتباعه له.

وقلب أبيض، قد أشرق فيه نور الإيمان، وأزهر فيه مصباحه، فإذا عرضت عليه الفتنة أنكرها وكرهَها، فازداد نوره وإشراقه وقوَّته.

والفتن التي تُعرَض على القلوب هي أسباب مرضها، وهي فتن الشهوات وفتن

---

(١) جمع طاقة ويقصد بها هنا الحزمة من أعواد الحصير، كما في المعجم الاشتقاقي المؤصل للدكتور محمد حسن جبل، مكتبة الآداب القاهرة، ط١، ٢٠١٠م (٣/ ١٣٤٠). والطاقة: حُزْمة من رَيحان أو زَهر أو شَعر أو عِيدان أو حِبال.

(٢) وهو إناء يشرب فيه مثل الكُوب، ولكن له عروة يمسك بها.

ينظر في معنى الكوز: تهذيب اللغة (١٠/ ١٧٥)، المخصص (٣/ ١٩٩) لابن سيده، ت: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، لسان العرب (٥/ ٤٠٣) مادة (كوز).

(٣) بمعنى: يصيران ويفضيان به إلى الهلاك. ينظر: لسان العرب (١٤/ ٣٣٦) مادة (رمى).

الشبهات، وفتن الغي والضلال، وفتن المعاصي والبدع، وفتن الظلم والجهل؛ فالأولى توجب فساد القصد والإرادة، والثانية توجب فساد العلم والاعتقاد"(١).

٥- أثر عمل القلب على كلمة التوحيد، وذلك أنها لا تنفع قائلها حتى يحقق شروطها من الإخلاص والصدق واليقين والعلم، كما نصت على ذلك الأحاديث الآتية:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ -يَا أَبَا هُرَيْرَةَ- أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّل مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ»، أَوْ: «نَفْسِهِ»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ».

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ».

وقَالَ ﷺ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ صِدْقًا مِنْ قَلْبِهِ إِلَّا حَرَّمَهُ اللَّهُ عَلَى النَّارِ»(٣).

وهذه الأحاديث تدل على أثر أعمال القلب على قول: لا إله إلا الله، وأنها لا تنفع قائلها إلا إذا حقق عمل القلب بالإخلاص في قولها، واليقين الذي ينافي الشك، والعلم الذي ينافي الجهل بمعناها وشروطها وأركانها، وبلوازمها ومقتضياتها، والصدق الذي ينافي الكذب في قولها.

٦- وعن ثوبان ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا

---

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١٥-١٦) لابن القيم، ت: محمد الفقي، مكتبة المعارف الرياض.

(٢) أخرجه البخاري كتاب العلم، باب الحرص على الحديث (١/ ٣١) ح (٩٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من خص بالعلم قوما دون قوم؛ كراهية أن لا يفهموا (١/ ٣٧) ح (١٢٨).

تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا[١]»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟! قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ[٢]، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»[٣].

وفي هذا الحديث دلالة على أثر عمل القلب على الأمة في مجموعها، إذا غلب عليها تعلق القلوب بحب الدنيا وكراهية الموت في سبيل الله، فعند ذلك يقل قدرها وهيبتها في أعين عدوها، وصار العدو يدعو بعضه بعضًا لحرب الأمة، مثلما يُدْعَى الناس إلى الطعام، لا مشقة في ذلك ولا كلفة بل فيه اللذة.

وذلك مع كثرة الأمة إلا أنها لا رصيد لها في الواقع، وذكر النبي ﷺ سبب ذلك في الحديث: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ» حثًّا للأمة على علاج الخلل، والله المستعان.

٧- **في بيان أثر مرض الكبر على القلب**، فعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: قَالَ النَّبِيِّ ﷺ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: «إِنَّ اللهَ

---

(١) الأَكَلَة: جمع آكِل والمراد من يأكل الطعام. ينظر: المفردات في غريب القرآن (٨١) لسان العرب (١١/ ١٩) مادة (أكل).

والقصعة: إناء الطعام الضخم الذي يشبع عشرة. ينظر: لسان العرب (٨/ ٢٧٤) مادة (قصع).

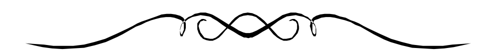
(٢) غثاء السيل: ما يحمله السيل من رغوة وورق الشجر ووسخ ومن فتات الأشياء التي يجدها في مجراه.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٣٤٣)، لسان العرب (١٥/ ١١٦)، المعجم الوسيط (٢/ ٦٤٥) مادة (غثا).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/ ٨٢) ح (٢٢٣٩٧)، وأبو داود واللفظ له في كتاب الملاحم، باب في تداعي الأمم على الإسلام (٤/ ١١١) ح (٤٢٩٧)، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد بلفظ مقارب في كتاب الفتن، باب تداعي الأمم (٧/ ٢٨٧) ح (١٢٢٤٤) وقال: "رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه، وإسناد أحمد جيد"، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٦٤٨) ح (٩٥٨)، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٣٧/ ٨٢) ح (٢٢٣٩٧).

جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ».

وفي الحديث دليل على أثر آفة الكبر على من تلبس بها، وهو من أخطر أمراض القلوب، ومن أعظم ما يصد القلوب عن الهدى.



الفصل الثاني:
أعمال القلوب بين السلف والمخالفين لهم

المبحث الأول: مجمل معتقد أهل السنة والجماعة في أعمال القلوب.

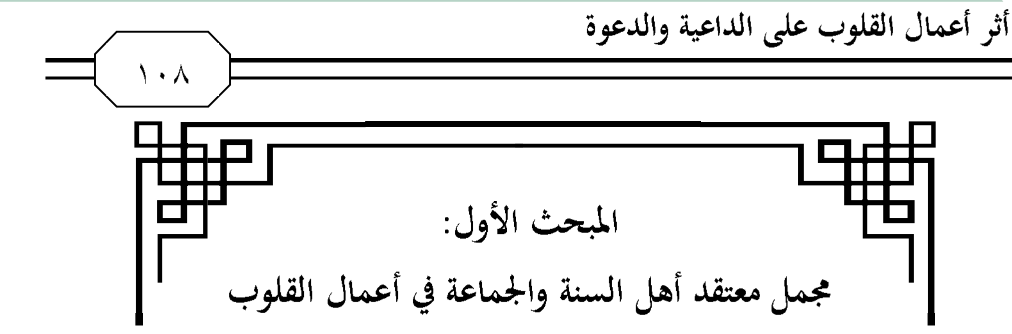
المبحث الثاني: مجمل قول المخالفين لأهل السنة والجماعة في أعمال القلوب.

المبحث الثالث: مجمل الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في أعمال القلوب.

توطئة:

إن مما منّ الله به على أهل السنة والجماعة وضوحَ المنهج وثباتَه وصفاءَ المعتقد؛ لاعتصامهم بالكتاب والسنة بفهم السلف الصالح، ويظهر ذلك في مسألة أعمال القلوب وارتباطها بالإيمان، فهم يعتقدون أن أعمال القلوب داخلة في مسمى الإيمان، وأنها الأصل، وأعمال الجوارح تبع لها ولا تصح بدونها.

وعلى هذا فسيكون الحديث في هذا الفصل -إن شاء الله تعالى- عن مجمل معتقد أهل السنة والجماعة في أعمال القلوب، وكذلك مجمل معتقد المخالفين لهم في مسألة دخول أعمال القلوب في مسمى الإيمان، ومن ثَمَّ الرد على هذه الفرق المخالفة برد إجمالي، وبالله التوفيق.



المبحث الأول:
مجمل معتقد أهل السنة والجماعة في أعمال القلوب

فيما يلي خلاصةُ عقيدة أهل السنة والجماعة في أعمال القلوب وعلاقتها بالإيمان، وذلك وفق المسائل التالية:

المسألة الأولى: الأدلة على أن الإيمان قول وعمل:

أهل السنة والجماعة يرون أن الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن أعمال القلوب داخلة في مسمى الإيمان، وهي قول القلب وعمله.

وجاءت نصوص الكتاب والسنة دالة على أن الإيمان قول وعمل، ومن ذلك:

الدليل الأول: قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥].

وفي هذه الآية الكريمة جعل الله ﷻ الدين في عمل القلب وعمل الجوارح، فشملت القول والعمل، روى الإمام اللالكائي[١] عن الإمام البخاري[٢] -رحمهما

(١) هبة الله بن الحسن بن منصور الرازي أبو القاسم الحافظ المجود، المفتي الشافعي اللالكائي. عني بالحديث فصنف فيه أشياء كثيرة، ولكن عاجلته المنية قبل أن تشتهر كتبه، وله كتاب في السنة وشرفها، وذكر طريقة السلف الصالح في ذلك، وله شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، وهو من أكبر مصادر عقيدة السلف، وغير ذلك، وتوفي رحمه الله سنة (٤١٨هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٦/ ١٠٨) للخطيب البغدادي، ت: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤١٩)، البداية والنهاية (١٥/ ٦١٨)، موسوعة مواقف السلف (٦/ ٦٠).

(٢) شيخ الإسلام وإمام الحفاظ أبو عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردزبه الجعفي مولاهم البخاري صاحب الصحيح والتصانيف، وكان رأسًا في الذكاء، رأسًا في العلم، ورأسًا في الورع والعبادة، =

الله- أنه لقي أكثر من ألف رجل كلهم يقول: الدين قول وعمل، ويستدل بهذه الآية[١].

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله في تفسير لهذه الآية الكريمة: "وقد استدل كثير من الأئمة -كالزهري[٢] والشافعي[٣]- بهذه الآية الكريمة على أن الأعمال داخلة في الإيمان"[٤].

وقد رحل في طلب العلم إلى سائر محدثي الأمصار، وقال ابن خزيمة: "ما تحت أديم السماء أعلم بالحديث من البخاري"، وألف كتابه الصحيح، والتاريخ، وله كتب تعتبر من الأجزاء، منها: الأدب المفرد، وخلق أفعال العباد وغير ذلك، وتوفي رحمه الله سنة (٢٥٦هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٢)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١٠٤) للذهبي دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، البداية والنهاية (١٤/ ٥٢٦).

(١) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٥) للالكائي، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ، وصحح إسناده الحافظ ابن حجر في الفتح (١/ ٤٧).

(٢) محمد بن مسلم بن عبيد الله الزهري أبو بكر القرشي المدني. سكن الشام، وكان بأيلة، ويقولون تارة: الزهري، وتارة: ابن شهاب، ينسبونه إلى جد جده، وهو أحد الفقهاء والمحدثين، وأعلام التابعين بالمدينة، رأى عشرة من الصحابة رضوان الله عليهم، وكان قد حفظ علم الفقهاء السبعة، وكتب عمر بن عبد العزيز رحمه الله إلى الآفاق: عليكم بابن شهاب، فإنكم لا تجدون أحدًا أعلم بالسنة الماضية منه. مات رحمه الله سنة (١٢٤هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٧٧)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٢٦)، الأعلام (٧/ ٩٧).

(٣) الإمام عالم العصر ناصر الحديث فقيه الملة أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المطلبي، وقال أحمد بن حنبل: ما أحد مس بيده محبرة ولا قلمًا إلا وللشافعي في رقبته منة. وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل: قلت لأبي: أي رجل كان الشافعي؟ فإني سمعتك تكثر من الدعاء له، فقال: يا بني، كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للبدن، هل لهذين من خلف؟! أو عنهما من عوض؟! كانت وفاته بمصر سنة (٢٠٤هـ) عليه رحمة الله.

ينظر: تاريخ بغداد (٢/ ٥٦)، وفيات الأعيان (٤/ ١٦٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥)، البداية والنهاية (١٠/ ٢٥١).

(٤) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٥٧).

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

استدل الإمام الآجُرِيُّ[١] رحمه الله بهذه الآية على فرضية الإيمان باللسان[٢].

ولكن هذا القول باللسان يستلزم أن يكون القلب متواطئًا مع اللسان ليترتب عليه الثواب والجزاء؛ لأن نطق اللسان بدون اعتقاد القلب نفاقٌ وكفر، وقول اللسان الخالي من عمل القلب عديم الفائدة قليل النفع، وإن العبد يؤجر عليه إذا كان خيرًا ومعه أصل الإيمان، ولكن الفرق كبير بين قول مجرد وقول حضر معه القلب[٣]، والله أعلم.

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ [المائدة: ٤١].

استدل الإمام ابن بطة[٤] رحمه الله بهذه الآية على عمل القلب فقال: "وقال:

---

(١) الإمام، المحدث، القدوة، شيخ الحرم الشريف، أبو بكر مُحَمَّد بن الحسين بن عبد الله البغدادي الآجُرِّي، له الكثير من المؤلفات، منها: كتاب الشريعة في السنة، وهو من أعظم المصادر السلفية التي غاظت المبتدعة، وكتاب الرؤية، وكتاب أخلاق العلماء، وغير ذلك، وتوفي رحمه الله سنة (٣٦٠هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٣/ ٣٥)، البداية والنهاية (١٥/ ٣٣٠)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ١٣٣)، موسوعة مواقف السلف (٥/ ٢٠٨).

(٢) ينظر: الشريعة للآجري (٢/ ٦١٢) ت: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن الرياض السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ.

(٣) ينظر: تفسير السعدي (٦٧).

(٤) الإمام، القدوة، العابد، الفقيه، المحدث، شيخ العراق، أبو عبد الله عبيد الله بن مُحَمَّد بن مُحَمَّد بن حمدان العكبري الحنبلي، ابن بطة، مصنف كتاب الإبانة الكبرى، ويعتبر من أكبر مصادر العقيدة السلفية، وله فيه تعليقات بأسلوب رصين متين، وتوفي رحمه الله سنة (٣٨٧هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٢/ ١٠٠)، سير أعلام النبلاء (١٦/ ٥٢٩)، موسوعة مواقف السلف (٥/ ٣٧٣).

﴿قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡ﴾ فذلك ما فرضه على القلب من الإقرار والمعرفة والتصديق، وهو رأس الإيمان وهو عمله، وفرض على اللسان القول والتعبير عن القلب، وما عقد عليه وأقر به"(١).

الدليل الرابع: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [البقرة: ٨٢]، وذكر الله ذلك في مواضع كثيرة من كتابه.

وذكر الإمام الآجري كلامًا متينًا معلّقًا على هذه الآيات الكثيرة التي جمعت بين الإيمان والعمل، فقال رحمه الله: "اعلموا -رحمنا الله وإياكم يا أهل القرآن، ويا أهل العلم، ويا أهل السنن والآثار، ويا معشر من فقههم الله تعالى في الدين بعلم الحلال والحرام- أنكم إن تدبرتم القرآن كما أمركم الله تعالى؛ علمتم أن الله تعالى أوجب على المؤمنين بعد إيمانهم به وبرسوله العمل، وأنه تعالى لم يثن على المؤمنين بأنه قد رضي عنهم، وأنهم قد رضوا عنه، وأثابهم على ذلك الدخول إلى الجنة والنجاة من النار، إلا الإيمان والعمل الصالح، وقرن مع الإيمان العمل الصالح، لم يدخلهم الجنة بالإيمان وحده حتى ضم إليه العمل الصالح الذي قد وفقهم له، فصار الإيمان لا يتم لأحد حتى يكون مصدقًا بقلبه، وناطقًا بلسانه، وعاملًا بجوارحه.

لا يخفى على من تدبر القرآن وتصفحه، وجده كما ذكرت، واعلموا -رحمنا الله تعالى وإياكم- أني قد تصفَّحت القرآن، فوجدت فيه ما ذكرته في ستة وخمسين موضعًا من كتاب الله ﷻ(٢)، أن الله تبارك وتعالى لم يدخل المؤمنين الجنة بالإيمان وحده، بل أدخلهم الجنة برحمته إياهم، وبما وفَّقهم له من الإيمان به والعمل الصالح"(٣).

---

(١) الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٧٦٦) ت: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.

(٢) وقد سردها رحمه الله في كتابه الشريعة (٢/ ٦٢١-٦٣١).

(٣) الشريعة للآجري (٢/ ٦١٨).

الدليل الخامس: قَالَ أَبو هُرَيْرَةَ ﷺ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَالَهُ، إِلَّا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ»[١].

قال الآجري رحمه الله في تعليقه على هذا الحديث: "فهذا الإيمان باللسان نطقا فرضًا واجبًا، وأما الإيمان بما فرض على الجوارح تصديقًا بما آمن به القلب ونطق به اللسان فقوله تعالى: ﴿

الفقه والحديث على أن الإيمان قول وعمل"[١].

وورد عنهم أيضًا قولهم: الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية.

ونقل اللالكائي هذا القول عن الكثير من السلف، ومنهم: "أبو مُحَمَّد عبد الرحمن بن أبي حاتم[٢] قال: سألت أبي[٣] وأبا زرعة[٤] عن مذاهب أهل السنة في أصول

=

صاحب سنة واتباع، وكان في أصول الديانة على مذهب السلف، لم يدخل في علم الكلام، بل قفا آثار مشايخه رحمهم الله. له من المؤلفات الكثير منها: التمهيد، والاستذكار، والاستيعاب، وغيرها، وتوفي رحمه الله في سنة (٤٦٣هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٧/ ٦٦)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٥٣)، موسوعة مواقف السلف (٦/ ٢٦٧).

(١) التمهيد (٩/ ٢٣٨) لابن عبد البر، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، مُحَمَّد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، ١٣٨٧هـ.

(٢) عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس الحنظلي ابن أبي حاتم الحافظ الكبير ابن الحافظ الكبير، وكان من العبادة والزهادة والورع والحفظ والكرامات الكثيرة المشهورة على جانب كبير، له من المؤلفات: الجرح والتعديل، وهو من أجل الكتب المصنفة في هذا الشأن، وله التفسير الحافل الذي اشتمل على النقل الكامل، الذي يربي فيه على تفسير ابن جرير وغيره من المفسرين، وله كتاب الرد على الجهمية، وغير ذلك من المصنفات النافعة، وتوفي رحمه الله سنة (٣٢٧هـ).

ينظر: البداية والنهاية (١٥/ ١١٣)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٦٣)، موسوعة مواقف السلف (٥/ ١٢١).

(٣) الإمام، الحافظ، الناقد، شيخ المحدثين، أبو حاتم الرازي مُحَمَّد بن إدريس بن المنذر الحنظلي الغطفاني، كان أحد الأئمة الحفاظ الأثبات، مشهورًا بالعلم، مذكورًا بالفضل، بحر من بحور العلم، طوف البلاد، وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنف، وجرح وعدل، وصحح وعلل، وتوفي رحمه الله سنة (٢٧٧هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٢/ ٤١٤)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٢٤٧)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣١) لابن حجر، مطبعة دائرة المعارف النظامية الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.

(٤) الإمام، سيد الحفاظ، عبيد الله بن عبد الكريم بن يزيد بن فروخ: محدث الري، وكان إمامًا ربانيًّا، متقنًا، حافظًا، مكثرًا صادقًا، وكان من أكثر الناس تواضعًا، وقال عنه ابن حبان: وكان أحد أئمة الدنيا في الحديث مع الدين والورع والمواظبة على الحفظ والمذاكرة وترك الدنيا وما فيه الناس، وتوفي رحمه الله سنة (٢٦٤هـ).

=

الدين، وما أدركا عليه العلماء في جميع الأمصار، وما يعتقدان من ذلك، فقالا: "أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازًا وعراقًا وشامًا ويمنًا، فكان من مذهبهم: الإيمان قول وعمل، يزيد وينقص"[(١)].

ومنهم من يقول: الإيمان قول وعمل ونية.

قال الشافعي رحمه الله: "وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ممن أدركناهم أن الإيمان قول وعمل ونية، لا يجزئ واحد من الثلاثة إلا بالآخر"[(٢)].

ومنهم من يقول: اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية[(٣)].

وهذه العبارات معناها عند السلف واحد، فهي تدل على حقيقة الإيمان وماهيّته الظاهرة والباطنة .

وذكر شيخ الإسلام رحمه الله تنوع أقوال السلف في تفسير الإيمان، وقال: إنها كلها صحيحة[(٥)].

ثم ذكر خلاصة مهمَّة في سبب ذلك التنوع، وبين أن المقصود منها الرد على

ينظر: الثقات لابن حبان (٨/ ٤٠٧) طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور مُحَمَّد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٩٣هـ، تاريخ بغداد (١٢/ ٣٣)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٦٥).

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٩٨).

(٢) نقله اللالكائي عن كتاب الأم في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٩٥٦)، ونقله كذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ٢٠٩)، ولم أجده في كتاب الأم المطبوع.

(٣) ينظر: الشريعة للآجري (٢/ ٦١١)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٧٦٠).

(٥) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١٧٠).

المرجئة، فيقول رحمه الله: "والمقصود هنا أن من قال من السلف: الإيمان قول وعمل أراد قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح، ومن أراد الاعتقاد رأى أن لفظ القول لا يفهم منه إلا القول الظاهر، أو خاف ذلك فزاد الاعتقاد بالقلب، ومن قال: قول وعمل ونية قال: القول يتناول الاعتقاد وقول اللسان، وأما العمل فقد لا يفهم منه النية، فزاد ذلك، ومن زاد اتباع السنة؛ فلأن ذلك كله لا يكون محبوبًا لله إلا باتباع السنة. وأولئك لم يريدوا كل قول وعمل، إنما أرادوا ما كان مشروعًا من الأقوال والأعمال، ولكن كان مقصودهم الرد على المرجئة الذين جعلوه قولًا فقط، فقالوا: بل هو قول وعمل. والذين جعلوه أربعة أقسام، فسروا مرادهم كما سئل سهل بن عبد الله التستري(١) عن الإيمان: ما هو؟ فقال: قول وعمل ونية وسنة؛ لأن الإيمان إذا كان قولًا بلا عمل فهو كفر، وإذا كان قولًا وعملًا بلا نية فهو نفاق، وإذا كان قولًا وعملًا ونية بلا سنة فهو بدعة(٢)"(٣).

المسألة الثالثة: مسمَّى الإيمان عند السلف يشمل أربعة أمور(٤):

قول القلب وعمل القلب وقول اللسان وعمل الجوارح، وعلى هذا بنى السلف

---

(١) سهل بن عبد الله بن يونس أبو مُحَمَّد التستري الصوفي الزاهد، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة وافق فيها ما عليه السلف، وقد ثنى عليه العلماء، قال الذهبي: شيخ العارفين، وكان من مشايخ الصوفية الذين يحرصون على الحديث والسنة، لا كمشايخ عصرنا الجَهَلة البَطَلة الأَكَلَة الكسلة كما ذكر عنه الذهبي، توفي رحمه الله سنة (٢٨٣هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٩)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٣٣٠)، تاريخ الإسلام (٢١/ ١٨٧).

(٢) نقله عنه في الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨١٤).

(٣) مجموع الفتاوى (٧/ ١٧١).

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٢)، عدة الصابرين (١٠٩) لابن القيم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٠٩هـ، لوامع الأنوار البهية (١/ ٤٠٦) للسفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ، التوضيح والبيان لشجرة الإيمان (١١) للسعدي، مكتبة أضواء السلف الرياض، ط١، ١٤١٩هـ، معارج القبول بشرح سلم الوصول (٢/ ٥٨٨) لحافظ الحكمي، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم الدمام، ط١، ١٤١٠هـ.

معتقدهم في أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وهو عندهم يشمل ما يلي:

الأول: قول القلب، قال عنه شيخ الإسلام: "فأما قول القلب فهو التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ويدخل فيه الإيمان بكل ما جاء به الرسول ﷺ"[(١)].

الثاني: عمل القلب، يشمل: "حب الله ورسوله وتعظيم الله ورسوله وتعزير الرسول وتوقيره، وخشية الله والإنابة إليه والإخلاص له والتوكل عليه، إلى غير ذلك من الأحوال، فهذه الأعمال القلبية كلها من الإيمان، وهي مما يوجبها التصديق والاعتقاد إيجاب العلة للمعلول"[(٢)].

الثالث: قول اللسان ويندرج فيه عمله، يشمل: "النطق بالشهادتين: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله والإقرار بلوازمها"[(٣)]. والعمل الذي يكون به من تلاوة، وذكر، ودعاء، واستغفار، وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر، ودعوة إلى الله ونحو ذلك.

الرابع: عمل الجوارح، يشمل: الصلاة، والزكاة، والصوم، والحج، والجهاد في سبيل الله ونحو ذلك.

المسألة الرابعة: الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه:

ومن الأمور التي تدل على تأثير عمل القلب مسألة زيادة الإيمان ونقصانه، فكلما قوي عمل القلب زاد الإيمان، وإذا ضعف عمل القلب نقص الإيمان، ولا ينفي هذا أثر أعمال الجوارح في زيادة الإيمان ونقصانه؛ لارتباط الظاهر بالباطن.

ولقد توافرت الأدلة على إثبات زيادة الإيمان ونقصانه، ومنها:

---

(١) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٢).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٢).

(٣) معارج القبول (٢/ ٥٨٩).

الدليل الأول: قوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

وفي الآية إثبات صريح أن المؤمنين إذا تُلِيت عليهم آيات الكتاب العزيز زاد إيمانهم، وذلك بسبب -كما قال السعدي رحمه الله-: "أنهم يلقون له السمع، ويحضرون قلوبهم لتدبره، فعند ذلك يزيد إيمانهم؛ لأن التدبر من أعمال القلوب، ولأنه لا بد أن يبيّن لهم معنى كانوا يجهلونه، أو يتذكَّرون ما كانوا نَسوه، أو يُحدِث في قلوبهم رغبةً في الخير، واشتياقًا إلى كرامة ربهم، أو وجلًا من العقوبات، وازدجارًا عن المعاصي، وكل هذا مما يزداد به الإيمان"(١).

الدليل الثاني: قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣].

قيل للإمام سفيان بن عيينة(٢) رحمه الله: الإيمان يزيد وينقص؟ قال: "أليس تقرءون القرآن: ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا﴾ في غير موضع؟!، قيل: ينقص؟ قال: "ليس شيء يزيد إلا وهو ينقص"(٣).

الدليل الثالث: قوله تعالى: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ هُدًى﴾ [مريم: ٧٦].

قال العلامة السعدي رحمه الله: "وفي هذا دليل على زيادة الإيمان ونقصه، كما

(١) تفسير السعدي (٣١٥).

(٢) الإمام الكبير، حافظ العصر، شيخ الإسلام سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي، طلب الحديث وهو حدث، بل غلام، ولقي الكبار، وحمل عنهم علمًا جمًّا، وأتقن، وجود، وجمع، وصنف، وعمر دهرًا، وازدحم الخلق عليه، وانتهى إليه علو الإسناد، ورحل إليه من البلاد. قال الخطيب البغدادي عنه: فأما سفيان فكان له في العلم قدر كبير، ومحل خطير، أدرك نيفًا وثمانين نفسًا من التابعين، وتوفي رحمه الله سنة (١٩٨هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٢٤٤)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٥٤)، الأعلام (٣/ ١٠٥).

(٣) الشريعة للآجري (٢/ ٦٠٥)، الإبانة الكبرى لابن بطة (٢/ ٨٥٠).

قاله السلف الصالح"[١].

الدليل الرابع: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخدري ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ»[٢].

دل الحديث على أن الإيمان يزيد وينقص من جهة كونه فيه تفاضل بين ما هو أقوى وأضعف، فالدرجة الأولى من إنكار المنكر تدل على زيادة الإيمان، وتليها الثانية، والدرجة الثالثة تدل على ضعف الإيمان ونقصه، والله أعلم.

الدليل الخامس: حديث الشفاعة الطويل، وفيه قوله ﷺ: "فَيَأْتُونِي، فَأَقُولُ: أَنَا لَهَا، فَأَسْتَأْذِنُ عَلَى رَبِّي، فَيُؤْذَنُ لِي، وَيُلْهِمُنِي مَحَامِدَ أَحْمَدُهُ بِهَا لاَ تَحْضُرُنِي الآنَ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المحَامِدِ، وَأَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ، فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مِنْهَا مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ -أَوْ: خَرْدَلَةٍ- مِنْ إِيمَانٍ فَأَخْرِجْهُ، فَأَنْطَلِقُ، فَأَفْعَلُ، ثُمَّ أَعُودُ فَأَحْمَدُهُ بِتِلْكَ المحَامِدِ، ثُمَّ أَخِرُّ لَهُ سَاجِدًا، فَيَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ، ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: انْطَلِقْ فَأَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ أَدْنَى أَدْنَى أَدْنَى مِثْقَالِ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَأَخْرِجْهُ مِنَ النَّارِ، فَأَنْطَلِقُ فَأَفْعَلُ"[٣].

---

(١) تفسير السعدي (٤٩٩).

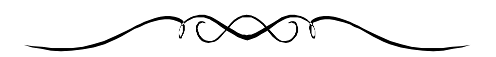
(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوحيد، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، وأن الإيمان يزيد وينقص، (١/ ٦٩) ح (٤٩).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب كلام الرب ﷻ يوم القيامة مع الأنبياء وغيرهم (٩/ ١٤٧) ح (٧٥١٠)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٨٢) ح (١٩٣).

وقال الإمام النووي رحمه الله في شرحه على مسلم: "وقوله ﷺ: «أدنى أدنى أدنى» هكذا هو في الأصول مكرر ثلاث مرات، وفي هذا الحديث دلالة لمذهب السلف وأهل السنة ومن وافقهم من المتكلمين في أن الإيمان يزيد وينقص، ونظائره في الكتاب والسنة كثيرة"(١).

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله: "ومذهب أهل السنة والجماعة: أن الإيمان يزيد وينقص"(٢).

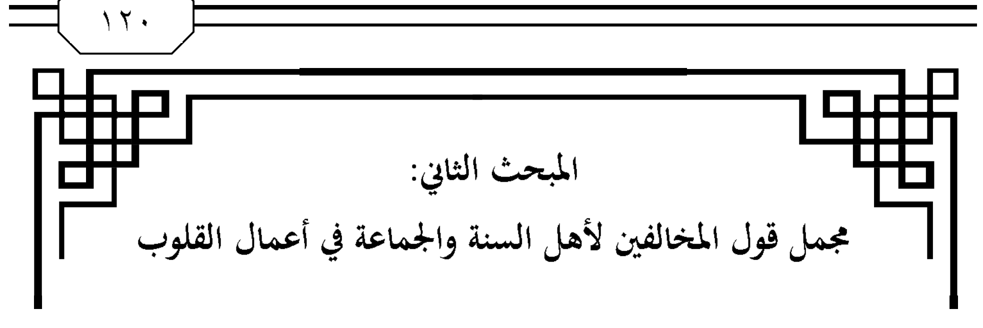
وقد أجمع أئمة السلف على أن الإيمان يزيد وينقص(٣).



(١) شرح مسلم للنووي (٣/ ٦٣).

(٢) إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان (٢/ ١٨٢).

(٣) وممن ذكر الإجماع ابن بطة في الإبانة الكبرى (٢/ ٨٣٢)، وابن عبد البر في التمهيد (٩/ ٢٣٨)، والبغوي في شرح السنة (١/ ٣٨-٣٩) لأبي محمد الفراء البغوي، ت: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي دمشق بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ، وابن تيمية في مجموع الفتاوى (٧/ ٦٧٢)، وابن كثير في تفسيره (١/ ١٦٥).



المبحث الثاني:
مجمل قول المخالفين لأهل السنة والجماعة في أعمال القلوب

الذين خالفوا أهل السنة والجماعة في مسألة مسمى الإيمان وإدخال أعمال القلوب فيه أو عدم إدخالها ينقسمون إلى عدة أقسام، من أبرزها:

أولًا: الخوارج[١] والمعتزلة[٢]:

يرون أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، ولكنهم يخالفون أهل السنة بكونهم يرون أن الإيمان شيء واحد لا يتبعض ولا يتجزأ، وعلى هذا فإذا ذهب بعضه ذهب كله، فهو لا يزيد ولا ينقص[٣].

(١) الخوارج من أول الفرق ظهورًا في تاريخ الإسلام، وهم الذين خرجوا على علي ﷺ بعد قضية التحكيم، ويقولون بتكفير مرتكب الكبيرة، وفي الآخرة هو مخلد في النار، ومن سماتهم البارزة الخروج على أئمة المسلمين وجماعتهم.

ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٢) لأبي الحسن الأشعري، ت: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١، ١٤٢٦هـ، الملل والنحل (١/ ١١٤) للشهرستاني، مؤسسة الحلبي، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٩٠) لابن حزم، مكتبة الخانجي القاهرة، الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام (٢٨) لناصر العقل، دار إشبيليا الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.

(٢) المعتزلة أتباع واصل بن عطاء الغزَّال، سمي هو وأصحابه بالمعتزلة؛ لأنه اعتزل مجلس الحسن البصري عندما سئل عن حكم صاحب الكبيرة، فقال واصل بأنه ليس بمؤمن ولا كافر، وسلكت المعتزلة منهجًا عقليًّا في تقرير العقيدة، وهم فرق كثيرة، لكل فرقة آراء تميزت بها، لكن اتفقوا على أصول خمسة هي: التوحيد، والعدل والوعد، والوعيد، والمنزلة بين المنزلتين، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولهم تفسيراتهم المنحرفة لهذه الأصول.

ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٣٠)، والفرق بين الفرق (٩٣) لأبي منصور البغدادي، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط٢، ١٩٧٧م، والملل والنحل (١/ ٤٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٦٤)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٦٤) للندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف د. مانع الجهني، من مطبوعات دار الندوة العالمية، ط٤، ١٤٢٠هـ.

(٣) ينظر: شرح الاصول الخمسة (٧٠٧-٧٠٨) للقاضي عبد الجبار، ت: الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة

=

ثانيًا: المرجئة[(١)]: ويندرج تحتها العديد من الفرق، منها:

١- **الجهمية**[(٢)]: وهم غلاة المرجئة، والإيمان عندهم هو معرفة القلب، وأخرجوا منه تصديق القلب وعمله، وقول اللسان وعمل الجوارح، ولا يزيد ولا ينقص[(٣)].

٢- **الأشاعرة**[(٤)]، **والماتريدية**[(٥)]: يرون أن الإيمان هو التصديق القلبي، وأن

القاهرة، ط٣، ١٤١٦هـ، مجموع الفتاوى (٧/٢٢٣، ٥١١)، الخراسانية في شرح عقيدة الرازيين (١٢٩).

(١) المرجئة: يطلق هذا الاسم على فرق متعددة، كلها ترى عدم دخول الأعمال في مسمى الإيمان.
واختلفوا في سبب التسمية فقيل: الإرجاء بمعنى التأخير، أي: تأخير حكم صاحب الكبيرة إلى يوم القيامة، وقيل: من الرجاء؛ لأنهم يغلّبون جانب الرجاء فيقولون: لا تضر مع الإيمان معصية كما أنه لا تنفع مع الكفر طاعة، وقيل غير ذلك.
ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤وما بعدها)، الفصل في الملل والأهواء والنحل (٢/ ٨٨)، الملل والنحل (١/ ١٣٩)، ظاهرة الإرجاء (٣١٨).

(٢) الجهمية: هم المعطلة نفاة الصفات، سموا بالجهمية نسبة إلى جهم بن صفوان، وقد صار لقبًا على معطلة الصفات عمومًا، باعتبار أن الجهمية هي أول من قالت بنفي الصفات.
ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤)، الفرق بين الفرق (١٩٩)، الملل والنحل (١/ ٨٦-٨٧)، وينظر أيضًا إلى حاشية محقق كتاب الاعتقاد لابن أبي يعلى (٤٦) ت: مُحَمَّد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٣) ينظر: الملل والنحل (١/ ٨٨)، مقالات الإسلاميين (١/ ١١٤)، مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٨).

(٤) الأشاعرة فرقة كلامية، نسبة إلى أبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة، اتخذت الأشاعرة البراهين والدلائل العقلية والكلامية وسيلة في محاجة خصومها من المعتزلة والفلاسفة وغيرهم، لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية، فأوقعها ذلك في الانحراف عن عقيدة السلف، وهي تعد من فرق المرجئة في مسائل الإيمان.
ينظر: الملل والنحل (١/ ٩٤)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٨٣)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ١٢١٧) د. عبد الرحمن المحمود، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤٥١هـ.

(٥) الماتريدية: فرقة كلامية، تُنسب إلى أبي منصور الماتريدي، قامت على استخدام البراهين والدلائل العقلية والكلامية في محاجة خصومها من المعتزلة والجهمية وغيرهم؛ لإثبات حقائق الدين والعقيدة الإسلامية، ولأجل ذلك وقعوا كالأشاعرة في الانحراف عن عقيدة السلف، وهم تعد كسابقتها من فرق المرجئة في =

أعمال الجوارح غير داخلة فيه، ولا يزيد ولا ينقص[(١)].

قال شيخ الإسلام عن قول الأشاعرة في الإيمان: "وليس الإيمان إلا مجرد التصديق الذي في القلب والمعرفة، وهذا أشهر قولي أبي الحسن الأشعري وعليه أصحابه كالقاضي أبي بكر وأبي المعالي وأمثالهما، ولهذا عدَّهم أهل المقالات من المرجئة، والقول الآخر عنه كقول السلف وأهل الحديث: إن الإيمان قول وعمل، وهو اختيار طائفة من أصحابه"[(٢)][(٣)].

وقد استقر المذهب الأشعري على رأي الجهمية في هذه المسألة[(٤)]، وعليه جمهور الماتريدية[(٥)] أيضًا.

٣- **الكرامية**[(٦)]: يرون أن الإيمان هو القول باللسان فقط، وأخرجوا منه

= مسائل الإيمان.

ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥١٠)، الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٩٥).

(١) ينظر: التمهيد للباقلاني (٣٨٩) ت: عماد أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٧هـ، الإرشاد (٣٩٧، ٣٩٩) للجويني، ت: د. محمد يوسف موسى، مكتبة الخانجي مصر، ١٣٦٩هـ، المواقف (٣/ ٥٣٧-٥٤٣) للإيجي، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٧٧م.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٥٠٩).

(٣) منهم أبو العباس القلانسي وأبو علي الثقفي، وأبو عبد الله بن مجاهد، ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ١١٩).

(٤) ينظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ١٢١٧)، أعمال القلوب د. سهل العتيبي (٢/ ٧٨٧).

(٥) ينظر: شرح العقائد النسفية (١٥٣-١٥٩) للتفتازاني، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى بغداد، والماتريدية دراسة وتقويمًا (٤٥٣ وما بعدها، ٤٦٣ وما بعدها) لأحمد بن عوض الله الحربي، دار العاصمة، ط١، ١٤١٣هـ.

(٦) الكرامية: أصحاب محمد بن كرام السجستاني، قال صاحب الملل والنحل: "وهم طوائف بلغ عددهم إلى اثنتي عشرة فرقة.. ولكل واحدة منهم رأي إلا أنه لم يصدر ذلك عن علماء معتبرين" الملل والنحل (١/ ١٠٨، ١١٣)، ووصفهم بقلة العلم وكثرة الجهل.

وقولهم في الإيمان شاذ، قال عنهم شيخ الإسلام في رده على قولهم: إن المنافق مؤمن في الدنيا: "إلا عند طائفة من المرجئة وهم الكرامية الذين قالوا: إن الإيمان هو مجرد التصديق في الظاهر، فإذا فعل ذلك كان =

اعتقاد القلب وعمله وعمل الجوارح، وأنه لا يزيد ولا ينقص[(١)].

٤- **مرجئة الفقهاء**[(٢)]: وهم أخف فرق الأرجاء، ويرون أن الإيمان اعتقاد بالقلب وقول باللسان والأعمال ليست داخلة فيه، بل هي من لوازمه أو ثمراته، ولا يزيد ولا ينقص[(٣)].

ثالثًا: الصوفية[(٤)]: وهي تيار خليط من عدة فرق، لكن يبرز لديهم الاهتمام

مؤمنًا وإن كان مكذبًا في الباطن، وسلموا أنه معذب مخلد في الآخرة، فنازعوا في اسمه لا في حكمه، ومن الناس من يحكي عنهم أنهم جعلوهم من أهل الجنة، وهو غلط عليهم، ومع هذا فتسميتهم له مؤمنًا بدعة ابتدعوها مخالفة للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة، وهذه البدعة الشنعاء هي التي انفرد بها الكرامية دون سائر مقالاتهم" مجموع الفتاوى (٧/ ٤٧٥-٤٧٦). وينظر كذلك: مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٠-١٢١).

(١) ينظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٢٠-١٢١)، الملل والنحل (١/ ١١٣).

(٢) ينسب إرجاء الفقهاء إلى حماد بن أبي سليمان الكوفي، وهو من تلاميذ الإمام إبراهيم النخعي، وقد أنكر قول تلميذه وتبرأ منه، لكن حماد بن أبي سليمان خالف سلف الأمة؛ واتبعه من اتبعه، ودخل في هذا طوائف من أهل الكوفة ومن بعدهم، وأنكر حماد ومن اتبعه تفاضل الإيمان ودخول الأعمال فيه والاستثناء فيه. وقد دخل في هذا الإرجاء جماعة هم عند الأمة أهل علم ودين، ولم يكفِّرهم أحد من السلف، بل جعلوا هذا من بدع الأقوال والأفعال؛ لا من بدع العقائد، فإن كثيرًا من النزاع فيها لفظي؛ لكن اللفظ المطابق للكتاب والسنة هو الصواب، فليس لأحد أن يقول بخلاف قول الله ورسوله، لا سيما وقد صار ذلك ذريعة إلى بدع أهل الكلام من أهل الإرجاء وغيرهم، وإلى ظهور الفسق، فصار ذلك الخطأ اليسير في اللفظ سببًا لخطأ عظيم في العقائد والأعمال، فلهذا عظم القول في ذم الإرجاء حتى قال إبراهيم النخعي رحمه الله: "لَفتنتهم -يعني المرجئة- أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة"، وقال الزهري رحمه الله: "ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على أهله من هذه" يعني الإرجاء.

والذي حصل هو أن مذهب مرجئة الفقهاء مهَّد لرأي جهم، ثم جاء المرجئة المتكلمون كالأشعري والماتريدي، فجعلوه عقيدة أكثر طوائف الأمة.

ينظر: الإبانة الكبرى (٢/٨٨٥)، مجموع الفتاوى (٧/ ٣٩٤-٣٩٥، ٥٠٧)، ظاهرة الإرجاء (٣١٢).

(٣) ينظر: متن الطحاوية بتعليق الألباني (٦٢)، المكتب الإسلامي بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ، مجموع الفتاوى (٧/ ١٩٤).

(٤) هي: "حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي في القرن الثالث الهجري كنزعاتٍ فردية تدعو إلى الزهد

الكبير بأعمال القلوب، وتسميتها أحوالًا ومقامات وتفصيل دقائقها، ولكنهم ضلوا عن المنهج القويم في فهم هذه الأعمال بسبب بعدهم عن الكتاب والسنة وفهم السلف، وبسبب كذلك تأثرهم بصوفية الهند واليونان وقعوا في خلل عظيم في أعمال القلوب.

وهذه شواهد على هذه الانحرافات من كتاب ظاهرة الأرجاء: "فمن ذلك ضلالهم في الرضا -الجامع للانقياد والقبول- فقد خرجوا فيه عما كان عليه السلف إلى معنى فلسفي وثنيٍّ، هو الرضا المطلق بكل ما في الوجود لأنه من إرادة الله وقدره، حتى اعتقدوا وجوب الرضا بالكفر والفسوق والعصيان، ووقعوا في الجبر المحض تحت ستار ما أسموه شهادة الحقيقة الكونية والاستبصار بسر الله في القدر(١).

وضلوا في الرجاء والمحبة: حيث افتعلوا بينهما تناقضًا، فاحتقروا الرجاء واعتبروه أضعف مقامات المريدين، وغلوا في المحبة حتى أسقطوا ما يقابلها من الخوف، وجعلوا همهم -بزعمهم- عبادة الله لذاته، لا طمعًا في جنته ولا خوفًا من ناره، وجعلوا ذروة

وشدة العبادة، كرد فعل مضاد للانغماس في الترف الحضاري. ثم تطورت تلك النزعات بعد ذلك حتى صارت طرقًا مميزة معروفة باسم الصوفية، ويتوخّى المتصوفة تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله تعالى بالكشف والمشاهدة، لا عن طريق اتباع الوسائل الشرعية، ولذا جنحوا في المسار حتى تداخلت طريقتهم مع الفلسفات الوثنية: الهندية والفارسية واليونانية المختلفة. ويلاحظ أن هناك فروقًا جوهرية بين مفهومي الزهد والتصوف أهمها: أن الزهد مأمور به، والتصوف جنوح عن طريق الحق الذي اختطَّه أهل السنة والجماعة".

ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٢٤٩).

(١) أي: النظر في القدر دون الشرع: وذلك بالنظر إلى الحقيقة الكونية دون الحقيقة الشرعية (أمر الله ونهيه)، والوقوع في الجبرية المحضة، وهذا مخالفٌ للحس والعقل، فإن الإنسان بحسه يعرف ما يضره وما ينفعه، وهذا داخل في الحقيقة الشرعية الدينية، وكذلك مخالف عقلًا، فإنه إذا عومل أحدهم بموجب مذهبه بأن يُضرب أو يُجاع، فإن لام من فعل به ذلك فقد نقض قوله، وقيل له: هذا فعلٌ مقضيٌّ مقدور، فإن كان القدر حجةً له أيضًا، وإلا فليس بحجةٍ لك ولا له.

ينظر: شرح الرسالة التدمرية، للدكتور مُحَمَّد الخميس (٤٧٨-٤٧٩) دار أطلس الخضراء، طبعة ١٤٢٥هـ.

المحبة الفناء[١] في المحبوب؛ ولهذا قال فيهم السلف: من عبد الله بالحب وحده فهو زنديق[٢]. وأفضى بهم هذا إلى احتقار الجنة والنار، واحتقار مقام الأنبياء، بل اعتقاد الحلول[٣] والوحدة[٤] عياذًا بالله.

ومن الناحية العملية وضعوا قاعدة: (المحبة نار في القلب تحرق ما سوى المحبوب)، واتخذوها ذريعة للتنصل من التعبدات التي تشغلهم عن المحبوب -بزعمهم- كالاشتغال بجهاد أعدائه وتعلم دينه وتعليمه ونشر دعوته بين العالمين.

وضلوا في التوكل فجعلوه سلبية مطلقة، وتواكلًا رخيصًا، وتسولًا للمعطين، وتعمدًا لإلحاق الضرر بالنفس، وتركًا للأسباب المشروعة، بل تركًا لأعظم التعبدات كالدعاء مثلًا، فأسقطوا به وبالمحبة من أعمال القلوب الشيء الكثير، فضلًا على أنهم

---

(١) والفناء عند الصوفية هو فناء عن وجود ما سوى الله، وبهذا يصير المخلوق هو عين الخالق، وهو قول أهل وحدة الوجود، وأن كل موجود هو الله.
ينظر: مجموع الفتاوى (٢/ ٣٤٣)، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية (٦٤) للدكتور أحمد القصير، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٢) نسبه في إحياء علوم الدين (٤/ ١٦٦) إلى مكحول الدمشقي، ونقله ابن تيمية في عدة مواضع من كتبه عن بعض السلف، ولم يصرح باسم قائله، ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٨١، ٢٠٧، ١١/ ٣٩٠، ١٥/ ٢١).
والزنديق: مرادف للمنافق في عصر النبوة، وهو من يبطن الكفر ويظهر الإسلام.
ينظر: المغني (٦/ ٣٧٠) لابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ط: عام ١٣٨٨هـ، الصارم المسلول على شاتم الرسول (٣٦١) لابن تيمية، ت: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، طبعة الحرس الوطني السعودية.

(٣) وهو أن يحل الخالق في المخلوق، ويمتزج به امتزاجًا كاملًا بحيث تتلاشى الذات الإنسانية في الذات الإلهية، وهو كقول النصارى، وغلاة الروافض، وغلاة التصوف كأتباع الحلاج، ويدخل في ذلك ما يسمى بوحدة الوجود، وأن ما في الوجود هو الله.
ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٥٩، ١٥/ ٤٢٣)، نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام (٣٥) لسارة بنت عبد المحسن آل سعود، دار المنارة جدة، ط١، ١٤١١هـ، عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية (٤٥).

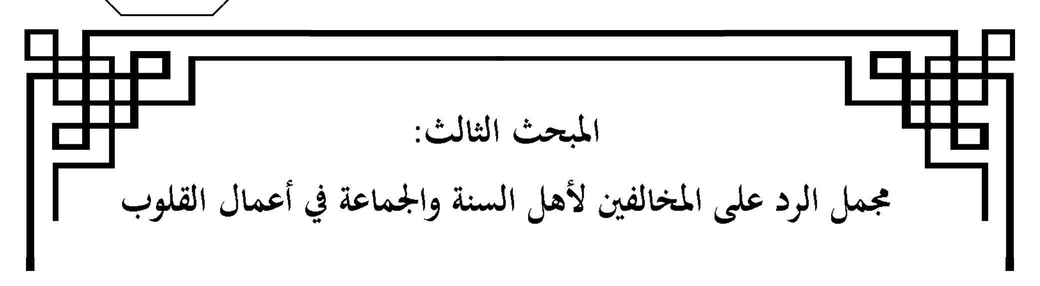
(٤) يقصد بها وحدة الوجود عند ذكر معنى الفناء؛ لأنهما عند أهل التصوف بمعنى واحد.

غفلوا عن أعظم درجات التوكل، وهو التوكل على الله في إقامة دينه، والجهاد في سبيله، ومقاومة الكفر والفساد كما هو توكل الأنبياء.

وضلوا في الزهد فأخرجوه من عمل قلبي إيجابي إلى مظهر سلبي، حتى إنهم حرموا به طلب العلم؛ لأن ذلك كما قالوا يؤدي إلى تقدير الناس للعالم، وهذا -بزعمهم- ينافي الزهد، وعبّدوا الأمة للفقر وبه، وحتى سموا أنفسهم الفقراء، وسموا الله تعالى الفقر"[١].



(١) ظاهرة الإرجاء (٤٤٤-٤٤٦).



المبحث الثالث:

مجمل الرد على المخالفين لأهل السنة والجماعة في أعمال القلوب

يذكر شيخ الإسلام عليه رحمة الله أن سبب ضلال هذه الفرق هو تنكُّبها للحق وعدم أخذه من مصدريه الكتاب والسنة، والبعد عن منهج السلف الصالح رحمهم الله، فيقول عن هذه الفرق التي ضلت: "وقد عدلت المرجئة في هذا الأصل عن بيان الكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين لهم بإحسان، واعتمدوا على رأيهم، وعلى ما تأولوه بفهمهم اللغة، وهذه طريقة أهل البدع؛ ولهذا كان الإمام أحمد يقول: أكثر ما يخطئ الناس من جهة التأويل والقياس[(١)].

ولهذا تجد المعتزلة والمرجئة والرافضة وغيرهم من أهل البدع يفسرون القرآن برأيهم ومعقولهم وما تأولوه من اللغة، ولهذا تجدهم لا يعتمدون على أحاديث النبي ﷺ والصحابة والتابعين وأئمة المسلمين، فلا يعتمدون لا على السنة ولا على إجماع السلف وآثارهم؛ وإنما يعتمدون على العقل واللغة، وتجدهم لا يعتمدون على كتب التفسير المأثورة والحديث وآثار السلف، وإنما يعتمدون على كتب الأدب وكتب الكلام التي وضعتها رؤوسهم.. يتأولون القرآن برأيهم وفهمهم بلا آثار عن النبي ﷺ وأصحابه.. وإذا تدبرت حججهم وجدت دعاوى لا يقوم عليها دليل"[(٢)].

ومجمل الرد على فرق المرجئة في إخراجهم للأعمال من مسمى الإيمان في النقاط الآتية:

أولًا: قولهم: إن الإيمان هو ما في القلب من المعرفة والتصديق فقط دون الأعمال:

---

(١) نقله ابن تيمية عن الإمام أحمد في عدة مواطن في مجموع الفتاوى، منها: (٣/ ٦٣، ٧/ ١١٨، ١٧/ ٣٥٥، ١٩/ ٧٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١١٨-١١٩).

ويرد عليهم بأن هذا مخالف للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة بأن الإيمان اعتقاد القلب وعمله، وقول باللسان، وعمل بالجوارح[١].

وقد مرت الأدلة في أول المبحث على إثبات ذلك وذكر إجماع الأمة عليه[٢]، وهذه الأدلة الكثيرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ التي حفلت بها دواوين السنة، وكذلك أقوال السلف رحمهم الله في الرد على هذه الشبهة، بعض ذلك يكفي من يريد الحق في بطلان هذا القول، فكيف وقد اجتمع هذا الحشد من الأدلة وأقوال السلف في فهمها وإجماعهم على ذلك؟! قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١].

ثانيًا: وهؤلاء جميعًا[٣] وقعوا في الانحراف في مسمى الإيمان بسبب شبهة اشتركوا فيها جميعًا، وهي أن الإيمان شيء واحد لا يتبعّض ولا يتجزأ، إما يبقى كله أو يذهب كله، وأنه لا يمكن أن يجتمع في الإنسان إيمان وكفر[٤].

قال شيخ الإسلام في بيان سبب نزاع هذه الفرق والرد عليها: "وأصل نزاع هذه الفرق في الإيمان من الخوارج والمرجئة والمعتزلة والجهمية وغيرهم أنهم جعلوا الإيمان شيئًا واحدًا إذا زال بعضه زال جميعه، وإذا ثبت بعضه ثبت جميعه، فلم يقولوا بذهاب بعضه وبقاء بعضه، كما قال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تبارك وتعالى: «أَخْرِجُوا مِنَ النَّارِ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ»[٥]"[٦].

---

(١) ينظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (٧٠٧).

(٢) ينظر: ص (١٠٨).

(٣) أي: الخوارج والمعتزلة، وفرق المرجئة.

(٤) ينظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٤٠٤).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب تفاضل أهل الإيمان في الأعمال (١/ ١٣) ح (٢٢).

(٦) مجموع الفتاوى (٧/ ٥١٠).

والرد أيضًا على هذه الشبهة بقول إمامين عظيمين من أئمة السنة:

الرد الأول: بعث الإمام أحمد رحمه الله بجواب إلى أبي عبد الرحيم الجوزجاني[(١)] بخراسان فيه ردود على المرجئة، ومن ضمن الردود: "وأما من زعم أن الإيمان الإقرار، فما يقول في المعرفة؟ هل يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار؟ وهل يحتاج إلى أن يكون مصدقًا بما أقر، وهل يحتاج أن يكون مصدقًا بما عرف؟ فإن زعم أنه يحتاج إلى المعرفة مع الإقرار فقد زعم أنه من شيئين، وإن زعم أنه يحتاج أن يكون مقرًّا ومصدقًا بما عرف فهو من ثلاثة أشياء، فإن جحد وقال: لا يحتاج إلى المعرفة والتصديق فقد قال عظيمًا، فكذلك العمل مع هذه الأشياء"[(٢)].

الرد الثاني: قال الإمام أبو ثور[(٣)] رحمه الله في رده على المرجئة في تفنيد شبهة أن الإيمان لا يتجزأ: "فأما الطائفة التي زعمت أن العمل ليس من الإيمان، فيقال لهم: ما أراد الله ﷻ من العباد إذ قال لهم: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [البقرة: ٤٣] إلا إقرارًا بذلك، أو الإقرار والعمل؟

(١) مُحَمَّد بن أحمد بن الجرّاح أبو عبد الرّحيم الجوزجانيّ، وكان ثقة عالِمًا صاحب سنة، تفقّه بأحمد بن حنبل، وكان جليل القدر، واسع العلم كثير الحديث، توفي رحمه الله سنة (٢٤٥هـ).
ينظر: طبقات الحنابلة (١/ ٢٦٢) لابن أبي يعلى، ت: مُحَمَّد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت، تاريخ الإسلام (١٨/ ٤٠٧)، تهذيب التهذيب (٩/ ٢٠).

(٢) السنة للخلال (٤/ ٢٤-٢٥) ت: د. عطية الزهراني، دار الراية الرياض، ط١، ١٤١٠هـ، مجموع الفتاوى (٧/ ٣٩٠-٣٩٢).

(٣) الإمام الحافظ الحجة المجتهد إبراهيم بن خالد أبو ثور الكلبي البغدادي الفقيه مفتي العراق. قال أبو بكر الأعين: سألت أحمد بن حنبل عنه فقال: أعرفه بالسنة منذ خمسين سنة، وهو عندي في مسلاخ سفيان الثوري، وقال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وورعًا وفضلًا، صنف الكتب، وفرّع على السنن، وذب عنها رحمه الله تعالى، وتوفي سنة (٢٤٠هـ).
ينظر: الثقات لابن حبان (٨/ ٧٤)، تاريخ بغداد (٦/ ٥٧٦)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٧٢).

فإن قالت: إن الله أراد الإقرار ولم يرد العمل، فقد كفرت عند أهل العلم، من قال: إن الله لم يرد من العباد أن يصلوا ولا يؤتوا الزكاة؟

فإن قالت: أراد منهم الإقرار والعمل.

قيل: فإذا أراد منهم الأمرين جميعًا لم زعمتم أنه يكون مؤمنًا بأحدهما دون الآخر وقد أرادهما جميعًا؟!

أرأيتم لو أن رجلًا قال: أعمل جميع ما أمر الله ولا أقر به، أيكون مؤمنًا؟

فإن قالوا: لا، قيل لهم: فإن قال: أقر بجميع ما أمر الله به ولا أعمل منه شيئًا أيكون مؤمنًا؟

فإن قالوا: نعم، قيل لهم: ما الفرق وقد زعمتم أن الله ﷻ أراد الأمرين جميعًا، فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمنًا إذا ترك الآخر، جاز أن يكون بالآخر إذا عمل ولم يقر مؤمنًا، لا فرق بين ذلك"[١].

وعلق شيخ الإسلام على كلام الإمامين بقوله: "قلت: أحمد وأبو ثور وغيرهما من الأئمة كانوا قد عرفوا أصل قول المرجئة، وهو أن الإيمان لا يذهب بعضه ويبقى بعضه؛ فلا يكون إلا شيئًا واحدًا، فلا يكون ذا عدد: اثنين أو ثلاثة، فإنه إذا كان له عدد أمكن ذهاب بعضه وبقاء بعضه، بل لا يكون إلا شيئًا واحدًا؛ ولهذا قالت الجهمية: إنه شيء واحد في القلب، وقالت الكرامية: إنه شيء واحد على اللسان، كل ذلك فرارًا من تبعض الإيمان وتعدده، فلهذا صاروا يناظرونهم بما يدل على أنه ليس شيئًا واحدًا كما قلتم"[٢].

ثالثًا: وقال المخالفون لأهل السنة والجماعة: إن الأعمال ليست داخلةً في مسمى الإيمان؛ لأن الله قد قرن في كتابه بين الإيمان والعمل بواو العطف في كثير من

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٤/ ٩٣٢).

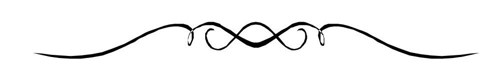
(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ٣٩٣-٣٩٤).

الآيات، وهذا يقتضي المغايرة(١).

والرد على هذه الشبهة أن هذا العطف لا يقتضي المغايرة؛ لأنه من باب عطف الخاص على العام كما في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

فهذا العطف في هاتين الآيتين لا يقتضي المغايرة، فجبريل وميكائيل من الملائكة، والصلاة الوسطى من الصلوات، وإذا تقرر هذا فعطف العمل على الإيمان لا يقتضي المغايرة، بل هو كما قال شيخ الإسلام: "وحيث عطفت عليه الأعمال فإنه أريد أنه لا يُكتَفَى بإيمان القلب، بل لا بد معه من الأعمال الصالحة"(٢).

ولأن الدراسة لا تقتضي التوسع في هذه الردود، فيكفي ما سبق.



(١) ينظر: المواقف (٣٨٥)، حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد (٩٥) دار السلام، ط١، ١٣٢٢هـ.

(٢) مجموع الفتاوى (٧/ ١٩٨)، وينظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (٧١٥-٧١٦).

الفصل الثالث:

أسباب صلاح القلب

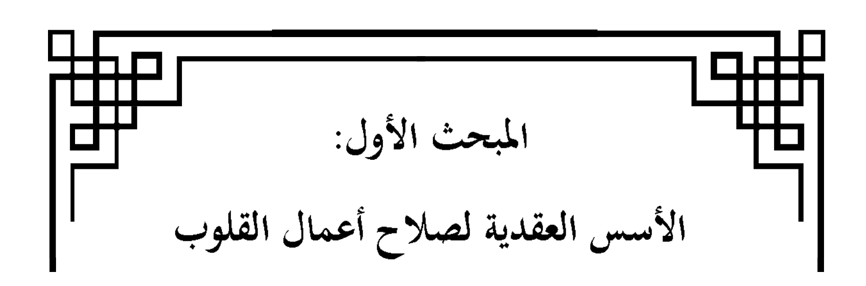
المبحث الأول: الأسس العقدية لصلاح أعمال القلوب.

المبحث الثاني: الأسس التعبدية لصلاح أعمال القلوب.

توطئة:

الداعية إلى الله تعالى كما أنه يعتني بأعمال القلب، ويجتهد في تحقيقها، ويحاسب نفسه على ذلك، فهو أحرص ما يكون على أسباب صلاح قلبه، وذلك من خلال رسوخ الأسس العقدية لديه من التوحيد لله رب العالمين لا شريك له، إلى أركان الإيمان وأسسه العظيمة، ومباني الإسلام العالية، مع المسارعة والمسابقة بالتقرب إلى الله بعد الفرائض بالنوافل، وذلك وفق العناصر الآتية:





المبحث الأول:

الأسس العقدية لصلاح أعمال القلوب

المطلب الأول: التوحيد.

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل.

المطلب الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر.

المطلب الرابع: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الأول

الأسس العقدية لصلاح أعمال القلوب

لا شكَّ أن الأسس العقدية لصلاح القلب هي من أهم ما ينبغي الاجتهاد فيه، والحرص عليه، فلن تصلح أعمال القلب إلا إذا بنيت على عقيدة صحيحة سليمة من شوائب الشرك، بني فيها الاعتقاد بأركانه الستة على اليقين والإيمان بالغيب، توحيد سلم من الشرك وشوائبه، وإيمان بالملائكة والرسل والكتب واليوم الآخر وبالقضاء والقدر، كل ذلك وفق معتقد السلف أهل السنة والجماعة، وهذه إشارات إلى ذلك في المطالب الآتية:

المطلب الأول: التوحيد:

أولًا: تعريفه:

التوحيد لغة: من وحّد يوحّد توحيدًا، والتوحيد الإيمان بالله وحده لا شريك له، والله الواحد الأحد ذو الوحدانية، وقال ابن فارس(١): "الواو والحاء والدال: أصل واحد يدل على الانفراد"(٢).

والتوحيد شرعًا: عرفه الشيخ ابن عثيمين فقال رحمه الله: "إفراد الله ﷻ بما يختص به من الربوبية والألوهية والأسماء والصفات"(٣).

---

(١) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن مُحَمَّد بن حبيب الرازي اللغوي، وكان رأسًا في اللغة والأدب، بصيرًا بفقه مالك، مناظرًا متكلمًا على طريقة أهل الحق، ومذهبه في النحو على طريقة الكوفيين، وله المجمل في اللغة، ومقاييس اللغة، وغير ذلك، توفي رحمه الله سنة (٣٩٥هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٠٤)، البداية والنهاية (١٥/ ٥٠٩)، الأعلام (١/ ١٩٣).

(٢) ينظر: العين (٣/ ٢٨١)، مقاييس اللغة (٦/ ٩٠)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ٢٤٠٩) مادة (وحد).

(٣) مجموع فتاوى ورسائل العثيمين (٩/ ١) جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن، ط١٤١٣هـ.

وقال الشيخ سليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب[١] رحمه الله: "وسمي دين الإسلام توحيدًا؛ لأن مبناه على أن الله واحد في ملكه وأفعاله لا شريك له، وواحد في ذاته وصفاته لا نظير له، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له، وإلى هذه الأنواع الثلاثة ينقسم توحيد الأنبياء والمرسلين الذين جاؤوا به من عند الله، وهي متلازمة، كل نوع منها لا ينفك عن الآخر"[٢].

وعرفه الشيخ صالح آل الشيخ[٣] حفظه الله بقوله: "التوحيد هو: اعتقاد أن الله جل وعلا واحد في ربوبيته لا شريك له، واحد في إلهيته لا ند له، واحد في أسمائه وصفاته لا مِثْل له ﷻ، قال جل وعلا: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وذلك يشمل أنواع التوحيد جميعًا، فالتوحيد إذن: هو اعتقاد أن الله

---

(١) العلامة المحدث الذكي سليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب من آل الشيخ، كان بارعًا في التفسير والحديث والفقه، له من الكتب تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، وحاشية على المقنع في الفقه وغير ذلك، بعد حرب إبراهيم باشا لأهل الدرعية وأعطى الأمان لهم، وشى به بعض الحاقدين، فأحضره إبراهيم باشا وأحضر آلات اللهو والمنكر لإغاظته، ثم أمر الجنود بإطلاق الرصاص عليه دفعة واحدة حتى تمزق جسده، فنال الشهادة أحسبه والله حسيبه سنة (١٢٣٣هـ).
ينظر: الأعلام (٣/ ١٢٩)، مشاهير علماء نجد وغيرهم (٢٩) لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، إشراف دار اليمامة الرياض، ط١، ١٣٩٢هـ، موسوعة مواقف السلف (٩/ ٦٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١٧) لسليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ.

(٣) العلامة صالح بن عبد العزيز بن مُحَمَّد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ، وزير الشؤون الإسلامية بالمملكة العربية السعودية سابقًا، وهو الآن وزير دولة عضو مجلس الوزراء والشؤون السياسية والأمنية، ولد في مدينة الرياض سنة (١٣٧٨هـ) وتلقى تعليمه فيها، ودرس على كبار العلماء وعلى رأسهم والده، والإمام ابن باز رحمه الله، له عدة مؤلفات منها: التمهيد شرح كتاب التوحيد، شرح العقيدة الطحاوية، شرح متن الورقات، وغيرها.
ينظر: الموسوعة الحرة على الشبكة، وموقع الشيخ صالح آل الشيخ على الشبكة.

واحد في هذه الثلاثة أشياء"[١].

وقال ابن رجب رحمه الله بعد أن بيّن حقيقة التوحيد وذكر أنه: " معنى قول: لا إله إلا الله، فلا صلاح للقلوب حتى يكون إلهها الذي تألهه وتعرفه وتحبه وتخشاه هو الله وحده لا شريك له، ولو كان في السماوات والأرض إله يؤله سوى الله، لفسدت بذلك السماوات والأرض كما قال تعالى: ﴿لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]"[٢].

ثانيًا: أقسامه: ينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام وهي:

الأول: توحيد الألوهية:

- **معناه:**

الألوهية من أله يأله ألوهة فهو مألوه أي: معبود، يقول ابن فارس: "الهمزة واللام والهاء أصل واحد، وهو التعبد. فالإله الله تعالى"[٣]، وأصله إله على فِعَال بمعنى: مفعول؛ لأنه مألوه أي: معبود، ويقال: تأله الرجل: إذا تعبد[٤].

ومعنى توحيد الألوهية في الشرع: عرفه الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب رحمه الله بقوله: "هو إفراد الله بالعبادة"[٥].

وقال الشيخ عبد الرحمن بن حسن[٦] رحمه الله: "هو إفراد الله تعالى بأنواع العبادة

---

(١) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٦٩) لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢١١).

(٣) مقاييس اللغة (١/ ١٢٧).

(٤) ينظر: الصحاح (٦/ ٢٢٢٣)، مقاييس اللغة (١/ ١٢٧)، المعجم الوسيط (١/ ٢٥) مادة (أله).

(٥) ثلاثة الأصول وشروط الصلاة والقواعد الأربع (٨) لمحمد بن عبد الوهاب، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.

(٦) الإمام العلامة الشيخ: عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب. ولد في بلد الدرعية، وشب بها، وأخذ العلم عن جده الشيخ مُحَّد بن عبد الوهاب، وعمومته، وأخذ العلم أيضًا عن علماء مصر في عصره حيث كان هناك مع أعمامه، وكان إمامًا بارعًا محدثًا فقيهًا، ورعًا تقيًا نقيًا صالحًا، وله من

=

الباطنة والظاهرة"[١].

- **الأدلة عليه:**

وهذا النوع من التوحيد هو موضوع دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم، وهو موضع النزاع بين الأنبياء وأممهم، وهذه بعض الأدلة عليه:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف: ٥٩]. وقالها صالح وهود وشعيب وكل نبي لقومه.

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ومن السنة عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه عَلَى اليَمَنِ، قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا، فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ،

=

المصنفات: كتاب فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، قرة عيون الموحدين حاشية على التوحيد، كشف ما ألقاه إبليس، على داود بن جرجيس وغيرها، توفي رحمه الله سنة (١٢٨٥هـ).

ينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٤٠٤) لمجموعة من علماء الدعوة، جمع عبد الرحمن بن قاسم، ط٦، ١٤١٦هـ ، الأعلام (٣/ ٣٠٤) معجم المؤلفين (٥/ ١٣٥) لعمر كحالة، مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي.

(١) كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (١١) لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ت: بشير عيون، مكتبة المؤيد الطائف، مكتبة دار البيان دمشق، ط١، ١٤١١هـ.

فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا، فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»[١]، وفسر في الرواية الثانية عبادة الله بشهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِمُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ حِينَ بَعَثَهُ إِلَى اليَمَنِ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ...» الحديث[٢].

وفي الرواية الثالثة: أن يوحدوا الله، عن ابْن عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى...» الحديث[٣].

قال ابن القيم رحمه الله: "ولهذا كان الصحيح: أن أول واجب يجب على المكلف: شهادة أن لا إله إلا الله، لا النظر، ولا القصد إلى النظر، ولا الشك، كما هي أقوال لأرباب الكلام المذموم، فالتوحيد أول ما يدخل به في الإسلام، وآخر ما يخرج به من الدنيا، كما قال النبي ﷺ: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ»[٤]، فهو أول واجب، وآخر واجب، فالتوحيد أول الأمر وآخره"[٥].

الثاني: توحيد الربوبية:

- **معناه:**

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (٢/ ١١٩) ح (١٤٥٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (٢/ ١٢٨) ح (١٤٩٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٩/ ١١٤) ح (٧٣٧٢).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الجنائز، باب في التلقين (٣/ ١٩٠) ح (٣١١٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٠٥) ح (٦٤٧٩)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٥/ ٣٤) ح (٣١١٦): "حديث صحيح".

(٥) مدارج السالكين (٣/ ٤١٢).

الربوبية من الرب، والرب في اللغة: يطلق على المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيّم، والمنعم، فرب كل شيء: مالكه، والربُّ: اسم من أسماء الله ﷻ، ولا يقال في غيره إلا على سبيل الإضافة(١).

وعرف العلماء توحيد الربوبية في الاصطلاح بعدة تعريفات، منها:

قال الشيخ سليمان بن عبد الله رحمه الله: "هو: الإقرار بأن الله تعالى رب كل شيء ومالكه وخالقه ورازقه، وأنه المحيي المميت النافع الضار المتفرد بإجابة الدعاء عند الاضطرار، الذي له الأمر كله، وبيده الخير كله، القادر على ما يشاء، ليس له في ذلك شريك"(٢).

وقال ابن سعدي رحمه الله: "بأن يعتقد العبد أن الله هو الرب المتفرد بالخلق والرزق والتدبير، الذي ربى جميع الخلق بالنعم، وربى خواص خلقه -وهم الأنبياء وأتباعهم- بالعقائد الصحيحة والأخلاق الجميلة والعلوم النافعة والأعمال الصالحة، وهذه هي التربية النافعة للقلوب والأرواح المثمرة لسعادة الدارين"(٣).

وقال الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله: "فأما توحيد الربوبية: فمعناه توحيد الله بأفعاله. وأفعال الله كثيرة، منها: الخلق، والرِّزق، والإحياء، والإماتة، وتدبير الملك، والنفع، والضُّر، والشفاء، والإجارة كما قال تعالى في التنزيل: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وإجابة دعوة المضطر، وإجابة دعوة الداعي، ونحو ذلك من أفراد الربوبية، فالمتفرد بذلك على الكمال هو الله جل وعلا، فتوحيد الربوبية: هو توحيد الله بأفعاله سبحانه"(٤).

---

(١) ينظر: الصحاح (١/ ١٣٠)، لسان العرب (١/ ٣٩٩)، المعجم الوسيط (١/ ٣٢١) مادة (ربب).

(٢) تيسير العزيز الحميد (١٧).

(٣) القول السديد (١٩) لابن سعدي، ت: المرتضي الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط٣.

(٤) التمهيد لشرح كتاب التوحيد (٦).

● **الأدلة عليه:**

قال تعالى: ﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يونس: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨].

الثالث: توحيد الأسماء والصفات:

● **معناه:**

عرفه شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: "ومذهب سلف الأمة وأئمتها أن يوصف الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف وتعطيل، ولا تكييف ولا تمثيل. فلا يجوز نفي صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ولا يجوز تمثيلها بصفات المخلوقين؛ بل هو سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، ليس كمثله شيء لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله"[(١)].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث"[(٢)].

وقال ابن سعدي رحمه الله: "وهو اعتقاد انفراد الرب ﷻ بالكمال المطلق من جميع الوجوه بنعوت العظمة والجلالة والجمال التي لا يشاركه فيها مشارك بوجه من الوجوه، وذلك بإثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من جميع الأسماء والصفات، ومعانيها وأحكامها الواردة في الكتاب والسنة على الوجه اللائق بعظمته وجلاله، من غير نفي لشيء منها، ولا تعطيل ولا تحريف ولا تمثيل، ونفي ما نفاه عن

(١) مجموع الفتاوى (٥/ ١٩٥).

(٢) مجموع الفتاوى (٥/ ٢٦).

نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، وعن كل ما ينافي كماله"[(١)].

● **الأدلة عليه:**

قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤].

والآيات في ذلك كثيرة.

ثالثًا: أثر التوحيد على القلب[(٢)]:

للتوحيد أثر عظيم على القلوب، فكلما قوي توحيد العبد أثمر في قلبه ثمرات جليلة، وعاد ذلك عليه وعلى دعوته بآثار مباركة عظيمة، ومن ذلك:

١- يقول ابن القيم رحمه الله: "فإذا جرد العبد التوحيد فقد خرج من قلبه خوف ما سواه، وكان عدوه أهون عليه من أن يخافه مع الله تعالى، بل يفرد الله بالمخافة، وقد أمَّنه منه، وخرج من قلبه اهتمامه به واشتغاله به وفكره فيه، وتجرد الله محبة وخشية وإنابة وتوكلًا واشتغالًا به عن غيره، فيرى أن إعمالَه فكره في أمر عدوه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جرد توحيده لكان له فيه

(١) القول السديد شرح كتاب التوحيد (١٨-١٩).

(٢) ينظر في ذلك: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم ﷺ(٤/ ١٣٤١-١٣٤٢) لعدد من المختصين بإشراف إمام الحرم المكي د. صالح بن حميد، دار الوسيلة جدة، ط٤.

شغل شاغل، والله يتولى حفظه والدفع عنه، فإن الله يدافع عن الذين آمنوا[(١)]، فإن كان مؤمنًا فالله يدافع عنه ولا بد، وبحسب إيمانه يكون دفاع الله عنه"[(٢)].

٢- التوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، وعلى حسب قوته وكماله يكون انشراح صدر صاحبه، قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، وقال تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ وَمَن يُرِدۡ أَن يُضِلَّهُۥ يَجۡعَلۡ صَدۡرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجٗا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، فالهدى والتوحيد من أعظم أسباب شرح الصدر، والشرك والضلال من أعظم أسباب ضيق الصدر وانحراجه، ومنها: النور الذي يقذفه الله في قلب العبد، وهو نور الإيمان، فإنه يشرح الصدر ويوسعه ويفرح القلب، فإذا فقد هذا النور من قلب العبد ضاق وحرج، وصار في أضيق سجن وأصعبه[(٣)].

٣- يحصل لصاحب التوحيد الهدى والكمال والأمن التّامّ في الدّنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢]. قال ابن كثير رحمه الله "أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئًا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة"[(٤)]، فبالتوحيد يحصل الأمن والاهتداء التام في الدنيا والآخرة، وبالشرك تصرف الهداية عن العبد، ويذهب الأمن ويحصل الخلل فيه في الدنيا وفي الآخرة.

---

(١) يشير بذلك إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ [الحج: ٣٨].

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٤٥).

(٣) ينظر: زاد المعاد في هدي خير العباد(٢/ ٢٢-٢٣) لابن القيم، مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة المنار الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٤).

٤- التوحيد مع اعتراف العبد بظلمه وذنبه من أبلغ أدوية الكرب والهم والغم، وأبلغ الوسائل إلى الله ﷻ في قضاء الحوائج، ولذا جاء عن النبي ﷺ في دعوة ذي النون قوله: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»(١).

يقول ابن القيم رحمه الله: "وأما دعوة ذي النون فإن فيها من كمال التوحيد والتنزيه للرب تعالى واعتراف العبد بظلمه وذنبه ما هو من أبلغ أدوية الكرب والهم والغم، وأبلغ الوسائل إلى الله سبحانه في قضاء الحوائج"(٢).

المطلب الثاني: الإيمان بالملائكة والكتب والرسل:

معناه:

الإيمان الجازم الذي لا شك فيه بالملائكة والكتب والرسل من حيث الإجمال والتفصيل.

قال الشيخ ابن باز(٣) رحمه الله في بيان معتقد أهل السنة والجماعة في الملائكة والكتب والرسل: "وأما الإيمان بالملائكة فيتضمن الإيمان بهم إجمالًا وتفصيلًا، فيؤمن المسلم بأن لله ملائكة خلقهم لطاعته، ووصفهم بأنهم عباد مكرمون، لا يسبقونه

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٦٥) ح (١٤٦٢)، والترمذي في أبواب الدعوات، باب.. (٥/ ٥٢٩) ح (٣٥٠٥)، والحاكم في المستدرك في كتاب تواريخ المتقدمين من الأنبياء والمرسلين، ذكر نبي الله يونس (٢/ ٦٣٧) ح (٤١٢١)، وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٣٧) ح (٣٣٨٣).

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٩٠).

(٣) سيأتي الكلام عنه بشيء من التفصيل، ينظر: ص (٣٥٠).

بالقول وهم بأمره يعملون، ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٨].

وهم أصناف كثيرة؛ منهم الموكلون بحمل العرش، ومنهم خزنة الجنة والنار، ومنهم الموكلون بحفظ أعمال العباد، ونؤمن على سبيل التفصيل بمن سمى الله ورسوله منهم، كجبريل، وميكائيل، ومالك خازن النار، وإسرافيل الموكل بالنفخ في الصور، وقد جاء ذكره في أحاديث صحيحة(١).

وقد ثبت في الصحيح عن عائشة ﵂ أن النبي ﷺ قال: «خُلِقَتِ الْمَلَائِكَةُ مِنْ نُورٍ، وَخُلِقَ الْجَانُّ مِنْ مَارِجٍ مِنْ نَارٍ، وَخُلِقَ آدَمُ مِمَّا وُصِفَ لَكُمْ» خرجه مسلم في صحيحه(٢).

وهكذا الإيمان بالكتب، يجب الإيمان إجمالًا بأن الله ﷻ أنزل كتبًا على أنبيائه ورسله لبيان حقه والدعوة إليه، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ﴾ [الحديد: ٢٥].

ونؤمن على سبيل التفصيل بما سمى الله منها؛ كالتوراة، والإنجيل، والزبور، والقرآن؛ والقرآن هو أفضلها وخاتمتها، وهو المهيمن عليها والمصدق لها، وهو الذي يجب على جميع الأمة اتباعه وتحكيمه مع ما صحت به السنة عن رسول الله ﷺ؛ لأن الله ﷻ بعث رسوله محمدًا ﷺ رسولًا إلى جميع الثقلين، وأنزل عليه هذا القرآن ليحكم

---

(١) صح في ذكر إسرافيل ما أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه من حديث عائشة ﵂، في وصف ما يقوله ﷺ إذا قام من الليل (١/ ٥٣٤) ح (٧٧٠) ولفظه: قَالَتْ: كَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلَاتَهُ: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ، وَمِيكَائِيلَ، وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

(٢) في كتاب الزهد والرقائق، باب في أحاديث متفرقة (٤/ ٢٢٩٤) ح (٢٩٩٦).

به بينهم، وجعله شفاء لما في الصدور وتبيانًا لكل شيء، وهدى ورحمة للمؤمنين، كما قال تعالى: ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، وقال ﷻ: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، والآيات في هذا المعنى كثيرة.

وهكذا الرسل، يجب الإيمان بهم إجمالًا وتفصيلًا، فنؤمن أن الله ﷻ أرسل إلى عباده رسلًا منهم مبشرين ومنذرين ودعاة إلى الحق، فمن أجابهم فاز بالسعادة، ومن خالفهم باء بالخيبة والندامة، وخاتمهم وأفضلهم هو نبينا مُحَمَّد بن عبد الله ﷺ، كما قال الله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، وقال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥]، وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ومن سمى الله منهم أو ثبت عن رسول الله ﷺ تسميته آمنا به على سبيل التفصيل والتعيين، كنوح وهود وصالح وإبراهيم وغيرهم، صلى الله وسلم عليهم وعلى آلهم وأتباعهم"[١].

أثر الإيمان بالملائكة والكتب والنبيين على القلب[٢]:

١- من آثار الإيمان بالملائكة على القلب:

---

(١) العقيدة الصحيحة وما يضادها (٨-٩) لابن باز، مع بعض التصرف، طبعة الجامعة الإسلامية، السنة السابعة العدد الثالث: المحرم ١٣٩٥هـ.

(٢) ينظر في ذلك: عقيدة أهل السنة والجماعة للعثيمين (٣٢-٣٣) طبعة الجامعة الإسلامية، ط٤، ١٤٢٢هـ، شرح ثلاثة الأصول للعثيمين (٩٢) دار الثريا، ط٤، ١٤٢٤هـ، الإسلام أصوله ومبادئه (٢/ ١٣٣) لمحمد بن عبد الله السحيم، طبعته وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.

أولًا: العلم بعظمة خالقهم تبارك وتعالى وقوته وسلطانه، فإن عظمة المخلوق من عظمة الخالق.

ثانيًا: زيادة حب الله وشكره تعالى على عنايته بعباده، حيث وكل بهم من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

ثالثًا: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى على الوجه الأكمل، واستغفارهم للمؤمنين.

رابعًا: أن تتطهر عقيدة المسلم من شوائب الشرك وأدرانه؛ لأن المسلم إذا آمن بوجود الملائكة الذين كلفهم الله بهذه الأعمال العظيمة تخلص من الاعتقاد بوجود مخلوقات وهمية تسهم في تسيير الكون.

خامسًا: أن يعلم المسلم أن الملائكة لا ينفعون ولا يضرون، وإنما هم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم، ويفعلون ما يؤمرون، فلا يعبدهم ولا يتوجه إليهم، ولا يتعلق بهم.

سادسًا: ومن آثار الإيمان بالملائكة على القلب: أن الله جعلهم من أسباب ثبات المؤمن في مواجهة أعداء الإسلام، قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾ [الأنفال: ١٢].

٢- من آثار الإيمان بالكتب والرسل على القلب:

أولًا: العلم برحمة الله تعالى وعنايته بخلقه، حيث أنزل لكل قوم كتابًا يهديهم به، ورسلًا يهدونهم ويرشدونهم.

ثانيًا: ظهور حكمة الله تعالى، حيث شرع في هذه الكتب لكل أمة ما يناسبها، وكان خاتم هذه الكتب القرآن العظيم مناسبًا لجميع الخلق في كل عصر ومكان إلى يوم القيامة.

ثالثًا: زيادة حب الله وشكر نعمته تعالى على ذلك.

المطلب الثالث: الإيمان بالقضاء والقدر:

معناه:

معنى القضاء لغة:

القاف والضاد والحرف المعتل يدل على إحكام الأمر وإتقانه وإنفاذه لجهته.

والقضاء: الحكم، ولذلك سمي القاضي قاضيًا؛ لأنه يحكم الأحكام وينفذها. وسميت المنية قضاءً؛ لأنها أمر ينفذ في ابن آدم وغيره من الخلق[١].

تعريف القدر لغة:

القاف والدال والراء يدل على مبلغ الشيء وكنهه ونهايته، فالقدر: مبلغ كل شيء، يقال: قدره كذا، أي: مبلغه، وكذلك القدر.

وقدرت الشيء أقدره وأقدره من التقدير، وقدرته أقدره.

والقدر: قضاء الله تعالى الأشياء على مبالغها ونهاياتها التي أرادها لها، وهو القدر أيضًا، وهو ما يقدره الله ﷻ من القضاء، ويأتي بمعنى القدرة والتقدير[٢].

معنى القضاء والقدر في الاصطلاح:

عرفه العلماء بعدة تعريفات، كلها تدور حول مراتب القدر الأربع، ومن ذلك:

- ما ذكر ابن القيم بأنه "خلق الله تعالى لأفعال المكلفين ودخولها تحت قدرته ومشيئته كما دخلت تحت علمه وكتابه"[٣].

- هو "ما سبق به العلم وجرى به القلم، مما هو كائن إلى الأبد، وأنه ﷻ قدَّر

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٩٩)، لسان العرب (١٥/ ١٨٦) (قضي).

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٦٢)، الصحاح (٢/ ٧٨٦-٧٨٧) (قدر).

(٣) شفاء العليل (٥٣) لابن القيم، دار المعرفة بيروت، ط: ١٣٩٨هـ.

مقادير الخلائق وما يكون من الأشياء قبل أن تكون في الأزل، وعلم ﷻ أنها ستقع في أوقات معلومة عنده تعالى، وعلى صفات مخصوصة، فهي تقع على حسب ما قدرها"[١].

- وعُرِّف بأنه: "تقدير الله تعالى للأشياء في القِدَم، وعلمه سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة وعلى صفات مخصوصة، وكتابته لذلك، ومشيئته له، ووقوعها على حسب ما قدرها، وخلقه لها"[٢].

مراتب القدر والدليل عليه:

وملخص مراتب القدر كما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله: بأن الإيمان بالقدر على درجتين، كل درجة تتضمن شيئين:

فالدرجة الأولى: الإيمان بأن الله تعالى علم ما الخلق عاملون بعلمه القديم الموصوف به أزلًا، فعلم ﷻ جميع أحوالهم من الطاعات والمعاصي والأرزاق والآجال، ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق قال ﷺ: «إِنَّ أَوَّلَ مَا خَلَقَ اللهُ الْقَلَمُ، ثُمَّ قَالَ: اكْتُبْ، فَجَرَى فِي تِلْكَ السَّاعَةِ بِمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ»[٣]، كما قال ﷻ: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠]، وقال: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحديد: ٢٢]، وهذا التقدير -التابع لعلمه ﷻ- يكون في مواضع جملة وتفصيلًا فقد كتب في اللوح

---

(١) هذا تعريف السفاريني في لوامع الأنوار البهية (١/ ٣٤٨).

(٢) كما عرفه د. عبد الرحمن المحمود في كتابه القضاء والقدر (٣٩-٤٠)، مدار الوطن للنشر الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ.

(٣) أخرجه أحمد (٣٧/ ٣٧٨- ٣٧٩) ح (٢٢٧٠٥)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في القدر (٤/ ٢٢٥) ح (٤٧٠٠)، والترمذي في أبواب القدر، باب.. (٤/ ٤٥٧) ح (٢١٥٥) جميعهم من حديث عبادة بن الصامت ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٠٥) ح (٢٠١٧).

المحفوظ ما شاء: وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكًا؛ فيؤمر بأربع كلمات فيقال له: اكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد[(١)]؛ ونحو ذلك، فهذا القدر قد كان ينكره غلاة القدرية قديمًا، ومنكره اليوم قليل.

وأما الدرجة الثانية: فهي مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، وهو الإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه ما في السموات والأرض من حركة ولا سكون إلا بمشيئة الله ﷻ، لا يكون في ملكه إلا ما يريد، وأنه ﷻ على كل شيء قدير من الموجودات والمعدومات، فما من مخلوق في الأرض ولا في السماء إلا الله خالقه ﷻ، لا خالق غيره ولا رب سواه، ومع ذلك فقد أمر العباد بطاعته وطاعة رسله، ونهاهم عن معصيته، وهو ﷻ يحب المتقين والمحسنين والمقسطين، ويرضى عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ولا يحب الكافرين، ولا يرضى عن القوم الفاسقين، ولا يأمر بالفحشاء، ولا يرضى لعباده الكفر، ولا يحب الفساد، والعباد فاعلون حقيقة، والله خالق أفعالهم؛ والعبد هو المؤمن والكافر والبر والفاجر والمصلي والصائم، وللعباد قدرة على أعمالهم ولهم إرادة، والله خالقهم وخالق قدرتهم وإرادتهم كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ﴾ [التكوير: ٢٨]، وقال: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩]. وهذه الدرجة من القدر يكذِّب بها عامة القدرية الذين سماهم

---

(١) يشير بهذا إلى حديث عَبْد اللَّهِ بن مسعود ﷺ: حَدَّثَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ الصَّادِقُ المَصْدُوقُ، قَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، ثُمَّ يَكُونُ عَلَقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مُضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ مَلَكًا فَيُؤْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عَمَلَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَوْ سَعِيدٌ، ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ الرُّوح..» الحديث أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ذكر الملائكة (٤/ ١١١) ح (٣٢٠٨)، ومسلم في كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه وكتابة رزقه وأجله وعمله وشقاوته وسعادته (٤/ ٢٠٣٦) ح (٢٦٤٣).

النبي ﷺ مجوس هذه الأمة[١]، ويغلو فيها قوم من أهل الإثبات حتى سلبوا العبد قدرته واختياره، ويخرجون عن أفعال الله وأحكامه حِكَمها ومصالحها[٢].

ومن الأدلة على القدر قول الله تعالى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر: ٤٩].

وحديث جبريل الذي رواه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وفيه: قال: فَأَخْبِرْنِي عَنِ الْإِيمَانِ، قَالَ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ، وَمَلَائِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»[٣].

أثر الإيمان بالقضاء والقدر على القلب[٤]:

للإيمان بالقضاء والقدر آثار عظيمة على القلب، ومن ذلك:

١- هداية الله له، وصفاء العقيدة:

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

٢- الإخلاص لله تعالى.

٣- صحة التوكل على الله.

٤- الخوف والرجاء.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٩/ ٤١٥) ح (٥٥٨٤)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في القدر (٤/ ٢٢٢) ح (٤٦٩١) ولفظه: «الْقَدَرِيَّةُ مَجُوسُ هَذِهِ الْأُمَّةِ» الحديث، وابن ماجه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في القدر (١/ ٣٥) ح (٩٢)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٨) ح (١٠٧).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ١٤٨-١٥٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب معرفة الإسلام والايمان والقدر (١/ ٣٧) ح (٨).

(٤) ينظر في ذلك: القضاء والقدر للمحمود (٤٤٧ وما بعدها)، والإيمان بالقضاء والقدر للحمد (٨٩ وما بعدها)، دار ابن خزيمة الرياض، ط٤، ١٤٣٥هـ.

٥- من أكبر دواعي العمل والنشاط، والسعي في الأرض بما يرضي الله تعالى.

٦- يخلِّص القلوب من كثير من الأمراض التي تعصف بالمجتمعات من الحسد ونحوه.

٧- تحرير العقول من الخرافة.

٨- القناعة وعزة النفس.

٩- يبعث في القلوب الشجاعة والصبر على المكاره.

١٠- من أعظم الأسباب المعينة للداعية في الصدع بدعوته، والصبر على ما يلقاه في سبيل الله من أذى.

المطلب الرابع: الإيمان باليوم الآخر:

معنى الإيمان باليوم الآخر، والدليل عليه[(١)]:

التصديق الجازم بوقوعه لا محالة، والعمل بموجب ذلك، ويدخل فيه الإيمان بأشراط الساعة وأماراتها التي تكون قبلها لا محالة، وبالموت وما بعده من فتنة القبر وعذابه ونعيمه، وبالنفخ في الصور وخروج الخلائق من القبور، وما في موقف القيامة من الأهوال وتفاصيل المحشر.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن ثلاثة أمور:

الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخ في الصور النفخة الثانية؛ فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة عراة غُرلًا -غيرَ مختونين-، قال الله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤].

والبعث: حق ثابت، دل عليه الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

(١) ينظر في ذلك: أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة (٥٥) لحافظ الحكمي، ت: حازم القاضي، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ، نبذة في العقيدة الإسلامية (٥٢-٥٤) لابن عثيمين، دار الثقة مكة، ط١، ١٤١٢هـ.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٥- ١٦].

وقال النبي ﷺ: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا»(١).

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة، حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادًا، يجازيهم فيه على ما شرعه لهم فيما بعث به رسله، قال الله تعالى: ﴿ h gf e d c b a ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

الثاني مما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالحساب والجزاء والميزان، وهو أن يحاسب الله العبد على عمله، وينصب له الميزان، ويجازى على ما قدَّم، وقد جاءت الأدلة بذلك، ومنها:

قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾ [الغاشية: ٢٦].

وقوله تعالى: ﴿مَن جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠].

وقوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧].

عَنْ صَفْوَانَ بْنِ مُحْرِزٍ المازِنِيّ(٢) قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا أَمْشِي مَعَ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا آخِذٌ بِيَدِهِ إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي

(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٤/ ٢١٩٤) ح (٢٨٥٩).

(٢) صفوان بن مُحْرِزٍ المازني البصري العابد أحد الأعلام تابعي ثقة له فضل وورع، كان واعظًا قانتًا لله، واختلف في سنة وفاته فقيل: توفي رحمه الله في ولاية عبد الملك بن مرون بدون تحديد سنة، وقيل: في أواخر سنة (١٠٠هـ) وقيل: غير ذلك، والله أعلم.

ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ١٠٧) لابن سعد، ت: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط١، ١٩٦٨م،

=

النَّجْوى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ اللهَ يُدْنِي المؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨]»[(١)].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ ﷻ قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»[(٢)].

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة؛ فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، والعمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحل دماءهم، وذرّياتهم، ونساءهم، وأموالهم، فلو لم يكن حساب ولا جزاء؛ لكان هذا من العبث الذي ينزهُ الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ

=

تهذيب الكمال (١٣/ ٢١١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٦).

(١) أخرجه البخاري في كتاب المظالم والغصب واللفظ له، باب قول الله تعالى: ﴿أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: ١٨] (٣/ ١٢٨) ح (٢٤٤١)، ومسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٤/ ٢١٢٠) ح (٢٧٦٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب من هم بحسنة أو بسيئة (٨/ ١٠٣) ح (٦٤٩١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب (١/ ١١٨) ح (١٣١).

أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ﴾ [الأعراف: ٦، ٧].

الثالث مما يتضمنه الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق:

فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله، متبعين لرسوله، فيها من أنواع النعيم، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۖ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾ [البينة: ٧، ٨]، وقَال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٧]»[1].

وأما النار: فهي دار العذاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنَّكال ما لا يخطر على البال، قال الله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣١]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا﴾ [الكهف: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في وصف الجنة وأنها مخلوقة (٤/ ١١٨) ح (٣٢٤٤).

لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٤، ٦٥].

ومن الأدلة عليه غير ما ذكر قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ﴾ الآية [البقرة: ١٧٧]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ الآية [النساء: ١٣٦].

وقد قرن الله في كتابه الإيمان به مع الإيمان باليوم الآخر في آيات كثيرة منها:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ١٢٦].

وقوله تعالى: ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٤].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨]، وغير ذلك من الآيات.

أثر الإيمان باليوم الآخر على القلب:

الإيمان باليوم الآخر له أثر عظيم على أعمال القلوب، بل لعله من أعظم الأسباب لحصول أعمال القلوب والحرص عليها، ومن تلك الآثار:

١- الخوف من الله تعالى الذي يثمر الانكفاف عن معصية الله تعالى، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥]، وقال تعالى: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥].

٢- الرجاء فيما عند الله من نعيم الآخرة.

٣- تعلق القلب بالآخرة مما يؤدي إلى المسابقة والمسارعة والمنافسة في الحصول على نعيم الآخرة:

قال تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٢-٢٦].

٤- معرفة الدنيا على حقيقتها بالنسبة للآخرة، فيؤدي ذلك إلى أن يصبح العبد ويمسي وهمه الآخرة:

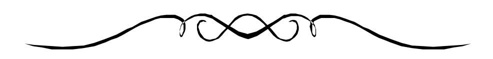
قال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال الرسول ﷺ: «وَاللهِ، مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ -وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ- فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟»(١).

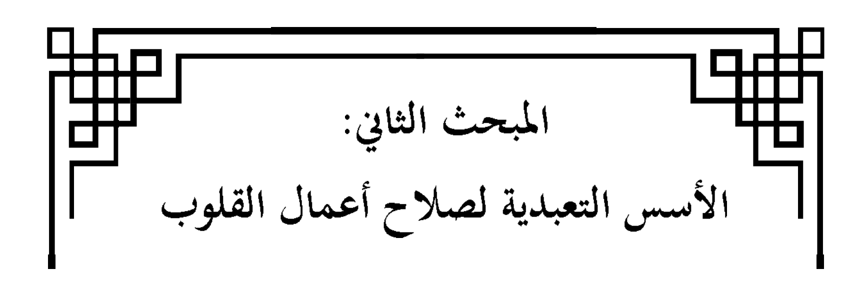
وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ».

وسيأتي مزيد بيان لهذا(٢).



(١) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة (٤/ ٢١٩٣) ح (٢٨٥٨).

(٢) ينظر: ص (٣٩٣).



المبحث الثاني:
الأسس التعبدية لصلاح أعمال القلوب

المطلب الأول: التقرب إلى الله بالفرائض، وعلى رأسها الصلاة الخاشعة، وأثرها على القلب.

المطلب الثاني: الزكاة، وأثرها على القلب.

المطلب الثالث: الصيام، وأثره على القلب.

المطلب الرابع: الحج، وأثره على القلب.

المطلب الخامس: الدعاء، وأثره على القلب.

المطلب السادس: التقرب إلى الله بالنوافل.

المبحث الثاني:
الأسس التعبدية لصلاح أعمال القلوب

إن أعمال القلوب التي تبنى على أسس تعبدية خالصة لوجه الله موافقة لسنة رسول الله ﷺ تثمر بإذن الله تعالى صلاحًا للقلب، وسلامة له من الأمراض، وقربًا من الله عظيم، قال ﷺ: «إن الله قال: وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» الحديث[(١)].

ودونك توضيح ذلك وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: التقرب إلى الله بالفرائض، وعلى رأسها الصلاة الخاشعة، وأثرها العظيم على القلب:

قد جعل الله الخشوع في الصلاة على رأس صفات المؤمنين، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۝١ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

والصلاة الخاشعة لها أعظم الأثر في صلاح القلب بعد صلاح المعتقد، ولكن ليست كل صلاة تثمر ذلك، بل الصلاة التي بذل فيها المؤمن أسباب الخشوع، وجاهد نفسه على ذلك، وكابدها حتى وجد حلاوتها ولذتها في قلبه، كما قال ﷺ عنها: «يَا بِلَالُ، أَقِمِ الصَّلَاةَ؛ أَرِحْنَا بِهَا»، وقال ﷺ كذلك: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ».

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب التواضع (٨/ ١٠٥) ح (٦٥٠٢).

قال ابن حجر رحمه الله: "وفي الحديث[١] عظم قدر الصلاة، فإنه ينشأ عنها محبة الله للعبد الذي يتقرب بها، وذلك لأنها محل المناجاة والقربة، ولا واسطة فيها بين العبد وربه، ولا شيء أقر لعين العبد منها، ولهذا جاء في حديث أنس المرفوع: «وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» أخرجه النسائي وغيره بسند صحيح، ومن كانت قرة عينه في شيء، فإنه يود أن لا يفارقه، ولا يخرج منه؛ لأن فيه نعيمَه، وبه تطيب حياته، وإنما يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب، فإن السالك غرضُ الآفات والفتور"[٢].

وقال بعض السلف رحمه الله: "كابدت[٣] الصلاة عشرين سنة، وتنعمت بها عشرين سنة"[٤].

وهذه بعض الأسباب المعينة على الخشوع في الصلاة، فجاهِد نفسك -أيها الداعي- على القيام بها، وحاسب نفسَك عليها، فإن المكابدةَ في ذلك من أعظم أسباب التلذُّذ بالصلاة التي تصلح القلب.

أولًا: أسباب الخشوع في الصلاة:

ولما كان الخشوع في الصلاة مطلبًا عظيمًا وعملًا قلبيًّا له أثره المبارك على صلاة العبد، فقد اقتضى ذلك أن يبذل المسلم أسباب الحصول عليه، وأن يجتهد في السير في الطريق الموصل إليه، وبما أن الكلام عن الداعية الحيّ الذي يريد حياة قلبه، فلا بد أن يجتهد حتى تكونَ صلاته حيةً بالخشوع؛ ليذوق حلاوة الصلاةِ ولذتَها في قلبه، ومن ثَمَّ يدعو الناس إلى ذلك، وهذه بعض الأسباب الموصلة إلى الخشوع والمعينة عليه:

---

(١) يقصد حديث: «وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ» الذي سبق تخريجه قريبًا.

(٢) فتح الباري (١١/ ٣٤٥).

(٣) والمكابدة من كابد الأمر إذا قاساه بمشقة. ينظر: الصحاح (٢/ ٥٣٠)، مقاييس اللغة (٥/ ١٥٣)، لسان العرب (٣/ ٣٧٦) مادة (كبد). أي: بمعنى: جاهد نفسه على بذل أسباب الخشوع فيها.

(٤) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (٢/ ٣٢١)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٤) عن ثابت البناني.

١- الإخلاص لله تعالى في هذه العبادة.

وسيأتي الكلام على الإخلاص[(١)(٢)].

٢- المتابعة للنبي ﷺ في هذه العبادة، وإقامتها على السنة، حيث يقول ﷺ من حديث مالك بن الحويرث رضي الله عنه: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»[(٣)].

فإن من أسباب الخشوع إقامة العبد للصلاة كما أمر الله؛ مخلصًا له فيها، متبعًا لهدي النبي ﷺ في صفتها كما أمر.

٣- الشعور في قلبه بحاجته الماسة لعبادة الخشوع، مع شعوره بالخلل الكبير الحاصل منه في هذه العبادة في صلاته، وهذا الأمر إذا وجد في القلب حرك العبد إلى بذل الأسباب في الحصول على الخشوع.

٤- الدعاء:

من الأسباب العظيمة الجالبة للخشوع، وسيأتي الحديث عنه[(٤)].

٥- دفع كيد الشيطان الذي يسعى لإشغال المسلم في صلاته حتى يفقد حضور قلبه في عبادته، فيذهب منه الخشوع، وهذه بعض الوسائل المعينة على دفع كيد الشيطان:

الاستعاذة منه في موطنين:

أولًا: خارج الصلاة؛ وذلك بقول الأذكار والأوراد المشروعة لدفع كيده، ومنها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ

---

(١) ينظر: ص (٢٠٤).

(٢) ينظر: ص (٤٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الناس والبهائم (٨/ ٩) ح (٦٠٠٨).

(٤) ينظر: ص (١٧٧).

شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فِي يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ، كَانَتْ لَهُ عَدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ، وَمُحِيَتْ عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ الشَّيْطَانِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يُمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلَ مِمَّا جَاءَ إِلَّا رَجُلٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْهُ»(١).

والذكر عمومًا من أقوى الحروز من كيد الشيطان، وسيأتي الحديث عنه(٢).

ذكر الخروج من المنزل:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ -يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ-: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ»(٣).

ذكر دخول المسجد:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ، وَبِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، وَسُلْطَانِهِ الْقَدِيمِ، مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ»... قَالَ: «فَإِذَا قَالَ ذَلِكَ، قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّي سَائِرَ الْيَوْمِ»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة إبليس وجنوده واللفظ له (٤/ ١٢٦) ح (٣٢٩٣)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء (٤/ ٢٠٧١) ح (٢٦٩١).

(٢) ينظر: ص (١٩١).

(٣) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول إذا خرج من بيته (٤/ ٣٢٥) ح (٥٠٩٥)، وأخرجه الترمذي في أبواب الدعوات، باب ما يقول إذا خرج من بيته، واللفظ له (٥/ ٤٩٠) (٣٤٢٦)، وقال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٦٥) (١٦٠٥)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٧/ ٤٢٥) ح (٥٠٩٥): "حديث حسن بشواهده".

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب فيما يقوله الرجل عند دخول المسجد (١/ ١٢٧) ح (٤٦٦)، وقال النووي في الأذكار (٨٥) ح (٧٠): "حديث حسن، رواه أبو داود بإسناد جيد" ت: مستو، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤١٠هـ، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٦٥) ح (١٦٠٦).

ثانيًا: الاستعاذة منه في داخل الصلاة في موضعين:

الأول: قبل قراءة الفاتحة في الصلاة، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [النحل: ٩٨].

والثاني: إذا أتاه الشيطان في صلاته يستعيذ بالله ويتفل عن يساره ثلاثًا:

عن عُثْمَانَ بْنَ أَبِي الْعَاصِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ حَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ صَلَاتِي، وَقِرَاءَتِي يَلْبِسُهَا عَلَيَّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ يُقَالُ لَهُ: خنزَبٌ، فَإِذَا أَحْسَسْتَهُ فَتَعَوَّذْ بِاللهِ مِنْهُ، وَاتْفِلْ عَلَى يَسَارِكَ ثَلَاثًا»، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ فَأَذْهَبَهُ اللهُ عَنِّي(١).

٦- التبكير إلى الصلاة والمسارعة إلى ذلك:

من أسباب الخشوع التبكير إلى الصلاة، وذلك حينما يبكر العبد إلى صلاته، فيتمكن من إقبال قلبه على صلاته، وصفاء القلب من شواغل الدنيا، والتقرب إلى الله بالأعمال الصالحة بين الأذان والإقامة، كل ذلك مما يعين على الخشوع وحضور القلب، ولهذا جاء الحث على التبكير فقال ﷺ: «وَلَوْ يَعْلَمُونَ مَا فِي التَّهْجِيرِ لَاسْتَبَقُوا إِلَيْهِ»(٢).

قال النووي رحمه الله: "التهجير التبكير إلى الصلاة، أي صلاة كانت"(٣).

قال ابن رجب رحمه الله: "وقد ندب النبي ﷺ إلى التهجير إلى الصلاة، وهو القصد إلى المساجد في الهجير، إما قبل الأذان أو بعده.. وقد كان كثير من السلف

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب التعوذ من شيطان الوسوسة في الصلاة (٤/ ١٧٢٨) ح (٢٢٠٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب الاستهام في الأذان (١/ ١٢٦) ح (٦١٥)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها (١/ ٣٢٥) ح (٤٣٧).

(٣) شرح النووي على مسلم (٤/ ١٥٨).

يأتي المسجد قبل الأذان، منهم: سعيد بن المسيب، وكان الإمام أحمد يفعله في صلاة الفجر.. وقال بعض السلف في قول الله تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ﴾ [الواقعة: ١٠]: إنهم أول الناس خروجًا إلى المسجد، وإلى الجهاد"(١).

٧- ويشعر بعظمة الموقف بين يدي الله في الصلاة، وأن الله مطلع عليه يعلم ما في قلبه، ويسمعه ويراه:

ويحدث هذا المعنى العظيم إذا استشعر القلب معاني الأسماء والصفات، وبالأخص أسماء الله وصفاته: العليم السميع البصير، وحصل في قلبه بأن الله مطلع عليه، لا تخفى منه خافية، يعلم ما في قلبه، ويستحضر في موقفه في صلاته سمع الله له وبصره، فيقف بين يديه وكأنه يرى الله أمامه، فإن لم يكن يراه فإن الله يراه.

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥١].

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [التغابن: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨].

---

(١) فتح الباري لابن رجب (٥/ ٣٥٢) ت: مجموعة من المحققين، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ، وينظر: تفسير ابن جرير (٢٢/ ٢٩٠).

وقال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [فصلت: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٦١].

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وما ورد في هذا المعنى من الآيات كثير في كتاب الله، فحين يستحضر المصلي معاني هذه الآيات، فإنه يشعر بعظمة الموقف بين يدي ربه سبحانه وتعالى العالم بسره ونجواه، والمطلع على ما تخفيه الصدور، والذي أحاط علمًا بكل شيء، الذي يسمعه ويراه، فحضور هذه المعاني العظيمة يحدث في القلب الخشوع في الصلاة والإقبال عليها بوجهه وقلبه، فيخرج إلى الصلاة وهو يستحضر في قلبه هذه المعاني، ويجاهد نفسه على هذا، حتى وهو يمشي إلى الصلاة لا بد أن يلتزم أدب المشي إلى الصلاة، الذي سأشير إليه في الفقرة التالية، وذلك لأنه في مشيه إلى الصلاة فهو في صلاة كما ورد في الحديث يقول ﷺ: «فَإِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ يَعْمِدُ إِلَى الصَّلَاةِ فَهُوَ فِي صَلَاةٍ» الحديث[١].

٨- المشي إلى الصلاة بسكينة ووقار:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ، وَأْتُوهَا تَمْشُونَ، عَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيًا (١/ ٤٢١) ح (٦٠٢).

فَأَتِمُّوا»[١]. وفي الرواية الأخرى يقول المصطفى ﷺ: «وَلَكِنْ لِيَمْشِ وَعَلَيْهِ السَّكِينَةُ وَالْوَقَارُ» الحديث[٢].

وفي معنى السَّكِينَة وَالْوَقَار قال النووي رحمه الله: "قيل: هما بمعنى[٣]، وجمع بينهما تأكيدًا، والظاهر أن بينهما فرقًا، وأن السكينة التأني في الحركات، واجتناب العبث، ونحو ذلك، والوقار في الهيئة، وغض البصر، وخفض الصوت، والإقبال على طريقه بغير التفات، ونحو ذلك والله أعلم"[٤].

٩- إسباغ الوضوء مع الإقبال على الله بقلبه ووجهه في صلاته:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: كَانَتْ عَلَيْنَا رِعَايَةُ الْإِبِلِ، فَجَاءَتْ نَوْبَتِي فَرَوَّحْتُهَا بِعَشِيٍّ، فَأَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَائِمًا يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَأَدْرَكْتُ مِنْ قَوْلِهِ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُحْسِنُ وُضُوءَهُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، مُقْبِلٌ عَلَيْهِمَا بِقَلْبِهِ وَوَجْهِهِ، إِلَّا وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»[٥].

وفي قوله ﷺ: «مقبل عليهما بقلبه ووجهه» قد جمع ﷺ في هاتين اللفظتين أنواع الخشوع والخضوع لله تعالى في الصلاة؛ لأن الخشوع في القلب والخضوع في الأعضاء[٦].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب المشي إلى الجمعة (٢/ ٧) ح (٩٠٨)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة (١/ ٤٢٠) ح (٦٠٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب استحباب إتيان الصلاة بوقار وسكينة، والنهي عن إتيانها سعيًا (١/ ٤٢١) ح (٦٠٢).

(٣) أي: بمعنى واحد.

(٤) شرح النووي على مسلم (٥/ ١٠٠).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب الذكر المستحب عقب الوضوء (١/ ٢٠٩) ح (٢٣٤).

(٦) ينظر: شرح النووي على مسلم (٣/ ١٢١).

١٠- أن يكون حاضر القلب يعلم ما يقوله في صلاته:

عن عقبة بن عامر يَقُولُ ﷺ: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَتَوَضَّأُ فَيُسْبِغُ[١] الْوُضُوءَ، ثُمَّ يَقُومُ فِي صَلَاتِهِ فَيَعْلَمُ مَا يَقُولُ إِلَّا انْفَتَلَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ مِنَ الْخَطَايَا لَيْسَ عَلَيْهِ ذَنْبٌ»[٢].

أي: يعلم ما يقوله في صلاته، ويدرك بقلب حاضر معاني الآيات التي يقرؤها أو يسمعها من الإمام ويتدبرها، ويدرك معاني ما يقوله ويردده من أذكار في صلاته: الله أكبر، وفي الركوع: سبحان ربي العظيم، وفي السجود: سبحان ربي الأعلى، وما يقوله بين السجدتين، وفي جلسة التشهد، وهكذا في سائر صلاته.

١١- أن يفرغ قلبه لله في صلاته:

ومن حديث عَمْرِو بْن عَبَسَةَ السُّلَمِيّ في فضل الوضوء قال في آخره عن النبي ﷺ: «فَإِنْ هُوَ قَامَ فَصَلَّى، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَمَجَّدَهُ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، وَفَرَّغَ قَلْبَهُ لِلَّهِ، إِلَّا انْصَرَفَ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[٣].

وقوله ﷺ: «وفرغ قلبه لله» أي: جعله حاضرًا لله، وفرغه من الأشغال الدنيوية[٤].

---

(١) وإسباغ الوضوء: إتمامه وأكماله بغسل العضو الذي يغسل ثلاثًا، وقال ابن عبد البر رحمه الله في معنى الإسباغ: "الإكمال والإتمام من ذلك قول الله ﷻ: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ﴾ [لقمان: ٢٠]، يعني: أتمها عليكم وأكملها، وإسباغ الوضوء أن يأتي بالماء على كل عضو يلزمه غسله مع إمرار اليد، فإذا فعل ذلك مرة وأكمل فقد توضأ مرة".

ينظر: الاستذكار (٢/ ٣٠٢) لابن عبد البر، ت: سالم مُحَمَّد عطا، مُحَمَّد علي معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.

(٢) أخرجه الحاكم في كتاب التفسير، باب تفسير سورة النور (٢/ ٤٣٢) ح (٣٥٠٨)، وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٩٥) ح (١٩٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب إسلام عمرو بن عبسة (١/ ٥٧٠) ح (٨٣٢).

(٤) ينظر: مرعاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٣/ ٤٦١)، المفاتيح في شرح المصابيح (٢/ ٢١٢).

وهذا هو الخشوع أي: حضور القلب بين يدي الله في الصلاة.

قال ابن كثير رحمه الله: "والخشوع في الصلاة إنما يحصل بمن فرغ قلبه لها، واشتغل بها عما عداها، وآثرها على غيرها، وحينئذ تكون راحة له وقرة عين"(١).

١٢- إسباغ الوضوء وعدم تحديث النفس بأمور الدنيا في الصلاة:

عَنْ حُمْرَانَ مَوْلَى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ أَنَّهُ رَأَى عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ دَعَا بِوَضُوءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ مِنْ إِنَائِهِ، فَغَسَلَهُمَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الوَضُوءِ، ثُمَّ تَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ وَاسْتَنْثَرَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثًا وَيَدَيْهِ إِلَى المِرْفَقَيْنِ ثَلاَثًا، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ كُلَّ رِجْلٍ ثَلاَثًا، ثُمَّ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَتَوَضَّأُ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، وَقَالَ: «مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هَذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ، غَفَرَ اللَّهُ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ»(٢).

١٣- ويشعر بقلبه عند تكبيرة الإحرام وفي بقية صلاته بأنه يناجي ربه، وأن الله قد نصب وجهه الكريم ﷻ لوجه المصلي، فلا ينبغي له أن يلتفت عن ربه بلقبه ووجهه:

وبوّب ابن خزيمة فقال رحمه الله: "باب الأمر بالخشوع في الصلاة، إذ المصلي يناجي ربه، والمناجي ربه يجب عليه أن يفرغ قلبه لمناجاة خالقه ﷿، ولا يشغل قلبه التعلق بشيء من أمور الدنيا يشغله عن مناجاة خالقه"(٣).

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٦١-٤٦٢).

ونقل شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٧/ ٢٨) عن مجاهد رحمه الله قوله في معنى الآية: ﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٢]: "غض البصر وخفض الجناح، وكان الرجل من العلماء إذا قام إلى الصلاة يهاب الرحمن أن يشذ بصره، أو أن يحدّث نفسه بشيء من أمر الدنيا".

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب المضمضة في الوضوء (١/ ٤٤) ح (١٦٤)، ومسلم في كتاب الطهارة، باب صفة الوضوء وكماله (١/ ٢٠٤) ح (٢٢٦).

(٣) صحيح ابن خزيمة (١/ ٢٧٠).

ومن الأحاديث في ذلك:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَى نُخَامَةً فِي القِبْلَةِ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى رُئِيَ فِي وَجْهِهِ، فَقَامَ فَحَكَّهُ بِيَدِهِ، فَقَالَ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ فِي صَلاَتِهِ فَإِنَّهُ يُنَاجِي رَبَّهُ» الحديث[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ نَادَى رَجُلًا كَانَ فِي آخِرِ الصُّفُوفِ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ؟! أَلَا تَنْظُرُ كَيْفَ تُصَلِّي؟! إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنَّمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ، إِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي لَا أَرَاكُمْ، إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ»[٢].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى بُصَاقًا فِي جِدَارِ القِبْلَةِ، فَحَكَّهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: «إِذَا كَانَ أَحَدُكُمْ يُصَلِّي، فَلاَ يَبْصُقُ قِبَلَ وَجْهِهِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ قِبَلَ وَجْهِهِ إِذَا صَلَّى»[٣].

ومن حديث الحارث الأشعري ﷺ قال ﷺ: «فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَا لَمْ يَلْتَفِتْ» الحديث[٤].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد (١/ ٩٠) ح (٤٠٥)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها (١/ ٣٩٠) ح (٥٥١).

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه كتاب الصلاة، باب الأمر بالخشوع في الصلاة (١/ ٢٧١) ح (٤٧٤)، والحاكم في المستدرك في كتاب الطهارة (١/ ٣٦١) ح (٨٦١) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٥٣) ح (٥٤١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الصلاة، باب حك البزاق باليد من المسجد (١/ ٩٠) ح (٤٠٦)، ومسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن البصاق في المسجد في الصلاة وغيرها (١/ ٣٨٨) ح (٥٤٧).

(٤) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٤٠٥) ح (١٧١٧٠)، والترمذي واللفظ له في أبواب الأمثال، باب ما جاء في مثل الصلاة والصيام والصدقة (٥/ ١٤٨) ح (٢٨٦٣) وقال: "حسن صحيح غريب"، وابن =

وقال ابن رجب معلقًا على هذه الأحاديث: "وكأن مقصود النبي ﷺ بذكر هذا: أن يستشعر المصلي في صلاته قرب الله منه، وأنه بمرأى منه ومسمع، وأنه مناج له، وأنه يسمع كلامه ويرد عليه جواب مناجاته له، كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: «فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي»[(١)] وذكر رده عليه في آيات الفاتحة إلى آخرها.

فمن استشعر هذا في صلاته أوجب له ذلك حضور قلبه بين يدي ربه، وخشوعه له، وتأدبه في وقوفه بين يديه، فلا يلتفت إلى غيره بقلبه ولا ببدنه، ولا يعبث وهو واقف بين يديه، ولا يبصق أمامه، فيصير في عبادته في مقام الإحسان، يعبد الله كأنه يراه"[(٢)].

١٤- ويشعر في قلبه بأن الله يخاطبه في صلاته عند قراءته لسورة الفاتحة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ» ثَلَاثًا غَيْرُ تَمَامٍ. فَقِيلَ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: إِنَّا نَكُونُ وَرَاءَ الْإِمَامِ؟ فَقَالَ: اقْرَأْ بِهَا فِي نَفْسِكَ؛ فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ

خزيمة في صحيحه في كتاب الصوم، باب ذكر تمثيل الصائم في طيب ريحه بطيب ريح المسك إذ هو أطيب الطيب (٢/ ٩١٤) ح (١٨٩٥)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٥٨) ح (٥٥٢)، وقال محقق المسند شعيب الأرناؤوط (٢٨/ ٤٠٦) ح (٥٥٢) "حديث صحيح".

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (١/ ٢٩٦) ح (٣٩٥)، وسيأتي الحديث بطوله في الفقرة الآتية.

(٢) فتح الباري لابن رجب (٣/ ١١٠-١١١).

ٱلدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]، قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي -وَقَالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي-، فَإِذَا قَالَ: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»(١).

فينبغي على المسلم أن يستعشر عظمة هذا الدعاء الذي يردده في كل يوم فقط في الفرائض سبع عشرة مرة، وهذا يشعر بعظيم أهمية الدعاء في حياة المسلم؛ بل هو من أعظم ما يدعو به في نهاره وليلته؛ لأن هذا الدعاء يتضمن سؤال الله الهداية إلى الصراط المستقيم، وكذلك سؤاله الثبات على الهداية إلى أن يلقى ربه، ويختم له بالحسنى.

ولهذا لا يحسن للداعية بالأخص أن يغفل عن ذلك لكثرة تكراره لهذا الدعاء، بل ينبغي أن يكون حاضر القلب، يجاهد نفسه على ذلك؛ ليتحقق أثر هذا الدعاء العظيم عليه ثباتًا على الحق، وصبرًا على ما يلقاه في طريق دعوته.

١٥- الطمأنينة في جميع الأركان والواجبات، وبالأخص إتمام الركوع والسجود:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ المسْجِدَ، فَدَخَلَ رَجُلٌ، فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْهِ السَّلَامَ، فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ»، فَصَلَّى، ثُمَّ جَاءَ، فَسَلَّمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «ارْجِعْ فَصَلِّ، فَإِنَّكَ لَمْ تُصَلِّ» ثَلَاثًا، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، فَمَا أُحْسِنُ غَيْرَهُ، فَعَلِّمْنِي، قَالَ: «إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثُمَّ اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ القُرْآنِ، ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَعْتَدِلَ قَائِمًا، ثُمَّ اسْجُدْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ ارْفَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ جَالِسًا، ثُمَّ اسْجُدْ

(١) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (١/ ٢٩٦) ح (٣٩٥).

حَتَّى تَطْمَئِنَّ سَاجِدًا، ثُمَّ افْعَلْ ذَلِكَ فِي صَلاَتِكَ كُلِّهَا»[(١)].

١٦- ويدرك بقلبه عظمة السجود بين يدي الله تعالى، وأنه من أعظم مقامات الصلاة، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد:

قال تعالى: ﴿وَٱسۡجُدۡۤ وَٱقۡتَرِب﴾ [العلق: ١٩].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»[(٢)].

وقال ﷺ: «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظِّمُوا فِيهِ الرَّبَّ ﷻ، وَأَمَّا السُّجُودُ فَاجْتَهِدُوا فِي الدُّعَاءِ، فَقَمِنٌ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»[(٣)].

ثانيًا: أثر الصلاة الخاشعة على القلب:

١- راحة القلب.

٢- نفور القلب من الفحشاء والمنكر.

٣- الاستقرار وطمأنينة القلب.

٤- تطهير القلب من الأمراض والآفات.

المطلب الثاني: الزكاة وأثرها على القلب:

إن لهذه الفريضة أثرًا على صلاح القلب، إذا قام بها العبد وفق أمر الله مخلصًا فيها لله رب العالمين، وتحققت شروط وجوبها.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب أمر النبي ﷺ الذي لا يتم ركوعه بالإعادة (١/ ١٥٨) ح (٧٩٣)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، (١/ ٢٩٨) ح (٣٩٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (١/ ٣٥٠) ح (٤٨٢).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب النهي عن قراءة القرآن في الركوع والسجود (١/ ٣٤٨) ح (٤٧٩).

أولًا: مكانة الزكاة:

مما يدل على مكانة الزكاة وأثرها الكبير أن القرآن الكريم قرن بينها وبين الصلاة في آيات كثيرة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٣].

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَنَهَوۡاْ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ﴾ [الحج: ٤١].

وقال تعالى: ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [النور: ٣٧].

ثانيًا: أثر الزكاة على القلب:

١- تطهير القلب من الشح والبخل.

٢- انشراح النفس وسعادة القلب.

المطلب الثالث: الصيام وأثره على القلب:

الصيام عبادة عظيمة لها أثر كبير على حياة المسلم، ولذا افترضه الله على هذه الأمة لتحقيق هدف عظيم، وهو التقوى، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ

عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴾ [البقرة: ١٨٣].

ومن فضائل الصوم:

ما ورد عن أَبَي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ عز وجل: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلَا يَرْفُثْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، وَلِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ بِفِطْرِهِ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ»(١).

وعَنْ سَهْلٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الجَنَّةِ بَابًا يُقَالُ لَهُ: الرَّيَّانُ، يَدْخُلُ مِنْهُ الصَّائِمُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، يُقَالُ: أَيْنَ الصَّائِمُونَ؟ فَيَقُومُونَ، لاَ يَدْخُلُ مِنْهُ أَحَدٌ غَيْرُهُمْ، فَإِذَا دَخَلُوا أُغْلِقَ فَلَمْ يَدْخُلْ مِنْهُ أَحَدٌ»(٢).

والأدلة على فضل الصوم كثيرة.

أما آثاره على القلب، فمنها ما يلي على سبيل الإجمال:

١- حصول التقوى.

٢- الإخلاص.

٣- حصول الصبر.

٤- مراقبة الله.

(١) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم (٣/ ٢٦) ح (١٩٠٤)، ومسلم في كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٢/ ٨٠٧) ح (١١٥١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الصوم، باب الريان للصائمين (٣/ ٢٥) ح (١٨٩٦)، ومسلم في كتاب الصيام، باب فضل الصيام (٢/ ٨٠٨) ح (١١٥٢).

٥- الورع.

٦- مجاهدة النفس.

٧- الرحمة والشفقة على الفقراء.

المطلب الرابع: الحج وأثره على القلب:

الحج مدرسة تربوية عظيمة، تجمع بين العبادة البدنية والمالية، ولها أثر كبير على صلاح القلب.

فضل الحج:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ حَجَّ لِلَّهِ فَلَمْ يَرْفُثْ، وَلَمْ يَفْسُقْ، رَجَعَ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ»[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «العُمْرَةُ إِلَى العُمْرَةِ كَفَّارَةٌ لِمَا بَيْنَهُمَا، وَالحَجُّ المَبْرُورُ لَيْسَ لَهُ جَزَاءٌ إِلَّا الجَنَّةُ»[٢].

والأحاديث في فضله كثيرة.

أما أثره على القلب فأثره عظيم، ومن ذلك:

١- أنه يثمر الصبر.

٢- تعظيم شعائر الله التي تثمر تقوى القلوب.

٣- تحقيق التوحيد في القلب وتطهيره من الشرك.

٤- أنه يثمر محبة الله والخوف والرجاء.

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الحج، باب فضل الحج المبرور (٢/ ١٣٣) ح (١٥٢١)، ومسلم في كتاب الحج، باب فضل الحج والعمرة ويوم عرفة (٢/ ٩٨٣) ح (١٣٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الحج، باب وجوب العمرة وفضلها (٣/ ٢) ح (١٧٧٣)، ومسلم في كتاب الحج، باب في فضل الحج والعمرة، ويوم عرفة (٢/ ٩٨٣) ح (١٣٤٩).

المطلب الخامس: الدعاء وأثره على القلب:

ومما يدل على المكانة العظيمة للدعاء قول النبي ﷺ: «الدُّعَاءُ هُوَ العِبَادَةُ»(١).

وأفاد الملا على القاري رحمه الله في شرحه لهذا الحديث بأن الدعاء: "هو العبادة الحقيقية التي تستأهل أن تسمى عبادة لدلالته على الإقبال على الله، والإعراض عما سواه، بحيث لا يرجو ولا يخاف إلا إياه، قائمًا بوجوب العبودية، معترفًا بحق الربوبية، عالما بنعمة الإيجاد، طالبًا لمدد الإمداد على وفق المراد وتوفيق الإسعاد"(٢).

فضل الدعاء:

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَيس شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الدُّعَاءِ»(٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٣٠/ ٣٤٠) ح (١٨٣٩١)، وأبو داود في باب تفريع أبواب الوتر، باب الدعاء (٢/ ٧٦) ح (١٤٧٩)، والترمذي في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة المؤمن (٥/ ٣٧٥) ح (٣٢٤٧) وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء (٢/ ١٢٥٨) ح (٣٨٢٨)، والحاكم في المستدرك في كتاب الدعاء والتكبير والتهليل.. (١/ ٦٦٧) ح (١٨٠٢) وصححه، وأقره الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٦٤١) ح (٣٤٠٧)، وقال محقق المسند (٣٠/ ٣٤٠) ح (١٨٣٩١): "إسناده صحيح".

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح (٤/ ١٥٢٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١٤/ ٣٦٠) ح (٨٧٤٨)، والترمذي في أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء (٥/ ٤٥٥) ح (٣٣٧٠) وقال: «هَذَا حَدِيثٌ غَرِيبٌ، لَا نَعْرِفُهُ مَرْفُوعًا إِلَّا مِنْ حَدِيثِ عِمْرَانَ القَطَّانِ.."، وابن ماجه في كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء (٢/ ١٢٥٨) ح (٣٨٢٩)، وحسن إسناده =

وكان من أكثر أدعية النبي ﷺ كما يقول أنس ﷺ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، قَالَ: فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟! قَالَ: فَقَالَ: «نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ ﷻ يُقَلِّبُهَا».

أما أثر الدعاء على صلاح القلب فأثره عظيم، ومن ذلك:

١- الشعور بمعية الله له وقربه منه.

٢- قوة القلب وثباته وشجاعته.

٣- صلاح القلب وثباته على الحق.

المطلب السادس: التقرب إلى الله بالنوافل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» الحديث.

وإذا تقرب المسلم إلى الله بالنوافل بعد الفرائض أصلح الله له قلبه، ومن ثم صلحت جوارحه وانقادت لأمر الله، ودونك طرفًا من هذه النوافل:

الفرع الأول: طلب العلم النافع:

= الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٥١) ح (٥٣٩٢)، وكذلك شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ٦) ح (٣٨٢٩).

العلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ هو العلم الشرعي النافع الذي يحيي الله به القلوب كما تحيا الأرض بوابل القطر، وفي المقابل الجهل بذلك تموت به القلوب، فإذا هي دار خراب، قد عششت فيها الشياطين، وتمكنت منها الفتن.

وقال ابن حجر رحمه الله في معنى العلم: "والمراد بالعلم العلم الشرعي الذي يفيد معرفة ما يجب على المكلف من أمر دينه في عباداته ومعاملاته، والعلم بالله وصفاته، وما يجب له من القيام بأمره، وتنزيهه عن النقائص، ومدار ذلك على التفسير والحديث والفقه"(١).

وذكر ابن القيم رحمه الله جهات تفضيل العلم على غيره، وأن الحاجة إليه أعظم من الحاجة إلى الطعام، بل فوق الحاجة إلى النَفَس، فقال: "إن فضيلة الشيء وشرفه يظهر تارة من عموم منفعته، وتارة من شدة الحاجة إليه وعدم الاستغناء عنه، وتارة من ظهور النقص والشر بفقده، وتارة من حصول اللذة والسرور والبهجة بوجوده لكونه محبوبًا ملائمًا، فإدراكه يعقب غاية اللذة، وتارة من كمال الثمرة المترتبة عليه وشرف علته الغائية وإفضائه إلى أجل المطالب، وهذه الوجوه ونحوها تنشأ وتظهر من متعلقه، فإذا كان في نفسه كمالًا وشرفًا بقطع النظر عن متعلقاته جمع جهات الشرف والفضل في نفسه ومتعلقاته، ومعلوم أن هذه الجهات بأسرها حاصلة للعلم، فإنه أعم شيء نفعًا، وأكثره وأدومه، والحاجة إليه فوق الحاجة إلى الغذاء، بل فوق الحاجة إلى التنفس؛ إذ غاية ما يتصور من فقدهما فقد حياة الجسم، وأما فقد العلم ففيه فقد حياة القلب والروح، فلا غنى للعبد عنه طرفة عين، ولهذا إذا فُقِدَ من الشخص كان شرًّا من الحمير، بل كان شرًّا من الدواب عند الله، ولا شيء أنقص منه حينئذ.

وأما حصول اللذة والبهجة بوجوده؛ فلأنه كمال في نفسه وهو ملائم غاية الملاءمة للنفوس؛ فإن الجهل مرض ونقص، وهو في غاية الإيذاء والإيلام للنفس، ومن

(١) فتح الباري (١/ ١٤١).

لم يشعر بهذه الملاءمة والمنافرة فهو لفقد حسه وموت نفسه"[١].

وذكر رحمه الله في المقابل أثر الجهل على قلب العبد وروحه، فقال: "فإن الجاهل ميت القلب والروح وإن كان حي البدن، فجسده قبر يمشي به على وجه الأرض، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿ å ã ç é è ê ë í ﴾ [يس: ٧٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ ۖ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢].

وشبههم في موت قلوبهم بأهل القبور، فإنهم قد ماتت أرواحهم، وصارت أجسامهم قبورًا لها، فكما أنه لا يسمع أصحاب القبور، كذلك لا يسمع هؤلاء، وإذا كانت الحياة هي الحس والحركة وملزومهما، فهذه القلوب لما لم تحس بالعلم والإيمان، ولم تتحرك له: كانت ميتة حقيقة، وليس هذا تشبيهًا لموتها بموت البدن، بل ذلك موت القلب والروح.

وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب الزهد من كلام لقمان، أنه قال لابنه: (يا بني، جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل القطر)[٢]"[٣].

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ٨٥).

(٢) أخرجه أحمد في الزهد (٨٩) رقم (٥٥٢) وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

(٣) مدارج السالكين (٣/ ٢٤٥-٢٤٦).

الفرع الثاني: قيام الليل:

ومن العبادات التي لها أثر كبير على صلاح القلب القيام بين يدي الله في الليل:

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿١٦﴾ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦، ١٧].

وقال تعالى عنهم: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨].

وقيام الليل من الأعمال التي تعين الداعية على القيام بدعوته خير قيام؛ ولهذا فرضه الله على رسوله وعلى الأمة في أول الأمر، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِّصْفَهُ أَوِ انقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ [المزمل: ١-٦]، ثم نسخت فرضيته عن الأمة بآخر سورة المزمل، وبقي مستحبًّا في حقِّها، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِّنَ الَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾ الآية [المزمل: ٢٠][(١)].

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَيْكُمْ بِقِيَامِ اللَّيْلِ؛ فَإِنَّهُ دَأَبُ الصَّالِحِينَ قَبْلَكُمْ، وَهُوَ قُرْبَةٌ إِلَى رَبِّكُمْ، وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئَاتِ، وَمَنْهَاةٌ لِلإِثْمِ»[(٢)].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٨/ ٢٥٩).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات، باب.. (٥/ ٥٥٣) ح (٣٥٤٩) من طريقين الأولى من حديث أبي إدريس عن بلال وقال: "ولا يصح من قبل إسناده"، وقال عن الطريق الثانية التي من حديث أبي

=

الفرع الثالث: تلاوة القرآن الكريم بالتدبر:

لتلاوة القرآن الكريم وتدبره أثر على صلاح القلب، وحياته، ونوره، وطمأنينته، وزيادة الإيمان فيه، وهو زاد للداعية يعينه على القيام بمهمته خير قيام، فيجد فيه سلوته في الاطلاع على سير الأنبياء، ويجد فيه أسباب سعادة الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨].

وذكر الله كما مر سابقًا[١] يقصد به ذكر العبد ربه، والقرآن الكريم تلاوة وتدبرًا، ولا شك أنه أعلى ما يُذكر الله به، وبه تطمئن القلوب، ويزول عنها الشك والريب.

قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ وَجَعَلۡنَا لَهُۥ نُورٗا يَمۡشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ لَيۡسَ بِخَارِجٖ مِّنۡهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

والقرآن العظيم أعظم نور يهتدي به المؤمن إلى الصراط المستقيم، ويثبت به عليه، وبه يسلم من الحيرة والشكوك وظلمات الجهل والهوى، وكلما فتح له في تدبره وجد أثر ذلك في قلبه ثباتًا وصدقًا، ووضوحًا في المنهج الحق، وذلك بعض بركة تدبره.

قال تعالى عن في وصف المؤمنين الذين أقبلوا بقلوبهم على تدبره: ﴿وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا﴾ [الأنفال: ٢].

= إدريس عن أبي أمامة: "وهذا أصح من حديث أبي إدريس عن بلال"، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه في كتاب الصلاة، باب التحريض على قيام الليل إذ هو دأب الصالحين.. (١/ ٥٦٣) ح (١١٣٥)، والحاكم في المستدرك من كتاب صلاة التطوع (١/ ٤٥١) ح (١١٥٦) وصححه وأقره الذهبي، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٣٨٧) ح (١٢٢٧).

(١) ينظر: ص (٨٩).

وقال تعالى في وصف القرآن الكريم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا﴾ [النساء: ١٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلۡنَٰهُ نُورٗا نَّهۡدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنۡ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [الشورى: ٥٢].

ولذا جاءت أكثر من آية تحث على تدبر القرآن الكريم ليجد المؤمن أثره عليه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وتدبر القرآن الكريم الذي هو الحكمة من نزوله يعني: التفكر في آياته، وفهمها والتأمل في معانيها[١] بتكرار ذلك، وإقامة حروفه وحدوده بالعمل به[٢]، واستحضار عظمة قائله، وتدبره هو الذي يثمر في القلب ثمرته، فينزل في القلب أثره، فينفع صاحبه، كما يقول ابن مسعود رضي الله عنه[٣].

إنه الكتاب العظيم الكريم الذي قال الله عنه: ﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠].

(١) ينظر: تفسير البغوي (٧/ ٨٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٦)، تفسير السعدي (٧١٢).

(٢) ونقل ابن كثير في تفسيره (٧/ ٦٤) عن ابن أبي حاتم عن الحسن البصري قوله: "والله، ما تَدَبَّره بحفظ حروفِهِ وإضاعةِ حدودِهِ، حتى إن أحدهم ليقول: قرأت القرآن كله ما يُرى له القرآن في خُلُق ولا عمل".

(٣) سيأتي ص (١٨٧).

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ﴾ أيها المرسل إليهم محمد بن عبد الله بن عبد المطلب ﴿كِتَابًا﴾ جليلًا وقرآنًا مبينًا، ﴿فِيهِ ذِكْرُكُمْ﴾ أي: شرفُكم وفخركم وارتفاعكم، إن تذكرتم به ما فيه من الأخبار الصادقة فاعتقدتموها، وامتثلتم ما فيه من الأوامر، واجتنبتم ما فيه من النواهي، ارتفع قدركم، وعظم أمركم، ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ما ينفعكم وما يضركم؟! كيف لا ترضون ولا تعملون على ما فيه ذكركم وشرفكم في الدنيا والآخرة؟! فلو كان لكم عقل لسلكتم هذا السبيل، فلما لم تسلكوه، وسلكتم غيره من الطرق التي فيها ضعتكم وخستكم في الدنيا والآخرة وشقاوتكم فيهما، علم أنه ليس لكم معقول صحيح، ولا رأي رجيح.

وهذه الآية مصداقها ما وقع، فإن المؤمنين بالرسول الذين تذكروا بالقرآن من الصحابة فمن بعدهم حصل لهم من الرفعة والعلو الباهر والصيت العظيم والشرف على الملوك ما هو أمر معلوم لكل أحد، كما أنه معلوم ما حصل لمن لم يرفع بهذا القرآن رأسًا، ولم يهتد به ويتزكَّ به من المقت والضعة والتدسية والشقاوة، فلا سبيل إلى سعادة الدنيا والآخرة إلا بالتذكر بهذا الكتاب، ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤]"[١].

وقال تعالى في بيان آثاره العظيمة: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم: ١، ٢].

---

(١) تفسير السعدي (٥١٩).

وقال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٩].

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ۚ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنزِيلًا ﴿١٠٦﴾ قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٦-١٠٩].

وقال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨].

فإذا تدبرنا القرآن نزل في القلوب فنفع، ونجا صاحبه من الفتن والمهالك، فليست العبرة بكثرة القراءة التي لا فقه معها، فإن الرسول ﷺ حذر أمته من أقوام يكثرون القراءة؛ ولكن القرآن لا ينزل إلى قلوبهم، فما انتفعوا به، بل سقطوا في الفتن، وكانوا لها حطبًا، وهم الذين عناهم بقوله ﷺ لعمر ﷺ: «دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَابًا يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ

صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ»(١).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «سَيَكُونُ فِي أُمَّتِي اخْتِلَافٌ وَفُرْقَةٌ، قَوْمٌ يُحْسِنُونَ الْقِيلَ وَيُسِيئُونَ الْفِعْلَ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ، لَا يَرْجِعُونَ حَتَّى يَرْتَدَّ عَلَى فُوقِهِ، هُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَالْخَلِيقَةِ، طُوبَى لِمَنْ قَتَلَهُمْ وَقَتَلُوهُ، يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ، مَنْ قَاتَلَهُمْ كَانَ أَوْلَى بِاللَّهِ مِنْهُمْ» الحديث(٢).

ومن حديث علي رضي الله عنه يقول: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»(٣).

إذن ليست العبرة بكثرة تلاوة القرآن بدون فهم وعمل به، بل العبرة والمطلوب هو العمل والتدبر الذي يجعل الآيات تنزل إلى القلب، فينتفع بها، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه لذلك الرجل الذي يقرأ المفصل في ركعة في بيان الخطأ الذي وقع فيه: "هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ(٤)! إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠٠) ح (٣٦١٠)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب ذكر الخوارج وصفاتهم (٢/ ٧٤٤) ح (١٠٦٤).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢١/ ٥١) ح (١٣٣٣٨)، وأبو داود في كتاب السنة، باب في قتال الخوارج (٤/ ٢٤٣) ح (٤٧٦٥)، والحاكم في المستدرك في كتاب قتال أهل البغي (٢/ ١٦٠) ح (٢٦٤٨) وصححه، ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٦٨٤) ح (٣٦٦٨).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم (٩/ ١٦) ح (٦٩٣٠)، ومسلم واللفظ له في كتاب الزكاة، باب التحريض على قتال الخوارج (٢/ ٧٤٦) ح (١٠٦٦).

(٤) والمراد بالهذ هنا: سرعة قراءة القرآن كما يسرع في قراءة الشعر، والهذُّ: السرعة.

=

الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ"[1].

إن الداعية إلى الله تعالى الموفق في دعوته يحرص على تلاوة القرآن الكريم وتدبره، ويجتهد في ذلك؛ لأنه يعلم يقينًا أن تلاوة القرآن وتدبره وفهمه على منهج السلف الصالح في العلم والعمل من أسباب الثبات على الحق والصبر على دعوة الناس إلى الله تعالى بحكمة وبصيرة، وأنه من أسباب صلاح القلب وسلامته من الآفات، وأن الانحراف والوقوع في طرق الضلال بسبب البعد عن ذلك.

الفرع الرابع: الإحسان إلى الناس بالإنفاق والخلق الحسن:

ومن الأعمال التي لها أثر في صلاح القلب: الإحسان إلى عباد الله ببذل ما تجود به النفس من المال والخلق الحسن.

والداعية الموفق له نصيب كبير من هذه العبادة العظيمة التي لها أكبر الأثر على المدعوين.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢٥٥) مادة (هذذ).

(١) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب ترتيل القراءة، واجتناب الهذ، وهو الإفراط في السرعة (١/ ٥٦٣) ح (٨٢٢).

أولًا: الحث على الإنفاق في وجوه البر:

جاءت النصوص في الحث على الإنفاق والبذل والجود، فقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٤].

وقال تعالى: ﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ، أَعْظَمُهَا أَجْرًا الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «قَالَ اللهُ عز وجل: أَنْفِقْ أُنْفِقْ عَلَيْكَ»، وَقَالَ: «يَدُ اللهِ مَلْأَى لاَ تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَّاءُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ»، وَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مُنْذُ خَلَقَ السَّمَاءَ وَالأَرْضَ؟! فَإِنَّهُ لَمْ يَغِضْ مَا فِي يَدِهِ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى المَاءِ، وَبِيَدِهِ المِيزَانُ يَخْفِضُ وَيَرْفَعُ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب فضل النفقة على العيال والمملوك، (٢/ ٦٩٢) ح (٩٩٥).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧] (٦/ ٧٣) ح (٤٦٨٤)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على النفقة وتبشير المنفق بالخلف (٢/ ٦٩٠) ح (٩٩٣).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا»(١).

ثانيًا: مكانة الخلق الحسن وأثره العظيم في صلاح القلب:

أما الإحسان إلى الناس بالتعامل معهم بالخلق الحسن فله أثر عظيم على صلاح القلب؛ لأنه من أعظم القربات إلى الله تعالى، ودونك طرفًا من الأحاديث في بيان مكانة الخلق الحسن:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «أَثْقَلُ شَيْءٍ فِي الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ خُلُقٌ حَسَنٌ»(٢).

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما: قال ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»(٣).

وفي رواية أخرى عن عَبْدِ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو رضي الله عنهما: قال النبي ﷺ: «إِنَّ خِيَارَكُمْ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلاَقًا»(٤).

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، بابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾ الآية [الليل: ٦] (٢/ ١١٥) ح (١٤٤٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب في المنفق والممسك (٢/ ٧٠٠) ح (١٠١٠).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤٥/ ٥٣٧) ح (٢٧٥٥٥)، وابن حبان في صحيحه في باب حسن الخلق، ذكر البيان بأن الخلق الحسن من أثقل ما يجد المرء في ميزانه يوم القيامة (٢/ ٢٣٠) ح (٤٨١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٨٩) ح (١٣٤)، وقال محقق المسند (٤٥/ ٥٣٧) ح (٢٧٥٥٥): "حديث صحيح".

(٣) أخرجه البخاري في كتاب اصحاب النبي ﷺ، باب مناقب عبد الله بن مسعود ﵁ (٥/ ٢٨) ح (٣٧٥٩).

(٤) أخرجه البخاري وهذا لفظه في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل (٨/ ١٤) ح (٦٠٣٥)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كثرة حيائه ﷺ (٤/ ١٨١٠) ح (٢٣٢١)

خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ»[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «تَقْوَى اللَّهِ وَحُسْنُ الخُلُقِ»، وَسُئِلَ عَنْ أَكْثَرِ مَا يُدْخِلُ النَّاسَ النَّارَ، فَقَالَ: «الفَمُ وَالفَرْجُ»[٢].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟»، فَسَكَتَ الْقَوْمُ، فَأَعَادَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، قَالَ الْقَوْمُ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «أَحْسَنُكُمْ خُلُقًا»[٣].

ومما يدل على مكانة حسن الخلق وأثره العظيم أنه سبب لدخول الجنة مع قلة النوافل، أو العقوبة بالنار لمن ساء خلقه مع كثرة نوافله، لكنها لا تنفعه، بسبب سوء خلقه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٤٢/ ٣٤٦) ح (٢٥٥٣٧)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في حسن الخلق (٤/ ٢٥٢) ح (٤٧٩٨)، وابن حبان في صحيحه في باب حسن الخلق، ذكر رجاء نوال المرء بحسن الخلق درجة القائم ليله الصائم نهاره (٢/ ٢٢٨) ح (٤٨٠)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٨) ح (٢٦٤٣)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٤٢/ ٣٤٦) ح (٢٥٥٣٧): "حديث صحيح لغيره".

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١٥/ ٤٧) ح (٩٠٩٦)، والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في حسن الخلق (٤/ ٣٦٣) ح (٢٠٠٤) وقال: "صحيح غريب"، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب ذكر الذنوب (٢/ ١٤١٨) ح (٤٢٤٦)، وابن حبان في صحيحه في باب حسن الخلق، ذكر البيان بأن من أكثر ما يدخل الناس الجنة التقى وحسن الخلق (٢/ ٢٢٤) ح (٤٧٦)، والحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق (٤/ ٣٦٠) ح (٧٩١٩) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣١٨) ح (١٧٢٣).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٣٤٧) ح (٦٧٣٥)، وابن حبان في صحيحه في باب حسن الخلق، ذكر البيان بأن من حسن خلقه كان في القيامة ممن قرب مجلسه من المصطفى ﷺ (٢/ ٢٣٥) ح (٤٨٥)، وقال في مجمع الزوائد في كتاب الأدب، باب ما جاء في حسن الخلق (٨/ ٢١) ح (١٢٦٦٦): "رواه أحمد بإسناد جيد"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٠) ح (٢٦٥٠).

وَصِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي النَّارِ»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذْكَرُ مِنْ قِلَّةِ صِيَامِهَا وَصَدَقَتِهَا وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»(١).

الفرع الخامس: الإكثار من ذكر الله:

من العبادات التي لها أثر في حياة القلب وطمأنينته الإكثار من ذكر الله تعالى.

قال ﷻ في وصف عباده: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَـٰذَا بَـٰطِلًا سُبْحَـٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وحث الله عباده على الإكثار من ذكره، فقال ﷻ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤١].

وأخبر ﷻ أنه يذكر من يذكره، ويكون معه في حال ذكره لربه، فقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٩/ ٣٣) ح (٩٦٧٤)، وابن حبان في صحيحه في باب الغيبة، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من ترك الوقيعة في المسلمين وإن كان تشميره في الطاعات كثيرًا (١٣/ ٧٦) ح (٥٧٦٤)، والحاكم في المستدرك في كتاب البر والصلة (٤/ ١٨٣) ح (٧٣٠٤) وصححه ووافقه الذهبي، ولفظه عند الحاكم: إِنَّ فُلَانَةَ تُصَلِّي اللَّيْلَ وَتَصُومُ النَّهَارَ وَفِي لِسَانِهَا شَيْءٌ يُؤْذِي جِيرَانَهَا سَلِيطَةٌ، قَالَ: «لَا خَيْرَ فِيهَا هِيَ فِي النَّارِ» وَقِيلَ لَهُ: إِنَّ فُلَانَةَ تُصَلِّي الْمَكْتُوبَةَ وَتَصُومُ رَمَضَانَ وَتَتَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ وَلَيْسَ لَهَا شَيْءٌ غَيْرُهُ وَلَا تُؤْذِي أَحَدًا، قَالَ: «هِيَ فِي الْجَنَّةِ»، وقال في مجمع الزوائد (٨/ ١٦٩): "رواه أحمد والبزار، ورجاله ثقات"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٨٢) ح (٢٥٦٠).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» الحديث[1].

ومن الأسباب التي تجعل الذكر سببًا لصلاح القلب:

١- الإخلاص لله في هذه العبادة.

٢- الحرص على حضور القلب عند قول الذكر.

٣- المواظبة والاستمرار.

٤- سؤال الله أن يعينه على هذه العبادة.

عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ، أَنَّ رَسُولَ ﷺ أَخَذَ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «يَا مُعَاذُ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللَّهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ»، فَقَالَ: «أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»[2].

٥- الحرص على المتابعة في هذه العبادة وذلك يتمثل فيما يلي:

- الحرص على الالتزام بوقت الذكر المحدد وعدده.
- الحرص على الالتزام بلفظ الذكر الذي ورد به الدليل.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨] (٩/ ١٢١) ح (٧٤٠٥)، ومسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب الحث على ذكر الله تعالى (٤/ ٢٠٦١) ح (٢٦٧٥).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٤٢٩) ح (٢٢١١٩)، وأبو داود في باب تفريع أبواب الوتر، باب في الاستغفار (٢/ ٨٦) ح (١٥٢٢)، والنسائي في كتاب السهو، نوع آخر من الدعاء (٣/ ٥٣) ح (١٣٠٣)، وابن خزيمة في صحيحه في كتاب الصلاة، باب الأمر بمسألة الرب ﷻ في دبر الصلوات، المعونة على ذكره وشكره وحسن عبادته (١/ ٣٩١) ح (٧٥١)، وابن حبان في صحيحه في فصل في القنوت، ذكر الاستحباب للمرء أن يستعين بالله جل وعلا على ذكره وشكره وحسن عبادته عقيب الصلوات المفروضات (٥/ ٣٦٤) ح (٢٠٢٠)، والحاكم في المستدرك في كتاب الطهارة (١/ ٤٠٧) ح (١٠١٠) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٥٩) ح (١٥٩٦)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على المسند (٣٦/ ٤٣٠) ح (٢٢١١٩).

● الحرص على الالتزام بطريقة أداء العبادة المشروعة كما صح بها الدليل.

وهكذا الداعية الموفق يحرص على هذا الزاد الإيماني العظيم؛ ليكون عونًا له في القيام بأعباء الدعوة وتكاليفها الشاقة، يقول ابن القيم رحمه الله عن فائدة الذكر: "إنه قوت القلب والروح، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

وحضرت شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إلي وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي، أو كلامًا قريبًا من هذا"[(١)].

الفرع السادس: كثرة الاستغفار والتوبة:

لا شك أن للذنوب والمعاصي أثرًا كبيرًا في إفساد القلب، وضررها عظيم عليه، "وأن ضررها في القلوب كضرر السموم في الأبدان، على اختلاف درجاتها في الضرر. وهل في الدنيا والآخرة شر وداء إلا وسببه الذنوب والمعاصي؟!"[(٢)].

وهذا الداء الخطير على القلوب قد جعل الله له علاجًا، وهو الاستغفار والتوبة.

قال تعالى في بيان أثر الاستغفار: ﴿فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا﴾ [نوح: ١٠-١٢].

وقال ﷻ في بيان ثمرات الاستغفار والتوبة: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ ۖ وَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾ [هود: ٣].

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (٤٢) لابن القيم، ت: سيد إبراهيم، دار الحديث القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.

(٢) الجواب الكافي (١/ ٩٨) لابن القيم، ت: محمد الإصلاحي، وخرج أحاديثه: زائد النشيري، دار عالم الفوائد مكة، ط١، ١٤٢٩هـ.

وقال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ وَلَا تَتَوَلَّوۡاْ مُجۡرِمِينَ﴾ [هود: ٥٢].

والذي يظهر من أقوال المفسرين في زيادة القوة أنها قوة حسية ومعنوية، يجدون أثرها في حياتهم[(١)].

ولا شك أن الداعية بحاجة ماسة لهذه القوة التي يعينه الله بها على النجاح في دعوته.

وجاء الأمر بالتوبة فقال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

وينظر الداعية إلى حال القدوة ﷺ، وهو الذي قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، ومع هذا يبذل جهدًا عظيمًا في كثرة الاستغفار والتوبة، وذلك ما يجعل الداعية يسابق وينافس في هذا المضمار لينال ثمرة ذلك في حياته ودعوته.

يقول أَبُو هُرَيْرَةَ ﵁: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً»[(٢)].

ويَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، تُوبُوا إِلَى اللهِ، وَاسْتَغْفِرُوهُ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَى اللهِ، وَأَسْتَغْفِرُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ مَرَّةٍ»[(٣)].

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (١٢/ ٤٤٥)، تفسير البغوي (٤/ ١٨٣)، تفسير ابن كثير (٤/ ٣٢٩)، فتح القدير للشوكاني (٢/ ٥٧٣)، تفسير السعدي (٣٨٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة (٨/ ٦٧) ح (٦٣٠٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٠/ ٢٢٦) ح (١٨٢٩٤)، والسنن الكبرى للنسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، كم يستغفر في اليوم ويتوب؟ (٩/ ١٦٨) ح (١٠٢٠٥)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٣/ ٤٣٥) ح (١٤٥٢)، وقال محقق المسند شعيب الأرناؤوط (٣٠/ ٢٢٦) ح (١٨٢٩٤): "حديث صحيح".

ومن رحمة الله بعباده أن فتح لهم باب التوبة، فعَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ اللهَ ﷻ يَبْسُطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ النَّهَارِ، وَيَبْسُطُ يَدَهُ بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مُسِيءُ اللَّيْلِ، حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا»[1].

بل الأمر أعظم من ذلك، فالله يفرح بتوبة عبده فرحًا عظيمًا قرّبه النبي ﷺ بمثال؛ ليظهر منه عظيم فرحة الرب ﷻ بتوبة عبده.

يَقُولُ ﷺ: «لَلَّهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ مِنْ رَجُلٍ فِي أَرْضٍ دَوِّيَّةٍ مَهْلِكَةٍ، مَعَهُ رَاحِلَتُهُ، عَلَيْهَا طَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَنَامَ فَاسْتَيْقَظَ وَقَدْ ذَهَبَتْ، فَطَلَبَهَا حَتَّى أَدْرَكَهُ الْعَطَشُ، ثُمَّ قَالَ: أَرْجِعُ إِلَى مَكَانِيَ الَّذِي كُنْتُ فِيهِ، فَأَنَامُ حَتَّى أَمُوتَ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى سَاعِدِهِ لِيَمُوتَ، فَاسْتَيْقَظَ وَعِنْدَهُ رَاحِلَتُهُ وَعَلَيْهَا زَادُهُ وَطَعَامُهُ وَشَرَابُهُ، فَاللهُ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ الْعَبْدِ الْمُؤْمِنِ مِنْ هَذَا بِرَاحِلَتِهِ وَزَادِهِ»[2].

وحتى يحصل من التوبة والاستغفار أثرهما على صلاح القلب فا بد من مراعاة أمور، وهي:

١- الندم على ما حصل من الذنب.

٢- العزم على عدم العودة للذنب.

٣- الإقلاع عن الذنب.

٤- وإذا كان الذنب في حقوق الآدميين، فلا بد من إرجاعها لهم أو طلب السماح[3].

٥- حضور القلب عند التوبة والاستغفار، فتكون التوبة والاستغفار باللسان والقلب،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت الذنوب والتوبة (٤/ ٢١١٣) ح (٢٧٥٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب الحض على التوبة والفرح بها (٤/ ٢١٠٣) ح (٢٧٤٤).

(٣) ينظر: رياض الصالحين (٣٣-٣٤) للنووي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ.

فيحدث أثر التوبة في القلب، وهذا الأثر يحدث -والله أعلم- مع كثرة الاستغفار والتوبة؛ لأنه مع التكرار يحضر القلب ويحدث الأثر فيه، ولذا جاءت النصوص بالإكثار من التوبة والاستغفار، كما سبق في الأحاديث من فعل النبي ﷺ وحثه لأمته.

٦- البحث عن جلساء صالحين يعينونه على الخير، والاستمرار على التوبة، كما في حديث قاتل المائة، فقد حثه العالم على الذهاب إلى قرية الصالحين حتى يجد من يعينونه على توبته[١].

الفرع السابع: المحاسبة، والمجاهدة:

من الأعمال التي لها أثر في صلاح القلب وثبات صاحبه إقباله على محاسبة نفسه، ومجاهدتها على الطاعات، ودونك طرفًا من خبر ذلك:

قال تعالى: ﴿وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ﴾ [الحشر: ١٨].

قال ابن كثير رحمه الله: "أي: حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وانظروا ماذا ادخرتم لأنفسكم من الأعمال الصالحة ليوم معادكم وعرضكم على ربكم"[٢].

---

(١) وقد دل على هذا حديث أبي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ رَجُلٌ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَسَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَاهِبٍ، فَأَتَاهُ فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: لَا، فَقَتَلَهُ، فَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً، ثُمَّ سَأَلَ عَنْ أَعْلَمِ أَهْلِ الْأَرْضِ فَدُلَّ عَلَى رَجُلٍ عَالِمٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ قَتَلَ مِائَةَ نَفْسٍ، فَهَلْ لَهُ مِنْ تَوْبَةٍ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، وَمَنْ يَحُولُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ التَّوْبَةِ؟ انْطَلِقْ إِلَى أَرْضِ كَذَا وَكَذَا، فَإِنَّ بِهَا أُنَاسًا يَعْبُدُونَ اللهَ فَاعْبُدِ اللهَ مَعَهُمْ، وَلَا تَرْجِعْ إِلَى أَرْضِكَ، فَإِنَّهَا أَرْضُ سَوْءٍ، فَانْطَلَقَ حَتَّى إِذَا نَصَفَ الطَّرِيقَ أَتَاهُ الْمَوْتُ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ، فَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ: جَاءَ تَائِبًا مُقْبِلًا بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ، وَقَالَتْ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ: إِنَّهُ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَأَتَاهُمْ مَلَكٌ فِي صُورَةِ آدَمِيٍّ، فَجَعَلُوهُ بَيْنَهُمْ، فَقَالَ: قِيسُوا مَا بَيْنَ الْأَرْضَيْنِ، فَإِلَى أَيَّتِهِمَا كَانَ أَدْنَى فَهُوَ لَهُ، فَقَاسُوهُ فَوَجَدُوهُ أَدْنَى إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي أَرَادَ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ».

أخرجه مسلم في كتاب التوبة، باب قبول توبة القاتل وإن كثر قتله (٤/ ٢١١٨) ح (٢٧٦٦).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٧).

ويقول السعدي رحمه الله: "وهذه الآية الكريمة أصل في محاسبة العبد نفسه، وأنه ينبغي له أن يتفقدها، فإن رأى زللًا تداركه بالإقلاع عنه، والتوبة النصوح، والإعراض عن الأسباب الموصلة إليه، وإن رأى نفسه مقصرًا في أمر من أوامر الله، بذل جهده واستعان بربه في تكميله وتتميمه، وإتقانه، ويقايس بين منن الله عليه وإحسانه وبين تقصيره، فإن ذلك يوجب له الحياء بلا محالة"[١].

وقال تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

قال قتادة[٢] رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿فُرُطًا﴾: "أضاع أكبر الضيعة، أضاع نفسه، [وغبن][٣] مع ذلك.. تجده حافظًا لماله، مضيعًا لدينه"[٤].

---

(١) تفسير السعدي (٨٥٣).

(٢) قتادة بن دعامة بن قتادة السَّدُوْسِيُّ، الأعمى حافظ العصر، قدوة المفسرين والمحدثين، وكان من أوعية العلم، ثقة ثبت، قال الذهبي عنه: "وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع، فإنه مدلس معروف بذلك، وكان يرى القدر -نسأل الله العفو-. ومع هذا، فما توقف أحد في صدقه، وعدالته، وحفظه، ولعل الله يعذر أمثاله ممن تلبس ببدعة يريد بها تعظيم الباري وتنزيهه، وبذل وسعه، والله حكم عدل لطيف بعباده، ولا يسأل عما يفعل، ثم إن الكبير من أئمة العلم إذا كثر صوابه، وعلم تحريه للحق، واتسع علمه، وظهر ذكاؤه، وعرف صلاحه وورعه واتباعه، يغفر له الزلل، ولا نضلله ونطرحه وننسى محاسنه. نعم، ولا نقتدي به في بدعته وخطئه، ونرجو له التوبة من ذلك". وتوفي رحمه الله سنة (١١٨هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٦٩)، البداية والنهاية (١٣/ ٧٦)، الأعلام (٥/ ١٨٩).

(٣) في الأصل: (وعسى)، وفي إغاثة اللهفان (١/ ١٣٢): (وغبن)، وهو الصحيح الذي يستقيم به المعنى، والله أعلم.

(٤) محاسبة النفس لابن أبي الدنيا (٢٥) مع بعض التصرف اليسير، والكتاب ت: المستعصم بالله أبي هريرة مصطفى بن علي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال: "حاسبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا، وزِنوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنه أهون عليكم في الحساب غدًا أن تحُاسِبوا أنفسَكم اليومَ، وَتَزَيّنوا للعرض الأكبر؛ يومئذٍ تُعرَضون لا تخفى منكم خافية"(١).

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

قال البغوي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ الذين جاهدوا المشركين لنصرة ديننا، ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ لنثبتنهم على ما قاتلوا عليه، وقيل: لنزيدنهم هدى كما قال: ﴿وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗىۗ﴾ [مريم: ٧٦]، وقيل: لنوفقنهم لإصابة الطريق المستقيمة، والطريق المستقيمة هي التي يوصل بها إلى رضا الله عز وجل. قال سفيان بن عيينة: إذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل الثغور، فإن الله قال: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾، وقيل: المجاهدة هي الصبر على الطاعات. قال الحسن: أفضل الجهاد مخالفة الهوى، وقال الفضيل بن

---

(١) الزهد لأحمد بن حنبل (٩٩) وضع حواشيه: محمد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ.

ونقل ابن أبي الدنيا عن الحسن البصري رحمه الله في محاسبة النفس (٢٥) قوله: "إن العبد لا يزال بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همته".

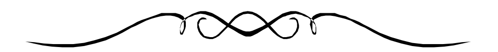
وفي كتاب محاسبة النفس (٦٠) أيضًا عن الحسن قال: "المؤمن قوام على نفسه، يحاسب نفسه لله عز وجل، وإنما خف الحساب يوم القيامة على قوم حاسبوا أنفسهم في الدنيا، وإنما شق الحساب يوم القيامة على قوم أخذوا هذا الأمر من غير محاسبة، إن المؤمن يفجؤه الشيء ويعجبه، فيقول: والله إني لأشتهيك وإنك لمن حاجتي، ولكن والله ما صلة إليك هيهات، حيل بيني وبينك. ويفرط منه الشيء فيرجع إلى نفسه فيقول: هيهات.. وما لي ولهذا؟! والله ما أعذر بهذا، والله لا أعود إلى هذا أبدًا إن شاء الله. إن المؤمنين قوم أوقفهم القرآن وحال بينهم وبين هلكتهم. إن المؤمن أسير في الدنيا يسعى في فكاك رقبته، لا يأمن شيئًا حتى يلقى الله، يعلم أنه مأخوذ عليه في سمعه، وفي بصره، وفي لسانه، وفي جوارحه، مأخوذ عليه في ذلك كله".

عياض: والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به، وقال سهل بن عبد الله: والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة.

وروي عن ابن عباس: والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا"[١].

وقال تعالى: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦].

ومن جاهد عدوه الكافر، ونفسه بالصبر على الطاعات، وجاهد هواه وشيطانه، فإنما تعود ثمرة تلك المجاهدة عليه[٢].



(١) تفسير البغوي (٦/ ٢٥٦).

(٢) ينظر: تفسير البغوي (٦/ ٢٣٣)، تفسير ابن كثير (٦/ ٢٦٤)، تفسير السعدي (٦٢٦).

الباب الثاني:

نماذج من أعمال القلوب المؤثرة على الداعية ودعوته،

مع ذكر أمثلة تطبيقية من حياة دعاة السلف

الفصل الأول: نماذج من أعمال القلوب التي لها أثر على الداعية ودعوته.

الفصل الثاني: أمثلة وتطبيقات على بعض دعاة علماء السلف وأثر عمل القلب عليهم وعلى دعوتهم.

الفصل الأول:
نماذج من أعمال القلوب التي لها أثر على الداعية ودعوته

الفصل الأول:
نماذج من أعمال القلوب التي لها أثر على الداعية ودعوته

توطئة:

لأعمال القلوب أثر عظيم على الداعية في نفسه وعلى دعوته، فإذا حقق أعمال القلوب وحرص على تفقدها في قلبه وحاسب نفسه عليها أثمر له ذلك توفيقًا وإعانة وسدادًا وبركة في علمه ودعوته، وظهر أثرها ولو بعد حين، وها هو شيخ الإسلام يموت مسجونًا وقد منع عنه قبل موته الأقلام والأوراق، وقد حورب علمه وكتبه، ثم ما الذي حدث بعد وفاته رحمه الله؟ فقد نشر الله علمه في الأرض، وسخر له من يهتم به، وينتفع به، ويحرص على نشره، وما ذاك إلا أثر وثمرة من صلاح النية، وما في القلوب مما يعلمه الله من الإخلاص والصدق والتقوى والخشية، وحب تعليم الناس الخير، وهذا ما أحسبه في هذا الإمام والله حسيبه.

وهذه كلمة فريدة من أحد تلاميذ[١] شيخ الإسلام ابن تيمية يرسلها إلى طلاب الشيخ، وهو يذكر لهم كتب الشيخ وعلمه، وينبهم على الاهتمام بها وجمعها، فيقول فيها: "ووالله -إن شاء الله- ليقيمن الله لنصر هذا الكلام ونشره وتدوينه وتفهمه واستخراج مقاصده واستحسان عجائبه وغرائبه رجالًا هم إلى الآن في أصلاب آبائهم..."[٢].

---

(١) هو الشيخ أحمد بن محمد بن مري الحنبلي كان في بداية أمره معرضًا عن ابن تيمية، ثم اجتمع به فأحبه وتتلمذ على يده، وأصبح من المدافعين عنه وعن عقيدة السلف.
ينظر: الدرر الكامنة (١/ ٣٥٨)، موسوعة مواقف السلف (٧/ ٤٣٤).

(٢) رسالة الشيخ أحمد بن محمد بن مري الحنبلي إلى تلاميذ شيخ الإسلام، وهي ضمن كتاب الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (١٥٦) لمحمد شمس وعلي العمران، دار عالم الفوائد مكة، ط٢، ١٤٢٢هـ.

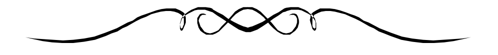
وقد تحقق ذلك، وبر الله قسم هذا الرجل، فجمعت كتب شيخ الإسلام، واشتغل بها العلماء تدريسًا وشرحًا وتحقيقًا[١]، كما حصل من قبل للإمام أحمد وقد كان ينهى عن كتابة كلامه، وسخر الله من كتب علمه ونشره بين الخلائق[٢].

وتربى على كتب شيخ الإسلام أئمة، نفع الله بهم الأمة، وعملت فيها الكثير من الرسائل العلمية، وذلك ببركة النية الخالصة الصادقة.

وبعد أن تقرر هذا، فهذه جملة من أعمال القلوب لا بد للمسلم من الاعتناء بها وتفقدها في قلبه، وتحقيق أسباب حصولها.

وعلى هذا فحقيق بكل داعية أن يحقق أسباب الوصول إلى هذه الأعمال القلبية وغيرها من أعمال القلوب، وأن يكون دائم التفقد والمحاسبة لنفسه على هذه الأعمال؛ لأنه لن يفلح في دعوته إلا بتحقيقها، وعند ذلك سيجد أثرها عليه في نفسه وعلى دعوته، كما سيأتي في الفصول القادمة.

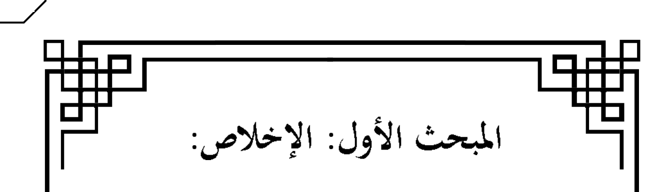
ومما ينبغي التنبيه عليه في بداية هذا المبحث أنني سأمر على هذه الأعمال القلبية باختصار، فإنما أردت التنبيه والذكرى لنفسي ولإخواني الدعاة إلى الله تعالى، وهي تنقسم إلى أعمال قلبية محضة، وأخرى مشتركة بين القلب والجوارح[٣]، ودونك تفصيل هذه الأعمال القلبية.



(١) ينظر: مقدمة العلامة بكر أبو زيد رحمه الله لجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (٨-٩).

(٢) ينظر: ص (٢٧٢).

(٣) وجلها أعمال قلبية محضة، والمشترك بين القلب والجوارح الصبر والرضا.



المبحث الأول: الإخلاص:

أولًا: التعريف:

الإخلاص لغة: من خلص الشيء أي: تنقى وتهذب من الشوائب، والإخلاص ترك الرياء[(١)].

وفي الاصطلاح: لقد عرف الإخلاص بتعاريف كثيرة متقاربة، ومن أدقها تعريف الغزالي[(٢)]، فيقول رحمه الله عن الإخلاص بأنه: "تجريد قصد التقرب إلى الله عن جميع الشوائب"[(٣)].

وعرفه ابن القيم رحمه الله بمجموعة من التعريفات من أدقها: "إفراد الحق بالقصد في الطاعة، وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وقيل: الإخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق، ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله"[(٤)].

---

(١) ينظر: الصحاح (٣/ ١٠٣٧)، مقاييس اللغة (٢/ ٢٠٨)، المعجم الوسيط (١/ ٢٤٩) مادة (خلص).

(٢) مُحَمّد بن مُحَمّد بن مُحَمّد الغزالي الطوسي، أبو حامد. الإمام، الفقيه المتكلم، النظار، صاحب التصانيف، والذكاء المفرط، تفقه ببلده أولًا، ثم تحول إلى نيسابور في مرافقة جماعة من الطلبة، فلازم إمام الحرمين فبرع في الفقه في مدة قريبة. ومن تصانيفه البسيط، والوسيط وغير ذلك، قال عنه الذهبي: للغزالي غلط كثير، وتناقض في تواليفه العقلية، ودخول في الفلسفة، وشكوك، ومن تأمل كتبه العقلية رأى العجائب، وكان مزجي البضاعة من الآثار، على سعة علومه، وجلالة قدره، وعظمته، توفي سنة (٥٠٥هـ) رحمه الله تعالى.
ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٣٢٢)، تاريخ الإسلام (١١/ ٧١)، البداية والنهاية (١٢/ ٢٧٣).
وله في أعمال القلوب كلام دقيق، قد لا تجده عند غيره، ولهذا من رام أن يستفيد من كلامه في هذا المجال ويسلم من عثراته، فعليه بمثل مختصر منهاج القاصدين لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي.

(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٣٧٩).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٩١-٩٢).

ثانيًا: الإخلاص في الكتاب والسنة:

لقد جاءت الأدلة الكثيرة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ دالة على هذا العمل القلبي العظيم، ومنها على سبيل المثال:

- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ﴾ [الأعراف: ٢٩].

يقول الحافظ ابن كثير رحمه الله في معنى هذه الآية: "أي: أمركم بالاستقامة في عبادته في محالها، وهي متابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات فيما أخبروا به عن الله تعالى، وما جاءوا به عنه من الشرائع، وبالإخلاص له في عبادته، فإنه تعالى لا يتقبل العمل حتى يجمع هذين الركنين: أن يكون صوابًا موافقًا للشريعة، وأن يكون خالصًا من الشرك"(١).

ويقول السعدي رحمه الله: "أي: قاصدين بذلك وجهه وحده لا شريك له. والدعاء يشمل: دعاء المسألة، ودعاء العبادة، أي: لا تراءوا ولا تقصدوا من الأغراض في دعائكم سوى عبودية الله ورضاه"(٢).

- ومن الأدلة على الإخلاص قوله تعالى: ﴿فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [غافر: ١٤].

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "وهذا شامل لدعاء العبادة ودعاء المسألة، والإخلاص معناه: تخليص القصد لله تعالى في جميع العبادات الواجبة والمستحبة، حقوق الله وحقوق عباده. أي: أخلصوا لله تعالى في كل ما تدينونه به وتتقربون به إليه.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٤٠٣).

(٢) تفسير السعدي (٢٨٦).

﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لذلك، فلا تبالوا بهم، ولا يثنكم ذلك عن دينكم، ولا تأخذكم بالله لومة لائم، فإن الكافرين يكرهون الإخلاص لله وحده غاية الكراهة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥]"[١].

• ومن الأدلة على وجوب إخلاص النية لله تعالى في جميع العبادات الظاهرة والباطنة[٢] قوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥].

• وما ورد في السنة عن عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّةِ، وَإِنَّمَا لِامْرِئٍ مَا نَوَى، فَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، فَهِجْرَتُهُ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيَا يُصِيبُهَا أَوِ امْرَأَةٍ يَتَزَوَّجُهَا، فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هَاجَرَ إِلَيْهِ»[٣].

قال ابن رجب رحمه الله: "والنية في كلام العلماء تقع بمعنيين:

أحدهما: بمعنى تمييز العبادات بعضها عن بعض، كتمييز صلاة الظهر من صلاة العصر مثلًا، وتمييز صيام رمضان من صيام غيره، أو تمييز العبادات من العادات، كتمييز الغسل من الجنابة من غسل التبرد والتنظف، ونحو ذلك، وهذه النية هي التي توجد كثيرًا في كلام الفقهاء في كتبهم.

والمعنى الثاني: بمعنى تمييز المقصود بالعمل، وهل هو الله وحده لا شريك له، أم غيره، أم الله وغيره؟ وهذه النية هي التي يتكلم فيها العارفون في كتبهم في كلامهم على

(١) تفسير السعدي (٧٣٤).

(٢) ينظر: فتح القدير للشوكاني (٥/ ٥٨٠)، تفسير السعدي (٩٣١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأيمان والنذور، باب النية في الأيمان (٨/ ١٤٠) ح (٦٦٨٩)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنية» (٣/ ١٥١٥) ح (١٩٠٧).

الإخلاص وتوابعه، وهي التي توجد كثيرًا في كلام السلف المتقدمين. وقد صنف أبو بكر بن أبي الدنيا[١] مصنفًا سماه: (كتاب الإخلاص والنية)، وإنما أراد هذه النية، وهي النية التي يتكرر ذكرها في كلام النبي ﷺ تارة بلفظ النية، وتارة بلفظ الإرادة، وتارة بلفظ مقارب لذلك، وقد جاء ذكرها كثيرًا في كتاب الله ﷿ بغير لفظ النية أيضًا من الألفاظ المقاربة لها"[٢].

- ومما يدل على أن الإخلاص شرط لقبول العمل حديث أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﵁ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ»، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ».

- وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أَنَّهُ قَالَ: قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَنْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِكَ يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَقَدْ ظَنَنْتُ -يَا أَبَا هُرَيْرَةَ- أَنْ لاَ يَسْأَلُنِي عَنْ هَذَا الحَدِيثِ أَحَدٌ أَوَّل مِنْكَ؛ لِمَا رَأَيْتُ مِنْ حِرْصِكَ عَلَى الحَدِيثِ، أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ خَالِصًا مِنْ قَلْبِهِ» أَوْ: «نَفْسِهِ».

ودل الحديث على أمور، منها:

- أن الإخلاص في كلمة التوحيد من أعظم أسباب سعادة المؤمن بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة[٣].

---

(١) عبد الله بن مُحَمَّد بن عبيد القرشي أبو بكر ابن أبي الدنيا الحافظ المصنف المشهور، له التصانيف النافعة الذائعة في الرقائق وغيرها، تزيد على مائة مصنف، وكان ثقة صدوقًا ذا مروءة، توفي سنة (٢٨١هـ).
ينظر: تاريخ بغداد (١١/ ٢٩٣)، تاريخ الإسلام (٦/ ٧٦٨)، البداية والنهاية (١٤/ ٦٥٧).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٦٥-٦٦).

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ١٩٤) دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

- وفي عون المعبود: "وفي قوله في حديث أبي هريرة: «أسعد الناس بشفاعتي من قال: لا إله إلا الله» سر من أسرار التوحيد، وهو أن الشفاعة إنما تنال بتجريد التوحيد، فمن كان أكمل توحيدًا كان أحرى بالشفاعة"[١].

● عن أبي هريرة ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رَجُلٌ اسْتُشْهِدَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ قَاتَلْتَ لِأَنْ يُقَالَ: جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ تَعَلَّمَ الْعِلْمَ، وَعَلَّمَهُ وَقَرَأَ الْقُرْآنَ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: تَعَلَّمْتُ الْعِلْمَ، وَعَلَّمْتُهُ وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرْآنَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ تَعَلَّمْتَ الْعِلْمَ لِيُقَالَ: عَالِمٌ، وَقَرَأْتَ الْقُرْآنَ لِيُقَالَ: هُوَ قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّارِ، وَرَجُلٌ وَسَّعَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَعْطَاهُ مِنْ أَصْنَافِ الْمَالِ كُلِّهِ، فَأُتِيَ بِهِ فَعَرَّفَهُ نِعَمَهُ فَعَرَفَهَا، قَالَ: فَمَا عَمِلْتَ فِيهَا؟ قَالَ: مَا تَرَكْتُ مِنْ سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فِيهَا إِلَّا أَنْفَقْتُ فِيهَا لَكَ، قَالَ: كَذَبْتَ، وَلَكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ: هُوَ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ، ثُمَّ أُمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ أُلْقِيَ فِي النَّارِ».

والحديث من أعظم الزواجر عن الرياء والسمعة التي هي من نواقض الإخلاص.

ثالثًا: أقوال العلماء في الإخلاص:

قال الفضيل بن عياض[٢] رحمه الله في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢]: "هو أخلصه وأصوبه"، قالوا: يا أبا

(١) عون المعبود (١٣/ ٥٦) للعظيم آبادي، ومعه حاشية ابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.

(٢) الإمام، القدوة، الثبت، شيخ الحرم المكي، أبو علي الفضيل بن عياض بن مسعود بن بشر التميمي. انتقل إلى مكة، ونزلها، إلى أن مات بها في أول سنة (١٨٧هـ) عليه رحمة الله في خلافة هارون، وكان ثقة، نبيلًا، فاضلًا، عابدًا، ورعًا، كثير الحديث.

=

علي، ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: "إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة"، ثم قرأ قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠][(١)].

وقيل لسهل رحمه الله: أي شيء أشد على النفس؟ فقال: "الإخلاص؛ لأنه ليس لها فيه نصيب"[(٢)].

وقال يوسف بن الحسين[(٣)] رحمه الله: "أعز شيء في الدنيا: الإخلاص. وكم أجتهدُ في إسقاط الرياء عن قلبي! فكأنه ينبت على لون آخر"[(٤)].

تنبيه: وهذا الكلام -والله أعلم- لأجل حثِّ النفس على الاجتهاد في الإخلاص، إلا أنه قد يصيب من يسمعه باليأس من الإخلاص وأنه غير مقدور عليه، فيضعف الاهتمام به، وهذا ما ينبغي أن ينتبه له الداعية عند حديثه عن أعمال القلوب، وأن يذكِّر الناس بأهميتها، ويرغبهم في أسباب الحصول عليها، وأن الله لا يخيِّب من جاهد وبذل الأسباب الموصلة إليها، كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩].

ينظر: البداية والنهاية (١٣/ ٦٦٠)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٢١)، الأعلام (٥/ ١٥٣).

(١) ينظر: حلية الأولياء (٨/ ٩٥)، مدارج السالكين (٢/ ٨٨-٨٩) مع بعض التصرف.

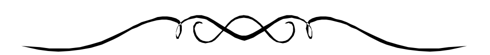
(٢) مدارج السالكين (٢/ ٩٢).

(٣) يوسف بن الحسين بن علي أبو يعقوب الرازي من مشايخ الصوفية، مات سنة (٣٠٤هـ) رحمه الله.
ينظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٤٦٢)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٤٨)، الأعلام للزركلي (٨/ ٢٢٧).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٩٢).

وقال أبو سليمان الداراني[١] رحمه الله: "إذا أخلص العبد انقطعت عنه كثرة الوساوس والرياء"[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: "العمل بغير إخلاص ولا اقتداء كالمسافر يملأ جرابه رملًا يثقله ولا ينفعه"[٣].

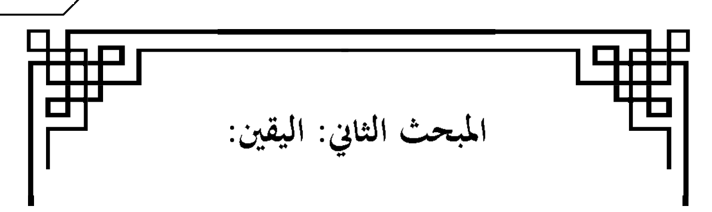


(١) الإمام الكبير عبد الرحمن بن أحمد بن عطية أبو سليمان الداراني من أهل داريا، وهي ضيعة إلى جنب دمشق. كان أحد عباد الله الصالحين، ومن الزهاد المتعبدين، وهو من كبار الصوفية، وتوفي رحمه الله سنة (٢١٥هـ)، وقيل: (٢٠٥هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١١/ ٥٢٣)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٨٢) الأعلام (٣/ ٢٩٣).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٩٢)، البداية والنهاية (١٤/ ١٥٠).

(٣) الفوائد (٤٩).



المبحث الثاني: اليقين:

أولًا: التعريف:

اليقين لغة:

تعريفات أهل اللغة لليقين متقاربة، تدور حول أنه: العلم الذي لا يخالطه شك[١].

وفي الاصطلاح:

يوجد ارتباط وثيق بين معناه في اللغة وفي الاصطلاح، فهو العلم الذي لا شك فيه.

وعرفه الجنيد[٢] رحمه الله بقوله: "اليقين هو استقرار العلم الذي لا ينقلب ولا يحول ولا يتغير في القلب"[٣].

وعرفه شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: "أما اليقين فهو: طمأنينة القلب، واستقرار العلم فيه"[٤].

ثانيًا: اليقين في الكتاب والسنة:

لقد اعتنى القرآن الكريم بهذا العمل القلبي العظيم، فذكر اليقين في آيات كثيرة، ومن ذلك:

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٩/ ٢٤٥)، الصحاح (٦/ ٢٢١٩)، مقاييس اللغة (٦/ ١٥٧) مادة (يقن).

(٢) الجنيد بن مُحَمَّد بن الجنيد البغدادي الخزاز، أبو القاسم، وأتقن العلم، ثم أقبل على شأنه، وتأله، وتعبد، ونطق بالحكمة، وروايته للحديث قليلة، وهو من كبار الصوفية، توفي رحمه الله سنة (٢٩٧هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٨/ ١٦٨)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٦)، الأعلام (٢/ ١٤١).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٧٥).

(٤) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٢٩).

• جعله الله من صفات عباده المتقين، فقال تعالى: ﴿وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾ [البقرة: ٤].

قال السعدي رحمه الله: "والآخرة اسم لما يكون بعد الموت، وخصه بالذكر بعد العموم؛ لأن الإيمان باليوم الآخر أحد أركان الإيمان، ولأنه أعظم باعث على الرغبة والرهبة والعمل، واليقين: هو العلم التام الذي ليس فيه أدنى شك، الموجب للعمل"(١).

• وقال تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

وفي تفسير السعدي لقوله تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَ﴾: "أي: أفيطلبون بتوليهم وإعراضهم عنك حكم الجاهلية، وهو كل حكم خالف ما أنزل الله على رسوله؟!

فلا ثَمَّ إلا حكم الله ورسوله أو حكم الجاهلية، فمن أعرض عن الأول ابتلي بالثاني المبني على الجهل والظلم والغي، ولهذا أضافه الله للجاهلية، وأما حكم الله تعالى فمبني على العلم، والعدل والقسط، والنور والهدى، ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ فالموقن هو الذي يعرف الفرق بين الحكمين ويميز بإيقانه ما في حكم الله من الحسن والبهاء، وأنه يتعين عقلًا وشرعًا اتباعه. واليقين هو: العلم التام الموجب للعمل"(٢).

---

(١) تفسير السعدي (٤١).

(٢) تفسير السعدي (٢٣٥).

• وقال تعالى: ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الروم: ٦٠].

قال الطبري رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى ذكره: ﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ يا محمد لما ينالك من أذاهم، وبلّغهم رسالة ربك، فإن وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم والظفر بهم وتمكينك وتمكين أصحابك وتُبّاعك في الأرض حقّ، ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ يقول: ولا يستخفنّ حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله، الذين لا يوقنون بالمعاد، ولا يصدّقون بالبعث بعد الممات، فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلّفك من تبليغهم رسالته"(١).

• وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۡهُمۡ أَئِمَّةٗ يَهۡدُونَ بِأَمۡرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

ومن هذه الآية استنبط شيخ الإسلام رحمه الله أن الإمامة في الدين لا تنال إلا بالصبر واليقين(٢).

• وقال تعالى: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [الجاثية: ٢].

قال السعدي رحمه الله: "أي: ﴿هَٰذَا﴾ القرآن الكريم والذكر الحكيم ﴿بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ﴾ أي: يحصل به التبصرة في جميع الأمور للناس، فيحصل به الانتفاع للمؤمنين، والهدى والرحمة. ﴿لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ فيهتدون به إلى الصراط المستقيم في أصول الدين وفروعه، ويحصل به الخير والسرور والسعادة في الدنيا والآخرة، وهي

---

(١) تفسير الطبري (٢٠/ ١٢٠).

(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٨).

الرحمة؛ فتزكو به نفوسهم، وتزداد به عقولهم، ويزيد به إيمانهم ويقينهم، وتقوم به الحجة على من أصر وعاند"[١].

● ومما ورد في السنة عن اليقين حديث أبي هريرة ﷺ: قال رسول الله ﷺ: «فَمَنْ لَقِيتَ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْحَائِطَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُسْتَيْقِنًا بِهَا قَلْبُهُ فَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ».

دل هذا الحديث على أنَّ من شروط كلمة التوحيد اليقينَ.

● وعن شَدَّاد بْنِ أَوْسٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «سَيِّدُ الِاسْتِغْفَارِ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ لَكَ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي، فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ»، قَالَ: «وَمَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِنًا بِهَا، فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ وَهُوَ مُوقِنٌ بِهَا، فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ، فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ»[٢].

دل هذا الحديث على أن من شروط أثر سيد الاستغفار على صاحبه أن يقوله بيقين.

ثالثًا: أقوال العلماء في اليقين:

عن سفيان الثوري رحمه الله قال: "لو أن اليقين، استقر في القلب كما ينبغي لطار فرحًا وحزنًا وشوقًا إلى الجنة، أو خوفًا من النار"[٣].

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: "حرام على قلب أن يشم رائحة اليقين وفيه سكون إلى غير الله"[٤].

---

(١) تفسير السعدي (٧٧٧).

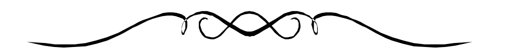
(٢) أخرجه البخاري في كتاب الدعوات، باب فضل الاستغفار (٨/ ٦٧) ح (٦٣٠٦).

(٣) حلية الأولياء (٧/ ١٧).

(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: "فإذا باشر القلب اليقين امتلأ نورًا وانتفى عنه كل ريب وشك، وعوفي من أمراضه القاتلة، وامتلأ شكرًا لله وذكرًا له ومحبة وخوفًا"(١).

ويقول أيضًا: "فالعلم أول درجات اليقين، ولهذا قيل: العلم يستعملك، واليقين يحملك، فاليقين أفضل مواهب الرب لعبده، ولا تثبت قدم الرضا إلا على درجة اليقين، قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، قال ابن مسعود ﷺ: (هو العبد تصيبه المصيبة، فيعلم أنها من الله، فيرضى ويسلم)(٢)، فلهذا لم يحصل له هداية القلب والرضا والتسليم إلا بيقينه"(٣).

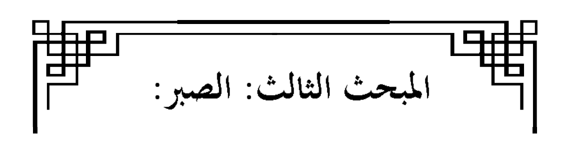


(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٤).

(٢) نسبه ابن جرير إلى علقمة، ينظر: تفسير الطبري (٢٣/ ١٢).

(٣) مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٥).





المبحث الثالث: الصبر:

أولًا: التعريف:

الصبر لغة: في الأصل هو الحبس، أي: حبس النفس عن الجزع[(١)].

وفي الاصطلاح: من أدق تعاريفه تعريف الراغب رحمه الله بقوله: "الصَّبْرُ: حبس النّفس على ما يقتضيه العقل والشرع"[(٢)].

والذي يظهر لي أن تعريف الراغب تعريف دقيق؛ لأنه يشمل كل أنواع الصبر، فيكون حبسًا للنفس على الطاعة وترك المعصية، وعلى القدر المؤلم، والله أعلم.

وقيل: هو: "حبس النفس عن الجزع والتسخط، وحبس اللسان عن الشكوى، وحبس الجوارح عن التشويش"[(٣)]. وهذا التعريف يصلح لنوع من الصبر وهو الصبر على القدر المؤلم[(٤)].

ويقول ابن القيم رحمه الله عن حقيقة الصبر وفائدته: "خلق فاضل من أخلاق النفس، يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها"[(٥)].

ثانيًا: الصبر في الكتاب والسنة:

قال الإمام أحمد رحمه الله: "ذكر الله سبحانه الصبر في القرآن في تسعين موضعًا"[(٦)].

---

(١) ينظر: الصحاح (٢/ ٧٠٦)، مقاييس اللغة (٣/ ٣٢٩)، لسان العرب (٤/ ٤٣٨) مادة (صبر).

(٢) المفردات في غريب القرآن (٤٧٤).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ١٥٥).

(٤) ينظر: أعمال القلوب للسبت (٢/ ٢١١، ٢١٢).

(٥) عدة الصابرين (١٦).

(٦) نقله ابن القيم عن الإمام أحمد في عدة الصابرين (٧١)، مدارج السالكين (٢/ ١٥١).

وذكر ابن القيم أن الصبر مذكور في القرآن على ستة عشر نوعًا، وذكرها رحمه الله مع ذكر شواهدها، وأذكر منها على سبيل المثال، الآتي[(١)]:

• الأمر به، نحو قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

• النهي عن ضده، كقوله: ﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، وقوله: ﴿فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ﴾ [الأنفال: ١٥]، فإن تولية الأدبار: ترك للصبر والمصابرة.

• الثناء على أهله، كقوله تعالى: ﴿وَٱلصَّـٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِ ۗ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ ۖ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٧٧]، وهو كثير في القرآن.

• محبته ﷻ لهم، كقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

• معيته ﷻ لهم، وهي معية خاصة، تتضمن: حفظهم ونصرهم، وتأييدهم كقوله: ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وهي ليست معية عامة، التي تتضمن: معية العلم والإحاطة.

• الجزاء منه ﷻ لهم بغير حساب، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

وورد الصبر في السنة في عدة أحاديث منها:

• عَنْ أَبِي مَالِكٍ الْأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ، وَالصَّدَقَةُ بُرْهَانٌ وَالصَّبْرُ ضِيَاءٌ» الحديث[(٢)].

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ١٥١-١٥٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (١/ ٢٠٣) ح (٢٢٣).

قال النووي رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: "والمراد: أن الصبر محمود ولا يزال صاحبه مستضيئًا مهتديًا"(١).

• وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﵁: إِنَّ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ سَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، ثُمَّ سَأَلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ، حَتَّى نَفِدَ مَا عِنْدَهُ، فَقَالَ: «مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللَّهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ»(٢).

دل الحديث على فضيلة الصبر ومكانته العظيمة، ومن يعالج نفسه على الصبر ويعودها عليه، فإن الله يمكنه من نفسه حتى تنقاد له، وأن الصبر أفضل ما يعطاه المرء لكونه غيرَ محدودٍ جزاؤه، فيوفيه الله أجره بغير حساب(٣)، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠].

ثالثًا: أقوال العلماء في الصبر:

قال عمر بن الخطاب ﵁: "وجدنا خير عيشنا بالصبر"(٤).

وقال علي بن أبي طالب ﵁: "ألا إن الصبر من الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، فإذا قطع الرأس بار الجسم"، ثم رفع صوته فقال: "ألا إنه لا إيمان لمن لا صبر له"، وقال: "الصبر مطية لا تكبو(٥)"(٦).

---

(١) شرح النووي على مسلم (٣/ ١٠١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (٢/ ١٢٢) ح (١٤٦٩)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب فضل التعفف والصبر (٢/ ٧٢٩) ح (١٠٥٣).

(٣) ينظر: فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٠٤).

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل (٩٧)، حلية الأولياء (١/ ٥٠).

(٥) أي: دابة لا تعثر ولا تسقط على الوجه أثناء الحركة.

ينظر: الصحاح (٦/ ٢٤٧١)، مقاييس اللغة (٥/ ١٥٥)، لسان العرب (١٥/ ٢١٣) مادة (كبا).

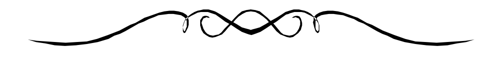
(٦) ينظر: الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (٢٤)، ت: مُحَمَّد رمضان خير يوسف، دار ابن حزم بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، حلية الأولياء (١/ ٧٦)، وهو بهذا اللفظ في عدة الصابرين (٩٥).

وقال الحسن رحمه الله: "الصبر كنز من كنوز الخير، لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده"[١].

وقال أبو علي الدقاق[٢] رحمه الله: "فاز الصابرون بعز الدارين؛ لأنهم نالوا من الله معيته؛ فإن الله مع الصابرين"[٣].

وقال ابن القيم رحمه الله: "وقد أمر الله ﷻ في كتابه بالصبر الجميل، والصفح الجميل، والهجر الجميل، فسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: الصبر الجميل هو الذي لا شكوى فيه ولا معه، والصفح الجميل هو الذي لا عتاب معه، والهجر الجميل هو الذي لا أذى معه"[٤].

ويقول أيضًا: "وهو ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر عن معصية الله، وصبر على امتحان الله"[٥].



(١) الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا (٢٨).

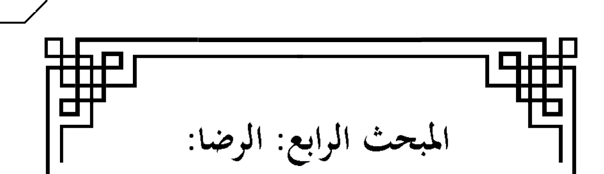
(٢) الحسن بن علي بن محمد أبو علي الأستاذ الدقاق الزاهد النيسابوري، شيخ الصوفية، توفي رحمه الله سنة (٤٠٦هـ)، وقيل: سنة (٤١٢هـ)، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

ينظر: الكامل في التاريخ (٧/ ٦٦٩) لابن الأثير، ت: تدمري، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، الوافي بالوفيات (١٢/ ١٠٣)، البداية والنهاية (١٥/ ٥٩١).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ١٦٠).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ١٥٩).

(٥) مدارج السالكين (٢/ ١٥٥).



المبحث الرابع: الرضا:

أولًا: التعريف:

الرضا في اللغة: ضد السخط[(١)].

وفي الاصطلاح:

عرفه الجنيد رحمه الله فقال: "الرضا هو صحة العلم الواصل إلى القلب، فإذا باشر القلب حقيقة العلم أداه إلى الرضا"[(٢)].

وقيل: "هو سرور القلب بمرّ القضاء"[(٣)].

وقال الراغب رحمه الله: "ألا يكره ما يجري به قضاؤه"[(٤)].

إذن هو الرضا بالقضاء والقدر، وعدم السّخط والاعتراض على قضاء الله وقدره، والتسليم والانقياد لأمره ولأمر رسوله ﷺ.

ثانيًا: الرضا في الكتاب والسنة:

قد ورد الرضا في القرآن الكريم على أحوال كثيرة، فمن ذلك:

- أن الله قد رضي لنا دين الإسلام، فعلينا الرضا به، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

قال ابن كثير رحمه الله: "أي: فارضوه أنتم لأنفسكم، فإنه الدين الذي رضيه الله

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ٤٠٢)، المخصص (٣/ ٣٨٧)، لسان العرب (١٤/ ٣٢٣) مادة (رضي).
(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٧٢-١٧٣).
(٣) نضرة النعيم(٦/ ٢١٠٣).
(٤) المفردات في غريب القرآن (٣٥٦).

وأحبه، وبعث به أفضل رسله الكرام، وأنزل به أشرف كتبه"(١).

● أخبر ﷻ عن عباده الذين رضي عنهم ورضوا عنه، وما أعد لهم من ثواب عظيم في الآخرة، فقال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

● وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

قال ابن كثير رحمه الله عند تفسير هذه الآية الكريمة: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يحكِّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا﴾ أي: إذا حكَّموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لذلك تسليمًا كليًا، من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"(٢).

والآية تدل على وجوب الرضا بحكم الرسول ﷺ ظاهرًا وباطنًا، مع التسليم الكامل والانقياد التام من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما سبق في كلام ابن كثير.

● وقال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦]، فالواجب ألا يختار العبد إذا أمره الله ورسوله، بل

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٦).
(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٩).

يرضى ويسلم وينقاد؛ لأن الاختيار يتنافى مع رضاه بالله ربًّا، وبمحمد ﷺ نبيًّا، وبالإسلام دينًا[(١)].

• وقال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

• وقال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

قال ابن جرير رحمه الله: "ومن يصدق بالله فيعلم أنه لا أحد تصيبه مصيبة إلا بإذن الله بذلك ﴿يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ يقول: يوفق الله قلبه بالتسليم لأمره والرضا بقضائه"[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله مبينًا معنى الرضا بالله ربًّا: "أن لا يتخذ ربًّا غير الله تعالى يسكن إلى تدبيره، وينزل به حوائجه.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: (سيدًا وإلهًا)[(٣)]، يعني: فكيف أطلب ربًّا غيره وهو رب كل شيء؟! وقال في أول السورة: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ١٤] يعني معبودًا وناصرًا ومعينًا وملجأً، وهو من الموالاة التي تتضمن الحب والطاعة.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين (٢/ ١٨٥).

(٢) تفسير الطبري (٢٣/ ١١).

(٣) ينظر: تفسير البغوي (٣/ ٢١٢).

وقال في وسطها: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا﴾ [الأنعام: ١١٤] أي: أفغير الله أبتغي من يحكم بيني وبينكم، فنتحاكم إليه فيما اختلفنا فيه، وهذا كتابه سيد الحكام؟! فكيف نتحاكم إلى غير كتابه، وقد أنزله مفصلًا، مبينًا كافيًا شافيًا؟!

وأنت إذا تأملت هذه الآيات الثلاث حق التأمل، رأيتها هي نفس الرضا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ رسولًا"(١).

وقد ورد في السنة عدد من الأحاديث عن الرضا منها:

عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»(٢).

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ، مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبِيًّا، وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ»(٣).

وعَنِ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ﷺ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا».

دلت الأحاديث الثلاثة على أن من رضي بالله ربًّا، وبمحمد رسولًا، وبالإسلام دينًا، غفر له ذنبه، ووجبت له الجنة، وذاق طعم الإيمان في الدنيا الذي هو جنة معجلة.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه (١/ ٢٩٠) ح (٣٨٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب بيان ما أعده الله تعالى للمجاهد في الجنة من الدرجات (٣/ ١٥٠١) ح (١٨٨٤).

ثالثًا: أقوال العلماء في الرضا:

عن عمرو بن أسلم العابد[١] قال: سمعت أبا معاوية الأسود[٢] -رحمهم الله- يقول: في قوله: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] قال: "الرضا والقناعة"[٣].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: "إن الله تبارك وتعالى بقسطه وحلمه جعل الروح والفرح في اليقين والرضا، وجعل الهم والحزن في الشك والسخط"[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله عن الحديثين: «ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا»، «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، غُفِرَ لَهُ ذَنْبُهُ»: "وهذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدين، وإليهما ينتهي، وقد تضمنا الرضا بربوبيته سبحانه وتعالى وألوهيته، والرضا برسوله، والانقياد له، والرضا بدينه، والتسليم له، ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصدّيق حقًّا.

وهي سهلة بالدعوى واللسان، وهي من أصعب الأمور عند الحقيقة والامتحان، ولا سيما إذا جاء ما يخالف هوى النفس ومرادها، من ذلك تبين أن الرضا كان لسانه

---

(١) عمرو بن أسلم الطرسوسي العابد، نزيل دمشق. قال أبو حاتم: صدوق، توفي رحمه الله سنة (٢٣٠هـ).
ينظر: تاريخ دمشق (٤٥/ ٤٠٥)، تاريخ الإسلام (٥/ ٦٤٤)، الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة (٧/ ٣٣١) لابن قطلوبغا الحنفي، ت: شادي آل نعمان، مكز النعمان للبحوث والدراسات صنعاء، ط١، ١٤٣٢هـ.

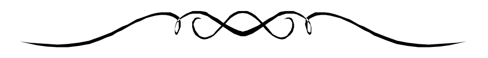
(٢) أبو معاوية الأسود، مولى بني أمية، أحد الزهاد، وصحب إبراهيم بن أدهم والثوري، وكان منقطعًا إلى العبادة، وكان رجل صدق، قال عنه الذهبي: من كبار أولياء الله. لم أعثر على سنة وفاته رحمه الله.
ينظر: تاريخ دمشق (٦٧/ ٢٤٣) تاريخ الإسلام (٤/ ١٢٦٩) سير أعلام النبلاء (٩/ ٧٨).

(٣) الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا (٧٢) ت: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية بومباي، ط١، ١٤١٠هـ.

(٤) الرضا عن الله بقضائه لابن أبي الدنيا (١١١).

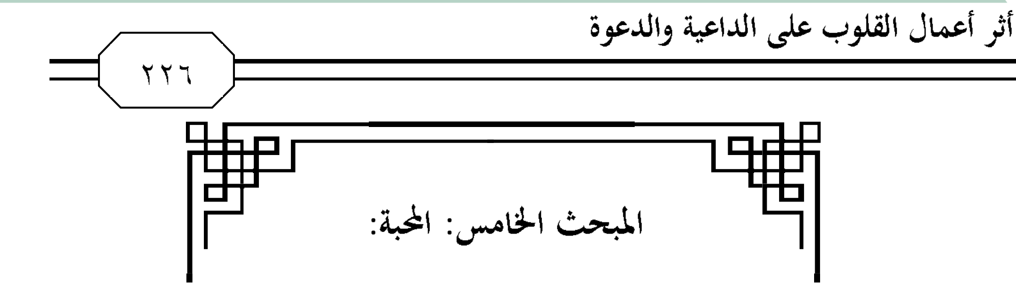
به ناطقًا، فهو على لسانه لا على حاله"[١].

ويقول أيضًا: "الرضا باب الله الأعظم، وجنة الدنيا، ومستراح العارفين، وحياة المحبين، ونعيم العابدين، وقرة عيون المشتاقين"[٢].



(١) مدارج السالكين (٢/ ١٧٠-١٧١).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٧٢).



المبحث الخامس: المحبة:

أولًا: التعريف:

المحبة لغة: من الحُب وهو نقيض البغض، والحُب: الوداد، والحِبُّ أيضًا: الحبيب، مثل خِدْنٍ وخَدِينٍ. يقال: أحبّه فهو مُحَبٌّ. وحَبَّه يَحِبُّه بالكسر فهو محبوب(١).

وفي الاصطلاح:

عرفها النووي رحمه الله بقوله: "المحبة: مواطأة القلب على ما يرضي الرب سبحانه، فيحب ما أحب ويكره ما كره"(٢).

ثم قال: "وبالجملة أصل المحبة الميل إلى ما يوافق المحب، ثم الميل قد يكون لما يستلذه الإنسان ويستحسنه كحسن الصورة والصوت والطعام ونحوها، وقد يستلذه بعقله للمعاني الباطنة كمحبة الصالحين والعلماء وأهل الفضل مطلقًا، وقد يكون لإحسانه إليه ودفعه المضار والمكاره عنه"(٣).

وقال الراغب رحمه الله: "المحبة: ميل النفس إلى ما تراه وتظنه خيرًا، وذلك ضربان:

أحدهما: طبيعي، وذلك في الإنسان وفي الحيوان.

والثاني: اختياري، وذلك يختص به الإنسان"(٤).

وضرب لذلك أمثلة(١).

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٤/ ٨)، الصحاح (١/ ١٠٥)، لسان العرب (١/ ٢٨٩) مادة (حبب).

(٢) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٤).

(٣) شرح النووي على مسلم (٢/ ١٤).

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٥٦) للراغب الأصفهاني، ت: د. أبو اليزيد العجمي، دار السلام القاهرة، ط١٤٢٨هـ.

وخلاصة القول كما قال ابن القيم رحمه الله: "لا تحد المحبة بحد أوضح منها، فالحدود لا تزيدها إلا خفاء وجفاء، فحدها وجودها، ولا توصف المحبة بوصف أظهر من المحبة.

وإنما يتكلم الناس في أسبابها وموجباتها، وعلاماتها وشواهدها، وثمراتها وأحكامها. فحدودهم ورسومهم دارت على هذه الستة، وتنوعت بهم العبارات، وكثرت الإشارات، بحسب إدراك الشخص ومقامه وحاله، وملكه للعبارة"(٢).

ثانيًا: المحبة في الكتاب والسنة:

- ذكر سبحانه وتعالى أنه يحب المتقين، ويحب الصابرين، ويحب المتوكلين.

قال تعالى: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٦].

والآيات في ذلك يصعب حصرها لكثرتها.

- وذكر أيضًا سبحانه وتعالى أنه لا يحب الكافرين، ولا يحب المعتدين، ولا يحب المسرفين، والآيات في ذلك كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠]، وقوله تعالى وتبارك: ﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَـٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢].

---

(١) ينظر: الذريعة إلى مكارم الشريعة (٢٥٦).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ١١).

• وجعل سبحانه وتعالى علامة على محبته اتباع رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [آل عمران: ٣١].

• وذكر سبحانه وتعالى أن المؤمنين أشد حبًّا لله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

• وقال سبحانه وتعالى عن نفسه وعن عباده الصالحين: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾ [المائدة: ٥٤].

ومن السنة:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «ثَلاَثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ المَرْءَ لاَ يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ».

دل الحديث على أن محبة الله ورسوله من أعظم أسباب حلاوة الإيمان، وهي جنة معجلة لمن حقق أسبابها.

وقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقُولُ فِي رَجُلٍ أَحَبَّ قَوْمًا وَلَمْ يَلْحَقْ بِهِمْ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «المَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ»(١).

ودل هذا الحديث على أن المحبة في الله للصالحين تلحقه بهم في الآخرة، وأن قصر عمله عن عملهم، ويكون معهم في الجنة.

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب علامة حب الله عز وجل (٨/ ٣٩) ح (٦١٦٩).

وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»(١).

وهذا الحديث يدل على مكانة محبة النبي ﷺ، وأن العبد لا يؤمن حتى يقدم محبة الرسول ﷺ على كل أحد سوى الله تعالى.

ثالثًا: أقوال العلماء في المحبة:

وذكر ابن رجب رحمه الله عن بعض السلف قولهم: "من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه، فإن المحبة تقتضي الطاعة كما قال بعض العارفين: الموافقة في جميع الأحوال"(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: "المحبّة هي حياة القلوب وغذاء الأرواح، وليس للقلب لذّة، ولا نعيم، ولا فلاح، ولا حياة إلّا بها.

وإذا فقدها القلب كان ألمه أعظم من ألم العين إذا فقدت نورها، والأذن إذا فقدت سمعها، والأنف إذا فقد شمّه، واللّسان إذا فقد نطقه، بل فساد القلب إذا خلا من محبّة فاطره وبارئه وإلهه الحقّ أعظم من فساد البدن إذا خلا من الرّوح، وهذا الأمر لا يصدّق به إلّا من فيه حياة"(٣).

وقال أيضًا: "المحبّ الصّادق لا بدّ أن يقارنه أحيانًا فرح بمحبوبه، ويشتدّ فرحه به، ويرى مواقع لطفه به، وبرّه به، وإحسانه إليه، وحسن دفاعه عنه، والتّلطّف في إيصاله المنافع والمسارّ والمبارّ إليه بكلّ طريق، ودفع المضارّ والمكاره عنه بكلّ طريق"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان (١/ ١٢) ح (١٥)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ (١/ ٦٧) ح (٤٤).

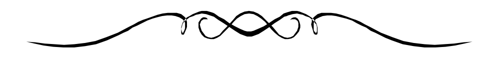
(٢) فتح الباري لابن رجب (١/ ٥١-٥٢).

(٣) الجواب الكافي (١/ ٥٤٥-٥٤٦).

(٤) مدارج السالكين (٢/ ٣٣٩-٣٤٠).

وقال ابن قدامة(١) رحمه الله: "علامة المحبّة كمال الأنس بمناجاة المحبوب، وكمال التّنعّم بالخلوة، وكمال الاستيحاش من كلّ ما ينقض عليه الخلوة، ومتى غلب الحبّ والأنس صارت الخلوة والمناجاة قرّة عين تدفع جميع الهموم، بل يستغرق الحبّ والأنس قلبه"(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: "فإن المحب الصادق أحب شيء إليه الخبر عن محبوبه وذكره، كما قال عثمان بن عفان ﷺ: (لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله)(٣)، وقال بعض العارفين: كيف يشبعون من كلام محبوبهم وهو غاية مطلوبهم؟!"(٤).



---

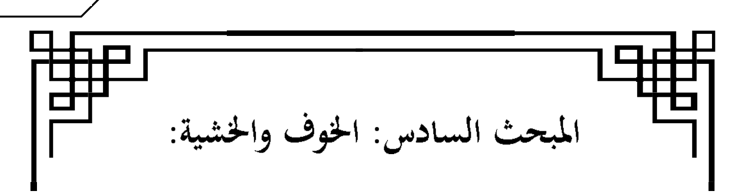
(١) أحمد بن عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قدامة، أبو العباس ابن شيخ الإسلام شمس الدين ابن أبي عمر المقدسي، الحنبلي. كانت إليه مع القضاء خطابة الجبل والإمامة بحلقة الحنابلة ونظر أوقاف الحنابلة، وكان حسن السيرة في أحكامه، مليح البزة، ذكيًّا، مليح الدرس، له قدرة على الحفظ، وله مشاركة جيدة في العلوم. توفي رحمه الله سنة (٦٨٩هـ).

ينظر: تاريخ الإسلام (١٥/ ٦٢٥)، الوافي بالوفيات (٧/ ٣٠).

(٢) مختصر منهاج القاصدين (٣٥١) لأبي العباس أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، قدم له: الأستاذ مُحَمَّد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان، دمشق، ط ١٣٩٨هـ.

(٣) ينظر: حلية الأولياء (٧/ ٢٧٢، ٣٠٠).

(٤) مدارج السالكين (٣/ ٢٩١).



المبحث السادس: الخوف والخشية:

أولًا: التعريف:

الخوف والخشية لغة:

الخوف لغة: من خاف يخاف خوفًا وخيفة ومخافة، ويدل على الذعر والفزع(١).

والخشية في اللغة: بمعنى الخوف، تقول: خَشيَ الرجل يَخْشَى خَشْيَةً، أي: خاف.

وتكون الخشية بخوف معه تعظيم ومهابة، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨](٢).

ويرى الكفوي(٣) رحمه الله أن الخشية أشد من الخوف، ويعلل ذلك فيقول: "لأنها مأخوذة من قولهم: شجرة خاشية أي: يابسة، وهو فوات بالكلية.

والخوف: النقص، من ناقة خوفاء أي: بها داء وليس بفوات..لأن أصل الخشية خوف من تعظيم(٤).

---

(١) ينظر: الصحاح (٤/ ١٣٥٨)، مقاييس اللغة (٢/ ٢٣٠)، لسان العرب (٩/ ٩٩) مادة (خوف).

(٢) ينظر: تهذيب اللغة (٧/ ١٩٤)، الصحاح (٦/ ٢٣٢٧)، مقاييس اللغة (٢/ ١٨٤)، المعجم الوسيط (١/ ٢٣٧) مادة (خشي)

(٣) أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي، أبو البقاء: صاحب الكليّات، كان من قضاة الأحناف، يميل إلى مذهب الماتريدية، توفي رحمه الله سنة (١٠٩٤هـ).

ينظر: الأعلام (٢/ ٣٨)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (١/ ٥٤٤).

(٤) ينظر: الكليات (٤٢٨).

الخوف والخشية في الاصطلاح:

عرفهما الراغب رحمه الله بقوله: "الخَوْف: توقّع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، كما أنّ الرّجاء والطمع توقّع محبوب عن أمارة مظنونة أو معلومة، ويضادّ الخوف الأمن، ويستعمل ذلك في الأمور الدنيوية والأخروية"(١). أما الخشية فقال عنها: "الخَشْيَة: خوف يشوبه تعظيم، وأكثر ما يكون ذلك عن علم بما يخشى منه، ولذلك خصّ العلماء بها في قوله: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]"(٢).

وقال ابن قدامة رحمه الله: "اعلم أن الخوف عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب توقع مكروه في الاستقبال"(٣).

وقال الجرجاني رحمه الله: "الخوف: توقع حلول مكروه، أو فوات محبوب"(٤).

ويقول ابن القيم رحمه الله عن معنى الخشية: "والخشية أخص من الخوف، فإن الخشية للعلماء بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، فهي خوف مقرون بمعرفة"(٥).

ثانيًا: الخوف والخشية في الكتاب والسنة:

تنوعت نصوص القرآن الكريم في ذكر الخوف والخشية، فمن ذلك:

---

(١) المفردات (٣٠٣).

(٢) المفردات (٢٨٣).

(٣) مختصر منهاج القاصدين (٣٠٢).

(٤) التعريفات (١٠١).

(٥) مدارج السالكين (١/ ٥٠٨).

١- أمر الله به، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، وقال تعالى: ﴿فَلَا تَخْشَوُا ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ﴾ [المائدة: ٤٤].

٢- وتارة يجعل الله الخوف والخشية من صفات أوليائه وعباده المتقين، كما في قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ١٩-٢١].

٣- ويذكر الله ﷻ أنه بسبب خوفهم منه أدخلهم الجنة كما في قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦]، وكما في قوله تعالى أيضًا: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠، ٤١].

٤- وتارة يذكر أن العاقبة في الدنيا لهم كما في قوله ﷻ: ﴿وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

ومن السنة:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ» وذكرهم، ومنهم: «رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ إِلَى نَفْسِهَا، قَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ».

ومن أعظم ما يحجز العبد عن المعصية خوفه من الله؛ لما يترتب على ذلك من العقوبة في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأنعام: ١٥].

ثالثًا: أقوال العلماء في الخوف والخشية:

عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يمسك لسانه ويقول: "هذا الذي أوردني الموارد"، وقال: "يا ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل". وكذلك قال طلحة وأبو الدرداء وأبو ذر رضي الله عنهم[١].

وقال عمر رضي الله عنه: "لو نادى منادي من السماء: أيها الناس، إنكم داخلون الجنة كلكم إلا رجلًا واحدًا، لخفت أن أكون أنا هو"[٢].

وقال عبد الله بن عامر بن ربيعة[٣] رضي الله عنه: رأيت عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض فقال: "يا ليتني هذه التبنة، ليتني لم أكن شيئًا، ليت أمي لم تلدني، ليتني كنت نسيًا منسيًّا"[٤].

وقال ابن عمر رضي الله عنهما: "كان رأس عمر على فخذي في مرضه الذي مات فيه، فقال لي: ضع رأسي، قال: فوضعته على الأرض، فقال: ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي"[٥].

---

(١) ينظر هذه الآثار في: حلية الأولياء (١/ ٣٣، ٢/ ٢٣٦)، إحياء علوم الدين (٣/ ١١١)، مختصر منهاج القاصدين (٣١٣)، البداية والنهاية (١/ ٩٥).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٥٣).

(٣) عبد الله بن عامر بن ربيعة أبو مُحَمَّد العَنْزِي المدني، حليف بني عدي بن كعب، وهو ابن الصحابي الجليل عامر بن ربيعة من كبار المهاجرين البدريين، توفي النبي ﷺ وله خمس سنين، وقيل: أربع، وقد رأى النبي ﷺ وما سمع عنه حرفًا، وإنما روايته عن الصحابة رضي الله عنهم، وقد ذكره الترمذي وابن حبان في الصحابة. توفي رضي الله عنه سنة (٨٥هـ).

ينظر: الكامل في التاريخ (٣/ ٥٣٠)، سير أعلام النبلاء (٣/ ٥٢١) الإصابة في تمييز الصحابة (٤/ ١١٩).

(٤) شرح السنة (١٤/ ٣٧٣)، وينظر أيضًا: سير أعلام النبلاء (الخلفاء الراشدون/ ٨٣).

(٥) حلية الأولياء (١/ ٥٢)، شرح السنة (١٤/ ٣٧٣).

وقال المسور بن مخرمة ﷺ: لما طعن عمر قال: "لو أن لي طلاع الأرض[(١)] ذهبًا، لافتديت به من عذاب الله قبل أن أراه"[(٢)].

وبكى أبو هريرة ﷺ في مرضه، فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: "أما إني لا أبكي على دنياكم هذه، ولكن أبكي على بُعدِ سفري وقلة زادي، وإني أمسيت في صعود على جنة أو نار، لا أدري إلى أيتهما يؤخذ بي"[(٣)].

وقال عبد الله بن مسعود ﷺ: "إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه في أصل جبل يخاف أن يقع عليه، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب وقع على أنفه قال به هكذا فطار"[(٤)].

وقال الحسن أيضًا: "لقد مضى بين أيديكم أقوام لو أن أحدهم أنفق عدد هذا الحصى، لخشي أن لا ينجو من عظم ذلك اليوم"[(٥)].

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: "ما فارق الخوف قلبًا إلا خرب"[(٦)].

وقال ابن القيم رحمه الله: "والخوف المحمود الصادق: ما حال بين صاحبه وبين محارم الله ﷻ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط"[(٧)].

قال أبو عثمان[(٨)] رحمه الله: "صِدقُ الخوف هو: الورع عن الآثام ظاهرًا

---

(١) قال الأصمعي: "طلاع الأرض: ملؤها". نقله عنه الجوهري في الصحاح (٣/ ١٢٥٤).

(٢) حلية الأولياء (١/ ٥٢)، شرح السنة (١٤/ ٣٧٣).

(٣) حلية الأولياء (١/ ٣٨٣)، شرح السنة (١٤/ ٣٧٣).

(٤) البخاري (٨/ ٦٨)، والترمذي واللفظ له (٤/ ٦٥٨).

(٥) شرح السنة (١٤/ ٣٧٤).

(٦) إحياء علوم الدين (٤/ ١٦٢)، مدارج السالكين (١/ ٥٠٩).

(٧) مدارج السالكين (١/ ٥١٠).

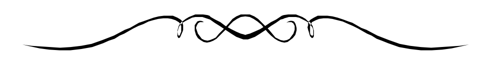
(٨) الشيخ، الإمام، المحدث، القدوة سعيد بن إسماعيل بن سعيد بن منصور أبو عثمان الواعظ الحيري، وكان مجاب الدعوة، مات رحمه الله سنة (٢٩٨هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٠/ ١٤٤)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٦٢)، البداية والنهاية (١٤/ ٧٧٠).



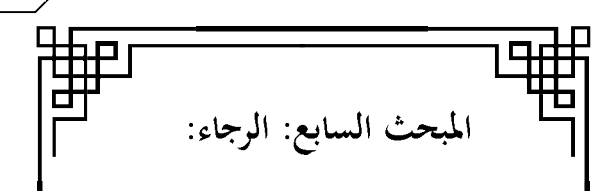
وباطنًا"[١].

ويقول ابن القيم: وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه يقول: "الخوف المحمود ما حجزك عن محارم الله"[٢].



(١) مدارج السالكين (١/ ٥١٠).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٥١١).



المبحث السابع: الرجاء:

أولًا: التعريف:

تعريف الرجاء في اللغة: من رجا يرجو رجاءً، وهو الأمل نقيض اليأس[(١)].

والرجاء اصطلاحًا:

عرفه ابن القيم رحمه الله بقوله: "هو النظر إلى سعة رحمة الله"[(٢)].

وعرف الجرجاني رحمه الله الرجاء فقال: هو: "تعلق القلب بمحصول محبوب في المستقبل"[(٣)].

وقال الكفوي عليه رحمة الله: "الطمع فِيما يمكن حصوله، ويرادفه الأمل"[(٤)].

إذن، الرجاء الطمع في رحمة الله والنظر إلى سعتها.

ثانيًا: الرجاء في الكتاب والسنة:

● أخبر ﷻ عن سعة رحمته فقال تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧].

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١١/ ١٢٤)، مقاييس اللغة (٢/ ٤٩٤)، لسان العرب (١٤/ ٣٠٩) مادة (رجا).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٧).

(٣) التعريفات (١٠٩).

(٤) الكليات (٤٦٨).

• وقال سبحانه وتعالى مخاطبًا من أسرف على نفسه بالمعاصي: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

دلت الآيات على سعة رحمة الله تعالى، مما يفتح باب الرجاء للعبد، ويحدوه إلى التوبة من ذنوبه، وعليه أن يحذر من اليأس والقنوط من رحمة الله.

ومن السنة:

عن أَنَس بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي وَرَجَوْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ عَلَى مَا كَانَ فِيكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، لَوْ بَلَغَتْ ذُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَنِي غَفَرْتُ لَكَ وَلَا أُبَالِي، يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي بِقُرَابِ الأَرْضِ[١] خَطَايَا ثُمَّ لَقِيتَنِي لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَأَتَيْتُكَ بِقُرَابِهَا مَغْفِرَةً»[٢].

وعنه رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ -أَوْ: وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ- لَوْ أَخْطَأْتُمْ حَتَّى تَمْلَأَ خَطَايَاكُمْ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتُمُ اللهَ لَغَفَرَ لَكُمْ، وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ -أَوْ: وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ-، لَوْ لَمْ تُخْطِئُوا لَجَاءَ اللهُ بِقَوْمٍ يُخْطِئُونَ، ثُمَّ يَسْتَغْفِرُونَ اللهَ، فَيَغْفِرُ لَهُمْ»[٣].

---

(١) "أي: بما يقارب ملأها" النهاية في غريب الحديث (٤/ ٣٤) مادة (قرب).

(٢) أخرجه أحمد (٣٥/ ٣٧٥) ح (٢١٤٧٢) عن أبي ذر رضي الله عنه، والترمذي واللفظ له في أبواب الدعوات، باب.. (٥/ ٥٤٨) ح (٣٥٤٠) من حديث أنس رضي الله عنه وقال: "هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، والحاكم في المستدرك في كتاب التوبة والإنابة بلفظ مقارب عن أبي ذر رضي الله عنه (٤/ ٢٦٩) ح (٧٦٠٥) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٢٥٠) ح (١٢٧)، وحسنه محقق المسند (٣٥/ ٣٧٥) ح (٢١٤٧٢).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٢١/ ١٤٦) ح (١٣٤٩٣)، ومسند أبي يعلى (٧/ ٢٢٦) ح (٤٢٢٦)، وقال في مجمع الزوائد في كتاب التوبة، باب منه في سعة رحمة الله ومغفرته للذنوب.. (١٠/ ٢١٥) ح =

دل الحديثان على رحمة الله الواسعة بعباده المذنبين إذا أقبلوا عليه تائبين مستغفرين.

ثالثًا: أقوال العلماء في الرجاء:

قال الغزالي رحمه الله: "الرجاء والخوف جناحان بهما يطير المقربون إلى كل مقام محمود، ومطيتان بهما يقطع من طرق الآخرة كل عقبة كؤود"(١).

وقال ابن القيم عليه رحمة الله: "الرجاء حادٍ يحدو القلوب إلى بلاد المحبوب، وهو الله والدار الآخرة، ويطيب لها السير"(٢).

"وقيل: هو الاستبشار بجود وفضل الرب تبارك وتعالى، والارتياح لمطالعة كرمه سبحانه"(٣).

وقال شاه الكرماني(٤) رحمه الله: "علامة صحة الرجاء حسن الطاعة"(٥).

وقال أبو علي الروذباري(٦) عليه رحمة الله: "الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا

(١٧٦٢٤): "رواه أحمد، وأبو يعلى، ورجاله ثقات"، وقال محقق المسند (٢١/ ١٤٦) ح (١٣٤٩٣): "صحيح لغيره".

(١) إحياء علوم الدين (٤/ ١٤٢).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ٣٦).

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٣٦).

(٤) شاه بن شجاع الكرماني الصوفي الزاهد، وقد كان من أولاد الملوك، وكان حادَّ الفراسة قلما أخطأت فراسته. توفي رحمه الله بعد (٢٧٠هـ).

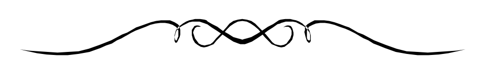
ينظر: حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٧)، طبقات الصوفية للسلمي (١٥٦) ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، تاريخ الإسلام (٦/ ٩٥١).

(٥) مدارج السالكين (٢/ ٣٧).

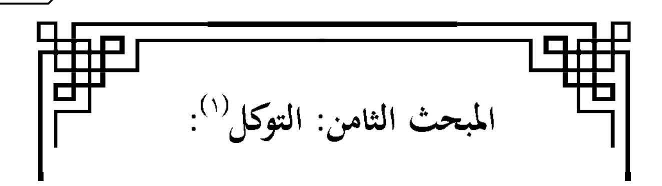
(٦) أبو علي الروذباري أحمد بن محمد بن القاسم، وكان من كبار الصوفية، وكان من أبناء علية القوم، توفي رحمه الله سنة (٣٢٢هـ).

ينظر: حلية الأولياء (١٠/ ٣٥٦)، تاريخ بغداد (٢/ ١٨٠)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٥٣٦).

استويا استوى الطير وتم طيرانه، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص، وإذا ذهبا صار الطائر في حد الموت"[١].



(١) مرآة الزمان في تواريخ الأعيان (١٧/ ٨٩) لسبط ابن الجوزي، لمجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ، مدارج السالكين (٢/ ٣٧).



المبحث الثامن: التوكل[١]:

أولًا: التعريف:

التوكل في اللغة: من وكل، أصل صحيح يدل على إظهار العجز مع الاعتماد على الغير[٢].

التوكل في الاصطلاح:

قال ابن عباس رضي الله عنهما في معنى التوكل: "هو الثقة بالله"[٣].

وقال الإمام أحمد رحمه الله: "وجملة التوكل: تفويض الأمر إلى الله -جل ثناؤه- والثقة به"[٤].

وعرفه ابن رجب رحمه الله بقوله: "التوكل: هو صدق اعتماد القلب على الله عز وجل في استجلاب المصالح ودفع المضار من أمور الدنيا والآخرة كلها، وكلة الأمور كلها إليه، وتحقيق الإيمان بأنه لا يعطي ولا يمنع ولا يضر ولا ينفع سواه"[٥].

وقال الجرجاني عليه رحمة الله: "التوكل: هو الثقة بما عند الله، واليأس عما في أيدي الناس"[٦].

---

(١) ينظر: كتاب التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب، للدكتور عبد الله الدميجي، دار الوطن الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.

(٢) ينظر: مقاييس اللغة (٦/ ١٣٦)، الصحاح (٥/ ١٨٤٥)، لسان العرب (١١/ ٧٣٦) مادة (وكل).

(٣) زاد المسير في علم التفسير (١/ ٣٢٠) لابن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٤) شعب الإيمان (٢/ ٣٩٠).

(٥) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩٧).

(٦) التعريفات (٧٠).

وقال بعضهم: "التوكل: التعلق بالله في كل حال"(١).

وقيل: "التوكل: قطع علائق القلب بغير الله"(٢).

وقرب معناه ابن القيم رحمه الله بشيء من التوضيح، فقال: "هو حال للقلب ينشأ عن معرفته بالله، والإيمان بتفرده بالخلق والتدبير، والضر والنفع، والعطاء والمنع، وأنه ما شاء كان وإن لم يشأ الناس، وما لم يشأ لم يكن وإن شاءه الناس، فيوجب له هذا اعتمادًا عليه، وتفويضًا إليه، وطمأنينة به، وثقة به، ويقينًا بكفايته لما توكل عليه فيه"(٣).

ثانيًا: التوكل في الكتاب والسنة:

جاء التوكل في القرآن الكريم على أحوال منها:

١- الأمر به كما في قوله تعالى لنبيه: ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنَّكَ عَلَى ٱلْحَقِّ ٱلْمُبِينِ﴾ [النمل: ٧٩]، وقوله تعالى للمؤمنين: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

٢- جعله الله من صفات المؤمنين: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

٣- وذكره في مقامات متعددة منها:

أ- الأمر بالتوكل في مقام العبادة، كما في قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١١٦).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١١٧).

(٣) مدارج السالكين (١/ ١٠٣).

ب- الأمر به في مقام الدعوة، كما في قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩].

ت- التوكل في مقام الجهاد والقتال في سبيله، كما في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢١، ١٢٢].

ث- التوكل في مقام طلب الرزق، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ۚ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ ۚ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَىْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وغير ذلك من المقامات العظيمة التي ذكر فيها التوكل على الله(١).

أما من السنة:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَوَكَّلُونَ عَلَى اللهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرُزِقْتُمْ كَمَا يُرْزَقُ الطَّيْرُ؛ تَغْدُو خِمَاصًا وَتَرُوحُ بِطَانًا»(٢).

---

(١) ينظر: أعمال القلوب للمنجد (١٣٨-١٤٥) مجموعة زاد للنشر الخبر، جدة، توزيع مكتبة العبيكان الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ.

(٢) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٣٣٢) ح (٢٠٥)، والترمذي في أبواب الزهد، باب في التوكل على الله (٤/ ٥٧٣) ح (٢٣٤٤)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح لا نعرفه إلا من هذا الوجه"، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب التوكل واليقين (٢/ ١٣٩٤) ح (٤١٦٤)، وصححه الحاكم في كتاب الرقائق (٤/ ٣٥٤) ح (٧٨٩٤) وأقره الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ٩٣٢) ح (٥٢٥٤)، وقال شعيب الأرناؤوط محقق المسند (١/ ٣٣٢) ح (٢٠٥): "إسناده قوي"، وقال في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ٢٦٦) ح (٤١٦٤): "حديث صحيح".

وقال ابن رجب رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث: "وهذا الحديث أصل في التوكل، وأنه من أعظم الأسباب التي يستجلب بها الرزق"(١). وذلك أنه أثبت للطير مع توكلها على الله بذل السبب حيث أخبر ﷺ أنها تغدو وتروح في طلب الرزق.

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ قَالَ -يَعْنِي: إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ-: بِسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ، لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ، وَوُقِيتَ، وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ».

ثالثًا: أقوال العلماء في التوكل:

نقل ابن حجر رحمه الله أنه: "قد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته، أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئًا حتى يأتيني رزقي، فقال: هذا رجل جهِل العلم، فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»(٢)، وقال: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»، فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق.

وقال: وكان الصحابة يتَّجرون ويعملون في نخيلهم، والقدوة بهم"(٣).

ويقول الحسن البصري رحمه الله: "إن من توكُّلِ العبد أن يكون الله هو ثقته"(٤).

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ٤٩٦-٤٩٧).

(٢) صحح إسناده العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٥٠٥) بهذا اللفظ، والحديث أخرجه أحمد في المسند (٩/ ١٢٣) ح (٥١١٤) ولفظه: عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بُعِثْتُ بِالسَّيْفِ حَتَّى يُعْبَدَ اللهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَجُعِلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي، وَجُعِلَ الذِّلَّةُ، وَالصَّغَارُ عَلَى مَنْ خَالَفَ أَمْرِي، وَمَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»، وجوده ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٢٥/ ٣٣١)، وقال بصحته الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٤٥) ح (٢٨٣١).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٤) التوكل على الله لابن أبي الدنيا (٥٥) ت: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

وعن سعيد بن جبير رحمه الله قال: "التوكل على الله جماع الإيمان"[١].

وقال ابن تيمية رحمه الله في أثر التوكل على الله على القلب: "ومما أثر عن بعض السلف قوله: من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله"[٢].

وقال ابن القيم رحمه الله: "وأجمع القوم على أن التوكل لا ينافي القيام بالأسباب، فلا يصح التوكل إلا مع القيام بها، وإلا فهو بطالة وتوكل فاسد"[٣].

ويقول أيضًا: "فالتوكل من أعظم الأسباب التي يحصل بها المطلوب، ويندفع بها المكروه، فمن أنكر الأسباب لم يستقم منه التوكل.

ولكن من تمام التوكل عدم الركون إلى الأسباب، وقطع علاقة القلب بها؛ فيكون حال قلبه قيامه بالله لا بها، وحال بدنه قيامه بها، فالأسباب محل حكمة الله وأمره ودينه، والتوكل متعلق بربوبيته وقضائه وقدره، فلا تقوم عبودية الأسباب إلا على ساق التوكل، ولا يقوم ساق التوكل إلا على قدم العبودية. والله ﷻ أعلم"[٤].

وقال أيضًا في كلام متين ينبغي على من يتصدى لدعوة الناس أن يفقهه ويدرك عمق معانيه، فيقول رحمه الله: "وكثير من المتوكلين يكون مغبونًا في توكله، وقد توكل حقيقة التوكل وهو مغبون، كمن صرف توكله إلى حاجة جزئية استفرغ فيها قوة توكله، ويمكنه نيلها بأيسر شيء، وتفريغ قلبه للتوكل في زيادة الإيمان والعلم، ونصرة الدين، والتأثير في العالم خيرًا، فهذا توكل العاجز القاصر الهمة. كما يصرف بعضهم همته وتوكله ودعاءه إلى وجع يمكن مداواته بأدنى شيء، أو جوع يمكن زواله بنصف رغيف، أو نصف درهم، ويدع صرفه إلى نصرة الدين، وقمع المبتدعين، وزيادة الإيمان،

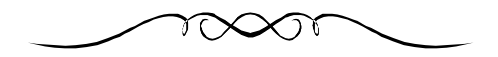
---

(١) الزهد لهناد بن السري (١/ ٣٠٤)، ت: عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.
(٢) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٣).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ١١٧).
(٤) مدارج السالكين (٢/ ١٢٠).

ومصالح المسلمين. والله أعلم"[١].

وهذا منهج دقيق في فهم توكل النبي ﷺ وأصحابه سطره ابن القيم فقال رحمه الله: "فحال النبي ﷺ وحال أصحابه محك الأحوال وميزانها، بها يعلم صحيحها من سقيمها، فإن هممهم كانت في التوكل أعلى من همم من بعدهم، فإن توكلهم كان في فتح بصائر القلوب، وأن يعبد الله في جميع البلاد، وأن يوحده جميع العباد، وأن تشرق شموس الدين الحق على قلوب العباد، فملؤوا بذلك التوكل القلوب هدى وإيمانًا، وفتحوا بلاد الكفر وجعلوها دار إيمان، وهبت رياح روح نسمات التوكل على قلوب أتباعهم فملأتها يقينًا وإيمانًا، فكانت همم الصحابة ﵃ أعلى وأجل من أن يصرف أحدهم قوة توكله واعتماده على الله في شيء يحصل بأدنى حيلة وسعي، فيجعله نصب عينيه، ويحمل عليه قوى توكله"[٢].

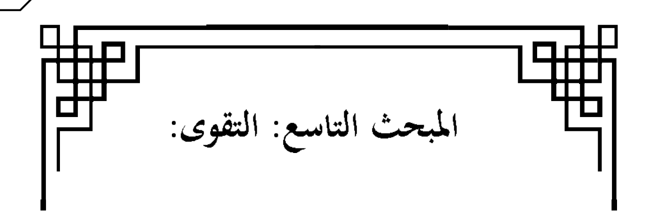
ويقول ابن القيم أيضًا: "التوكل من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبد ما لا يطيق من أذى الخلق وظلمهم وعدوانهم، وهو من أقوى الأسباب في ذلك، فإن الله حسبه، أي: كافيه، ومن كان الله كافيه وواقيه فلا مطمع فيه لعدوه"[٣].



(١) مدارج السالكين (٢/ ١٢٥).

(٢) مدارج السالكين (٢/ ١٣٥).

(٣) التفسير القيم (٦٤٩) لابن القيم ت: مكتب الدراسات والبحوث بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.



المبحث التاسع: التقوى:

أولًا: التعريف:

التقوى لغة: من وقى، تقول: وقيته أقيه وقيًا، والوقاية ما يقي من الشيء، اتق الله توقَّه أي: اجعل بينك وبينه كالوقاية[١]، وذلك بفعل أوامره واجتناب نواهيه[٢].

التقوى اصطلاحا:

من أجمع ما عُرفت به التقوى ما يلي:

قال طلق بن حبيب[٣] رحمه الله: "التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله، وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله"[٤].

وعرفها ابن رجب فقال: "أصل التقوى: أن يجعل العبد بينه وبين ما يخافه ويحذره وقاية تقيه منه، فتقوى العبد لربه أن يجعل بينه وبين ما يخشاه من ربه من غضبه وسخطه وعقابه وقاية تقيه من ذلك، وهو فعل طاعته واجتناب معاصيه"[٥].

ثانيًا: التقوى في الكتاب والسنة:

وتذكر التقوى في القرآن الكريم على عدة أوجه، منها:

---

(١) ينظر: الصحاح (٦/ ٢٥٢٦)، مقاييس اللغة (٦/ ١٣١)، لسان العرب (١٥/ ٤٠٢) مادة (وقى).

(٢) ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ١٠٥٢).

(٣) طلق بن حبيب العَنَزِيُّ تابعي جليل، زاهد كبير من العلماء العاملين، إلا أنه كان يرى رأي المرجئة. توفي رحمه الله سنة (٩٤هـ).

ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٢٧)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠١)، البداية والنهاية (١٢/ ٤٧٥).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٠٠).

(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ٣٩٨).

١- الأمر بها ورد في كثير من الآيات، ومن ذلك:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

٢- ذكر صفات أهلها، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ١٣٣ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٣٤ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ وَمَن يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمۡ يُصِرُّواْ عَلَىٰ مَا فَعَلُواْ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ١٣٥ أُوْلَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغۡفِرَةٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَجَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَنِعۡمَ أَجۡرُ ٱلۡعَٰمِلِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣-١٣٦].

٣- ذكر الأسباب الموصلة إليها، ومن ذلك:

قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

٤- ذكر فوائد التقوى وثمراتها في الدنيا والآخرة، وهي كثيرة جدًّا في القرآن الكريم، منها:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ۝٢ وَيَرۡزُقۡهُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا﴾ [الطلاق: ٤].

وقوله: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا﴾ [الطلاق: ٥].

وقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد: ٢٨].

وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٖ وَعُيُونٍ﴾ [الحجر: ٤٥].

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ۝٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ۝٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ۝٤٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [المرسلات: ٤١-٤٤].

وغير ذلك من الأحوال والأوجه الكثيرة التي ذكرها الله في كتابه عن التقوى والمتقين.

ومن السنة:

عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ ذَكَرَ النَّارَ فَأَشَاحَ بِوَجْهِهِ فَتَعَوَّذَ مِنْهَا، ثُمَّ قَالَ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ»(١).

وعن أبي أُمَامَةَ يَقُولُ: سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُ فِي حَجَّةِ الوَدَاعِ فَقَالَ: «اتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ، وَصَلُّوا خَمْسَكُمْ، وَصُومُوا شَهْرَكُمْ، وَأَدُّوا زَكَاةَ أَمْوَالِكُمْ، وَأَطِيعُوا ذَا أَمْرِكُمْ تَدْخُلُوا جَنَّةَ رَبِّكُمْ»(٢).

وهذه النصوص من الكتاب والسنة تدل على مكانة التقوى العظيمة، وأنها من أعظم أعمال القلوب كما قال ﷺ: «التَّقْوَى هَاهُنَا» وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.

ثالثًا: أقوال العلماء في التقوى:

قال ابن عباس رضي الله عنهما: "المتقون الذين يحذرون من الله عقوبته في ترك ما يعرفون من الهدى، ويرجون رحمته في التصديق بما جاء به"(٣).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه في قوله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، قال: "أن يطاع فلا يعصى، ويذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر"(٤).

وقال أبو هريرة رضي الله عنه وقد وسأل سائل عن التقوى: "هل أخذت طريقًا ذا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٨/ ١١٦) ح (٦٥٦٣)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة، أو كلمة طيبة وأنها حجاب من النار (٢/ ٧٠٤) ح (١٠١٦).

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب السفر، باب منه (٢/ ٥١٦) ح (٦١٦)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢/ ٥٢٤) ح (٨٦٧).

(٣) تفسير الطبري (١/ ٢٣٧)، تفسير ابن أبي حاتم (١/ ٣٥) ت: اسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.

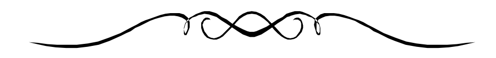
(٤) تفسير الطبري (٥/ ٦٣٨)، تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٧٢٢).

شوك؟"، قال: نعم، قال: "فكيف صنعت؟"، قال: إذا رأيتُ الشوك عدلت عنه، أو جاوزته، أو قصرت عنه، قال: "ذاك التقوى"(١).

وقال الحسن عليه رحمة الله: "المتقون اتَّقَوا ما حرم الله عليهم، وأدوا ما افترض عليهم"(٢).

وقال عمر بن عبد العزيز(٣) رحمه الله: "ليس تقوى الله بصيام النهار، ولا بقيام الليل، والتخليط فيما بين ذلك، ولكن تقوى الله ترك ما حرم الله، وأداء ما افترض الله، فمن رزق بعد ذلك خيرًا، فهو خير إلى خير"(٤).

وقال ميمون بن مهران(٥) رحمه الله: "المتقي أشد محاسبة لنفسه من الشريك الشحيح لشريكه"(٦).



(١) تفسير البغوي (١/ ٦٠)، تفسير القرطبي (١/ ١٦١).

(٢) تفسير ابن كثير (١/ ١٦٣)، جامع العلوم والحكم (١/ ٤٠٠).

(٣) الإمام، الحافظ، العلامة، المجتهد، الزاهد، العابد، عمر بن عبد العزيز بن مروان الأموي، أمير المؤمنين حقًا، أبو حفص القرشي، الأموي، الخليفة، الزاهد، الراشد، كان تابعيًا جليلًا، توفي رحمه الله سنة (١٠١هـ).

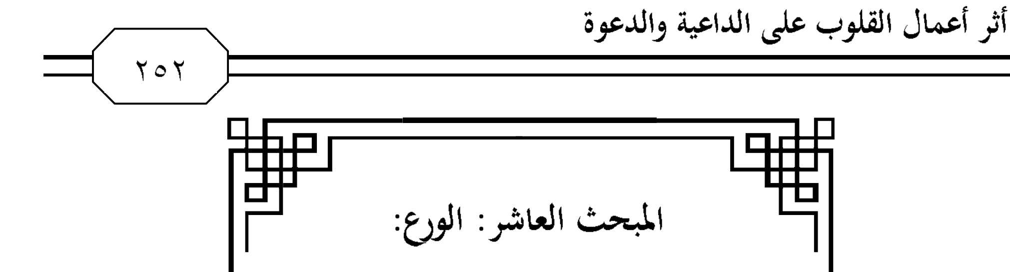
ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١١٤)، البداية والنهاية (١٢/ ٦٧٦)، الأعلام (٥/ ٥٠).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٠٠)، وكذلك نسبه إلى عمر بن عبد العزيز ابن أبي الدنيا كما في الدر المنثور (١/ ٦٢).

(٥) الإمام القدوة، الحجة، عالم الجزيرة، ومفتيها، ميمون بن مهران أبو أيوب الجزري، الرقي، ثقة كثير الحديث، توفي رحمه الله سنة (١١٧هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٧١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٦)، الأعلام (٧/ ٣٤٢).

(٦) جامع العلوم والحكم (١/ ٤٠١) الدر المنثور (١/ ٦٣) للسيوطي، دار الفكر بيروت.



المبحث العاشر: الورع:

أولًا: التعريف:

الورع في اللغة: يطلق على الكف والانقباض، ومنه العفة وهي الكف عما لا ينبغي، ويطلق على التأثم والتحرج، وتورع من كذا أي تحرج، والوَرِعُ بِكَسْرِ الرَّاءِ: الرجل التقي المتحرج[(١)].

الورع في الاصطلاح:

قال عنه شيخ الإسلام: "وأما الورع فإنه الامساك عما قد يضر، فتدخل فيه المحرمات والشبهات؛ لأنها قد تضر، فإنه من اتقى الشبهات استبرأ لعرضه ودينه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي حول الحمى يوشك أن يواقعه"[(٢)].

وقال ابن القيم في معناه: "يعني أن يتوقى الحرام والشبه، وما يخاف أن يضره أقصى ما يمكنه من التوقي"[(٣)].

وقال الجرجاني: "الورع هو: اجتناب الشبهات خوفًا من الوقوع في المحرمات"[(٤)].

ثانيًا: الورع في السنة:

ورد الورع في نصوص السنة، ومن ذلك:

---

(١) ينظر: الصحاح (٣/ ١٢٩٧)، مقاييس اللغة (٦/ ١٠٠)، المخصص (٤/ ٦١)، لسان العرب (٨/ ٣٨٨) مادة (ورع).

(٢) الزهد والورع والعبادة (٥٠) لابن تيمية، ت: حماد سلامة ومحمد عويضة، مكتبة المنار الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٢٥).

(٤) التعريفات (٢٥٢).

عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ -وَأَهْوَى النُّعْمَانُ بِإِصْبَعَيْهِ إِلَى أُذُنَيْهِ-: «إِنَّ الْحَلَالَ بَيِّنٌ، وَإِنَّ الْحَرَامَ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشْتَبِهَاتٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى الشُّبُهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ، كَالرَّاعِي يَرْعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يَرْتَعَ فِيهِ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»[(١)].

قال الخطابي رحمه الله: "هذا الحديث أصل في الورع وفيما يلزم الإنسان اجتنابه من الشبهة والريب"[(٢)].

وعَن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «فَضْلُ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ، وَخَيْرُ دِينِكُمُ الْوَرَعُ»[(٣)].

ودل الحديث على مكانة الورع، وأنه خير الدين، فعلى الداعية الموفق الحرص على هذا العمل القلبي العظيم والتخلق به، فإنه من الصفات العظيمة التي لها أثر في نجاح الداعية في دعوته.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه (١/ ٢٠) ح (٥٢)، ومسلم واللفظ له في كتاب المساقاة، باب أخذ الحلال وترك الشبهات (٣/ ١٢١٩) ح (١٥٩٩).

(٢) معالم السنن (٣/ ٥٦).

(٣) أخرجه الحاكم في كتاب العلم (١/ ١٧٠) ح (٣١٤)، وقال: "صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه" ووافقه الذهبي، وحسن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب في كتاب العلم والترغيب في العلم وطلبه وتعلمه (١/ ٥٠) ح (١٠٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٧٦) ح (٤٢١٤).

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]»، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ: «يُطِيلُ السَّفَرَ، أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!»[١].

قال ابن رجب رحمه الله: "ومن أعظم ما يحصل به طيبة الأعمال للمؤمن طيب مطعمه، وأن يكون من حلال، فبذلك يزكو عمله"[٢].

وهذا أعظم الورع الذي يثمر التوفيق للداعية في دعوته، وما قد يحصل من خلل في الدعوة وقصور، إذا فتشت وجدته من قبل عدم التورع عن المطعم أو المشرب أو الملبس أو المركب أو المال المشتبه فيه.

وعَنْ أَبِي الْحَوْرَاءِ السَّعْدِيِّ[٣] قَالَ: قُلْتُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا حَفِظْتَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: حَفِظْتُ مِنْهُ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لَا يَرِيبُكَ»[٤].

وعلق ابن رجب على هذا الحديث فقال: "وهذا هو الورع، وبه يحصل كمال التقوى"[٥].

وهذا الحديث قاعدة عظيمة في الورع.

---

(١) أخرجه مسلم في الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٢/ ٧٠٣) ح (١٠١٥).

(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٦٠).

(٣) ربيعة بن شيبان أبو الحوراء السعدي، من التابعين، ووثقه كل من النسائي والعجلي، وذكره ابن حبان في الثقات. لم أعثر على من سنة وفاته رحمه الله.

ينظر: التاريخ الكبير (٣/ ٢٨٢)، الثقات للعجلي (١/ ٣٥٧) ت: عبد العليم البستوي، مكتبة الدار المدينة النبوية، ط١، ١٤٠٥هـ، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٥٦).

(٤) أخرجه الترمذي في أبواب صفة القيامة والرقاق والورع، باب.. (٤/ ٦٦٨) ح (٢٥١٨)، وقال: "وهذا حديث صحيح"، والنسائي واللفظ له أخرجه في كتاب الأشربة، الحث على ترك الشبهات (٨/ ٣٢٧) ح (٥٧١١)، وصححه الحاكم في كتاب البيوع (٢/ ١٥) ح (٢١٦٩) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٦٣٧) ح (٣٣٧٧).

(٥) فتح الباري لابن رجب (١/ ٢٢٦).

ثالثًا: أقوال العلماء في الورع:

عن عمر رضي الله عنه قال: "بالورع عما حرم الله يقبل الله الدعاء والتسبيح"[(١)].

وقال رضي الله عنه: "أفضل الأعمال أداء ما افترض الله، والورع عما حرم الله، وصدق النية فيما عند الله عز وجل"[(٢)].

وقال حسان بن أبي سنان[(٣)] رحمه الله: "ما شيء أهون من الورع، إذا رابك شيء فدعه"[(٤)].

وعلق ابن رجب رحمه الله على مقولة حسان فقال: "وهذا إنما يسهل على مثل حسان رحمه الله"[(٥)].

وقال الشافعي رحمه الله: "أعز الأشياء ثلاثة: الجود من قلة، والورع في خلوة، وكلمة الحق عند من يرجى أو يخاف"[(٦)].

وعن الضحاك[(٧)] قال: "لقد رأيتنا وما يتعلم بعضنا من بعض، إلا الورع"[(٨)].

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٧٦).

(٢) لم أعثر عليه في كتاب الإخلاص والنية لابن أبي الدنيا طبعة دار البشائر، ت: إياد الطباع، ط١، ١٤١٣هـ، وقد نقله ابن رجب في جامع العلوم والحكم (٢/ ٣٣٦) ونسبه إليه.

(٣) حسان بن أبي سنان البصري العابد من التابعين عرف بالورع، وقد ذكره ابن حبّان في الثّقات، وقال: يروي الحكايات، ولا أعرف له حديثًا مسندًا.

ينظر: التاريخ الكبير للبخاري (٣/ ٣٥) الثقات لابن حبان (٦/ ٢٢٥)، الإصابة (٢/ ١٧٨).

(٤) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٠).

(٥) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٨٠).

(٦) صفة الصفوة (١/ ٤٣٥) لابن الجوزي ت: أحمد بن علي، دار الحديث القاهرة، ط١٤٢١هـ، جامع العلوم والحكم (١/ ٤٠٨).

(٧) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو محمد، وقيل: أبو القاسم، صاحب التفسير، كان من أوعية العلم، وليس بِالْمُجَوِّدِ لحديثه، وهو صدوق في نفسه كما يقول الذهبي، وثقه الإمام أحمد وابن معين وأبو زرعة، وضعفه آخرون، مات عليه رحمة الله سنة (١٠٦هـ)، وقيل: (١٠٥هـ) والله أعلم.

ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٩٨) تهذيب التهذيب (٤/ ٤٥٣) الأعلام (٣/ ٢١٥).

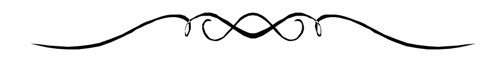
(٨) الورع لابن أبي الدنيا (٥١) ت: أبي عبد الله محمد الحمود، الدار السلفية الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ.

وعن الحسن البصري رحمه الله قال: "أفضل العبادة التفكر والورع"[١].

قال الفضيل بن عياض رحمه الله عن الورع: "اجتناب المحارم"[٢].

وقال الفضيل أيضًا: "أشد الورع في اللسان"، وأثر هذا عن عبد الله بن المبارك[٣] عليه رحمة الله[٤].

وعن طاووس[٥] رحمه الله قال: "مثل الإسلام كمثل شجرة، فأصلها الشهادة، وساقها كذا وكذا، وورقها كذا شيء سماه، وثمرها الورع لا خير في شجرة، لا ثمر لها، ولا خير في إنسان، لا ورع له"[٦].



(١) الورع لابن أبي الدنيا (٥٣).

(٢) الورع لابن أبي الدنيا (٦٠).

(٣) الإمام، شيخ الإسلام، عالم زمانه، وأمير الأتقياء في وقته، الحافظ عبد الله بن المبارك أبو عبد الرحمن المروزي مولى بني حنظلة، وكان من الربانيين في العلم، الموصوفين بالحفظ، ومن المذكورين بالزهد. توفي رحمه الله سنة (١٨١هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١١/ ٣٨٨)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٨)، الأعلام (٤/ ١١٥).

(٤) الورع لابن أبي الدنيا (٧٧).

(٥) الفقيه، القدوة، عالم اليمن، الحافظ طاووس بن كيسان الفارسي اليماني، وهو من كبار التابعين علمًا وعملًا، لازم ابن اعباس رضي الله عنهما فترة من الزمن، ويعد من كبار أصحابه، مات رحمه الله سنة (١٠٦هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٨)، شذرات الذهب (٢/ ٤٠)، الأعلام (٣/ ٢٢٤).

(٦) الورع لابن أبي الدنيا (١٠٩).

الفصل الثاني:
أمثلة وتطبيقات على بعض دعاة علماء السلف وأثر عمل القلب عليهم وعلى دعوتهم.

المبحث الأول: مواقف من حياة الإمام أحمد عليه رحمة الله، يظهر فيها أثر أعمال القلوب عليه وعلى دعوته.

المبحث الثاني: مواقف من حياة الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله، يظهر فيها أثر أعمال القلوب عليه وعلى دعوته.

المبحث الثالث: مواقف من حياة الإمام مُحَّمد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله، يظهر فيها أثر أعمال القلوب عليه وعلى دعوته.

توطئة:

رأيت في الجانب العملي التطبيقي لأثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة أن يكون على ثلاث شخصيات من عصور مختلفة، وهم يمثلون نموذجًا من ذلك الركب المبارك من علماء سلف هذه الأمة المباركة، وكان الاختيار على النحو الآتي:

المبحث الأول: مواقف من حياة الإمام أحمد عليه رحمة الله، يظهر فيها أثر أعمال القلوب عليه وعلى دعوته.

المبحث الثاني: مواقف من حياة الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله، يظهر فيها أثر أعمال القلوب عليه وعلى دعوته.

المبحث الثالث: مواقف من حياة الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله، يظهر فيها أثر أعمال القلوب عليه وعلى دعوته.

ونبدأ أولًا بالخصائص المشتركة بين هؤلاء الأئمة الثلاثة عليهم رحمة الله:

وبهذا أردت أن أبتعد عن الطريقة التقليدية في عرض هذه الشخصيات، ويمكن أن يرجع لها في مصادرها المعروفة، ولكني أحببت أن أغوص بعمق -فيما أزعم- في كل من هذه الشخصيات لأخرج ببعض المقارنات العامة قبل البداية بالحديث عن كل شخصية بمفردها، **وهذه سمات مشتركة -فيما ظهر لي- بين سير هؤلاء الأئمة، ولكثير منها شواهد ستأتي في أثناء المواقف المستخرجة من حياتهم.**

مع ملاحظة أن هذه السمات والخصائص قد تكون بارزة عند أحدهم أكثر من غيره، وقد يكون استفاد اللاحق من السابق وتأثر ببعض خصائصة وسماته، كما هو الحال في سيرة الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب، فقد تأثر كثيرًا بشخصيتين لهما أثر كبير في نشر عقيدة السلف والدفاع عنها، وهما شيخ الإسلام والحافظ ابن القيم عليهما رحمة الله، وقد تأثر ابن عبد الوهاب بمنهجية الشيخين في الدعوة إلى عقيدة السلف والدفاع عنها، وتربى عليها، وذلك واضح بين في دعوته وما كتبه من رسائل وكتب، ودونك هذه الخصائص والسمات المشتركة بين هؤلاء الأئمة.

الأول: التمكن العلمي المتين الرصين، ومن ثمراته المنهج العلمي المتسق الذي اتسم به هؤلاء الأئمة، وله ملامح من أبرزها:

١- مهارة التأصيل في التعامل مع المقالات، والمذاهب، والردود، والنقد، والربط بالكتاب والسنة وأقوال السلف.

٢- الاستقلال المعرفي.

٣- الاتزان في النقد.

٤- الانفتاح على جميع معارف العصر، والأخذ منها وفق معايير دقيقة من أهمها سلامتها من مصادمة الشرع[1].

الثاني: الهمة العالية، وتتجلى معالمها في طلب العلم، وكثرة العبادة، والجهاد في سبيل الله، والدعوة إليه، وتمثل قيم الإسلام وأخلاقه واقعًا عمليًّا، وسيأتي مزيد بيان لهذا في الجانب التطبيقي من حياتهم.

الثالث: الاطلاع على العلوم المنتشرة في عصرهم التي يستعين بها أهل البدع والضلال لنشر باطلهم، مع هضمها بشكل كبير والقيام بغربلة دقيقة لها، ووضعها تحت مجهر الشرع وقبول النافع منها، ورد الضار وبيان عواره وتحذير الناس منه، مما أكسبهم قدرة كبيرة على النقد والحوار والمجادلة وهم على بينة من الأمر واضحة، مما يجعل الخصم يقر ويذعن إما ظاهرًا أو باطنًا.

الرابع: النظرة الثاقبة واستشراف المستقبل وفق معايير سليمة تستضيء بنور الوحي؛ مما يكسب هذه النظرة بعدًا إستراتجيًّا عميقًا وفراسة لا تكاد تخطئ.

الخامس: الصبر واليقين الذي أثمر العزيمة الصادقة التي لا تقف أمامها العوائق

---

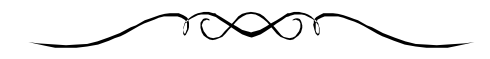
(١) ينظر: منهج ابن تيمية المعرفي (٣٨ وما بعدها) د. عبد الله الدعجاني، من مطبوعات تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٣٥هـ.

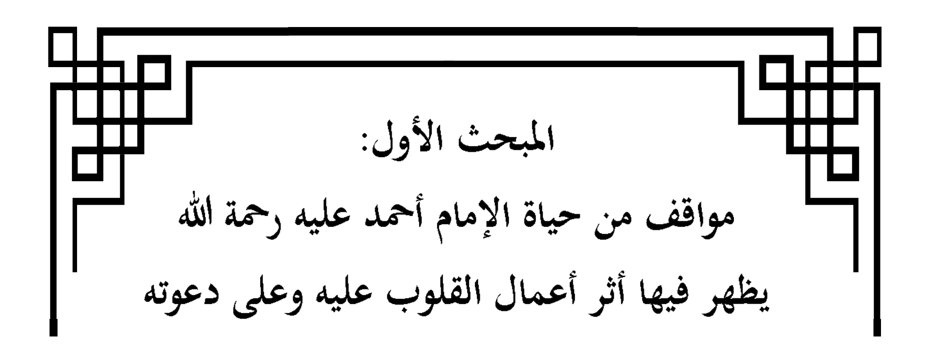
حتى النصر والتمكين.

السادس: القدرة الفكرية الهائلة في المحاربة على جميع الجبهات من دون كلل ولا ملل، مع ردود قوية عميقة على أعداء عقيدة أهل السنة والجماعة تقتلع مذاهبهم من جذورها.

السابع: التمكن التام من القدرة على مجادلة الخصم ورد شبهه بطريقة علمية رصينة متينة.

وبعد هذه المقارنة السريعة في الخصائص والسمات المشتركة بين هؤلاء الأئمة، أنتقل إلى جوانب عملية من حياة هؤلاء العلماء، يظهر فيها أثر أعمال القلوب في حياتهم ودعوتهم.





المبحث الأول:
مواقف من حياة الإمام أحمد عليه رحمة الله
يظهر فيها أثر أعمال القلوب عليه وعلى دعوته

المطلب الأول: أثر عمل القلب على طلبه للعلم، وتعليمه للناس:

الفرع الأول: أثر عمل القلب في طلبه للعلم.

الفرع الثاني: تعليمه العلم للناس وبذله لطالبه، وما تركه للأمة من مؤلفات.

المطلب الثاني: ورعه وزهده في الدنيا وتعلق القلب بالآخرة، وكثرة ذكره وعبادته:

الفرع الأول: ورعه وزهده وتعلق القلب بالآخرة.

الفرع الثاني: تعلق القلب بالله وكثرة الذكر والعبادة.

المطلب الثالث: أثر عمل القلب على ثبات الإمام أحمد على عقيدة السلف، وصبره على ما لقيه في ذلك.

المطلب الرابع: أثر عمل القلب على حسن خلقه رحمه الله، وعفوه عمن آذوه.

توطئة:

حسن السمت من أخلاق الأنبياء والصالحين، يدل على كمال الإيمان، وله الأثر الكبير في قلوب الناس، وهو مدعاة لمحبة الناس للمتَّصف به، وإقبالهم عليه، وحسن الاقتداء به، وغالبًا ما يدل على صفاء القلب ونقاء السريرة، ويكسب المرء هيبة ووقارًا، ووجاهة ومنزلة في قلوب الخلق[١].

ويعني حسن السمت: "حسن المظهر الخارجيّ للإنسان من طريقة الحديث والصّمت، والحركة والسّكون والدّخول والخروج والسّيرة العمليّة في النّاس، بحيث يستطيع من يراه أو يسمعه أن ينسبه لأهل الخير والصّلاح والدّيانة والفلاح"[٢].

عن عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ وَالِاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ»[٣].

قال الخطابي رحمه الله في معنى هذا الحديث: "يريد أن هذه الخلال من شمائل الأنبياء صلوات الله عليهم، ومن الخصال المعدودة من خصالهم، وأنها جزء من أجزاء فضائلهم، فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها، وليس معنى الحديث أن النبوة تتجزأ، ولا أن من جمع هذه الخلال كان فيه جزء من النبوة مكتسبة ولا مجتلبة بالأسباب، وإنما هي كرامة من الله سبحانه وخصوصية لمن أراد إكرامه بها من عباده، والله يعلم حيث يجعل رسالاته، وقد انقطعت النبوة بموت محمد ﷺ"[٤].

---

(١) ينظر: الإيناس في فتح قلوب الناس (١/ ١٩٩) للدكتور سيد العفاني، دار العفاني القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ.

(٢) نضرة النعيم (٥/ ١٥٨٨).

(٣) أخرجه أحمد (٤/ ٤٣١) ح (٢٦٩٨) وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الوقار (٤/ ٢٤٧) ح (٤٧٧٦)، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح (١٠/ ٥٠٩)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٠١) ح (١٩٩٣)، وقال الأرناؤوط في تعليقه على سنن ابن ماجه (٥/ ٥٦): "وهو حديث قوي".

(٤) معالم السنن (٤/ ١٠٦-١٠٧).

ويقول ابن الجوزي رحمه الله: "وقد كان جماعة من السلف يقصدون العبد الصالح للنظر إلى سمته وهديه، لا لاقتباس علمه، وذلك أن ثمرة علمه هديه وسمته"(١).

إن النظر إلى سمت العالم وأدبه وأخلاقه مما يعين على الاقتداء والانتفاع بعلمه، وهو منهج سار عليه السلف، ودونك هذه المواقف:

قال ابن الماجشون: "إن رؤية مُحَمَّد بن المنكدر لتنفعني في ديني"(٢).

وقال أبو زرعة الرازي: "سمعت أبا جعفر الجمال يقول: أتينا وكيعاً، فخرج بعد ساعة وعليه ثياب مغسولة، فلما بصرنا به، فزعنا من النور الذي رأيناه يتلألأ من وجهه، فقال رجل بجنبي: أهذا ملك؟! فتعجبنا من ذلك النور"(٣).

أما خبر الإمام أحمد رحمه الله في هديه وسمته الحسن فأمره في ذلك عجب، ودونك شيئًا من خبره:

يقول مُحَمَّد بن مسلم رحمه الله: "كنا نهاب أن نردَّ أحمد بن حنبل في الشيء أو نحاجه في شيء من الأشياء، يعني لجلالته ولهيبة الإسلام الذي رزقه"(٤).

ويروي ابن الجوزي(٥) رحمه الله فيقول: "كان يجتمع في مجلس أحمد زهاء خمسة آلاف أو يزيدون، نحو خمس مائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب

---

(١) صيد الخاطر (٢٢٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٩/ ١٥٧).

(٤) الآداب الشرعية (٢/ ١٢).

(٥) الشيخ، الإمام، العلامة، الحافظ، المفسر، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن مُحَمَّد ابن الجوزي القرشي التيمي البغدادي صاحب التصانيف المشهورة في أنواع العلوم من التفسير، والحديث، والفقه، والوعظ، والزهد، والتاريخ، والطب، وغير ذلك. له الكثير من الكتب منها: زاد المسير في التفسير، وتلبيس إبليس، وصفة الصفوة، وغيرها كثير، وقد أخذ عليه أمور منها تأويله في الصفات رحمه الله رحمة واسعة. توفي سنة (٥٩٧هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٢١/ ٣٦٥)، تاريخ الإسلام (١٢/ ١١٠١)، الأعلام (٣/ ٣١٦).

وحسن السمت"[١].

وربما البعض ممن يحضرون مجالس العلم هدفهم من ذلك رؤية هدي العالم وخُلُقِه كما يذكر ابن الجوزي عن أبي بكر بن المطَّوِّعِيّ[٢] يقول: "اختلفت إلى أبي عبد الله أحمد بن حنبل ثنتي عشرة سنة وهو يقرأ المسند على أولاده، ما كتبت منه حديثًا واحدًا؛ إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه وآدابه"[٣].

وكان الإمام رحمه الله يشبه في هديه وسمته ودَلِّه[٤] الصحابيَّ الجليل ابن مسعود رضي الله عنه.

قال حميد بن عبد الرحمن الرؤاسي[٥]: "يقال: لم يكن أحد من الصحابة أشبه هديًا وسمتًا ودلًّا من ابن مسعود بالنبي ﷺ، وكان أشبه الناس به علقمة[٦]، وكان أشبه

(١) مناقب الإمام أحمد (٢٨٨) لابن الجوزي، ت: د. عبد الله التركي، دار هجر، ط٢، ١٤٠٩هـ، سير أعلام النبلاء (١١/ ٣١٦).

(٢) يعقوب بن يوسف بن أيوب أبو بكر المطَّوِّعِيّ، ذكره الدارقطني، فقال: ثقة فاضل، توفي سنة (٢٨٧هـ).
ينظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٤٢٣)، طبقات الحنابلة (١/ ٤١٧)، البداية والنهاية (١٤/ ٦٩١).

(٣) مناقب الإمام أحمد (٢٨٨)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٣١٦).

(٤) الدَلُّ: قريب من الهدي، وهما من السكينة والوقار في الهيئة والمنظر والشمائل وغير ذلك.
ينظر: الصحاح (٤/ ١٦٩٩) مادة (دلل).

(٥) حميد بن عبد الرحمن بن حميد، أبو عوف الرُّؤَاسِي الكوفي، أحد الأثبات. قال الأثرم: أثنى عليه أحمد بن حنبل، ووصفه بخير، وروى الكوسج، عن يحيى بن معين: ثقة، وقال أبو بكر بن أبي شيبة: قل من رأيت مثله، واختلف في سنة وفاته رحمه الله فقيل: (١٨٩هـ)، وقيل: (١٩٠هـ)، وقيل: (١٩٢هـ)، وقد حكى البخاري الأول.
ينظر: التاريخ الكبير (٢/ ٣٤٦) للبخاري، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، مراقبة محمد عبد المعيد خان، تاريخ الإسلام (٤/ ٨٤٠)، تهذيب التهذيب (٣/ ٤٤).

(٦) علقمة بن قيس بن عبد الله أبو شبل النخعي فقيه الكوفة، وعالمها، الإمام، الحافظ، المجود، المجتهد الكبير، ولد في أيام الرسالة المحمدية، وعداده في المخضرمين، وكان يُشَبَّهُ بابن مسعود في هَدْيِهِ وَدَلِّهِ وَسَمْتِهِ، وكان طلبته يسألونه ويتفقهون به والصحابة متوافرون، توفي رحمه الله سنة (٦٢هـ).
ينظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٢٤٠)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣)، الأعلام (٤/ ٢٤٨).

الناس بعلقمة إبراهيم[(١)]، وكان أشبههم بإبراهيم منصور بن المعتمر[(٢)]، وأشبه الناس به سفيان الثوري[(٣)]، وأشبه الناس به وكيع[(٤)]، وأشبه الناس بوكيع -فيما قاله محمد بن يونس الجمال[(٥)]- أحمد بن حنبل"[(٦)].

والنظر في حياة العالم ومواقفه لأخذ العظة والعبرة مطلب تربوي ملح، ولا شك ولا ريب أن للإمام أحمد رحمه الله شخصية فذة فريدة، وقد جمع قدرًا وافرًا من مكامن القدوة في حياته، وفي هذا المطلب سيدور الحديث عن هذه الشخصية في أبرز

---

(١) الإمام، الحافظ، فقيه العراق، أبو عمران إبراهيم بن يزيد بن قيس بن الأسود النخعي، اليماني، ثم الكوفي، أحد الأعلام، وكان بصيرًا بعلم ابن مسعود، واسع الرواية، فقيه النفس، كبير الشأن، كثير المحاسن، توفي رحمه الله سنة (٩٦هـ).
ينظر: وفيات الأعيان (١/ ٢٥)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠)، الأعلام (١/ ٨٠).

(٢) منصور بن المعتمر أبو عتاب السلمي الكوفي الحافظ، الثبت، القدوة، أحد الأعلام، وكان من أوعية العلم، صاحب إتقان، وكان صوامًا قوامًا، وتوفي رحمه الله سنة (١٣٢هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٤٠٢)، الأعلام (٧/ ٣٠٥)، موسوعة مواقف السلف (٢/ ٢٥١).

(٣) شيخ الإسلام، إمام الحفاظ، سيد العلماء العاملين في زمانه سفيان بن سعيد بن مسروق أبو عبد الله الثوري من أهل الكوفة، وكان إمامًا من أئمة المسلمين، وعلمًا من أعلام الدين، مجمعًا على إمامته بحيث يستغنى عن تزكيته، مع الاتقان، والحفظ، والمعرفة، والضبط، والورع، والزهد، وتوفي رحمه الله سنة (١٦١هـ).
ينظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٢١٩)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٣٠) الأعلام (٣/ ١٠٤).

(٤) الإمام، الحافظ، محدث العراق، أحد الأعلام وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي الرؤاسي وكان من بحور العلم، وأئمة الحفظ، وتوفي رحمه الله سنة (١٩٧هـ). ولم أعثر على سنة وفات رحمه الله.
ينظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٦٤٧)، سير أعلام النبلاء (٩/ ١٤٠)، الأعلام (٨/ ١١٧).

(٥) محمد بن يونس الجمال المخرمي البغدادي، قال عنه ابن عدي: وهو ممن يسرق أحاديث الناس، وقال عنه ابن حجر: ضعيف ولم يثبت أن مسلمًا روى عنه.
ينظر: الكامل في ضعفاء الرجال (٧/ ٥٣٧) لابن عدي، ت: عادل عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ، تقريب التهذيب (٥١٥) لابن حجر، ت: محمد عوامة، دار الرشيد سوريا، ط١، ١٤٠٦هـ.

(٦) ينظر: مناقب الإمام أحمد (٢٨٩-٢٩٠)، ونص الخبر في سير أعلام النبلاء (١١/ ٣١٦-٣١٧).

الملامح والمواقف التي لها علاقة بدعوة الإمام وأثر أعمال القلوب فيها، ألتمسها من بين السطور، وأقتنصها من المواقف، وأتأمل في مواطن العظات والعبر منها، وفق المحاور الآتية، وأسأل الله التوفيق والإعانة:

المطلب الأول: أثر عمل القلب على طلبه للعلم، وتعليمه للناس:

الفرع الأول: أثر عمل القلب في طلبه للعلم:

لا شك أن من أعظم أسباب حصول العلم وبركته في حياة من يطلبه إخلاص النية لله تعالى في طلبه لوجه الله تعالى، وهناك أيضًا أعمال قلبية لها أثر عظيم في حصول العلم وبركته، وتوفيق الله للعبد فيه، منها: صدق النية مع الله تعالى، وكان للإمام أحمد رحمه الله سهم وافر في هذا الأمر، وتعامل قلبي مع الله عظيم أثمر له الرفعة والمكانة العالية.

قال أبو بكر المروذي[1]: "سمعت رجلًا يقول لأبي عبد الله -وذكر له الصدق والإخلاص- فقال أبو عبد الله: بهذا ارتفع القوم"[2].

وبالإخلاص والصدق مع الله رفع الله الإمام أحمد حتى صار علمًا من أعلام الأمة، يضرب به المثل في الثبات على هذا الدين، ودونك هذا الموقف العظيم الذي يظهر من خلاله قوة العزيمة بسبب صدق النية مع الله تعالى، حيث يروي صالح[3] ابن الإمام أحمد هذا الخبر فيقول عليه رحمة الله: "عزم أَبي على الخروج إلى مكة يقضي

---

(١) الإمام، القدوة، الفقيه، المحدث شيخ الإسلام أحمد بن مُحَمَّد بن الحجاج بن عبد العزيز أبو بكر المروذي، صاحب الإمام أحمد. مات رحمه الله سنة (٢٧٥هـ).

ينظر: طبقات الحنابلة (١/ ٥٦)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٧٣) الأعلام (١/ ٢٠٥).

(٢) مناقب الإمام أحمد (٢٦٧).

(٣) الإمام، المحدث، الحافظ، الفقيه صالح بن أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل بن هلال أبو الفضل الشيباني، وقال ابن أبي حاتم: كتبت عنه بأصبهان وهو صدوق ثقة، وتوفي رحمه الله سنة (٢٦٥هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٤٣٣)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٢٩)، الأعلام (٣/ ١٨٨)

حجة الإسلام، ورافق يحيى بن معين[١]، وقال له: نمضي إن شاءَ الله فنقضي حجنا، ثم نمضي إلى عبد الرزاق[٢] إلى صنعاء نسمع منه.

قال أَبي: فدخلنا مكة وقمنا نطوف طواف الورود[٣]، فإذا عبد الرزاق في الطواف يطوف، وكان يحيى بن معين قد رآه وعرفه، فخرج عبد الرزاق لما قضى طوافه، فصلى خلف المقام ركعتين ثم جلس، فقضينا طوافنا وجئنا فصلينا خلف المقام ركعتين، فقام يحيى بن معين، فجاء إلى عبد الرزاق فسلم عليه، وقال له: هذا أَحمد بن حنبل أَخوك، فقال: حياه الله وثبَّته، فإنه يبلُغني عنه كُلُّ جميل. قال له يحيى: نجيء إليك غدًا -إن شاء الله- حتى نسمع ونكتب.

قال: وقام عبد الرزاق فانصرف، فقال أبي ليحيى بن معين: لم أَخذت على الشيخ موعدًا؟ قال: لنسمع منه، قد أربحك الله مسيرةَ شهر ورجوع شهر والنفقة. فقال أَبي: ما كان الله يراني وقد نويتُ نيةً لي أفسدها بما تقول، نمضي فنسمع منه. فمضى حتى سمع منه بصنعاء"[٤].

وهذه مواقف عظيمة لهذا الإمام العظيم، يظهر فيها حرصه على طلب العلم في كل مراحل حياته، فليس لديه زمن محدد ينتهي فيه طلب العلم، يطلبه في صغره وكبره الأمر سواء؛ لأن طلب العلم عبادة لا تتوقف بزمن معين، وهذه ثمرة من ثمرات

---

(١) الإمام، الحافظ، الجهبذ، شيخ المحدثين، يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام أحد الأعلام، إمام الجرح والتعديل وكان إمامًا ربانيًا عالما، حافظًا، ثبتًا، متقنًا، وتوفي رحمه الله سنة (٢٣٣هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٢٦٣)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٧١)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢٨٠).

(٢) الحافظ الكبير، عالم اليمن، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحِمْيَرِيُّ، وله من المؤلفات المصنف في الحديث وله التفسير، وتوفي رحمه الله في سنة (٢١١هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ٢١٦)، سير أعلام النبلاء (٩/ ٥٦٣)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣١٠).

(٣) وهو طواف القدوم.

(٤) تاريخ دمشق (٥/ ٢٦٦-٢٦٧) لابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر ١٤١٥هـ، مناقب الإمام أحمد (٣٥).

إخلاص النية لله تعالى، وإذا أخلص العبد لربه في طلب العلم وصدق معه، فتح الله عليه لذة العلم وحلاوته، فلا يشبع منه ولا يمل، ويستسهل الصعب من أجل الحصول عليه، وقال أحمد بن سنان الواسطي(١): "بلغني أن أحمد بن حنبل رهن نعله عند خباز على طعام أخذه منه عند خروجه من اليمن، وأكرى نفسه من ناس من الحمالين عند خروجه، وعرض عليه عبد الرزاق دراهم صالحة فلم يقبلها منه"(٢)(٣)، ودونك أيضًا هذه الإشارات كما يرويها ابن الجوزي رحمه الله في مناقبه:

١- قال عبد الله بن أَحمد بن حنبل(٤): "سمعتُ أَبي يقول: كنتُ ربما أَردتُ البكور في الحديث، فتأخذ أُمي بثيابي وتقول: حتى يؤذن الناس، أو حتى يُصبحوا. وكنت ربما بَكّرت إلى مجلس أبي بكر بن عياش(٥) وغيره"(٦).

٢- ويقول صالح عن أبيه: "رأى رجل مع أَبي محبرة، فقال له: يا أبا عبد اللَّه، أنت قد بلغت هذا المبلغ، وأنت إِمام المسلمين! فقال: مع المحبرة إلى المقبرة"(٧).

---

(١) الإمام، الحافظ، المجود، أحمد بن سنان بن أسد بن حبان الواسطي، القطان، واختلف في سنة، وفاته وصوّب ابن حجر أنه توفي عليه رحمة الله في سنة (٢٥٩هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٢٤٤)، تهذيب التهذيب (١/ ٣٤)، الأعلام (١/ ١٣٣).

(٢) تاريخ دمشق (٥/ ٣٠٤)، مناقب الإمام أحمد (٣١٠)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠٦).

(٣) وهذا من عفة نفسه رحمه الله.

(٤) الإمام، الحافظ، الناقد، محدث بغداد، عبد الله بن أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل أبو عبد الرحمن الشيباني، وكان ثقة ثبتًا، وكان عبد الله رجلًا صالحًا صادق اللهجة كثير الحياء، وله الزوائد على كتاب الزهد لأبيه، وله زوائد المسند على مسند أبيه في قرابة عشرة آلاف حديث. توفي عليه رحمة الله سنة (٢٩٠هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١١/ ١٢)، طبقات الحنابلة (١/ ١٨٠)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١٦)، الأعلام (٤/ ٦٥).

(٥) المقرئ، الفقيه، المحدث، شيخ الإسلام، وبقية الأعلام أبو بكر بن عياش بن سالم الأسدي، والصحيح أن اسمه كنيته توفي رحمه الله سنة (١٩٤هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٥٤٢)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٩٥)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٣٤).

(٦) مناقب الإمام أحمد (٣١)

(٧) مناقب الإمام أحمد (٣٧).

٣- وقال عبد الله بن مُحَّد البغَوي[(١)]: "سمعت أبا عبد اللَّه أَحمد بن حنبل يقول: أَنا أَطلب العلم إلى أن أَدخل القبر"[(٢)].

٤- وقال مُحَّد بن إسماعيل الصايغ[(٣)]: "كنت أَصوغ مع أَبي ببغداد، فمر بنا أَحمد بن حنبل وهو يعدو ونعلاه في يده، فأَخذ أَبي هكذا بمجامع ثوبه، فقال: يا أبا عبد اللَّه، أَلا تستحي؟! إلى متى تعدو مع هؤلاء الصبيان؟! قال: إلى الموت"[(٤)].

الفرع الثاني: تعليمه العلم للناس وبذله لطالبه، وما تركه للأمة من مؤلفات:

تعليم الناس العلم وبذله لطالبه صفة نبيلة عالية المقام عند الله تعالى، وهي من صفات الأنبياء، ومن اقتدى بهم من الدعاة المصلحين.

والأنبياء لم يتركوا شيئًا من الدنيا لأتباعهم إلا هذا العلم الذي بذلوه لهم، وهكذا من سار على دربهم.

ومن آثار عمل القلب -من صدق العالم وإخلاصه- توفيق الله له لتعليم الناس ونشر علمه بينهم، وقد أظهر الله لهذه الأمة علماء تستنير بهم الأرض كما تستنير بضوء القمر بدرًا، فيبدد الله بهم ظلام الجهل، ويكشف عوار البدع، ويحيي بهم معالم السنة، وقد كان الإمام أحمد رحمه الله أحد هذه البدور الساطعة التي أضاءَت للأمة

---

(١) الحافظ، الإمام، الحجة، المعمر، مسند العصر، أبو القاسم عبد الله بن مُحَّد بن عبد العزيز البغوي، وصنف كتاب معجم الصحابة وجوده، وكتاب الجعديات وأتقنه جمع فيه أحاديث شيخه علي بن الجعد، وتوفي رحمه الله سنة (٣١٧هـ).

ينظر: تاريخ الإسلام (٧/ ٣٢٣)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٤٤١)، الأعلام (٤/ ١١٩).

(٢) مناقب الإمام أحمد (٣٧).

(٣) الإمام، المحدث، الثقة، شيخ الحرم مُحَّد بن إسماعيل بن سالم أبو جعفر الصائغ سكن مكة، وحدث بها. مات رحمه الله سنة (٢٧٦هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٢/ ٣٦٣)، تهذيب الكمال (٢٤/ ٤٧٥) للمزي، ت: بشار عواد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٦١).

(٤) مناقب الإمام أحمد (٣٧).

دربها، حينما كادت تعصف بها رياح البدع والأهواء، فيقول رحمه الله عن صفة هؤلاء العلماء المصلحين في أول كتابه في الرد على الزنادقة والجهمية: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضلَّ إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصِّرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه! وكم من ضالٍّ تائه قد هدوه! فما أحسن أثرهم على الناس! وأقبح أثر الناس عليهم!

ينفون عن كتاب الله تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، الذين عقدوا ألوية البدع، وأطلقوا عقال الفتنة، فهم مختلفون في الكتاب، مخالفون للكتاب، مجمعون على مفارقة الكتاب، يقولون على الله وفي الله وفي كتاب الله بغير علم.

يتكلمون بالمتشابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يشبّهون عليهم، فنعوذ بالله من فتن الضالين"[(١)].

ويروي ابن الجوزي هذه الحادثة عن الإمام أحمد، يظهر منها اهتمامه بطالب العلم، وبالأخص الغريب؛ لأنه قد لا يُؤبَه به، لكن هذا لا يحصل عند العلماء الربانيين، فيقول أبو بكر المروذي: "رأيت أبا العلاء الخادم[(٢)] قد جاء إلى أبي عبد الله، وكان شيخًا مُشمّرًا يشبه القراء متواضعًا، فاستأذن على أبي عبد الله، فخرج إليه، وإذا في المسجد رجلٌ غريب عليه أطمار[(٣)] ومعه محبرة، فلما قعد أبو عبد الله حانت منه التفاتة فرأى الرجل، فقال لأبي العلاء: لا يشتدّ عليك الحرّ، فقام.

ثم جعل أبو عبد الله يلاحظ الرجل، فلما لم يسأله قال له أبو عبد الله: ألك حاجة؟ فقال: تُعلِّمني مما عَلّمك الله، فقال: فدخل إلى منزله فأخرج كتبًا وقال له:

---

(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٥٥-٥٧) للإمام أحمد، ت: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات، ط١.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) الأطمار: جمع طِمْرٍ أي: الثوب الخَلِق البالي. ينظر: تهذيب اللغة (١٣/ ٢٣٣)، لسان العرب (٤/ ٥٠٣)، المعجم الوسيط (٢/ ٥٦٥) مادة (طمر).

ادنُه، فَجعل يُملي عليه، ثم يقول للرجل: اقرأ ما كتبتَ"[١].

إن المتأمل في هذا الموقف العظيم النبيل مع هذا الطالب للعلم الغريب يخرج ببعض اللفتات التربوية منها:

١- حسن الأسلوب في تصريفه للطالب الذي معه، ويظهر فيه حرصه عليه وشفقته على طلابه.

وهذا موقف آخر يصبُّ في هذا الاتجاه، يظهر حرص المعلم على طلابه وتربيته لهم على الشفقة بالمتعلمين: يروي ابن الجوزي هذا الموقف فيقول: "قال هارون بن عبد الله الحمال[٢]: جاءني أحمد بن حنبل بالليل، فدق الباب عليّ، فقلت: من هذا؟ فقال: أنا أحمد، فبادرت إليه فمسَّاني ومسَّيته، قلت: حاجة يا أبا عبد الله؟ قال: نعم، شغلت اليوم قلبي، قلت: بماذا يا أبا عبد الله؟ قال: جزت عليك اليوم وأنت قاعد تحدث الناس في الفيء، والناس في الشمس بأيديهم الأقلام والدفاتر، لا تفعل مرَّةً أخرى، إذا قعدتَ فاقعد مع الناس"[٣].

٢- عدم احتقار المتعلم مهما كان مظهره، فالعبرة ليست بالظواهر، وإنما بحقائق ما في القلوب التي لا يعلمها إلا الله، والتي هي محل نظره ﷻ، فكم من طالب لا يُلتفت إليه ولا يُؤبَه به في أعين ضعاف البصيرة، صار بعد ذلك إمامًا يُشار له بالبنان، وما خبر عطاء بن أبي رباح[٤] ببعيد.

---

(١) مناقب الإمام أحمد (٢٦٠).

(٢) هارون بن عبد الله بن مروان أبو موسى البزاز المعروف بالحمال، وكان الإمام أحمد رحمه الله يكرمه ويعرف حقه وقِدَمَه وجلالته، وكان ثقة حافظًا، عارفًا. مات رحمه الله سنة (٢٤٣هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٣١)، طبقات الحنابلة (١/ ٣٩٦).

(٣) مناقب الإمام أحمد (٣٠١).

(٤) الإمام، شيخ الإسلام، مفتي الحرم، أبو مُحَمَّد القرشي مولاهم، المكي، وكان من أوعية العلم، يقول: أدركت مائتين من أصحاب رسول الله ﷺ، وأرسلت امرأة إلى ابن عباس تسأله عن شيء، فقال: يا أهل مكة، تجتمعون علي وعندكم عطاء، وقد رفعه الله بالعلم وكان رحمه الله أسود، أعور، أفطسَ، مشلولًا، أعرج؛

=

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ».

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»(١).

٣- إذا رأيتَ من المتعلم عدمَ سؤال وأقبال عليك فأقبِل عليه، فربما لغربته أو لموقف ما أحجم عن سؤالك، فابتدِئه واسأل عن حاله، وقدِّم له ما تستطيع من خدمة.

أما مصنفاته عليه رحمة الله فقد صنف المسند الذي جمع فيه أكثر ما تحتاجه الأمة من حديث الرسول ﷺ، يقول ابن الجوزي "فصنف المسنَد وهو ثلاثون ألف حديث، وكان يقول لابنه عبد الله: احتفظ بهذا المسند؛ فإنه سَيكون للناس إمامًا"(٢).

وهو رحمه الله يعتبر من المقلين في التصنيف(٣)؛ لأنه كان ينهى عن كتابة كلامه تواضعًا منه، وقد قدر الله أن يكتب علمه ويرتَّب ويشاع(٤)، وهذه بعض آثار تلك الأعمال التي في القلوب، مما لا يعلمه إلا الله سبحانه وتعالى.

المطلب الثاني: ورعه وزهده في الدنيا وتعلق القلب بالآخرة، وكثرة ذكره وعبادته:

الفرع الأول: ورعه وزهده وتعلق القلب بالآخرة:

لكنه كان جبلًا من جبال العلم.

ينظر: التاريخ الكبير (٦/ ٤٦٣)، تاريخ دمشق (٤٠/ ٣٦٦)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٧٨).

(١) أخرجه الإمام مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الضعفاء والخاملين (٤/ ٢٠٢٤) ح (٢٦٢٢).

(٢) مناقب الإمام أحمد (٢٦١)، ونقله عن ابن الجوزي الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٣٢٧).

(٣) وفي مناقب الإمام أحمد (٢٦١): "كان الإمام أحمد رضي الله عنه لا يرى وضع الكتاب، وينهى أن يُكتب عنه كلامه ومسائله، ولو رأى ذلك لكانت له تصانيف كثيرة".

(٤) ينظر: مناقب الإمام أحمد (٢٦٦).

من الصفات العظيمة في الداعية المصلح أن يكون قلبه متعلقًا بالآخرة، تظهر عليه سمة الورع والزهد في الدنيا، وهذه لا تظهر إلا إذا صلح القلب وسلم من الآفات، وكانت هذه الصفات من سمات الإمام أحمد رحمه الله، وهو يتمثلها في حياته منهجًا وسلوكًا، وفق منهج أهل السنة والجماعة، وهو المنهج الذي ترك النبي ﷺ أصحابه عليه، قبل أن تتكدر هذه الصفات بالمناهج الوافدة فيما بعد، ودونك شذرات من مواقف هذا الإمام في ورعه وزهده نستنطق منها العظات والعبر.

ومما ينبغي أن يعلم أنه ليس من الزهد ما يقع فيه بعض من تكدرت مشاربه بصوفية استُقِيت من وثنيات الشرق أو الغرب، فصار الزهد يعني لبس الرث من الثياب، وعدم الاعتناء بالنظافة، رهبانية ابتدعوها.

أما إمامنا -وهو الزاهد الذي على منهاج النبوة- فهو على منهج الوسط والاعتدال، فقد كان رحمه الله كما يذكر الذهبي عن عبد الملك الميموني[(١)] أنه قال: "ما أعلم أني رأيت أحدًا أنظف بدنًا، ولا أشد تعاهدًا لنفسه في شاربه وشعر رأسه وشعر بدنه، ولا أنقى ثوبًا بشدة بياض من أحمد بن حنبل رضي الله عنه.

كان ثيابه بين الثوبين، تسوى ملحفته خمسة عشر درهمًا، وكان ثوب قميصه يؤخذ بالدينار ونحوه، لم يكن له دقة تنكر، ولا غلظ ينكر، وكان ملحفته مهذبة"[(٢)].

ويقول المروذي أيضًا: "سمعت أبا عبد الله يقول للشجاع بن مخلد[(٣)]: يا أبا

(١) الإمام، العلامة، الحافظ، الفقيه عبد الملك بن عبد الحميد بن مهران الميموني، وكان من كبار أصحاب الإمام أحمد، وكان عالم الرقة، ومفتيها في زمانه، مات رحمه الله سنة (٢٧٤هـ).
ينظر: طبقات الحنابلة (١/ ٢١٢)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١٣٤)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٨٩).

(٢) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠٨).

(٣) شجاع بن مخلد أبو الفضل البغوي ثقة ثبت، توفي رحمه الله سنة (٢٣٥هـ).
ينظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٤٨)، تهذيب التهذيب (٤/ ٣١٢)، الأعلام (٣/ ١٥٧).

الفضل، إنما هو طعام دون طعام، ولباس دون لباس، وإنها أيام قلائل"[١].

ونقل أبو نعيم[٢] عن نصر بن علي[٣] يقول: «أحمد بن حنبل أمره بالآخرة كان أفضل؛ لأنه أتته الدنيا فدفعها عنه»[٤].

وقال أبو داود[٥]: "كانت مجالس أحمد مجالس الآخرة، لا يذكر فيها شيء من أمر الدنيا، ما رأيته ذكر الدنيا قط"[٦].

ومن الأمثلة العظيمة على الورع تورُّعه رحمه الله في الفتوى، وهو إمام أهل السنة ومن أكثر علماء الأمة فقهًا.

وقد سأل الإمام أبو داود السجستاني أحمد بن حنبل عن طلاق السَّكران، فرد عليه بقوله: "سل غيري"[٧].

وعن أحمد بن مُحَمَّد المروذي قال: "سأَلتُ أحمد بن حنبل ما لا أُحصي عن أشياء،

---

(١) الورع لأحمد رواية المروذي (٨٠) ت: سمير الزهيري، دار الصميعي الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.

(٢) الإمام، الحافظ، الثقة، العلامة، أحد الأعلام، أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى أبو نعيم الأصبهاني، وله من المصنفات: حلية الأولياء، ومعجم الصحابة، ودلائل النبوة، وغيرها، مات رحمه الله سنة (٤٣٠هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (١/ ٩١)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ٤٥٣)، البداية والنهاية (١٥/ ٦٧٤).

(٣) الحافظ، العلامة، الثقة، نصر بن علي بن نصر بن علي بن صهبان الجهضمي البصري، وكان من كبار الأعلام، وأئمة السنة الأثبات، توفي رحمه الله سنة (٢٥٠هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٣٨٩)، تهذيب الكمال (٢٩/ ٣٥٥)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٣٣).

(٤) حلية الأولياء (٩/ ١٨٠) لأبي نعيم الأصبهاني، دار السعادة مصر، ١٣٩٤هـ.

(٥) الإمام الثبت سيد الحفاظ سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير أبو داود الأزدي السجستاني صاحب السنن وقال ابن حبان: كان أحد أئمة الدنيا فقهًا وعلمًا وحفظًا ونسكًا وورعًا وإتقانًا جمع وصنف وذب عن السنن، وتوفي عليه رحمة الله سنة (٢٧٥هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٧٥)، تذكرة الحفاظ (٢/ ١٢٧)، تهذيب التهذيب (٤/ ١٧٢).

(٦) مناقب الإمام أحمد (٢٩٥)، سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٩).

(٧) ينظر: مناقب الإمام أحمد (٣٥٨).

فيقول فيها: لا أدري"(١).

ويقول: "ربما مكثتُ في المسألة ثلاث سنين قبل أن أعتقد منها شيئًا"(٢).

فهؤلاء الأئمة العظماء الذين شهد لهم القاصي والداني بسعة العلم والاطلاع إلا أنهم يتورعون عن الفتوى خشية لله، وتجد اليوم طويلب علم لا يبلغ عشر معشار ما بلغ هؤلاء من العلم، يتقحم على الفتوى في النوازل ولا يبالي، وماذاك إلا لنقص العقل والتقوى.

الفرع الثاني: تعلق القلب بالله وكثرة الذكر والعبادة:

إن القلوب إذا تعلقت بالله وأقبلت عليه بصدق وإخلاص فتح عليها من التوفيق والإعانة ما لا يخطر على بال، وأمدها بقوة عظيمة في العبادة والإقبال عليه، وأنها لتعمل أعمالًا يعجز عنها غيرها، والقوة من الله، وهي قوة القلوب وليست قوة الأبدان، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ [هود: ٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال ﷺ: «إن الله قال: وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» الحديث.

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد يصف عبادة أبيه: "كان أبي يصلي في كل يوم وليلة ثلاثمائة ركعة، فلما مرض من تلك الأسواط أضعفته، فكان يصلي في كل يوم

(١) مناقب الإمام أحمد (٣٥٨).

(٢) مناقب الإمام أحمد (٣٥٩).

وليلة مائة وخمسين ركعة، وقد كان قرب من الثمانين، وكان يقرأ في كل يوما سُبْعًا، يختم في كل سبعة أيام، وكانت له ختمة في كل سبع ليالٍ سوى صلاة النهار، ربما سمعت أبي في السحر يدعو لأقوام بأسمائهم، وكان يكثر الدعاء ويخفيه، ويصلي بين العشاءين، فإذا صلى عشاء الآخرة ركع ركعات صالحة، ثم يوتر وينام نومة خفيفة، ثم يقوم إلى الصباح يصلي ويدعو، وكانت قراءته لينة، ربما لم أفهم بعضها، وكان يصوم ويدمن، ثم يفطر ما شاء الله، ولا يترك صوم الاثنين والخميس وأيام البيض، فلما رجع من العسكر أدمن الصوم إلى أن مات"[1].

وقال المرُّوذي: "كنت مع أبي عبد الله نحوًا من أربعة أشهر بالعسكر، ولا يدع قيام الليل وقراءات النهار، فما علمت بختمة ختمها، وكان يُسرُّ ذلك"[2].

وقال عبد الله بن أحمد: "لما قدم أبو زرعة نزل عند أبي، فكان كثير المذاكرة له، فسمعت أبي يومًا يقول: ما صليت اليوم غير الفريضة، استأثرت بمذاكرة أبي زرعة على نوافلي"[3].

وقال عبد الله بن أحمد: "سمعت أبي يقول: وددت أني نجوت من هذا الأمر كفافًا، لا علي ولا لي"[4].

ويقول المروذي: "قلت لأبي عبد الله: ما أكثر الداعين لك! فتغرغرت عينه، وقال: أخاف أن يكون هذا استدراجًا"[5].

وعن المروذي قال: "أدخلت إبراهيم الحصري[6] على أبي عبد الله -وكان رجلًا

---

(١) تاريخ دمشق (٥/ ٣٠٠)، مناقب الإمام أحمد (٣٨٢)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٢، ٢٢٣).

(٢) مناقب الإمام أحمد (٢٦٨).

(٣) مناقب الإمام أحمد (٣٨٦)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٨).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٧).

(٥) مناقب الإمام أحمد (٣٦٩-٣٧٠)، وسير أعلام النبلاء (١١/ ٢١٠).

(٦) لم أعثر له على ترجمة.

صالحًا- فقال: إن أمي رأت لك منامًا، هو كذا وكذا، وذكرت الجنة.

فقال: يا أخي، إن سهل بن سلامة[١] كان الناس يخبرونه بمثل هذا، وخرج إلى سفك الدماء، وقال: الرؤيا تسرُّ المؤمن ولا تغرُّه"[٢].

وقال عباس الدوري[٣]: "حدثنا علي بن أبي فزارة[٤] قال: كانت أمي مُقعدة من نحو عشرين سنة، فقالت لي يوما: اذهب إلى أحمد بن حنبل، فسله أن يدعو لي، فأتيت، فدققت عليه وهو في دِهْليزه[٥]، فقال: من هذا؟ قلت: رجل سألتني أمي -وهي مقعدة- أن أسألك الدعاء، فسمعت كلامه كلام رجل مغضب، فقال: نحن أحوج أن تدعو الله لنا، فوليت منصرفًا، فخرجت عجوز، فقالت: قد تركته يدعو لها. فجئت إلى بيتنا، ودققت الباب، فخرجت أمي على رجليها تمشي"[٦].

---

(١) لم أعثر له على ترجمة مستقلة فيما تيسر لي من مصادر، ومما يظهر من كلام المؤرخين أنه رجل في أول الأمر يدعو إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر متطوعًا بذلك، وقد اتبعه على ذلك كثير، ثم آل به الأمر إلى الخروج على السلطان وسفك الدماء، وقد ذكر الإمام أحمد عنه ذلك، والذي يظهر -والله أعلم- أنه رُئِيَت له منامات فغرته، فخرج على السلطان ووقع في سفك الدم الحرام.
ينظر: الكامل في التاريخ (٥/ ٤٨٣) لابن الاثير، ت: عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ، تاريخ الإسلام (٥/ ٩، ١٢، ١٩٤)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٧).

(٢) مناقب الإمام أحمد (٣٧٩)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢٧).

(٣) الإمام، الحافظ، الثقة، الناقد العباس بن مُحَمَّد بن حاتم بن واقد أبو الفضل الدوري مولى بني هاشم، أحد الأئمة الأثبات، له كتاب في الرجال رواه عنه يحيى بن معين، مات رحمه الله سنة (٢٧١هـ).
ينظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣٠)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٢٢)، الأعلام (٣/ ٢٦٥).

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) الدِّهْلِيز: مكان أو ممر ضيق ما بين الباب والدار، فارسي معرَّب، جمعه دهاليز.
ينظر: الصحاح (٣/ ٨٧٨)، لسان العرب (٥/ ٣٤٩)، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧٧٧) (دهلز).

(٦) والقصة ذكرها أبو نعيم في حلية الأولياء (٩/ ١٨٧)، إلا أنه قال: علي بن أبي حرارة، وابن عساكر في تاريخ دمشق (٥/ ٢٩٩)، وذكرها كذلك الذهبي في تاريخ الإسلام (٥/ ١٠٢١)، وقال: رواها ثقتان عن عباس الدوري، وكذا قال في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢١١).

وقال أبو بكر المروذي: "قلت لأبي عبد الله: إن بعض المحدثين قال لي: أبو عبد الله لم يزهد في الدراهم وحدها، قد زهد في الناس، فقال أبو عبد الله: ومن أنا حتى أزهد في الناس؟! الناس يريدون يزهدون فيّ، وقال أبو عبد الله: أسأل الله أن يجعلنا خيرًا مما يظنون، ويغفر لنا ما لا يعلمون"(١).

المطلب الثالث: أثر عمل القلب على ثبات الإمام أحمد على عقيدة السلف، وصبره على ما لقيه في ذلك:

الصبر والثبات من المعالم البارزة في حياة الدعاة إلى الله تعالى، الذين يحرصون على تحقيق أعمال القلوب، فإن ذلك من أعظم أسباب الثبات، وبالأخص ثباتهم على الصراط المستقيم والمنهج القويم، من غير تغيير ولا تبديل، يدعون إلى الله على بصيرة على منهاج النبوة، ويصبرون على ما يلقونه في ذات الله تعالى، وهذا المعلم من المعالم الواضحة في حياة إمامنا عليه رحمة الله، فقد ضرب أروع الأمثلة في الصبر والثبات، وثبته الله ثبات الجبال، ونصر به السنة، وقمع به البدعة، في يوم من أيام الله الخالدة، وذلك في فتنة القول بخلق القرآن التي تولى كبرها أئمة الضلال من الجهمية وأهل الاعتزال، مع الاستعانة بقوة السلطان التي مالت إليهم، فحصل بلاء عظيم وفتنة شرها مستطير؛ ولكن الله ثبت الإمام أحمد ليقول كلمة الحق، ويصبر على المحنة والسجن والضرب؛ ليخرج من هذه الفتنة منتصرًا للمنهج الحق، منهج أهل السنة والجماعة؛ ليكون موقفه معلمًا بارزًا في حياة الأمة، وقد جعل الله له قبولًا في الأرض، ومكَّن له وثبته، ليرتبط اسمه بهذا اللقب العظيم، وليبقى حيًّا في ذاكرة الأمة باسم إمام أهل السنة.

يقول الأئمة عنه في ثباته رحمه الله يوم المحنة: عن ابن المديني(٢) قال: "أعز الله

---

(١) الورع لأحمد رواية المروذي (١٦٣-١٦٤).

(٢) الشيخ، الإمام، الحجة، أمير المؤمنين في الحديث علي بن عبد الله بن جعفر بن نجيح المعروف بابن المديني، وهو أحد أئمة الحديث في عصره، والمقدم علي حفاظ وقته، مات رحمه الله سنة (٢٣٤هـ).

=

الدين بالصديق يوم الردة، وبأحمد يوم المحنة"[١].

ويروي الذهبي رحمه الله عن بشر بن الحارث[٢] قوله: "إن أحمد أُدخِل الكير[٣]، فخرج ذهبًا أحمر"[٤].

ويقول أيضًا[٥]: "قام أحمد مقام الأنبياء، وأحمد عندنا امتحن بالسراء والضراء، فكان فيهما معتصمًا بالله"[٦].

و"قيل له أيام المحنة: يا أبا عبد الله، أولا ترى الحق كيف ظهر عليه الباطل؟!

قال: كلا، إن ظهور الباطل على الحق أن تنتقل القلوب من الهدى إلى الضلالة، وقلوبنا بعد لازمة للحق"[٧].

وينقل الإمام الذهبي عن مُحَمَّد بن إبراهيم البوشنجي[٨] قوله: "جعلوا يذاكرون أبا

ينظر: تاريخ بغداد (١٣/ ٤٢١)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤١)، الأعلام (٤/ ٣٠٣)، موسوعة مواقف السلف (٣/ ٤١٦).

(١) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٦).

(٢) الإمام، العالم، المحدث، الزاهد، الرباني، القدوة، بشر بن الحارث بن عبد الرحمن بن عطاء المروزي الزاهد المعروف بالحافي، فاق أهل عصره في الورع والزهد، وتفرد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحسن الطريقة، واستقامة المذهب، وعزوف النفس. توفي رحمه الله سنة (٢٢٧هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٧/ ٥٤٥)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٦٩)، الأعلام (٢/ ٥٤).

(٣) أي: كير الحداد، وهو مصنوع من جلد ونحوه، يستخدمه الحداد للنفخ لإشعال النار.

ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ١٤٩)، لسان العرب (٥/ ١٥٧)، المعجم الوسيط (٢/ ٨٠٧) مادة (كير).

(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ١٩٧).

(٥) أي: بشر بن الحارث رحمه الله.

(٦) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٠٢).

(٧) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٨)

(٨) الإمام، العلامة، الحافظ، ذو الفنون، مُحَمَّد بن إبراهيم بن سعيد البوشنجي العبديّ، شيخ أهل الحديث في زمانه، بنيسابور. مات رحمه الله سنة (٢٩١هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥٨١)، تهذيب التهذيب (٩/ ٨)، الأعلام (٥/ ٢٩٤).

عبد الله في التُّقية[(١)] وما روي فيها، فقال: كيف تصنعون بحديث خباب: «إِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ كَانَ يُنْشَرُ أَحَدُهُمْ بِالْمِنْشَارِ، لاَ يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ»؟![(٢)]، فأيسنا منه"[(٣)].

وقال: "لست أبالي بالحبس، ما هو ومنزلي إلا واحد، ولا قتلًا بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط، فسمعه بعض أهل الحبس، فقال: لا عليك يا أبا عبد الله، فما هو إلا سوطان، ثم لا تدري أين يقع الباقي، فكأنه سُرِّي عنه"[(٤)].

يقول الذهبي: قال ابن أبي دؤاد[(٥)]: "ما رأيت أحدًا أشدَّ قلبًا من هذا -يعني: أحمد-، جعلنا نكلمه، وجعل الخليفة يكلمه، يسميه مرة ويكنيه مرة، وهو يقول: يا أمير المؤمنين، أوجدني شيئًا من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ حتى أجيبك إليه"[(٦)].

وحكى ابن الجوزي عن أبي بكر المروذي قال في محنة أحمد بن حنبل: "يا أستاذ، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، فقال أحمد: يا مروذي، اخرج انظر، أي شيء ترى؟ قال: فخرجت إلى رحبة دار الخليفة، فرأيت خلقًا من الناس لا يحصي عددَهم إلا الله، والصحف في أيديهم، والأقلام والمحابر في أذرعتهم،

---

(١) وهي أن يظهر الإنسان خلاف ما يعتقد وقاية لنفسه من الأذى.
ينظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ١٩٣)، لسان العرب (١٥/ ٤٠٤)، معجم لغة الفقهاء (١٤٢) مادة (وقى).
(٢) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠١) ح (٣٦١٢).
(٣) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٣٩).
(٤) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٤٠).
(٥) أحمد بن أبي دؤاد بن حريز أبو عبد الله القاضي المعتزلي، كان رأسًا في فتنة القول بخلق القرآن، وشجع الخليفة على امتحان الناس، وكان له الدور الأكبر في فتنة الإمام أحمد على القول بخلق القرآن والأمر بضربه وحبسه، وقد نصر الله الإمام أحمد وثبته على الحق، وكانت وفاته (٢٤٠هـ).
ينظر في ترجمته: تاريخ بغداد (٥/ ٢٣٣) البداية والنهاية (١٤/ ٣٦٢).
(٦) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٩٥).

فقال لهم المروذي: أي شيء تعملون؟ فقالوا: ننتظر ما يقول أحمد فنكتبه، فقال المروذي: مكانكم، فدخل إلى أحمد بن حنبل، فقال له: رأيت قومًا بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه، فقال: يا مروذي، أُضِلُّ هؤلاء كلَّهم! أَقتلُ نفسي ولا أُضِلّ هؤلاء كلهم"(١).

المطلب الرابع: أثر عمل القلب على حسن خلقه رحمه الله، وعفوه عمن آذوه:

قال أبو الحسين بن المنادي: "سمعت جدي(٢) يقول: كان أحمد من أحيا الناس، وأكرمهم نفسًا، وأحسنهم عشرة وأدبًا، كثير الإطراق والغضّ، معرضًا عن القبيح واللغو، لا يسمع منه إلا المذاكرة بالحديث، وذكر الصالحين والزهاد، في وقار وسكون ولفظ حسن، وإذا لقيه إنسان بشَّ به وأقبل عليه، وكان يتواضع للشيوخ تواضعًا شديدًا، وكانوا يكرمونه ويعظِّمونه، وكان يفعل بيحيى بن مَعين ما لم أره يفعل بغيره

---

(١) مناقب الإمام أحمد (٤٤٥) وعلق ابن الجوزي على هذا الموقف في مناقب الإمام أحمد (٤٤٦) بقوله: "قلت: هذا رجل هانت عليه نفسه في الله تعالى فبذلها، كما هانت على بلال نفسه. وقد روينا عن سعيد بن المسيب: أنه كانت نفسه عليه في الله تعالى، أهون من نفس ذباب. وإنما تهون أنفسهم عليهم لتلمحهم العواقب، فعيون البصائر ناظرة إلى المآل لا إلى الحال، وشدة ابتلاء أحمد دليل على قوة دينه، لأنه صح عن النبي ﷺ أنه قال: «يُبْتَلَى الرَّجُلُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ»، فسبحان من أيده وبصره، وقواه ونصره!".

(٢) الإمام المقرئ الحافظ أحمد بن جعفر بن مُحَمَّد بن عبيد الله بن يزيد، أبو الحسين المعروف بابن المنادي، كان ثقة أمينًا حجة صادقًا، صنف كثيرًا، وجمع علومًا جمة، ولم يسمع الناس منها إلا اليسير، وذلك لشراسة أخلاقه، مات رحمه الله سنة (٣٣٦هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٥/ ١١٠)، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٦١)، البداية والنهاية (١٥/ ١٩٤).

وجد ابن المنادي هو: الإمام، المحدث، الثقة، شيخ وقته، أبو جعفر مُحَمَّد بن أبي داود عبيد الله بن يزيد البغدادي، المنادي. وذكر حفيده أبو الحسين: أن جده مات سنة (٢٧٢هـ) عليه رحمة الله.

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٢/ ٥٥٥).

من التواضع والتبجيل، وكان يحيى أكبر منه بنحو سبع سنين"(١).

وقال المرُّوذي: "كان أبو عبد الله لا يجهل، وإن جُهِل عليه احتمل وحلم، ويقول: يكفي الله.

ولم يكن بالحقود ولا العجول، ولقد وقع بين عمه وجيرانه منازعة، فكانوا يجيئون إلى أبي عبد الله فلا يظهر لهم ميله مع عمه، ولا يغضب لعمه، ويتلقاهم بما يعرفون من الكرامة، وكان كثير التواضع، يحب الفقراء، لم أر الفقير في مجلس أعز منه في مجلسه، مائلًا إليهم، مقصرًا عن أهل الدنيا، تعلوه السكينة والوقار، إذا جلس في مجلسه بعد العصر للفتيا لا يتكلم حتى يُسأل، وإذا خرج إلى مسجده لم يتصدر، يقعد حيث انتهى به المجلس، وكان لا يمد قدمه في المجلس، ويكرم جليسه، وكان حسن الخلق دائم البشر لين الجانب، ليس بفظ ولا غليظ، وكان يحب في الله ويبغض في الله، وكان إذا أحب رجلًا أحب له ما يحب لنفسه، وكره له ما يكره لنفسه، ولم يمنعه حبه إياه أن يأخذ على يديه ويكفه عن ظلم أو إثم أو مكروه إن كان منه، وكان إذا بلغه عن شخص صلاح أو زهد أو قيام بحق أو اتباع للأمر سأل عنه، وأحب أن يجري بينه وبينه معرفة، وأحب أن يعرف أحواله، وكان رجلًا فطنًا إذا كان شيء لا يرضاه اضطرب لذلك، يغضب لله ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها، فإذا كان في أمر من الدين اشتد له غضبه حتى كأنه ليس هو، لا تأخذه في الله لومة لائم، وكان حسن الجوار، يؤذى فيصبر ويحتمل الأذى من الجار، ولقد أخبرني بعض جيرانه ممن بينه وبينه حائط قال: كان لي برج فيه حمام، وكان يشرف على أبي عبد الله، فكنت أصعد وأنا غلام أشرف عليه، فمكث على ذلك صابرًا لا ينهاني، فبينا أنا يومًا إذ صعد عمّي فنظر إلى البرج مشرفًا على أبي عبد الله، فقال: ويحك! أما تستحي أن تؤذِي أبا عبد الله؟! قلت له: فإنه لم يقل لي شيئًا، قال: فلست أبرح حتى تهب لي

---

(١) مناقب الإمام أحمد (٢٩٥).

هذِه الطيور، فما برح حتى وهبتها له فذبحها وهدم البرج"[١].

قال حنبل[٢]: "صليت بأبي عبد الله العصر، فصلى معنا رجل يقال له: مُحَمَّد بن سعيد الخُتَّلِيّ[٣]، وكان يعرفه بالسنة، فقعد أبو عبد الله بعد الصلاة، وبقيت أنا وهو والخُتَّلِيّ في المسجد ما معنا رابع، فقال لأبي عبد الله: نَهيتَ عن زيد بن خَلَف[٤] أن لا يُكَلَّم!

قال: كتب إليَّ أهل الثغر يسألوني عن أمره، فكتبت إليهم، فأخبرتهم بمذهبه وما أحدث، وأمرتهم أن لا يجالسوه، فاندفع الخُتَّلِيّ على أبي عبد الله، فقال: والله، لأردنك إلى محبسك، ولأدقَّن أضلاعك... في كلام كثير.

فقال لي أبو عبد الله: لا تكلِّمه ولا تجبه.

وأخذ أبو عبد الله نعليه، وقام فدخل، وقال: مُرِ السكان أن لا يكلِّموه ولا يردّوا عليه.

فما زال يصيح، ثم خرج، فلما كان بعد ذلك ذهب هذا الخُتَّلِيّ إلى شعيب[٥]، وكان قد ولي على قضاء بغداد، وكانت له في يديه وصية، فسأله عنها، ثم قال له

---

(١) مناقب الإمام أحمد (٢٩٨).

(٢) الإمام، الحافظ، المحدث، الصدوق، المصنف حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد أبو علي الشيباني، وهو ابن عم أحمد بن مُحَمَّد بن حنبل، وكان ثقة ثبتًا، توفي رحمه الله سنة (٢٧٣هـ).
ينظر: تاريخ بغداد (٩/ ٢١٧)، طبقات الحنابلة (١/ ١٤٣)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ٥١).

(٣) لم أعثر له على ترجمة.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) شعيب بن سهل الرازي يعرف بشعبويه، ولي قضاء الرصافة ببغداد أيام المعتصم، قال عنه الإمام أحمد: "أخزاه الله؛ كان يرى رأي جهم"، نقله عن أحمد في الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (٤/ ٣٤٧)، كان مبغضًا لأهل السنة، متحاملًا عليهم، منتقصًا لهم، لا يقبل لأحد منهم صرفًا ولا عدلًا، وتوفي سنة (٢٤٦هـ)، ينظر أيضًا: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٣٥)، تاريخ دمشق (٢٣/ ١٠٥).

شعيب: يا عدو الله، وَثَبتَ على أحمد بالأمس ثم جئتَ تطلب الوصية! إنما أردت أن تتقرب إليَّ بذا؟! فزبره[(١)]، ثم أقامه، فخرج بعد إلى حسبة العسكر"[(٢)].

وذكر الذهبي عنه أنه كان يقول: "كل من ذكرني ففي حل إلا مبتدعًا، وقد جعلت أبا إسحاق -يعني: المعتصم[(٣)]- في حل، ورأيت الله يقول: ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢]، وأمر النبي ﷺ أبا بكر بالعفو في قصة مسطح[(٤)]، قال أبو عبد الله: وما ينفعك أن يعذب الله أخاك المسلم في سببك؟!"[(٥)].



(١) أي: انتهره وزجره برفع صوته عليه.

ينظر: الصحاح (٢/ ٦٦٧)، المخصص (١/ ٢٢٠)، المعجم الوسيط (١/ ٣٨٨) مادة (زبر).

(٢) مناقب الإمام أحمد (٣٠٤)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٢١).

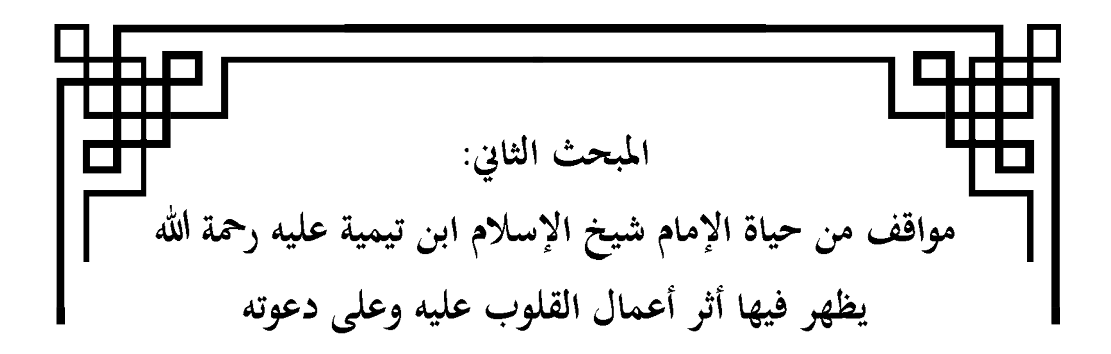
(٣) المعتصم بالله بن مُحَمَّد بن هارون الرشيد بن مُحَمَّد المهدي بن المنصور العباسي أبو إسحاق بويع بالخلافة بعد وفاة المأمون سنة (٢١٨هـ)، وكان من أعظم خلفاء بني العباس، ولما ولي الخلافة كان شهمًا في أيامه وله همة عالية، ومهابة عظيمة جدًّا، وامتحن الناس في عصره بفتنة خلق القرآن وأوذي الإمام أحمد رحمه الله، وثبته الله في هذه الفتنة العظيمة، توفي رحمه الله سنة (٢٢٧هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٩٠)، البداية والنهاية (١٤/ ٢٨٦)، الأعلام (٧/ ١٢٧).

(٤) مسطح بن أثاثة بن عباد بن المطلب بن عبد مناف بن قصيّ المطلبيّ، وكان اسمه عوفًا ومسطح لقبه، وأمه بنت خالة أبي بكر رضي الله عنه، شهد بدرًا، وهو ممن خاضوا في الأفك بقذف عائشة رضي الله عنها، وجلده النبي ﷺ حد القذف ضمن من أقام عليهم الحد، وحلف أبو بكر ألا ينفق عليه لما حصل منه، فنهاه الله عن ذلك، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢]، فعاد أبو بكر للإنفاق عليه. توفي مسطح رضي الله عنه سنة (٣٤هـ)، وقيل: سنة (٣٧هـ).

ينظر: الاستيعاب (٤/ ١٤٧٢) لابن عبد البر، ت: البجاوي، دار الجيل بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، أسد الغابة (٤/ ٣٨٠) لابن الاثير، دار الفكر بيروت، ١٤٠٩هـ، الإصابة (٦/ ٧٤) لابن حجر، ت: عادل الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.

(٥) سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٦١).



المبحث الثاني:
مواقف من حياة الإمام شيخ الإسلام ابن تيمية عليه رحمة الله يظهر فيها أثر أعمال القلوب عليه وعلى دعوته

المطلب الأول: أثر عمل القلب على طلبه للعلم، وتعليمه للناس:

الفرع الأول: أثر عمل القلب في طلبه للعلم.

الفرع الثاني: تعليمه العلم للناس وبذله لطالبه، وما تركه للأمة من مؤلفات.

المطلب الثاني: ورعه وزهده في الدنيا وتعلق القلب بالآخرة، وكثرة ذكره وعبادته:

الفرع الأول: ورعه وزهده وتعلق القلب بالآخرة.

الفرع الثاني: تعلق القلب بالله وكثرة الذكر والعبادة.

المطلب الثالث: أثر عمل القلب على ثبات الإمام ابن تيمية على عقيدة السلف، وصبره على ما لقيه في ذلك.

المطلب الرابع: أثر عمل القلب على حسن خلقه رحمه الله، وعفوه عمن آذوه.

المطلب الخامس: أثر عمل القلب على نظرته التفاؤلية للمستقبل، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

المطلب الأول: أثر عمل القلب على طلبه للعلم، وتعليمه للناس:

الفرع الأول: أثر عمل القلب في طلبه للعلم:

الإخلاص والصدق مع الله في طلب العلم مفتاح التوفيق للعبد والعون من الله تعالى، وهذا ما تلمسه من سيرة هذا الإمام الكبير، ودونك هذه الشذرات من سيرته في طلبه للعلم كما صاغها -ملخصة- العلامة بكر أبو زيد[١] رحمه الله في مقدمته لجامع سيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون حيث يقول رحمه الله: "أخذ عن أكثر من مائتي شيخ..

أوائل في حياته تدل على النبوغ المبكر:

- حفظ القرآن وهو في الصِّغر.

- أتقن العلوم من التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية والتاريخ والجبر والمقابلة والمنطق والهيئة، وعلم أهل الكتابين، والملل الأخرى، وعلم أهل البدع، وغيرها وهو ابن بضع عشرة سنة، حتى إنه حذق العربية في أيام، وفهم كتاب سيبويه[٢] في أيام، وفي الحديث سَمِع المسند مرات، وما ضبطت عليه لحنة متفق عليها، وكان إقباله

---

(١) بكر بن عبد الله أبو زيد يرجع إلى قبيلة بني زيد القضاعية، درس على يد كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية منهم الإمام العلامة ابن باز، والشيخ العلامة محمد الأمين الشنقيطي صاحب أضواء البيان، له الكثير من المؤلفات منها: فقه النوازل، المدخل المفصل إلى مذهب الإمام أحمد، حلية طالب العلم، وغيرها كثير، توفي رحمه الله سنة (١٤٢٩هـ).

ينظر: نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية لفضيلة العلامة الشيخ بكر عبد الله أبو زيد على موقع صيد الفوائد على الشبكة، موقع الموسوعة الحرة على الشبكة.

(٢) إمام النحو، حجة العرب عمرو بن عثمان بن قَنْبَرٍ، أبو بشر المعروف بسيبويه النحوي من أهل البصرة. له الكتاب في النحو وصار علمًا عليه لشهرته وفضله، توفي رحمه الله قيل: سنة (١٨٠هـ) وصححه الذهبي، وقيل: (١٨٨هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٩٩)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٥١)، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون (٢/ ١٤٢٨).

على التفسير إقبالًا كليًّا منقطع النظير.

• ناظر واستدل وهو دون البلوغ.

• أفتى في سن السابعة عشرة من عمره.

• بدأ درس التفسير بالجامع الأموي وهو ابن ثلاثين سنة، واستمر سنين متطاولة.

• حَجَّ مرة واحدة سنة (٦٩٢هـ) أي: وعمره (٣١) سنة، وبعد عودته من الحجِّ آلت إليه الإمامة في العلم والدين.

• نشر العلم في: دمشق، ومصر، والقاهرة، والإسكندرية[١]، وفي سجونها، وفي الثغر[٢]، والجامع الأموي[٣].

• دَرَّس بالمدرسة الحنبلية في شعبان سنة (٦٩٥هـ).

• أول رحلاته إلى مصر في القاهرة والإسكندرية، مرتان سنة (٧٠٠هـ)، ثم عاد

---

(١) الإسكندرية: ثاني مدينة في مصر بعد القاهرة، تقع في شمالي مصر، إذ تمتد على شريط ضيق من الأرض على طول ساحل البحر الأبيض المتوسط وهي تعد العاصمة الثانية بعد القاهرة.
ينظر: الموسوعة العربية العالمية (٢/ ٢٣)، مؤسسة أعمال الموسوعة الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ، الموسوعة الحرة على الشبكة.

(٢) ثغر: جمعه ثغور، وأصل الثغر الكسر، والثلم، وقد ثغرت الجدار إذا ثلمته، ومنه قيل: للموضع الذي يخاف منه دخول العدو في جبل، أو حصن ثغر؛ لانثلامه، وإمكان دخول العدو منه. وهو الموضع الذي يخاف هجوم العدو منه، وذلك يكون على الحدود بين البلاد الإسلامية، وبلاد الكفار، ومنه سميت المدينة على شاطئ البحر ثغرًا.
ينظر: تهذيب اللغة (٨/ ١٠٢)، المعجم الوسيط (١/ ٩٧) (ثغر)، معجم لغة الفقهاء (١٥٤).

(٣) بيت من بيوت الله، ومن أشهر مراكز التعليم التي أقامها المسلمون في مدينة دمشق في سوريا، بناه الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك، وقامت الحكومة السورية بترميمه وإعادته إلى رونقه القديم، ويعد رابع أشهر المساجد الإسلامية بعد الحرمين والمسجد الأقصى.
ينظر: الموسوعة العربية العالمية (٨/ ١٤٤)، الموسوعة الحرة على الشبكة.

إلى دمشق، ثم رجع إلى مصر سنة (٧٠٤هـ)، وكانت إقامته بها نحو سبع سنين وسبع جُمَع أي: إلى سنة (٧١٢هـ) متنقلًا في جلها بين سجون القاهرة والإسكندرية.

• بدأ في التأليف وهو ابن سبع عشرة سنة.

وهكذا من البدايات المبكرة الدالة على نبوغه، وتأهله للاجتهاد والتجديد والإمامة في العلم والدين"[١].

وعانية الله ورعايته إذا حفت بالعبد رأيت ما لا يخطر لك على بال من التوفيق والمدد الإلهي، وكل ذلك من أعظم أسبابه التعامل مع الله بأعمال القلوب، ومجاهدة النفس على تحقيقها مع المحاسبة والمراقبة لله تعالى، وهذا ما تلحظه في سيرة هذا الإمام، وأحسبه -والله حسيبه- من المحققين للإيمان والتقوى في حياته باطنًا وظاهرًا.

قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤۡتِكُمۡ كِفۡلَيۡنِ مِن رَّحۡمَتِهِۦ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ نُورٗا تَمۡشُونَ بِهِۦ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾ [الحديد: ٢٨].

وذكر ابن القيم من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية وبركة الوقت لديه أنه كان يكتب في اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ في جمعة وأكثر[٢].

الفرع الثاني: تعليمه العلم للناس وبذله لطالبه، وما تركه للأمة من مؤلفات:

وكان دأب شيخ الإسلام رحمه الله تعليم الناس الخير ونشر ما يراه من حق

(١) مقدمة الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (١٨-١٩) مع تصرف يسير.

(٢) ينظر: الوابل الصيب من الكلم الطيب (٧٧).

وصواب، يقول ابن كثير رحمه الله: "ثم جلس الشيخ تقي الدين.. يوم الجمعة.. بالجامع الأموي بعد صلاة الجمعة على منبر قد هيئ له لتفسير القرآن العزيز، فابتدأ من أوله في تفسيره، وكان يجتمع عنده الخلق الكثير والجم الغفير، من كثرة ما كان يورد من العلوم المتنوّعة المحررة مع الديانة والزهادة والعبادة، سارت بذكره الركبان في سائر الأقاليم والبلدان، واستمر على ذلك مدة سنين متطاولة"[(١)].

ويقول بكر أبو زيد رحمه الله: "بدأ -رحمه الله تعالى- التأليف وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان من أفراد الدهر في كثرة تأليفه، فلا يُعْلم في الإسلام من صنَّف نحو ما صنف ولا قريبًا منه، وقد قدرت مؤلفاته بخمسمائة مجلد، وبأربعة آلاف كراس أو أكثر، وقد بلغ ما يكتبه في اليوم والليلة أربع كراريس، وكان يكتب مؤلفاته من حفظه، وكان ذا قلم سريع الكتابة إذا رقم، يكاد يسابق البرق إذا لمع، لكن كان خطه في غاية التعليق والإغلاق. وكانت مؤلفاته في غاية الإبداع وقوة الحجاج وحسن التصنيف والترتيب، غير مشوبة بِكَدَرٍ، بل خالصة من الشَّبه والشُّبه، وكثير منها مسودة لم يبيض، وله في غير مسألة مصنف مفردٌ أو أكثر.

ومن مؤلفاته ما ألفه في قَعْدة مثل الحموية، ألفها بين الظهرين سنة ٦٩٨هـ وعمرة ثمان وثلاثون سنة، وألَّف لأهل الآفاق عدة كتب تَلْبيةً لطلبهم، منها: لأهل واسط[(٢)]: العقيدة الواسطية، والحموية لأهل حماة[(٣)]، والمراكشية لأهل مراكش[(٤)]، والتدمرية لأهل تدمر[(١)]، وهكذا.

---

(١) البداية والنهاية (١٧/ ٥٩٣).

(٢) واسط: مدينة عراقية تاريخية تقع بين البصرة والكوفة، بناها الحجاج سنة ٨٤هـ.
ينظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٧/ ١٥)، الموسوعة الحرة على الشبكة.

(٣) حماة إحدى المدن السورية العريقة. تقع في الجزء الغربي من سوريا، على ضفاف نهر العاصي.
ينظر: الموسوعة العربية العالمية (٩/ ٥١٨)، الموسوعة الحرة على الشبكة.

(٤) مراكش: مدينة مغربية تقع في شمال سفوح جبال الأطلس الكبير، في المنطقة المعتدلة الدافئة في جنوب غربي المغرب.

=

وألَّف بعض كتبه وهو في السجن، منها في السجن بمصر: الرد على البكري[٢]، والرد على الأخنائي[٣]، وألَّف منهاج السنة النبوية وهو في مصر، وألَّف ما لا يحصى في السجن بالقلعة[٤] بدمشق.

وقد جرت له بسبب بعض مؤلفاته وفتاويه محن من السجن، والنيل من العرض بغير حق، كما جرى له بسبب الحموية والواسطية، وبسبب فتواه في الطلاق بالثلاث، وبالحلف بالطلاق، وفتوى الزيارة وشد الرحال، وغيرها.

هذا مع ما حصل له في بعض سجناته من منع الدواة[٥] والقلم، وإخراج ما عنده

=

ينظر: الموسوعة العربية العالمية (٢٣/ ٧٤)، الموسوعة الحرة على الشبكة.

(١) تَدْمُر: مدينة سورية قديمة، تقع في محافظة حمص في وسط سوريا في منتصف المسافة تقريبًا بين الساحل الشرقي للبحر المتوسط، ونهر الفرات.

ينظر: الموسوعة العربية العالمية (٦/ ١٧٧)، الموسوعة الحرة على الشبكة.

(٢) الشيخ الإمام الزاهد نور الدين أبو الحسن علي بن يعقوب بن جبريل البكري المصري الشافعي، ولابن تيمية كتاب يعرف بالرد على البكري، في مسألة الاستغاثة بالمخلوقين. قال ابن كثير: "كان البكري في جملة من ينكر على شيخ الإسلام ابن تيمية، وما مثاله إلا مثال ساقية ضعيفة كدرة لاطمت بحرًا عظيمًا صافيًا. توفي رحمه الله سنة (٧٢٤هـ).

ينظر: البداية والنهاية (١٨/ ٢٤٦)، الدرر الكامنة (٤/ ١٦٤)، الأعلام (٥/ ٣٣).

(٣) محمد بن أبي بكر بن عيسى بن بدران السعدي المصري، أبو عبد الله، تقي الدين الأخنائي، قاضي قضاة المالكية بمصر، كان صاحب ديانة وتواضع مع حسن سمت، وقد رد عليه شيخ الإسلام في مسألة شد الرحل لزيارة القبور في كتابه الموسوم بالرد على الأخنائي، توفي رحمه الله سنة (٧٥٠هـ).

ينظر: رفع الإصر عن قضاة مصر (٣٥٢)، الأعلام (٦/ ٥٦)، معجم المؤلفين (٩/ ١١٦).

(٤) قلعة محصنة تعد من أهم معالم العمارة الإسلامية في سوريا في العصر الأيوبي تقع في الركن الشمالي الغربي من أسوار مدينة دمشق بين باب الفراديس وباب الجابية.

ينظر: الموسوعة الحرة.

(٥) الدواة: المحبرة وهي أداة لحفظ الحبر.

ينظر: الصحاح (٦/ ٢٣٤٣)، المعجم الوسيط (١/ ٣٠٦)، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧٩٣) مادة (دوى).

من الكتب والورق"[١].

المطلب الثاني: ورعه وزهده في الدنيا وتعلق القلب بالآخرة، وكثرة ذكره وعبادته:

الفرع الأول: ورعه وزهده وتعلق القلب بالآخرة:

ذكر العلامة بكر أبو زيد بعض مواطن العبر والعظات من حياة شيخ الإسلام فقال رحمه الله:

"- ما نال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى منزلة الإمامة في العلم والدين إلا من آثار التقوى واليقين والصبر في ذات الله على المكاره؛ ولهذا قال: بالصبر واليقين تنال الإمامة في الدين[٢].

- من أعظم أسباب الفوز والنصر الزهد في المناصب والولايات، والكف عن زخرفها، وكما كان شيخ الإسلام كذلك، فقد كان أئمة الإسلام على هذه الجادة منهم الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى؛ ولهذا قيل في ترجمته: "أتته الدنيا فأباها، والولايات فقلاها[٣].

فمسكين من يتطلع إليها ويقول: أنا لها، ومغبون والله من دفع ثمنها مُقدّمًا بالتنازل عن شيء من دينه، والملاينة على حساب علمه ويقينه، وكُلُّ امرئ حسيب نفسه.

- البذاذة[٤] من الإيمان، والاقتصاد في أمور المعاش من وظائف أهل الإسلام،

---

(١) مقدمة الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (٢٢-٢٣).

(٢) مجموع الفتاوى (٣/ ٣٥٨).

(٣) ينظر: التاريخ المعتبر في أنباء من غبر (٢/ ٢٩٧) لمجير الدين العليمي، ت: لجنة مختصة من المحققين، إشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣١هـ.

(٤) المراد به التواضع في اللباس.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ١١٠) مادة (بذذ).

وصح حديث: «الْبَذَاذَةُ مِنَ الْإِيمَانِ» عند أحمد (٣٩/ ٤٩٣) ح (٥٨)، وأبي داود في كتاب الترجل (٤/ =

وهكذا كان شيخ الإسلام رحمه الله تعالى، مجتنبًا الترفه في المعاش، وتطلب الملاذ، فما أحلاه من أدب.

- ولما سافر رحمه الله تعالى إلى مصر سنة ٧٠٠هـ نزل عند عم تلميذه ابن فضل الله العُمَري[1]، وكان سفره للحض على الجهاد، فَرُتِّبَ له مرتب وأعطيات، فلم يقبل منها شيئًا.

فهل يعتبر من ابتلوا بالتسوّل على مستوى رفيع، ويتنمَّر على معارفه وإخوانه، والرفعاء منهم يعلمون أنه في الظاهر مطاع متبوع، وهو في الباطن عبد تابع ذليل مطيع. على أن الأرض لا تخلو من المتأسِّين بالصالحين، الذين تجردوا من هذه الحظوظ"[2].

وينقل ابن القيم عن شيخه هذه الكلمات التي تدل على ثبات قلبه وشدة تعلقه بربه وبالدار الآخرة: "وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- يقول: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال لي مرة: ما يصنع أعدائي بي؟! أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني؛ إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

وكان يقول في محبسه في القلعة: لو بذلت ملء هذه القاعة ذهبًا ما عدل عندي

=

٧٥) ح (٤١٦١)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب من لا يؤبه له (٢/ ١٣٧٩) ح (٤١١٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٥٧) ح (٢٨٧٩).

(١) وابن فضل الله العمري هو أحمد بن يحيى بن فضل الله القرشي العدوي العُمَري، مؤرخ، حجة في معرفة الممالك والمسالك وخطوط الأقاليم والبلدان، إمام في الترسل والإنشاء، له الكثير من الكتب منها: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، فواضل السمر في فضائل آل عمر، وغير ذلك، توفي سنة (٧٤٩هـ) عليه رحمة الله.

ينظر: الدرر الكامنة (١/ ٣٩٣)، الأعلام للزركلي (١/ ٢٦٨).

(٢) الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (٢٥-٢٧).

شكر هذه النعمة، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لي فيه من الخير، ونحو هذا.

وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ما شاء الله. وقال لي مرة: المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى، والمأسور من أسره هواه.

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣]، وعلم الله ما رأيت أحدًا أطيب عيشًا منه قط، مع ما كان فيه من ضيق العيش وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشًا، وأشرحهم صدرًا، وأقواهم قلبًا، وأسرِّهم نفسًا، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله، وينقلب انشراحًا وقوة ويقينًا وطمأنينة.

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها"(١).

الفرع الثاني: تعلق القلب بالله وكثرة الذكر والعبادة:

ذكر ابن القيم قراءة آية الكرسي عقب الصلاة، وهو يذكر هدي النبي ﷺ فيما يقوله بعد انصرافه من صلاته، ثم قال رحمه الله: "وبلغني عن شيخنا أبي العباس ابن تيمية -قدس الله روحه- أنه قال: ما تركتها عقيب كل صلاة"(٢).

وقال ابن القيم وهو يحدث عن حال شيخه مع ذكر الله تعالى: "وحضرت شيخَ الإسلام ابن تيمية مرَّة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريبٍ من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غَدْوتي، ولو لم أتغدَّ هذا الغداء لسقطت قوتي. أو

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (٤٨).

(٢) زاد المعاد(١/ ٢٩٤).

كلامًا قريبًا من هذا، وقال لي مرة: لا أترك الذِّكْر إلا بنيّة إجمام نفسي وإراحتها، لأستعدَّ بتلك الراحة لذِكْر آخر. أو كلامًا هذا معناه"(١).

وقال رحمه الله عن شيخه: "وكان يقول في سجوده وهو محبوس: اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك، ما شاء الله"(٢).

ويقول أيضًا عن شيخه عند صعوبة مسائل العلم وإشكالها عليه: "وشهدت شيخ الإسلام -قدس الله روحه- إذا أعيته المسائل واستصعبت عليه فر منها إلى التوبة والاستغفار، والاستغاثة بالله واللجأ إليه، واستنزال الصواب من عنده، والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدًّا، وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه بأيتهن يبدأ، ولا ريب أن من وفق لهذا الافتقار علمًا وحالًا، وسار قلبه في ميادينه بحقيقة وقصد، فقد أعطي حظه من التوفيق، ومن حرمه فقد منع الطريق والرفيق، فمتى أعين مع هذا الافتقار ببذل الجهد في درك الحق، فقد سلك به الصراط المستقيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم"(٣).

وقال أيضًا: "حقيقٌ بالمفتي أن يكثر الدُّعاء بالحديث الصحيح: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»(٤)، وكان شيخنا كثير الدعاء بذلك.

وكان إذا أشكلت عليه المسائل يقول: «يا معلم إبراهيم، علّمني»، ويكثر الاستغاثة بذلك، اقتداءً بمعاذ بن جبل ﷺ حيث قال لمالك بن يَخامِر السَّكْسكي(٥)

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (٤٢).

(٢) الوابل الصيب (٤٨).

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ١٣٢)، ت: محمد عبد السلام، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ.

(٤) أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه (١/ ٥٣٤) ح (٧٧٠).

(٥) مالك بن يَخامِر السّكْسكي الألهاني الحمصي. قال ابن عساكر: يقال له صحبة. وقال أبو نعيم: ذكر في =

عند موته وقد رآه يبكي، فقال: والله، ما أبكي على دنيا كنتُ أصيبها منك، ولكن أبكي على العلم والإيمان اللذين كنتُ أتعلمهما منك.

فقال معاذ بن جبل ﷺ: إنَّ العلمَ والإيمان مكانهما من ابتغاهما وجدهما، اطلب العلم عند أربعة: عند عُويمر أبي الدرداء، وعند عبد الله بن مسعود، وأبي موسى الأشعري، وذكر الرابع، فإن عَجَز عنه هؤلاء فسائر أهل الأرض أعجز، فعليك بمعلم إبراهيم صلوات الله عليه"[١][٢].

ويذكر عمر بن المظفر ابن الوردي[٣] رحمه الله أنه صلَّى خلف ابن تيمية التراويح

الصحابة ولا يثبت. واختلف في سنة وفاته رحمه الله ورضي عنه قيل: سنة (٦٩هـ)، وقيل: سنة (٧٠هـ)، وقيل: سنة (٧٢هـ).

ينظر: أسد الغابة (٤/ ٢٨٠)، الإصابة في تمييز الصحابة (٥/ ٥٦٣).

(١) لم أجد هذا الأثر بهذا اللفظ عن مالك بن يخامر فيما تيسر لي من مصادر، ووجدته بلفظ آخر عن يزيد بن عميرة وليس فيه موضع الشاهد، ولفظه: عَنْ يَزِيدَ بْنِ عُمَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا حَضَرَ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ الموْتُ قِيلَ لَهُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَوْصِنَا، قَالَ: أَجْلِسُونِي، فَقَالَ: إِنَّ العِلْمَ وَالإِيمَانَ مَكَانَهُمَا، مَنْ ابْتَغَاهُمَا وَجَدَهُمَا، يَقُولُ ذَلِكَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَالتَمِسُوا العِلْمَ عِنْدَ أَرْبَعَةِ رَهْطٍ، عِنْدَ عُوَيْمِرٍ أَبِي الدَّرْدَاءِ، وَعِنْدَ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَلَامٍ الَّذِي كَانَ يَهُودِيًّا فَأَسْلَمَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّهُ عَاشِرُ عَشَرَةٍ فِي الجَنَّةِ»، وبهذا اللفظ أخرجه الإمام أحمد (٣٦/ ٤١٨) ح (٢٢١٠٤)، وقال محقق المسند (٣٦/ ٤١٩) ح (٢٢١٠٤): "إسناده صحيح"، وأخرجه الترمذي في أبواب المناقب، باب مناقب عبد الله بن سلام ﷺ (٥/ ٦٧١) ح (٣٨٠٤) وقال: "حَسَنٌ غَرِيبٌ"، وصححه الحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة ﷺ، ذكر مناقب عبد الله بن سلام الإسرائيلي ﷺ (٣/ ٤٧٠) ح (٥٧٥٨) ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٥٧) ح (٦٢٤٠)، وينظر: تكملة الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (١/ ٨٧).

(٢) إعلام الموقعين (٤/ ١٩٧-١٩٨).

(٣) عمر بن المظفر بن عمر بن مُحَمَّد بن أبي الفوارس المعري زين الدين ابن الوردي الفقيه الشافعي الشاعر المشهور نشأ بحلب وتفقه بها ففاق الأقران، له الكثير من المصنفات منها: تاريخ ابن الوردي، نظم الحاوي الصغير في فقه الشافعي، وشرح الفية ابن مالك، مات رحمه الله سنة (٧٤٩هـ).

ينظر: الدرر الكامنة (٤/ ٢٢٨)، البدر الطالع (١/ ٥١٤)، الأعلام (٥/ ٦٧).

في رمضان، فرأي على قراءته خشوعًا، وعلى صلاته رِقَّةً تأْخذ بمجامع القلوب[١].

وقال البزار[٢] في وصف صلاته رحمه الله: "وكان إذا أحرم بالصلاة تكاد تتخلع القلوب لهيبة إتيانه بتكبيرة الإحرام، فإذا دخل في الصلاة ترتعد أعضاؤه حتى تميله يمنة ويسرة"[٣].

المطلب الثالث: أثر عمل القلب على ثبات الإمام ابن تيمية على عقيدة السلف، وصبره على ما لقيه في ذلك:

جاهد شيخ الإسلام رحمه الله لنشر عقيدة السلف جهادًا مستميتًا، ولقي من أجل نشرها الكثير من الأذى، وصبر صبرًا عظيمًا، وثبت ثبات الجبال الرواسي، وصدع بكلمة الحق، ولم يبالِ في الله لومة لائم.

ويقول ابن القيم معلقًا على سبب ما حصل لشيخ الإسلام، ولمن قبله من المصلحين: "ومن جنايات التأويل ما وقع في الإسلام من الحوادث بعد موت رسول الله ﷺ وإلى يومنا هذا"، ثم قال: "ولا جرى على شيخ الإسلام ابن تيمية ما جرى من خصومه بالسَّجْن وطلب قتله أكثر من عشرين مرة إلا بالتأويل"[٤].

وقال أيضًا في بيان مواقف أهل الباطل من أهل الحق: "لما قضى في القِدَمِ

---

(١) ينظر: تاريخ ابن الوردي (٢/ ٢٧٦) دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

(٢) عمر بن علي بن موسى بن الخليل البغدادي، الأزجي، البزار، الفقيه المحدث، سراج الدين أبو حفص وكان ذا عبادة وتهجد، وصنف كثيرًا في الحديث وعلومه، وفي الفقه والرقائق، ومن تصانيفه: الأعلام العلية في مناقب الإمام ابن تيمية. مات رحمه الله سنة (٧٤٩هـ).
ينظر: ذيل طبقات الحنابلة (٥/ ١٤٦) لابن رجب الحنبلي، ت: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ، الدرر الكامنة (٤/ ٢١١)، معجم المؤلفين (٧/ ٣٠٢).

(٣) الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية (٣٦) لعمر بن علي البزار، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.

(٤) الصواعق المرسلة (١/ ٣٧٦، ٣٨١) لابن القيم، ت: علي الدخيل، دار العاصمة، ط١، ١٤٠٨هـ.

بسابقة سلمان عرج به دليل التوفيق عن طريق آبائه في التمجُّس[١]، فأقبل يناظر أباه في دين الشرك، فلما علاه بالحجة لم يكن له جوابٌ إلا القيد، وهذا جواب يتداوله أهل الباطل... وبه أجاب فرعونُ موسى: ﴿قَالَ لَئِنِ ٱتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِى لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ ٱلْمَسْجُونِينَ﴾ [الشعراء: ٢٩]، وبه أجاب الجهمية الإمام أحمد لما عرضوه على السِّياط، وبه أجاب أهل البدع شيخَ الإسلام حين استودعوه السجن"[٢].

وعلق العلامة بكر أبو زيد بقوله: "إن عالِمًا يفتح الله عليه بميراث علم النبوة، وينظر في واقع الحياة فيرى من ظلمات الإعراض عن الوحي والتنزيل ما الله به عليم: حلولية[٣]، اتحادية[٤]، طرقية[٥] بدعية، جهمية، معتزلة، أشاعرة، مقلدة متعصبة، وكل يرى أن ما هو عليه هو الحق، ثم يأتي حامل الضياء، فيكاسر هؤلاء وهؤلاء، لا شك سيكون له خصوم وخصوم؛ مما أدى إلى سجنه تارة، والترسيم عليه تارة، ومناظرته تارة، وإذايته بالمحن الأخرى تارة أخرى، وإغراء السفهاء، وتسليط الدهماء[٦]، وهكذا من صنوف الأذى، ومن كل ذلك قد نال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى.

ومن نظر في سِيَر المصلحين وما أُلِّف من كتب مفردةٍ في إذايتهم مثل كتاب

---

(١) هم المجوس القائلون بالنور والظلمة، والنور مصدر الخير والظلمة مصدر الشر فأثبتوا إلهين، ولهم فرق كثيرة وهم عبدة النار، ويتبركون بأبوال البقر، ويستحلون فروج الأمهات.

ينظر: تلبيس إبليس (٦٩) لابن الجوزي، دار الفكر لبنان، ط١، ١٤٢١هـ، الملل والنحل (٢/ ٣٨).

(٢) الفوائد (٤٠) لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.

(٣) سبق تعريف الحلول ص (١١٨).

(٤) اتحاد الخالق بالمخلوق بمعنى: اتحاد ذاتين اتحادًا معنويًا مع تغايرهما ماديًا، ويبقى الخالق خالقًا والمخلوق مخلوقًا، فكل منهما متميز عن الآخر وإن لم يكن منفصلًا عنه. تعالى الله عما يقول هؤلاء الضالون علوًّا كبيرًا.

ينظر: نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام (٣٥).

(٥) ويقصد بها الطرق الصوفية المتنوعة.

(٦) الجماعة الكثيرة والمقصود عامة الناس.

ينظر: المعجم الوسيط (١/ ٣٠٠)، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٧٧٨) مادة (دهم).

"المحن" لأبي العرب[(١)] وغيره لم ير عالِمًا لحِقَه من صنوف الأذية من سجن وغيره مثل شيخ الإسلام رحمه الله.

لما بلغ رحمه الله تعالى الثانية والثلاثين من عمره وبعد عودته من حجته بدأ تعرُّضه رحمه الله تعالى لأخبئة السجون، وبلايا الاعتقال، والترسيم عليه: الإقامة الجبرية[(٢)] خلال أربعة وثلاثين عامًا، ابتداء من عام ٦٩٣هـ إلى يوم وفاته في سجن القلعة بدمشق يوم الاثنين ٢٠/ ١١/ ٧٢٨هـ، وكان سجنه سبع مرات: أربعٌ بمصر بالقاهرة وبالإسكندرية، وثلاث مرات بدمشق، وجميعها نحو خمس سنين، وجميعها كذلك باستعداء السلطة عليه من خصومه الذين نابذ ما هم عليه في الاعتقاد والسلوك والتمذهب، عسى أن يفتر عنهم، وأن يقصر لسانه وقلمه عَمَّا هم عليه، لكنه لا يرجع"[(٣)].

المطلب الرابع: أثر عمل القلب على حسن خلقه، وعفوه عمن آذوه:

يقول ابن القيم رحمه الله عن شيخه وشدة تواضعه وهضمه لنفسه: "ولقد شاهدت من شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- من ذلك أمرًا لم أشاهده من

---

(١) العلامة، المفتي، ذو الفنون، أبو العرب مُحَمَّد بن أحمد بن تميم بن تمام المغربي، الإفريقي. وكان فيما قال القاضي عياض: حافظًا للمذهب، مفتيًا، غلب عليه علم الحديث والرجال، وصنف طبقات أهل إفريقية، وكتاب المحن، وكتاب فضائل مالك، وغيرها، توفي رحمه الله سنة (٣٣٣هـ).
ينظر: ترتيب المدارك وتقريب المسالك (٥/ ٣٢٣) للقاضي عياض، ت: ابن تاويت الطنجي وآخرين، مطبعة فضالة المغرب، ط١، سير أعلام النبلاء (١٥/ ٣٩٤)، الأعلام (٥/ ٣٠٩).
وكتاب المحن ذكر فيه ما حصل من محن على أهل العلم وغيرهم من قتل وسجن وهروب ونحو ذلك من أصناف المحن. وطبع الكتاب عدة طبعات منها: بدار العلوم الرياض السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، وقام بتحقيقه الدكتور: عمر سليمان العقيلي.

(٢) وهي إحدى العقوبات التي تقيد بها حرية الإنسان فلا يخرج من منزله، وتسمى الحبس المنزلي والاحتجاز. ينظر: الموسوعة الحرة على الشبكة.

(٣) مقدمة الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (٢٧-٢٨).

غيره، وكان يقول كثيرًا: ما لي شيء، ولا مني شيء، ولا في شيء، وكان كثيرًا ما يتمثل بهذا البيت:

أَنَا الْمُكَدِّي[(١)] وَابْنُ الْمُكَدِّي   وَهَكَذَا كَانَ أَبِي وَجَدِّي[(٢)]

وكان إذا أُثنِيَ عليه في وجهه يقول: والله، إني إلى الآن أجدِّد إسلامي كلَّ وقت، وما أسلمت بعد إسلامًا جيِّدًا.

وبعث إليَّ في آخر عمره قاعدة في التفسير بخطِّه، وعلى ظهرها أبيات بخطِّه من نظمه:

أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى رَبِّ الْبَرِيَّاتِ   أَنَا الْمُسَيْكِينُ فِي مَجْمُوعِ حَالَاتِي"[(٣)].

ومن أعظم الدلائل على سلامة القلب مقابلة الإساءة بالإحسان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤].

وتكلم ابن القيم عن مقابلة الإساءة بالإحسان ثم قال: "ومن أراد فهم هذه الدرجة كما ينبغي فلينظر إلى سيرة النبي ﷺ مع الناس يجدها هذه بعينها. ولم يكن كمال هذه الدرجة لأحد سواه، ثم للورثة منها بحسب سهامهم من التركة. وما رأيت أحدًا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية -قدس الله روحه- وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه.

وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم.

---

(١) هناك أقوال كثيرة في معنى المكدّي، وأنسبها عندي هو تعليق محقق كتاب البرصان والعرجان والعميان والحولان، والكتاب للجاحظ، ومحققه عبد السلام هارون، قال في معنى المكدّي (٣٦٥): "الملحّ في السؤال. يقال أكدى: ألح في المسألة". والكتاب من مطبوعات دار الجيل بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

(٢) لم أعثر على قائل للبيت، وقد يكون من نظم الشيخ، والله أعلم.

(٣) مدارج السالكين (١/ ٥٢٠) وبعد هذا البيت ذكر عدة أبيات.

وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له، فنهرني وتنكَّر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانَه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسُرُّوا به ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه. فرحمه الله ورضي عنه"[١].

وفي إحدى المرات التي سجن فيها، وكان مما جرى فيها أن الشرف عبد الله[٢] أخا شيخ الإسلام ابتهل ودعا الله عليهم، فمنعه الشيخ وقال له: "بل قل: اللَّهمَّ هَب لهم نورًا يهتدون به إلى الحق"[٣].

وعلَّق العلامة بكر أبو زيد رحمه الله على هذا الموقف بقوله: "فلِلَّه ما أعظمه من أدب جم! وما أعظمه من خلق رفيع، وهضم للنفس، وبحث عن الحق! وإن هذه -وايم الله- فائدة تساوي رحلة، وأين هذه من حالنا إذا نيل من الواحد شيء غضب وسخط، وجلب أنواع الدعاء على عدوه؟! فاللهم اجعل لنا ولمن آذانا فيك نورًا نهتدي به إلى الحق"[٤].

ويقول ابن كثير رحمه الله: "وسمعت الشيخ تقي الدين يذكر ما كان بينه وبين السلطان[٥] من الكلام لما انفردا في ذلك الشباك الذي جلسا فيه، وأن السلطان

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٣٢٨-٣٢٩).

(٢) الإمام العلامة عبد الله بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن خضر بن تيمية الحراني شرف الدين أخو الشيخ تقي الدين، تفقه ودرس ولم يشتغل بالتصنيف، وكان أخوه يكرمه ويعظمه، مات عليه رحمة الله سنة (٧٢٧هـ) قبل أخيه بسنة.

ينظر: المعجم المختص بالمحدثين (١٢١) للذهبي، ت: د. مُحَمَّد الهيلة، مكتبة الصديق الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ، الوافي بالوفيات (١٧/ ١٢٦)، الدرر الكامنة (٣/ ٤٢).

(٣) ينظر: ذيل طبقات الحنابلة (٤/ ٥١٢).

(٤) مقدمة الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون (٣٠).

(٥) هو الملك الناصر مُحَمَّد بن قلاوون بن عبد الله الصالحي أبو الفتح: من كبار ملوك الدولة القلاوونية، توفي رحمه الله سنة (٧٤١هـ).

=

استفتى الشيخ في قتل بعض القضاة بسبب ما كانوا تكلموا فيه، وأخرج له فتاوى بعضهم بعزله من الملك ومبايعة الجاشنكير[(١)]، وأنهم قاموا عليك وآذوك أنت أيضًا! وأخذ يحثه بذلك على أن يفتيه في قتل بعضهم، وإنما كان حنقه عليهم بسبب ما كانوا سعوا فيه من عزله ومبايعة الجاشنكير، ففهم الشيخ مراد السلطان، فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحدًا منهم سوء، وقال له: إذا قتلتَ هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم، فقال له: إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مرارًا، فقال الشيخ: من آذاني فهو في حلٍّ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه، وأنا لا أنتصر لنفسي. وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح.

قال: وكان قاضي المالكية ابن مخلوف[(٢)] يقول: ما رأينا مثل ابن تيمية، حرضنا عليه فلم نقدر عليه، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا.

ثم إن الشيخ بعد اجتماعه بالسلطان نزل إلى القاهرة، وعاد إلى بثّ العلم ونشره، وأقبلت الخلق عليه، ورحلوا إليه يشتغلون عليه، ويستفتونه ويجيبهم بالكتابة والقول، وجاءته الفقهاء يعتذرون مما وقع منهم في حقه، فقال: قد جعلت الكل في

ينظر: الدرر الكامنة (٥/ ٤٠٤)، البدر الطالع (٢/ ٢٣٦)، الأعلام (٧/ ١١).
وهو الذي في عهده أُكرِم شيخ الإسلام ابن تيمية.

(١) بيبرس الجاشنكير المنصوري، ركن الدين، الملك المظفر، من سلاطين المماليك بمصر والشام. لما عزل الملك الناصر محمد بن قلاوون نفسه عن الملك فألح القواد على بيبرس أن يتولى السلطة، فتولاها وسمي الملك المظفر، ثم قتله الملك الناصر سنة (٧٠٩) عليه رحمة الله.
ينظر: البداية والنهاية (١٨/ ٨٣، ٨٨، ٩٦)، الدرر الكامنة (١/ ١٦٨)، الأعلام (٢/ ٧٩).

(٢) علي بن مخلوف بن ناهض بن مسلم النويري المالكي قاضي القضاة زين الدين، وكان مشكور السيرة كثير الاحتمال والإحسان للطلبة، وكان لا يعاب إلا بشراسة خلق، وقصور في العلم، مات سنة (٧١٨هـ) رحمه الله.
ينظر: الوافي بالوفيات (٢٢/ ١١٨)، الدرر الكامنة (٤/ ١٥٢)، رفع الإصر عن قضاة مصر (٢٨٠) لابن حجر، ت: د. علي محمد عمر، مكتبة الخانجي مصر، ط١، ١٤١٨هـ.
وهو الذي سعى في سجن شيخ الإسلام، وكان مقربًا من الجاشنكير.

حل"[(١)].

المطلب الخامس: أثر عمل القلب على نظرته التفاؤلية للمستقبل، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين:

إن للمؤمن فراسة تزيد بقدر إيمانه وصفاء قلبه وسلامته من الآفات، وتكون له عونًا بعد الله في تفاؤله وثباته، ونظرته الصائبة للأمور، ويروى عنه ﷺ قوله: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ المؤْمِنِ؛ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥][(٢)].

والنظرة التفاؤلية واستشراف المستقبل مع الثقة بنصر الله من أعظم ما يعين على الثبات، ولهذا شواهد من السيرة، منها ما حصل في وقت من أصعب الأوقات التي مرت على المسلمين في يوم الأحزاب الذي قال الله عنه في بيان الحال التي وصلوا إليها: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾ [الأحزاب: ١٠]، في لحظةٍ اشتد فيها الخوف والجوع والبرد، لكنه ﷺ ينظرُ نظَرَ المتفائل بنصر الله الواثق بربّه، وإن كانت الأسباب المادية في نظر أهل النفاق وأصحاب القلوب المريضة لا ترى شيئًا يلوح في الأفق القريب، وقد عبر القرآن الكريم بقوله عنهم: ﴿إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي

---

(١) البداية والنهاية (١٨/ ٩٤-٩٥).

(٢) أخرجه الترمذي في كتاب في أبواب تفسير القرآن، باب ومن سورة الحجر (٥/ ٢٩٨) ح (٣١٢٧)، وقال: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقد روي عن بعض أهل العلم في تفسير هذه الآية: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥] قَالَ: للمتفرسين، والحديث ضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٤/ ٢٩٩) ح (١٨٢١) دار المعارف، الرياض المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ، وفي ضعيف الجامع الصغير (٢٠) ح (١٢٧) طبعة المكتب الإسلامي أشرف على طبعه: زهير الشاويش.

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٤٩]، ويقول عنهم ﷻ في يوم الأحزاب: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزاب: ١٢]، وفي هذا الموقف العظيم ها هو يقول ﷺ لأصحابه حينما عرضت صخرة وهم يحفرون الخندق: فَأَخَذَ ﷺ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ» فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا». ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ» وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا». ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ» وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا»[١].

ولأتباع الأنبياء نصيب من هذه النظرة المستقبلية التفاؤلية التي تسمى الفراسة.

و"عَنْ أَبِي قُتَيْلَةَ[٢] أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْعُلَمَاءِ؛ فَإِنَّهُ حَقٌّ يَجْعَلُهُ اللهُ تَعَالَى

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٠/ ٦٢٦) ح (١٨٦٩٤)، وحسن إسناده ابن حجر في الفتح وقال (٧/ ٣٩٧): "ووقع عند أحمد والنسائي في هذه القصة زيادة بإسناد حسن من حديث البراء بن عازب قال: لما كان حين أمرنا رسول الله ﷺ بحفر الخندق عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول، فاشتكينا ذلك إلى النبي ﷺ، فجاء فأخذ المعول فقال: «بسم الله»، فضرب ضربة فكسر ثلثها، وقال: «الله أكبر! أعطيت مفاتيح الشام، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة»، ثم ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر، فقال: «الله أكبر! أعطيت مفاتيح فارس، والله إني لأبصر قصر المدائن أبيض»، ثم ضرب الثالثة وقال: «بسم الله»، فقطع بقية الحجر فقال: «الله أكبر! أعطيت مفاتيح اليمن، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة»، وضعف إسناده محقق المسند (٣٠/ ٦٢٦) ح (١٨٦٩٤)، والحديث له شواهد يتقوى بها، والرجل الذي في سنده وهو ميمون بن أستاذ البصري مختلف فيه، وإن كان الأكثرية على تضعيفه، والعلم عند الله تعالى.

(٢) مرثد بن وداعة، أبو قتيلة، الحمصي الكندي. اختلف في صحبته، قال البخاري: له صحبة، وقال أبو حاتم الرازي: ليست له صحبة، وإنما يروي عن عبد الله بن حوالة، وعده مسلم في التابعين.

ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب (٣/ ١٣٨٦)، أسد الغابة (٤/ ٣٦٣)، الإصابة (٦/ ٥٦).

عَلَى أَبْصَارِهِمْ وَفِي قُلُوبِهِمْ، وَذَكَرَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَوْمًا الْفِتْنَةَ فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ السَّكُونِ[١]: فَأَيْنَ أَسْيَافُنَا؟ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ: إِنِّي أَخَافُ إِنْ أَحْضَرْتُهَا أَنْ تَعُورَ عَيْنُكَ وَتَكْسِرَ سِنَّكَ، فَحَضَرَ السَّكُونِيُّ يَوْمَ صِفِّينَ، فَتَعَوَّرَتْ عَيْنُهُ وَكُسِرَتْ سِنُّهُ، فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لِأَبِي الدَّرْدَاءِ، وَاحِدَةٌ كَانَتْ تَكْفِينِي.

وَقَوْلُ عُمَرَ رضي الله عنه فِي غُضَيْفِ بْنِ الْحَارِثِ[٢]: نِعْمَ الْفَتَى غُضَيْفٌ؛ تَفَرَّسَ فِيهِ الْخَيْرَ"[٣].

ويقول ابن القيم في بيان فراسة شيخ الإسلام ونظرته المستقبلية التفاؤلية: "ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أمورًا عجيبة، وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم، ووقائع فراسته تستدعي سفرًا ضخمًا.

أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة، وأن جيوش المسلمين تكسر، وأن دمشق لا يكون بها قتل عامّ ولا سبي عامّ، وأن كَلَب الجيش وحدته في الأموال، وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة.

---

(١) السَّكُون قبيلة من القبائل العربية وهي: بطن من بطون كندة، وَهُوَ السّكُون بن أَشْرَس بْن ثَوْر وَهُوَ كِنْدَة.
ينظر: الأنساب للسمعاني (٧/ ١٦٥) ت: عبد الرحمن المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٨٢هـ، اللباب في تهذيب الأنساب (٢/ ١٢٥) لابن الأثير، دار صادر بيروت.

(٢) غضيف بن الحارث بن زنيم السكوني الكندي، الشامي. مختلف في صحبته، والصحيح أن له صحبة، قال الذهبي: عداده في صغار الصحابة، وله رواية. كان عابدًا زاهدًا صالحًا، سكن الشام، توفي رضي الله عنه سنة (٨٠هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٥٣)، البداية والنهاية (١٢/ ١٦١)، الإصابة (٥/ ٢٤٧).

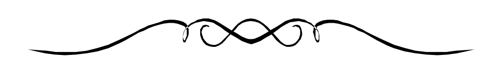
(٣) كرامات الأولياء للالكائي من شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي (٩/ ١٥٦). وهذا الأثر عن عمر رضي الله عنه أورده الإمام أحمد في المسند (٣٥/ ٢٢١) وفيه زيادة وهذا لفظه: عَنْ غُضَيْفِ بْنِ الْحَارِثِ، أَنَّهُ مَرَّ بِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَقَالَ: نِعْمَ الْفَتَى غُضَيْفٌ، فَلَقِيَهُ أَبُو ذَرٍّ، فَقَالَ: أَيْ أُخَيَّ اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: أَنْتَ صَاحِبُ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَنْتَ أَحَقُّ أَنْ تَسْتَغْفِرَ لِي فَقَالَ: إِنِّي سَمِعْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: نِعْمَ الْفَتَى غُضَيْفٌ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ ضَرَبَ بِالْحَقِّ عَلَى لِسَانِ عُمَرَ وَقَلْبِهِ» قَالَ عَفَّانُ: عَلَى لِسَانِ عُمَرَ يَقُولُ بِهِ.

ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم، وأن الظفر والنصر للمسلمين، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينًا، فيقال له: قل: إن شاء الله، فيقول: إن شاء الله تحقيقًا لا تعليقًا.. وكانت فراسته الجزئية في خلال هاتين الواقعتين مثل المطر.

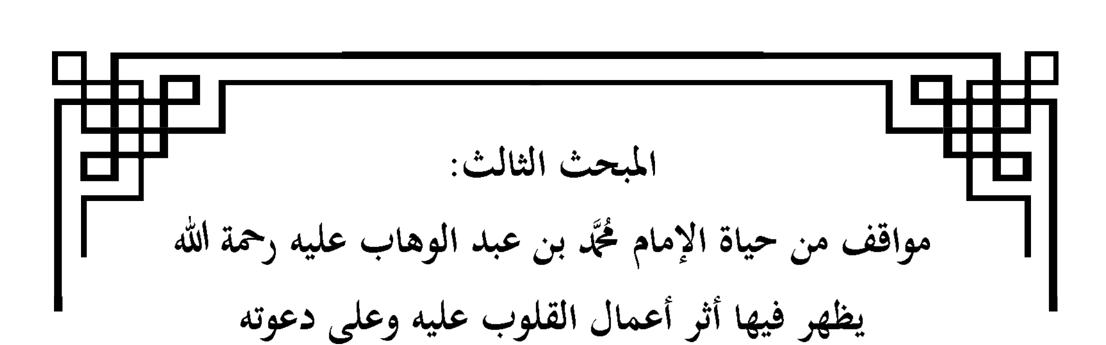
ولما طُلب إلى الديار المصرية وأريد قتله -بعدما أنضجت له القدور، وقلبت له الأمور- اجتمع أصحابه لوداعه، وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك، فقال: والله، لا يصلون إلى ذلك أبدًا، قالوا: أفتحبس؟ قال: نعم، ويطول حبسي، ثم أخرج وأتكلّم بالسنة على رءوس الناس، سمعته يقول ذلك.

ولما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك أخبروه بذلك، وقالوا: الآن بلغ مراده منك، فسجد لله شكرا وأطال، فقيل له: ما سبب هذه السجدة؟! فقال: هذا بداية ذلِّه ومفارقة عزِّهِ من الآن، وقرب زوال أمره. فقيل: متى هذا؟ فقال: لا تربط خيول الجند على القرط حتى تغلب دولته. فوقع الأمر مثل ما أخبر به. سمعت ذلك منه.. وأخبرني ببعض حوادث كبار تجري في المستقبل، ولم يعين أوقاتها، وقد رأيت بعضها وأنا أنتظر بقيتها.

وما شاهده كبار أصحابه من ذلك أضعاف أضعاف ما شاهدته. والله أعلم"[١].



(١) مدارج السالكين (٢/ ٤٥٨-٤٥٩).



المبحث الثالث:
مواقف من حياة الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله يظهر فيها أثر أعمال القلوب عليه وعلى دعوته

المطلب الأول: أثر عمل القلب على طلبه للعلم، وتعليمه للناس:

الفرع الأول: أثر عمل القلب في طلبه للعلم.

الفرع الثاني: أثر عمل القلب على تعليمه للناس الخير وعلى رأس ذلك التوحيد، وإنكاره للشرك أينما حل، وما تركه للأمة من مؤلفات.

المطلب الثاني: أثر عمل القلب على ثبات الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب على عقيدة السلف، وصبره على ما لقيه في سبيل دعوته.

المطلب الثالث: أثر عمل القلب على حسن خلقه رحمه الله، وسلامة قلبه، وعفوه عمن آذوه.

المطلب الرابع: اثر عمل القلب على نظرته التفاؤلية للمستقبل، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين.

المبحث الثالث:

مواقف من حياة الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب عليه رحمة الله يظهر فيها أثر أعمال القلوب عليه وعلى دعوته[١]

المطلب الأول: أثر عمل القلب على طلبه للعلم، وتعليمه للناس:

الفرع الأول: أثر عمل القلب في طلبه للعلم:

ولا شك أن المتأمل في حياة هذا الإمام يرى أثر عمل القلب عليه في طلبه للعلم، فقد أعطاه الله فهمًا وذكاء وجَلَدًا وصبرًا على تعلم العلم، وبارك الله له في علمه وعمله، وقد ولد الشيخ رحمه الله في بلدة العيينة[٢] في أسرة علمية، تعلم القرآن وحفظه عن ظهر قلب قبل بلوغه عشر سنين، وكان حاد الفهم وقَّاد الذهن ذكيَّ القلب سريع الحفظ، قرأ على أبيه[٣] في الفقه، وكان رحمه الله تعالى في صغره كثير

---

(١) ينظر ذلك في: تاريخ ابن غنام (١/ ٢٠٨ وما بعدها)، اعتنى به سليمان الخراشي، دار الثلوثية الرياض، ط١، ١٤٣١هـ، عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٣٣ وما بعدها) لعثمان بن بشر، ت: عبد الرحمن آل الشيخ، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز الرياض، ط٤، ١٤٠٢هـ، مشاهير علماء نجد وغيرهم (١٦ وما بعدها)، عقيدة مُحَمَّد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (١/ ١٢٥-١٢٧) لصالح العبود، من مطبوعات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ط٢، ١٣٢٤هـ، منهج مُحَمَّد بن عبد الوهاب في التفسير (٨-١٢) لمسعد الحسيني، من مطبوعات الجامعة الإسلامية، الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة (٢٧ وما بعدها) لآمنة مُحَمَّد نصير، دار الشروق بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.

(٢) العُيَيْنة بلدة صغيرة تقع في الشمال الغربي على بعد ٨٠ كلم من مدينة الرياض عاصمة المملكة العربية السعودية. تقع في ملتقى شعاب وادي حنيفة الرئيسية.
ينظر: معجم اليمامة (٢/ ١٩٨) لعبد الله بن خميس، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي سلطان بن عبد العزيز، ط١، ١٣٩٨هـ، الموسوعة العربية العالمية (١٦/ ٧٥٨).

(٣) عبد الوهاب بن سليمان بن علي بن مُشَرَّف التميمي النجدي، وكان عالِمًا وفقيهًا وقاضيًا لبلدة العيينة ثم حريملاء، وقد اعتنى بتربية ابنه مُحَمَّد عناية كبيرة ورباه تربية إسلامية صحيحة حتى صار من أعظم

=

المطالعة في كتب التفسير والحديث وكلام العلماء في أصل الإسلام، فشرح الله صدره في معرفة التوحيد وتحقيقه ومعرفة نواقضه المضلة عن طريقه، وجدّ في طلب العلم، وأدرك وهو في سن مبكرة حظًّا وافرًا من العلم، حتى إن أباه كان يتعجب من فهمه ويقول: لقد استفدت من ولدي مُحَمَّد فوائد من الأحكام.

وكتب أبوه إلى بعض إخوانه رسالة نوَّه فيها بشأنه وفهمه الجيّد، وأنه بلغ الاحتلام قبل إكمال اثنتي عشرة سنة من عمره، ورآه أهلًا للصلاة بالجماعة إمامًا لمعرفته بالأحكام، وزوَّجه بعد البلوغ مباشرةً، ثم طلب من أبيه الحجَّ إلى بيت الله الحرام، فأذن له فحجَّ وقصد المدينة وأقام فيها شَهرين، ثم رجع بعد ذلك إلى أبيه في العيينة، وأخذ يَدْرُسُ الفقه على مذهب الإمام أحمد على والده، ورزق مع قوة الحفظ سرعة الكتابة، بحيث إنه يخطّ كراسًا بخطّ واضح في الجلسة الواحدة، بلا سأم ولا تعب؛ مما يحير أصحابه.

وقرأ الشيخ في فنون العلم، وصار له فهم قويٌّ وهمَّة عالية في طلب العلم، فصار يناظر أباه وعمه[١] في بعض المسائل بالدليل على بعض الروايات عن الإمام أحمد والوجوه عن الأصحاب[٢]، فتخرَّج عليهما في الفقه، وناظرهما في مسائل قرأها في الشرح الكبير والمغني والإنصاف، لما فيهما من مخالفة ما في متن المنتهى والإقناع.

المجددين في العصور المتأخرة، وتوفي رحمه الله سنة (١١٥٣هـ).

ينظر: الأعلام (٤/ ١٨٢)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥/ ٤٠) لعبد الله البسام، دار العاصمة الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.

(١) وهو إبراهيم بن سليمان بن علي بن مشرف التميمي النجدي وهو فقيه وقاض، توفي سنة (١١٤١هـ).
ينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٢/ ٦)، وعلماء نجد خلال ثمانية قرون (١/ ٣٠٣).

(٢) الوجه: أن يستخرج أصحاب الإمام لمسألة ما حكمًا من مسألة مشابهة وفق قواعد إمام المذهب وأصوله.
ينظر: الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف (١٢/ ٢٥٦) للمرداوي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه المرموز (٣٥٠) لمريم مُحَمَّد صالح الظفيري، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٢هـ.

وقال الشيخ عبد الرحمن بن قاسم[١] رحمه الله: "أمده الله بكثرة الكتب وسرعة الحفظ، وقوة الإدراك وعدم النسيان، سمع الحديث، وأكثر في طلبه، وكتب ونظر في الرجال والطبقات، وحصل ما لم يحصل غيره، برع في تفسير القرآن، وغاص في دقائق معانيه، واستنبط منه أشياء لم يسبق إليها، وبرع في الحديث وحفظه، فقلَّ من يحفظ مثله مع سرعة استحضاره له وقت إقامة الدليل، وفاق الناس في معرفة الفقه، واختلاف المذاهب وفتاوى الصحابة والتابعين، بحيث إنه إذا أفتى لم يلتزم بمذهب بل بما يقوم دليله عنده، تمسك بأصول الكتاب والسنة، وتأيد بإجماع سلف الأمة"[٢].

بعد أن نَهل الشيخ من علم أبيه الذي يغلب عليه الجانب الفقهي تطلع إلى المزيد، وذلك بالسير على منهج الأسلاف في الرحلة في طلب العلم الشرعي مهما كلف ذلك من مشقة وعناء.

فبدأ رحلته بحج بيت الله الحرام، فلما قضى حجه سار إلى المدينة النبوية فقضى بها زمنًا أخذ فيه العلم عن علمائها المشهورين في ذلك الزمان، فأقام الشيخ في المدينة ما شاء الله، ثم خرج منها إلى نجد[٣]، فقصد بلدة العيينة، وأقام بها قرابة سنة، ثم تجهز

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن قاسم من آل عاصم، أبو عبد الله القحطاني صاحب الدرر السنية وغيرها. وقد قام بعملين عظيمين استغرقا منه جهدًا كبيرًا وهما: جمع فتاوى علماء نجد، وجمع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، توفي رحمه الله سنة (١٣٩٢هـ).
ينظر: الأعلام (٣/ ٣٣٦)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٣/ ٢٠٢)، موسوعة مواقف السلف (٩/ ٥٣٨)

(٢) الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٣٢٣).

(٣) النجد: ما ارتفع من الأرض، ويقصد به المنطقة التي تقع في وسط المملكة العربية السعودية الممتدة من نفود الدهناء في الشرق إلى أطراف جبال الحجاز الشرقية غربًا، ومن صحراء النفود الكبرى شمالًا إلى أطراف الربع الخالي جنوبًا.
ينظر: المعجم الجغرافي عالية نجد (٣) لسعد بن عبد الله بن جنيدل، من مطبوعات دار اليمامة الرياض، الموسوعة الحرة على الشبكة.

إلى البصرة[١]، والتقى بعلمائها وقرأ عليهم، وكان في رحلاته لا يفتر عن مهمته الرئيسة: الدعوة إلى التوحيد، ثم رحل الشيخ إلى الأحساء[٢]، وأخذ عن علمائها، ثم استقر به المقام في نجد وبدأ في نشر دعوته، وعندما استقر الشيخ في نجد لم تنقطع صلته بالعلم، بل كان كما يذكر الشيخ عبد الرحمن بن عبد اللطيف[٣] يقرأ على والده، وبعد فراغه من القراءة يخلو بنفسه ويعكف على دراسة الكتاب والسنة وتفاسير علماء السلف الأجلاء وشروحهم بتدبر وإمعان، فبلغ رحمه الله الغاية القصوى والطريقة المثلى في معرفة معاني الكتاب والسنة، واستنباط ما فيهما من الأسرار الشرعية والأحكام الدينية، وأكب على مطالعة مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم، فازداد بهما علمًا وتحقيقًا ومعرفة، وبصيرة في كتاب الله تعالى، وإدراكًا لمعانيه وأسراره، والاهتداء به في شئون الحياة[٤].

وهنا يظهر التوفيق الرباني لهذا الإمام الذي يعده الله لمهمة عظيمة كبيرة، وهي

---

(١) البصرة: بناها عتبة بن غزوان رحمه الله سنة (١٧هـ) بأمر عمر بن الخطاب ﷺ، وهي: مدينة عراقية تقع جنوبي العراق بالقرب من التقاء نهري دجلة والفرات. وتعدّ البصرة من أكبر المدن العراقية بعد بغداد، والميناء الرئيس للدولة.

ينظر: البلدان لليعقوبي (١٥٩) دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، الموسوعة العربية العالمية (٤/ ٤٢٦)، موقع الموسوعة الحرة على الشبكة.

(٢) محافظة الأحساء من أكبر المحافظات في المملكة العربية السعودية، وتقع في الجزء الشرقي من المنطقة الشرقية، وهي واحة كثيرة النخيل.

ينظر: الموسوعة الحرة على الشبكة.

(٣) عبد الرحمن بن عبد اللطيف بن عبد الله بن عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب، ولد في مدينة الرياض سنة (١٣٣٢هـ)، ثم انتقل إلى مكة سنة (١٣٥٣هـ) وتلقى العلم أولًا في الرياض على مشايخها، فقرأ القرآن الكريم حتى ختمه، وتلقى مبادئ العلوم، ثم لما انتقل إلى مكة أخذ العلم عن جملة من مشايخها الوافدين وغيرهم، وله مجموعة من الكتب منها: مشاهير علماء نجد وغيرهم، وعلماء الدعوة ومناصروها وغير ذلك.

ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (٣٢٠) فإن لمؤلف الكتاب ترجمة في آخره بعنوان: المؤلف في سطور.

(٤) ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (١٨).

نشر عقيدة التوحيد على منهج السلف ومحاربة الشرك بكل أنواعه، ولا يثبت في هذه المقامات العظيمة إلا من صدق مع الله وأخلص لله، وأقبل على صلاح قلبه مستعينًا بالله على تحقيق أعمال القلوب وتطبيق ما يدعو إليه عمليًّا في حياته، فحقق التوحيد، وصفَّى قلبه من شوائب الشرك، فعند ذلك يجد عون الله وتوفيقه له وعنايته تحف به من كل جانب، وهذا ما حصل لهذا الإمام رحمه الله، فقد رزقه الله الثبات والصبر على هذه المهمة العظيمة، فقام بها خير قيام، ثم بعد وفاة والده انطلق في دعوته الإصلاحية إلى أن توفاه الله بعد ظهور دعوته وانتشارها، فرحمه الله رحمة واسعة.

الفرع الثاني: أثر عمل القلب على تعليمه للناس الخير وعلى رأس ذلك التوحيد، وإنكاره للشرك أينما حل، وما تركه للأمة من مؤلفات(١).

كان الشيخ رحمه الله من منهجه ودأبه أينما حل أن يبيِّنَ التوحيد ودلائله من الكتاب والسنة وأقوال السلف لمن حوله، وينكر ما يرى من الشركيات والبدع؛ لما فيها من قدح في العقيدة الصحيحة أو منافاة لها.

وإن هذا الاصطفاء من الله لهذا الإمام يدل على توفيق الله له ليقوم بهذه المهمة العظيمة، ويواجه بثبات منقطع النظير المقاومة الشرسة لدعوته من القريب والبعيد، وذلك لغربة التوحيد في موطنه وفي سائر بلدان المسلمين، وهذا فيما أحسبه من هذا الإمام -والله حسيبه- دليل على عمل القلب في صدقه مع الله وإخلاصه، وتمكن عظمة التوحيد من قلبه، وشعوره بخطر الشرك العظيم عليه وعلى الأمة، وتمكَّن الشيخ من هذا الثبات العظيم وصبره على ما يلقاه في ذات الله من أذى يسقط تحت وطأته ضعاف القلوب، ويبقى رحمه الله إلى آخر عمره وفيًّا لهذه المهمة في نشر التوحيد ومحاربة الشرك على كل الجبهات، إن هذا لمن الإشارات العظيمة الدالة على تمكن

---

(١) ينظر في ذلك: تاريخ ابن غنام (١/ ٢١٣ وما بعدها)، وعنوان المجد (١/ ٣٨ وما بعدها)، منهج مُحَمَّد بن عبد الوهاب في التفسير (١٣-١٥).

أعمال القلوب في حياة الإمام.

وقد كان الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب بارًّا بوالده برًّا عظيمًا، فحينما طلب منه أن يخفِّف من مواجهته للناس بهذا الأمر الذي يكرهونه لغربة التوحيد وتسلّط سدنة الشرك وحماته على مقاليد الأمور، فخاف الأب على ابنه، فأمره أن يكفَّ عن هذا الأمر أو يخفِّف من المواجهة خوفًا عليه، فما كان من الابن إلا أنِ امتثل أمر والده، ولما توفي والده استمر الشيخ في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وجهر بذلك، وأخذ يقرره للعام والخاص، ويزجر من يرتكب شيئًا من المنكرات، فذاع ذكره في جميع بلدان العارض(١)، في حريملاء(٢) والعيينة والدرعية(٣) والرياض ومنفوحة(٤)، وصار له أنصار ومعارضون كما هي سنة الله تعالى الجارية في الصراع بين الحق والباطل.

ثم لما لم يجد الشيخ مناصرة ومؤازرة قوية توجَّه إلى العيينة وأميرُها يومئذ عثمان بن

---

(١) العارض: يقصد بها بلدان نجد وقراها، وكذلك قديمًا تسمى جبال طويق بالعارض، وفي القرون المتأخرة صارت تطلق الرياض وما جاورها من مدن وبلدات.
ينظر: الموسوعة الحرة على الشبكة.

(٢) حريملاء: تقع شمال غرب العاصمة الرياض على بعد (٨٠) كلم تقريبًا، وهي تابعة لإمارة منطقة الرياض ومحافظة من محافظتها.
ينظر: مقالة على موقع صحيفة الجزيرة على الشبكة عدد (١٦١٩٠) بعنوان: حريملاء مدينة العلم والعلماء، وينظر أيضًا: الموسوعة الحرة.

(٣) تقع الدرعية شمال غرب الرياض بمسافة (٢٠) كلم، ويشقها وادي حنيفة نصفين، وهي بلاد زراعية، وقد ارتبط ذكرها بالدولة السعودية الأولى.
ينظر: معجم اليمامة (١/ ٤٢٤)، الموسوعة الحرة.

(٤) بلدة قديمة ولها تاريخ عريق، وسكنها الأعشى الشاعر الجاهلي المعروف وبها قصره، وصارت الآن حيًّا من أحياء مدينة الرياض الجنوبية.
ينظر: معجم اليمامة (٢/ ٣٩٧)، الموسوعة الحرة.

حمد بن معمر[١]، فتلقاه بالإجلال والاحترام، فعرض عليه الشيخ دعوته، وبين له التوحيد، ورغبه فيه، فاتبعه وناصره، وألزم الخاصة والعامة أن يمتثلوا أمره.

وكان في العيينة وما حولها كثير من القباب والمساجد والمشاهد المبنية على قبور الصحابة، وكثير من الأشجار التي يقدِّسونها ويتبركون بها.

فأمر الشيخ بتغيير تلك المنكرات، فخرج هو والأمير فقطعوا الأشجار، وهدموا المشاهد وعدلوا القبور على السنة.

وهكذا استمرت الأمور على أحسن حال، فعلت كلمة الحق، وأُحيِيَت سنة المصطفى ﷺ، وأقيمت الحدود، وعاد للعقيدة صفاؤها وأثرها.

وعاد الناس إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وتدبرهما وتطبيقهما في واقع الحياة.

فلم يرق ذلك لعلماء السوء وأرباب المصالح، بل أنكرته قلوبهم، وما أنكرت إلا التوحيد وتطبيق القرآن، ولسان حالهم يقول: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ﴾ [ص: ٥]، فتألبوا على الإنكار عليه ومخاصمته ومحاربته، وإثارة الشبهات حول دعوته: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الصف: ٨]، فكتبوا إلى علماء الأحساء والبصرة والحرمين يشوّهون الحقائق، ويؤلِّبون على الشيخ، ويغرون به العامة والخاصة، وخصوصًا الحكام، حتى وشوا به إلى حاكم الأحساء سليمان بن مُحَمَّد بن غرير الحميدي[٢].

---

(١) عثمان بن حمد بن معمّر النجدي رئيس العيينة من بلاد نجد في بدء دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب، تعاون معه على إرساء قواعد التوحيد وإزالة مظاهر الشرك، إلا أنه رضخ لخصوم الدعوة وأمر بإخراج الشيخ من بلدة العيينة، توفي عليه رحمة الله سنة (١١٣٦هـ).

ينظر: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام (٦/ ٤٣) لعبد الله الغازي المكي الحنفي، ت: ابن دهيش، توزيع مكتبة الأسدي بمكة، ط١، ١٤٣٠هـ، الأعلام (٤/ ٢٠٤) مشاهير علماء نجد وغيرهم (١٩).

(٢) سليمان بن مُحَمَّد بن غرير الحميدي من بني خالد، وهو خامس حكام دولة بني خالد، وفي آخر حياته

=

فكتب سليمان هذا إلى عثمان بن معمر يأمره بقتل الشيخ أو إجلائه عن بلده، وشدَّد عليه، وهدَّده بقطع ما كان يبعث به إليه من خراج.

فلما ورد كتابه على عثمان عظم الأمر في عينه، وعز عليه مخالفة أمير الأحساء، فأمر الشيخ بالخروج من العيينة.

فخرج الشيخ منها محفوفًا برعاية الله سنة (١١٥٧هـ) أو (١١٥٨هـ)، وتوجه إلى الدرعية، حيث كان له أنصار وتلاميذ، فنزل أول ليلة على عبد الله بن سويلم[(١)]، ثم انتقل في اليوم التالي إلى دار تلميذه الشيخ أحمد بن سويلم[(٢)]، ثم كان اللقاء بينه وبين الإمام محمد بن سعود[(٣)] أمير الدرعية، وهنا بدأ عصر جديد للدعوة، ومن ثم الظهور والتمكين.

يقول الدكتور صالح العبود[(٤)]: "ولما توفي والده عام ١١٥٣هـ أعلن الدعوة إلى

=

ابتعد عن السلطة وتوجه إلى أقليم الخرج، وبقي فيه حتى مات رحمه الله سنة (١١٦٦هـ)، وهو حاكم الأحساء الذي خاف من دعوة الشيخ على سلطانه، كما زين له علماء السوء، فأرسل خطابًا إلى ابن معمر حاكم العيينة يأمره بطرد الشيخ من بلده، وإلا سوف يغزوه ويقطع مرتبه.

ينظر: مشاهير علماء نجد وغيرهم (٢١)، محمد بن عبد الوهاب عقيدته السلفية ودعوته الإصلاحية وثناء العلماء عليه (٢٣)، وموقع الموسوعة الحرة على الشبكة.

(١) لم أعثر له على ترجمة.

(٢) لم أعثر له على ترجمة.

(٣) الإمام الرئيس محمد بن سعود بن محمد بن مقرن بن مرخان، أول من لقب بالإمامة من آل سعود في نجد. استقر في الدرعية، ثم ولي الإمارة بعد وفاة أبيه ببضع سنين، وفي سنة سبع أو ثمان وخمسين ومائة وألف وفد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب إلى الدرعية، فاستقبله الأمير ورحب به، ونصره باللسان والسنان، حتى اتسعت دائرة الدعوة السلفية وامتدت إلى بلدان وأمصار شتى. أحيا السنة وأمات البدعة، وجدد الدعوة والجهاد، وأظهر التوحيد، وحارب الشرك. توفي رحمه الله سنة (١١٧٩هـ).

ينظر: الدرر السنية في الأجوبة النجدية (١٦/ ٣٤٧)، الأعلام (٦/ ١٣٨)، موسوعة مواقف السلف (٨/ ٥٦٩).

(٤) صالح بن عبد الله بن عبد الرحمن العبود، دكتور في العقيدة الإسلامية، تولى العديد من المناصب منها

=

تصحيح العقائد السائدة بعقيدة السلف الصالح، لكن لم تكن حريملاء صالحة لأن تكون منطلقًا لدعوته، فانتقل منها فيما يقارب عام (١١٥٥هـ) إلى العيينة، وقد ناصره أميرها عثمان بن معمر أولَ الأمر، ثم خذله، فانتقل الشيخ إلى الدرعية والتقى بأميرها الراشد مُحَمَّد بن سعود، فقام بنصرته، ووفى بعهده، وأتم وعده، فأظهر الله عقيدة السلف الصالح، ونصر الله أهلها، وتوفر الشيخ لنشرها، وتدريس العلوم النافعة، وتأليف الكتب المفيدة في أصول الإسلام وفروعه على طريقة السلف الصالح، وانطلاقًا من العقيدة السلفية السليمة، وقد أخذ عن الشيخ جموع كثيرة، وخلف من تلاميذه العلماء الكبار الذين قاموا بأدوار مهمة عظيمة، وخلف أتباعًا وأنصارًا ودولة ملأ ذكرهم الأسماع في الخافقين، وعظم شأنهم بين العالمين"[(١)].

"وقد ألف الشيخ مُحَمَّد رحمه الله مؤلفات كثيرة مفيدة منها: كتاب التوحيد، وكتاب كشف الشبهات، ومفيد المستفيد في حكم تارك التوحيد، وكتاب الكبائر، وكتاب أصول الإيمان وفضائل الإسلام، وكتاب أحاديث الفتن، ومختصر السيرة النبوية، ومختصر زاد المعاد، ومختصر الإنصاف والشرح الكبير، ومسائل الجاهلية، ومجموع الحديث رتبه رحمه الله على أبواب الفقه، وكتاب آداب المشي إلى الصلاة، واستنباط القرآن، وكتاب نصيحة المسلمين بأحاديث خاتم المرسلين، وكتب رحمة الله رسائل كثيرة في تقرير التوحيد وتوضيحه"[(٢)].

واستخدم الشيخ رحمه الله وتلاميذه من بعده وسيلة مجدية في ذلك الزمن في نشر دعوته وتفنيد الشبهات المثارة ضدها، وتلك الوسيلة هي أسلوب المراسلات العلمية

مديرًا للجامعة الإسلامية، وقبل ذلك كان رئيسًا لقسم العقيدة ومدرسًا بالمسجد النبوي، وله عدة مشاركات في عضوية الكثير من الجهات الحكومية، وله الكثير من المحاضرات والدروس العلمية.

ينظر: مقال بعنوان: ترجمة الشيخ صالح العبود حفظه الله على موقع الآجري على الشبكة.

(١) عقيدة مُحَمَّد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي (١/ ١٨٣).

(٢) مشاهير علماء نجد وغيرهم (٢٦).

الشخصية[(١)]، وهو أسلوب له فوائد منها:

١- تأليف القلوب من حيث شعور المرسل إليه بالاختصاص والاصطفاء، وما يكون في الرسالة من ثناء ودعاء ونحوه.

٢- سهولة حملها ونشرها.

٣- التركيز على جانب وإشباعه من ناحية الاستدلال وبيان المقصود، أو تفنيد الشبهات.

المطلب الثاني: أثر عمل القلب على ثبات الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب على عقيدة السلف، وصبره على ما لقيه في سبيل دعوته:

الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله له هدف واضح يسعى لتحقيقه بكل ما يمكن، وهو نشر دعوة التوحيد صافية نقية كما كانت في عهد الرسول ﷺ، ومحاربة الشرك بكل أنواعه، وشُنت عليه بسبب ذلك حربٌ لا هوادة فيها من القريب والبعيد؛ لأن الشرك ضارب بأطنابه[(٢)] في المجتمعات، وعقيدة التوحيد تعيش غربة عظيمة، ومن يلق نظرة على المجتمع في نجد وما حولها في تلك المرحلة[(٣)] يرَ أن التبعة ثقيلة عظيمة، تحتاج إلى مصلح من نوع فريد يملك مقومات تؤهله لهذه المهمة

---

(١) ينظر نماذج على هذه الرسائل في تاريخ ابن غنام (١/ ٣١٨ وما بعدها)، وينظر أيضًا: كتاب الرسائل الشخصية للشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (مطبوع ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب، الجزء الأول) (٩٧) لعبد الله بن صالح العثيمين، من مطبوعات عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤٢٠هـ، وقد حلل الدكتور العثيمين أسلوب هذه الرسائل في كتابه هذا، ينظر المرجع السابق (١/ ٩٧ وما بعدها).

(٢) جمع طُنُب ويطلق على معان منها: عروق الشجر وحبال الخيمة التي تشد بها.
ينظر: الصحاح (١/ ١٧٢)، مقاييس اللغة (٣/ ٤٢٦) مادة (طنب)، والمقصود أن الشرك متجذر قوي ومتمكن.

(٣) ينظر ما سجله ابن غنام في تاريخه عن الحال التي وصلت لها نجد والأحساء وغيرها من بلاد المسلمين في تلك الفترة من انتشار الشرك والضلال والبعد عن عقيدة التوحيد (١/ ١٧١-١٨٨).

العظيمة، فكان لها بتوفيق الله وحفظه لدينه الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب، ومن تعاون معه من الأسرة الكريمة من آل سعود.

ودونك هذه النماذج من حياة الشيخ رحمه الله في صبره على دعوته، وثباته على منهجه الذي اختطه لنفسه في كل مراحل حياته من نشر التوحيد أينما حل وكان، وما لقيه من الأذى في سبيل ذلك:

- يذكر ابن بشر(١) رحمه الله أن الشيخ لما أنكر الشرك والبدع تجمع عليه أناس في البصرة من رؤسائهم وغيرهم، فآذوه أشد الأذى، وأخرجوه منها وقت الظهيرة، فلما خرج وتوسط في الدرب فيما بينها وبين بلد الزبير(٢) أدركه العطش وأشرف على الهلاك، وكان ماشيًا على رجليه وحده، فوافاه صاحب حمار مكاري(٣) يقال له: أبو حميدان(٤)، فسقاه وحمله على حماره حتى وصل الزبير(٥).

- ولما أنكر الشرك والبدع ودعا إلى التوحيد في بلدة حريملاء وقع بينه وبين الناس كلام حتى وصل الأمر إلى والده الذي كلمه فيما يظهر بأن يخفف من هذا الأنكار، فاستجاب لأمر أبيه، وبقي إلى أن توفي، فأعلن إنكاره وصدع بدعوته، ولما أنكر على

---

(١) عثمان بن عبد الله بن عثمان بن بشر النجدي يرجع إلى قبيلة بني زيد القضاعية القحطانية، اهتم بتاريخ نجد وكتب فيه كتابه المشهور بعنوان: المجد في تاريخ نجد، وقد عاصر الدولة السعودية الأولى ثم الثانية، توفي رحمه الله سنة (١٢٩٠هـ).

ينظر: الأعلام (٤/ ٢٠٩)، معجم المؤلفين (٦/ ٢٥٩)، علماء نجد خلال ثمانية قرون (٥/ ١١٥).

(٢) مدينة عراقية تقع جنوب العراق بالقرب من البصرة في جنوب غربها.

ينظر: الموسوعة الحرة.

(٣) من أكرى الدار أو الدابة أو السيارة بمعنى: آجره إياها.

ينظر: المغرب في ترتيب المعرب (٤٠٧)، معجم اللغة العربية المعاصرة (٣/ ١٩٢٧) لبرهان الدين الخوارزمي الْمُطَرِّزِيّ، مادة (كري)، المكاري قديمًا من ينقل الناس على الدابة مقابل أجرة.

(٤) لم أعثر له على ترجمة.

(٥) ينظر: عنوان المجد (١/ ٣٦-٣٧).

بعض الفاسدين كادوا أن يقتلوه لولا أن حماه الله ببعض جيران الشيخ، لما رأوهم يتسورون عليه يريدون قتله، فصاحوا بهم ففروا، فاضطر الشيخ إلى الخروج إلى بلدة العيينة[(١)].

ولما نزل الشيخ على ابن معمر أمير العيينة ورحب به وبدعوته قام الشيخ بما يجب عليه من إنكار المنكر بلسانه ويده، وإزالة مظاهر الشرك، وتعاون معه على ذلك ابن معمر، ولما ظهر أمره سعى أعداؤه إلى تأليب الحكام عليه، فأرسل حاكم الأحساء الذي كان يتبع له ابن معمر أن يقتل الشيخ أو يخرجه من العيينة، وهدده بقطع المعونة عنه، فرضخ ابن معمر له، وأمر الشيخ بالخروج، كما سبقت الإشارة إلى ذلك[(٢)]، فخرج الشيخ وحيدًا فريدًا لا يملك من الدنيا شيئًا إلا مروحة خوص[(٣)] في يده، وفي قلبه ثقة بموعود الله ونصره له، قوي ثابت على مبدئه، يبحث عن مكان آخر ينشر فيه دعوته، لسانه لا يفتر عن ذكر الله والابتهال إليه أن يجعل له مخرجًا وفرجًا لدعوته[(٤)].

وفي هذه المواقف الصعبة التي يسقط فيها أصحاب القلوب الضعيفة، وفي المقابل يظهر أثر عمل القلب في ثبات العبد على الحق والصبر على الأذى في سبيل الله، مع اليقين التام بنصر الله وظهور الحق، وهذا ما كان عليه الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله، فكلّما سُدَّ في وجهه باب فتح الله له بابًا آخر، على رغم ما يواجهه من حرب من القريب والبعيد، وما زاده ذلك إلا إصرارًا على القيام بالدعوة إلى التوحيد والتحذير من الشرك أينما حل ورحل، وما ذلك إلا من توفيق الله له.

---

(١) ينظر: عنوان المجد (١/ ٣٧-٣٨).

(٢) ينظر: ص (٣١٤).

(٣) الخوص: ورق النخل.

ينظر: الصحاح (٣/ ١٠٣٨) مادة (خوص)، ومروحة الخوص تصنع باليد من ورق النخل لأجل جلب الهواء على الوجه عند تحريكها باليد.

(٤) ينظر: عنوان المجد (١/ ٣٨-٤٠).

المطلب الثالث: أثر عمل القلب على حسن خلقه رحمه الله، وسلامة قلبه، وعفوه عمن آذوه:

لقد ضرب الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب أروع الأمثلة في الصبر على الأذى في سبيل دعوته، وقد سلك أعداء الدعوة مسالك شتى في محاربتها، ومنها على سبيل الإجمال:

١- الكتابة ضدها بالتشويه تارة وبالتنفير منها تارة أخرى.

٢- مجادلة بعض العلماء لأتباع الدعوة.

٣- الاتصال بالعلماء وذوي النفوذ خارج نجد وتحريضهم ضد الشيخ ودعوته.

٤- ترويج الكتب التي ألفها علماء من غير نجد ضد الدعوة ونشرها بين الناس[١].

لكن الشيخ رحمه الله قابل كل ذلك بالحجج البينات القائمة على الدليل، وكان يدعو الله بهدايتهم، حتى لما أظهره الله عليهم عفا عنهم، ولم ينتقم لنفسه، بالرغم من أنهم جرَّدوا ضدَّه وضدَّ دعوته ألسنةً حدادًا، ولم يعاملهم بما عاملوه به؛ إذ لو تمكنوا منه لقطَّعوه أوصالًا، ولكن لما مكنه الله منهم عفا عنهم، حتى إنه لم يستخدم معهم أسلوب اللوم والعتاب[٢]، وتلك أخلاق الأئمة العظماء التي لا يقوى عليها إلا أفذاذ الرجال.

المطلب الرابع: أثر عمل القلب على نظرته التفاؤلية للمستقبل، وأن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين:

كان عند الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب يقينٌ تامٌّ بأن الله سيعلِي هذه الدعوة، وسينصر من ينصرُها، وكان قوله دائمًا لمن يرغب في التعاون معه: النصر مع الصبر

---

(١) ينظر هذه الوجوه الأربعة بشيء من التفصيل في كتاب الرسائل الشخصية للشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب، ضمن بحوث أسبوع الشيخ (١/ ١١١-١١٣).

(٢) ينظر: تاريخ ابن غنام (١/ ٢٢٣-٢٢٤).

على دعوة التوحيد وعلى نشرها، قال ذلك لابن معمر أمير العيينة: "إني أرجو إن أنت قمتَ بنصر لا إله إلا الله أن يُظهرَك الله وتملك نجدًا وأعرابها"[١].

وهذا مثال آخر تظهر فيه نظرة الشيخ الثاقبة ورؤيته الصادقة المتفائلة بأن المستقبل والنصر والتمكين لمن ينشر دعوة التوحيد خالصة لوجه الله.

ودخل مُحَمَّد بن سعود على زوجته[٢] فأخبرته بمكان الشيخ، وقالت له: إن هذا الرجل ساقه الله إليك، وهو غنيمة، فاغتنم ما خصَّك الله به، فقبل قولها، ويظهر في هذا الموقف أثر المرأة الصالحة على زوجها وبركة مشورتها، ثم دخل عليه أخوه ثنيان[٣] وأخوه مشاري[٤]، وأشاروا عليه بمساعدته ونصرته، وألقى الله ﷻ في قلبه للشيخ

---

(١) عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٣٨).

(٢) موضي بنت أبي وهطان من آل كثير من بني لام من طيِّئ، زوجة الإمام مُحَمَّد بن سعود وأم أبنائه عبد العزيز وعبد الله وسعود وفيصل، صاحبة الموقف العظيم في نصرة الدعوة السلفية وإيواء الإمام الحبر مُحَمَّد بن عبد الوهاب مجدد ما اندرس من معالم الشريعة المحمدية ومحطم المظاهر الشركية، قال عنها ابن مشرف: وكانت ذات عقل ودين ومعرفة رحمها الله.

ينظر: عنوان المجد (١/ ٤١)، مقال في صحيفة الرياض عدد ١٣٩٠٦ على موقعها على الشبكة بعنوان: موضي بنت أبي وهطان الكثيري.

(٣) ثنيان بن سعود بن مُحَمَّد بن مقرن بن مرخان، لم يلِ الإمارة، وإنما كان يساعد شقيقه الإمام مُحَمَّد بن سعود في أمورها. وكان حازمًا شجاعًا، ووصفه في مثير الوجد: الزاهد العابد القائم بنصرة الإسلام وإظهاره أيَّد الله به دينه، كان لا يحب الدنيا وملاذها، وترك الإمارة لأخيه مُحَمَّد، توفي رحمه الله سنة (١١٨٦هـ) كما ذكره ابن بشر، وفي مثير الوجد في أنساب ملوك نجد توفي سنة (١١٦٠هـ) وذكر محقق كتاب مثير الوجد: أن قول ابن بشر في وفاته فيه نظر، والله أعلم.

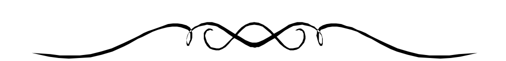
ينظر: عنوان المجد (١/ ١١٨)، مثير الوجد (١٢٣) لراشد بن علي بن جريس، ت: أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ط٢، ١٤١٩هـ، الأعلام (٢/ ١٠١).

(٤) مشاري بن سعود بن مُحَمَّد بن مقرن بن مرخان، هو الذي أيّد أخاه مُحَمَّد بن سعود في نصرة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب، وكذا ولده حسن بن مشاري، فإنه قاد السرايا، وقاتل في الحصون والبلاد والقرى مع ابن عمه عبد العزيز بن مُحَمَّد بن سعود، وله أولاد فرسان وشجعان قتلوا في حرب إبراهيم باشا لما حاصر الدرعية.

ينظر: إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام (٦/ ٤٥).

المحبة، فأراد أن يرسل إليه، فقالوا: سر إليه برجلك في مكانه، وأظهر تعظيمه والاحتفال به؛ لعل الناس أن يكرموه ويعظموه، فقام مُحَمَّد بن سعود من فوره وسار إليه ومعه أخواه ثنيان ومشاري، فدخلوا عليه في بيت أحمد بن سويلم، فسلم عليه ورحب به، وأبدى غاية الإكرام والتبجيل، وأخبره أنه يمنعه بما يمنع به نساءه وأولاده، وقال: أبشر ببلاد خيرٍ من بلادك، وأبشر بالعز والمنعة، فقال الشيخ: وأنا أبشرك بالعز والتمكين، وهذه كلمة (لا إله إلا الله) من تمسَّك بها وعمل بها ونصرها ملك بها البلاد والعباد، وهي كلمة التوحيد، وأول ما دعت إليه الرسل من أولهم إلى آخرهم، وأنت ترى نجدًا وأقطارها أطبقت على الشرك والجهل والفرقة وقتال بعضهم لبعض، فأرجو أن تكون إمامًا يجتمع عليه المسلمون وذريتك من بعدك[١].

وهكذا تم اللقاء، وقد حقق الله تلك النظرة الثاقبة التي كان يعتقدها الشيخ فيمن ينصر كلمة التوحيد، وكان من ثمرة ذلك قيام هذا الكيان الشامخ المملكة العربية السعودية، والتي لا تزال على هذا العهد والميثاق في نصرة كلمة التوحيد، وهو سرٌّ من أسرار بقائها وثباتها ونصرها وتمكينها، ولله الحمد والمنة.



(١) ينظر: عنوان المجد في تاريخ نجد (١/ ٤١-٤٢).



الباب الثالث:

من آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في نفسه، وفي دعوته

الفصل الأول: من آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في نفسه.

الفصل الثاني: من آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في دعوته.

الفصل الأول:
من آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في نفسه

توطئة:

إذا اجتهد الداعية في أسباب صلاح قلبه، وجاهد نفسه على ذلك، ودقق في محاسبتها، وقام بتحقيق عمل القلب، وحرص على سلامة قلبه من الآفات، وجد آثار ذلك عليه في نفسه، في قوله وفعله، قال تعالى في بيان إعانته لمن جاهد نفسه في الله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وقال ﷻ: ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفۡسِهِۦٓ﴾ [العنكبوت: ٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفۡسِهِۦۚ﴾ [فاطر: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤].

فيوفق الله الداعية لصلاح نفسه، فيصير بذلك قدوة حسنة للناس، فيعود ذلك بالآثار العظيمة عليه وعلى دعوته، وسيكون الحديث هنا عن آثار عمل القلب على الداعية في نفسه، وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: سلامة المقصد وخلوصه لله وحده.

المبحث الثاني: الشعور بمعية الله ورعايته له.

المبحث الثالث: الشعور بتوفيق الله وإعانته له.

المبحث الرابع: اليقين بنصر الله تعالى لدينه.

المبحث الخامس: التفاؤل وعدم اليأس.

المبحث السادس: تعلق القلب بالله تعالى.

المبحث السابع: الزهد في الدنيا وتعلق القلب بالآخرة.

المبحث الثامن: طمأنينة القلب وقوته.

المبحث التاسع: الرضا بما يلقاه في ذات الله تعالى.

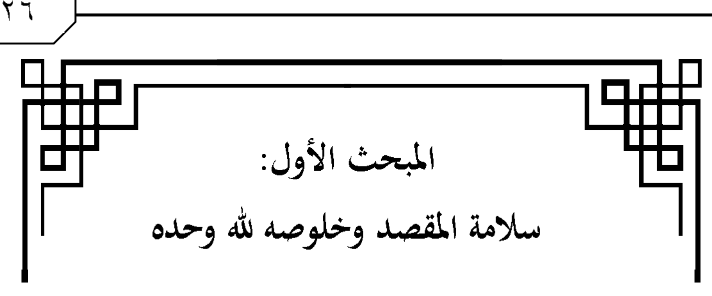
المبحث العاشر: المسارعة في فعل القربات.

المبحث الحادي عشر: الثبات.

المبحث الثاني عشر: الفوز والنجاة في الآخرة.

ودونك تفصيل هذه الآثار:





المبحث الأول:
سلامة المقصد وخلوصه لله وحده

إذا حقق الداعية عمل القلب، وعلى رأس ذلك الإخلاص والصدق، وجاهد نفسه وحاسبها على ذلك، وفقه الله لسلامة المقاصد وإخلاص النية لله تعالى، ولذلك أثره العظيم عليه في نفسه، ويمتد الأثر إلى دعوته، ودونك شيئًا من آثار الإخلاص وسلامة المقصد على الداعية في نفسه:

١- قبول الله لعمل العبد:

لأن الإخلاص شرط لقبول العمل، فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: أَرَأَيْتَ رَجُلًا غَزَا يَلْتَمِسُ الْأَجْرَ وَالذِّكْرَ، مَا لَهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ»، فَأَعَادَهَا ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا شَيْءَ لَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ اللهَ لَا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا، وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ».

دل الحديث على أن الله لا يقبل العمل إلا إذا كان خالصًا لوجهه الكريم، أما إذا أريد بالعمل غير الله فإن الله لا يقبله، ويجعله هباءً منثورًا، قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: ٢٣].

قال ابن القيم رحمه الله: "وهي الأعمال التي كانت على غير السنة، أو أريد بها غير وجه الله"(١).

وقال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ٨٩).

والآية تدل على ركني قبول العمل، وهو أن يكون موافقًا لشريعة النبي ﷺ، ويراد به وجه الله وحده لا شريك له[(١)].

وعلى هذا إذا اجتهد الداعية في سلامة مقاصده وخلوصها لله وحده لا شريك له قبل الله عمله، وبارك له في دعوته، وفتح له مغاليق القلوب.

٢- تنفيس الكروب واجابة الدعاء:

ومن آثار إخلاص النية لله تعالى وسلامة المقاصد تنفيس الكروب وإجابة الدعوات.

ذكر الله تعالى عن يونس عليه السلام حينما التقمه الحوت فأطبقت عليه الظلمات[(٢)]، توجه إلى ربه مخلصًا في دعوته معترفًا بذنبه، فحصل الفرج ونجا من الكرب، وقد وعد الله أن ينجي كل مؤمن من الكرب إذا أخلص لربه واعترف بذنبه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٨٧ فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَنَجَّيۡنَٰهُ مِنَ ٱلۡغَمِّۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧، ٨٨].

وعَنْ سَعْد بن أبي وقاص رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «دَعْوَةُ ذِي النُّونِ إِذْ دَعَا وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾، فَإِنَّهُ لَمْ يَدْعُ بِهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا اسْتَجَابَ اللَّهُ لَهُ»[(٣)].

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٥/ ٢٠٥).

(٢) في تفسير الطبري (١٦/ ٣٨٢): "ظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت".

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٦٥) ح (١٤٦٢)، والترمذي، واللفظ له في أبواب الدعوات، باب.. (٥/ ٥٢٩) ح (٣٥٠٥)، والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير، تفسير سورة الأنبياء (٢/ ٤١٤) ح (٣٤٤٤) وصححه ووافقه الذهبي، وقال في مجمع الزوائد في كتاب الأدعية، باب فيما يستفتح به الدعاء

=

ومما يدل على أن الإخلاص في الدعاء سبب لتفريج الكربات ما ورد في السنة من حديث الثلاثة الذين أطبقت عليهم الصخرة، فسدت باب الغار الذي هم بداخله، «فقالوا: إِنَّهُ لاَ يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ»، وكان كل واحد يتوسل إلى الله بالعمل الصالح الذي أخلص فيه، فكانت دعوة كل واحد منهم يختمها بقوله: «اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ»، واستجاب الله دعواتهم، فتدحرجت الصخرة عن فتحة الغار، وخرجوا يمشون، ودل ذلك على أثر الإخلاص في تفريج الكروب.

وهذا سياق الحديث بتمامه، فعن عَبْدِ اللهِ بْن عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «انْطَلَقَ ثَلاثَةُ رَهْطٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ حَتَّى أَوَوا المبِيتَ إِلَى غَارٍ، فَدَخَلُوهُ فَانْحَدَرَتْ صَخْرَةٌ مِنَ الجَبَلِ، فَسَدَّتْ عَلَيْهِمُ الغَارَ، فَقَالُوا: إِنَّهُ لا يُنْجِيكُمْ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ إِلَّا أَنْ تَدْعُوا اللَّهَ بِصَالِحِ أَعْمَالِكُمْ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ، وَكُنْتُ لاَ أَغْبِقُ قَبْلَهُمَا أَهْلًا وَلاَ مَالًا، فَنَأَى بِي فِي طَلَبِ شَيْءٍ يَوْمًا، فَلَمْ أُرِحْ عَلَيْهِمَا حَتَّى نَامَا، فَحَلَبْتُ لَهُمَا غَبُوقَهُمَا، فَوَجَدْتُهُمَا نَائِمَيْنِ، وَكَرِهْتُ أَنْ أَغْبِقَ قَبْلَهُمَا أَهْلًا أَوْ مَالًا، فَلَبِثْتُ وَالقَدَحُ عَلَى يَدَيَّ أَنْتَظِرُ اسْتِيقَاظَهُمَا حَتَّى بَرَقَ الفَجْرُ، فَاسْتَيْقَظَا فَشَرِبَا غَبُوقَهُمَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَفَرِّجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ مِنْ هَذِهِ الصَّخْرَةِ، فَانْفَرَجَتْ شَيْئًا لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الآخَرُ: اللَّهُمَّ كَانَتْ لِي بِنْتُ عَمٍّ، كَانَتْ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَيَّ، فَأَرَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا، فَامْتَنَعَتْ مِنِّي حَتَّى أَلَمَّتْ بِهَا سَنَةٌ مِنَ السِّنِينَ، فَجَاءَتْنِي، فَأَعْطَيْتُهَا عِشْرِينَ وَمِائَةَ دِينَارٍ عَلَى أَنْ تُخَلِّيَ بَيْنِي وَبَيْنَ نَفْسِهَا، فَفَعَلَتْ، حَتَّى إِذَا قَدَرْتُ عَلَيْهَا قَالَتْ: لا أُحِلُّ لَكَ أَنْ تَفُضَّ الخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ، فَتَحَرَّجْتُ مِنَ الوُقُوعِ عَلَيْهَا، فَانْصَرَفْتُ عَنْهَا

=

من حسن الثناء على الله سبحانه والصلاة على النبي محمد ﷺ (١٠/ ١٥٩) ح (١٧٢٧١): "رواه أحمد وأبو يعلى والبزار، ورجال أحمد وأبي يعلى وأحد إسنادي البزار رجال الصحيح غير إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبي وقاص، وهو ثقة"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٣٧) ح (٣٣٨٣).

وَهِيَ أَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ، وَتَرَكْتُ الذَّهَبَ الَّذِي أَعْطَيْتُهَا، اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ غَيْرَ أَنَّهُمْ لا يَسْتَطِيعُونَ الخُرُوجَ مِنْهَا»، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَقَالَ الثَّالِثُ: اللَّهُمَّ إِنِّي اسْتَأْجَرْتُ أُجَرَاءَ، فَأَعْطَيْتُهُمْ أَجْرَهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ وَاحِدٍ تَرَكَ الَّذِي لَهُ وَذَهَبَ، فَثَمَّرْتُ أَجْرَهُ حَتَّى كَثُرَتْ مِنْهُ الأَمْوَالُ، فَجَاءَنِي بَعْدَ حِينٍ فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللهِ، أَدِّ إِلَيَّ أَجْرِي، فَقُلْتُ لَهُ: كُلُّ مَا تَرَى مِنْ أَجْرِكَ مِنَ الإِبِلِ وَالبَقَرِ وَالغَنَمِ وَالرَّقِيقِ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، لا تَسْتَهْزِئْ بِي، فَقُلْتُ: إِنِّي لا أَسْتَهْزِئُ بِكَ، فَأَخَذَهُ كُلَّهُ، فَاسْتَاقَهُ فَلَمْ يَتْرُكْ مِنْهُ شَيْئًا، اللَّهُمَّ فَإِنْ كُنْتُ فَعَلْتُ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ وَجْهِكَ، فَافْرُجْ عَنَّا مَا نَحْنُ فِيهِ، فَانْفَرَجَتِ الصَّخْرَةُ، فَخَرَجُوا يَمْشُونَ»(١).

والداعية إلى الله أحوج ما يكون إلى ما يعينه على ما يواجهه في دعوته من أعباء وكروب.

ولا شك أن للإخلاص أثره على الداعية في نفسه في تفريج الكروب التي تواجهه في حياته الدعوية، فإذا شعر بأن الأبواب مقفلة أمام دعوته، وقد أحاطت به الكروب، فيتوجه إلى ربه متضرعًا إليه متطلعًا لفرجه، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

فيجد أثر ذلك في حياته بركة وتوفيقًا وإعانة وسدادًا، يفتح الله له أبواب الفرج وتكشف الكروب، وتهب عليه نسائم رحمة الله التي لا يستطيع أحد أن يمسكها عنه،

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الإجارة، باب من استأجر أجيرا فترك الأجير أجره.. (٣/ ٩١) ح (٢٢٧٢)، ومسلم في كتاب الرقاق، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال (٤/ ٢٠٩٩) ح (٢٧٤٣).

قال تعالى: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [فاطر: ٢].

٣- حصْنُ المسلم من نزغات الشيطان والفتن:

إذا أخلص الداعية لربه جعل الله له حصنًا من الشيطان ونزغاته، فلا يتسلط عليه، ويقيه الله شر الفتن.

قال تعالى عن الشيطان: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِى لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَٰذَا صِرَٰطٌ عَلَىَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾ [الحجر: ٣٩-٤٢].

قال الشوكاني[١] رحمه الله: "قرأ أهل المدينة وأهل الكوفة بفتح اللام، أي: الذين استخلصتهم من العباد، وقرأ الباقون بكسر اللام، أي: الذين أخلصوا لك العبادة فلم يقصدوا بها غيرك"[٢].

وهذا يوسف عليه السلام حماه الله من الفتنة بإخلاصه لربه، قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ

(١) الإمام العلامة المحدث محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني ثم الصنعاني. فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، ولد بهجرة شوكان من بلاد خولان، ونشأ بصنعاء، وولي قضاءها. من مصنفاته: نيل الأوطار من أسرار منتقى الأخبار، وإتحاف الأكابر، وفتح القدير في التفسير، والدر النضيد في إخلاص أهل التوحيد، وتوفي رحمه الله سنة (١٢٥٠هـ).
ينظر: البدر الطالع (٢/ ٢١٤)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٩٨)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٣/ ٢٢٩١) جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن محمد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
(٢) فتح القدير (٣/ ١٥٨).

﴿لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ ۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤].

وقال القرطبي: "وقرأ ابن كثير[١] وأبو عمرو[٢] وابن عامر[٣]: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بكسر اللام، وتأويلُها: الذين أخلصوا طاعة الله. وقرأ الباقون بفتح اللام، وتأويلها: الذين أخلصهم الله لرسالته، وقد كان يوسف ﷺ بهاتين الصفتين؛ لأنه كان مخلِصًا في طاعة الله تعالى، مستخلَصًا لرسالة الله تعالى"[٤].

وكذلك الدعاة إلى الله تعالى يحميهم الله بإخلاصهم من شر شياطين الإنس والجن، ومن الفتن، وبقدر ما يحدث من خلل عند الداعية في إخلاصه يتسلَّط عليه الشيطان وحزبه.

٤- نقاء القلب من الحقد والغل[٥] والخيانة:

إذا سلمت مقاصد الداعية وخلصت النيات لله، أثر ذلك على قلبه في سلامته ونقائه من الغل، وما يترتب عليه من أمراض تعوق الداعية عن التأثير فيمن يدعوهم،

---

(١) عبد الله بن كثير بن عمرو بن عبد الله الكناني فارسي الأصل الإمام، العلم، مقرئ مكة، وأحد القراء السبعة، من الثقات، مات رحمه الله سنة (١٢٢هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٨)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٦٧)، الأعلام (٤/ ١١٥).

(٢) أبو عمرو بن العلاء بن عمار بن العريان التميمي المازني المقرئ النحوي، أحد القراء السبعة، كان علامة زمانه في اللغة والنحو وعلم القرآن، ومن كبار العلماء العاملين، توفي رحمه الله سنة (١٥٤هـ)، وقيل: سنة (١٥٦هـ)، وقيل: سنة (١٥٧هـ)، والله أعلم.
ينظر: تاريخ الإسلام (٤/ ٢٦٣)، البداية والنهاية (١٣/ ٤٣٣)، تهذيب التهذيب (١٢/ ١٧٨).

(٣) الإمام الكبير وأحد الأعلام: عبد الله بن عامر بن يزيد بن تميم، أبو عمران اليحصبي، مقرئ أهل الشام، أحد القراء السبعة، صدوق في رواية الحديث. توفي رحمه الله سنة (١١٨هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٩٢)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٧٤)، الأعلام (٤/ ٩٥).

(٤) تفسير القرطبي (٩/ ١٧٠)

(٥) قال الجوهري في معنى الغل: "والغِلُّ بالكسر: الغشُّ والحِقدُ أيضًا، وقد غلّ صدره يَغِلُّ بالكسر غِلًّا، إذا كان ذا غش أو ضِغْنٍ وحقد". الصحاح (٥/ ١٧٨٣) مادة (غلل).

وكما في حديث جبير بن مُطْعِمٍ رضي الله عنه قَالَ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالْخَيْفِ مِنْ مِنًى، فَقَالَ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مَقَالَتِي، فَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ غَيْرِ فَقِيهٍ، وَرُبَّ حَامِلِ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، ثَلَاثٌ لَا يُغَلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَالنَّصِيحَةُ لِوُلَاةِ الْمُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ؛ فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ»[١].

وقال ابن القيم رحمه الله معلقًا على هذا الحديث في بيان أثر هذه الأعمال على القلب: "أي: لا يبقى فيه غل، ولا يحمل الغل مع هذه الثلاثة، بل تنفي عنه غله، وتنقيه منه، وتخرجه عنه، فإن القلب يغل على الشرك أعظم غل، وكذلك يغل على الغش، وعلى خروجه عن جماعة المسلمين بالبدعة والضلالة، فهذه الثلاثة تملؤه غلًّا ودغلًا[٢]، ودواء هذا الغل واستخراج أخلاطه بتجريد الإخلاص والنصح، ومتابعة السنة"[٣].

وإذا تحققت هذه الأعمال الثلاثة من: الإخلاص لله، ومناصحة ولاة الأمر، وعدم الخروج على جماعة المسلمين وإمامهم، وجاهد الداعية نفسه على الالتزام بهذه الخصال العظيمة، سلم له قلبه من مرض الغل الذي يستغله الشيطان في حرف الداعية عن المنهج الصحيح منهج أهل السنة والجماعة؛ ليوقعه في طرق البدعة، فيجر

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٧/ ٣٠٠) ح (١٦٧٣٨)، وابن ماجه واللفظ له في كتاب المناسك، باب الخطبة يوم النحر (٢/ ١٠١٥) ح (٣٠٥٦)، والحاكم في المستدرك في كتاب العلم (١/ ١٦٢) ح (٢٩٤) وصححه ووافقه الذهبي، وقال في مجمع الزوائد في كتاب العلم، باب في سماع الحديث وتبليغه (١/ ١٣٩) ح (٥٩٣): "وفي إسناده ابن إسحاق عن الزهري، وهو مدلس، وله طريق عن صالح بن كيسان عن الزهري، ورجالها موثقون"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٤٥) ح (٦٧٦٦)، وقال محقق المسند (٢٧/ ٣٠١) ح (١٦٧٣٨): "حديث صحيح لغيره".

(٢) الدغل: عيب وفساد في الشيء.
ينظر: الصحاح (٤/ ١٦٩٧)، مقاييس اللغة (٢/ ٢٨٤)، المعجم الوسيط (١/ ٢٨٨) مادة (دغل).
والمقصود هنا أن هذه الأمور الثلاثة التي ذكرها الحديث إذا وجدت في القلب دب إليه الفساد، وانطوى على العيوب، والله أعلم.

(٣) مدارج السالكين (٢/ ٨٩-٩٠).

على دعوته شرًّا وبلاء، ويحرم من نصر الله له، فيصير عائقًا في طريق ظهور الدعوة، منفرًا للناس من اتّباعه، ويفتح الباب لأعداء الدعوة من التسلط عليه.

وما يحصل بين الدعاة الذين يظهرون أنهم على منهج السلف من تنازع وخصام يفرح به الشيطان وحزبه، فذلك ناتج عن غل القلوب بسبب ضعف الإخلاص والخلل في المقاصد.

٥- قلب المباحات إلى طاعات:

ومن آثار إخلاص النية أن المباحات تصير طاعات يثاب عليها، قال ابن رجب رحمه الله: "ومتى نوى المؤمن بتناول شهواته المباحة التقوّي على الطاعة، كانت شهواته له طاعة يثاب عليها، كما قال معاذ بن جبل: إني لأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي[١]، يعني: أنه ينوي بنومه التقوي على القيام في آخر الليل، فيحتسب ثواب نومه كما يحتسب ثواب قيامه"[٢].

ومن ذلك جماع الرجل لزوجته الذي فيه حظ الشهوة والجسد واضح، فيجعله الله عملًا يؤجر عليه: قال ﷺ: «وَفِي بُضْعِ[٣] أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟! قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»[٤].

قال النووي رحمه الله: "وفي هذا دليل على أن المباحات تصير طاعات بالنيات الصادقات، فالجماع يكون عبادة إذا نوى به قضاء حق الزوجة ومعاشرتها بالمعروف

---

(١) ينظر: صحيح البخاري (٥/ ١٦١).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٢).

(٣) البضع: الجماع كما قال أهل اللغة.

ينظر: الصحاح (٣/ ١١٨٧)، مقاييس اللغة (١/ ٢٥٥) مادة (بضع).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اسم الصدقة يقع على كل نوع من المعروف (٢/ ٦٩٧) ح (١٠٠٦).

الذي أمر الله تعالى به، أو طلب ولد صالح، أو إعفاف نفسه، أو إعفاف الزوجة، ومنعهما جميعًا من النظر إلى حرام، أو الفكر فيه، أو الهم به، أو غير ذلك من المقاصد الصالحة"(١).

٦- إدراك الأجر وإن عجز عن العمل:

إن المخلص في نيته يدرك الأجر على العمل ولو عجز عنه، ويصل إلى منازل الشهداء والمجاهدين بحسب صدق نيته وإن مات على فراشه، ويجعله الله في صفوف الدعاة المصلحين والمتصدقين ولو عجز بسبب قلة ذات يده، أو بسبب ضعف صحته، أو بأمر حال دون تحقيق مقصده، فإن الله يكتب له أجر ما نوى.

قَالَ ﷺ: «إِنَّمَا الدُّنْيَا لِأَرْبَعَةِ نَفَرٍ: عَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَعِلْمًا فَهُوَ يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَيَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَيَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَفْضَلِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ عِلْمًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ مَالًا فَهُوَ صَادِقُ النِّيَّةِ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَأَجْرُهُمَا سَوَاءٌ، وَعَبْدٍ رَزَقَهُ اللَّهُ مَالًا وَلَمْ يَرْزُقْهُ عِلْمًا، فَهُوَ يَخْبِطُ فِي مَالِهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ لَا يَتَّقِي فِيهِ رَبَّهُ، وَلَا يَصِلُ فِيهِ رَحِمَهُ، وَلَا يَعْلَمُ لِلَّهِ فِيهِ حَقًّا، فَهَذَا بِأَخْبَثِ المَنَازِلِ، وَعَبْدٍ لَمْ يَرْزُقْهُ اللَّهُ مَالًا وَلَا عِلْمًا فَهُوَ يَقُولُ: لَوْ أَنَّ لِي مَالًا لَعَمِلْتُ فِيهِ بِعَمَلِ فُلَانٍ فَهُوَ بِنِيَّتِهِ فَوِزْرُهُمَا سَوَاءٌ»(٢).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَجَعَ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ فَدَنَا مِنَ المدِينَةِ، فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَامًا، مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ؟! قَالَ: «وَهُمْ بِالْمَدِينَةِ، حَبَسَهُمُ العُذْرُ»(٣).

---

(١) شرح النووي على مسلم (٧/ ٩٢).

(٢) أخرجه أحمد (٢٩/ ٥٦١) ح (١٨٠٣١)، والترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء مثل الدنيا مثل أربعة نفر (٤/ ٥٦٣) ح (٢٣٢٥) وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٨٠) ح (٣٠٢٤)، وقال محقق المسند (٢٩/ ٥٦٢) ح (١٨٠٣١): "حديث حسن".

(٣) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب.. (٦/ ٨) ح (٤٤٢٣).

قال ابن عبد البر رحمه الله: "لأن هؤلاء لما نووا الجهاد وأرادوه، وحبسهم العذر، كانوا في الأجر كمن قطع الأودية والشعاب مجاهدًا بنفسه"[١].

وقال ابن حجر رحمه الله: "وفيه أن المرء يبلغ بنيته أجر العامل إذا منعه العذر عن العمل"[٢].

وعَنْ جَابِرٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزَاةٍ، فَقَالَ: «إِنَّ بِالْمَدِينَةِ لَرِجَالًا مَا سِرْتُمْ مَسِيرًا وَلَا قَطَعْتُمْ وَادِيًا إِلَّا كَانُوا مَعَكُمْ؛ حَبَسَهُمُ الْمَرَضُ»، وفي رواية: «إِلَّا شَرَكُوكُمْ فِي الْأَجْرِ»[٣].

قال النووي رحمه الله: "وفي هذا الحديث فضيلة النية في الخير، وأن من نوى الغزو وغيره من الطاعات، فعرض له عذر منعه، حصل له ثواب نيته، وأنه كلما أكثر من التأسف على فوات ذلك وتمنى كونه مع الغزاة ونحوهم كثر ثوابه، والله أعلم"[٤].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ طَلَبَ الشَّهَادَةَ صَادِقًا أُعْطِيَهَا، وَلَوْ لَمْ تُصِبْهُ»[٥].

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَأَلَ اللهَ الشَّهَادَةَ بِصِدْقٍ بَلَّغَهُ اللهُ مَنَازِلَ الشُّهَدَاءِ، وَإِنْ مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ»[٦].

---

(١) التمهيد (١٢/ ٢٦٧).

(٢) فتح الباري (٦/ ٤٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب ثواب من حبسه عن الغزو مرض أو عذر آخر (٣/ ١٥١٨) ح (١٩١١).

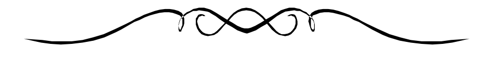
(٤) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٥٧).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى (٣/ ١٥١٧) ح (١٩٠٨).

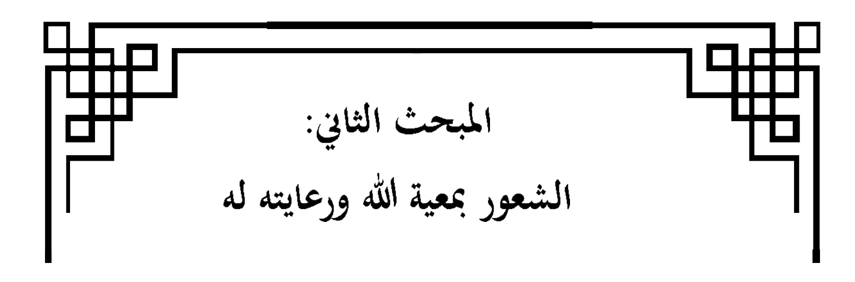
(٦) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب استحباب طلب الشهادة في سبيل الله تعالى (٣/ ١٥١٧) ح (١٩٠٩).



قال النووي رحمه الله في شرحه للحديثين: "وفي الرواية الأخرى: «من سأل الله الشهادة بصدق بلغه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه» معنى الرواية الأولى مفسر من الرواية الثانية، ومعناهما جميعًا: أنه إذا سأل الشهادة بصدق أعطي من ثواب الشهداء وإن كان على فراشه، وفيه استحباب سؤال الشهادة، واستحباب نية الخير"[1].



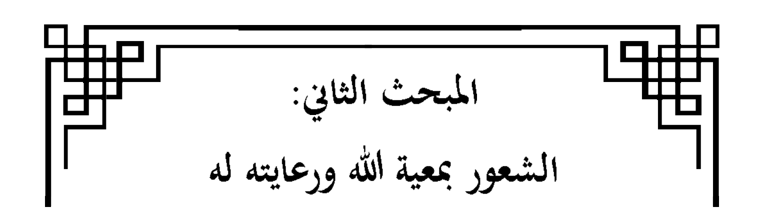
(١) شرح النووي على مسلم (١٣/ ٥٥).



المبحث الثاني:
الشعور بمعية الله ورعايته له

المطلب الأول: من أسباب المعية الخاصة.

المطلب الثاني: من آثار المعية الخاصة.



المبحث الثاني:
الشعور بمعية الله ورعايته له

ومعية الله هنا هي: المعية الخاصة التي تقتضي المحبة، والنصرة والتأييد، والمعونة والهداية، والحفظ والحماية، والقرب من عباده[١]، وحين يشعر الداعية إلى الله بهذه المعية الخاصة، ويحقق أسبابها، والتي لها ارتباط وثيق بأعمال القلوب، فإن لذلك أثره على الداعية في نفسه، وهذا ما سيتضح بإذن الله في نهاية المبحث، وسيكون الحديث في هذا المبحث في مطلبين:

المطلب الأول: من أسباب المعية الخاصة.

المطلب الثاني: من آثار المعية الخاصة.

المطلب الأول: من أسباب المعية الخاصة:

١- **الصبر**: فهو من أسباب معية الله الخاصة، وحينما يحقق الداعية الصبر ينال بذلك معية الله الخاصة التي يجد أثرها في نفسه وعلى دعوته، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[البقرة: ١٥٣].

قال الطبري رحمه الله: "وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ فإن تأويله: فإن

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١١/ ٢٥٠)، وتفسير ابن كثير (٤/ ٦١٥)، وجامع العلوم والحكم (١/ ٤٧١)، وتفسير السعدي (٧٤)، والمعية الإلهية في ضوء القرآن الكريم معانيها ودلالاتها (٦٠) للدكتور ناصر الماجد، بحث منشور في مجلة الدراسات القرآنية العدد (١٠) ١٤٣٣هـ، وهي مجلة علمية محكمة، تصدرها الجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

الله ناصره وظهيره وراض بفعله، كقول القائل: افعل -يا فلان- كذا وأنا معك، يعني: إني ناصرك على فعلك ذلك ومعينك عليه"[(١)].

وقال الشوكاني رحمه الله: "وإن هذه المعية التي أوضحها الله بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣] فيها أعظم ترغيب لعباده سبحانه إلى لزوم الصبر على ما ينوب من الخطوب، فمن كان الله معه لم يخش من الأهوال وإن كانت كالجبال"[(٢)].

٢- **التقوى:** هي من أسباب معية الله الخاصة، ومتى ما حقق الداعية إلى الله تعالى التقوى في قلبه، وظهر أثرها على جوارحه، نال معية الله الخاصة، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

وفي الآية أمر بتقوى الله، وإخبار بأن الله مع المتقين بالنصر والتأييد، والحفظ والرعاية، والعناية بهم في الدنيا والآخرة[(٣)].

وحينما يحقق الداعية الصبر على ما يلقاه في ذات الله، وعلى ما يلقاه من أعباء ومشقات في طريق دعوته، ويحقق التقوى قولًا وعملًا، فإنه يسعد في نفسه بهذه المعية الخاصة من ربه ﷻ التي تشعره بقرب ربه منه، وأن ما يواجهه في سبيل الدعوة إلى الله لا يعوقه عن الاجتهاد فيها، وأن الباطل الذي يقف في طريق دعوته، مهما كانت قوته وشدة مكره، فإن الله سيزهقه، ويذهب قوته، ويفسد مكره، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَـٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾ [آل عمران: ١٢٠]، وقال تعالى عن مكر أعداء الدعوة أن الله سيبطله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ

(١) تفسير الطبري (٢/ ٦٩٨).
(٢) فتح القدير (١/ ١٨٤).
(٣) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٢٨)، وتفسير السعدي (٨٩).

أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠]، وكلما قوي في قلب الداعية الصبر والتقوى، لقي آثار ذلك في نفسه ثباتًا وتوفيقًا وإعانة من الله له، تحف به من كل جانب، فلا تسل عن فرحته، وقوة قلبه، وتلذذه بما يقوم به في دعوته إلى الله تعالى.

٣- **الإحسان:** وهو من أسباب معية الله الخاصة، ويشمل الإحسان في عبادة الله، ومع خلقه، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩].

والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، ويشمل أيضًا الإحسان إلى الخلق ببذل النفع لهم من كل وجه(١).

وإذا أحسن العباد كما ينبغي كان الله معهم، ومن كان الله معهم، فهم في حفظ الله: يكلؤهم، وينصرهم، ويؤيدهم، ويظفرهم على أعدائهم ومخالفيهم، ويعينهم، ويوفقهم، ويسددهم(٢).

٤- **الإيمان:** هو من أسباب المعية الخاصة، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١٩].

قال السعدي رحمه الله: "ومن كان الله معه فهو المنصور وإن كان ضعيفًا قليلًا عدده، وهذه المعية التي أخبر الله أنه يؤيد بها المؤمنين، تكون بحسب ما قاموا به من أعمال الإيمان.

فإذا أديل العدو على المؤمنين في بعض الأوقات، فليس ذلك إلا تفريطًا من المؤمنين وعدم قيام بواجب الإيمان ومقتضاه، وإلا فلو قاموا بما أمر الله به من كل وجه، لما انهزم لهم راية انهزامًا مستقرًّا، ولا أديل عليهم عدوهم أبدًا"(٣).

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (٤٥٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٤/ ٦١٥)، وتفسير السعدي (٤٥٢).

(٣) تفسير السعدي (٣١٨).

٥- **ذكر الله مع الإقبال عليه بالقلب واللسان:** يستجلب به المعية الخاصة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي» الحديث.

٦- **الدعاء:** وهو العبادة كما صح بذلك الحديث من أسباب حصول معية الله الخاصة، مع القرب من عبده الذي يدعوه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي»(١).

٧- **الوقوف بين يدي الله في الصلاة، والإقبال عليه، وعدم الالتفات بالوجه أو القلب مما تنال به معية الله الخاصة:**

قال ﷺ: «إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا كَانَ فِي الصَّلاةِ فَإِنَّ اللهَ قِبَلَ وَجْهِهِ، فَلا يَتَنَخَّمَنَّ أَحَدٌ قِبَلَ وَجْهِهِ فِي الصَّلاَةِ».

وقال ﷺ: «وَإِنَّ اللهَ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ، فَإِذَا صَلَّيْتُمْ فَلَا تَلْتَفِتُوا؛ فَإِنَّ اللهَ يَنْصِبُ وَجْهَهُ لِوَجْهِ عَبْدِهِ فِي صَلَاتِهِ مَالَمْ يَلْتَفِتْ» الحديث.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ، فَلَمَّا سَلَّمَ نَادَى رَجُلًا كَانَ فِي آخِرِ الصُّفُوفِ، فَقَالَ: «يَا فُلَانُ، أَلَا تَتَّقِي اللَّهَ؟! أَلَا تَنْظُرُ كَيْفَ تُصَلِّي؟! إِنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا قَامَ يُصَلِّي إِنَّمَا يَقُومُ يُنَاجِي رَبَّهُ، فَلْيَنْظُرْ كَيْفَ يُنَاجِيهِ، إِنَّكُمْ تَرَوْنَ أَنِّي لَا أَرَاكُمْ، إِنِّي وَاللَّهِ لَأَرَى مِنْ خَلْفِ ظَهْرِي كَمَا أَرَى مِنْ بَيْنِ يَدَيَّ».

وهذه الأحاديث تدل على أنه إذا أقبل العبد على صلاته بقلبه ووجهه خاشعًا فيها مستحضرًا لعظمة الله وقربه منه، نال بذلك معية الله الخاصة، ولذلك أثره العظيم

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى (٤/ ٢٠٦٧) ح (٢٠٦٧).

على الداعية.

وقد سبق الكلام عن هذه الأحاديث(١).

المطلب الثاني: من آثار المعية الخاصة:

وحين يوفق الله عبده ويرزقه معيته الخاصة، فإنه يجد أثرها في نفسه وعلى دعوته:

١- توفيق الله وإعانته له.

٢- رعاية الله وعنايته وحفظه لعبده.

٣- نصر الله وتأييده.

٤- طمأنينة القلب، وانشراح الصدر، والثقة في وعد الله، وأوضح ما يكون عند الشدائد.

ودونك على سبيل المثال هذين الموقفين:

الموقف الأول: قال تعالى عن نبيه ﷺ وهو في الغار يطارده أعداؤه: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

عَنْ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا! فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ -يَا أَبَا بَكْرٍ- بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا؟!»(٢).

---

(١) ينظر: ص (١٦٩).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب مناقب المهاجرين وفضلهم (٥/ ٤) ح (٣٦٥٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه (٤/ ١٨٥٤) ح (٢٣٨١).

وفي حديث الهجرة الطويل، في آخره قال النبي ﷺ لأبي بكر ﷺ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟»، قال: قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا زَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، قَالَ: وَنَحْنُ فِي جَلَدٍ مِنَ الْأَرْضِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أُتِينَا، فَقَالَ: «لَا تَحْزَنْ؛ إِنَّ اللهَ مَعَنَا» فَدَعَا عَلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَارْتَطَمَتْ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا، أُرَى فَقَالَ: إِنِّي قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ فَدَعَا اللهَ، فَنَجَا، فَرَجَعَ لَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هَاهُنَا، فَلَا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا[(١)].

الموقف الثاني: قال تعالى عن موسى عليه السلام في ثقته بربه لما لحق بهم فرعون وجنوده، فصار العدو من خلفهم والبحر أمامهم، وليس معهم مراكب يجتازون بها البحر، فحصلت هزة قوية جعلت أصحاب القلوب التي ضعف تعلقها بالله تضطرب وتشعر بالهلاك، فقال الله عنهم وعن موسى الواثق بربه الذي تعلق قلبه به، وهو يشعر بقربه منه ومعيته له: ﴿فَلَمَّا تَرَٰٓءَا ٱلۡجَمۡعَانِ قَالَ أَصۡحَٰبُ مُوسَىٰٓ إِنَّا لَمُدۡرَكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ كَلَّآۖ إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضۡرِب بِّعَصَاكَ ٱلۡبَحۡرَۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرۡقٖ كَٱلطَّوۡدِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ وَأَزۡلَفۡنَا ثَمَّ ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنجَيۡنَا مُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَجۡمَعِينَ ﴿٦٥﴾ ثُمَّ أَغۡرَقۡنَا ٱلۡأٓخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَةٗۖ وَمَا كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّؤۡمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٦١-٦٨].

٥- تثبيت الله للمؤمن عند لقاء العدو في ساحات الوغى:

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

---

(١) أخرجه البخاري في المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠١) ح (٣٦١٥)، ومسلم واللفظ له في كتاب الزهد، باب في حديث الهجرة ويقال له: حديث الرَّحْلِ بالحاء (٤/ ٢٣٠٩) ح (٢٠٠٩).

وهذا النصر والثبات مشروط بنصرتهم لدين الله، فإذا فعلوا ونصروا دينه، وقاموا به في أنفسهم، ودعوا إليه وجاهدوا أعداءه مخلصين لله، كان الله معهم بالنصر والتثبيت.

قال السعدي رحمه الله عند تفسيره لهذه الآية: "هذا أمر منه تعالى للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك، نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره"[١].

بل ويسخر الله الملائكة تقف معه بالتثبيت والتأييد، كما قال تعالى: ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ﴾ [الأنفال: ١٢]، وهذا ما حصل لأصحاب رسول الله ﷺ في بدر.

٦- الثبات على المنهج الحق إذا هبّت أعاصير الفتن:

ومن أسباب ثبات الداعية على المنهج الحق شعوره بمعية الله له إذا هو حقق أسبابها التي مر ذكر بعضها، واجتهد في إصلاح قلبه، وتنقيته من الشوائب، ثبته الله على المنهج الحق، ومكن الله له ونصره، وسيأتي مزيد بيان لمسألة الثبات[٢].

٧- القوة في الحق وعدم الخوف من غير الله:

وهذه ثمرة من ثمرات معية الله الخاصة لعبده، والداعية أحوج ما يكون لذلك؛ لأنه يواجه شياطين الإنس والجن، الذين يسعون في الأرض فسادًا، فهو بحاجة ماسة لرعاية الله وعنايته به، فإذا حصل ذلك وجد أثره قوة في قلبه، ولا يكون في قلبه خوف من أحد غير الله، قال الله تعالى لنبيه وكليمه موسى ووزيره هارون لما أرسلهما

---

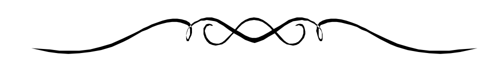
(١) تفسير السعدي (٧٨٥).

(٢) ينظر: ص(٤٣٣).

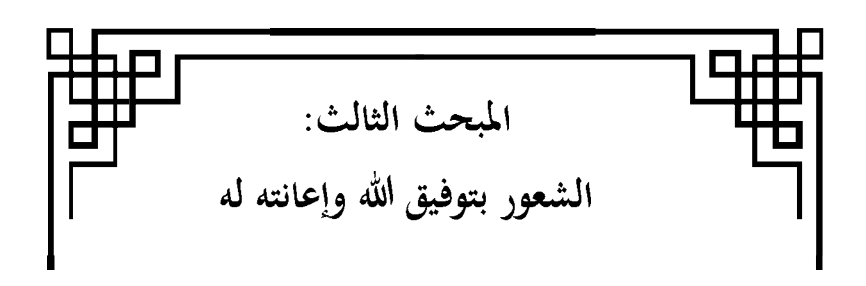
دعاة إلى الله تعالى إلى فرعون الطاغية المتجبر المتكبر: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَآ أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَآ ۖ إِنَّنِى مَعَكُمَآ أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه: ٤٣-٤٦].

٨- **ولما يشعر الداعية بقرب ربه منه، فيقبل عليه، ويزداد خشوعًا، وذلًّا وخضوعًا لربه، فيسارع ويسابق إلى مرضاته:** قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَوٰةِ فَٰعِلُونَ ﴿٤﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ﴾ [المؤمنون: ١-٩].



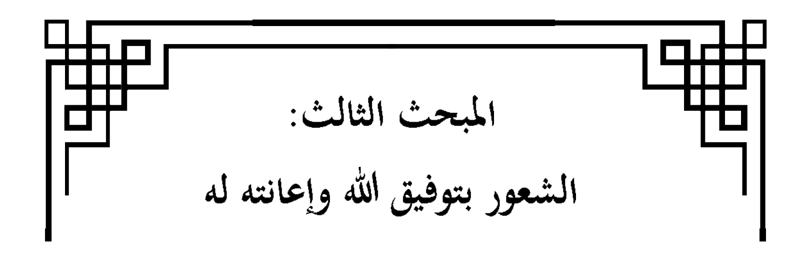




المبحث الثالث:
الشعور بتوفيق الله وإعانته له

المطلب الأول: نماذج لمن رزقهم الله التوفيق والإعانة.

المطلب الثاني: من وفقه الله لعمل صالح وفتح له فيه، فليجتهد فيما فتح له فيه.



المبحث الثالث:
الشعور بتوفيق الله وإعانته له

ومن آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في نفسه أن الله يمكنه من إنجاز أعمال كبيرة في أوقات يسيرة، ويعطيه الله من القوة والجلد والإعانة بقدر إخلاصه وتقواه وصدقه مع الله، ويجد أثر توفيق الله له في دعوته على نفسه وعلى من يدعوهم، وكذلك يجد إعانة الله تحف به من كل جانب، في طلب العلم، أو كتابته، أو قراءته، أو في قيام الليل، وقراءة القرآن، ونحو ذلك من أعمال البر، والشواهد من حياة دعاة الأمة على هذا ظاهرة واضحة، وهذه بعض الأمثلة:

المطلب الأول: نماذج لمن رزقهم الله التوفيق والإعانة:

وهذه النماذج -أحسبهم والله حسيبهم ولا أزكي على الله أحدًا- ممن حققوا أعمال القلوب مع الله وصدقوا معه في ذلك، وهم كثير في هذه الأمة في القديم والحديث، ولله الحمد والمنّة، وقد وقع الاختيار على هذه النماذج على سبيل المثال:

النموذج الأول: عن علمين من أعلام هذه الأمة من نماذج كثيرة، سطرها العلماء في كتب السير، وأكتفي بالحديث عن علمين لقصر عمرهما مع إخراج كتب مباركة فيها العلم الكثير، مع قوة التحقيق، وجودة التأليف، نفع الله بها الأمة، وكتب الله لها القبول في الأرض، وقد بارك الله لهما في العمر، ورزقهما توفيقًا وإعانة وصبرًا وجلدًا على البحث العلمي، وهذا أثر من آثار عمل القلب من الإخلاص لله، والتقوى، والتوكل، والصدق.

١- الإمام الحافظ النووي عليه رحمة الله[١]:

ولد سنة (٦٣١هـ)، وتوفي سنة (٦٧٦هـ)، وعاش ما يقارب (٤٥) عامًا مليئة بالعلم النافع والعمل الصالح، حيث درس ودرّس الكثير من العلوم في شتى الفنون.

قال ابن العطار[٢] رحمه الله عن الإمام النووي: "ذكر لي شيخنا أنه كان لا يضيّعُ له وقتًا في ليل ولا نهار، إلا في وظيفة من الاشتغال بالعلم حتى في ذهابه في الطريق يكرر أو يطالع، وأنه بقي على هذا ست سنين، ثم اشتغل بالتصنيف والإشغال، والنصح للمسلمين وولاتهم، مع ما هو عليه من المجاهدة لنفسه، والعمل بدقائق الفقه والحرص على الخروج من خلاف العلماء، والمراقبة لأعمال القلوب وتصفيتها من الشوائب، يحاسب نفسه على الخطرة بعد الخطرة، وكان محققًا في علمه وفنونه"[٣].

برغم العمر القصير للإمام النووي، إلا أنه ترك مؤلفات انتفعت بها الأمة، وجعل الله لها قبولًا عند الناس، وانتفع بها الصغار والكبار، وبقي أثرها، وسيبقى إلى ما شاء الله، والسر في ذلك -والله أعلم- هو ما قاله تلميذه ابن العطار رحمه الله، وهو من أخص تلاميذ النووي، فقد ذكر مراقبته رحمه الله لأعمال قلبه ومحاسبة نفسه على ذلك[٤]، فأثمر له توفيقًا من الله وإعانة على جودة التأليف والتحقيق في جميع مؤلفاته، وجعل لها ﷻ قبولًا عند الأمة، ومنها:

---

(١) ينظر ترجمته في: تاريخ الإسلام (٥/ ٢٤٦)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ١٥٣) ت: د. الحافظ عبد الحليم خان، عالم الكتب بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ، الأعلام (٨/ ١٤٩).

(٢) الشيخ الإمام العالم علاء الدين علي بن إبراهيم بن داود بن سليمان بن العطار، شيخ دار الحديث النورية، وسمع من خلائق، وتفقه على الشيخ النووي، ولازمه حتى كان يقال له: مختصر النووي، ورتب فتاوى النووي على أبواب الفقه، وشرح عمدة الأحكام وله غير ذلك، توفي رحمه الله سنة (٧٢٤هـ).
ينظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٩٨)، البداية والنهاية (١٨/ ٢٥١)، طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ٢٧٠).

(٣) نقله عن ابن العطار في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ١٥٥).

(٤) ينظر كلام ابن العطار في طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (٢/ ١٥٥).

- وعلى رأسها رياض الصالحين، والأذكار، والأربعون النووية، وهذه الكتب في الغالب لا يخلو منها بيت ولا مسجد.

- وله كتب تعد مراجع في الفقه المقارن، وفقه الإمام الشافعي: كالمجموع وهو بحق يعد موسوعة متميزة في الفقه المقارن، وقد مات رحمه الله قبل إتمامه، وله الروضة، والمنهاج في فقه الإمام الشافعي.

- وله شرحه المتميز على صحيح مسلم.
- وفي المصطلح: الإرشاد، والتقريب.
- وكتب في اللغة، ومنها: تهذيب الأسماء واللغات، وغيرها.

٢- العلامة حافظ الحكمي رحمه الله[١]:

ولد سنة (١٣٤٢هـ)، وتوفي سنة (١٣٧٧هـ) عن عمر يناهز (٣٥) عامًا، مليئة بالعلم النافع والعمل الصالح، حيث درس ودرّس الكثير من العلوم في شتى الفنون برغم العمر القصير، إلا أنه ترك مؤلفات عظيمة انتفعت بها الأمة، ومنها:

١- ألف منظومة: سلم الوصول إلى علم الأصول في التوحيد في ما يقارب (٣٠٠) بيت وعمره (٢٠) سنة، وشرحها في معارج القبول في ما يقارب ٤ سنوات.

ويقع الشرح في مجلدين كبيرين تزيد صفحاتهما في طبعته الأولى على ألف ومائة صفحة.

وهذا الكتاب أهم آثار الشيخ وأشهرها وأغناها عن التعريف، يتمتع الآن بقيمة علمية كبيرة بين طلاب العلم وأساتذة الجامعات الإسلامية، وقد دأبت الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية زمنا طويلًا على توزيعه

---

(١) ينظر ترجمته في: كتاب حافظ بن أحمد الحكمي، حياته وآثاره، لسعود السيف، بحث متمم للماجستير من قسم الدعوة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، إشراف: الدكتور يوسف أبو هلالة، عام ١٤٠٦هـ، ونبذة عن حياة الشيخ حافظ كتبها ابنه الدكتور: أحمد بن حافظ في مقدمة كتاب معارج القبول.

مجانًا على خريجي الكليات وعلى المدرسين والقضاة؛ لما فيه من فوائد جمة، وما يحويه من معلومات قيمة في موضوعه، ولحسن عرضه وتبويبه واستيفائه لكثير من نصوص الكتاب والسنة وأقوال السلف الصالح بما لا يدع زيادة لمستزيد.

وله مؤلفات عديدة في: التوحيد، ومصطلح الحديث، والفقه وأصوله، والفرائض، والتاريخ والسيرة النبوية، والنصائح والوصايا والآداب العلمية، منها ما هو منظوم، ومنها ما هو منثور.

النموذج الثاني: العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله(١).

ولد سنة (١٣٣٠هـ) وتوفي سنة(١٤٢٠هـ) رحمه الله.

نموذج فريد في البركة والتوفيق والقيام بجلائل الأعمال في أوقات قليلة لا يستطيع غيره أن يقوم بها في أيام، مع كبر سنه وكثرة الأعمال التي يقوم بها، وما ذاك إلا من ثمرات الإخلاص وتوفيق الله له، أحسبه والله حسيبه من أكثر الناس إخلاصًا واجتهادًا في عمل القلب، وحب الخير للناس.

وإليك طرفًا من أخباره في ذلك، كما يرويها الشيخ محمد الموسى(٢) رحمه الله مدير

(١) ينظر ترجمته في: جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله، رواية الشيخ محمد الموسى رحمه الله مدير مكتب الشيخ، من إعداد الشيخ محمد الحمد، دار ابن خزيمة،ط١ ،١٤٢٣هـ ، منهج الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله في الدعوة إلى الله تعالى، إعداد: محمد بن خالد البداح، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراة من جامعة الإمام.

(٢) أبو عبد الله الشيخ محمد بن موسى بن عبد الله الموسى من قبيلة الدواسر، تخرج من كلية الشريعة بالرياض عام ١٣٣٩هـ وصار عمله مع هيئة كبار العلماء، ثم صار بعد ذلك من عام ١٤٠٤هـ مرافقًا للشيخ ابن باز ومديرًا لمكتبه إلى وفاة الشيخ رحمه الله، قرابة ستة عشر عامًا ملازمًا للشيخ رحمه ملازمة لصيقه في سفره وحضره ومن أعظم ما كسبه من الشيخ تأثره بأخلاقه وعبادته، وتوفي رحمه الله على أثر حادث سير عام (١٤٣٢هـ).

ينظر: مقال في صحيفة الرياض العدد ١٥٧٨٧ بعنوان: ورحل صاحب ابن باز على موقعها على الشبكة. وترجم له الدكتور محمد الحمد في مقدمة كتاب جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز (١٧-٢٨).

مكتب الشيخ[١]، أذكر منها ما يدل على المقصود:

أولاً: الوقت في حياته رحمه الله.

للوقت عند سماحة الشيخ منزلة كبرى؛ فهو يدرك أهميته، ويسعى سعيه لاغتنامه بأقصى ما يمكن؛ فلا يكاد يفوت عليه وقت مهما قل أو قصر إلا اغتنمه فيما يرضي الله وينفع الناس، فوقته ما بين قراءة في كتاب، أو إملاء لشفاعة، أو سماع لشكوى، أو حلٍّ لمعضلة، أو إجابة لسائل، أو مهاتفة لمستفت، أو إلقاء دروس، أو محاضرة، أو تعليق على كلمة أو مشاركة في ندوة، أو بإلطاف للضيوف، أو بلهج بذكر الله، كان رحمه الله يتميز بدقته في المواعيد على كثرة ما يقوم به من أعمال، فيأتي أحياناً قبل الموعد بدقائق حرصًا على الالتزام بالموعد، لا يكاد ينسى موعدًا ضربه لأحد سواء لمن يأتون إليه، أو من يأتي إليهم.

ومن سمات التوفيق في حياة الشيخ رحمه الله بركة الوقت: فالبركة في وقت سماحة الشيخ ظاهرة؛ حيث ينجز الأعمال العظيمة في الأوقات اليسيرة القليلة، فهو يُشْرِف على كثير من المشروعات الكبيرة، ويدير كثيراً من الأعمال المختلفة المتفرقة بأيسر كلفة، وأخف مؤونة، وأقل وقت.

ولا أبالغ إذا قلت[٢]: إنه يوجه التوجيهات الكثيرة التي يترتب عليها أعمال عظيمة، وأموال ضخمة بدقائق معدودة، بل ربما لا تتجاوز الدقيقة الواحدة.

وقد حسبت له بعد المغرب في يوم من الأيام ستين إجابة لستين سؤالًا، كل ذلك في جلسة بعد المغرب، مع أنه لم يكن متفرغًا للإجابة وحدها، بل عن يمينه وشماله اثنان من الكتاب يتعاقبان القراءة عليه، والناس يتوالون للسلام عليه، والهاتف لا يقف رنينه إلى غير ذلك.

---

(١) ينظر: جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله، رواية الشيخ مُحَمَّد الموسى رحمه الله مدير مكتب الشيخ، من إعداد الشيخ مُحَمَّد الحمد (١٦٤-١٧١)، مع بعض التصرف.

(٢) القائل رواي سيرة الشيخ ابن باز مُحَمَّد الموسى رحمة الله على الجميع.

ومما يحضرني في هذا السياق أنني في إحدى الليالي أنهيت عليه عشر معاملات طلاق من بعد صلاة المغرب إلى أذان العشاء، وكان بجانبه الآخر معالي الدكتور مُحَمَّد الشويعر(١) وربما قرأ مثلي أو أكثر مني.

وفي يوم من الأيام قرأت عليه بعد صلاة الفجر أربعين معاملة في ساعة ونصف الساعة.

وكان من عادته إذا صلى الفجر، ولم يكن عنده دروس أن يلتف الناس حوله يسألونه بعد أن يأتي بالأذكار المعتادة من ورده اليومي، وربما جلس لهم نصف ساعة أو أكثر أو أقل.

لا يستهين بإنجاز أي عمل ولو قل: فربما قضى وقته بأعمال عظيمة يترتب عليها مصالح كبيرة للأمة بعامة، كاجتماعات الهيئة، واللجنة، والرابطة، وغيرها.

وربما لم يكن عنده أعمال كبيرة، فيقضي وقته في رد على الهاتف، أو مسامرة لضيف، أو إجابة لأسئلة امرأة، أو أحد من العوام، بل للرد على بعض الأسئلة التي ترد من بعض الشباب أو الفتيات حول بعض المسابقات الثقافية، فيرد عليه وهو منشرح الصدر؛ فهو لصغار الأمور وكبارها، ويعنيه كثيرًا ألا يضَيع وقته إلا في فائدة أو مصلحة ولو قَلَّت.

اغتنام الوقت في حال السفر: لم يكن الشيخ رحمه الله حريصًا على وقته في الحضر فحسب، بل كان حريصًا كذلك على أوقاته في حال السفر الذي هو مظنة التعب والمشقة، إلا أن الشيخ بمجرد ركوبه السيارة وذكره لدعاء السفر، يلتفت إلى من بجانبه

---

(١) فضيلة الدكتور مُحَمَّد بن سعد بن شويعر أحد كبار مستشاري الشيخ ابن باز رحمه الله، ومن بعده الشيخ عبد العزيز آل الشيخ المفتي، ورئيس تحرير مجلة البحوث الإسلامية، صاحب الكتاب الفريد تصحيح خطأ تاريخي حول الوهابية، وقام بجمع فتاوى الإمام المجدد ابن باز في نحو (٦٠) مجلدًا.

ينظر: مقال في صحيفة الجزيرة العدد ١٤٨٦٠ بعنوان: ابن شقراء د. مُحَمَّد بن سعد بن شويعر على موقعها على الشبكة، موقع الموسوعة الحرة.

من الكُتَّاب، ويقول له: ما معك؟ فيبدأ بسماع أخبار الصحف، أو قراءة بعض الكتب، أو عرض بعض القضايا والمعاملات.

وهكذا حاله وهو ينتظر موعد إقلاع الطائرة، وبعد أن تقلع حيث يكون معه كاتب، أو كاتبان أو أكثر، فيتعاقبون القراءة عليه إلى حين وصول الطائرة إلى مكان هبوطها في الرياض، أو الطائف، أو غيرهما.

ومما يحضرني من القصص في هذا القبيل ما ذكره الشيخ عبد الرحمن ابن دايل(١) وهو من قدامى كتّاب سماحة الشيخ وعمره قريب من عمر سماحة الشيخ، فهو من مواليد ١٣٣٢هـ تقريبًا، وقد عاش مع سماحته ما يقارب أربعين سنة؛ يقول: كنا في المدينة إبَّان عمل سماحته في الجامعة الإسلامية، وذات يوم سافر سماحته إلى قرية بدر التي تقع على الطريق بين جده والمدينة على الطريق القديم، حيث ذهب لمهمة دعوة يلقي خلالها محاضرة وكنت أنا والشيخ ابراهيم بن عبد الرحمن الحصين (٢) معه في السيارة؛ فلما بدأ سيرنا ودعا سماحته بدعاء السفر التفت وقال: توكلوا على الله، يعني ابدؤا بقراءة المعاملات، فقلنا: يا شيخ غفر الله لك نحن دائمًا نقرأ، ولا نتمكن من الخروج خارج المدينة، وهذه هي فرصتنا؛ دعنا نستمتع بالرحلة، وننظر إلى الجبال والأودية،

---

(١) الشيخ عبد الرحمن بن مُحَّد بن دايل من أبرز من لازم الشيخ ابن باز رحمه الله منذ عام ١٣٨٦هـ إلى أن توفي الشيخ رحمه الله، عمل معه في مكتبه في المنزل ملازمًا له في الليل والنهار حتى يذهب إلى الجامعة الإسلامية، وكان يلازمه كذلك في سفره وحضره.

ينظر: مقال بعنوان عبد الرحمن بن مُحَّد بن دايل ممن قالوا عنه -أي: عن الشيخ ابن باز- على موقع الشيخ على الشبكة، في الرابط:

https://maserah.binbaz.org.sa/posts/٥٠٦

(٢) الشيخ إبراهيم بن عبد الرحمن بن عبد العزيز الحصين، كان مديرًا لمكتب الشيخ ابن باز مدة طويلة، وكان من الذين يثق فيهم ويرافقونه في سفراته رحمه الله، توفي الشيخ إبراهيم رحمه الله سنة (١٤١٠هـ).

ينظر إلى إشارة بعنوان: ترجمة الشيخ الزاهد العابد الناصح إبراهيم بن عبد الرحمن الحصين على موقع الألوكة على الشبكة، في الرابط:

http://majles.alukah.net/t/٢٥٥٧١

ونتفكر في مخلوقات الله.

فضحك سماحته وقال: اللهم اهدنا فيمن هديت، اللهم اهدنا فيمن هديت؛ ليقرأ الشيخ إبراهيم، وأنت تفكر في مخلوقات الله كما تقول، وبعد أن ينتهي الشيخ إبراهيم، أملي عليك، وينظر الشيخ إبراهيم ويتفكر وقت الإملاء، وهكذا..

ويقول الشيخ عبد الرحمن ابن دايل: أنتم ما أدركتم نشاط سماحته؛ إذ كان في المدينة لا ينام بعد العشاء إلا متأخرًا، وكان لا ينام بعد الفجر، ولا الظهر، ولا العصر.

ثانياً: الهمة العالية:

من العجائب في سيرة سماحة الإمام عبد العزيز ابن باز همته العالية المتجددة، التي تزكو وتتسامى مع تقدمه في العمر.

وإذا أردت الحديث عن همته فإنك تحار؛ فبأي شيء تبدأ، وعن أي مجال تتحدث؟

ذلك أن همته العالية لا تقتصر على مجال معين، أو عمل محدد، بل هي شاملة لشتى الأعمال التي يقوم بها؛ فهمته العالية تتجلى في قراءة الكتب؛ فهو لا يمل قراءتها، بل كثيرًا ما يشرع في قراءة كتب مطولة لا يخطر بالبال أن يتمها؛ لما يُرى من كثرة أعماله، وما هي إلا مدة ثم يتم قراءتها، وتتجلى همته في الاطلاع على المعاملات، والتوجيه بما يلزم؛ فلا يمل ولا يكل من كثرة ما يعرض عليه، وتتجلى في العبادة، وتطبيق السنة في شتى شؤونه.

وتتجلى في زكاء نفسه، وطهارتها، وترفعها عن السفاسف، والمحقرات.

وتتجلى في سخائه، وجوده، وكرمه، في شتى صور السخاء، والجود والكرم.

وتتجلى في اغتنام الأوقات، والقيام بالمشروعات والأعمال العظيمة، التي تقف دونها عقبات، إلى غير ذلك من مجالات همته.

وإن الذي يعمل معه، ويرافقه ليعجب أشد العجب مما يراه من همته رحمه الله.

وإنك لترى الإعياء يبلغ مبلغه بمن يرافقون سماحته، ويعملون معه مع أنهم في قوتهم

ونشاطهم، ومع أنهم مجموعة يتعاقبون العمل، ويتناوبون على القراءة عليه، ومرافقته، ومع أنهم يجدون متعة ولذة في العمل معه، ومع أنهم متفرغون له، ومع أن سماحته كبير في السن، ويقوم بأعمال متنوعة كثيرة.

ومع ذلك كله؛ تجد أن سماحة الشيخ يقوم بالأعمال العظيمة بمنتهى اليسر، والسهولة، والسرور، والسكينة، يستوى بذلك حاله في السفر، أو الحضر، أو الصحة، أو المرض.

والشواهد والقصص في هذا السياق لا يمكن حصرها..

وإليك هذه الحادثة العجيبة التي تبين حال هذا الإمام في صبره وجلده، وتوفيق الله وإعانته له[(١)]:

في عام ١٤١٣هـ كان سماحة الشيخ في مكة المكرمة، ودعي إلى افتتاح أحد المراكز الدعوية في جدة، وألحوا عليه أن يكون الحضور بعد صلاة المغرب؛ حتى لا يطول أمد الحفل إلى ساعات متأخرة.

فقال سماحته: ما يكون إلا الخير، وعندما صلى المغرب قلنا له: نذهب الآن إلى جدة؟

لكن سماحته لم تطب نفسه بترك المجلس بعد المغرب، فقال: بل نذهب إلى مجلسنا المعتاد، وننظر في حاجات الناس، فقلنا له: إذًا نتأخر في الحضور، ونتأخر في الرجوع، فقال: ولو! يعين الله، فجلس في مجلسه المعتاد، ونظر في حاجات الناس، وقرئ عليه ما شاء الله أن يُقرأ، وأجاب على الأسئلة الموجهة إليه، حتى إنني حسبت له ستين إجابة على ستين سؤالًا، بعد ذلك المغرب.

---

(١) وكان عمر الشيخ حينها قرابة (٨٣) سنة عليه رحمة الله، وهنا يظهر أثر أعمال القلوب بإمداد الله له بقوة من عنده، تمكنه من القيام بجلائل الأعمال وأشدها على النفوس، يقوم بها بخفة ونشاط عجيب؛ لأن المحرك للبدن هو القلب، فما ضعفت الأبدان من القيام بالأعمال على رغم وجود الشباب والقوة إلا بسبب ضعف القلوب، وكان الشيخ رحمه من القلائل الذين يتميزون بسلامة القلب وصلاحه وتقواه، ولا أزكيه على الله.

وبعد أن انتهى المجلس قام لصلاة العشاء، ووجهه يتهلل فرحًا وبشرًا؛ بسبب جلوسه للناس.

ثم توجَّه إلى جدة، وكنت في صحبته أنا ومعالي الدكتور مُحَمَّد الشويعر..، وكنا نتناوب القراءة حتى وصلنا إلى جدة.

ولما وصلنا استقبله الناس بجموعهم الكاثرة، فسلم عليهم، ودخل المشروع، واستمع إلى شرح مفصل عنه، وعن نشاطاته وأهدافه، ثم دخل قاعة المحاضرات المكتظة بالناس، واستمع إلى جميع فقرات الحفل وما ألقى فيه من كلمات وقصائد، ثم ألقى كلمته، وبعد أن انتهى الحفل، تناول طعام العشاء، وودع الناس هناك، وعاد إلى مكة، فكنا نتناوب عليه القراءة طوال الطريق؛ فما وصلنا منزله في مكة إلا الساعة الثانية ليلًا، وكان من عادة سماحته أنه يقوم للتهجد في حدود الساعة الثالثة ليلًا، وكان ينبه من معه لقيام الليل، وكان ينبهني أنا، والشيخ عبد العزيز بن ناصر بن باز[1]؛ فجزمنا أنه لن يقوم تلك الليلة، بسبب ما لقيه من تعب من أول الليل، وبسبب تأخره في المجيء إلى مكة، فلما جاء وقت قيامه إذا به يوقظنا للقيام، ثم شرع بالقيام، وبقي يصلي ويدعو، ويقرأ حتى أُذِّن بالفجر، فذهبنا إلى مسجد القطان المجاور لنا، فتأخر الإمام فصلى بنا سماحته وتلا الآيات بصوت نديٍّ خاشع، فلما سلم استقبل الناس بوجهه، وألقى فيهم كلمة.

ولما عدنا إلى المنزل قلنا: لابد أن سماحته سينام؛ فماذا بعد هذا الإعياء والنصب؟

فلما وصلنا المجلس ألقى غترته وطاقيته جانبًا، وجلس وقال: بسم الله، ماذا عندكم؟

---

(١) مستشار الشيخ ابن باز، عضو مجلس الشورى سابقًا، رئيس اللجنة العلمية بمؤسسة الشيخ ابن باز الخيرية.

ينظر: موقع مؤسسة الشيخ ابن باز الخيرية، ديوانية الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله الثقافية الشهرية، على الرابط:

http://binbazfoundation.sa/index٢.php?news=١&read=٢٧٨

فأخذت أقرأ عليه المعاملات، وأنا أرى عليه من السرور والانشراح، ما يبهر اللب؛ فبقيت أقرأ عليه حتى السابعة والثلث تقريبًا، فظننت بعدها أنه سينام نومة طويلة؛ فإذا به يقول: ضع منبه الساعة على الثامنة والثلث، فلما جاء ذلك الوقت نهض إلى رابطة العالم الإسلامي؛ لحضور الندوات، والاجتماعات المطولة، التي كانت تعقد آنداك، ولم يرجع إلى منزله إلا الساعة الثانية والنصف بعد الظهر، ثم أكمل الجلوس مع الحاضرين في المجلس، وتناول معهم الغداء، وصلى العصر وهو في تمام النشاط، والانشراح، ونحن نكاد نسقط على وجوهنا من جراء الإرهاق، وقلة النوم[١].

ومع هذا الجهد العظيم من سماحته رحمه الله في شتى ميادين الخير إلا إن له انتاجًا علميًا غزيرًا في شتى فنون العلم الشرعي في العقيدة والحديث والفقه وغير ذلك، طبع منها قرابة ثلاثين مجلدًا.

النموذج الثالث: الدكتور عبد الرحمن السميط رحمه الله[٢]:

عبد الرحمن بن حمود السميط ولد سنة ١٣٦٦هـ، وتوفي رحمه الله في شوال سنة ١٤٣٤هـ، داعية كويتي ومؤسس جمعية العون المباشر -لجنة مسلمي إفريقيا سابقًا- ورئيس مجلس إدارتها، حيث تولى منصب أمين عام لجنة مسلمي إفريقيا عام ١٤٠١هـ، وواصل على رأس الجمعية بعد أن تغير اسمها إلى: جمعية العون المباشر في عام ١٤١٩هـ.

رئيس مجلس البحوث والدراسات الإسلامية، كما أصدر مجموعة من الكتب، منها: لبيك إفريقيا، دمعة على إفريقيا، رسالة إلى ولدي، العرب والمسلمون في

(١) ينظر: جوانب من سيرة الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله، رواية الشيخ محمد الموسى مدير مكتب الشيخ، من إعداد الشيخ محمد الحمد (١٦٤-١٧١) مع بعض التصرف.

(٢) ينظر ترجمته في: عبد الرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي، لعبد العزيز سعود العويد، آفاق للنشر الكويت، ط١، ١٤٣٧هـ، العمل الإغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط وأثره في قبول دعوته، إعداد: الأستاذ علي محمد الشهري، مدار الوطن، ط١، ١٤٣٧هـ.

مدغشقر، بالإضافة إلى العديد من البحوث وأوراق العمل، ومئات المقالات التي نشرت في صحف متنوعة[١].

هذا الشيخ نموذج فريد في الصبر وبذل المال والوقت والنفس من أجل إغاثة الناس في إفريقيا، أحسبه -والله حسيبه- أنه ممن صدق مع الله، وأخلص لله، ورغب فيما عنده، وتعلق قلبه بالدار الآخرة، وكانت له خبيئة مع الله تمكن بسببها من الوصول إلى القلوب بأيسر طريق، فسلم قلبه من الأحقاد والأضغان، وجعل همه واحدًا وهو إنقاذ إخوانه المسلمين الجوعى في إفريقيا، وما عرف عنه التصادم مع أحد، ولصدقه مع ربه وإخلاصه -ولا أزكي على أحدًا- فقد مكنه الله من القيام بأعمال عظيمة تعجز عنها دول، ودونك شيئًا من سيرته الجميلة، نأخذ منها الدروس والعبر، ونسأل الله أن يرحمه رحمة واسعة، وأن يجعله في عليين، مع النبيين والشهداء والصديقين.

من المظاهر الدالة على أثر عمل القلب في دعوة الدكتور السميط رحمه الله -كما أحسبه والله حسيبه ولا أزكي على الله أحدًا- النماذج الآتية:

١- إخلاصه رحمه الله في دعوته وعمله الإغاثي، ودونك مثلًا من حياته في بداية عمله كطبيب:

تذكر زوجته أنه بعد سنة من تخرج الدكتور السميط حرص والده على شراء سيارة لابنه تليق به كطبيب، فتقول زوجته: استغربت أنه لم يبادر في مساعدة والده في ذلك، مع العلم أنه مر عليه سنة على عمله في الوظيفة، ثم تقول: علمت فيما بعد بطريق غير مباشر أنه كان يستقطع من راتبه مبلغًا كبيرًا في السنة الأولى لمساعدة عوائل محتاجة، ولم يكن أحد يعلم بذلك[٢].

(١) ينظر: الموسوعة الحرة على الرابط:
https:/wikipedia.org/wiki/

(٢) ينظر: عبد الرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي (٤٩).

مثال على تواضعه رحمه الله: فقد ضرب أروع الأمثلة في التواضع، وإنك حينما تقرأ هذه النماذج من حياة هذا الرجل؛ لتذكرك بحياة السلف الأول عليهم رحمة الله، ودونك صورة من ذلك كما يرويها من حصلت معه، وهو الأخ يوسف مُحَمَّد الكندري(١)، يقول: "قبل عشر سنوات تقريبًا(٢) كان أول سفرة لي إلى إفريقيا بصحبة السميط عليه رحمة الله، فقال لي: بما أن هذه هي أول مرة تسافر فيها معي، فأنت في ضيافتي طوال هذه الرحلة، ولكن بشروطي، فأجبته قائلًا: أقبل بشروطك حتى قبل أن أعرفها، فزجرني وعنفني وهو يقول: لا توافق على شيء قبل أن تعرف شروطه.. فكان هذا أول درس أتعلمه منه رحمه الله، أتدرون ماذا كان شروطه؟

قال لي: أنت ضيفي، فلا تطبخ، ولا تغسل، ولا تجلب شيئًا لنفسك، حتى ملابسك أنا أغسلها لك، وأقوم بخدمتك ما دمت في ضيافتي، فإفريقيا بيتي، وكل قادم إليها عن طريقي فهو ضيفي حتى يرجع إلى أهله.

دهشت مما سمعته منه، ولكني تمالكت نفسي، وقلت: يا شيخي، ألازمك في الكويت كل الأوقات أكثر مما يلازمك أبناؤك، وهنا تجعلني ضيفًا عليك، فكيف يستقيم أن يخدم والد ابنه؟!

ضحك السميط رحمه الله كثيرًا ثم قال لي: لقد قلت منذ قليل أن تقبل كل شروطي، فلا مجال للتراجع الآن. وقد كان ما أراد رحمه الله تعالى، فكان يطبخ ويغسل الأواني والملابس، ويكنس الدار بنفسه، وهو سعيد بما يفعل.. وفي أحد الأيام قمت بغسل الأواني بعد وجبة الغداء، وعندما علم بذلك، أمرني بالعودة إلى الكويت، لأنني لم ألتزم بآداب الضيافة وشروط الاتفاق"(٣).

---

(١) وهو رئيس قسم المخازن والمشتريات بجمعية العون المباشر.

(٢) وكانت هذه المقالة في عام ١٤٣٥هـ، بعد عام من وفاة السميط رحمه الله.

(٣) مقال بعنوان: عبد الرحمن السميط (فاتح القلوب) ليوسف مُحَمَّد الكندري في مجلة الكوثر عدد ١٧٨، شوال – ذو القعدة ١٤٣٥هـ ص (٨). وفي العدد ملف خاص عن الدكتور السميط رحمه الله.

٢- حرصه على عدم الشهرة مع الورع والزهد في الدنيا، وحب خدمة الناس والقرب منهم دون أن يرجو من أحد جزاء أو شكورًا، وهذه أمور لا تأتي إلا من صلاح في القلب -كما أحسبه والله حسيبه-. ودونك بعض الشواهد من سيرته في هذه الأمور من كتاب عبد الرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي(١):

- لقد ضرب رحمه الله أروع الأمثلة في التورع عن المال الذي بين يديه، مع الحرص الشديد على أن يصرفه في مصارفه الصحيحة.

- ومما قيل: إنه كان إذا انتهى الشهر واستلم الراتب الجديد أعاد ما تبقى من الراتب القديم للجمعية.

- وكان رحمه الله لا يبحث عن الشهرة أو الرياء، ولا يسكن الفنادق، ولا يتحرك بالطائرات أو السيارات الفخمة، لا يخصص لنفسه طعامًا خاصًّا أو حارسًا، يعيش بين الناس في القرى والغابات، يجوع ويعطش ويعرى ويمرض.

- وكان لا يحب أن يمدح، ويكره ذلك كرهًا شديدًا، وينزعج منه، ويروي أحد الملاصقين للدكتور السميط(٢) أنه في مرة أثنى عليه أحد المتبرعين وصار يمدحه أمام الناس، فلما تبرع وخرج، غاب الدكتور السميط، فبحث عنه الموظف، فوجده ينظف دورة المياه، فسأله: لماذا يفعل ذلك؟ فقال له رحمه الله: أما سمعت الرجل يمدح ويثني؟! وأردت أن أعلم نفسي ألا تغتر بالكلام الذي قيل.

- كان بعيدًا عن التكلف في ملبسه ومطعمه ومركبه من بداية حياته، واستمر على ذلك إلى وفاته رحمه الله.

- عاش السميط رحمه الله مثالًا حيًّا لأولئك الرجال المخلصين الذين جُبِلوا على بذل الغالي والنفيس من أجل إيصال الخير إلى المسلمين خاصّة وخدمتهم، وكذلك إيصال الخير والنور إلى غير المسلمين، بعيدًا عن الأضواء والشهرة خفيًّا تقيًّا متحملًا

---

(١) ينظر: عبد الرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي (٢٨، ٧٨، ٩٤-٩٨، ١٠٤).

(٢) وهو يوسف الكندري.

من أجل دعوته المشاق والمخاطر والأمراض، لا يطلب لنفسه مجدًا ولا حظًّا من حظوظ الدنيا، وإنما يطلب من الله الذكر والثناء الحسن، ولو أراد المال والشهرة لنال ذلك بأيسر مجهود، فقد حاز أعلى الشهادات في الطب، لكنه ترك ذلك من أجل إنقاذ إخوانه المسلمين في إفريقيا الذين انطمست لديهم معالم دين الإسلام، فصبر على ذلك، وواصل الليل بالنهار دون كلل ولا ملل، يقطع الفيافي، ويصعد الجبال، ويخوض في المستنقعات الخطرة في ديار لا يعرفه فيها إلا الله، يحفر الآبار، ويربي اليتامى، ويواسى الثكالى، ويبني المساجد والمدارس.

يسعى في مناكب إفريقيا لينشر دعوة الإيمان، مرة راكبًا لعدة ساعات في طرق وعرة، ومرة ماشيًا مئات الأميال، يخترق الأدغال الموحشة والخوف والخطر يحيط به، حتى ناله في سبيل دعوته عدد من الأمراض التي أثخنت جسده المنهك إلى آخر حياته، كما تعرض للموت مرات، فحفظه الله وأنجاه، قال تعالى: ﴿فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [يوسف: ٦٤][(١)].

وكان يتثمل رحمه الله في حياته الدعوية والإغاثية -فيما أحسبه والله حسيبه- حديث ابن عباس رضي الله عنهما سلوكًا عمليًا حيث يقول ﷺ في وصيته لابن عباس: «احْفَظِ اللَّهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللَّهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللَّهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلَامُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ»[(٢)].

---

(١) ينظر: عبد الرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي (١١٦) مع بعض التصرف.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٨-١٩) ح (٢٨٠٣)، والترمذي واللفظ له في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب.. (٤/ ٦٦٧) ح (٢٥١٦) وقال: "حديث حسن صحيح"، ومسند أبي يعلى (٤/ ٤٣٠) ح (٢٥٥٦)، وصحح إسناده محققه (٤/ ٤٣٠) ح (٢٥٥٦)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٤٥٩) ح (٥٣٠٢)، وصححه محقق مسند أحمد (٥/ ١٩) ح (٢٨٠٣).

٣- ومما تميز به الدكتور السميط رحمه الله شعوره بالمسؤولية الملقاة على عاتقه نحو إخوانه المسلمين في إفريقيا، وأن الله سيسأله عنهم: ماذا قدم لهم؟ وهذا الهم لا يغيب عنه ليلًا ولا نهارًا، يشعر بمسؤوليته الفردية، وأن الواجب عليه عظيم، لا يعفيه منه بُعد الديار ولا المرض، ولا قلة ذات اليد، ولا يعلل نفسه بالأماني الخادعة أن هناك من يقوم بالمهمة عنه، أو أنه معذور بسبب مرضه أو بعد الشقة عليه، كلا، لم يكن رحمه الله يلتفت لذلك؛ ليتخلص من مسؤوليته المعلقة برقبته بشتى المعاذير، كما يفعل من قعدت بهم ذنوبهم، وهذا -والله حسيبه- دليل على صلاح القلب وسلامته، ودونك صورة معبرة من ذلك:

يرويها المؤرخ عبد العزيز العويد[1] في كتابه الذي سبق ذكره[2]، يقول:

لقد كان الكثير من محبي السميط رحمه الله يرحمون حاله، ويتمنون لو ارتاح وعمل في الجانب الإداري؛ لأن العمل الميداني قد أتعب صحته كثيرًا، لكنه يرفض ذلك بشدة، ودونك هذا الموقف المؤثر.

يقول المستشار الدكتور خليفة الشعالي[3]: إن حاكم عجمان الشيخ حميد

(١) عبد العزيز سعود العويد ولد سنة ١٣٩٤هـ، قارئ ومستشار نفسي كويتي، ومؤرخ مهتم بالتاريخ الإسلامي، حاصل على شهادة البكالوريوس والماجستير في علم النفس، إمام وخطيب سابق بوزارة الأوقاف والشئون الإسلامية خلال الفترة (منذ عام ١٤١٦-١٤٢٣هـ). قام بإعداد وتنظيم العديد من الدروس والدورات العلمية الشرعية بدولة الكويت، بإشراف ورعاية وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، له العديد من البرامج التاريخية التي قدمها من خلال الإذاعة والقنوات الفضائية، له مؤلفات في التاريخ والأدب.

ينظر: الموسوعة الحرة على الشبكة، عبد الرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي، وقد ذكر في نهاية الكتاب نبذة عن السيرة الذاتية للمؤلف.

(٢) عبد الرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي.

(٣) مستشار حاكم عجمان، متقاعد برتبة لواء، حصل على درجة الدكتوراه في القانون بجامعة ويلز، كان رئيسًا لكلية التعاون الخليجي الجامعية، ثم عميدًا لكلية القانون عجمان، وهو عضو في العديد من المؤسسات الخيرية والتطوعية.

=

النعيمي[١] كان يحب السميط، ويساهم معه في مشاريعه، وقد رافقته مرة في زيارة لحاكم عجمان، وبعد حديث ماتع بينهما نصح سمو الشيخ حميد النعيمي الدكتور السميط رحمه الله بضرورة إيجاد البدلاء له، والراحة في بلده الكويت لمرضه وكبر سنه، وقال له: أنت ما قصرت يا د. عبد الرحمن.

قال: فقام د. السميط، وقال: كيف تقول يا شيخ: ما قصرت؟! لقد قصرت والله في إفريقيا كثيرًا، وأنا اليوم أتجول في الخليج وتركت الأيتام والمحتاجين، لقد قصرت يا شيخ. فاستأذن وخرج وهو يبكي من مجلس الحاكم، وكان في السيارة يبكي ويقول: كيف يقول: ما قصرت؟! لقد قصرت وهو يكررها رحمه الله[٢].

٤- **ومن كلماته التي تدل على تعلق القلب بالله والدار الآخرة:** أنه كان يتحدث أحد إخوته[٣] فيقول: كان يمكن للدكتور السميط رحمه الله كأحد أوائل الأطباء الكويتيين أن يعيش حياة رغدة، يمتلك فيها الملايين كما هو الحال مع زملائه وطلبته، لكنه يقول: كان بمقدوري أن أعيش مثل هؤلاء، لكنني -والله- أعطف على بعضهم؛ إذ يظنون السعادة فيما تحمله من مال، ويضيف: السعادة ليست كم هو حسابك في هذا البنك أو ذاك، لكن السعادة كم هو رصيدك عند رب العزة والجلال[٤].

ينظر: صحيفة الخليج الموقع الإليكتروني، ملحق استراحة الجمعة، حوار مُحَمَّد رضا السيد أجراه مع الدكتور الشعالي بتاريخ ٣/ ٧/ ٢٠٠٩م على الرابط:

http://www.alkhaleej.ae/supplements/page/٨e٩e٤٣d٧-٢dec-٤f١b-b٥٠f-fcda٤١bf٨dbe

(١) الشيخ حميد بن راشد بن حميد النعيمي، عضو المجلس الأعلى لاتحاد الإمارات العربية، وحاكم إمارة عجمان، وهو الحاكم العاشر لها، تولى الحكم بعد وفاة أبيه الشيخ راشد بن حميد النعيمي عام ١٤٠١هـ بعد أن كان وليًّا للعهد.

ينظر: الموسوعة الحرة: https:/wikipedia.org/wiki/

(٢) ينظر: عبد الرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي (١٧٦) مع بعض التصرف.

(٣) عبد السلام السميط.

(٤) ينظر: عبد الرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي (٦٧).

٥- ومن الأدلة على صدق الرجل مع الله تعالى وإخلاصه له -فيما أحسبه والله حسيبه- هذه الخلاصة التي نختم بها سيرة الرجل رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه على ما قدم خير الجزاء.

إن المتأمل في سيرة هذا الرجل العظيم ليرى آثار توفيق الله وإعانته له في تلك المنجزات الضخمة التي قام بها من خلال جمعية العون المباشر التي كان يقوم عليها، وهذه المنجزات في الحقيقة تعجز عن القيام بها دول، ودونك شذرات من ذلك:

١- توفيق الله له لتمثل أخلاق الإسلام العظيمة قولًا وفعلًا، حيث حرص رحمه الله على أن تكون هذه الأخلاق العظيمة سلوكًا عمليًا، فطبق أسلوب الدعوة على بصيرة وبالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن فيما أحسبه على قدر وسعِه، فما عرف عنه رحمه الله التصادم مع الناس، بل كان صاحب لين ورفق، بعيدًا عن الغلظة والشدة على الناس[(١)].

٢- صبره على ما لقيه في سبيل نشر دعوته وقيامه بإغاثة الفقراء والمنكوبين في أماكن الصراع، ودونك صورًا شاهدة على ذلك من كتاب العمل الأغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط وأثره في قبول دعوته[(٢)]:

- كان يقضي رحمه الله عشرة أشهر إلى أحد عشر شهرًا متنقلًا في إفريقيا، لا يبقى ثلاثة أيام في مكان واحد، ثم قرر أن يأتي بأهله من الكويت، فكانوا ينامون مرة في العراء، ومرة في المساجد، وثالثة في الغابات بين الوحوش والهوام.

- يسير في المستنقعات الطينية الملوثة بروث الحيوانات، وربما يصل الماء إلى الكتف، وفي هذه المستنقعات تماسيح فتاكة، لكن الله أنجاه منها.

ويمشي في بعض الأوقات مسافات طويلة على قدمه حتى تتورم؛ لعدم توفر وسيلة النقل لوعورة المكان، وقد يمر عليه من يوم إلى يومين بلا شرب، وإذا وصل إلى

---

(١) ينظر: عبد الرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي (٢٢٤-٢٣٧).

(٢) ينظر: العمل الإغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط وأثره في قبول دعوته (١٥٣-١٥٦).

مقصده في تلك القرى النائية، فلا يجد من الماء إلا ما يصلح لشرب الدواب من كثرة ما فيه من الأوساخ والطين والروث، وقد سبب له شربه فشلًا في كليتيه رحمه الله.

● سافر في رحلة في شاحنة قديمة مع مجموعة من الأبقار، في رحلة استمرت عشرة أيام عبر طريق ترابي، وكانت تلك الأبقار تقوم بلحس رأسه إذا تجمع عليه الغبار، وكان ينام في أكواخ مفروشة بروث البهائم، وكم من مرة تعرض لإطلاق نار عشوائي، لا سيما في المناطق التي تعيش حروبًا أهلية.

● كان يعصب الحجر عل بطنه من شدة الجوع، ليوصل رسالة الإسلام إلى تلك المناطق المعزولة التي لم تعرف الإسلام.

● ودونك هذا الموقف العظيم الذي يدل على صبر عظيم تمكن من قلب هذا الرجل، وهو يضحي بنفسه من أجل دعوته، أحسبه والله حسيبه أنه يتلذذ بذلك في سبيل الله، وفي أثناء زيارته لقبيلة بدائية في وسط كينيا لدعوة زعمائها وأبنائها إلى الإسلام قدموا له حليبًا -تعبيرًا عن ضيافتهم له- في إناء قذر جدًّا يصفه الدكتور السميط رحمه الله بقوله: "لم أر أقذر منه في حياتي، يحوم حوله الذباب، وهم ينظرون إليه بدون أدنى حركة لإبعاده! لدرجة أن بعضه سقط في الإناء، فمنه من يسبح فيه، ومنه ما لقي حتفه"، وكان عليه التزامًا بآداب الضيافة أن يلبي هذه الدعوة، مع أنه طبيب يعرف ضرر مثل هذا، لكنه قبِل الضيافة وشرب الحليب من هذا الإناء، ولم يُظهر أي اشمئزاز أو تهرب من الموقف، ليستميل قلوبهم ويحببهم إلى ما يدعو إليه، ولا سيما أنه قد سمع عن مجموعة من المنصرين الأمريكيين زاروا إحدى القرى الإفريقية لدعوة أهلها إلى النصرانية، فعندما قدم لهم الطعام ترحيبًا بهم عافوه، فكانت نتيجة ذلك أن رفَضَ أهل القرية دعوتهم والدخول في ملتهم، فدعا السميط رحمه الله أهل تلك القرية إلى الإسلام، فدخلوا فيه، حتى إذا عرف سبيلًا إلى نفوسهم علَّمهم أن نظافة البدن والملبس والطعام والشراب والمكان من الإيمان.

وله رحمه الله الكثير من القصص في هذا المجال، أكتفي بما سبق ذكره؛ ليكون نموذجًا من نماذج كثيرة سطرها هذا الرجل العظيم[١].

٣- حرصه الشديد على العمل المؤسسي المنظَّم الذي لا مجال فيه للفوضوية والحماس المتهوِّر، ولهذا أصبحت جمعية العون المباشر التي أسسها أكبر منظمة عالمية في إفريقيا، ومن إنجازاتها:

- كفالة أكثر من ٢٠٠٠ معلم.
- كفالة ما يزيد على ٧٤٤٥٧ يتيمًا.
- كفالة أكثر من ٧٧٧٥ طالبًا في الدراسات الجامعية.
- إنشاء وتسيير وإدارة ٤ مستشفيات.
- بناء وتسيير ٢٦٠ مستوصفًا.
- بناء وإدارة ٢٩٦ مدرسة نظامية من مرحلة رياض الأطفال حتى الثانوية.
- بناء أكثر من ٥٠٩٤ مسجدًا في مختلف الدول الإفريقية.
- بناء وتسيير ٣٦ معهدًا شرعيًّا.
- إنشاء وتسيير ٦٣ مركزًا لتدريب النساء وتأهيلهن.
- إنشاء وتسيير ٤ جامعات شاملة للعديد من التخصصات الأكاديمية.
- إنشاء ٤ محطات إذاعية في إفريقيا، وتشغيل ٢٤٩٦ برنامجًا إذاعيًّا في ١٩ دولة.
- حفر أكثر من ٢٠٣٠٦ بئر ماء سطحي وأرتوازي لتوفير الماء النظيف لأهالي القرى والمناطق الفقيرة.
- إجمالي عدد المشاريع التنموية ١٤٠٧٢ للأسر الفقيرة[٢].

---

(١) ومن أراد التوسع في سيرة هذا الرجل العبقري فليعد إلى المراجع السابقة.

(٢) موقع جمعية العون المباشر على الرابط:

https://direct-aid.org/cms/about-us-ar/our-achievements-ar

ومع هذا الجهد العظيم كان الرجل يعاني من أمراض عدة زادت عليه في آخر حياته، منها السكري، ويستخدم إبر الأنسولين خمس مرات في اليوم، وأصيب بعدة جلطات بالقلب وبالمخ، ويتناول أكثر من عشرة أدوية يوميًّا(١).

يروي عنه الدكتور جاسم المطوع(٢) أنه كان رحمه الله يقول: "أعاني من مرض السكر، وأجريت لي ثلاث عشرة عملية، منها ثلاث في القلب، لكنني مجرد ما أجلس مع الأيتام وأعيش معهم فترة أنسى ما بي من أمراض وآلام"(٣)، فرحمه الله رحمة واسعة.

المطلب الثاني: من وفقه الله لعمل صالح وفتح له فيه، فليجتهد فيما فتح له فيه:

توطئة:

ذكرت في المطلب الأول نماذج عملية لمن رزقهم الله الصدق والإخلاص وظهر أثر أعمال القلوب على ما حصل لهم من بركة وتوفيق وإعانة من الله، مكنتهم من القيام بجلائل الأعمال، فضربوا أروع الأمثلة في العلم والعمل والدعوة، فنفع الله بهم الأمة نفعًا عظيمًا.

---

(١) ينظر: الموسوعة الحرة:

https:/wikipedia.org/wiki/

(٢) جاسم محمد بدر المطوع، من مواليد ١٣٨٤هـ، من دولة الكويت، حصل على شهادة ليسانس حقوق جامعة الكويت، والماجستير بعنوان الأسرار الزوجية من خلال الكتاب والسنة، والدكتوراه في منهج التربية القيادية للطفل، وهو أعلامي ورئيس قناة أقرأ الفضائية، يعتبر من الرواد في مجال التربية الأسرية في الكويت، له الكثير من الإصدارات والبرامج الإذاعية والتلفزيونية في هذا المجال.
ينظر: الموقع الرسمي للدكتور جاسم المطوع على الرابط:

http://www.drjasem.com

والموسوعة الحرة:

https:/wikipedia.org/wiki/

(٣) مجلة الكوثر العدد: ١٧٨، ص (١٢، ١٣) من مقال: تمنيت لو أن عندنا خمسة من السميط للدكتور جاسم المطوع.

وسيكون الحديث في المطلب الثاني عمن وفقه الله لعمل صالح وفتح له فيه، فليجتهد فيما فتح له فيه، ويبذل وسعه فيما فتح له فيه، ويجتهد في الإخلاص والصدق، ومن المعلوم أن القلة من الناس من يفتح له في أكثر من باب.

١- وعلى رأس الأعمال الصالحة: دعوة الناس وتعليمهم الخير، فهو من أفضل الأعمال لمن حسنت نيته:

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ».

وعن أَبِي عَمَّارٍ الحُسَيْن بْن حُرَيْثٍ الخُزَاعِيِّ[١] قال: سَمِعْتُ الفُضَيْلَ بْنَ عِيَاضٍ يَقُولُ: "عَالِمٌ عَامِلٌ مُعَلِّمٌ يُدْعَى كَبِيرًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَوَاتِ".

قال المباركفوري[٢] رحمه الله: "أي: نسبة شرف العالم إلى شرف العابد كنسبة شرف الرسول إلى شرف أدنى الصحابة"[٣].

وعَنْ كَثِيرِ بْنِ قَيْسٍ[٤] رحمه الله قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه فِي

---

(١) الحسين بن حريث بن الحسن الخزاعي، الإمام، الحافظ، الحجة، أبو عمار الخزاعي، المروزي، مولى عمران بن حصين، توفي رحمه الله سنة (٢٤٤هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٨/ ٥٦٤)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٠٠)، تهذيب التهذيب (٢/ ٣٣٣).

(٢) عبد الرحمن بن عبد الرحيم بن بهادر الأنصاري المباركفوري. عالم مشارك في أنواع من العلوم. ولد في بلدة مباركفور من أعمال أعظم كره بالهند، ونشأ بها، وقرأ العلوم العربية والمنطق والفلسفة والهيئة والفقه وأصول الفقه، ويعد من أبرز علماء الهند في العصر الحديث، له العديد من المؤلفات باللغة العربية وبالأردية منها: السنن في مجلدين، وتحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي وغير ذلك، توفي رحمه سنة (١٣٥٣هـ).

ينظر: منهج المباركفوري في كتابه تحفة الأحوذي (٤٥) رسالة علمية من إعداد الطالب: عبد الله بن رفدان الشهراني، إشراف الدكتور: مُحَمَّد سعيد البخاري، جامعة أم القرى ١٤١٨هـ، معجم المؤلفين (٥/ ١٦٦).

(٣) تحفة الأحوذي (٧/ ٣٧٩).

(٤) كثير بن قيس الشامي، ويقال: قيس بن كثير الحمصي، والأكثر على أنه كثير بن قيس، روى عن أبي =

مَسْجِدِ دِمَشْقَ، فَأَتَاهُ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا أَبَا الدَّرْدَاءِ، أَتَيْتُكَ مِنَ الْمَدِينَةِ، مَدِينَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ لِحَدِيثٍ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُحَدِّثُ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: فَمَا جَاءَ بِكَ تِجَارَةٌ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: وَلَا جَاءَ بِكَ غَيْرُهُ؟ قَالَ: لَا، قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللَّهُ لَهُ طَرِيقًا إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا رِضًا لِطَالِبِ الْعِلْمِ، وَإِنَّ طَالِبَ الْعِلْمِ يَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، حَتَّى الْحِيتَانِ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ فَضْلَ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، إِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ».

ومما يدل على أن الله يفتح لعبده ويوفقه لباب خير -وقل من يفتح له في أكثر من باب- ما ورد من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، يَقُولُ: «مَنْ أَنْفَقَ زَوْجَيْنِ مِنْ شَيْءٍ[1] مِنَ الأَشْيَاءِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ دُعِيَ مِنْ أَبْوَابِ -يَعْنِي الجَنَّةَ-: يَا عَبْدَ اللَّهِ هَذَا خَيْرٌ، فَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّلاةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّلاةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الجِهَادِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الجِهَادِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصَّدَقَةِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصَّدَقَةِ، وَمَنْ كَانَ مِنْ أَهْلِ الصِّيَامِ دُعِيَ مِنْ بَابِ الصِّيَامِ، وَبَابِ الرَّيَّانِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: مَا عَلَى هَذَا الَّذِي يُدْعَى مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ مِنْ ضَرُورَةٍ، وَقَالَ: هَلْ يُدْعَى مِنْهَا كُلِّهَا أَحَدٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَأَرْجُو أَنْ تَكُونَ مِنْهُمْ يَا أَبَا بَكْرٍ»[2].

يقول ابن المبارك رحمه الله عن الإمام مالك: "مَا رأيت أحدًا ارتفع مثل مالك، ليس له كثير صلاة ولا صيام، إلا أن تكون له سريرة.

الدرداء في فضل العلم، وهو من التابعين، وعدُّه من الصحابة وهم.

ينظر: تاريخ دمشق (٥٠/ ٤٢) تهذيب التهذيب (٨/ ٤٢٦)، الإصابة (٥/ ٤٨٩).

(١) أي: شيئين من أصناف المال. ينظر: فتح الباري (٧/ ٢٨).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أصحاب النبي ﷺ، باب قول النبي ﷺ: «لو كنت متخذًا خليلًا» (٥/ ٦) ح (٣٦٦٦)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب من جمع الصدقة، وأعمال البر (٢/ ٧١١) ح (١٠٢٧).

قلت[١]: ما كان عليه من العلم ونشره أفضل من نوافل الصوم والصلاة لمن أراد به الله"[٢].

وعلى هذا فعلى الداعية إلى الله تعالى أن يشكر ربه على توفيقه له لهذا العمل العظيم، وأن يبذل وسعه فيما فتح له، ويستعين بالله، ويبذل أسباب النجاح في هذا المجال، ومن أعظمها إخلاصه وصدقه مع ربه، وليعلم أنه قد لا يفتح له في باب آخر من أبواب الخير، فعليه ألا يشتت جهده في أبواب لم يفتح له فيها، ولا ينتقص الآخرين الذين فتح لهم في عمل غير عمله، وكذلك ينبغي الحذر من صرف الناس عن أبواب الخير التي فتحت لهم، بحجة أنها أعمال قاصرة غير متعدية النفع، ونحو ذلك من الأخطاء التي يقع فيها بعض الدعاة.

وذكر ابن عبد البر كلامًا متينًا رصينًا في شرحه لحديث أبي هريرة رضي الله عنه السابق، فقال رحمه الله: "وفي هذا الحديث من الفقه والفضائل الحض على الإنفاق في سبيل الخير، والحرص على الصوم.

وفيه أن أعمال البر لا يفتح في الأغلب للإنسان الواحد في جميعها، وأن من فتح له في شيء منها حرم غيرها في الأغلب، وأنه قد تفتح في جميعها للقليل من الناس، وأن أبا بكر الصديق رضي الله عنه من ذلك القليل.

وفيه أن من أكثر من شيء عرف به ونسب إليه، ألا ترى إلى قوله: فمن كان من أهل الصلاة، يريد من أكثر منها فنسب إليها؛ لأن الجميع من أهل الصلاة، وكذلك من أكثر من الجهاد ومن الصيام على هذا المعنى ونسب إليه، دعي من بابه ذلك، والله أعلم.

(١) القائل الإمام الذهبي رحمه الله.

(٢) سير أعلام النبلاء (٨/ ٩٧).

ومما يشبه ما ذكرنا ما جاوب به مالك[١] رحمه الله العُمري العابد، وذلك أن عبد الله بن عبد العزيز العُمري[٢] العابد كتب إلى مالك يحضّه إلى الانفراد والعمل، ويرغب به عن الاجتماع إليه في العلم، فكتب إليه مالك: إن الله ﷻ قسم الأعمال كما قسم الأرزاق، فرب رجل فتح له في الصلاة ولم يفتح له في الصوم، وآخر فتح له في الصدقة ولم يفتح له في الصيام، وآخر فتح له في الجهاد ولم يفتح له في الصلاة، ونشر العلم وتعليمه من أفضل أعمال البر، وقد رضيت بما فتح الله لي فيه من ذلك، وما أظن ما أنا فيه بدون ما أنت فيه، وأرجو أن يكون كلانا على خير، ويجب على كل واحد منا أن يرضى بما قسم له والسلام.

هذا معنى كلام مالك لأني كتبته من حفظي، وسقط عني في حين كتابتي أصلي منه"[٣].

٢- وهذه نماذج لبعض العلماء رحمهم الله أذكرها على سبيل المثال لمن فتح الله لهم في باب من أبواب الخير من علم أو عبادة ونحو ذلك، وذكروا ذلك من باب التحدث بنعمة الله:

● قال ابن عقيل[٤] رحمه الله: "عصمني الله في شبابي بأنواع من العصمة، وقصر

---

(١) أبو عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، إمام دار الهجرة، وأحد أئمة المذاهب المتبوعة. قال أبو حاتم: مالك ثقة، وهو إمام أهل الحجاز، وقال الشافعي: إذا جاء الأثر فمالك النجم، وقال: أيضًا لولا مالك وسفيان يعني ابن عيينة، لذهب علم الحجاز. يقول عن نفسه: ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهل لذلك. توفي رحمه الله سنة (١٧٩هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٣٥)، سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٨)، البداية والنهاية (١٠/ ١٧٤).

(٢) الإمام، القدوة، الزاهد، العابد، أبو عبد الرحمن عبد الله بن عبد العزيز بن عبد الله العُمري، وهو قليل الرواية، مشتغل بنفسه، قوال بالحق، أمار بالعرف، لا تأخذه في الله لومة لائم. توفي رحمه الله سنة (١٨٤هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ٣٧٣)، الوافي بالوفيات (١٧/ ١٥٧)، البداية والنهاية (١٣/ ٦٢٨).

(٣) التمهيد (٧/ ١٨٤-١٨٥).

(٤) الإمام، العلامة، البحر، شيخ الحنابلة، أبو الوفاء علي بن عقيل بن مُحَمَّد بن عقيل بن عبد الله البغدادي، =

محبتي على العلم، وما خالطت لعّابًا قط، ولا عاشرت إلا أمثالي من طلبة العلم، وأنا في عشر الثمانين أجد من الحرص على العلم أشد مما كنت أجده وأنا ابن عشرين، وبلغت لاثنتي عشرة سنة، وأنا اليوم لا أرى نقصًا في الخاطر والفكر والحفظ، وحدة النظر بالعين لرؤية الأهلة الخفية، إلا أن القوة ضعيفة"(١).

● ويقول أبو بكر بن عياش رحمه الله: سمعت أبا إسحاق السبيعي(٢) يقول: "ذهبت الصلاة مني وضعفت ورق عظمي، إني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا البقرة وآل عمران"(٣).

● ويذكر أبو الفرج ابن الجوزي عن همته في العلم شيئًا عجبًا، فيقول رحمه الله: "وإني أخبر عن حالي: ما أشبع من مطالعة الكتب، وإذا رأيت كتابًا لم أره فكأني وقعت على كنز، ولقد نظرت في ثبت الكتب الموقوفة في المدرسة النظامية(٤)؛ فإذا به يحتوي على نحو ستة آلاف مجلد، وفي ثبت كتب أبي حنيفة(٥)، وكتب

=

الحنبلي، المتكلم، صاحب التصانيف، كان يتوقد ذكاء، وكان بحر معارف، وكنز فضائل، لم يكن له في زمانه نظير على بدعته، اشتغل بمذهب المعتزلة في بداية حياته وتأثر بهم، وكان يثني على الحلاج، ثم أظهر التوبة من ذلك كله، توفي رحمه الله سنة (٥١٣هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٣)، البداية والنهاية (١٦/ ٢٤١)، الأعلام (٤/ ٣١٣).

(١) سير أعلام النبلاء (١٩/ ٤٤٦).

(٢) أبو إسحاق السَّبِيعِيُّ عمرو بن عبد الله بن علي الهمداني، الكوفي، الحافظ، شيخ الكوفة، وعالمها، ومحدثها، وكان رحمه الله من العلماء العاملين، ومن أعلام التابعين الثقات، توفي رحمه الله سنة (١٢٧هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩٢)، تهذيب التهذيب (٨/ ٦٣)، الأعلام (٥/ ٨١).

(٣) صفة الصفوة (٢/ ٦٠)، وينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٩٧).

(٤) وهي المدرسة التي أنشأها ببغداد الوزير نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي.

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٩٤).

(٥) النعمان بن ثابت بن زوطي التيمي، إمام أصحاب الرأي، وفقيه أهل العراق، المجتهد المحقق الإمام، أحد أئمة المذاهب الأربعة. ورأى أنس بن مالك لما قدم عليهم الكوفة، ولم يثبت له حرف عن أحد من الصحابة، وكان عاملًا زاهدًا عابدًا ورعًا تقيًّا كثير الخشوع دائم التضرع إلى الله تعالى، وقال الشافعي: الناس في الفقه عيال على أبي حنيفة، توفي عليه رحمة الله في سنة (١٥٠هـ).

=

الحميدي[١]، وكتب شيخنا عبد الوهاب[٢]، وابن ناصر[٣]، وكتب أبي مُحَمَّد بن الخشَّاب[٤]، وكانت أحمالًا، وغير ذلك من كل كتاب أقدر عليه، ولو قلت: إني طالعت عشرين ألف مجلد كان أكثر، وأنا بعد في الطلب! فاستفدت بالنظر فيها من ملاحظة سير القوم وقدر هممهم وحفظهم وعباداتهم وغرائب علومهم ما لا يعرفه من لم يطالع"[٥].



ينظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٤٤٤)، ووفيات الأعيان (٥/ ٤٠٥)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٣٩٠).

(١) الإمام، الحافظ، الفقيه، شيخ الحرم عبد الله بن الزبير بن عيسى الحُمَيْدِيُّ، أحد كبار المحدثين، توفي رحمه الله سنة (٢١٩هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٦١٦)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢١٥)، الأعلام (٤/ ٨٧).

(٢) الشيخ، الإمام، الحافظ المفيد، الثقة، المسند، بقية السلف، أبو البركات عبد الوهاب بن المبارك بن أحمد بن الحسن بن بندار البغدادي، الأنماطي، كان ثقة دينًا ورعًا طليق الوجه سهل الأخلاق، توفي رحمه الله سنة (٥٣٨هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ١٣٤)، البداية والنهاية (١٦/ ٣٣٤)، الأعلام (٤/ ١٨٥).

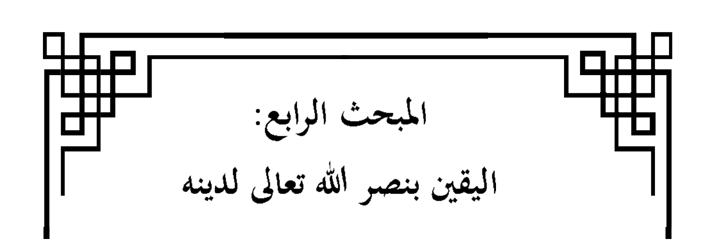
(٣) الإمام، المحدث، الحافظ، مفيد العراق، أبو الفضل مُحَمَّد بن ناصر بن مُحَمَّد بن علي بن عمر السَّلامِيُّ، البغدادي. محدث العراق في عصره، توفي رحمه الله سنة (٥٥٠هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٦٥)، البداية والنهاية (١٦/ ٣٧٤)، الأعلام (٧/ ١٢١).

(٤) الشيخ، الإمام، العلامة، المحدث، إمام النحو، أبو مُحَمَّد عبد الله بن أحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الله ابن نصر البغدادي، ابن الخشَّاب، من يضرب به المثل في العربية، توفي رحمه الله سنة (٥٦٧هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (٣/ ١٠٢)، سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٥٢٣)، البداية والنهاية (١٦/ ٤٦١).

(٥) صيد الخاطر (٤٥٤) لابن الجوزي، بعانية: حسن المساحي، دار القلم دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.



المبحث الرابع:
اليقين بنصر الله تعالى لدينه

إن تعلق قلب الداعية بالله وصدقه وإخلاصه، والشعور بمعية الله ورعايته له، يؤدي ذلك إلى شعور الداعية بأثر من آثار عمل القلب، وهو يقين الداعية بنصر الله لدينه، وذلك يجعله يبذل أسباب النصر في نفسه، ويتحرك بدعوته وهو على يقين أن العاقبة للمتقين، ولكنه مع هذا لا يغفل عن العمل لدينه وفق سنن الله في الكون، فيتحرك بدعوته بقدر وسعه، وما أتاح الله له من الإمكانات، فهو يعرف كيف يسير في دعوته إلى الله على بصيرة، بعيدًا عن العجلة والتسرع، يراعي فقه الموازنات، يضبط نفسه بضوابط فقه الدعوة إلى الله وقواعده، وسيأتي مزيد بيان لهذه الأمور في الفصل الثاني من هذا الباب.

وهو كذلك يعلم يقينًا أنه قد يتأخر النصر لحكمة لا يعلمها إلا الله، فلا يصيبه خوف ولا إحباط وإن تأخر النصر، فهو يعمل لدينه في كل الظروف والأحوال، ومع يقينه في نصر الله لدينه، إلا أنه دائم المحاسبة لنفسه؛ لخوفه أن تؤتى الدعوة من قبله، أو يتأخر النصر بسببه.

أسباب حصول اليقين عند الداعية بنصر الله لدينه كثيرة، منها:

١- ثقة الداعية في ربه بأنه ناصر دينه، وإيمانه ويقينه بوعد الله سبحانه وتعالى الذي وعد به، وقد جاءت النصوص الكثيرة في كتاب الله في بيان أن هذا الدين ينصره الله، فقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا﴾ [الفتح: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطۡفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ﴾ [الصف: ٨، ٩].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١-١٧٣].

وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وإن الداعية إلى الله تعالى -وهو يؤمن بهذه الحقيقة والسنة الربانية إيمانًا جازمًا- لا يخالجه شك في ذلك، ومع هذا لا بد أن يبذل الأسباب لنصرة دين الله في نفسه بفعل الأوامر واجتناب النواهي، حتى يأتي وعد الله، والله لا يخلف الميعاد، كما قال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٧].

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ ﷺ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟! أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟! قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ

صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ»(١).

٢- إيمان الداعية بأن نصر الله لدعوته مرتبط بنصرته لربه في نفسه، وذلك بامتثال أمره واجتناب نهيه، ودعوة الناس إلى ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن يكون قدوة حسنة في نفسه، قال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحج: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [غافر: ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧].

قال ابن سعدي رحمه الله: "هذا أمر منه تعالى للمؤمنين أن ينصروا الله بالقيام بدينه، والدعوة إليه، وجهاد أعدائه، والقصد بذلك وجه الله، فإنهم إذا فعلوا ذلك نصرهم الله وثبت أقدامهم، أي: يربط على قلوبهم بالصبر والطمأنينة والثبات، ويصبر أجسامهم على ذلك، ويعينهم على أعدائهم، فهذا وعد من كريم صادق الوعد أن الذي ينصره بالأقوال والأفعال سينصره مولاه، وييسر له أسباب النصر، من الثبات وغيره"(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة قبل الإسلام (٤/ ٢٠١) ح (٣٦١٢).

(٢) تفسير السعدي (٧٨٥).

٣- يقين الداعية بأنه مهما كان كيد العدو ومكره إلا أن الله سيبطله، ولن يضر الداعية من كيدهم شيئًا، ما دام أنه يجاهد نفسه على التقوى والصبر، قال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿

﴾ [النمل: ٥٠-٥٣].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا ۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّـٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ ۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ [فاطر: ٤٣].

ويقين الداعية إلى الله بهذه الحقيقة والسنة الربانية يجعله في ثقة تامة بأن نصر الله لدعوته لن يتخلف، ولكن قد يتأخر لحكمة يعلمها الله، فما على الدعاة إلى الله تعالى إلا أن يراجعوا أنفسهم، ويعرفوا من أين أتاهم الخلل، ويسعوا في علاج ما حصل منهم، وإلا فنصر الله للدعوة لا يتخلف إلا بخلل من الدعاة في أنفسهم، أو عدم بذل أسباب النصر كما شرع الله.

وقد وجه الله الخطاب لأعظم جيل حمل رسالة الإسلام، وهو يربيهم ويربي الأمة من بعدهم، على أنه قد يأتي الخلل من قبل من يحملون هذه الدعوة، كما حصل في غزوة أحد من خلل ومخالفة لأمر الرسول ﷺ من قبل الرماة؛ مما ألقى بظلاله على سير المعركة، وتحولها لصالح عدوهم، فقال ﷻ: ﴿أَوَلَمَّآ أَصَـٰبَتْكُم مُّصِيبَةٌ قَدْ

أَصَبْتُم مِّثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّىٰ هَٰذَا ۖ قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٦٥﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيات [آل عمران: ١٦٥، ١٦٦].

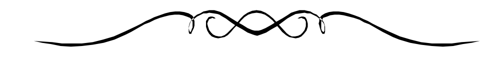
٤- تعلق قلب الداعية بأن النصر لدعوته من عند الله، فلا يطلبه من أحد غيره، إنما يتوجه إلى ربه بالدعاء الصادق وقوة الالتجاء إليه أن ينصره، ويشعر بحاجته الماسة لربه في فتح أبواب النصر لدعوته، لا يعتمد على حوله وقوته، ولا يلتفت قلبه إلى أحد سوى ربه؛ لأنه على يقين أن النصر بيد الله لا يملكه أحد غيره، فلا يذل ولا يخضع لأحد، ولا يطلب المدد والإعانة من غير الله، يؤمن بهذه الحقيقة بجزم، ويصدقها بعزم وتوكل صادق على ربه، قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ١٠].

وخذ هذا المثال العظيم على هذا: بات النبي ﷺ ليلة بدر يستغيث ربه في إنزال نصره عليه، حتى يشفق عليه الصّديق رضي الله عنه من كثرة الإلحاح على ربه، عن عُمَرَ ابن الْخَطَّابِ رضي الله عنه قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثُ مِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللهُمَّ أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هَذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدْ فِي الْأَرْضِ»، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ مَادًّا يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةِ حَتَّى سَقَطَ رِدَاؤُهُ عَنْ مَنْكِبَيْهِ، فَأَتَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْقَاهُ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ الْتَزَمَهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، كَفَاكَ مُنَاشَدَتُكَ رَبَّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِزُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ عز وجل: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم

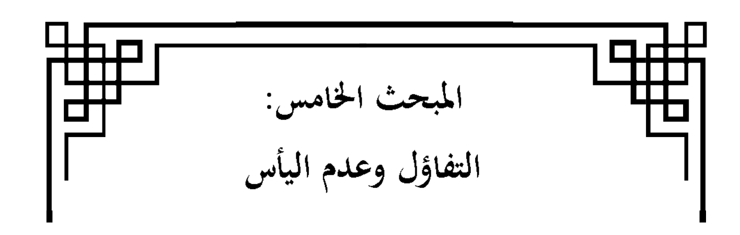
بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾ [الأنفال: ٩] فَأَمَدَّهُ اللهُ بِالْمَلَائِكَةِ.. الحديث[(١)].

وإيمان الداعية بهذه السنة الربانية يجعله ثابتًا على المنهج الحق، لا يتنازل عنه؛ لأجل الحصول على عون البشر، بل هو واثق بأن النصر من الله وحده لا شريك له، فلا يتعلق قلبه بغير ربه في نصرة دعوته، إنما عليه أن يبذل أسباب النصر الممكنة له، ويعلق قلبه بربه ويثق في وعده، ويتجرد قلبه من التعلق بالأسباب المادية، فقد يخذله الله بهذه الأمور القلبية الخفية؛ من اعتماد القلب على الأسباب المادية، وهذا مثال ذكره الله في كتابه يربي فيه الأمة على تعلق القلوب به وحده لا شريك له؛ لأنها حين تتعلق بالأسباب المادية يكلها الله إليها، فيغلبهم العدو بقوته، قال تعالى في تعقيبه على أحداث غزوة حنين: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧].



(١) أخرجه مسلم في كتاب الجهاد والسير، باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر.. (٣/ ١٣٨٣) ح (١٧٦٣).





المبحث الخامس:
التفاؤل وعدم اليأس

وهذا المبحث مرتبط ارتباطًا وثيقًا بما قبله من الشعور بمعية الله ورعايته له، واليقين بنصر الله لدينه، فما دام أن الداعية عنده شعور بمعية الله له، وعنده يقين بنصر الله لدينه، فلن يجد اليأس إلى قلبه سبيلًا، وسيكون التفاؤل الحسن هو رائده، حتى في أحلك الظروف وأشدها لا يفارق التفاؤل الحسن قلبه، التفاؤل الذي معه العمل لدعوته أينما كان، وأينما حل، أما التفاؤل السلبي الذي يخدر المشاعر، ولا يكون معه عمل، فهذا لا يقره ولا يؤمن به؛ لأنه يراه مجرد أماني تنقطع لا تدفع للعمل، وهو ينظر في سيرة القدوة ﷺ، كان التفاؤل رائده في أشد الأوقات وأصعب المواقف؛ لكنه التفاؤل العظيم الذي يحرك الهمة للعمل الجاد المثمر، وفي المقابل كان ﷺ لا يحب الكلمات المثبطة التي تضعف الهمة عن العمل، وتصيب الإنسان بالإحباط، وتضعف التفاؤل الحسن لديه، ودونك شيئًا من سيرته ﷺ في هذا المجال:

قال ﷺ: «وَيُعْجِبُنِي الفَأْلُ الصَّالِحُ: الكَلِمَةُ الحَسَنَةُ»(١).

ويقول ﷺ: «وَأُحِبُّ الْفَأْلَ الصَّالِحَ»(٢).

ويقول ﷺ: «وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلُ: الْكَلِمَةُ الْحَسَنَةُ، الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ»(٣).

وقال تعالى: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب الفأل (٧/ ١٣٥) ح (٥٧٥٦).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (٤/ ١٧٤٦) ح (٢٢٢٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطيرة والفأل وما يكون فيه من الشؤم (٤/ ١٧٤٦) ح (٢٢٢٣).

سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلسُّفۡلَىٰۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلۡعُلۡيَاۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠].

وعَنْ أَبِي بَكْرٍ ﷺ قَالَ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا فِي الغَارِ: لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا! فَقَالَ: «مَا ظَنُّكَ -يَا أَبَا بَكْرٍ- بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا؟!».

ويَقُولُ البَرَاءَ بْنَ عَازِبٍ ﷺ: جَاءَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ إِلَى أَبِي فِي مَنْزِلِهِ، فَاشْتَرَى مِنْهُ رَحْلًا، فَقَالَ لِعَازِبٍ: ابْعَثِ ابْنَكَ يَحْمِلْهُ مَعِي، قَالَ: فَحَمَلْتُهُ مَعَهُ، وَخَرَجَ أَبِي يَنْتَقِدُ ثَمَنَهُ، فَقَالَ لَهُ أَبِي: يَا أَبَا بَكْرٍ، حَدِّثْنِي كَيْفَ صَنَعْتُمَا حِينَ سَرَيْتَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: نَعَمْ، أَسْرَيْنَا لَيْلَتَنَا وَمِنَ الغَدِ، حَتَّى قَامَ قَائِمُ الظَّهِيرَةِ وَخَلاَ الطَّرِيقُ لاَ يَمُرُّ فِيهِ أَحَدٌ، فَرُفِعَتْ لَنَا صَخْرَةٌ طَوِيلَةٌ لَهَا ظِلٌّ، لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِ الشَّمْسُ، فَنَزَلْنَا عِنْدَهُ، وَسَوَّيْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَكَانًا بِيَدِي يَنَامُ عَلَيْهِ، وَبَسَطْتُ فِيهِ فَرْوَةً، وَقُلْتُ: نَمْ -يَا رَسُولَ اللَّهِ- وَأَنَا أَنْفُضُ لَكَ مَا حَوْلَكَ، فَنَامَ وَخَرَجْتُ أَنْفُضُ[١] مَا حَوْلَهُ، فَإِذَا أَنَا بِرَاعٍ مُقْبِلٍ بِغَنَمِهِ إِلَى الصَّخْرَةِ، يُرِيدُ مِنْهَا مِثْلَ الَّذِي أَرَدْنَا، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَنْ أَنْتَ يَا غُلامُ؟ فَقَالَ: لِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ المَدِينَةِ -أَوْ: مَكَّةَ-، قُلْتُ: أَفِي غَنَمِكَ لَبَنٌ؟ قَالَ: نَعَمْ، قُلْتُ: أَفَتَحْلُبُ؟ قَالَ: نَعَمْ، فَأَخَذَ شَاةً، فَقُلْتُ: انْفُضِ الضَّرْعَ مِنَ التُّرَابِ وَالشَّعَرِ وَالقَذَى -قَالَ: فَرَأَيْتُ البَرَاءَ يَضْرِبُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى يَنْفُضُ-، فَحَلَبَ فِي قَعْبٍ[٢] كُثْبَةً[٣] مِنْ لَبَنٍ، وَمَعِي إِدَاوَةٌ[٤] حَمَلْتُهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ يَرْتَوِي مِنْهَا، يَشْرَبُ وَيَتَوَضَّأُ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ

(١) والمقصود بالنفض هنا أن يتأكد من المكان ألا عدو به، قال ابن فارس رحمه الله: "ويستعار من الباب قولهم: نفضت الأرض، إذا بعثت من ينظر أبها عدو أم لا".
ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ٤٦٢) مادة (نفض).

(٢) والقعب: إناء من خشب، والمقصود به هنا القدح الصغير.
ينظر: لسان العرب (١/ ٦٨٣) مادة (قعب).

(٣) الكثبة: قدر حلبة من اللبن تملأ القدح.
ينظر: الصحاح (١/ ٢٠٩) مادة (كثب).

(٤) وهو: إناء صغير من جلد يتخذ لوضع الماء فيه.

=

فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُ، فَوَافَقْتُهُ حِينَ اسْتَيْقَظَ، فَصَبَبْتُ مِنَ الماءِ عَلَى اللَّبَنِ حَتَّى بَرَدَ أَسْفَلُهُ، فَقُلْتُ: اشْرَبْ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: فَشَرِبَ حَتَّى رَضِيتُ، ثُمَّ قَالَ: «أَلَمْ يَأْنِ لِلرَّحِيلِ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: فَارْتَحَلْنَا بَعْدَمَا مَالَتِ الشَّمْسُ، وَاتَّبَعَنَا سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ، فَقُلْتُ: أُتِينَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَالَ: «لاَ تَحْزَنْ؛ إِنَّ اللهَ مَعَنَا»، فَدَعَا عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ فَارْتَطَمَتْ بِهِ فَرَسُهُ إِلَى بَطْنِهَا -أُرَى فِي جَلَدٍ مِنَ الأَرْضِ، شَكَّ زُهَيْرٌ- فَقَالَ: إِنِّي أُرَاكُمَا قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، فَاللهُ لَكُمَا أَنْ أَرُدَّ عَنْكُمَا الطَّلَبَ، فَدَعَا لَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَنَجَا، فَجَعَلَ لاَ يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا قَالَ: قَدْ كَفَيْتُكُمْ مَا هُنَا، فَلا يَلْقَى أَحَدًا إِلَّا رَدَّهُ، قَالَ: وَوَفَى لَنَا[١].

وقد سبق أن ذكرت مثالًا على تفاؤل النبي ﷺ أرى من المناسب إعادته هنا[٢]:

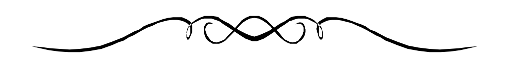
والنظرة التفاؤلية واستشراف المستقبل مع الثقة بنصر الله من أعظم ما يعين على الثبات، ولهذا شواهد، منها ما حصل في وقت من أصعب الأوقات التي مرت على المسلمين في يوم الأحزاب الذي قال الله عنه في بيان الحال التي وصلوا إليها: ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا۟ زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ [الأحزاب: ١٠، ١١]، في لحظةٍ اشتد فيها الخوف والجوع والبرد، لكنه ﷺ ينظر نظرة المتفائل بنصر الله الواثق بربه، وإن كانت نظرة أهل النفاق وأصحاب القلوب المريضة لا ترى شيئًا يلوح في الأفق القريب، وقد عبر القرآن الكريم بقوله عنهم: ﴿إِذْ يَقُولُ

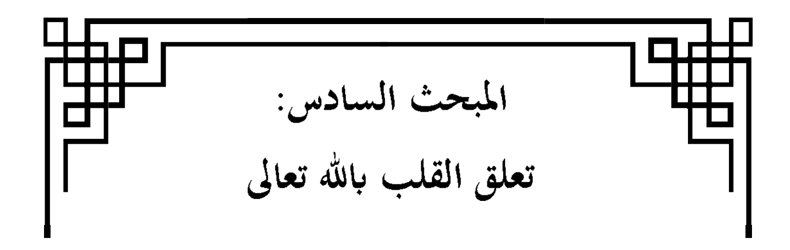
=
ينظر: لسان العرب (١٤/ ٢٥) مادة (أدا).

(١) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ٢٠١) ح (٣٦١٥)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب في حديث الهجرة ويقال له: حديث الرَّحْلِ بالحاء (٤/ ٢٣٠٩) ح (٢٠٠٩).

(٢) ينظر: ص (٣٠٣).

ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٤٩]، ويقول عنهم ﷻ في يوم الأحزاب: ﴿وَإِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورٗا﴾ [الأحزاب: ١٢]، وفي هذا الموقف العظيم ها هو يقول ﷺ لأصحابه حينما عرضت لهم صخرة وهم يحفرون الخندق، فَأَخَذَ ﷺ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: «بِسْمِ اللهِ»، فَضَرَبَ ضَرْبَةً فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، وَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ مِنْ مَكَانِي هَذَا»، ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ»، وَضَرَبَ أُخْرَى فَكَسَرَ ثُلُثَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ الْمَدَائِنَ، وَأُبْصِرُ قَصْرَهَا الْأَبْيَضَ مِنْ مَكَانِي هَذَا»، ثُمَّ قَالَ: «بِسْمِ اللهِ» وَضَرَبَ ضَرْبَةً أُخْرَى فَقَلَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ، فَقَالَ: «اللهُ أَكْبَرُ! أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللهِ إِنِّي لَأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ مِنْ مَكَانِي هَذَا».





المبحث السادس:
تعلق القلب بالله تعالى

من أبرز آثار محبة الله والخوف منه ورجائه تعلق القلب به سبحانه وتعالى، وإذا تعلق القلب بالله ظهرت آثار ذلك على الداعية، ولذلك علامات من أبرزها:

١- شدة محبته لله:

ومن العلامات الدالة على تعلق قلب الداعية بربه شدة حبه له، قال تعالى عن المؤمنين بالله حقًّا: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره: "ولحبهم لله وتمام معرفتهم به، وتوقيرهم وتوحيدهم له، لا يشركون به شيئًا، بل يعبدونه وحده ويتوكلون عليه، ويلجؤون في جميع أمورهم إليه"(١).

٢- عدم خشيته وخوفه من غير الله:

إن القلب الذي تعلق بربه لا يخشى أحدًا سواه، ولا يرهب من صولة الباطل، بل يزيده ذلك ثباتًا وصدقًا مع الله، قال الله تعالى عن الصادقين الذين حاول الأعداء أن يخوفوهم بقوة أهل الكفر وإمكاناتهم وعدتهم وعددهم، فقال المؤمنون الصادقون كما ذكر الله عنهم: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُواْ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَٱنقَلَبُواْ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ لَّمْ

---

(١) تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٦).

يَمْسَسْهُمْ سُوٓءٌ وَٱتَّبَعُوا۟ رِضْوَٰنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٢-١٧٥].

٣- كثرة ذكره لله تعالى:

ومما يدل على تعلق القلب بالله كثرة ذكر الله على كل الأحوال، كما قال تعالى عن القلوب التي أحبت الله وتعلقت به: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

والآية تدل على حال أولي الألباب المحبين لله، في صلاتهم، وفي سائر أحوالهم؛ يداومون على ذكر الله بالقلب واللسان في جميع الأحوال؛ لأن الإنسان قلَّ أن يخلو عن واحد من هذه الحالات الثلاث(١).

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂، قَالَتْ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ»(٢).

والحديث يدل على جواز ذكر الله على كل الأحوال وفي كل الأحيان: متطهرًا، ومحدثًا، وجنبًا، وقائمًا، وقاعدًا، ومضطجعًا، وماشيًا، إلا أنه يستثنى من ذلك حال الجلوس على البول والغائط، وحالة الجماع، فإنه يكره ذكر الله في هذه الحالات، والصحيح أن الكراهة كراهة تنزيه وليست كراهة تحريم، فلو ذكر الله في هذه الحالات، فلا إثم عليه(٣)، والله أعلم.

وكثرة ذكر الله على كل الأحوال وفي كل الأحيان، لها أثرها على نفس الداعية، فيجد من طمأنينة القلب والقوة والنشاط ما يعينه على القيام بدعوته خير قيام.

وذكر ابن القيم رحمه الله من فوائد الذكر: "أنه قُوتُ القلب والروح، فإذا فقده

(١) ينظر: تفسير البغوي (٢/ ١٥٢)، وتفسير السعدي (١٦١).
(٢) أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب ذكر الله تعالى في حال الجنابة وغيرها (١/ ٢٨٢) ح (٣٧٣).
(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (٤/ ٦٥، ٦٨).

العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته.

وحضرتُ شيخ الاسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر، ثم جلس يذكر الله تعالى إلى قريب من انتصاف النهار، ثم التفت إليَّ وقال: هذه غدوتي، ولو لم أتغد الغداء سقطت قوتي، أو كلامًا قريبًا من هذا، وقال لي مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها؛ لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر، أو كلامًا هذا معناه"[١].

والداعية المتعلق بالله تجده ذاكرًا لله بقلبه ولسانه في كل أحواله، قائمًا وقاعدًا وعلى جنبه، يجد فيه لذته، وطمأنينة قلبه، وما يعينه على أعباء طريق الدعوة الشائك، ويجعله بإذن الله ثابتًا على مبدئه، صابرًا على ما يلقاه في ذات الله؛ لأنه يشعر بقرب الله منه ورعايته له وحفظه وحمايته، وكما في الحديث القدسي يقول الله تعالى: «وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي».

٤- المسارعة والمسابقة إلى أسباب رضوان الله:

ومما يدل على تعلق القلب بالله المسارعة والمسابقة إلى أسباب مرضاة الله من الفرائض والنوافل، ولا شك أن الداعية الذي يريد حياة قلبه لا بد أن يضرب في هذه الغنائم بسهم وافر ويجتهد في ذلك؛ ليكون هذا الزاد من أعظم الأسباب المعينة على القيام بمهمته الدعوية.

وقد سبق الكلام على هذه المسألة في مبحث سابق[٢].

٥- كثرة تلاوة القرآن الكريم مع التدبُّر:

ومن العلامات الدالة على تعلق القلب بالله تعالى: كثرة تلاوة القرآن الكريم مع تدبره وحضور القلب والتأثر بآياته ونزولها إلى القلب، وهكذا الداعية صاحب القلب

---

(١) الوابل الصيب (٤٢).

(٢) ينظر: ص (١٦٠).

الحي يكون حاله مع القرآن الكريم كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ خَرُّوا۟ سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾ [الإسراء: ١٠٩].

وقد نالوا بركة القرآن الكريم بتدبرهم لآياته كما قال تعالى، وهو يحث عباده على تدبر كتابه الذي أنزله من أجل ذلك، فقال ﷻ: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩].

وكيف لا يتأثرون بالقرآن وهو الذي لو نزل على الجبال لتصدعت من خشية الله؟! كما قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١].

فإذا تعلق القلب بالله أقبل على تلاوة كتابه متدبرًا له، يجد فيه طمأنينة قلبه وخشوعه، وزيادة إيمانه وثباته.

٦- كثرة دعاء الله والالتجاء إليه في جميع الأحوال:

ومن آثار تعلق القلب بالله: كثرة الدعاء والالتجاء إلى الله في جميع الأحوال، والداعية صاحب القلب الحي يدرك مكانة الدعاء وأثره على حياته وعلى دعوته، فقلبه موصول بالله، يشعر بقربه منه كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، وقال ﷻ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

يشعر الداعية بحاجته الماسة لربه، فيقبل على الدعاء والتضرع والابتهال أن يعينه

على هذه المهمة العظيمة مهمة الدعوة إلى الله، وأن يوفقه ويسدده في كل تصرف يقوم به، وأن يفتح له القلوب، ويسأل ربه أن لا تؤتى الدعوة من قبله، وهو يعلم أثر الدعاء ومكانته العظيمة، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَمَ عَلَى اللهِ مِنَ الدُّعَاءِ»، وقال ﷺ: «لَا يَرُدُّ الْقَضَاءَ إِلَّا الدُّعَاءُ، وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمْرِ إِلَّا الْبِرُّ»[١]، وقال ﷺ: «وَلَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاء» الحديث[٢].

وكثرة الدعاء والالتجاء إلى الله مرتبط كذلك بقضية عظيمة التي سيكون الحديث عنها في علامة تعلق القلب بالله الآتية:

٧- يخاف على قلبه من التقلب، فلا يأمن مكر الله:

من العلامات الدالة على تعلق القلب بربه: خوفه على قلبه من التقلب، وعدم أمنه من مكر الله؛ لأن الأمن من مكر الله من صفات أهل الخسارة الذين غفلوا عن الله، ونسوا يوم الحساب، وتمادوا في غيهم وضلالهم، يقول تعالى محذرًا منهم ومنذرًا: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩].

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب القدر، باب ما جاء لا يرد القدر إلا الدعاء (٤/ ٤٤٨) ح (٢١٣٩) قال: "وهذا حديث حسن غريب"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١٢٧١) ح (٧٦٨٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣٧/ ٩٥) ح (٢٢٤١٣)، وابن ماجه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب في القدر (١/ ٣٥) ح (٩٠)، وابن حبان في صحيحه في باب الأدعية، ذكر الإخبار عما يستحب للمرء من المواظبة على الدعاء والبر (٣/ ١٥٣) ح (٨٧٢)، والحاكم في المستدرك في كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر (١/ ٦٧٠) ح (١٨١٤) وصححه وأقره الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٢٧٩) ح (١٦٣٨)، وقال محقق المسند (٣٧/ ٩٥) ح (٢٢٤١٣): "حسن لغيره".

ومكر الله هو بأسه ونقمته وقدرته عليهم، فيستدرجهم من حيث لا يعلمون، ويأخذهم في حال غفلتهم وسهوهم[١]، ولا يأمن ذلك إلا أهل الغفلة أصحاب القلوب المريضة، قال الحسن البصري رحمه الله: "المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن"[٢].

وقال أيضًا رحمه الله في مقارنة بين حال عباد الله المؤمنين وحال المنافقين، فذكر أن المؤمنين عملوا لله بالطاعات واجتهدوا فيها وخافوا أن ترد عليهم: "إن المؤمن جمع إيمانًا وخشية، والمنافق جمع إساءة وأمنًا"[٣].

وقال السعدي رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [الأعراف: ٩٩]: "وهذه الآية الكريمة فيها من التخويف البليغ على أن العبد لا ينبغي له أن يكون آمنًا على ما معه من الإيمان"[٤].

بل لا يزال خائفًا وجلًا أن يبتلى ببلية تسلب ما معه من الإيمان، وأن لا يزال داعيًا أن يثبت قلبه على دينه إلى أن يلقاه غير مغير ولا مبدل، دائمًا يلهج بالدعاء الذي كان يكثر منه النبي ﷺ، فعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟! قَالَ: «نَعَمْ؛ إِنَّ القُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ». تجد المؤمن يعمل ويسعى في كل سبب يخلصه من الشر عند وقوع الفتن، فإن العبد -ولو بلغت به الحال ما بلغت- فليس على يقين من

---

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٤٥١) تفسير السعدي (٢٩٨).

(٢) ذكره ابن كثير في تفسيره (٣/ ٤٥١).

(٣) مدارج السالكين (١/ ٥٠٧)، بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز(٢/ ٥٤٥) للفيروزآبادي، ت: محمد النجار، المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٤) تفسير السعدي (٢٩٨).

السلامة[١].

ولذا يخاف المؤمن على قلبه من الزيغ، فهو دائم الدعاء بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٨].

٨- كثرة التوبة والاستغفار:

ومن علامات تعلق القلب بالله تعالى: كثرة التوبة والاستغفار، فقلب الداعية الموصول بربه يشعر بتقصيره في حق ربه، ويشعر بأثر الذنب، فهو دائم الاستغفار والتوبة، كما قال تعالى عن عباده المتقين: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

وها هو سيد المرسلين وإمام المتقين وقدوة الناس أجمعين، يستغفر في المجلس الواحد ويطلب من ربه أن يتوب عليه مائة مرة، كما في الحديث عَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ: «رَبِّ، اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ»[٢].

---

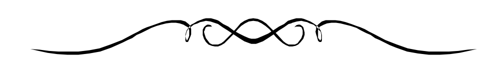
(١) ينظر: تفسير السعدي (٢٩٨).

(٢) أخرجه أبو داود في تفريع أبواب الوتر، باب في الاستغفار (٢/ ٨٥) ح (١٥١٦)، والترمذي في أبواب الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه (٥/ ٤٩٤) ح (٣٤٣٤)، وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، وابن حبان في صحيحه في باب الأدعية، ذكر وصف الاستغفار الذي كان يستغفر ﷺ بالعدد الذي ذكرناه (٣/ ٢٠٦) ح (٩٢٧)، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (٥/ ٢٤٨) ح (١٣٥٧) للألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت،ط١، ١٤٢٣ هـ، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٢/ ٦٢٧) ح (١٥١٦): "إسناده صحيح".

وهو الذي قال الله له: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، ومع هذا يستغفر ربه ويطلب منه أن يتوب عليه بهذا العدد في مجلس واحد، فكيف بمن عداه من أهل الذنوب؟!

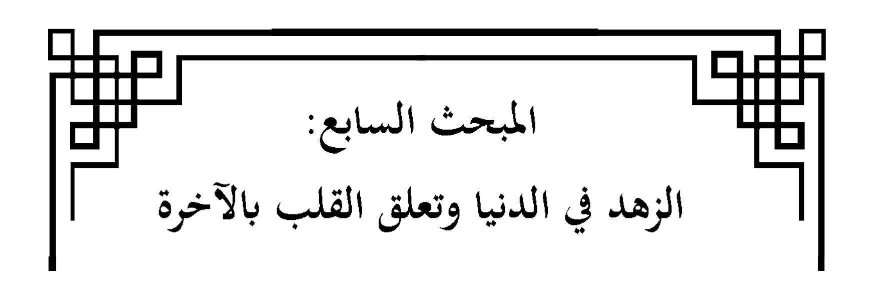
فإذا أراد الداعية أن يفتح الله عليه في دعوته، ويزيده قوة إلى قوته، فليكثر من التوبة والاستغفار الذي يواطئ فيه القلب اللسان، قال تعالى: ﴿وَيَٰقَوۡمِ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيۡهِ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا وَيَزِدۡكُمۡ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمۡ﴾ الآية [هود: ٥٢].

وقد سبق الكلام على الاستغفار والتوبة(١).



(١) ينظر: ص (١٩٣).





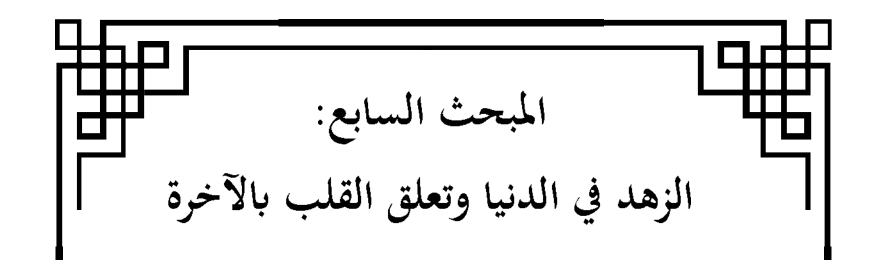
المبحث السابع:
الزهد في الدنيا وتعلق القلب بالآخرة

المطلب الأول: حقيقة الدنيا من خلال نصوص الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: مشاهد من بيت النبوة تبين حقيقة الدنيا، وكيف تعامل معها ﷺ.

المطلب الثالث: من آثار تعلق القلب بالآخرة.

المطلب الرابع: تنبيهات مهمة حول علاقة المسلم بالدنيا من خلال الميزان الشرعي الصحيح.



المبحث السابع:
الزهد في الدنيا وتعلق القلب بالآخرة

توطئة:

ومن آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في نفسه: مجاهدته لنفسه على إرادة الآخرة وتعلق القلب بها، فتكون همَّه الذي يصبح ويمسي عليه، وبما أن الداعية قدوة للناس فعليه أن يتخفف من التعلق بالدنيا وزينتها، وأن يجاهد نفسه على الزهد الحقيقي فيها، ويجاهد كذلك على تفريغ قلبه لآخرته، وإذا حصل ذلك تمكن من التأثير فيمن يدعوهم، وحفظ نفسه من الانشغال بزينة الدنيا عن الآخرة، وهذا حري بكل من يتصدى لدعوة الناس أن يحرص كثيرًا على سلامة قلبه من التعلق بالدنيا حتى لا يكون فتنة لمن يدعوهم، حين يكون همه الدنيا بعمل الآخرة.

وقد ذكر الله في كتابه أن من أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن، فإن الله يعطيه نعيم الآخرة، ومن أراد الدنيا بعمله الصالح، فإنه يعطيه منها ما يشاء، وأما الآخرة فلا نصيب له في نعيمها.

والإرادة من أعمال القلب، وهي تكون بحسب مقصد صاحبها، قال تعالى في بيان ذلك: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴿١٩﴾ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴾ [الإسراء: ١٨-٢٠].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْـَٔاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ

يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾ [الشورى: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَـٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَـٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

وإذا تعلق القلب بالآخرة عرف الدنيا على حقيقتها، والآخرة على حقيقتها، كما جاءت بذلك نصوص الكتاب والسنة.

وإذا تبينت حقيقة الدنيا بكل متعها وشهواتها أنها متاع زهيد زائل، لا يساوي بالنسبة للآخرة إلا كقطرة في بحر واسع، زهد فيها أصحاب القلوب الحية، وتعلقت قلوبهم بالآخرة، ودونك توضيح هذا المبحث وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: حقيقة الدنيا من خلال نصوص الكتاب والسنة.

المطلب الثاني: مشاهد من بيت النبوة تبين حقيقة الدنيا، وكيف تعامل معها ﷺ.

المطلب الثالث: من آثار تعلق القلب بالآخرة.

المطلب الرابع: تنبيهات مهمة حول علاقة المسلم بالدنيا من خلال الميزان الشرعي الصحيح.

المطلب الأول: حقيقة الدنيا من خلال نصوص الكتاب والسنة:

أولًا: نصوص الكتاب التي تبين حقيقة الدنيا بالنسبة للآخرة، وهذه إشارات على سبيل المثال:

١- الدنيا مزينة للناس، وهي متاع زائل قليل بالنسبة للآخرة الباقية، كما قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَـٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَـٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ

ﮋﺫَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ * قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِﮊ [آل عمران: ١٤، ١٥].

وفي ذلك تزهيد في الدنيا وترغيب في الآخرة(١).

قال السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى أنه زين للناس حب الشهوات الدنيوية، وخص هذه الأمور المذكورة لأنها أعظم شهوات الدنيا، وغيرها تبع لها، قال تعالى: ﮋإِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَاﮊ [الكهف: ٧]، فلما زينت لهم هذه المذكورات بما فيها من الدواعي المثيرات، تعلقت بها نفوسهم، ومالت إليها قلوبهم، وانقسموا بحسب الواقع إلى قسمين:

قسم: جعلوها هي المقصود، فصارت أفكارهم وخواطرهم وأعمالهم الظاهرة والباطنة لها، فشغلتهم عما خلقوا لأجله، وصحبوها صحبة البهائم السائمة، يتمتعون بلذاتها ويتناولون شهواتها، ولا يبالون على أي وجه حصلوها، ولا فيما أنفقوها وصرفوها، فهؤلاء كانت زادًا لهم إلى دار الشقاء والعناء والعذاب.

والقسم الثاني: عرفوا المقصود منها، وأن الله جعلها ابتلاء وامتحانًا لعباده؛ ليعلم من يقدم طاعته ومرضاته على لذاته وشهواته، فجعلوها وسيلة لهم وطريقًا يتزودون منها لآخرتهم، ويتمتعون بما يتمتعون به على وجه الاستعانة به على مرضاته، قد صحبوها بأبدانهم وفارقوها بقلوبهم، وعلموا أنها كما قال الله فيها: ﮋذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖﮊ [آل عمران: ١٤]، فجعلوها معبرًا إلى الدار الآخرة، ومتجرًا يرجون بها

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٢/ ١٥).

الفوائد الفاخرة، فهؤلاء صارت لهم زادًا إلى ربهم... وتمام ذلك أن الله تعالى أخبر بعدها عن دار القرار ومصير المتقين الأبرار، وأخبر أنها خير من ذلكم المذكور، ألا وهي الجنات العاليات ذات المنازل الأنيقة والغرف العالية، والأشجار المتنوعة المثمرة بأنواع الثمار، والأنهار الجارية على حسب مرادهم، والأزواج المطهرة من كل قذر ودنس وعيب ظاهر وباطن، مع الخلود الدائم الذي به تمام النعيم، مع الرضوان من الله الذي هو أكبر نعيم، فقس هذه الدار الجليلة بتلك الدار الحقيرة، ثم اختر لنفسك أحسنهما، واعرض على قلبك المفاضلة بينهما، ﴿وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [آل عمران: ١٥]، أي: عالم بما فيهم من الأوصاف الحسنة والأوصاف القبيحة، وما هو اللائق بأحوالهم، يوفق من شاء منهم ويخذل من شاء.

فالجنة التي ذكر الله وصفها ونعتها بأكمل نعت وصف أيضا المستحقين لها، وهم الذين اتقوه بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه"[١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَا لَكُمۡ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلۡتُمۡ إِلَى ٱلۡأَرۡضِۚ أَرَضِيتُم بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا مِنَ ٱلۡأٓخِرَةِۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [التوبة: ٣٨].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ [الرعد: ٢٦].

وقال: ﴿وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ﴾ [الرعد: ٢٦].

٢- الفوز العظيم يكون بالنجاة من النار ودخول الجنة، والخسارة العظيمة بأن تغره الدنيا عن الآخرة، قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا

(١) تفسير السعدي (١٢٤).

تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥].

قال السعدي رحمه الله: "هذه الآية الكريمة فيها التزهيد في الدنيا بفنائها وعدم بقائها، وأنها متاع الغرور، تفتن بزخرفها، وتخدع بغرورها، وتغر بمحاسنها، ثم هي منتقلة، ومنتقَل عنها إلى دار القرار، التي توفى فيها النفوس ما عملت في هذه الدار، من خير وشر"(١).

٣- **وصف الله الدنيا بأنها لعب ولهو في أكثر من آية؛ ليزهد فيها ويحذر من الاغترار بها، فقال تعالى:** ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ ۖ وَلَلدَّارُ ٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَـٰمًا ۖ وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا۟ لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ﴾ [الأعراف: ٥١]

---

(١) تفسير السعدي (١٥٩).

وقال تعالى: ﴿• • • • • • • • • • • •
• • • • • • • • • • • • •
• • • • • • • • • • • • • • •
• • • • • • • • •﴾ [يونس: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ۝٣٤ وَزُخْرُفًا ۚ وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الزخرف: ٣٣-٣٥].

ثانيًا: ورد في السنة الكثير من الأحاديث التي تبين حقيقة الدنيا، فمن ذلك:

١- **موضع السوط في الجنة -على صغر الحيز الذي يشغله- خير من الدنيا كلها وما فيها**، فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا»[١].

٢- **حجم الدنيا في الآخرة كنسبة القطرات إلى البحر**، فعن المستورد بن شداد رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَاللهِ، مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ -وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ- فِي الْيَمِّ[٢]، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟»[٣].

٣- **التزهيد في الدنيا وضرب المثل لها بما تزهد فيه النفوس وتنفر منه؛ لبيان حقارتها وهوانها على الله تعالى**، فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٤/ ١١٩) ح (٣٢٥٠).

(٢) اليم هو البحر.

ينظر: النهاية في غريب الحديث (٥/ ٣٠٠) (يمم).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب صفة الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا.. (٤/ ٢١٩٣) ح (٢٨٥٨).

مَرَّ بِالسُّوقِ دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ[(١)]، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ[(٢)] مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟» فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟! قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟» قَالُوا: وَاللهِ، لَوْ كَانَ حَيًّا كَانَ عَيْبًا فِيهِ لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟! فَقَالَ: «فَوَاللهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»[(٣)].

٤- **بيان حقارة الدنيا عند من خلقها، وأنها لا تساوي عنده جناح بعوضة،** فعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَإِذَا هُوَ بِشَاةٍ مَيِّتَةٍ شَائِلَةٍ بِرِجْلِهَا[(٤)]، فَقَالَ: «أَتُرَوْنَ هَذِهِ هَيِّنَةً عَلَى صَاحِبِهَا؟ فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ عَلَى صَاحِبِهَا، وَلَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ، مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا قَطْرَةً أَبَدًا»[(٥)].

المطلب الثاني: مشاهد من بيت النبوة تبين حقيقة الدنيا، وكيف تعامل معها ﷺ:

إن هذه المشاهد من بيت النبوة خير دليل على حقارة الدنيا، وأنها لا تساوي شيئًا، ولهذا لما عرفها ﷺ على حقيقتها زهد فيها، وعاش فيها عيشة المساكين، عَنْ

---

(١) أي: أحاطوا به من كل جانب.
ينظر: الصحاح (٤/ ١٤٢٤)، لسان العرب (٩/ ٣٠٨) مادة (كنف).

(٢) الجدي الأسك الذكر من المعز، والأسك قيل: مقطوع الأذنين، وقيل: من صغرت أذنه حتى لصقت برأسه.
ينظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ٣٨٤)، المعجم الوسيط (١/ ٤٣٩) مادة (سكك).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٧٢) ح (٢٩٥٧).

(٤) أي: رافعة رجلها من الانتفاخ.

(٥) أخرجه ابن ماجه كتاب الزهد، باب مثل الدنيا (٢/ ١٣٧٦) ح (٤١١٠)، والحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق (٤/ ٣٤١) ح (٧٨٤٧) وصححه وذكر الذهبي أن في سنده زكريا بن منظور ضعفوه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٣٧) ح (٥٢٩٢)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ٢٣٠) ح (٤١١٠): "حديث حسن بطريقيه وشواهده".

أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: أَحِبُّوا الْمَسَاكِينَ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا، وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا، وَاحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ»(١)، ورحل ﷺ عنها ولم يكن لها في قلبه مكان، فقد تعلّق قلبه بالدار الباقية دار الآخرة.

ودونك -أيها الداعية الموفق- هذه الصور الشاهدة على حقارة الدنيا عنده ﷺ، فاقتد بقدوتك ﷺ، وعلق قلبك بالدار الآخرة، واحذر من الافتتان بزينة الدنيا وزخارفها، فتفسد عليك قلبك، وتعوقك في طريق دعوتك، أو تقعد بك عنها:

١- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ دَخَلَ عَلَيْهِ عُمَرُ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، لَوِ اتَّخَذْتَ فِرَاشًا أَوْثَرَ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟! مَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا إِلا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ، فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا»(٢).

٢- وقال عمر ﷺ: فَدَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ مُضْطَجِعٌ عَلَى حَصِيرٍ، فَجَلَسْتُ، فَأَدْنَى عَلَيْهِ إِزَارَهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ،

---

(١) أخرجه الترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء أن فقراء المهاجرين يدخلون الجنة قبل أغنيائهم (٤/ ٥٧٧) ح (٢٣٥٢)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب مجالسة الفقراء (٢/ ١٣٨١) ح (٤١٢٦) وهذا لفظه، والحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق (٤/ ٣٥٨) ح (٧٩١١) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٢٧١) ح (١٢٦١) وحسنه لغيره في صحيح الترغيب (٣/ ٢٤٤) ح (٣١٩٣)، وضعف إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ٢٤٠) ح (٤١٢٦)، والحديث -والله أعلم- له أصل يترقى به إلى درجة الحسن لغيره، كما قرره الشيخ الألباني رحمه الله في إرواء الغليل (٣/ ٣٦٢)، إشراف: الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٤/ ٤٧٣) ح (٢٧٤٤)، وابن حبان في باب من صفته ﷺ وأخباره، ذكر ما مثل المصطفى ﷺ نفسه والدنيا بمثل ما مثل به (١٤/ ٢٦٥) ح (٦٣٥٢)، والحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق (٤/ ٣٤٤) ح (٧٨٥٨) وصححه ووافقه الذهبي، وقال في مجمع الزوائد في كتاب الزهد، باب في عيش رسول الله ﷺ والسلف (١٠/ ٣٢٦) ح (١٨٢٩٩): "ورجال أحمد رجال الصحيح غير هلال بن خباب، وهو ثقة"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٨٩) ح (٥٦٦٩)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند (٤/ ٤٧٤) ح (٢٧٤٤): "إسناده صحيح".

فَنَظَرْتُ بِبَصَرِي فِي خِزَانَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، فَإِذَا أَنَا بِقَبْضَةٍ مِنْ شَعِيرٍ نَحْوِ الصَّاعِ، وَمِثْلِهَا قَرَظًا[١] فِي نَاحِيَةِ الْغُرْفَةِ، وَإِذَا أَفِيقٌ[٢] مُعَلَّقٌ، قَالَ: فَابْتَدَرَتْ عَيْنَايَ، قَالَ: «مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟» قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللهِ، وَمَا لِي لَا أَبْكِي وَهَذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ لَا أَرَى فِيهَا إِلَّا مَا أَرَى، وَذَاكَ قَيْصَرُ وَكِسْرَى فِي الثِّمَارِ وَالْأَنْهَارِ، وَأَنْتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَصَفْوَتُهُ، وَهَذِهِ خِزَانَتُكَ؟! فَقَالَ: «يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، أَلَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الْآخِرَةُ وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟!»، قُلْتُ: بَلَى.. الحديث[٣].

٣- وعَنْ سِمَاكِ بْنِ حَرْبٍ[٤] قَالَ: سَمِعْتُ النُّعْمَانَ ﷺ يَخْطُبُ قَالَ: ذَكَرَ عُمَرُ مَا أَصَابَ النَّاسُ مِنَ الدُّنْيَا، فَقَالَ: «لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَظَلُّ الْيَوْمَ يَلْتَوِي[٥]؛ مَا يَجِدُ دَقَلًا[٦] يَمْلَأُ بِهِ بَطْنَهُ»[٧].

٤- وعن عُرْوَةَ بن الزبير[٨] رحمه الله يروي عن خالته عَائِشَةَ ﷺ، أَنَّهَا كَانَتْ تَقُولُ:

---

(١) القرظ: ورق شجرة السلم الذي يدبغ به الجلود.
ينظر: النهاية في غريب الحديث (٤/ ٤٣) مادة (قرظ).

(٢) الأفيق: هو الجلد الذي لم يدبغ، وقيل: الجلد الذي دبغ بغير القرظ.
ينظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ٥٥) مادة (أفق).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الطلاق، باب في الإيلاء، واعتزال النساء وتخييرهن وقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ﴾ [التحريم: ٤] (٢/ ١١٠٦) ح (١٤٧٩).

(٤) الحافظ، الإمام الكبير سِمَاكُ بنُ حَرْبٍ بن أوس بن خالد بن نزار بن معاوية بن حارثة بن ربيعة بن عامر بن ذهل بن ثعلبة أبو المغيرة الذُّهلي البكري، أدرك ثمانين صحابيًّا، توفي رحمه الله سنة (١٢٣هـ).
ينظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٢٩٦)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٤٥)، الأعلام (٣/ ١٣٨).

(٥) أي: يتألم من شدة الجوع.

(٦) الدقل: رديء التمر ويابسه، وهو الذي يبقى منثورًا تحت النخلة.
ينظر: النهاية في غريب الحديث (٢/ ١٢٧) مادة (دقل).

(٧) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٨٥) ح (٢٩٧٨).

(٨) عروة بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي أبو عبد الله المدني تابعي جليل، كان فقيهًا، عالِمًا، حافظًا، ثبتًا، حجة، عالِمًا بالسير، وهو أول من صنف المغازي، أحد الفقهاء السبعة. توفي سنة (٩٣هـ) عليه
=

وَاللهِ يَا ابْنَ أُخْتِي، إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثُمَّ الْهِلَالِ، ثَلَاثَةَ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ، وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَارٌ، قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَةُ، فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتْ: الْأَسْوَدَانِ التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلَّا أَنَّهُ قَدْ كَانَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الْأَنْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَاهُ[١].

٥- وعَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: «مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُنْذُ قَدِمَ الْمَدِينَةَ مِنْ طَعَامِ بُرٍّ ثَلَاثَ لَيَالٍ تِبَاعًا، حَتَّى قُبِضَ»[٢].

٦- ومع هذا كان ﷺ إذا تيسر له شيء من نعيم الدنيا الذي أباحه الله له فإنه لا يرده، ولا يمتنع منه بحجة الزهد في الدنيا.

ودونك صورة من حياته ﷺ ملخصة من زاد المعاد من هديه ﷺ في الأمور الآتية:

طعامه ﷺ: كان من هديه ﷺ وسيرته في الطعام لا يرد موجودًا ولا يتكلف مفقودًا، فما قرب إليه شيء من الطيبات إلا أكله، إلا أن تعافه نفسه فيتركه من غير تحريم، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «مَا عَابَ النَّبِيُّ ﷺ طَعَامًا قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ، وَإِنْ كَرِهَهُ تَرَكَهُ»[٣].

وقد ترك ﷺ أكل الضب لما لم يعتده، حيث لم يكن في بيئته، ولم يحرمه على

رحمة الله.

ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٢١)، البداية والنهاية (١٢/ ٤٧٦)، الأعلام (٤/ ٢٢٦).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٨٣) ح (٢٩٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق (٤/ ٢٢٨١) ح (٢٩٧٠).

(٣) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الأطعمة، باب ما عاب النبي ﷺ طعامًا (٧/ ٧٤) ح (٥٤٠٩)، ومسلم في كتاب الأشربة، باب لا يعيب الطعام (٣/ ١٦٣٣) ح (٢٠٦٤).

الأمة، بل أُكِل على مائدته وهو ينظر(١)(٢).

لباسه ﷺ: لبس المصطفى ﷺ القميصَ، وكان أحب الثياب إليه، وكان كمه إلى الرسغ(٣).

وكان أحب الألوان إليه البياض.

وهديه في اللباس أن يلبس ما تيسر من اللباس؛ من الصوف تارة، والقطن تارة، والكتان تارة(٤)، مما أباحه الله ﷻ.

المطلب الثالث: من آثار تعلق القلب بالآخرة:

أولًا: بعده عن المعاصي ونفوره منها، والخوف من عذاب الله:

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَّن يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُۥ ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الأنعام: ١٥، ١٦].

وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الزمر: ١٣].

ثانيًا: تعلق القلب بالآخرة يبعد الداعية عن تشتت الهم في الدنيا:

---

(١) ويشير بهذا إلى حديث عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنْ خَالِدِ بْنِ الوَلِيدِ: أَنَّهُ دَخَلَ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ بَيْتَ مَيْمُونَةَ، فَأُتِيَ بِضَبٍّ مَحْنُوذٍ، فَأَهْوَى إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِيَدِهِ، فَقَالَ بَعْضُ النِّسْوَةِ: أَخْبِرُوا رَسُولَ اللهِ ﷺ بِمَا يُرِيدُ أَنْ يَأْكُلَ، فَقَالُوا: هُوَ ضَبٌّ يَا رَسُولَ اللهِ، فَرَفَعَ يَدَهُ، فَقُلْتُ: أَحَرَامٌ هُوَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «لاَ، وَلَكِنْ لَمْ يَكُنْ بِأَرْضِ قَوْمِي، فَأَجِدُنِي أَعَافُهُ» قَالَ خَالِدٌ: فَاجْتَرَرْتُهُ فَأَكَلْتُهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ يَنْظُرُ. والحديث أخرجه البخاري في كتاب الذبائح والصيد، باب الضب (٧/ ٩٧) ح (٥٥٣٧)، ومسلم في كتاب الصيد والذبائح وما يؤكل من الحيوان، باب إباحة الضب (٣/ ١٥٤٣) ح (١٩٤٦).

(٢) ينظر: زاد المعاد (١/ ١٤٢).

(٣) الرُّسْغُ: وهو موصل الْكف فِي الذِّرَاعِ.

ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣٩١)، لسان العرب (٨/ ٤٢٨) مادة (رسغ).

(٤) زاد المعاد (١/ ١٣٢، ١٣٥، ١٣٨).

في الحديث عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ، وَجَمَعَ لَهُ شَمْلَهُ، وَأَتَتْهُ الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ، وَمَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ شَمْلَهُ، وَلَمْ يَأْتِهِ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا مَا قُدِّرَ لَهُ».

وقد مر ذكر آثار الإيمان باليوم الآخر على القلب(١).

المطلب الرابع: تنبيهات مهمة حول علاقة المسلم بالدنيا من خلال الميزان الشرعي الصحيح:

وأختم هذا المبحث بتنبيهات مهمة حول علاقة المسلم بالدنيا من خلال الميزان الشرعي الصحيح، الذي يحرص الداعية على أن يعلِّمه للناس ويمتثله سلوكًا عمليًّا؛ لأنه قدوة للناس، وذلك وفق المسائل الآتية:

المسألة الأولى: القلب لا يتعلق إلا بالله وحده، ويكون همه الآخرة:

وسبقت النصوص في بيان أنه لا ينبغي أن تتعلق القلوب بالدنيا، بل تتعلق بالله وحده لا شريك له، وكذلك ينبغي أن يكون هم العبد الآخرة.

المسألة الثانية: قال تعالى: ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [القصص: ٧٧].

قال السعدي رحمه الله في معنى الآية: "﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ أي: قد حصل عندك من وسائل الآخرة ما ليس عند غيرك من الأموال، فابتغ بها ما عند الله، وتصدق ولا تقتصر على مجرد نيل الشهوات، وتحصيل اللذات، ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَا﴾ أي: لا نأمرك أن تتصدق بجميع مالك وتبقى ضائعًا، بل أنفق

---

(١) ينظر: ص (١٥٧).

لآخرتك، واستمتع بدنياك استمتاعًا لا يثلم دينك، ولا يضر بآخرتك، ﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عباد الله ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ بهذه الأموال، ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بالتكبر والعمل بمعاصي الله والاشتغال بالنعم عن المنعم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بل يعاقبهم على ذلك أشد العقوبة"(١).

المسألة الثالثة: أن يأكل العبد ويشرب ويلبس مما أباح الله له من غير إسراف ولا كبر:

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ [الأعراف: ٣١، ٣٢].

قال الشوكاني رحمه الله في معنى الآيات السابقة: "هذا خطاب لجميع بني آدم وإن كان واردًا على سبب خاص، فالاعتبار بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، والزينة: ما يتزين به الناس من الملبوس، أمروا بالتزين عند الحضور إلى المساجد للصلاة والطواف.

وقد استُدل بالآية على وجوب ستر العورة في الصلاة، وإليه ذهب جمهور أهل العلم، بل سترها واجب في كل حال من الأحوال وإن كان الرجل خاليًا كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة..

قوله: ﴿وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾ أمر الله ﷻ عباده بالأكل والشرب، ونهاهم عن الإسراف، فلا زهد في ترك مطعم ولا مشرب، وتاركه بالمرة قاتل لنفسه

(١) تفسير السعدي (٦٢٣).

وهو من أهل النار، كما صح في الأحاديث الصحيحة[١]، والمقلل منه على وجه يضعف به بدنه ويعجز عن القيام بما يجب عليه القيام به من طاعة أو سعي على نفسه وعلى من يعول مخالفٌ لما أمر الله به وأرشد إليه، والمسرف في إنفاقه على وجه لا يفعله إلا أهل السفه والتبذير مخالف لما شرعه الله لعباده، واقع في النهي القرآني، وهكذا من حرم حلالًا أو حلل حرامًا، فإنه يدخل في المسرفين ويخرج عن المقتصدين. ومن الإسراف الأكل لا لحاجة، وفي وقت شبع.

قوله: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ﴾ الزينة: ما يتزين به الإنسان من ملبوس أو غيره من الأشياء المباحة كالمعادن التي لم يرد نهي عن التزين بها والجواهر ونحوها، وقيل: الملبوس خاصة، ولا وجه له، بل هو من جملة ما تشمله الآية، فلا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة إذا لم يكن مما حرمه الله، ولا حرج على من تزين بشيء من الأشياء التي لها مدخل في الزينة ولم يمنع منها مانع شرعي، ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد غلط غلطًا بينًا.. وهكذا الطيبات من المطاعم والمشارب ونحوهما مما يأكله الناس، فإنه لا زهد في ترك الطيب منها، ولهذا جاءت الآية هذه معنونة بالاستفهام المتضمن للإنكار على من حرم ذلك على نفسه أو حرمه على غيره"[٢].

المسألة الرابعة: الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده:

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ».

---

(١) كما في صحيح مسلم (١/ ١٠٥) كتاب الإيمان، باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه، وأن من قتل نفسه بشيء عذب به في النار، وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة: قال ﷺ: «وَمَنْ قَتَلَ نَفْسَهُ بِشَيْءٍ، عَذَّبَهُ اللهُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ».

(٢) فتح القدير (٢/ ٢٢٨).

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ أَوْ مَخِيلَةٌ[١]»[٢].

وعَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا فِي غَيْرِ مَخِيلَةٍ وَلَا سَرَفٍ؛ إِنَّ اللهَ يُحِبُّ أَنْ تُرَى نِعْمَتُهُ عَلَى عَبْدِهِ»[٣].

المسألة الخامسة: نعم المال الحلال للرجل الصالح، يستعين به على أمر دينه ودنياه، قَالَ ﷺ لعمرو بن العاص ﷺ: «يَا عَمْرُو، نِعْمَ الْمَالُ الصَّالِحِ لِلْمَرْءِ الصَّالِحِ»[٤].

المسألة السادسة: إن الذي يسعى على الأرملة، والمسكين، وعلى الأبوين الكبيرين، ويجلب الرزق لأطفاله، ويسعى لإعفاف نفسه يعتبر عمله عبادة، وهو

---

(١) من الخيلاء وهو الكِبْر.
ينظر: الصحاح (٤/ ١٦٩١) مادة (خيل).

(٢) أخرجه أحمد (١١/ ٢٩٤) ح (٦٦٩٥)، والبخاري معلقًا في أول كتاب اللباس، والنسائي في كتاب الزكاة، الاختيال في الصدقة (٥/ ٧٩) ح (٢٥٥٩)، وابن ماجه واللفظ له في كتاب اللباس، باب لبس ما شئت ما أخطأك سرف أو مخيلة (٢/ ١١٩٢) ح (٣٦٠٥)، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/ ١٢٥٢) ح (٤٣٨١)، وحسن إسناده محقق المسند (١١/ ٢٩٥) ح (٦٦٩٥).

(٣) أخرجه أحمد (١١/ ٣١٢) ح (٦٧٠٨)، والحاكم في المستدرك في كتاب الأطعمة (٤/ ١٥٠) ح (٧١٨٨) وصححه ووافقه الذهبي، وقال محقق المسند (١١/ ٣١٢) ح (٦٧٠٨): "إسناده حسن".

(٤) أخرجه أحمد (٢٩/ ٢٩٩) ح (١٧٧٦٣)، والبخاري في الأدب المفرد في باب المال الصالح للمرء الصالح (١١٢) ح (٢٩٩)، وابن حبان في صحيحه في كتاب الزكاة، ذكر الإباحة للرجل الذي يجمع المال من حله إذا قام بحقوقه فيه (٨/ ٦) ح (٣٢١٠)، ومسند أبي يعلى (١٣/ ٣٢٠) ح (٧٣٣٦)، والحاكم في المستدرك في كتاب البيوع (٢/ ٣) ح (٢١٣٠) وصححه ووافقه الذهبي، وقال في مجمع الزوائد في كتاب المناقب، باب ما جاء في عمرو بن العاص ﷺ (٩/ ٣٥٣) ح (١٥٨٩٧): "ورجال أحمد وأبي يعلى رجال الصحيح"، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٢٦) ح (٢٢٩)، ت: الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٨هـ، وقال محقق المسند (٢٩/ ٢٩٩) ح (١٧٧٦٣): "إسناده صحيح على شرط مسلم".

من المجاهدين في سبيل الله.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ»، وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «وَكَالْقَائِمِ لَا يَفْتُرُ، وَكَالصَّائِمِ لَا يُفْطِرُ»(١).

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رجلٌ فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ ﷺ من جَلَدِهِ وَنَشَاطِهِ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يعفُّهَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى رِيَاءً وَمُفَاخَرَةً فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ»(٢).

وعن عمر رضي الله عنه قال: "ما جاءني أجلي في مكان ما عدا الجهاد في سبيل الله أحب إلي من أن يأتيني وأنا بين شعبتي رحلي، أطلب من فضل الله"، وتلا: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠](٣).

وعَن ابْن مَسْعُود رضي الله عنه: "أَيّمَا رجلٍ جلبَ شَيْئًا إِلَى مَدِينَةٍ من مَدَائِن الْمُسلمين صَابِرًا محتسبًا فَبَاعَهُ بِسعْرِ يَوْمِهِ كَانَ عِنْدَ اللهِ من الشُّهَدَاءِ"(٤).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الساعي على المسكين (٨/ ٩) ح (٦٠٠٧)، ومسلم واللفظ له في كتاب الزهد والرقائق، باب الإحسان إلى الأرملة والمسكين واليتيم (٤/ ٢٢٨٦) ح (٢٩٨٢).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (١٩/ ١٢٩) ح (٢٨٢)، والمعجم الصغير (٢/ ١٤٨) ح (٩٤٠) ت: مُحَمَّد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي ، دار عمار بيروت، عمان، ط١، ١٤٠٥هـ، والمنذري في الترغيب والترهيب كتاب البيوع وغيرها الترغيب في الاكتساب بالبيع وغيره (٢/ ٣٣٥) ح (٢٦١٠) وقال: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح"، وقال في مجمع الزوائد في كتاب النكاح، باب النفقات (٤/ ٣٢٥) ح (٧٧٠٩): "رواه الطبراني في الثلاثة ورجال الكبير رجال الصحيح"، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٠٦) ح (١٦٩٢): "صحيح لغيره".

(٣) شعب الإيمان (٢/ ٤٥٠)، وكنز العمال (٤/ ١٢٣).

(٤) أخرجه الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد (١٥/ ٦١٣) ح (٤٥٧٠) مرفوعًا إلى النبي ﷺ، وضعفه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٥١٦)، وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة =

المسألة السابعة: اليد العليا المنفقه خير من اليد السفلى الآخذة:

عَنْ حَكِيمِ بْنِ حِزَامٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ، وَخَيْرُ الصَّدَقَةِ عَنْ ظَهْرِ غِنًى، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللَّهُ»[(١)].

المسألة الثامنة: الإسلام يحث على العمل ويحذر من سؤال الناس:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَأَنْ يَغْدُوَ أَحَدُكُمْ، فَيَحْطِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَتَصَدَّقَ بِهِ وَيَسْتَغْنِيَ بِهِ مِنَ النَّاسِ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ رَجُلًا، أَعْطَاهُ أَوْ مَنَعَهُ ذَلِكَ، فَإِنَّ الْيَدَ الْعُلْيَا أَفْضَلُ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَى، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ»[(٢)].

وقَالَ النَّبِيَّ ﷺ: «لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ، وَلَيْسَ فِي وَجْهِهِ مُزْعَةُ لَحْمٍ»[(٣)].

قال النووي: "قيل: معناه يأتي يوم القيامة ذليلًا ساقطًا لا وجه له عند الله، وقيل: هو على ظاهره فيحشر ووجهه عظم لا لحم عليه عقوبة له"[(٤)].

وكما في حديث حَكِيم بْن حِزَامٍ ﷺ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ سَأَلْتُهُ فَأَعْطَانِي، ثُمَّ قَالَ: «يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلاَ يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى»، قَالَ حَكِيمٌ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالحَقِّ، لاَ أَرْزَأُ أَحَدًا بَعْدَكَ شَيْئًا حَتَّى أُفَارِقَ الدُّنْيَا، فَكَانَ

(١١/ ٦٩٤) ح (٥٤١٦).

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى (٢/ ١١٢) ح (١٤٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس (٢/ ٧٢١) ح (١٠٤٢).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الزكاة، باب كراهة المسألة للناس (٢/ ٧٢٠) ح (١٠٤٠).

(٤) شرح النووي على مسلم (٧/ ١٣٠).

أَبُو بَكْرٍ ﷺ يَدْعُو حَكِيمًا إِلَى العَطَاءِ، فَيَأْبَى أَنْ يَقْبَلَهُ مِنْهُ، ثُمَّ إِنَّ عُمَرَ ﷺ دَعَاهُ لِيُعْطِيَهُ فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ عُمَرُ: إِنِّي أُشْهِدُكُمْ -يَا مَعْشَرَ المسْلِمِينَ- عَلَى حَكِيمٍ أَنِّي أَعْرِضُ عَلَيْهِ حَقَّهُ مِنْ هَذَا الفَيْءِ فَيَأْبَى أَنْ يَأْخُذَهُ، فَلَمْ يَرْزَأْ حَكِيمٌ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تُوُفِّيَ(١).

المسألة التاسعة: اعمل ما في وسعك ولا تنتظر النتائج:

عن أنس ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ»(٢).

المسألة العاشرة: ترك متع الحياة الدنيا التي أباحها الله بحجة أنها تشغل عن العبادة غلو ورهبانية ورغبة عن سنة ﷺ:

عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قال: جَاءَ ثَلَاثَةُ رَهْطٍ إِلَى بُيُوتِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ يَسْأَلُونَ عَنْ عِبَادَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا أُخْبِرُوا كَأَنَّهُمْ تَقَالُّوهَا، فَقَالُوا: وَأَيْنَ نَحْنُ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ؟! قَدْ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ أَحَدُهُمْ: أَمَّا أَنَا فَإِنِّي أُصَلِّي اللَّيْلَ أَبَدًا، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَصُومُ الدَّهْرَ وَلا أُفْطِرُ، وَقَالَ آخَرُ: أَنَا أَعْتَزِلُ النِّسَاءَ فَلا أَتَزَوَّجُ أَبَدًا، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَيْهِمْ فَقَالَ: «أَنْتُمُ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا؟! أَمَا وَاللَّهِ، إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ وَأَتْقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب الاستعفاف عن المسألة (٢/ ١٢٣) ح (١٤٧٢)، ومسلم في كتاب الزكاة، باب بيان أن اليد العليا خير من اليد السفلى، وأن اليد العليا هي المنفقة وأن السفلى هي الآخذة (٢/ ٧١٧) ح (١٠٣٥).

(٢) أخرجه أحمد (٢٠/ ٢٩٦) ح (١٢٩٨١)، والبخاري في الأدب المفرد، باب اصطناع المال (١٦٨) ح (٤٧٩)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٣٨) ح (٩)، وقال محقق المسند (٢٠/ ٢٩٦) ح (١٢٩٨١): "صحيح على شرط مسلم".

(٣) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الترغيب في النكاح (٧/ ٢) ح (٥٠٦٣).

وفي صحيح مسلم لفظ مقارب: عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟! لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»(١).

المسألة الحادية عشرة: قال ابن رجب رحمه الله: "وليس الذم راجعًا إلى مكان الدنيا الذي هو الأرض التي جعلها الله لبني آدم مهادًا وسكنًا، ولا إلى ما أودع الله فيها من الجبال والبحار والأنهار والمعادن، ولا إلى ما أنبته فيها من الشجر والزرع، ولا إلى ما بث فيها من الحيوانات وغير ذلك، فإن ذلك كله من نعمة الله على عباده بما لهم فيه من المنافع، ولهم به من الاعتبار والاستدلال على وحدانية صانعه وقدرته وعظمته، وإنما الذم راجع إلى أفعال بني آدم الواقعة في الدنيا؛ لأن غالبها واقع على غير الوجه الذي تحمد عاقبته، بل يقع على ما تضر عاقبته، أو لا تنفع كما قال ﷻ: ﴿ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَـٰدِ﴾ [الحديد: ٢٠]"(٢).

وقال سعيد بن جبير(٣) رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [الحديد: ٢٠]: "متاعُ الغرور ما يُلهيك عن طلب الآخرة، وما لم يُلهك فليس بمتاع الغرور، ولكنَّه متاعُ بلاغٍ إلى ما هو خيرٌ منه"(١).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (٢/ ١٠٢٠) ح (١٤٠١).

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٧).

(٣) سعيد بن جبير بن هشام الوالبي مولاهم الكوفي الإمام، الحافظ، المقرئ، المفسر، الشهيد، أحد الأعلام، وكان من كبار علماء التابعين، قتل على يد الحجاج سنة (٩٤هـ) هذا هو المشهور، وقيل: سنة (٩٥هـ).

=

وقال يحيى بنُ معاذ الرازي[٢] رحمه الله: "كيف لا أُحِبُّ دنيا قُدِّر لي فيها قوتٌ، أكتسب بها حياةً، أُدركُ بها طاعةً، أنالُ بها الآخرة؟!"[٣].

وقال الحسن البصري رحمه الله: "نعمت الدار كانت الدُّنيا للمؤمن، وذلك أنَّه عمل قليلًا، وأخذ زاده منها إلى الجنَّة، وبئست الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنَّه ضيَّع لياليه، وكان زادُه منها إلى النار"[٤].

وسئل[٥] أبو صفوان الرعيني[٦]: أي شيء الدنيا التي ذمها الله تعالى في القرآن الذي ينبغي للعاقل أن يجتنبها؟ قال: "كلما أصبت فيها تريد به الدنيا فهو مذموم، وكلما أصبت فيها تريد به الآخرة فليس منها"[٧].

وقال أبو سليمان الداراني رحمه الله: "ليس الزاهد من ألقى هموم الدنيا، واستراح منها، إنما الزاهد من زهد في الدنيا، وتعب فيها للآخرة"[٨].

وعلق ابن رجب رحمه على قول أبي سليمان قائلًا: "فالزهد في الدنيا يراد به

= ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٣٢١) البداية والنهاية (١٢/ ٤٦٨) الأعلام (٣/ ٩٣).

(١) الزهد لابن أبي الدنيا (١٧٤).

(٢) يحيى بن معاذ الرازي الواعظ من كبار المشايخ، له كلام جيد، ومواعظ مشهورة، حكيم أهل زمانه، من كبار الصوفية. توفي رحمه الله سنة (٢٥٨هـ).
ينظر: تاريخ بغداد (١٦/ ٣٠٦)، سير أعلام النبلاء (١٣/ ١٥)، الأعلام (٨/ ١٧٢).

(٣) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٣).

(٤) الزهد لأحمد بن حنبل (٢٣٠).

(٥) وقد سأله أحمد بن أبي الحواري.
ينظر: حلية الأولياء (١٠/ ٥).

(٦) أبو صفوان بن علقمة الرعيني أحد الزهاد العارفين، حكى عن الأوزاعي، ويحيى بن حمزة القاضي، وحكى عنه أحمد بن أبي الحواري.
ينظر: تاريخ دمشق (٦٦/ ٣٠٤)، جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٣).

(٧) حلية الأولياء (١٠/ ٥).

(٨) حلية الأولياء (٩/ ٢٧٣).

تفريغ القلب منَ الاشتغال بها؛ ليتفرغ لطلب الله، ومعرفته، والقرب منه، والأُنس به، والشّوق إلى لقائه"[١].

المسألة الثانية عشرة: الزهد الذي على منهج السلف وعباراتهم في معناه:

قال أبو مسلم الخولاني[٢] رحمه الله: "ليس الزهادة في الدنيا بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، إنما الزهادة في الدنيا أن تكون بما في يدي اللَّه أوثق مما في يديك، وإذا أصبت بمصيبة كنت أشد رجاء لأجرها وذخرها من أنها لو بقيت لك"[٣].

وسئل أحمد رحمه الله: ما الزهد في الدنيا؟ قال: "قصر الأمل، والإياس مما في أيدي الناس"[٤].

وقال أحمد بن حنبل: "الزهد على ثلاثة أوجه: ترك الحرام وهو زهد العوام، والثاني: ترك الفضول من الحلال، وهو زهد الخواص، والثالث: ترك ما يشغل العبد عن الله ﷻ، وهو زهد العارفين"[٥].

وعلق ابن القيم رحمه الله على قول الإمام أحمد فقال: "وهذا الكلام من الإمام أحمد يأتي على جميع ما تقدم من كلام المشايخ، مع زيادة تفصيله وتبيين درجاته، وهو من أجمع الكلام، وهو يدل على أنه ﷺ من هذا العلم بالمحل الأعلى، وقد شهد

---

(١) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٩٨).

(٢) أبو مسلم الخولاني عبد الله بن ثوب الداراني، سيد التابعين، وزاهد العصر، فقيه عابد. أصله من اليمن. أدرك الجاهلية، وأسلم قبل وفاة النبي ﷺ ولم يره، فقدم المدينة في خلافة أبي بكر، وهاجر إلى الشام، وكان يقال: أبو مسلم حكيم هذه الأمة، مات رحمه الله بدمشق سنة (٦٢هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٧)، الأعلام للزركلي (٤/ ٧٥).

(٣) الزهد لأحمد بن حنبل (١٩).

(٤) الآداب الشرعية (٢/ ٢٤١).

(٥) الآداب الشرعية (٢/ ٢٤٢).

الشافعي رحمه الله بإمامته في ثمانية أشياء أحدها الزهد"[١].

وقال سفيان الثوري: "الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ، ولا بلبس العباء"[٢].

وفسره الفضيل بن عياض رحمه الله بالقناعة[٣].

قال شيخ الإسلام رحمه الله في تعريف الزهد: "وإن الزهد هو عما لا ينفع؛ إما لانتفاء نفعه، أو لكونه مرجوحًا؛ لأنه مفوت لما هو أنفع منه، أو محصل لما يربو ضرره على نفعه، وأما المنافع الخالصة أو الراجحة فالزهد فيها حمق"[٤].

وعلق ابن القيم رحمه الله على كلام شيخه بقوله: "هذه العبارة من أحسن ما قيل في الزهد وأجمعها"[٥].

وأعظم الزهد: الزهد في الحرام، وعلى رأسه الشرك، ويليه بقية الكبائر، ثم الصغائر، ثم ترك الفضول من المباحات التي تحول بينك وبين أداء الحقوق.

وذكر ابن رجب رحمه الله أن الزهد عند السلف له أقسام، فيقول: "وقد قسم كثير من السلف الزهد أقسامًا: فمنهم من قال: أفضل الزهد الزهد في الشرك، وفي عبادة ما عبد من دون الله، ثم الزهد في الحرام كله من المعاصي، ثم الزهد في الحلال، وهو أقل أقسام الزهد، فالقسمان الأولان من هذا الزهد كلاهما واجب، والثالث ليس بواجب، فإن أعظم الواجبات الزهد في الشرك، ثم في المعاصي كلها.

---

(١) مدارج السالكين (٢/ ١٤).

(٢) الزهد لوكيع (٢٢٢) ت: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤ هـ.

(٣) ينظر: الزهد الكبير للبيهقي (٨٠)، ت، عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.

(٤) مجموع الفتاوى (١٠/ ٦١٥).

(٥) مدارج السالكين (٢/ ١٢) مع تصرف يسير.

وكان بكر المزني يدعو لإخوانه: زهَّدَنا الله وإياكم زهد من أمكنه الحرام والذنوب في الخلوات، فعلم أن الله يراه فتركه(١)"(٢).

المسألة الثالثة عشرة: درجات الزهد:

قسم ابن القيم رحمه الله الزهد إلى: "أقسام:

زهد في الحرام، وهو فرض عين.

وزهد في الشبهات، وهو بحسب مراتب الشبهة، فإن قويت التحقت بالواجب، وإن ضعفت كان مستحبًّا.

وزهد في الفضول، وزهد فيما لا يعني من الكلام والنظر والسؤال واللقاء وغيره.

وزهد في الناس.

وزهد في النفس بحيث تهون عليه نفسه في الله.

وزهد جامع لذلك كله، وهو الزهد فيما سوى الله، وفي كل ما شغلك عنه.

وأفضل الزهد إخفاء الزهد، وأصعبه الزهد في الحظوظ"(٣).

وذكر ابن القيم رحمه الله قاعدة مهمة في معنى الزهد، فقال: "فالزهد فراغ القلب من الدنيا، لا فراغ اليدين منها"(٤).

وهذا كلام مهم في فهم السلف لمعنى الزهد، فالخلل أن يتعلق القلب بالدنيا ويغفل عن الآخرة، أما إذا كانت الدنيا في اليد وليست في القلب، فهذا مطلوب حتى لا يكون الإنسان عالة على غيره يتكفف أيدي الناس، وكما هو معلوم أن من الصحابة من أشتغل بالتجارة والزراعة، وغير ذلك من المكاسب، وهم سادة الزهاد

---

(١) الزهد لابن أبي الدنيا (٧٣) دار ابن كثير دمشق، ط١، ١٤٢٠ هـ.

(٢) جامع العلوم والحكم (٢/ ١٨٥).

(٣) الفوائد (١١٨).

(٤) عدة الصابرين(٢٦٤).

ﷺ، ونقل ابن حجر رحمه الله أنه: "قد سئل أحمد عن رجل جلس في بيته، أو في المسجد وقال: لا أعمل شيئًا حتى يأتيني رزقي، فقال: هذا رجل جهِل العلم، فقد قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رُمْحِي»، وقال: «لَوْ تَوَكَّلْتُمْ عَلَى اللَّهِ حَقَّ تَوَكُّلِهِ لَرَزَقَكُمْ كَمَا يَرْزُقُ الطَّيْرَ؛ تَغْدُو خِمَاصًا، وَتَرُوحُ بِطَانًا»، فذكر أنها تغدو وتروح في طلب الرزق.

وقال: وكان الصحابة يتَّجرون ويعملون في نخيلهم، والقدوة بهم"(١)

المسألة الرابعة عشرة: الزهد المنحرف عن منهج أهل السنة هو الزهد الصوفي(٢)، وهذه إشارات لبعض مظاهره(٣) مع الرد عليها:

١- ترك الدنيا والابتعاد عنها بالكلية وعدم الاهتمام بها:

قال أبو علي الدقاق رحمه الله: "الزهد أَن تترك الدنيا كما هي، لا تقول: أبني رباطًا أو أعمر مسجدًا"(٤).

وقال أبو عثمان الحيري رحمه الله: "الزهد أن تترك الدنيا ثم لا تبالي بمن أخذها"(٥).

الرد على هذا:

ترك الدنيا بالكلية ليس من الزهد المشروع، فالدنيا مزرعة الآخرة، وترك الدنيا والانزواء عنها مخالف للنصوص التي سيقت في التنبيهات السابقة، وأكتفي هنا بذكر دليل واحد يبطل هذا المنهج، ففي صحيح مسلم عَنْ أَنَسٍ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ

---

(١) فتح الباري (١١/ ٣٠٥-٣٠٦).

(٢) ينظر تعريف الصوفية في ص (١٢٣).

(٣) ينظر: أعمال القلوب بين المتكلمين والصوفية (٢٨٤-٢٩٦).

(٤) الرسالة القشيرية (١/ ٢٤٠) للقشيري، ت: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، دار المعارف القاهرة.

(٥) الرسالة القشيرية (١/ ٢٤٠).

ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟! لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

٢- الحث على الفقر والترغيب فيه:

قال بشر بن الحارث رحمه الله: "أفضل المقامات اعتقاد الصبر على الفقر إلى القبر"[١].

وقال ذو النون[٢] رحمه الله: "علامة سخط الله على العبد خوفه من الفقر"[٣].

ويقول إبراهيم بن أدهم[٤] رحمه الله: "لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات"، وذكر منها: "والخامس: أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر"[٥].

سئل أبو يزيد البسطامي[٦] رحمه الله: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ فقال:

---

(١) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٣٣).

(٢) ذو النون المصري ثوبان بن إبراهيم الزاهد العابد، شيخ الديار المصرية، أبو الفيض، ثوبان بن إبراهيم الإخميميّ، وكان حكيمًا فصيحًا زاهدًا، وهو أول من تكلم بمصر في (ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية) فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم. واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه. ثم أطلقه، فعاد إلى مصر، توفي رحمه الله سنة (٢٤٥هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٩/ ٣٧٣)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٥٣٢)، الأعلام (٢/ ١٠٢).

(٣) الرسالة القشيرية (٢/ ٤٣٣).

(٤) إبراهيم بن أدهم بن منصور القدوة، الإمام، العارف، سيد الزهاد، أبو إسحاق العجلي وقيل: التميمي الخراساني، البلخي، نزيل الشام، قال النسائي: هو ثقة، مأمون، أحد الزهاد. توفي رحمه الله سنة (١٦٢هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٨٧)، البداية والنهاية (١٣/ ٤٩٤)، الأعلام (١/ ٣١).

(٥) الرسالة القشيرية (١/ ٢١٧).

(٦) اسمه: طيفور بن عيسى بن آدم بن عيسى بن علي، أحد مشايخ الصوفية، وكان جده مجوسيًّا فأسلم، وقال: إذا نظرتم إلى الرجل أعطي من الكرامات حتى يرتفع في الهواء، فلا تغتروا به حتى تنظروا كيف =

"ببطن جائع وبدن عار"[١].

الرد على هذا:

جاءت النصوص بالاستعاذة من الفقر والكفر، وقرن النبي ﷺ بينهما في الاستعاذة فقال ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْكُفْرِ، وَالْفَقْرِ، وَعَذَابِ الْقَبْرِ»[٢].

٣- ترك الزواج بحجة الزهد في الدنيا:

نقل الغزالي عن الداراني رحمه الله: "من تزوج، أو سافر في طلب المعيشة، أو كتب الحديث فقد ركن إلى الدنيا"[٣].

ويقول أبو سليمان الداراني رحمه الله: "الذي يريد الولد أحمق، لا للدنيا ولا للآخرة، إن أراد أن يأكل أو ينام أو يجامع نغص عليه، وإن أراد أن يتعبد شغله"[٤].

ويقول الداراني أيضًا: "العيال يضعفون يقين الرجل؛ إنه إذا كان وحده فجاع

تجدونه عند الأمر والنهي وحفظ الحدود وأداء الشريعة. وقد حكي عنه كلمات فيها شطح، الشّأن فِي صحّتها عَنْهُ، ولا تصحّ عن مسلمٍ، فضلًا عن مثل أبي يزيد، منها: سبحاني، وقوله عن نفسه: ما في الجبة إلا الله، وغيرها. ويقول الذهبي عن كلامه: "وحاشى مسلِم فاسق من قول هذا أو اعتقاده يا حيّ يا قيوم ثبِّتْنا بالقول الثّابت. وبعض العلماء يقول: هَذَا الكلام مقتضاه ضلاله، ولكن له تفسير وتأويل يخالف ظاهره، فالله أعلم". وكانت وفاته سنة (٢٦١هـ) رحمه الله.

ينظر: البداية والنهاية (١٤/ ٥٥٦)، تاريخ الإسلام (٦/ ٣٤٥).

(١) الرسالة القشيرية (١/ ٥٧).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٤/ ١٧) ح (٢٠٣٨١)، والنسائي في كتاب السهو، باب التعوذ في دبر الصلاة (٣/ ٧٣) ح (١٣٤٧)، وابن حبان (٣/ ٣٠٣) ح (١٠٢٨)، والحاكم في المستدرك (١/ ٩٠) ح (٩٩) وقال: "حديث صحيح على شرط مسلم" ووافقه الذهبي، وابن خزيمة (١/ ٣٨٩) ح (٧٤٧)، وقال الألباني في تمام المنة (٢٣٣): "وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي وهو كما قالا"، وكتاب تمام المنة في التعليق على فقه السنة، للألباني ، دار الراية، ط٥، وقال محقق المسند (٣٤/ ١٧) ح (٢٠٣٨١): "إسناده قوي على شرط مسلم".

(٣) إحياء علوم الدين (٤/ ٢٢٩).

(٤) حلية الأولياء (٩/ ٢٦٤).

قنع، وإذا كان له عيال طلب لهم، وإذا جاع الطالب فقد ضعف اليقين"(١).

ويكفي في الرد ما رواه أَنَسٍ ﷺ أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ سَأَلُوا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ عَمَلِهِ فِي السِّرِّ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا آكُلُ اللَّحْمَ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَا أَنَامُ عَلَى فِرَاشٍ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ فَقَالَ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟! لَكِنِّي أُصَلِّي وَأَنَامُ، وَأَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي».

٤- تعذيب الجسد بحجة الارتقاء بالروح حتى يصل الواحد منهم إلى مرتبة الولاية:

يقول إبراهيم بن أدهم رحمه الله: "لن ينال الرجل درجة الصالحين حتى يجوز ست عقبات:

أولها: أن يغلق باب النعمة ويفتح باب الشدة.

والثاني: أن يغلق باب العز ويفتح باب الذل.

والثالث: أن يغلق باب الراحة ويفتح باب الجهد.

والرابع: أن يغلق باب النوم ويفتح باب السهر.

والخامس: أن يغلق باب الغنى ويفتح باب الفقر.

والسادس: أن يغلق باب الأمل ويفتح باب الاستعداد للموت"(٢).

وسئل أبو يزيد البسطامي رحمه الله: بأي شيء وجدت هذه المعرفة؟ فقال: "ببطن جائع وبدن عار"(٣).

ويقول الجنيد رحمه الله: "ما أخذنا التصوف عن القيل والقال، لكن عن الجوع

---

(١) حلية الأولياء (٩/ ٢٦٠).

(٢) الرسالة القشيرية (١/ ٢١٧).

(٣) الرسالة القشيرية (١/ ٥٧).

وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات"[١].

وفي الرد على هذا ما ورد من حديث النبي ﷺ في الاستعاذة بالله من الجوع، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ صَلَّى عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ؛ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ؛ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ»[٢].

فلو كان تعذيب الجسد بالجوع المجرد أمرًا مرغوبًا فيه لما تعوذ منه النبي ﷺ ووصفه بأنه بئس الضجيع، ومعنى الضجيع: من ينام في فراشك، أي: بئس الصاحب الجوع؛ لأنه يعيق عن أداء العبادة على أكمل وجه، ويشوش الدماغ، ويثير الأفكار الفاسدة والخيالات الباطلة[٣].

وتعذيب الجسد ليس من منهج الإسلام، بل هو من المناهج الضالة، مستقى من صوفية الهنود ورهبانية النصارى.

المسألة الخامسة عشرة: رد مجمل على ما ذكر من أقوال أهل التصوف في الزهد:

وإن الناظر إلى ما سبق من الأقوال ليظهر له بجلاء انحرافها عن المنهج الحق في الزهد، وأنها غلت في رهبانية لا يقرُّها الإسلام، وفيها مخالفة صريحة لنصوص الكتاب والسنة التي مر ذكر بعضها، والمتأمل في هذه الأقوال يرى تأثرها بفلسفات صوفية

---

(١) الرسالة القشيرية (١/ ٧٨).

(٢) أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة، باب في الاستعاذة (٢/ ٩١) ح (١٥٤٧)، والنسائي في كتاب الاستعاذة، باب الاستعاذة من الجوع (٨/ ٢٦٣) ح (٥٤٦٨)، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب التعوذ من الجوع (٢/ ١١١٣) ح (٣٣٥٤)، وابن حبان في صحيحه في باب الاستعاذة، ذكر ما يستحب للمرء أن يتعوذ بالله جل وعلا من الجوع والخيانة (٣/ ٣٠٤) ح (١٠٢٩)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٥٥) ح (٣٠٠٢)، وقوى إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٢/ ٦٤٦) ح (١٥٤٧).

(٣) ينظر: حاشية السندي على سنن ابن ماجه (٢/ ٣٢٢)، دار الجيل- بيروت بدون طبعة.

الهند[١]، وصوفية الفرس واليونان[٢].

---

(١) كالهندوسية والبوذية.

(٢) وتكلمت الموسوعة الميسرة عن أطوار الزهد عند الصوفية، وقسمته إلى ثلاث طبقات، ولكل طبقة سماتها ورجالها، ودونكها ملخصة:

ظهر في القرنين الثالث والرابع الهجري ثلاث طبقات من المنتسبين إلى التصوف وهي:

الطبقة الأولى: وتمثل التيار الذي اشتهر بالصدق في الزهد إلى حد الوساوس، والبعد عن الدنيا والانحراف في السلوك والعبادة على وجه يخالف ما كان عليه الصدر الأول من الرسول ﷺ وصحابته بل وعن عبّاد القرن السابق له، ولكنه كان يغلب على أكثرهم الاستقامة في العقيدة، والإكثار من دعاوى التزام السنة ونهج السلف، وإن كان ورد عن بعضهم -مثل الجنيد- بعض العبارات التي عدها العلماء من الشطحات، ومن أشهر رموز هذا الطبقة: الجنيد، والداراني، وسهل التستري، والسري السقطي، ومعروف الكرخي، وأتى بعدهم ممن سار على طريقتهم مثل: أبي عبد الرحمن السلمي..

وقد اشترطوا على من يريد السير معهم في طريقتهم أن يَخْرُجَ من ماله، وأن يُقلَّ من غذائه، وأن يترك الزواج ما دام في سلوكه.

كثر الاهتمام بالوعظ والقصص مع قلة العلم والفقه والتحذير من تحصيلهما في الوقت الذي اقتدى أكثرهم بسلوكيات رهبان ونُسَّاك أهل الكتاب حيث حدث الالتقاء ببعضهم، مما زاد في البعد عن سمت الصحابة وأئمة التابعين.

الطبقة الثانية: خلطت الزهد بعبارات الباطنية، وانتقل فيها الزهد من الممارسة العملية والسلوك التطبيقي إلى مستوى التأمل التجريدي والكلام النظري، ولذلك ظهر في كلامهم مصطلحات: الوحدة، والفناء، والاتحاد، والحلول، والسكر، والصحو، والكشف، والبقاء، والمريد، والعارف، والأحوال، والمقامات، وشاع بينهم التفرقة بين الشريعة والحقيقة، وتسمية أنفسهم أرباب الحقائق وأهل الباطن، وسموا غيرهم من الفقهاء أهل الظاهر والرسوم مما زاد العداء بينهما، وغير ذلك مما كان غير معروف عند السلف الصالح من أصحاب القرون المفضلة ولا عند الطبقة الأولى من المنتسبين إلى الصوفية، مما زاد في انحرافها، فكانت بحق تمثل البداية الفعلية لما صار عليه تيار التصوف حتى الآن.

ومن أشهر أعلام هذه الطبقة: أبو يزيد البسطامي ت٢٦٣هـ، ذو النون المصري ت٢٤٥هـ، الحلاج ت٣٠٩هـ، أبو سعيد الخزار ٢٧٧-٢٨٦هـ، الحكيم الترمذي ت٣٢٠هـ، أبو بكر الشبلي ٣٣٤هـ.

الطبقة الثالثة: وفيها اختلط التصوف بالفلسفة اليونانية، وظهرت أفكار الحلول والاتحاد ووحدة الوجود، على أن الموجود الحق هو الله، وما عداه فإنها صور زائفة وأوهام وخيالات موافقة لقول الفلاسفة، كما أثرت في ظهور نظريات الفيض والإشراق على يد الغزالي والسهروردي. وبذلك تعد هذه الطبقة من أخطر الطبقات والمراحل التي مر بها التصوف والتي تعدت به مرحلة البدع العملية إلى البدع العلمية التي

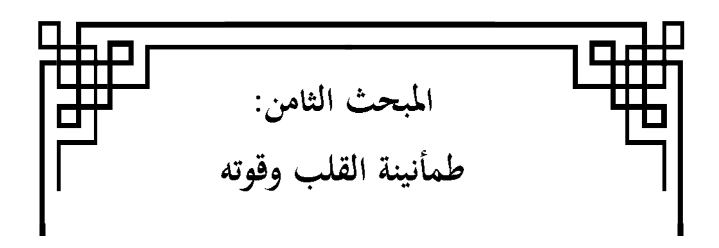
=

=

بها يخرج التصوف عن الإسلام بالكلية.

ومن أشهر رموز هذه الطبقة: الحلاج ت٣٠٩هـ، السهروردي ٥٨٧هـ، ابن عربي ت٦٣٨هـ، ابن الفارض ٦٣٢هـ، ابن سبعين ت ٦٦٧هـ.

ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة (١/ ٢٥٢-٢٥٦).



المبحث الثامن: طمأنينة القلب وقوته

ومن آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية طمأنينة قلبه وقوته، فلا تهزه عواصف الفتن، ولا تميل به رياح الشهوات، ولا يرجف به المرجفون، بل هو ثابت كالطود الأشم(١)، مطمئن القلب بما هو عليه من الحق، قوي شجاع لا يتزحزح عن مبادئه، يواجه الباطل بقوة الحق التي لا يقف أمامها الباطل بل يزهق، ويذهب مهزومًا حقيرًا مدحورًا، قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: ١٨].

إن الباطل لا يستطيع أن يصمد أمام أهل الحق الذين اطمأنت قلوبهم بما معهم من الحق، وكانت قلوبهم قوية متعلقة بالله تعالى، فهي لا تضعف ولا يدب إليها الوهن مهما كانت قوة الباطل وصلفه.

قال تعالى عن المؤمنين الذين امتلأت قلوبهم طمأنينة بما معهم من الحق وثقة في الله وقوة به: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٣-١٧٥].

وهكذا القلوب إذا اتصلت بالله وصدقت معه، فإن الله يثبتها على الحق،

---

(١) الجبل العظيم المرتفع القمة.

ينظر: الصحاح (٥/ ١٩٦٢) مادة (شمم)، مقاييس اللغة (٣/ ٤٣٠) مادة (طود).

ويطمئن القلب به ويقوى، ولا يفت في عضدها ولا يخيفها إرجاف الشياطين وأوليائهم، وذلك بسبب قوة الإيمان في القلوب، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

وقد وصف ابن كثير رحمه الله حال أصحاب النبي ﷺ حينما صدقوا مع الله وامتثلوا هذا الدين قولًا وفعلًا، فقال: "وقد كان للصحابة رضي الله عنهم في باب الشجاعة والائتمار بأمر الله وامتثال ما أرشدهم إليه ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنهم ببركة الرسول -صلوات الله وسلامه عليه- وطاعته فيما أمرهم فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم من الروم والفرس والترك والصقالبة(١) والبربر(٢) والحبوش(٣) وأصناف السودان والقبط وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم، إنه كريم وهاب"(٤).

---

(١) الصقالبة هم جيل حمر الألوان، صهب الشعور يتاخمون بلاد الخزر، في أعالي جبال الروم. وقيل: الصقالبة بلاد بين بلغار وقسطنطينية، وصار يطلق على الموالي الذين جلبوا من بلاد البلغار والقوقاز وما حولها، وأصبحوا أحد عناصر المجتمع الأندلسي والمغاربي.

ينظر: معجم البلدان (٣/ ٤١٦)، مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع (٢/ ٨٤٧)، الموسوعة الحرة على الشبكة.

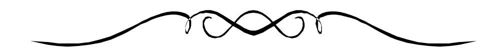
(٢) مجموعة عرقية ثقافية يسكنون شمال أفريقيا مختلفة عن العرب، وهم السكان الأصليون للشمال الأفريقي، ولما جاء الإسلام دخلوا فيه وظهر منهم العلماء والقادة، وهم قبائل وشعوب كثيرة.

ينظر: المسالك والممالك للبكري (١/ ٣٢٩)، معجم البلدان (١/ ٣٦٨)، موقع إسلام ويب على الشبكة.

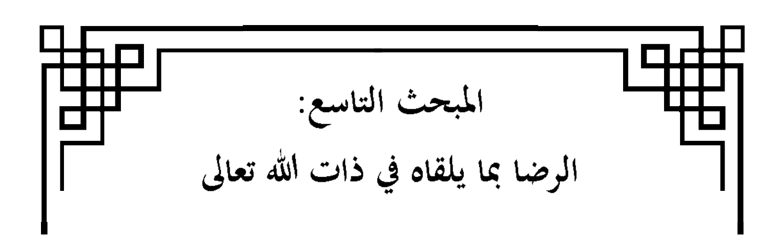
(٣) يطلق على سكان الحبشة.

(٤) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٢).

وحقيقة الأمر أن الدعوة إلى الله تعالى إنما تؤتى من قبل أصحابها، ويؤتى الداعية من قبل قلبه وضعف إيمانه، وطمأنينته بغير الحق الذي معه، فإذا حصل الخلل في أعمال القلوب، ضعفت طمأنينة القلب بما معه من الحق، وفي المقابل يسلط الله أهل الباطل عليه عقوبة له، وبالتالي يضعف دفاعه عن الحق بسبب ضعف قلبه، فيصير فتنة لكل مفتون، نسأل الله العافية والسلامة.







المبحث التاسع:
الرضا بما يلقاه في ذات الله تعالى

إن رضا الداعية بما يلقاه في ذات الله من أذى إنما هو ثمرة من ثمرات تحقيق أعمال القلب، الذي يثمر له الصبر على ما يلقاه في ذات الله، ويرزقه الله الرضا بما يلقاه في ذاته، فيجد لذته في قلبه، وكلما قوي عمل القلب وجد لذة فيما يلقاه في ذات الله، ودونك نموذجًا يظهر فيه ذلك، وهم سحرة فرعون، يعلنون الرضا بما يلقونه في ذات الله، عندما توعدهم فرعون بالعقوبة التي ظن أنها سترهبهم، وتعيدهم إلى ما كانوا عليه من الطاعة والتقرب له، ولكن القوم ذاقوا حلاوة الإيمان، وعرفوا مرارة الكفر والعصيان، فأصبحوا يجدون لذة فيما يصيبهم في ذات الله، وهكذا الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب، يثبت صاحبه على الحق ثبات الجبال الراسخات، فلا تهزه العواصف، ولا يتزحزح عن الحق الذي معه مهما كانت قوة الباطل وصلفه.

ولنعش مع أحداث هذه القصة كما يذكرها ربنا ﷻ في أكثر من سياق، فيقول تعالى: ﴿قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُواْ مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْاْ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيْرَ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٤٣-٥١].

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ ﴿٦٥﴾ قَالَ بَلْ أَلْقُواْ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾ فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ

خِيفَةً مُّوسَىٰ ﴿٦٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٦٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوٓا۟ ۖ إِنَّمَا صَنَعُوا۟ كَيْدُ سَـٰحِرٍ ۖ وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ ﴿٦٩﴾ فَأُلْقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَـٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾ قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَـٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾ قَالُوا۟ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَـٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ إِنَّمَا تَقْضِى هَـٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَآ ﴿٧٢﴾ إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَـٰيَـٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾ إِنَّهُۥ مَن يَأْتِ رَبَّهُۥ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُۥ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿٧٤﴾ وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَـٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ مَن تَزَكَّىٰ﴾ [طه: ٦٥-٧٦].

وهذا نموذج آخر على الرضا بما يلقاه في ذات الله: فعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَشَرَةَ رَهْطٍ(١) سَرِيَّةً عَيْنًا(٢)، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيَّ جَدَّ عَاصِمِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ، فَانْطَلَقُوا حَتَّى إِذَا كَانُوا بِالهَدَأَةِ(٣) -وَهُوَ

(١) الرهط في اللغة: يطلق على المجموعة من الثلاثة إلى العشرة.
ينظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ٤٥٠) مادة (رهط).

(٢) السرية قطعة من الجيش أكثرها أربعمائة، وسموا بذلك لأنهم يكونون خلاصة العسكر وخيارهم، مِن الشيء السَّرِيّ النَّفِيس، وقيل: أصلها من السرى لأنها تخرج في الليل حتى لا يعلم بها أحد.
ينظر: غريب الحديث لابن قتيبة (١/ ٢٢٧)، ت: عبد الله الجبوري، مطبعة العاني بغداد، ط١، ١٣٩٧هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٦٣).مادة (سرى)، والمقصود من إرسال هذه السرية تتبع أخبار العدو.

(٣) ويسمى أيضًا بالْهَدَّة، وهو الموقع الذي حصلت فيه مقتلة الصحابة وهو أسفل الهدة ويسمى الرجيع، وهو ماء يعرف باسم «الْوَطِيَّة»، يقع شمال مكة على مسافة سبعين كلم، ويقع في شرق عسفان يسار الخارج من عسفان إلى مكة، وتسمى المنطقة كلها اليوم بهدى الشام.

=

بَيْنَ عُسْفَانَ وَمَكَّةَ- ذُكِرُوا لِحَيٍّ مِنْ هُذَيْلٍ يُقَالُ لَهُمْ: بَنُو لَحْيَانَ، فَنَفَرُوا لَهُمْ قَرِيبًا مِنْ مِائَتَيْ رَجُلٍ كُلُّهُمْ رَامٍ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ حَتَّى وَجَدُوا مَأْكَلَهُمْ تَمْرًا تَزَوَّدُوهُ مِنَ المَدِينَةِ، فَقَالُوا: هَذَا تَمْرُ يَثْرِبَ، فَاقْتَصُّوا آثَارَهُمْ، فَلَمَّا رَآهُمْ عَاصِمٌ وَأَصْحَابُهُ لَجَئُوا إِلَى فَدْفَدٍ[1] وَأَحَاطَ بِهِمُ القَوْمُ، فَقَالُوا لَهُمْ: انْزِلُوا وَأَعْطُونَا بِأَيْدِيكُمْ، وَلَكُمُ العَهْدُ وَالمِيثَاقُ، وَلاَ نَقْتُلُ مِنْكُمْ أَحَدًا، قَالَ عَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ أَمِيرُ السَّرِيَّةِ: أَمَّا أَنَا فَوَاللهِ لاَ أَنْزِلُ اليَوْمَ فِي ذِمَّةِ كَافِرٍ، اللَّهُمَّ أَخْبِرْ عَنَّا نَبِيَّكَ، فَرَمَوْهُمْ بِالنَّبْلِ فَقَتَلُوا عَاصِمًا فِي سَبْعَةٍ، فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ ثَلاَثَةُ رَهْطٍ بِالعَهْدِ وَالمِيثَاقِ، مِنْهُمْ خُبَيْبٌ الأَنْصَارِيُّ، وَابْنُ دَثِنَةَ، وَرَجُلٌ آخَرُ، فَلَمَّا اسْتَمْكَنُوا مِنْهُمْ أَطْلَقُوا أَوْتَارَ قِسِيِّهِمْ[2] فَأَوْثَقُوهُمْ، فَقَالَ الرَّجُلُ الثَّالِثُ: هَذَا أَوَّلُ الغَدْرِ، وَاللهِ لاَ أَصْحَبُكُمْ؛ إِنَّ لِي فِي هَؤُلاَءِ لَأُسْوَةً، يُرِيدُ القَتْلَى، فَجَرَّرُوهُ وَعَالَجُوهُ عَلَى أَنْ يَصْحَبَهُمْ فَأَبَى فَقَتَلُوهُ، فَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَابْنِ دَثِنَةَ حَتَّى بَاعُوهُمَا بِمَكَّةَ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ، فَابْتَاعَ خُبَيْبًا بَنُو الحَارِثِ بْنِ عَامِرِ بْنِ نَوْفَلِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ قَتَلَ الحَارِثَ بْنَ عَامِرٍ يَوْمَ بَدْرٍ، فَلَبِثَ خُبَيْبٌ عِنْدَهُمْ أَسِيرًا، فَأَخْبَرَنِي عُبَيْدُ اللهِ بْنُ عِيَاضٍ أَنَّ بِنْتَ الحَارِثِ أَخْبَرَتْهُ: أَنَّهُمْ حِينَ اجْتَمَعُوا اسْتَعَارَ مِنْهَا مُوسَى يَسْتَحِدُّ بِهَا، فَأَعَارَتْهُ، فَأَخَذَ ابْنًا لِي وَأَنَا غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ، قَالَتْ: فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخِذِهِ وَالمُوسَى بِيَدِهِ، فَفَزِعْتُ فَزْعَةً عَرَفَهَا خُبَيْبٌ فِي وَجْهِي، فَقَالَ: تَخْشَيْنَ أَنْ أَقْتُلَهُ؟! مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ، وَاللهِ مَا رَأَيْتُ أَسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ خُبَيْبٍ، وَاللهِ لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا

=

ينظر: المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (١٢٥) لمحمد بن محمد حسن شُراب، دار القلم الشامية بيروت، دمشق، ط١، ١٤١١هـ، معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (١٣٨)، معجم معالم الحجاز (١٨٢٥) لعاتق البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع مكة المكرمة، ط٢، ١٤٣١هـ.

(١) الفدفد: المكان المرتفع فيه صلابة.

ينظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٥٣) مادة: (فد).

(٢) القسي جمع قوس، وهي آلة رمي النبال.

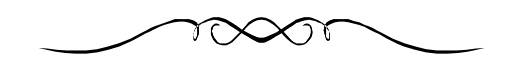
ينظر: لسان العرب(٦/١٨٥) مادة (قوس)، وينظر أيضاً: غريب الحديث للخطابي(٣/٢٣٣) ، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢ هـ..

يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ، وَإِنَّهُ لَمُوثَقٌ فِي الحَدِيدِ، وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ ثَمَرٍ، وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللَّهِ رَزَقَهُ خُبَيْبًا، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الحِلِّ قَالَ لَهُمْ خُبَيْبٌ: ذَرُونِي أَرْكَعْ رَكْعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ، فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلاَ أَنْ تَظُنُّوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا.

مَــا أُبَـالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًـا ... عَلَى أَيِّ شِقٍّ كَانَ لِلَّهِ مَصْرَعِي

وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الإِلَهِ وَإِنْ يَشَأْ ... يُبَارِكْ عَلَـى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعِ

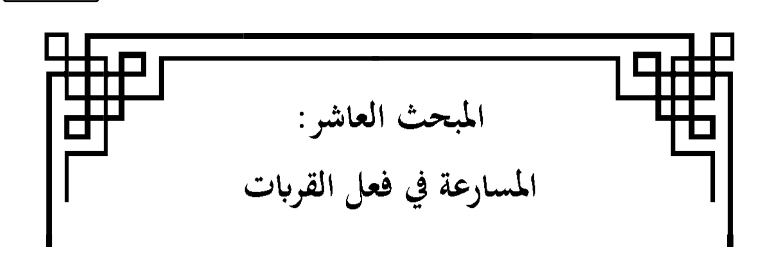
فَقَتَلَهُ ابْنُ الحَارِثِ، فَكَانَ خُبَيْبٌ هُوَ سَنَّ الرَّكْعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا[١]، فَاسْتَجَابَ اللَّهُ لِعَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ يَوْمَ أُصِيبَ، فَأَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ خَبَرَهُمْ، وَمَا أُصِيبُوا، وَبَعَثَ نَاسٌ مِنْ كُفَّارِ قُرَيْشٍ إِلَى عَاصِمٍ حِينَ حُدِّثُوا أَنَّهُ قُتِلَ لِيُؤْتَوْا بِشَيْءٍ مِنْهُ يُعْرَفُ، وَكَانَ قَدْ قَتَلَ رَجُلًا مِنْ عُظَمَائِهِمْ يَوْمَ بَدْرٍ، فَبُعِثَ عَلَى عَاصِمٍ مِثْلُ الظُّلَّةِ مِنَ الدَّبْرِ[٢]، فَحَمَتْهُ مِنْ رَسُولِهِمْ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَنْ يَقْطَعَ مِنْ لَحْمِهِ شَيْئًا[٣].



(١) القتل صبرًا: كل من قتل في غير معركة، ولا حرب، ولا خطأ، فإنه مقتول صبرًا.
ينظر: عون المعبود وحاشية ابن القيم(٧/ ٢٥١).

(٢) أي: مثل السحابة من الزنابير، وقيل: هي ذكور النحل.
ينظر: فتح الباري لابن حجر (٧/ ٣٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب هل يستأسر الرجل ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين عند القتل (٤/ ٦٧) ح (٣٠٤٥).



المبحث العاشر: المسارعة في فعل القربات

ومن أثر أعمال القلوب على الداعية في نفسه: مسارعته ومسابقته إلى أسباب رضوان الله، مجتهدًا في إقامة الفرائض، حريصًا على التقرب إلى الله بكثرة النوافل.

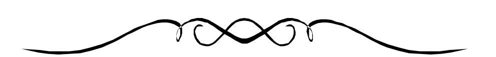
قال تعالى في وصف عباده الصالحين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وقال تعالى عنهم: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠، ٦١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» الحديث.

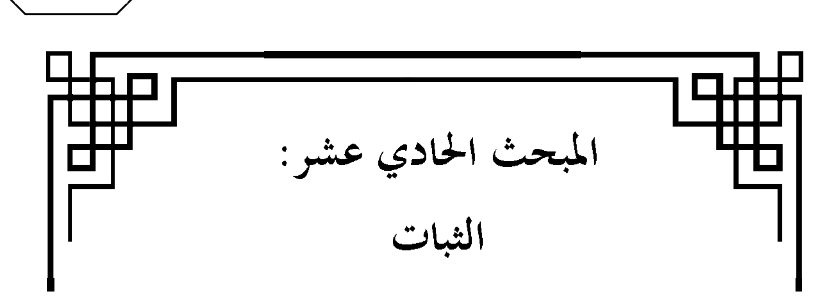
والمسارعة إلى الطاعات والإكثار من فعل القربات له أثره على الداعية في نفسه مما يعينه على تحمل أعباء الدعوة وتكاليفها الثقيلة؛ ولهذا وجه الله نبيه لقيام الليل؛ ليتمكن من حمل ما سيلقى عليه من القول الثقيل، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾ أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ [المزمل: ١-٥].

وقد سبق الكلام على أثر العبادات في صلاح القلب[1].



(١) ينظر: ص (١٦٠).



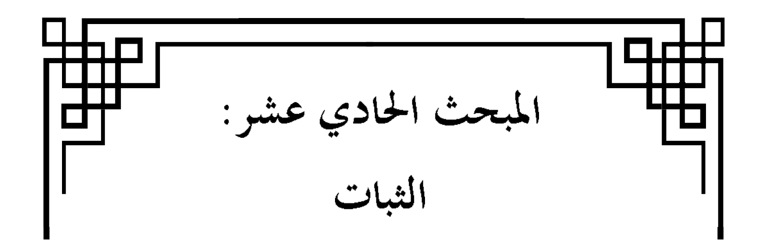


المبحث الحادي عشر: الثبات

المطلب الأول: يثبته الله أمام الابتلاء والفتن التي تواجهه في حياته، وفي دعوته.

المطلب الثاني: يثبته الله على المنهج الحق في دعوته إلى الله تعالى، ويحميه من الانحراف عنه.

المطلب الثالث: يثبته الله عند الموت وفي القبر.



المبحث الحادي عشر: الثبات

توطئة:

ومن الآثار العظيمة لتحقيق عمل القلب على الداعية أن الله يثبته في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

قال السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى أنه يثبت عباده المؤمنين، أي: الذين قاموا بما عليهم من إيمان القلب التام الذي يستلزم أعمال الجوارح ويثمرها، فيثبتهم الله في الحياة الدنيا عند ورود الشبهات بالهداية إلى اليقين، وعند عروض الشهوات بالإرادة الجازمة على تقديم ما يحبه الله على هوى النفس ومراداتها.

وفي الآخرة عند الموت بالثبات على الدين الإسلامي والخاتمة الحسنة، وفي القبر عند سؤال الملكين للجواب الصحيح، إذا قيل للميت: من ربك؟ وما دينك؟ ومن نبيك؟ هداهم للجواب الصحيح بأن يقول المؤمن: الله ربي، والإسلام ديني، ومحمد نبيي. ﴿وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ عن الصواب في الدنيا والآخرة، وما ظلمهم الله ولكنهم ظلموا أنفسهم"(١).

وقال رحمه الله في موطن آخر: "وأصل الثبات: ثبات القلب وصبره، ويقينه عند ورود كل فتنة، فقال: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي

(١) تفسير السعدي (٤٢٥).

ٱلْأَخِرَةِ﴾، فأهل الإيمان أهدى الناس قلوبًا، وأثبتهم عند المزعجات والمقلقات، وذلك لما معهم من الإيمان"(١).

فيكون هذا الثبات في عدة أمور، يتم الحديث عنها وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: يثبته الله أمام الابتلاء والفتن التي تواجهه في حياته، وفي دعوته.

المطلب الثاني: يثبته الله على المنهج الحق في دعوته إلى الله تعالى، ويحميه من الانحراف عنه.

المطلب الثالث: يثبته الله عند الموت وفي القبر.

المطلب الأول: يثبته الله أمام الابتلاء والفتن التي تواجهه في حياته، وفي دعوته:

قال تعالى في بيان أن الفتنة لكل مؤمن أمر لا بد منه، والدعاة منهم: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

ولكن قد يصيب الدعاة إلى الله من الفتنة والبلاء أكثر من غيرهم، بحسب صلابة دينهم، ولكونهم ورثة الأنبياء في هذا العمل العظيم، عن سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ بَلَاءً؟ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الْأَمْثَلُ فَالْأَمْثَلُ، يُبْتَلَى الْعَبْدُ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ صُلْبًا، اشْتَدَّ بَلَاؤُهُ، وَإِنْ كَانَ فِي دِينِهِ رِقَّةٌ، ابْتُلِيَ عَلَى حَسَبِ دِينِهِ، فَمَا يَبْرَحُ الْبَلَاءُ بِالْعَبْدِ حَتَّى يَتْرُكَهُ يَمْشِي عَلَى الْأَرْضِ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»(٢).

---

(١) تفسير السعدي (٨٦٧).

(٢) أخرجه أحمد (٣/ ٧٨) ح (١٤٨١)، والترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٤/ ٦٠١) ح (٢٣٩٨) وقال: "حسن صحيح"، وابن ماجه واللفظ له في كتاب الفتن، باب الصبر على =

ولكن الله لا يتخلى عن عبده المؤمن في وقت الشدائد والفتن، فيعطيه من أسباب الثبات بقدر ما معه من الإيمان والعمل الصالح كما سبق.

ويقول ﷺ: «تَعَرَّفْ إِلَى اللهِ فِي الرَّخَاءِ يَعْرِفْكَ فِي الشِّدَّةِ»(١).

وكذلك ابتلاء الله لعبده يدل على محبته له، قَالَ ﷺ: «عِظَمُ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللَّهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ، فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السُّخْطُ»(٢).

وأصل البلاء: الاختبار(٣)، ويكون بالخير والشر كما قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥].

البلاء (٢/ ١٣٣٤) ح (٤٠٢٣)، وابن حبان في صحيحه في كتاب الجنائز، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من توطين النفس على تحمل ما يستقبلها من المحن والمصائب (٧/ ١٦١) ح (٢٩٠١)، والحاكم في المستدرك في كتاب الإيمان (١/ ٩٩) ح (١٢٠) وصححه وأقره الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٣٢٩) ح (٣٤٠٢)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ١٥٢) ح (٤٠٢٣).

(١) أخرجه أحمد في المسند (٥/ ١٩) ح (٢٨٠٢)، والمعجم الكبير للطبراني (١١/ ٢٢٣) ح (١١٥٦٠) وهذا لفظه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٦٩) ح (٢٩٦١)، وقال الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٥/ ١٩): "حديث صحيح".

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٣٩/ ٣٥) ح (٢٣٦٢٣) عن محمود بن لبيد، وعن أنس عند الترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء (٤/ ٦٠١) ح (٢٣٩٦) وقال: "هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه"، وابن ماجه واللفظ له في كتاب الفتن، باب الصبر على البلاء (٢/ ١٣٣٨) ح (٤٠٣١)، وذكره في مجمع الزوائد بلفظ مقارب في كتاب الجنائز، باب شدة البلاء، وقال (٢/ ٢٩١) ح (٣٧٣٦): "رواه أحمد، ورجاله ثقات"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع(١/ ٤٢٤) ح (٢١١٠)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند (٣٩/ ٣٥) ح (٢٣٦٢٣): "إسناده جيد".

(٣) ينظر: الصحاح (٦/ ٢٢٨٥) مادة (بلا)، معجم مقاييس اللغة (١/ ٢٩٣) مادة (بلوى)، تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٩).

ومن عوامل الثبات في الابتلاء[(١)]:

١- الإيمان بالقضاء والقدر:

والإيمان بالقضاء والقدر هو أن تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، ومر الكلام عليه في مبحث سابق[(٢)].

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [الحديد: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ ۚ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١].

نقل الطبري رحمه الله عن ابن عباس رضي الله عنهما في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾: "يعني: يهد قلبه لليقين، فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه"[(٣)].

٢- الشعور بمعية الله الخاصة تحف به من كل جانب:

وهذه إضافة إلى ما سبق عن شيخ الإسلام رحمه الله ذكرها الإمام الذهبي -رحمة الله على الجميع- في ثبات شيخ الإسلام على هذا المنهج الحق، وهنا يظهر والله أعلم أثر هذا الشعور العظيم ،فقال عنه: "ولقد نصر السنة المحضة والطريقة السلفية، واحتج لها ببراهين ومقدمات وأمور لم يسبق إليها، وأطلق عبارات أحجم عنها الأولون

(١) ينظر: الثبات على دين الله (٣٣٥-٣٥٩).
(٢) ينظر: ص (١٤٨).
(٣) تفسير الطبري (٢٣/ ٤٢١).

والآخرون وهابوا، وجسر هو عليها، حتى قام عليه خلق من علماء مصر والشام قيامًا لا مزيد عليه، وبدعوه وناظروه وكاتبوه، وهو ثابت لا يداهن ولا يحابي، بل يقول الحق المر الذي أداه إليه اجتهاده وحدة ذهنه وسعة دائرته في السنن والأقوال، مع ما اشتهر منه من الورع، وكمال الفكر، وسعة الإدراك، والخوف من الله العظيم، والتعظيم لحرمات الله، فجرى بينه وبينهم حملات حربية، ووقعات شامية ومصرية، وكم من نوبة قد رموه عن قوس واحدة، فينجيه الله تعالى، فإنه دائم الابتهال كثير الاستغاثة قوي التوكل ثابت الجأش(١)"(٢)، وبقي على هذا المنهج صابرًا على الشدائد، محتملًا لها، ثابتًا على الحق، إلى أن توفاه الله رحمه الله رحمة واسعة(٣).

٣- الصبر وملاحظة حسن الجزاء:

إن مما يعين المؤمن على الثبات: الصبر، وملاحظته للثواب العظيم المترتب على الصبر، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزمر: ١٠]

وقال تعالى: ﴿وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٢]

---

(١) أي: قوي شجاع لا تضطرب نفسه عند الفزع من شجاعته.
ينظر: الصحاح (٣/ ٩٩٧)، لسان العرب (٦/ ٢٦٩) مادة (جأش).

(٢) الرد الوافر (٣٤)، ونقل ابن حجر في الدرر الكامنة (١/ ١٨٥) عن شيخ الإسلام قريبًا من هذا الكلام عن الذهبي، فقال: "وقال الذهبي مترجمًا له في بعض الإجازات...".

(٣) ينظر: الأعلام العلية (٧٥).

وقال تعالى: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٦].

٤- التعامل مع البلاء بما يناسبه:

ويكون ذلك بالصبر عند الضراء، والشكر عند السراء، كما قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»(١).

٥- الدعاء:

ومما يدفع البلاء ويعين على الثبات الدعاء، كما قال ﷺ: «لَا يَرُدُّ الْقَدَرَ إِلَّا الدُّعَاءُ» الحديث، وقد سبق الكلام عنه(٢).

٦- البعد عن أسباب عدم الرضا:

إن مما يعين على الثبات على الابتلاء: البعد عما يدل على عدم الرضا من الشكوى إلى المخلوق، أما إلى الله فهي المطلوبة كما تعالى عن يعقوب عليه السلام: ﴿قَالَ إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

ومما ينبغي الحذر منه، ويدل على عدم الرضا: الجزع والتسخط على القضاء والقدر، وكما في الحديث يقول ﷺ: «لَيْسَ مِنَّا مَنْ لَطَمَ الخُدُودَ، وَشَقَّ الجُيُوبَ، وَدَعَا بِدَعْوَى الجَاهِلِيَّةِ»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير (٤/ ٢٢٩٥) ح (٢٩٩٩).

(٢) ينظر: ص (١٧٧).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب ليس منا من شق الجيوب (٢/ ٨١) ح (١٢٩٤)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب تحريم ضرب الخدود وشق الجيوب والدعاء بدعوى الجاهلية (١/ ٩٩) ح (١٠٣).

قَالَ ﷺ: «أَلاَ تَسْمَعُونَ؟! إِنَّ اللَّهَ لاَ يُعَذِّبُ بِدَمْعِ العَيْنِ، وَلاَ بِحُزْنِ القَلْبِ، وَلَكِنْ يُعَذِّبُ بِهَذَا -وَأَشَارَ إِلَى لِسَانِهِ- أَوْ يَرْحَمُ» الحديث[1].

المطلب الثاني: يثبته الله على المنهج الحق في دعوته إلى الله تعالى، ويحميه من الانحراف عنه:

ولنأخذ مثالًا على أهم ما ينبغي على الداعية أن يحرص عليه، وهو منهج أهل السنة والجماعة في إثبات قضايا العقيدة:

ولا شك أن من أعظم ما ينبغي أن يعتنيَ به الداعية في دعوته للناس حرصَه على منهج السلف في إثبات قضايا المعتقد، والثبات على ذلك، مع كثرة المناهج التي انحرفت عنه، وحاربته وتسعى إلى إضعافه، وجر الناس إلى مناهج منحرفة على أنها هي المنهج الحق.

أقول: الثبات على المنهج الحق منهجِ أهل السنة والجماعة توفيقٌ من الله لعبده الداعية، واصطفاء وهداية، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

وقال تعالى عن منهج الأنبياء: ﴿وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الأنعام: ٨٧، ٨٨].

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجنائز، باب البكاء عند المريض (٢/ ٨٤) ح (١٣٠٤)، ومسلم في كتاب الجنائز، باب البكاء على الميت (٢/ ٦٣٦) ح (٩٢٤).

وقال تعالى لنبيه ﷺ بعد ذلك: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وسأقتصر على أبرز القواعد الكبرى التي يتميز بها هذا المنهج العظيم[١] وفق المسائل الآتية:

المسألة الأولى: الاعتصام بالكتاب والسنة والرجوع والاحتكام إليهما في صغير الأمر وكبيره، والاقتصار في مصدر التلقي عليهما، وذلك يقوم على الأمور الآتية:

١- الاعتقاد الجازم أنه لا يتحقق رضا الله تبارك وتعالى والفوز بجنته والنجاة من عذابه إلا بالإيمان بهما والعمل بما جاءا به، وما يترتب على هذا من وجوب أن يعيش المسلم حياته كلها اعتقادًا وعملًا وسلوكًا، مستمسكًا ومعتصمًا بهما، لا يزيغ عنهما ولا يتعدى حدودهما.

ومن مستلزمات هذا أن يتحاكم إليهما عند التنازع والاختلاف، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

وقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾ [النساء: ٦٥].

---

(١) ينظر أصول هذا المنهج وقواعده في كتاب: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (١/ ٥١-٧١)، وموقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (٦١-٧٣)، ومما هو معلوم لدى الباحثين أن الذي قرر هذه القواعد، وانتصر لها في كتبه مع حشد الأدلة، هما الإمامان ابن تيمية وابن القيم في كتبهم المختلفة.

ولقد تربى الصحابة على ذلك، فعاشوا لا يلتفتون إلى غير الكتاب والسنة، وهكذا تربى أتباعهم على منهجهم.

٢- الاعتقاد الجازم بكمال الدين، يقول تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، ويقول أيضًا: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦].

يقول ابن تيمية بعد ذكره لهذه الآيات وغيرها: "ومثل هذا في القرآن كثير، مما يبين الله فيه أن كتابه مبين للدين كله، موضح لسبيل الهدى، كاف لمن اتبعه، لا يحتاج معه إلى غيره يجب اتباعه دون اتباع غيره من السبل"(١).

٣- التعظيم لنصوص الشرع والتسليم لها، والحذر من مخالفتها.

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقال ﷻ: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن

---

(١) درء تعارض العقل والنقل (١٠/ ٣٠٤)، لابن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ.

يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشَ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾ [النور: ٥١، ٥٢].

وقال تعالى محذرًا من حال أصحاب القلوب المنكوسة: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢١-٢٥].

وقال تعالى في التحذير من مخالفة أمر رسوله ﷺ وعدم تعظيمه: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ويقول ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»(٢).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الحج، باب حجة النبي ﷺ (٢/ ٨٩٠) ح (١٢١٨).

(٢) أخرجه الحاكم (١/ ١٧٢) ح (٣١٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٥٦٦) ح (٢٩٣٧).

قَالَ حُذَيْفَةُ ﷺ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «تُعْرَضُ الْفِتَنُ عَلَى الْقُلُوبِ كَالْحَصِيرِ عُودًا عُودًا، فَأَيُّ قَلْبٍ أُشْرِبَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، وَأَيُّ قَلْبٍ أَنْكَرَهَا نُكِتَ فِيهِ نُكْتَةٌ بَيْضَاءُ، حَتَّى تَصِيرَ عَلَى قَلْبَيْنِ: عَلَى أَبْيَضَ مِثْلِ الصَّفَا، فَلَا تَضُرُّهُ فِتْنَةٌ مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ، وَالْآخَرُ أَسْوَدُ مُرْبَادًّا كَالْكُوزِ مُجَخِّيًا، لَا يَعْرِفُ مَعْرُوفًا، وَلَا يُنْكِرُ مُنْكَرًا، إِلَّا مَا أُشْرِبَ مِنْ هَوَاهُ».

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ﴾ [الحجرات: ١]، فلا يقدم على قول رسول الله ﷺ قول أحد مهما كانت مكانته، كما يقول ابن عباس رضي الله عنهما: "يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء؛ أقول: قال رسول الله ﷺ، وتقولون: قال أبو بكر وعمر؟!"(١).

ونقل ابن بطة عن الإمام أحمد رحمه الله قوله: "نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا"، ثم جعل يتلو: ﴿فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وجعل يكررها، ويقول: "وما الفتنة؟ الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ، فيزيغ فيهلكه"، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ﴾ [النساء: ٦٥](٢).

ويقول الإمام ابن بطة رحمه الله: "فإذا سمع أحدكم حديثًا عن رسول الله ﷺ رواه العلماء، واحتج به الأئمة العقلاء، فلا يعارضه برأيه، وهوى نفسه، فيصيبه ما توعده

---

(١) أخرجه أحمد في المسند بنحوه (٥/ ٢٢٨) برقم (٣١٢١)، وجامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٢١٠) رقم (٢٣٧٨) لابن عبد البر، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي السعودية، ط١، ١٤١٤هـ، والفقيه والمتفقه (١/ ٣٧٧) للخطيب البغدادي، ت: أبي عبد الرحمن عادل الغرازي، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢١هـ، وذكره بهذا اللفظ شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٢٠/ ٢١٥).

(٢) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦١).

الله ﷻ به، فإنه قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وهل تدري ما الفتنة هاهنا؟ هي والله الشرك بالله العظيم، والكفر بعد الإيمان، فإن الله ﷻ قال: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]، يقول: حتى لا يكون شرك؛ فإنه قال تعالى: ﴿وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ١٩١]، يقول: الشرك بالله أشد من قتلكم لهم، ثم قال ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]. أعاذنا الله وإياكم من هذه الأهوال، ووفقنا وإياكم لصالح الأعمال"(١).

٤- الأدب مع نصوص الكتاب والسنة، وذلك بأن تُراعى ألفاظهما عند بيان العقيدة، وأن لا تستخدم الألفاظ والمصطلحات الموهمة غير الشرعية.

ونقل شيخ الإسلام رحمه الله عن الإمام أحمد رحمه الله قوله: "لا يُوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو بما وصفه به رسوله ﷺ، لا يتجاوز القرآن والحديث"(٢).

المسألة الثانية: وجوب تقديم الشرع على العقل عند توهم التعارض، وإلا ففي الحقيقة والواقع لا يمكن أن يتعارض النقل الصحيح مع العقل الصريح، ولقد كان تقديم ما في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ على ما في غيرهما من معقول أو غيره يعارضها من مسلمات منهج السلف رحمهم الله تعالى.

---

(١) الإبانة الكبرى (١/ ٢٦٧).

(٢) الفتوى الحموية الكبرى (٢٦٥) لابن تيمية، ت: د. حمد التويجري، دار الصميعي الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ.

المسألة الثالثة: حجية السنة في العقيدة ومن ذلك خبر الآحاد، وهذه من القواعد الكبرى في منهج السلف رحمهم الله، تميزوا بها عن كثير من أهل الأهواء والبدع، وما عني أهل السنة بجمع السنة والكلام في متونها وأسانيدها، ونشأة هذا العلم الذي تميزت به الأمة الإسلامية عن غيرها من الأمم، وبذلوا في سبيل ذلك جهودًا منقطعة النظير، كل ذلك إنما كان منهم حفاظًا على المصدر الثاني الذي هو وحي يوحى من الله تعالى، ولم يميزوا بين الأحاديث المتعلقة بالأحكام والأحاديث المتعلقة بالعقائد.

المسألة الرابعة: أن الصحابة أعلم الناس بعد الرسول ﷺ بالعقيدة؛ لذلك فأقوالهم وتفاسيرهم للنصوص حجة؛ لأنهم ﷺ قد اكتمل فيهم الفهم والمعرفة لأصول الدين التي دل عليها كتاب الله المنزل وسنة رسوله ﷺ.

والصحابة تميزوا في العقيدة وفهمها بعدة ميزات، أهمها:

أ) أنهم شاهدوا التنزيل، وعاشوا مع النبي ﷺ وهو يتلقى هذا الوحي من ربه الذي ينزل عليه مفرقًا حسب الوقائع والأحداث، فعاصروها جميعًا، واحدة فواحدة، فكيف لا يكونون وهم كذلك أعلم الناس بالتنزيل وأسباب نزوله إن كانت له أسباب، وأعلم الناس بمراد الله ومراد رسوله ﷺ؟!

وقال ابن القيم رحمه الله عن مكانة ما يراه الصحابة رضوان الله عليهم: "وحقيق بمن كانت آراؤهم بهذه المنزلة أن يكون رأيهم لنا خيرًا من رأينا لأنفسنا، وكيف لا وهو الرأي الصادر من قلوب ممتلئة نورًا وإيمانًا وحكمة وعلمًا ومعرفة وفهمًا عن الله ورسوله ونصيحة للأمة، وقلوبهم على قلب نبيهم، ولا واسطة بينهم وبينه، وهم ينقلون العلم والإيمان من مشكاة النبوة غضًّا طريًّا لم يَشُبْهُ إشكال، ولم يَشُبْهُ خلاف، ولم تدنسه معارضة؟!"(١).

---

(١) إعلام الموقعين (١/ ٦٤-٦٥).

ب) من المعلوم أن حواري الرسل وصحابتهم الذين اتبعوهم وآمنوا بهم هم أكثر الناس فهمًا لرسالتهم وما يتعلق بها من أحكام، سواء في العقيدة أو الشريعة؛ فهم العارفون بدقائقها المدركون لحقائقها، وهم أكمل الناس علمًا وعملًا، ولا يكون من بعدهم أكمل منهم في شيء من ذلك.

ج) لم يكن بين الصحابة خلاف في العقيدة، فهم متفقون في أمور العقائد التي تلقوها عن النبي ﷺ بكل وضوح وبيان، وهذا بخلاف مسائل الأحكام الفرعية القابلة للاجتهاد والاختلاف.

د) كان الصحابة يسألون رسول الله ﷺ عما يشكل عليهم، وهذا أمر مشهور عنهم رضي الله عنهم.

المسألة الخامسة: الأخذ بظواهر النصوص:

ويعتقد أهل السنة أن الله خاطبنا بما نفهم، وأراد منا اعتقاد ظاهر النصوص على الوجه الذي يليق بجلاله، فنصوص الصفات مثلًا تجرى على ظاهرها بلا كيف كما تضافرت على ذلك عبارات السلف، فيثبتون له الصفات الواردة بلا تمثيل؛ لأنه كما قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فلو كان ظاهر النصوص غير مراد لما خاطبنا بها ربنا سبحانه وتعالى، ولما أمرنا بتدبر كتابه، كما قال سبحانه وتعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [ص: ٢٩][١].

المسألة السادسة: الحذر من البدع ومن مسالك أهلها، ومن ذلك الحذر من الخوض في مسالك علم الكلام، ومجالسة أهل الأهواء أو السماع لهم، وللسلف منهج واضح في التحذير من أهل الأهواء، ومن ذلك:

عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى

---

(١) ينظر: موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة (٧٢-٧٣).

أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ»(١)، ولذا كان من منهج السلف رحمهم الله الحذر من مجالسة أهل البدع والأهواء والتحذير من ذلك أشد التحذير؛ لأن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة، من تعرض لها تعلقت بقلبه وأفسدته.

وهذه المجالسة في زمننا لا يلزم منها حضور مجالسهم أو قراءة كتبهم؛ لأن مفهوم المجالسة تغير في زمننا بسبب ما يسمى بوسائل التواصل الاجتماعي، ومتابعة نتاجهم الفكري الموجود على شبكة الإنترنت، أو المتابعة التي تتم من خلال البث الفضائي.

فيستطيع الواحد في هذا الزمن أن يجالس أهل البدع والأهواء ويرى ويسمع دروسهم وخطبهم ومحاضراتهم ويقرأ كتبهم وهو في بيته، وبينه وبينهم المسافات الشاسعة، وأضف إلى هذا ضعف العلم الشرعي وضعف التمسك بالدين عند المتلقي، وقدرة أصحاب الباطل على المحاجة وتلبيس الحق بالباطل؛ ولذا كان الخطر عظيمًا والخطب جليلًا، وحينها نعرف لماذا يحذر السلف من مجالسة أهل الأهواء، ويحرصون على عدم سماع كلامهم مع قوتهم العلمية، وتمكن الدين من قلوبهم، وقدرتهم على المحاجة والمجادلة، إلا أن السلامة لا يعدلها شيء، والقلوب ضعيفة، والشبه خطافة، والشياطين حاضرة تمد أصحابها بزخرف القول الذي قال الله عنه: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢].

قال إبراهيم النخعي رحمه الله: "لا تجالسوا أهل الأهواء؛ فإن مجالستهم تذهب بنور

(١) أخرجه أحمد في المسند (١/ ٢٨٩) ح (١٤٣)، وابن حبان في صحيحه في كتاب العلم، ذكر ما كان يتخوف ﷺ على أمته جدال المنافق (١/ ٢٨١)، ح (٨٠)، وقال في مجمع الزوائد في كتاب العلم، باب.. (١/ ١٨٧) ح (٨٨٦): "رواه البزار وأحمد وأبو يعلى، ورجاله موثقون"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ١٠٧) ح (٢٣٩)، وقال محقق مسند أحمد (١/ ٢٨٩): "سنده قوي".

الإيمان من القلوب، وتسلب محاسن الوجوه، وتورث البِغْضَة في قلوب المؤمنين"[(١)].

وذكر الذهبي رحمه الله: "عن سفيان الثوري عليه رحمة الله: من أصغى بسمعه إلى صاحب بدعة، وهو يعلم، خرج من عصمة الله، ووكل إلى نفسه.

وعنه: من سمع ببدعة فلا يحكها لجلسائه، لا يلقها في قلوبهم.

قلت: أكثر أئمة السلف على هذا التحذير، يرون أن القلوب ضعيفة، والشبه خطافة"[(٢)].

ومعنى كلام الإمام الذهبي رحمه الله: أن السلف يحذرون من سماع كلام أهل البدع؛ لأن القلوب ضعيفة سريعة التأثر بما تسمع، والشبه تخطف القلوب، وتميل بها عن طريق الهدى، ويزينها الشيطان فتزل القدم بعد ثبوتها.

وذكر العلماء رحمهم الله[(٣)] آثارًا عن السلف في التحذير من مجالسة أهل الأهواء لخطورتها على القلوب، ومن ذلك: "قال أبو قلابة[(٤)] رحمه الله: لا تجالسوا أهل الأهواء -أو قال: أصحاب الخصومات-؛ فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم، ويلبسوا عليكم بعض ما تعرفون.

ودخل رجلان من أصحاب الأهواء على مُحَمَّد بن سيرين[(٥)]، فقالا: يا أبا بكر،

---

(١) الإبانة الكبرى (٢/ ٤٣٩).

والبِغْضَة أي: لا تحبه قلوب المؤمنين. ينظر: الصحاح (٣/ ١٠٦٦-١٠٦٧) مادة (بغض).

(٢) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦١).

(٣) ينظر: الشريعة(١/٤٣٥-٤٤٠)، الإبانة الكبرى(٥/٢٠٤٤-٢٠٤٦)، شرح أصول أعتقاد أهل السنة(١/ ١٠١، ١٥٠- ١٥١).

(٤) الإمام، شيخ الإسلام، عبد الله بن زيد أبو قلابة الجرمي البصري، ثقة كثير الحديث، توفي رحمه الله سنة (١٠٤هـ)، وقيل: سنة (١٠٥هـ)، وقيل غير ذلك، والله أعلم.

ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ١٨٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٦٨)، الأعلام (٤/ ٨٨).

(٥) الإمام، شيخ الإسلام مُحَمَّد بن سيرين أبو بكر البصري مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، وقال أشعث: كان ابن سيرين إذا سئل عن الحلال والحرام، تغير لونه حتى تقول: كأنه ليس بالذي كان، توفي

=

نحدثك بحديث؟ قال: لا، قالا: فنقرأ عليك آية؟ قال: لا، لتقومان عني، أو لأقومنَّهْ، فقاما. فقال بعض القوم: يا أبا بكر، وما عليك أن يقرأ عليك آية؟!... وقال: خشيت أن يقرآ آية فيحرفاها، فيقر ذلك في قلبي.

وقال رجل من أهل البدع لأيوب: يا أبا بكر، أسألك عن كلمة؟ فولى، وهو يقول بيده: لا، ولا نصف كلمة.

وقال ابن طاووس لابن له يكلمه رجل من أهل البدع: يا بني، أدخل أصبعيك في أذنيك حتى لا تسمع ما يقول، ثم قال: اشدد اشدد.

وقال عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل.

وكان الحسن يقول: شر داء خالط قلبًا -يعني: الأهواء-.

وقال حذيفة: اتقوا الله، وخذوا طريق من كان قبلكم، والله لئن استقمتم لقد سبقتم سبقًا بعيدًا، ولئن تركتموه يمينًا وشمالًا لقد ضللتم ضلالًا بعيدًا -أو قال: مبينًا- "[١].

قال رجل لابن سيرين: "إن فلانًا يريد أن يأتيك، ولا يتكلم بشيء، قال: قل لفلان: لا، ما يأتيني، فإن قلب ابن آدم ضعيف، وإني أخاف أن أسمع منه كلمة، فلا يرجع قلبي إلى ما كان"[٢].

ويروي الآجري بسنده عن مهدي بن ميمون[٣] قال: "سمعت محمدًا -يعني ابن

رحمه الله سنة (١١٠هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٣/ ٢٨٣)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٠٦)، الأعلام (٦/ ١٥٤).

(١) كل هذه الآثار عن السلف ذكرها الذهبي في سير أعلام النبلاء (١١/ ٢٨٥).

(٢) الإبانة الكبرى (٢/ ٤٤٦).

(٣) مهدي بن ميمون أبو يحيى الكردي الأزدي البصري الإمام، الحافظ، الثقة، أحد الأثبات المعمرين، توفي رحمه الله سنة (١٧٢هـ).

=

سيرين- وماراه رجل في شيء، فقال مُحَمَّد: إني أعلم ما تريد، وأنا أعلم بالمراء منك، ولكني لا أماريك"[(١)].

وقال الآجري رحمه الله أيضًا في وصاياه القيمة: "ألم تسمع -رحمك الله- إلى ما تقدم ذكرنا له من قول أبي قلابة: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في الضلالة، أو يلبسوا عليكم في الدين بعض ما لبس عليهم؟! أوَلم تسمع إلى قول الحسن وقد سأله عن مسألة فقال: ألا تناظرني في الدين؟! فقال له الحسن: أما أنا فقد أبصرت ديني، فإن كنت أنت أضللت دينك فالتمسه؟! أوَلم تسمع إلى قول عمر بن عبد العزيز: من جعل دينه غرضًا للخصومات أكثر التنقل؟!"[(٢)].

وقال أيضًا معلقًا على تلك الأخبار السابقة من أقوال الأئمة في النهي عن مجالسة أهل الأهواء: "فمن اقتدى بهؤلاء الأئمة سلم له دينه إن شاء الله تعالى، فإن قال قائل: فإن اضطرني في الأمر وقتًا من الأوقات إلى مناظرتهم، وإثبات الحجة عليهم، ألا أناظرهم؟ قيل له: الاضطرار إنما يكون مع إمام له مذهب سوء، فيمتحن الناس ويدعوهم إلى مذهبه، كفعل من مضى في وقت أحمد بن حنبل: ثلاثة خلفاء امتحنوا الناس، ودعوهم إلى مذهبهم السوء، فلم يجد العلماء بدًّا من الذب عن الدين، وأرادوا بذلك معرفة العامة الحق من الباطل، فناظروهم ضرورة لا اختيارًا، فأثبت الله تعالى الحق مع أحمد بن حنبل ومن كان على طريقته، وأذل الله تعالى المعتزلة وفضحهم، وعرفت العامة أن الحق ما كان عليه أحمد ومن تابعه إلى يوم القيامة، أرجو أن يعيذ الله الكريم أهل العلم من أهل السنة والجماعة من محنة تكون أبدًا"[(٣)].

= ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٨٠)، سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠)، الأعلام (٧/ ٣١٤).

(١) الشريعة للآجري (١/ ٤٥٣).

(٢) الشريعة للآجري (١/ ٤٥٣).

(٣) الشريعة للآجري (١/ ٤٥٣).

وقال رحمه الله إضافة إلى ما سبق: "وبعد هذا نأمر بحفظ السنن عن رسول الله ﷺ، وسنن أصحابه ﷺ، والتابعين لهم بإحسان، وقول أئمة المسلمين مثل مالك بن أنس، والأوزاعي[(١)]، وسفيان الثوري، وابن المبارك وأمثالهم، والشافعي ﷺ وأحمد بن حنبل، والقاسم بن سلام[(٢)]، ومن كان على طريقة هؤلاء من العلماء، وينبذ من سواهم، ولا نناظر، ولا نجادل ولا نخاصم، وإذا لقي صاحب بدعة في طريق أخذ في غيره، وإن حضر مجلسًا هو فيه قام عنه، هكذا أدبنا من مضى من سلفنا"[(٣)].

المسألة السابعة: لم يكونوا يتلقَّون النصوص ومعهم أصول عقلية يحاكمون النصوص إليها، كما فعل الفلاسفة والمعتزلة وأهل الكلام الذين وضعوا أصولًا عقلية، ثم لما جاءوا إلى القرآن والسنة وما فيهما من دلالات في الاعتقاد، نظروا فما وجدوه موافقًا لتلك الأصول العقلية أخذوا به، وما وجدوه مخالفًا لشيء منها أولوه أو أنكروا الاحتجاج به.

المسألة الثامنة: الرجوع إلى النصوص الواردة في مسألة معينة، وعدم الاقتصار على بعضها دون البعض الآخر، وهذا ناشئ من أنهم لا يفرِّقون بين النصوص، وليس لديهم أصول عقلية متقررة سلفًا عندهم، ليأخذوا من النصوص ما وافقها ويدعوا ما خالفها، كما وقع فيه أهل الأهواء كلهم.

---

(١) شيخ الإسلام، وعالم أهل الشام وإمامهم في الفقه والزهد عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمَدَ أبو عمرو الأوزاعي، وكان إمام زمانه، توفي رحمه الله سنة (١٥٧هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٧/ ١٠٧)، البداية والنهاية (١٣/ ٤٤٣)، الأعلام (٣/ ٣٢٠).

(٢) القاسم بن سلام بن عبد الله، الإمام المجتهد، أحد أئمة الإسلام، فقهًا، ولغة، وأدبًا، وفضائله جمة، صاحب التصانيف المشهورة، والعلوم المذكورة، وله من المصنفات: الأموال، والناسخ والمنسوخ، وغريب الحديث، وغيرها. توفي سنة (٢٤٢هـ) عليه رحمة الله.
ينظر: تاريخ بغداد (١٤/ ٣٩٢)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٩٠)، وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة (١/ ٦٧).

(٣) الشريعة للآجري (١/ ٤٥٣).

المطلب الثالث: يثبته الله عند الموت وفي القبر:

من صدق مع الله وحقق أعمال القلب، وصلحت سريرته، وآمن حق الإيمان، فإن الله يوفقه لحسن الخاتمة، فيثبته عند الموت لينطق بكلمة التوحيد، ويثبته عند سؤال الملكين، كما قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

قال البغوي رحمه الله: "﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ كلمة التوحيد، وهي قول: لا إله إلا الله، ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يعني قبل الموت، ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ يعني في القبر. هذا قول أكثر أهل التفسير.

وقيل: ﴿فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ عند السؤال في القبر، ﴿وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ عند البعث.

والأول أصح"(١).

أي: يثبت الله عبده المؤمن الذي حقق إيمانه باطنًا وظاهرًا؛ ليقول كلمة التوحيد عند موته، ويثبته الله في قبره؛ لينطق الإجابة الصحيحة على أسئلة الملائكة: من ربك؟ وما دينك؟ ومن الرجل الذي بعث فيكم؟ فيثبته الله بالقول الثابت، كما في حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ، كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «اسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ

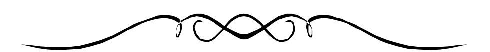
---

(١) تفسير البغوي (٤/ ٣٤٩).

كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ ، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ». قَالَ: «فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ». قَالَ: «فَيَصْعَدُونَ بِهَا، فَلَا يَمُرُّونَ -يَعْنِي بِهَا- عَلَى مَلَإٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الطَّيِّبُ؟ فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ، بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانُوا يُسَمُّونَهُ بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يَنْتَهُوا بِهَا إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَيَسْتَفْتِحُونَ لَهُ، فَيُفْتَحُ لَهُمْ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي تَلِيهَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيَقُولُ اللهُ : اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ، فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ، وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ، وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى». قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللهُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيُنَادِي مُنَادٍ فِي السَّمَاءِ: أَنْ صَدَقَ عَبْدِي، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ». قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ». قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ، حَسَنُ الثِّيَابِ، طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُرُّكَ، هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، فَيَقُولُ لَهُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ يَجِيءُ بِالْخَيْرِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي» الحديث[١].

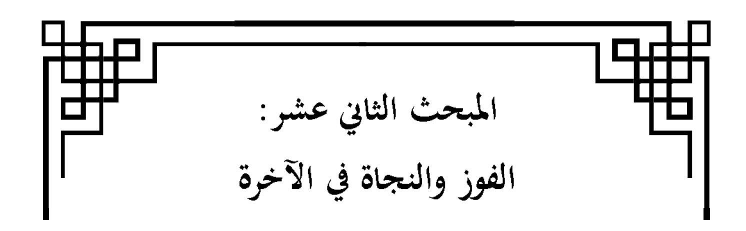
(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٠/ ٤٩٩) ح (١٨٥٣٤)، والحاكم في مستدركه في كتاب الإيمان (١/ ٩٣) ح (١٠٧) وصححه ووافقه الذهبي، وقال في مجمع الزوائد في كتاب الجنائز، باب السؤال في القبر (٣/ ٥٠) ح (٤٢٦٧): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ =





=

٣٤٤) ح (١٦٧٦)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيق المسند (٣٠/ ٥٠٣) ح (١٨٥٣٤): "إسناده صحيح، رجاله رجال الصحيح".



المبحث الثاني عشر:
الفوز والنجاة في الآخرة

ومن أعظم آثار تحقيق أعمال القلوب: الفوز العظيم في الآخرة بالجنة والنجاة من النار.

قال تعالى وهو يذكر أسباب فوزهم وعلى رأسها أعمال القلوب: ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الشعراء: ٨٨-٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣١-٣٥].

وقال تعالى: ﴿إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ ۖ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات: ٤٠-٤٩].

وغير ذلك من الآيات التي تبين أن أعمال القلوب من أسباب الفوز العظيم بجنات النعيم، وهذا الفوز وصفه الله بالعظيم والكبير والمبين، فقال ﷻ: ﴿ ` a b

c d e f g h i j k l m n

o p q r s t u v w x y﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿É Ñ Ö Ü á à â ä ã å ç é è ê﴾ [الجاثية: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

ولا شك أن الداعية إلى الله تعالى الذي حقق الإيمان وعمل الصالحات، وجاهد نفسه في تحقيق عمل القلب، ودعا إلى الله على بصيرة، أنه على رأس الفائزين بهذا الفوز العظيم كما أخبر تعالى عن ذلك، فقال ﷻ عمن يدعون إلى سبيله، وعن مكانتهم العظيمة عنده ﷻ: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال عنهم وهم يدعون إلى الله من ضل إلى الهدى، ويدعونه ﷻ أن يغفر لهم تقصيرهم، وقد صبروا على سخرية الساخرين وضحكهم منهم، فكانت العاقبة لهم لما صبروا على دعوة الناس، وصبروا على أذيتهم لهم، فأعقبهم ذلك بأن منّ الله عليهم بهذا الفوز العظيم، فقال تعالى عن أعداء دينه، وهم صرفوا جل وقتهم للسخرية والاستهزاء من المؤمنين، إلى درجة أنهم انشغلوا بالسخرية من المؤمنين عن ذكر الله: ﴿$ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ A B C﴾ [المؤمنون: ١٠٩-١١١]. ولا شك أن أكثر من يتعرض إلى السخرية والأذى من المؤمنين هم الدعاة إلى الله تعالى.

والبشارات تتوالى على المؤمن الذي عمل الصالحات، وحقق أعمال القلوب بهذا الفوز في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿• • • • • • • • • • • • • • • • • • •﴾ [يونس: ٦٤].

وبشارة الدنيا تشمل: الثناء الحسن، والرؤيا الصالحة، وما يراه العبد من لطف الله به، وتيسيره لأحسن الأعمال والأخلاق، وصرفه عن مساوئ الأخلاق، وبشارة الآخرة تكون بالجنة عند موته، وفي قبره، وفي يوم القيامة(١).

وقال تعالى عنهم عند الموت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾ [فصلت: ٣٠-٣٢].

يخبر تعالى عن أوليائه الذين قالوا: ربنا الله، أي: صدقوا وآمنوا ورضوا بالله ربًّا قولًا وعملًا، واستسلموا وانقادوا لأمره، واستقاموا على الصراط المستقيم علمًا وعملًا، وأخلصوا دينهم لله، وعملوا بطاعة الله تعالى على ما شرع الله لهم، حتى جاءهم الموت وهم على ذلك، فعند الموت تتنزل عليهم الملائكة قائلة لهم: ﴿أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ﴾ أي: لا تخافوا مما تقدمون عليه من أمر الآخرة، فإنكم قادمون على ربكم الرحيم، ولا تحزنوا على من بعدكم أي: على ما خلفتموه من أمر الدنيا، من ولد وأهل، ومال أو دَيْنٍ، فإنا نخلفكم فيه، وتبشرهم الملائكة بالجنة، فلا تسل عن فرحتهم وعظيم سرورهم بهذه البشارة العظيم وهذا الفوز العظيم، ثم تقول لهم الملائكة: ﴿نَحۡنُ أَوۡلِيَآؤُكُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَشۡتَهِيٓ أَنفُسُكُمۡ وَلَكُمۡ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلٗا مِّنۡ غَفُورٖ رَّحِيمٖ﴾، وأي سعادة وفرحة غامرة يشعرون بها وهم يسمعون هذه الكلمات تصافح

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (٣٦٨).

أسماعهم من الملائكة وهم يقولون لهم: نحن كنا أولياءكم، أي: قرناءكم في الحياة الدنيا، نسددكم ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم؟![(١)].

وقال تعالى عن حالهم في عرصات القيامة في مواقف عظيمة تنخلع منها القلوب، وهم يضحكون ويستبشرون، وقد ظهر على وجوههم الفرح والبشر وإشراق الوجه من شدة فرحتهم في ذلك الموقف العظيم، فقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ۝٣٣ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ۝٣٦ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝٣٧ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ۝٣٨ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٣-٣٩].

قال البغوي رحمه الله: "ثم ذكر القيامة فقال: ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ﴾ يعني صيحة القيامة، سميت بذلك لأنها تصخ الأسماع، أي: تبالغ في الأسماع حتى تكاد تصمها. ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝٣٤ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ۝٣٥ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ﴾ لا يلتفت إلى واحد منهم لشغله بنفسه.. ﴿لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ يشغله عن شأن غيره.. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ﴾ مشرقة مضيئة. ﴿ضَاحِكَةٌ﴾ بالسرور ﴿مُّسْتَبْشِرَةٌ﴾ فرحة بما نالت من كرامة الله ﷻ"[(٢)].

وقال تعالى عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ۝١٠١ لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا ۖ وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ

(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٧/ ١٧٥-١٧٧)، وتفسير السعدي (٧٤٨).

(٢) تفسير البغوي (٨/ ٣٣٩-٣٤٠).

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١-١٠٣].

قال السعدي رحمه الله: "في قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ أي: سبقت لهم سابقة السعادة في علم الله، وفي اللوح المحفوظ وفي تيسيرهم في الدنيا لليسرى والأعمال الصالحة.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا﴾ أي: عن النار ﴿مُبْعَدُونَ﴾ فلا يدخلونها، ولا يكونون قريبًا منها، بل يبعدون عنها غاية البعد، حتى لا يسمعوا حسيسها، ولا يروا شخصها. ﴿وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾ من المآكل والمشارب والمناكح والمناظر، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مستمر لهم ذلك، يزداد حسنه على الأحقاب.

﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ﴾ أي: لا يقلقهم إذا فزع الناس أكبر فزع، وذلك يوم القيامة، حين تقرب النار، تتغيظ على الكافرين والعاصين، فيفزع الناس لذلك الأمر وهؤلاء لا يحزنهم؛ لعلمهم بما يقدمون عليه وأن الله قد أمنهم مما يخافون.

﴿وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ إذا بعثوا من قبورهم، وأتوا على النجائب وفدا لنشورهم، مهنئين لهم قائلين: ﴿هَٰذَا يَوْمُكُمُ ٱلَّذِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فليهنكم ما وعدكم الله، وليعظم استبشاركم، بما أمامكم من الكرامة، وليكثر فرحكم وسروركم، بما أمنكم الله من المخاوف والمكاره"(١).

ويقول الله لهم في يوم القيامة يوم توزع عليهم الأنوار التي تضيء طريقهم على الصراط إلى الجنة: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ

(١) تفسير السعدي (٥٣١).

وَبِأَيْمَـٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾

[الحديد: ١٢].

وفي تفسير السعدي: "يقول تعالى مبينًا لفضل الإيمان واغتباط أهله به يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ أي: إذا كان يوم القيامة، وكورت الشمس، وخسف القمر، وصار الناس في الظلمة، ونصب الصراط على متن جهنم، فحينئذ ترى المؤمنين والمؤمنات، يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم، فيمشون بأيمانهم ونورهم في ذلك الموقف الهائل الصعب، كل على قدر إيمانه، ويبشرون عند ذلك بأعظم بشارة، فيقال: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾، فلله ما أحلى هذه البشارة بقلوبهم، وألذها لنفوسهم! حيث حصل لهم كل مطلوب محبوب، ونجوا من كل شر ومرهوب"[١].

ويقول الله لهم وهم قد حطوا رحالهم في الجنة: ﴿

﴾ [الزخرف: ٦٨-٧٣].

ويقول الله تعالى لهم وهم يتنعمون بنعيم الجنة:

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ٢٤].

---

(١) تفسير السعدي (٨٣٩).

﴿كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات: ٤٣].

ويقول تعالى عن أعظم نعيم أهل الجنة وهو رؤية وجه تعالى:

﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، وصح في ذلك الخبر أن الزيادة رؤية وجه الله تعالى[١].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥].

أما الأحاديث الدالة على الفوز بنعيم الجنة فكثيرة، منها:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ، فَاقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧]»[٢].

وأخفى الله ما أعده لعباده الصالحين في جنات النعيم، ووصفه بهذا الوصف المجمل للتشوق إليه القلوب، وتتعلق به، وتهيج إليه النفوس[٣]، وتسارع وتسابق في أسباب الحصول على هذا النعيم، كما قال تعالى: ﴿سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الحديد: ٢١].

وقال تعالى حاثًّا لعباده في المسارعة إلى الجنة: ﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن

---

(١) ينظر: صحيح مسلم كتاب الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم ﷻ (١/ ١٦٣) ح (١٨١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٤/ ١١٨) ح (٣٢٤٤)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها (٤/ ٢١٧٤) ح (٢٨٢٤).

(٣) ينظر: تفسير السعدي (٤٩٧).

رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٣].

والذي ينبغي أن يكون مضمار التنافس على أشده في الحصول عليه، كما قال تعالى بعد ذكر نعيم الجنة: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴾ [المطففين: ٢٦].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَلِجُ الجَنَّةَ صُورَتُهُمْ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، لاَ يَبْصُقُونَ فِيهَا، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَتَغَوَّطُونَ، آنِيَتُهُمْ فِيهَا الذَّهَبُ، أَمْشَاطُهُمْ مِنَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ، وَمَجَامِرُهُمُ الأَلُوَّةُ[١]، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ، وَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، يُرَى مُخُّ سُوقِهِمَا مِنْ وَرَاءِ اللَّحْمِ مِنَ الحُسْنِ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، قُلُوبُهُمْ قَلْبٌ وَاحِدٌ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا»[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «أَوَّلُ زُمْرَةٍ تَدْخُلُ الجَنَّةَ عَلَى صُورَةِ القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ، وَالَّذِينَ عَلَى إِثْرِهِمْ كَأَشَدِّ كَوْكَبٍ إِضَاءَةً، قُلُوبُهُمْ عَلَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ، لاَ اخْتِلاَفَ بَيْنَهُمْ وَلاَ تَبَاغُضَ، لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ زَوْجَتَانِ، كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا يُرَى مُخُّ سَاقِهَا مِنْ وَرَاءِ لَحْمِهَا مِنَ الحُسْنِ، يُسَبِّحُونَ اللهَ بُكْرَةً وَعَشِيًّا، لاَ يَسْقَمُونَ، وَلاَ يَمْتَخِطُونَ، وَلاَ يَبْصُقُونَ، آنِيَتُهُمُ الذَّهَبُ وَالفِضَّةُ، وَأَمْشَاطُهُمُ الذَّهَبُ، وَوَقُودُ مَجَامِرِهِمْ الأَلُوَّةُ -قَالَ أَبُو اليَمَانِ: يَعْنِي العُودَ -، وَرَشْحُهُمُ المِسْكُ»[٣].

وفي الحديث ما يدل على عظيم نعيم الجنة، ووصفه ﷺ له للتشوق النفوس إليها، وتسارع وتسابق وتنافس في أسباب الحصول على هذا النعيم والفوز الكبير، ومن مظاهره التي دلت عليها النصوص السابقة ما يأتي:

١- جمال وجوه أهل الجنة الذي يتجدد.

---

(١) والمجامر جمع مجمرة، وهي: المبخرة التي يوضع فيها الجمر ليفوح به ما يوضع من البخور. والألوة هي العود الذي يتبخر به، كما فسره أبو اليمان. ينظر: فتح الباري (٦/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٤/ ١١٨) ح (٣٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٤/ ١١٨) ح (٣٢٤٦).

٢- ذهاب أسباب الاختلاف والتباغض من القلوب حتى لا يتكدر النعيم.

٣- التنعم بالحور العين.

٤- التلذذ بذكر الله بدون جهد منهم، بل يكون بطريقة لا إرادية، كما يتنفس الإنسان في الدنيا.

٥- يبعد الله عنهم كل أسباب تكدير النعيم وتنغيصه من الأمور التي تتقذر منها النفوس؛ مثل البصاق والمخاط والحيض عند النساء ونحوه، ويجعل الله الرشح مسكًا يفوح من أجسادهم.

٦- لا يمرضون لأن في المرض تنغيصًا ومشقة وأذى يتنافى مع التلذذ بنعيم الجنة.

٧- ومن كمال النعيم وزيادة الترفه في الجنة آنية أكلهم وشربهم من الذهب والفضة.

٨- ومن كمال التلذذ بالنعيم أن رائحة بخور العود لا تنقطع عنهم، وهذا البخور في الجنة لا يلزم منه أن يكون بنار مما لا يتناسب مع نعيم الجنة، وهذا أمر ممكن حاصل في زمننا، هناك مباخر لا يستخدم فيها الجمر، والله على كل شيء قدير[١].

وعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةً يَسِيرُ الرَّاكِبُ الْجَوَادَ الْمُضَمَّرَ السَّرِيعَ مِائَةَ عَامٍ مَا يَقْطَعُهَا»[٢].

وهذا النعيم في الجنة لا يستطيع الخيال مهما سبح أن يصل إلى تصوره، وهو مندرج ضمن قول الله تعالى في الحديث القدسي: «أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ، وَلاَ أُذُنٌ سَمِعَتْ، وَلاَ خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ».

---

(١) وهذا مما أشكل على بعض شراح الحديث، ينظر: فتح الباري (٦/ ٣٢٤).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها (٤/ ٢١٧٦) ح (٢٨٢٨).

ودونك صورًا أخرى من نعيم الجنة:

- **تفاضل أهل الجنة في ارتفاع منازلهم:**

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ مِنَ المَشْرِقِ أَوِ المَغْرِبِ، لِتَفَاضُلِ مَا بَيْنَهُمْ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، تِلْكَ مَنَازِلُ الأَنْبِيَاءِ لاَ يَبْلُغُهَا غَيْرُهُمْ؟ قَالَ: «بَلَى وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، رِجَالٌ آمَنُوا بِاللهِ وَصَدَّقُوا المُرْسَلِينَ»(١).

- **ذبح الموت حتى تقر أعين أهل الجنة بالخلود في النعيم ويزداد فرحهم:**

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِذَا صَارَ أَهْلُ الجَنَّةِ إِلَى الجَنَّةِ، وَأَهْلُ النَّارِ إِلَى النَّارِ، جِيءَ بِالْمَوْتِ حَتَّى يُجْعَلَ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، ثُمَّ يُذْبَحُ، ثُمَّ يُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ لاَ مَوْتَ، وَيَا أَهْلَ النَّارِ لاَ مَوْتَ، فَيَزْدَادُ أَهْلُ الجَنَّةِ فَرَحًا إِلَى فَرَحِهِمْ، وَيَزْدَادُ أَهْلُ النَّارِ حُزْنًا إِلَى حُزْنِهِمْ»(٢).

- **من نعيم الجنة العظيم أن يحل الله رضوانه عليهم فلا يسخط عليهم أبداً.**

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ، فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ؟! فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟! فَيَقُولُ: أُحِلُّ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة (٤/ ١١٩) ح (٣٢٥٦)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب ترائي أهل الجنة أهل الغرف، كما يرى الكوكب في السماء (٤/ ٢١٧٧) ح (٢٨٣١).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٨/ ١١٤) ح (٦٥٤٨)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٨٩) ح (٢٨٥٠).

عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»[(١)].

- **من نعيم الجنة دخول أسواقها كل جمعة مع الزيادة في الحسن والجمال:**

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا، يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ، فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا! فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ، وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا!»[(٢)].

- **قياس ما يعطى في الجنة من عظيم النعيم على أدنى أهل الجنة نعيماً:**

- وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ دُخُولًا الْجَنَّةَ، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الْجَنَّةَ»، قَالَ: «فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ، وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ اللهُ لَهُ: اذْهَبْ فَادْخُلْ الْجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا -أَوْ: إِنَّ لَكَ عَشَرَةَ أَمْثَالِ الدُّنْيَا-»، قَالَ: «فَيَقُولُ: أَتَسْخَرُ بِي -أَوْ: أَتَضْحَكُ بِي- وَأَنْتَ الْمَلِكُ؟!»، قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، قَالَ: «فَكَانَ يُقَالُ: ذَاكَ أَدْنَى

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٨/ ١١٤) ح (٦٥٤٩)، ومسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب إحلال الرضوان على أهل الجنة فلا يسخط عليهم أبدًا (٤/ ٢١٧٦) ح (٢٨٢٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب في سوق الجنة وما ينالون فيها من النعيم والجمال (٤/ ٢١٧٨) ح (٢٨٣٣).

أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً»[١].

- وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ، فَتُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنْ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ، وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا، قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا، فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟! قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟»، فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (٨/ ١١٧) ح (٦٥٧١)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجًا (١/ ١٧٣) ح (١٨٦).

رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟! فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ»(١).

- وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّ أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً رَجُلٌ صَرَفَ اللهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ قِبَلَ الْجَنَّةِ، وَمَثَّلَ لَهُ شَجَرَةً ذَاتَ ظِلٍّ، فَقَالَ: أَيْ رَبِّ، قَدِّمْنِي إِلَى هَذِهِ الشَّجَرَةِ أَكُونُ فِي ظِلِّهَا»، وَسَاقَ الْحَدِيثَ بِنَحْوِ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَلَمْ يَذْكُرْ: «فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَزَادَ فِيهِ: «وَيُذَكِّرُهُ اللهُ: سَلْ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا انْقَطَعَتْ بِهِ الْأَمَانِيُّ، قَالَ اللهُ: هُوَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ»، قَالَ: «ثُمَّ يَدْخُلُ بَيْتَهُ، فَتَدْخُلُ عَلَيْهِ زَوْجَتَاهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، فَتَقُولَانِ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْيَاكَ لَنَا، وَأَحْيَانَا لَكَ»، قَالَ: «فَيَقُولُ: مَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُعْطِيتُ»(٢).

- وعن الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ ﷺ يُخْبِرُ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْمِنْبَرِ يرفعه إلى النبي ﷺ قَالَ: «سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ: مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَمَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ، كَيْفَ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ؟! فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟! فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ رَبِّ، فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ، وَلَكَ مَا اشْتَهَتْ نَفْسُكَ، وَلَذَّتْ عَيْنُكَ، فَيَقُولُ: رَضِيتُ رَبِّ، قَالَ: رَبِّ، فَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: أُولَئِكَ الَّذِينَ أَرَدْتُ، غَرَسْتُ كَرَامَتَهُمْ بِيَدِي، وَخَتَمْتُ عَلَيْهَا، فَلَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»، قَالَ: «وَمِصْدَاقُهُ فِي كِتَابِ اللهِ ﷻ: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم

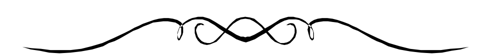
---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب آخر أهل النار خروجًا (١/ ١٧٤) ح (١٨٧).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٧٥) ح (١٨٨).

مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ الْآيَةَ [السجدة: ١٧]»[١].

كل هذه الأدلة تقرب لنا شيئاً من نعيم الجنة، وذلك بقياس ما يعطى أقل أهل الجنة منزلة على أعلاهم في المنازل العالية.



(١) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها (١/ ١٧٦) ح (١٨٩).

الفصل الثاني:
من آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في دعوته

المبحث الأول: الإخلاص لله في الدعوة، والتجرد من حظوظ النفس.

المبحث الثاني: الاهتمام العظيم بعقيدة التوحيد.

المبحث الثالث: الدعوة إلى الله على بصيرة.

المبحث الرابع: الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة.

المبحث الخامس: الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة.

المبحث السادس: المجادلة بالتي هي أحسن.

المبحث السابع: الحرص على هداية الناس.

المبحث الثامن: الرحمة والشفقة بالمدعوين.

المبحث التاسع: إقبال الناس على دعوته.

المبحث العاشر: نبذ أسباب التفرق والاختلاف.

المبحث الحادي عشر: التأييد والتمكين في الأرض.

الفصل الثاني:
من آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في دعوته

توطئة:

ولقد وفقني الله تعالى -وله الحمد والمنة- في الفصل السابق لذكر آثار تحقيق أعمال القلوب على الداعية في نفسه، وهذه الآثار التي يجدها الداعية إلى الله تعالى في نفسه يمتد أثرها على دعوته، فإن من آثار ذلك عليه في دعوته أن يرزقه الله السير في دعوته على منهج الأنبياء، ويهديه ويعينه على ذلك، إذا جاهد نفسه لله من أجل صلاح قلبه، فإن الله يهديه لذلك، كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، وكما قال سبحانه وتعالى في خطابه لنبيه ﷺ، ومن ثَمّ لأتباع منهجه في الدعوة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

والمقصود بـ﴿أُولَئِكَ﴾ في الآية هم الأنبياء الذين سبقوا النبي ﷺ، وهو الذي اختاره ابن جرير رحمه الله، حيث يقول في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى ذكره: ﴿أُولَئِكَ﴾ هؤلاء القوم الذين وكلنا بآياتنا وليسوا بها بكافرين هم الذين هداهم الله لدينه الحق، وحفظ ما وكلوا بحفظه من آيات كتابه، والقيام بحدوده، واتباع حلاله وحرامه، والعمل بما فيه من أمر الله، والانتهاء عما فيه من نهيه، فوفقهم -جل ثناؤه- لذلك، ﴿فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ يقول تعالى ذكره: فبالعمل الذي عملوا، والمنهاج الذي سلكوا، وبالهدى الذي هديناهم، والتوفيق الذي وفقناهم، اقتده يا محمد، أي: فاعمل وخذ به واسلكه، فإنه عمل لله فيه رضًا، ومنهاج من سلكه اهتدى.

وهذا التأويل على مذهب من تأول قوله: ﴿فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩] أنهم الأنبياء المسمون في الآيات المتقدمة[١]، وهو القول الذي اخترناه في تأويل ذلك"[٢].

وقال تعالى عن منهج نبيه في الدعوة إليه تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]

وقال تعالى: ﴿Y Z [\ ] ^ _ ` a
b c d﴾ [النحل: ١٢٥].

ولا شك أن الداعية إلى الله تعالى الموفق إذا سار على هذا المنهج، نجح في دعوته، وجعل الله له قبولًا وأثرًا على الناس، وثبته وأمده بعونه وتوفيقه، فيبارك الله في دعوته، وينصره ويؤيده.

ودونك شيئًا من معالم هذا المنهج بإجمال، وسيأتي التفصيل في المباحث القادمة بحول الله وإعانته:

- **كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام خالصة لله، لا يريدون من أحد جزاءً ولا شكورًا.**

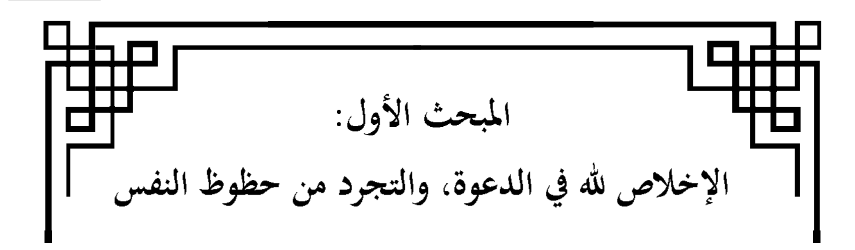
---

(١) يقصد بهم المذكورين في قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الأنعام: ٨٣-٨٧].

(٢) تفسير الطبري (٩/ ٣٩١).

- **كان الأنبياء عليهم السلام أول ما يدعون إليه توحيد الله وإفراده بالعبادة، وتحذير أممهم من الشرك كبيره وصغيره، وتحذيرهم كذلك من الذرائع والسبل الموصلة إليه.**
- **ومن المعالم البارزة في دعوة الأنبياء الدعوة إلى الله على بصيرة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.**
- **كان الأنبياء عليهم السلام حريصين على هداية الناس، وإنقاذهم من الجاهلية، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.**
- **ومن معالم دعوة الأنبياء عليهم السلام الرحمة والشفقة بالمدعوين، مما يجعل قلوب المدعوين تهوي إليهم، وتقبل عليهم، فيفتح الله لهم مغاليق القلوب.**
- **ومن المعالم البارزة في دعوة الأنبياء عليهم السلام أنهم يدعون إلى نبذ أسباب التفرق والاختلاف والتنازع، ويحذّرون من ذلك، وفي المقابل يدعون إلى الألفة والمحبة والاجتماع على الحق والاعتصام بالوحي.**
- **ومن سنن الله الكونية التي يجريها لأنبيائه، وللدعاة إلى الله الذين يقتفون أثر أنبيائه أن ينصرهم الله ويمكن لهم.**

وهذا أوان الشروع في تفصيل هذه المعالم لمنهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، وفق المباحث الآتية:



المبحث الأول: الإخلاص لله في الدعوة، والتجرد من حظوظ النفس

إن الأنبياء عليهم السلام لا يريدون من أحد جزاء ولا شكورًا على دعوتهم، بل يريدون من الله وحده الأجر والثواب، وكان كل نبي يقول لقومه: ﴿وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٩].

قالها الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لأقوامهم، وقالها نبينا ﷺ لقومه، كما قال تعالى عنه: ﴿قُلۡ مَا سَأَلۡتُكُم مِّنۡ أَجۡرٍ فَهُوَ لَكُمۡۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ شَهِيدٌ﴾ [سبأ: ٤٧].

وقال تعالى: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦].

يقول ابن كثير رحمه الله: "يقول تعالى: ﴿قُلۡ﴾ -يا محمد- لهؤلاء المشركين: ﴿مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ﴾ على هذا البلاغ وهذا النصح أجرًا تعطونيه من عَرَض الحياة الدنيا، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ أي: وما أزيد على ما أرسلني الله به، ولا أبتغي زيادة عليه، بل ما أمرت به أديته لا أزيد عليه ولا أنقص منه، وإنما أبتغي بذلك وجه الله ﷻ والدار الآخرة"(١).

وهكذا كل داعية إلى الله تعالى صدق مع الله، وأخلص دعوته لله، وسار على منهج الأنبياء عليهم السلام، لا يريد بدعوته من أحد جزاء ولا شكورًا، ولا يريد مكسبًا دنيويًّا، أو شهرة أو ذكرًا وثناء من الناس، لا يريد جاهًا أو منصبًا، أو

---

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٨٢).

مكاسب سياسية أو نحوها، بل يريد وجه الله تعالى والأجر والثواب منه وحده لا شريك له.

فيكون مقصد الداعية: الدعوة إلى الله وحده لا شريك له، لا يدعو لنفسه ولا لجهة أو طائفة معينة، أو لحزب أو لجماعة، بل همه وغايته من دعوته إخراج الناس من الظلمات إلى النور، ولأجل أن تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله، ويكون دين الله وشرعه هو الظاهر، وهو المحكّم في الأرض، لا ينتصر لنفسه أو لغيره، إنما ينتصر للمنهج الحق(١).

عَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلْمَغْنَمِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِلذِّكْرِ، وَالرَّجُلُ يُقَاتِلُ لِيُرَى مَكَانُهُ، فَمَنْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»(٢).

والدعوة إلى الله تعالى من أفضل أنواع الجهاد كما قرره ابن القيم، فيقول رحمه الله: "وتبليغ سنته إلى الأمة أفضل من تبليغ السهام إلى نحور العدو؛ لأن ذلك التبليغ يفعله كثير من الناس، وأما تبليغ السنن فلا تقوم به إلا ورثة الأنبياء وخلفاؤهم في أممهم"(٣).

وعلى هذا فينبغي على الداعية أن يتحرر من المقاصد التي تفسد نيته، ويتجرد من حظوظ النفس، والرغبة فيما عند الناس، ويصبر على ما يلقاه في ذات الله، ولا ينتقم لنفسه، ولا يطلب لنفسه شيئًا من الدنيا وحظوظها.

ذكر شيخ الإسلام رحمه الله كلامًا متينًا رصينًا حول بيان تعلق النفس بالحظوظ

---

(١) ينظر: فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأثره في حياة الداعية (١٣٣).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا (٤/ ٢٠) ح (٢٨١٠) واللفظ له، ومسلم في كتاب الإمارة، باب من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله (٣/ ١٥١٣) ح (١٩٠٤).

(٣) جلاء الأفهام (٤١٥).

الشخصية وهي تظهر أنها تدعو لله تعالى والأمر على غير ذلك، فيقول: "وقد أمر الله نبيه بالصبر على أذى المشركين في غير موضع، وهو إمام الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، فإن الإنسان عليه أولًا أن يكون أمره لله وقصده طاعة الله فيما أمره به، وهو يحب صلاح المأمور، أو إقامة الحجة عليه، فإن فعل ذلك لطلب الرياسة لنفسه ولطائفته، وتنقيص غيره، كان ذلك حمية لا يقبله الله، وكذلك إذا فعل ذلك لطلب السمعة والرياء كان عمله حابطًا، ثم إذا رُدَّ عليه ذلك وأوذي، أو نسب إلى أنه مخطئ وغرضه فاسد، طلبت نفسه الانتصار لنفسه، وأتاه الشيطان، فكان مبدأ عمله لله، ثم صار له هوى يطلب به أن ينتصر على من آذاه، وربما اعتدى على ذلك المؤذي.

وهكذا يصيب أصحاب المقالات المختلفة، إذا كان كل منهم يعتقد أن الحق معه، وأنه على السنة؛ فإن أكثرهم قد صار لهم في ذلك هوى أن ينتصر جاههم أو رياستهم وما نسب إليهم، لا يقصدون أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، بل يغضبون على من خالفهم، وإن كان مجتهدًا معذورًا لا يغضب الله عليه، ويرضون عمن يوافقهم، وإن كان جاهلًا سيئ القصد، ليس له علم ولا حسن قصد، فيفضي هذا إلى أن يحمدوا من لم يحمده الله ورسوله، ويذموا من لم يذمه الله ورسوله، وتصير موالاتهم ومعاداتهم على أهواء أنفسهم لا على دين الله ورسوله.. ومن هنا تنشأ الفتن بين الناس، قال الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: ٣٩]، فإذا لم يكن الدين كله لله كانت فتنة"(١).

والداعية الموفق يسير على منهج قدوته ﷺ في إخلاص دعوته لله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ

(١) منهاج السنة النبوية (٥/ ٢٥٤-٢٥٥).

﴿ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، وفي قوله تعالى: ﴿أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ تنبيه على الإخلاص في الدعوة؛ لأن من الناس من يدعو إلى نفسه(١).

ولأن الدعاة ينقسمون إلى داع إلى الله تعالى، وداع إلى الله -فيما يزعم- وهو يدعو إلى غيره، فالداعي إلى الله هو المخلص الذي يهمه إيصال الناس إلى الله، وأن يحذرهم مما يبعدهم عنه، ولا يريد من أحد جزاء ولا شكورًا، وإنما يريد الجزاء من الله وحده لا شريك له، أما الداعي الذي يزعم أنه يدعو إلى الله وهو في الحقيقة يدعو إلى غيره، قد يكون داعيًا إلى نفسه، لأجل أن يحصل على مكاسب سياسية، أو يدعو لأجل أن يعظّم بين الناس ويحترم، ولهذا تجده يغضب إذا لم يفعل الناس ما أمرهم به، ولا يغضب إذا ارتكبوا نهيًا أعظم منه، لكن لم يدع إلى تركه(٢).

ويغضب لنفسه إذا لم يُسْمَع كلامه أو لم يؤخذ بمشورته؛ لأن المصلحة مثلًا اقتضت عدم الأخذ برأيه، فتثور ثائرته لأجل ذلك، وربما يصل به الشطط إلى البحث عن العيوب لينتقم لنفسه، وإذا حصل خلل ما استغله ليبين أنه لم يؤخذ بمشورته، وهذه نتيجة ذلك، وحين ينكشف ما في النفوس، تظهر أن الحمية هنا ليست لله بل لمصالح شخصية.

وقد يغضب في داخل نفسه إذا لم يصدّر في المجلس، أو لم تقدم له التسهيلات، بحجة سابقته في الدعوة، أو مكانته العلمية، أو منصبه العلمي، أو بأنه القائد والمربي الذي ينبغي احترامه وتبجيله وتقديره فتوسع له المجالس، أو نحو ذلك من الأمور المغلفة بحظوظ النفس.

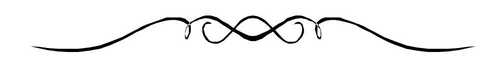
وقد يكون داعيًا إلى حزب أو جماعة، فهو لا يخرج في دعوته عن مطالب هذه

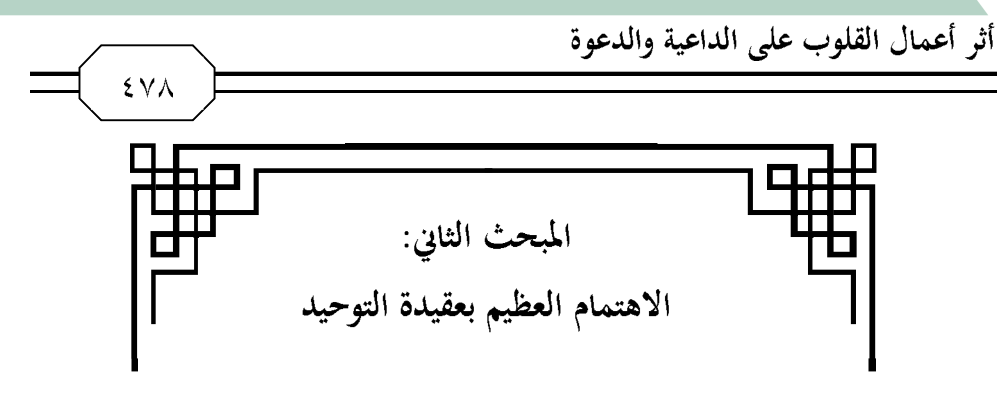
(١) ينظر: كتاب التوحيد (٢١) لمحمد بن عبد الوهاب، ت: عبد العزيز السعيد، من مطبوعات جامعة الإمام بالرياض.

(٢) ينظر: القول المفيد على كتاب التوحيد (١/ ١٢٩) لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ.

الجهة التي يتبع لها يتلمس رضاها، وقد يترك أمورًا من الدعوة هي من أسسها؛ لأجل أن الجماعة التي ينتمي إليهم لا يريدون ذلك، ومن أوضح الأمثلة على ذلك: ترك الدعوة إلى العقيدة الصحيحة على منهج السلف؛ لأن جماعته الدعوية مثلًا لهم وجهة نظر في هذه المسألة يرون أن الدعوة إلى ذلك تفرق الناس، أو أنهم في الأصل يحاربون دعوة التوحيد.

وقد يكون المنضم إلى هذه الجماعة مقتنعًا بأهمية ذلك، لكنه يتركه حتى لا يخسر الانتماء إليهم، فيترك هذا الحق العظيم الذي هو من أعظم الحقوق في الدعوة إلى الله بمثل هذه الحجج الواهية أو المتوهمة، ولا شك أن هذا الأسلوب في الدعوة يجانب دعوة الأنبياء عليهم السلام.





المبحث الثاني:
الاهتمام العظيم بعقيدة التوحيد

إن من الأسس البارزة في دعوة الأنبياء عليهم السلام الاهتمام بالعقيدة والحرص على سلامتها.

ولكن لما كانت عقيدة التوحيد التي هي عبادة الله وحده لا شريك له، يحصل فيها الانحراف الكبير من البشر كانت محور اهتمام الأنبياء جميعًا، فقال تعالى في بيان رسالة الأنبياء جميعًا إلى أممهم: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

يقول السعدي رحمه الله: "يخبر تعالى أن حجته قامت على جميع الأمم، وأنه ما من أمة متقدمة أو متأخرة إلا وبعث الله فيها رسولًا، وكلهم متفقون على دعوة واحدة ودين واحد، وهو عبادة الله وحده لا شريك له"(١).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

قال الطبري رحمه الله في تفسيره للآية: "يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا﴾ يا محمد ﴿مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ﴾ إلى أمة من الأمم، ﴿إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ﴾ لا معبود في السماوات والأرض تصلح العبادة له سواي، ﴿فَاعْبُدُونِ﴾، يقول: فأخلصوا لي العبادة، وأفردوا لي الألوهة"(٢).

---

(١) تفسير السعدي (٤٤٠).

(٢) تفسير الطبري (١٦/ ٢٤٩).

وذكر الله تعالى أن جميع الأنبياء عليهم السلام كانوا يقولون لأقوامهم: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ﴾ [الأعراف: ٥٩]. قالها نوح، وهود، وصالح، وشعيب، عليهم وعلى نبينا الصلاة والسلام.

وقالها النبي ﷺ لقومه حتى إنهم عجبوا من هذه الدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، وهي مقتضى كلمة التوحيد: لا إله إلا الله التي بلغها لهم، فقالوا مستعجبين كما ذكر الله عنهم: ﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾ [ص: ٥].

وعَنْ رجل من بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ[(١)] يَتَخَلَّلُهَا يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تُفْلِحُوا»، قَالَ: وَأَبُو جَهْلٍ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ لِتَتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ، وَتَتْرُكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى، قَالَ: وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.. الحديث[(٢)].

وعَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيّ[(٣)] قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سُوقِ ذِي الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا»، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ، وَقَدْ أَدْمَى عُرْقُوبَيْهِ وَكَعْبَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا

---

(١)موضع سوق بالجاهلية لهذيل بالقرب من عرفة في منتصف المسافة بينها وبين ما يسمى اليوم شرائع النخل، من ناحية جبل كبكب.

ينظر: معالم مكة التأريخية والأثرية (٢٤٣)، معجم معالم الحجاز(١٥٠٢-١٥٠٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٧/ ١٤٨) ح (١٦٦٠٣)، وقال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد في كتاب المغازي والسير، باب تبليغ النبي ﷺ ما أرسل به وصبره على ذلك (٦/ ٢١-٢٢) ح (٩٨٣٠): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح"، وقال محقق المسند (٢٧/ ١٤٨) ح (١٦٦٠٣): "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الشيخين".

(٣) طارق المحاربي له صحبة، يعد حديثه في الكوفيين.

ينظر: الاستيعاب(٢/٧٥٦)، الاصابة(٣/٤١٤).

تُطِيعُوهُ، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: هَذَا غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قُلْتُ: فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قَالَ: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ.. الحديث(١).

ولما بعث النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه إلى اليمن أوصاه بأن أول ما يدعو إليه التوحيد، وقد ورد ذلك بعدة ألفاظ، وكلها بمعنى واحد، وإنما تصرف الرواة في لفظها(٢):

١- عن ابن عباس رضي الله عنهما يَقُولُ: لَمَّا بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى نَحْوِ أَهْلِ اليَمَنِ قَالَ لَهُ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَى أَنْ يُوَحِّدُوا اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا عَرَفُوا ذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا صَلَّوْا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً فِي أَمْوَالِهِمْ، تُؤْخَذُ مِنْ غَنِيِّهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فَقِيرِهِمْ، فَإِذَا أَقَرُّوا بِذَلِكَ فَخُذْ مِنْهُمْ، وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»(٣).

٢- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ مُعَاذًا قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَادْعُهُمْ إِلَى شَهَادَةِ أَنَّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَأَعْلِمْهُمْ أَنَّ اللهَ افْتَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ

---

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه في كتاب الوضوء، باب ذكر الدليل على أن الكعبين اللذين أمر المتوضئ بغسل الرجلين إليهما، العظمان الناتئان في جانبي القدم (١/ ١١٩) ح (١٥٩)، وابن حبان في صحيحه في باب كتب النبي ﷺ، ذكر مقاساة المصطفى ﷺ ما كان يقاسي من قومه في إظهار الإسلام (١٤/ ٥١٧-٥١٨) ح (٦٥٦٢)، قال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لصحيح ابن حبان (١٤/ ٥١٩) ح (٦٥٦٢): "إسناده صحيح"، وقال الأعظمي محقق صحيح ابن خزيمة (١/ ١١٩) ح (١٥٩): "إسناده صحيح".

(٢) وقد أشار ابن حجر رحمه الله إلى احتمال ذلك. ينظر: فتح الباري (١٣/ ٣٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٩/ ١١٤) ح (٧٣٧١).

فَتُرَدُّ فِي فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللهِ حِجَابٌ»(١).

٣- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا بَعَثَ مُعَاذًا رضي الله عنه عَلَى الْيَمَنِ قَالَ: «إِنَّكَ تَقْدَمُ عَلَى قَوْمٍ أَهْلِ كِتَابٍ، فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ عِبَادَةُ اللَّهِ، فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي يَوْمِهِمْ وَلَيْلَتِهِمْ، فَإِذَا فَعَلُوا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ زَكَاةً مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِذَا أَطَاعُوا بِهَا فَخُذْ مِنْهُمْ وَتَوَقَّ كَرَائِمَ أَمْوَالِ النَّاسِ»(٢).

قال ابن حجر رحمه الله في ذكر وجه الجمع بين هذه الألفاظ: "ووجه الجمع بينها: أن المراد بالعبادة التوحيد، والمراد بالتوحيد الإقرار بالشهادتين، والإشارة بقوله: «ذَلِكَ» إلى التوحيد، وقوله: «فَإِذَا عَرَفُوا اللَّهَ» أي: عرفوا توحيد الله، والمراد بالمعرفة الإقرار والطواعية، فبذلك يجمع بين هذه الألفاظ المختلفة في القصة الواحدة وبالله التوفيق"(٣).

ومما يدل على أهمية الدعوة إلى التوحيد وأن البداءة تكون به أنه حق الله على العبيد كما في حديث معاذ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا مُعَاذُ، أَتَدْرِي مَا حَقُّ اللهِ عَلَى الْعِبَادِ؟» قَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ يُعْبَدَ اللهُ وَلَا يُشْرَكَ بِهِ شَيْءٌ»، قَالَ: «أَتَدْرِي مَا حَقُّهُمْ عَلَيْهِ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ؟» فَقَالَ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «أَنْ لَا

(١) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء وترد في الفقراء حيث كانوا (٢/ ١٢٨) ح (١٤٩٦)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ٥٠) ح (١٩) واللفظ له.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة (٢/ ١١٩) ح (١٤٥٨)، ومسلم في كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ٥١) ح (١٩).

(٣) فتح الباري (١٣/ ٣٥٤).

يُعَذِّبَهُمْ» الحديث[١].

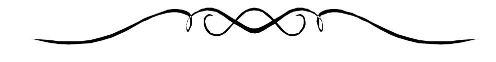
وعلى هذا فكل دعوة لا تجعل التوحيد في أول اهتمامها، فقد انحرفت عن منهج الأنبياء في الدعوة إلى الله تعالى، وفي المقابل يحرص الداعية على بيان ما يضاد التوحيد، فينقضه أو ينقص كماله من الشرك بكل أنواعه، والذرائع الموصلة إليه، وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام، وعلى رأسهم نبينا ﷺ، يقول تعالى عن عيسى عليه السلام: ﴿



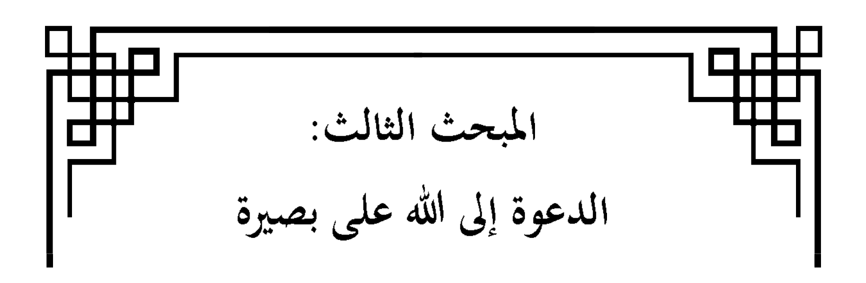
[المائدة: ٧٢].

وقال تعالى عن نبينا ﷺ: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

والآيات في هذا المعنى كثيرة.



(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي ﷺ أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى (٩/ ١١٤) ح (٧٣٧٣) ومسلم واللفظ له في كتاب الإيمان، باب من لقي الله بالإيمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار (١/ ٥٩) ح (٣٠).



المبحث الثالث:
الدعوة إلى الله على بصيرة

المطلب الأول: تعريف البصيرة.

المطلب الثاني: أسباب البصيرة.

المطلب الثالث: مجالات البصيرة:

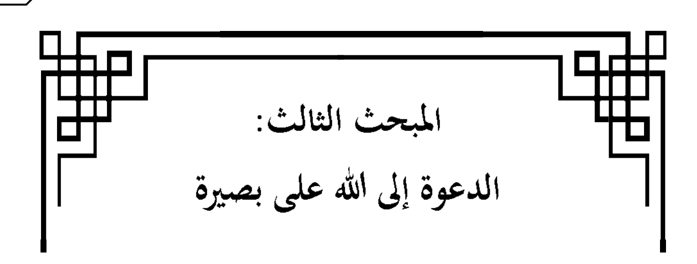
الفرع الأول: البصيرة بمن يدعو إليه، وهو الله سبحانه وتعالى.

الفرع الثاني: البصيرة فيما يدعو الناس إليه.

الفرع الثالث: البصيرة في حال المدعوين، وطرائق دعوتهم.

المطلب الرابع: أسباب ضعف البصيرة.





المبحث الثالث:
الدعوة إلى الله على بصيرة

توطئة:

من توفيق الله تعالى للداعية الذي اجتهد في تحقيق أعمال القلوب أن يرزقه الله البصيرة في دعوته، فيجعل الله له نورًا يفتح له به مغاليق القلوب، ويجعل له أثرًا في المدعوين.

ذكر الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو يبين منهجه وطريقته في الدعوة إلى الله تعالى، وكذلك من اتبعه، فقال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨]، يقول السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ للناس ﴿هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ﴾ أي: طريقي التي أدعو إليها، وهي السبيل الموصلة إلى الله وإلى دار كرامته، المتضمنة للعلم بالحق والعمل به وإيثاره، وإخلاص الدين لله وحده لا شريك له، ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ أي: أحث الخلق والعباد إلى الوصول إلى ربهم، وأرغبهم في ذلك وأرهبهم مما يبعدهم عنه. ومع هذا فأنا ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ من ديني، أي: على علم ويقين من غير شك ولا امتراء ولا مرية، ﴿وَ﴾ كذلك ﴿مَنِ ٱتَّبَعَنِى﴾ يدعو إلى الله كما أدعو على بصيرة من أمره. ﴿وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ عما نسب إليه مما لا يليق بجلاله، أو ينافي كماله، ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ في جميع أموري، بل

أعبد الله مخلصًا له الدين"[(١)].

وسيكون الكلام عن البصيرة في الدعوة وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف البصيرة.

المطلب الثاني: أسباب البصيرة.

المطلب الثالث: مجالات البصيرة.

المطلب الرابع: أسباب ضعف البصيرة.

المطلب الأول: تعريف البصيرة:

البصيرة في اللغة تطلق على عدة معان منها:

العلم، فيقال: بَصُرْتُ بالشيء: علمته، وهو بصير به، وعلى **الرؤية بالعين**، فتقول: أبصرت الشيء أي رأيته، وعلى **الحجة والاستبصار في الشيء**، ومنه قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤]، قال الأخفش[(٢)] في معنى الآية: جعله هو البصيرة كما يقول الرجل للرجل: أنت حُجَّةٌ على نفسك.

---

(١) تفسير السعدي (٤٠٦).

(٢) إمام النحو، أبو الحسن سعيد بن مسعدة البلخي، ثم البصري المعروف بالأخفش الأوسط، وله كتاب معاني القرآن، وقد وقع في تأويل بعض الصفات على طريقة أهل الاعتزال، توفي رحمه الله سنة (٢١٥هـ)، وقيل: سنة (٢٢٥هـ) وقيل غير ذلك.

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٠٦)، البداية والنهاية (١٤/ ٢٧٤)، الأعلام (٣/ ١٠١).

ومن باب التفريق اشتهر جملة من علماء اللغة بالأخفش وأبرزهم ثلاثة:

١- الأخفش الأكبر، واسمه: عبد الحميد بن عبد المجيد، من شيوخ سيبويه.

٢- الأخفش الأوسط، وهو سعيد بن مسعدة، وهو من تلاميذ سيبويه، وهو أشهر الثلاثة.

٣- الأخفش الأصغر، واسمه: علي بن سليمان، من تلاميذ المبرد وثعلب، توفي سنة (٣١٥هـ).

ينظر: المزهر في علوم اللغة وأنواعها (٢/ ٣٨٦) للسيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.

وتطلق على **الفطنة**(١)، تقول العرب: أعمى الله بصائره أي: فِطَنَه(٢).

وفي المعجم الوسيط ذكر بعض معاني البصيرة في اللغة: "البصيرة: **قوة الإدراك، والفطنة، والعلم والخبرة**، ويقال: **فراسة ذات بصيرة صادقة، وفعل ذلك عن بصيرة عن عقيدة ورأي، والحجة، والرقيب، والعبرة**"(٣).

البصيرة في الاصطلاح:

البصيرة في معناها العام: نور يقذفه الله في قلب عبده، يميز به بين الحق والباطل، ويرى به حقيقة ما أخبرت به الرسل، كأنه يشاهده رأي عين، فيتحقق مع ذلك انتفاعه بما دعت إليه الرسل، وتضرره بمخالفتهم(٤).

والبصيرة في الدعوة إلى الله تعالى: أن يكون الداعية عالمًا بما يدعو إليه، عالمًا بمن يدعوه، فطنًا مدركًا للأساليب، والطرائق المؤثرة في المدعوين، وكل ذلك في إطار النصوص الشرعية، وما عليه سلف الأمة رحمهم الله(٥).

المطلب الثاني: أسباب البصيرة:

للبصيرة أسباب من سعى في حصولها وجدها، منها:

١- العلم:

وللعلم بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ أثر على حصول البصيرة لدى الداعية إلى الله تعالى، فإن العلم النافع نور يقذفه الله في القلوب، فبه يفرق العبد بين الحق

---

(١) الفطنة أي: الفهم والذكاء.

ينظر: الصحاح (٦/ ٢١٧٧)، مقاييس اللغة (٤/ ٥١٠) مادة (فطن).

(٢) ينظر: الصحاح (٢/ ٥٩١-٥٩٢)، مقاييس اللغة (١/ ٢٥٣)، لسان العرب (٤/ ٦٥) مادة (بصر).

(٣) المعجم الوسيط (١/ ٥٩) مادة (بصر).

(٤) ينظر: تفسير البغوي (٤/ ٢٨٤)، مدارج السالكين (١/ ١٤٣).

(٥) ينظر: البصيرة في الدعوة إلى الله (١٨).

والباطل والخطأ والصواب[(١)]، قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾ [النور: ٤٠].

والنور يهبه الله لمن بذل أسبابه، فالعلم بكتاب الله تعالى وتدبره والعمل به له أثره على حصول نور البصيرة في القلب، قال تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ۝١٥ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [المائدة: ١٥، ١٦]، فالنور في قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ هو القرآن العظيم[(٢)] الذي من تمسك به جعل الله له نورًا يشرق في قلبه يعرف به الحق من الباطل، فقال تعالى: ﴿يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ أي: يهدي به الله من اجتهد وحرص على مرضاة الله إلى أقوم طريق وأوضح سبيل، وهو العلم بالحق والعمل به إجمالًا وتفصيلًا، فيخرجهم بالقرآن من ظلمات الكفر والبدعة والمعاصي إلى نور الإيمان والسنة والطاعة والعلم والذكر، وكل هذه الهداية بإذن الله الذي لا يكون إلا ما يشاء[(٣)].

وجاءت النصوص في بيان أثر العلم بالقرآن والسنة في حصول نور البصيرة الذي له أعظم الأثر في هداية العبد إلى الله تعالى، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ

(١) ينظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٩٩)، ومفتاح دار السعادة (١/ ١٢٧).
(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٦٨)، تفسير السعدي (٢٢٦).
(٣) ينظر: تفسير السعدي (٢٢٦).

إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الشورى: ٥٢، ٥٣].

وسمى القرآن روحًا لأنه تحيا به القلوب والأرواح، كما تحيا الأجساد بالروح، وجعله نورًا يهدي به من يشاء، فيستضيئون به في ظلمات الكفر والبدع، والأهواء المردية، ويعرفون به الحقائق، ويهتدون به إلى الصراط المستقيم(١).

وكذلك العلم بسنة النبي ﷺ والعمل بها له أثر في حصول نور البصيرة فعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال ﷺ: «نَضَّرَ اللَّهُ امْرَأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا، فَحَفِظَهُ حَتَّى يُبَلِّغَهُ» الحديث.

ومن دعا له النبي ﷺ بالنضرة؛ لأنه يحمل الحديث ليعلمه الناس، فإن ذلك من أسباب نور بصيرة قلبه؛ لأن من يعلم الناس الخير، ويبلغهم حديث رسول الله ﷺ يفتح الله له أبواب التوفيق، قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ».

وإذا كان الخالق يثني عليه، وبقية المخلوقات تدعو له، فالتوفيق حليفه، ويقذف الله في قلبه نور البصيرة، فيكون له الأثر الكبير على من يدعوهم إلى الخير.

٢- الإيمان والتقوى:

ومن أسباب نور البصيرة تحقيق الإيمان والتقوى في القلب، فإذا جاهد الداعية نفسه على تحقيق الإيمان والتقوى في قوله وفعله وظاهره وباطنه، قذف الله في قلبه نور البصيرة، وفتحت أمامه أبواب التوفيق، وجعل الله في قلبه نورًا يفرق به بين الحق والباطل، ويفتح الله له مغاليق القلوب، ويجعل لكلمته ودعوته قبولًا في قلوب الناس؛

---

(١) ينظر: تفسير السعدي (٧٦٢).

لأن من حقق الإيمان والتقوى ظاهرًا وباطنًا، أحبه الله وأقبل بقلوب الناس إليه، وفتح له نور البصيرة وجعل كلماته تصل إلى القلوب، وتأثر فيها، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ عَبْدًا نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبَّهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ»(١).

وقد بين الله في كتابه أثر الإيمان والتقوى في حصول البصيرة، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا﴾ [الأنفال: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ١٩٤].

كل هذه الآيات تدل على أثر الإيمان والتقوى على العبد، ومن آثارهما أن يؤتيه الله البصيرة، ويوفقه لها.

٣- ومن أسباب البصيرة كثرة التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض:

لقوله ﷺ: «إن الله قال: وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الأدب، باب المقة من الله تعالى (٨/ ١٤) ح (٦٠٤٠)، ومسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أحب الله عبدًا حببه لعباده (٤/ ٢٠٣٠) ح (٢٦٣٧).

يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» الحديث.

وفي الحديث إشارة إلى أن العبد إذا تقرب الله بالنوافل بعد الفرائض أحبه الله تعالى، وجعل جوارحه تتحرك في مرضاة الله تعالى، وإذا كان أمره كذلك رزقه الله البصيرة في دعوته، وأقبل بالقلوب عليه كما سبق.

٤- ومن أسبابها الاعتصام بالله:

دلت الآيات على أثر الاعتصام بالله وهو أنه إذا استمسك بدينه بكتاب الله وسنة رسوله وتوكل عليه، فإنه يفتح له نور بصيرته ويوفقه ويسدده، فقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَـٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَٱعۡتَصَمُواْ بِهِۦ فَسَيُدۡخِلُهُمۡ فِي رَحۡمَةٖ مِّنۡهُ وَفَضۡلٖ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَيۡهِ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا﴾ [النساء: ١٧٤، ١٧٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [آل عمران: ١٠١]. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: ومع هذا فالاعتصام بالله والتوكل عليه هو العمدة في الهداية، والعدة في مباعدة الغواية، والوسيلة إلى الرشاد، وطريق السداد، وحصول المراد"(١).

٥- الدعاء والتضرع إلى الله تعالى بقلب حاضر مقبل على الله، يستشعر حاجته وفقره لتوفيق الله له في كل حاله، وألا يكله إلى حوله وقوته، ويسأل الله أن يرزقه البصيرة في دعوته، وذلك يستدعي أمورًا منها:

أولًا: حسن ظنه بربه، قال ﷺ: «يقول الله تعالى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي».

---

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٨٦).

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي».

وقال ﷺ عَنِ اللهِ ﷻ: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»(١).

فمن حسُن ظنه بالله بأن يرزقه البصيرة وفقه الله لذلك.

ثانيًا: أن يكثر من الأدعية النبوية التي يظهر منها عجزه وحاجته وفقره إلى ربه، وأن يطلب منه العون والتوفيق، ومن أمثلة ذلك:

- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ»(٢).

- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو، فَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»(٣).

- وعن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِفَاطِمَةَ: «مَا يَمْنَعُكِ أَنْ

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ١٨٧) ح (١٦٩٧٨)، وابن حبان في صحيحه باب حسن الظن بالله تعالى، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله جل وعلا بحسن الظن في أحواله به (٢/ ٤٠١) ح (٦٣٣)، والحاكم في المستدرك في كتاب التوبة والإنابة (٤/ ٢٦٨) ح (٧٦٠٣) وصححه ووافقه الذهبي، وقال في مجمع الزوائد في كتاب الجنائز، باب حسن الظن بالله تعالى (٢/ ٣١٨) ح (٣٨٨٧): "رواه أحمد والطبراني في الأوسط، ورجال أحمد ثقات"، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٧٩٥) ح (٤٣١٦)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٢٥/ ٣٩٨) ح (١٦٩٧٨): "إسناده صحيح".

(٢) أخرجه الترمذي في أبواب الدعوات، باب.. (٥/ ٥٣٩) ح (٣٥٢٤)، وقال: "حديث غريب"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٨٦٨) ح (٤٧٧٧).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٤/ ٧٥) ح (٢٠٤٣٠)، وأبو داود في أبواب النوم، باب ما يقول إذا أصبح (٤/ ٣٢٤) ح (٥٠٩٠)، وابن حبان في صحيحه في باب الأدعية، ذكر وصف دعوات المكروب (٣/ ٢٥٠) ح (٩٧٠)، وقال في مجمع الزوائد في كتاب الأذكار، باب ما يقول إذا وقعت كبيرة (١٠/ ١٣٧) ح (١٧١٣١): "رواه الطبراني، وإسناده حسن"، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣٦١) ح (١٨٢٣)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه على المسند (٣٤/ ٧٥) ح (٢٠٤٣٠): "إسناده حسن في المتابعات والشواهد".

تَسْمَعِي مَا أُوصِيكِ بِهِ؟! أَنْ تَقُولِي إِذَا أَصْبَحْتِ وَإِذَا أَمْسَيْتِ: يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ، أَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»[(١)].

- والإكثار من دعاء: «يا مقلب القلوب، ثبتي قلبي على دينك»، وكان من أكثر أدعية النبي ﷺ.

عَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟! قَالَ: «نَعَمْ؛ إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ، يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ».

- والإكثار من الدعاء الذي كان يفتتح به ﷺ صلاته من الليل: «اللهُمَّ رَبَّ جَبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَإِسْرَافِيلَ، فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ، اهْدِنِي لِمَا اخْتُلِفَ فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِكَ، إِنَّكَ تَهْدِي مَنْ تَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ».

يقول ابن القيم رحمه الله: "وشهدت شيخ الإسلام -قدس الله روحه- إذا أعيته المسائل واستصعبت عليه فر منها إلى التوبة والاستغفار، والاستغاثة بالله واللجأ إليه، واستنزال الصواب من عنده، والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدًّا، وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه بأيتهن يبدأ، ولا ريب أن من وفق هذا الافتقار علمًا وحالًا، وسار قلبه في ميادينه بحقيقة وقصد، فقد أعطي حظه من

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى في كتاب عمل اليوم والليلة (٩/ ٢١٢) ح (١٠٣٣٠) ت: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ، والبزار في مسنده (١٣/ ٤٩) ح (٦٣٦٨)، والحاكم في المستدرك في كتاب الدعاء، والتكبير، والتهليل، والتسبيح والذكر (١/ ٧٣٠) ح (٢٠٠٠) وصححه، وحسن إسناده في الأحاديث المختارة (٦/ ٣٠٠) ح (٢٣١٩) لضياء الدين المقدسي، ت: ابن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ، وقال في مجمع الزوائد في كتاب الأذكار، باب ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى (١٠/ ١١٧) ح (١٧٠٠٨): "رواه البزار، ورجاله رجال الصحيح غير عثمان بن موهب، وهو ثقة"، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٤١٧) ح (٦٦١).

التوفيق، ومن حرمه فقد منع الطريق والرفيق، فمتى أعين مع هذا الافتقار ببذل الجهد في درك الحق فقد سلك به الصراط المستقيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم"(١).

٦- الفراسة(٢) دليل على البصيرة، ولها أثر فيها، وعلامة دالة عليها، وللفراسة أسباب، ذكرها شجاع الكرماني رحمه الله فقال: "من غض بصره عن المحارم، وعمر باطنه بدوام المراقبة، وظاهره باتباع السنة، وعود نفسه أكل الحلال، وكف نفسه عن الشهوات، لم تخطئ له فراسة"(٣)، وهذه الأسباب من حققها حصل على البصيرة وظفر بالفراسة، وهي:

أ- غض البصر عن المحارم:

إن من ثمرات غض البصر عن المحارم صفاء القلب وسلامته من التعلق بالصور، وذلك الذي يورث نور البصيرة وقوة الفراسة، فإذا تعلقت القلوب بالنظر الحرام انطفأ نور بصيرتها، قال تعالى عن قوم لوط الذين تعلقت قلوبهم وأبصارهم بالنظر والشهوة المحرمة: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر: ٧٢]، فالتعلق بالصور يوجب

---

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٣٢).

(٢) الفِراسة: تطلق على التثبت والنظر والحذق والتوسم، تقول: تفرس فيه خيرًا، أي: توسمه.
ينظر: الصحاح (٣/ ٩٥٨)، لسان العرب (٦/ ١٦٠) مادة (فرس).
وفي الاصطلاح: تطلق على معنيين:
الأول: ما دل عليه ظاهر حديث: «اتَّقُوا فِرَاسَةَ الْمُؤْمِنِ فَإِنَّهُ يَنْظُرُ بِنُورِ اللَّهِ»، وقد سبق تخريج الحديث، ومعناه: وهو ما يوقعه الله في قلوب أوليائه، فيعلمون أحوال بعض الناس بنوع من الكرامة، وإصابة الظن والحدس.
الثاني: يعلم بالدلائل والتجربة، والخَلْق والأخلاق، فتعرف به أحوال الناس.
ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣/ ٤٢٨).

(٣) مجموع الفتاوى (١٥/ ٣٩٦)، وينظر أصله في: حلية الأولياء (١٠/ ٢٣٧)، صفة الصفوة (٢/ ٢٧٤).

عمى البصيرة، وفساد العقل، وسكر القلب، وهو أشد من سكر الخمر[١].

ب- دوام مراقبة الله في الباطن:

وهي من ثمرات إيمان العبد بأن الله مطلع عليه لا يخفى عليه من أمره شيء، عالم بسره ونجواه، يسمعه ويراه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ [البقرة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

وقال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

ومراقبة الله في الباطن من أسبابها كذلك خشية العبد لربه بالغيب، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ [فاطر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾ [الملك: ١٢].

وإذا داوم الداعية على مراقبة الله في سره استنار قلبه، وقويت بصيرته، وصدقت فراسته.

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (٢١/ ٢٥٦-٢٥٧).

ت- أن يظهر عليه اتباع السنة في قوله وفعله:

إذا جاهد الداعية نفسه على دوام اتباع السنة، وظهرت عليه آثارها في قوله وفعله، وحرص على الاهتداء بهدي النبي ﷺ في سلوكه وتعاملاته، رزقه الله البصيرة في دعوته، قال تعالى: ﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهۡتَدُواْ﴾ [النور: ٥٤]، قال الطبري رحمه الله: "وإن تطيعوا -أيها الناس- رسول الله فيما يأمركم وينهاكم، ترشدوا وتصيبوا الحق في أموركم"(١).

ث- حرصه على أكل الحلال، والابتعاد عن المشتبهات:

أكل الحلال يورث صفاء القلب ورقته ونور بصيرته، فإذا حرص الداعية على تحري أكل الحلال، وابتعد عن المشتبهات، صلح قلبه، ورزق البصيرة في دعوته، فإن من أعظم العوائق التي تبعد الداعية عن التوفيق وتطفئ نور بصيرته وقوعه في أكل الحرام.

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾ [البقرة: ١٧٢]»، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلَ «يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ: يَا رَبِّ، يَا رَبِّ، وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟!».

وإذا لم يستجب الله لدعائه وحيل بينه وبين الإجابة بسبب أكل الحرام، وذلك عقوبة له، ويترتب على هذه العقوبة، ظلمة القلب، وذهاب نور بصيرته، وحرمانه من التوفيق.

ج- كف النفس عن الشهوات:

(١) تفسير الطبري (١٧/ ٣٤٥).

ومن أسباب حصول البصيرة في الدعوة: كف الداعية لنفسه عن الشهوات المحرمة أو التي فيها شبهة؛ لأن من وقع في الشهوات أثر ذلك على قلبه، فتضعف بصيرته أو تضمحل.

المطلب الثالث: مجالات البصيرة:

للبصيرة عدة مجالات، لا ينجح الداعية في دعوته حتى يلم بها، وهي على سبيل الإجمال:

الفرع الأول: البصيرة بمن يدعو إليه، وهو الله سبحانه وتعالى:

وذلك في عدة أمور:

أولًا: إيمانه الحق بالله تعالى، وتتجلى البصيرة فيه فيما يلي:

- بصيرته في الإيمان بالألوهية والربوبية.
- بصيرته في الإيمان بالأسماء والصفات.

ثانيًا: العلم بشرع الله الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وسلم.

ثالثًا: علمه بوعد الله ووعيده.

الفرع الثاني: البصيرة فيما يدعو الناس إليه، وتبنى على المسائل الآتية:

المسألة الأولى: علمه بالعقيدة الصحيحة وما يضادها.

المسألة الثانية: أن يكون على علم بفقه السيرة النبوية.

المسألة الثالثة: أن يكون ملمًّا بقواعد فقه الدعوة إلى الله وضوابطه.

المسألة الرابعة: أن يكون ملمًّا بقواعد فقه التيسير في الدعوة.

المسألة الخامسة: أن يكون ملمًّا بقواعد فقه مقاصد الدعوة.

المسألة السادسة: أن يكون ملمًّا بفقه السنن الاجتماعية في الدعوة.

الفرع الثالث: البصيرة في حال المدعوين، وطرائق دعوتهم، وفيه مسألتان:

المسألة الأولى: الاطلاع على حال المدعوين، وهذا يستدعي من الداعية أن يكون ملمًّا بما يأتي:

الأول: معرفة الداعية ببيئة المدعوِّين بكل مجالاتها.

الثاني: أن يكون حريصًا على دعوة أهل التأثير في هذه البيئة، وقادة الرأي فيها.

الثالث: أعداء الدعوة، وكيفية التعامل معهم.

المسألة الثانية: البصيرة بطريقة الدعوة المناسبة.

وإليك شيئاً من التفصيل اليسير لهذه الفروع والمسائل:

الفرع الأول: البصيرة بمن يدعو إليه، وهو الله ﷻ:

وتتجلى هذه البصيرة في عدة أمور، منها:

أولًا: إيمانه الحق بالله تعالى:

إذا قوي إيمان الداعية بالله تعالى، وكان إيمانه حقًّا، وكانت بصيرته في إيمانه بينة واضحة، وحرص على تحقيق أعمال القلب، كان ذلك أدعى لتحركه في دعوته بقوة، وانطلاقة عظيمة لا يعتريها الفتور والعجز والكسل، ولا تعوقه العوائق، مهما كانت قوتها وعظيم أثرها؛ لأنه قلب موصول بإيمانه بالله تعالى، ويستمد قوته في دعوته من قوة بصيرته بإيمانه، وتتجلى البصيرة في الإيمان بالله تعالى فيما يأتي:

١- بصيرة في الإيمان بالألوهية والربوبية:

الداعية المؤمن بأن الله هو المستحق للعبادة وحده لا شريك له، فقلبه موصول بالله، متعلق به، منطرح بين يديه، يلتجئ إليه في كل أحواله، لا يلتفت إلى غيره، متبرئ من حوله وقوته، ويؤمن يقينًا أنه لا حول ولا قوة إلا بالله، ويؤمن بالله خالقًا رازقًا مالكًا مدبرًا، "فهو سبحانه خالق كل شيء وربه ومليكه، لا خالق غيره، ولا رب

سواه، ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، فكل ما في الوجود من حركة وسكون، فبقضائه وقدره ومشيئته وقدرته وخلقه"[(١)]، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٤].

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ۝٦٠ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦١ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ۝٦٢ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٦٣ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [النمل: ٦٠-٦٤].

---

(١) الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان (١٢٤) لابن تيمية، ت: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ.

ومن الأمثلة على وضوح البصيرة في الإيمان بالله ما حصل من سحرة فرعون من إيمان عظيم بالله تعالى، ترتب عليه ثبات عظيم، قال تعالى: ﴿فَجُمِعَ ٱلسَّحَرَةُ لِمِيقَٰتِ يَوۡمٖ مَّعۡلُومٖ ﴿٣٨﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلۡ أَنتُم مُّجۡتَمِعُونَ ﴿٣٩﴾ لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ ٱلسَّحَرَةَ إِن كَانُواْ هُمُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمۡ وَإِنَّكُمۡ إِذٗا لَّمِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلۡقُواْ مَآ أَنتُم مُّلۡقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلۡقَوۡاْ حِبَالَهُمۡ وَعِصِيَّهُمۡ وَقَالُواْ بِعِزَّةِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلۡقَىٰ مُوسَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ ﴿٤٥﴾ فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ﴿٤٦﴾ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ ءَامَنتُمۡ لَهُۥ قَبۡلَ أَنۡ ءَاذَنَ لَكُمۡۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِي عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحۡرَ فَلَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَۚ لَأُقَطِّعَنَّ أَيۡدِيَكُمۡ وَأَرۡجُلَكُم مِّنۡ خِلَٰفٖ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴿٤٩﴾ قَالُواْ لَا ضَيۡرَۖ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَٰيَٰنَآ أَن كُنَّآ أَوَّلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣٨-٥١].

٢- بصيرته في الإيمان بالأسماء والصفات:

قال ابن القيم رحمه الله في بيان هذه البصيرة: "فالبصيرة في الأسماء والصفات: أن لا يتأثر إيمانك بشبهة تعارض ما وصف الله به نفسه، ووصفه به رسوله، بل تكون الشبه المعارضة لذلك عندك بمنزلة الشبه والشكوك في وجود الله، فكلاهما سواء في البلاء عند أهل البصائر.

وعقد هذا: أن يشهد قلبك الرب تبارك وتعالى مستويًا على عرشه، متكلمًا بأمره ونهيه، بصيرًا بحركات العالم علويه وسفليه، وأشخاصه وذواته، سميعًا لأصواتهم، رقيبًا على ضمائرهم وأسرارهم، وأمر الممالك تحت تدبيره، نازل من عنده وصاعد إليه، وأملاكه بين يديه تنفذ أوامره في أقطار الممالك، موصوفًا بصفات الكمال، منعوتًا بنعوت الجلال، منزهًا عن العيوب والنقائص والمثال، هو كما وصف نفسه في كتابه،

وفوق ما يصفه به خلقه، حي لا يموت، قيوم لا ينام، عليم لا يخفى عليه مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض، بصير يرى دبيب النملة السوداء، على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، سميع يسمع ضجيج الأصوات، باختلاف اللغات، على تفنن الحاجات، تمت كلماته صدقًا وعدلًا، وجلت صفاته أن تقاس بصفات خلقه شبهًا ومثلًا، وتعالت ذاته أن تشبه شيئًا من الذوات أصلًا، ووسعت الخليقة أفعاله عدلًا وحكمة ورحمة وإحسانًا وفضلًا، له الخلق والأمر، وله النعمة والفضل، وله الملك والحمد، وله الثناء والمجد، أول ليس قبله شيء، وآخر ليس بعده شيء، ظاهر ليس فوقه شيء، باطن ليس دونه شيء، أسماؤه كلها أسماء مدح وحمد وثناء وتمجيد، ولذلك كانت حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، ونعوته كلها نعوت جلال، وأفعاله كلها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل، كل شيء من مخلوقاته دال عليه، ومرشد لمن رآه بعين البصيرة إليه، لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلًا، ولا ترك الإنسان سدى عاطلًا، بل خلق الخلق لقيام توحيده وعبادته، وأسبغ عليهم نعمه ليتوسلوا بشكرها إلى زيادة كرامته، تعرف إلى عباده بأنواع التعرفات، وصرّف لهم الآيات، ونوع لهم الدلالات، ودعاهم إلى محبته من جميع الأبواب، ومد بينه وبينهم من عهده أقوى الأسباب، فأتم عليهم نعمه السابغة، وأقام عليهم حجته البالغة، أفاض عليهم النعمة، وكتب على نفسه الرحمة، وضمّن الكتاب الذي كتبه: أن رحمته تغلب غضبه.

وتفاوت الناس في هذه البصيرة بحسب تفاوتهم في معرفة النصوص النبوية وفهمها، والعلم بفساد الشبه المخالفة لحقائقها.

وتجد أضعف الناس بصيرة أهل الكلام الباطل المذموم الذي ذمه السلف، لجهلهم بالنصوص ومعانيها، وتمكن الشبه الباطلة من قلوبهم، وإذا تأملت حال العامة الذين ليسوا مؤمنين عند أكثرهم رأيتهم أتم بصيرة منهم، وأقوى إيمانًا، وأعظم تسليمًا

للوحي، وانقيادًا للحق"[١].

ثانيًا: العلم بشرع الله الذي أنزله على رسوله ﷺ:

وبصيرة الداعية بشرع الله الذي أنزله على رسوله ﷺ تقوم على التسليم التام، والانقياد الكامل الذي لا تشوبه المعارضة بشبهة تأويل، أو تقليد، أو هوى، كما قال ابن القيم رحمه الله: "فلا يقوم بقلبه شبهة تعارض العلم بأمر الله ونهيه، ولا شهوة تمنع من تنفيذه وامتثاله والأخذ به، ولا تقليد يريحه عن بذل الجهد في تلقي الأحكام من مشكاة النصوص"[٢].

قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة: أنه لا يؤمن أحد حتى يحكّم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنًا وظاهرًا، ولهذا قال: ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ أي: إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجًا مما حكمت به، وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلّمون لذلك تسليمًا كليًا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة"[٣].

ثالثًا: علمه بوعد الله ووعيده:

وبصيرة الداعية في الوعد والوعيد تقوم على أنه ينظر بعين بصيرته إلى وعد الله

---

(١) مدارج السالكين (١/ ١٤٥).

(٢) مدارج السالكين (١/ ١٤٥).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ٣٤٩).

ووعيده كأنه يراه، فهو يرجو وعد الله ويخاف وعيده، قال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٩].

وقال تعالى: ﴿` a b c d e f g h i j k ml p on q r s t u v w x y﴾ [التوبة: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤].

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ [ق: ٤٥].

وذكر شيخ الإسلام خلاصة مسألة الوعد والوعيد فقال رحمه الله: "الذي عليه أهل السنة: أن الله لا يخلد في النار أحدًا من أهل الإيمان.

وخالف في ذلك قوم من أهل البدع: الخوارج والحرورية والمعتزلة، فقالوا: إن أهل الكبائر يخلدون فيها، ومن دخلها لم يخرج منها بشفاعة محمد ﷺ ولا غيره، وكذبوا.

وعارض هؤلاء قوم من المرجئة: زعموا أن الإيمان حاصل من الخلق جميعهم، وأن إيمان الملائكة والأنبياء والصديقين كإيمان أهل الكبائر وكذبوا.

وغلاتهم تزعم أنه لا يدخل في النار أحد، ويحرفون الكلم عن مواضعه، وكل هؤلاء ضالون.

فالطائفة الأولى: نظروا إلى نصوص الوعيد. والثانية: نظروا إلى نصوص الوعد.

وأما أهل السنة: فآمنوا بكل ما جاء من عند الله، ولم يضربوا بعض ذلك

ببعض"[١].

الفرع الثاني: البصيرة فيما يدعو الناس إليه:

وإذا حقق الداعية البصيرة في الإيمان بربوبية الله وألوهيته، وما له من الأسماء والصفات، فهنا لا بد على الداعية إلى الله تعالى أن يحقق البصيرة فيما يدعو الناس إليه، وإذا وفقه الله لذلك كانت دعوته مباركة ينتفع بها الناس ويقبلون عليها، ويكون لها الأثر فيهم.

وهذه البصيرة التي ينبغي أن يتصف بها الداعية تبنى على المسائل الآتية:

المسألة الأولى: علمه بالعقيدة الصحيحة وما يضادها:

من الضروريات أن يكون الداعية على علم متين بالعقيدة الصحيحة وما يضادها، حتى يبلغها للناس، وأن يكون على بصيرة في ذلك؛ لأجل أن يحسن عرض العقيدة الصحيحة على الناس، وأن يحذرهم كذلك مما يضادها من الشرك، ومن كل ما ينقض العقيدة ويذهب بها كلية، أو ينافي كمالها.

المسألة الثانية: أن يكون على علم بفقه السيرة النبوية[٢]:

وحتى ينجح الداعية في إيصال دعوته للناس كما ينبغي لا بد أن يكون على بصيرة بفقه السيرة النبوية، يترسم معالم الهدي النبوي في سيرته العملية ﷺ في الدعوة، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

المسألة الثالثة: أن يكون ملمًّا بقواعد فقه الدعوة إلى الله وضوابطه:

(١) المستدرك على مجموع الفتاوى (١/ ١٢٣) لابن تيمية، وهو مجموع مستدرك زيادة على مجموع الفتاوى، يقع في خمسة مجلدات، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.

(٢) للتوسع ينظر: فقه السيرة للغزالي، دار القلم دمشق، خرج أحاديثه الألباني، ط١، ١٤٢٧هـ.

ومما ينبغي أن يعتنيَ به الداعية في دعوته أن يكون ملمًّا بقواعد فقه الدعوة وضوابطه؛ حتى يكون في دعوته على بصيرة، وأجملها في الآتي:

قواعد عامة تضبط فقه الدعوة[١]:

١- إنما الأعمال بالنيات.

٢- الأصل في العبادات التوقيف.

٣- الاعتصام بالجماعة والائتلاف من أصول الدين.

٤- الشريعة جاءت بتحصيل المصالح وتكميلها.

٥- الذريعة إلى الفساد يجب سدها إذا لم تعارضها مصلحة راجحة.

٦- من عمل عملًا ليس عليه أمر النبي ﷺ فهو رد.

٧- دين الله وسط بين الغالي فيه والجافي عنه.

٨- لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

٩- الوسائل لها أحكام المقاصد.

قواعد خاصة تضبط فقه الدعوة[٢]:

١- العقيدة أساس الدعوة ومنطلقها.

٢- توحيد المنهج الدعوي وعدم تعدده وتجزئته.

٣- كل مقصد دعوي يخالف مقصد الشارع فهو باطل.

٤- كل مسلك دعوي جر فسادًا أو دفع صلاحًا فهو منهي عنه.

٥- الضرورة الدعوية تقدر بقدرها.

---

(١) ينظر للتوسع: كتاب قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام (١٠١-١٠٢) لعابد الثبيتي، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٣٠هـ.

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (٢٩٧-٢٩٨).

٦- التدرج في الدعوة.

٧- معرفة حال المدعوين قبل دعوتهم.

٨- مخاطبة الناس على قدر عقولهم وأفهامهم.

٩- رد الاختلاف إلى الكتاب والسنة.

١٠- المشقة تجلب التيسير في الدعوة.

المسألة الرابعة: أن يكون ملمًّا بقواعد فقه التيسير في الدعوة[(١)]:

والدعوة تقوم على منهج التيسير، كما في حديث بول الأعرابي في المسجد، وقد جاء فيه أن أعرابيًّا قام فَبَالَ فِي المسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ -أَوْ: ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ-؛ فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ»[(٢)].

وقد جاءت نصوص كثيرة في بيان أن الدين ينبى على اليسر وعدم العنت والمشقة.

قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ ۖ وَٱعْفُ عَنَّا

---

(١) ينظر في ذلك: منهج التيسير المعاصر (٥٥-٥٨) لعبد الله الطويل، دار الهدي النبوي مصر، ط١، ١٤٢٦هـ، التيسير في الفتوى ضوابطه وأثره في النوازل المعاصرة، "بحث ضمن مؤتمر الفتوى واستشراف المستقبل" (٦٥٧-٦٦٠)، أعد البحث: د. زياد مقداد، أ. نادية الغول، والمؤتمر عقد في كلية الشريعة جامعة القصيم، ١٤٣٥هـ.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد (١/ ٥٤) ح (٢٢٠).

وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال تعالى: ﴿

المسألة الخامسة: أن يكون ملمًّا بقواعد فقه مقاصد الدعوة(١):

ولأجل أن ينجح الداعية في دعوته لا بد أن يكون ذا بصيرة بفقه مقاصد الدعوة، وأن يجعل دعوته تحقق المقاصد العظيمة من هذا الفقه.

وبصيرة الداعية في فقه مقاصد الدعوة لا بد أن يراعى فيها ما يلي:

الأول: معرفة أبرز مقاصد الدعوة، حتى يعطيها الداعية من جهده في دعوة الناس ما تستحق، ومن أبرز مقاصد الدعوة:

١- تحقيق التوحيد والتحذير من الشرك.

٢- إقامة الحجة على الناس بالبلاغ المبين.

٣- هداية الناس إلى الحق وإنقاذهم من النار.

٤- إظهار الدين وإعلاء كلمة الله في الأرض.

٥- إقامة العدل ورفع الظلم.

٦- حفظ الضروريات الخمس.

٧- إبراز معاني الرحمة في هذا الدين.

الثاني: أن يراعي في تحقيق هذه المقاصد سنة التدرج، وفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد:

والداعية البصير لا يعتسف المراحل لتحقيق هذه المقاصد، فيفسد أكثر مما يصلح، وينفر الناس عن دعوته، أو يصطدم مع أصحاب النفوذ وهو في غنية عن ذلك، ويترتب عليه تأخر الدعوة وانحرافها عن مسارها الصحيح، فلا بد إذن من

---

(١) وللتوسع في هذه المقاصد ينظر: فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى (٢٥-٨٥)، رسالة ماجستير في قسم الدعوة والثقافة جامعة أم القرى، للطالب سعد القعود، إشراف أ. د. مُحَمَّد جمعة، ١٤٣١هـ، وقد طبعته دار أطلس الخضراء الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ.

مراعاة سنة التدرج[١]، وفقه الموازنة بين المصالح والمفاسد.

المسألة السادسة: أن يكون ملمًّا بفقه السنن الاجتماعية في الدعوة[٢]:

ومن بصيرة الداعية في دعوته أن يكون على علم وإدراك لفقه السنن الاجتماعية في الدعوة، فإن ذلك يكسبه قدرة على السير في طريق الدعوة على بينة، ويأتي الخلل أحيانًا في الدعوة بسبب عدم فقه الداعية للقوانين والسنن الاجتماعية.

وهذه إشارة سريعة إلى بعض هذه السنن المرتبطة بالدعوة:

أولًا: سنن عامة لها علاقة بالداعية والدعوة والمدعوين، أذكر منها على سبيل الإجمال:

١- سنة التدرج.

٢- سنة الابتلاء.

٣- سنة التغيير.

٤- سنة الإعداد.

٥- سنة الخذلان.

٦- سنة الاستبدال.

٧- الترف والطغيان والكفر بنعم الله من أسباب هلاك الأمم.

ثانيًا: سنن خاصة بالداعية:

١- الصبر واليقين.

٢- سنة التمكين.

---

(١) سيأتي إشارة لسنة التدرج في ص (٥٣٢)، وكذلك فقه الموازنات ص(٥٣٥).

(٢) من أراد التوسع فيما يتعلق بهذه السنن فلينظر في ذلك: كتاب السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، للدكتور: مُحَمَّد أمحزون، دار طيبة الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ، وكتاب السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد للدكتور: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

٣- سنة الاعتدال.

٤- سنة الحفظ.

٥- بالإيمان والتقوى يدفع كيد الأعداء.

الفرع الثالث: البصيرة في حال المدعوين، وطرائق دعوتهم:

المسألة الأولى: الاطلاع على حال المدعوين، وهذا يستدعي من الداعية أن يكون ملمًّا بما يلي:

الأول: معرفة الداعية ببيئة المدعوين بكل مجالاتها:

ويدل على أهمية معرفة بيئة الداعية حديث معاذ لما أرسله النبي ﷺإلى اليمن فقال ﷺ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوْمًا أَهْلَ كِتَابٍ» الحديث.

قال ابن حجر رحمه الله في شرحه للحديث: "هي كالتوطئة للوصية لتستجمع همته عليها؛ لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهال من عبدة الأوثان"[١].

وعلى هذا فالداعية البصير "كالطبيب الحكيم الذي يُشخِّصُ المرض، ويعرف الداء ويُحدّده، ثم يعطي الدواء المناسب على حسب حال المريض ومرضه، مراعيًا في ذلك قوة المريض وضعفه، وتحمله للعلاج، وقد يحتاج المريض إلى عملية جراحية فيشق بطنه، أو يقطع شيئًا من أعضائه؛ من أجل استئصال المرض طلبًا لصحة المريض، وهكذا فالداعية الحكيم يعرف أمراض المجتمع، ويُحدّد الدّاء، ويعرف الدّواء، وينظر ما هي الشبه والعوائق فيزيلها، ثم يقدم المادة المناسبة بدءًا بأمور العقيدة الإسلامية الصحيحة الصافية، مع تشويق المدعو إلى القبول والإجابة"[٢].

---

(١) فتح الباري لابن حجر (٣/ ٣٥٨).

(٢) مقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة (١٠١) للدكتور سعيد بن علي القحطاني، مطبعة سفير الرياض.

الثاني: أن يكون حريصًا على دعوة أهل التأثير في هذه البيئة، وقادة الرأي فيها:

وبصيرة الداعية تستدعي منه أن يعرف أهل التأثير في البيئة التي يدعو فيها، وقادة الرأي فيها، ليصدق الله في دعوتهم، ليكسبهم في صف الدعوة، وذلك يذلل الطريق لقبول الناس لدعوته؛ لأن الناس تبع لهم، وكان ﷺ حريصًا على دعوة ذوي المكانة في قومهم، ولذلك أمثلة منها:

١- حرصه ﷺ على هداية عمه:

كان أبو طالب سيد في قومه، فحرص النبي ﷺ على إسلامه إنقاذًا له من النار، وطمعًا في دخول قومه في الإسلام؛ لأنه سيدهم وقوله لا يرد، وكان الرسول ﷺ يقول له: «أي عم، هذا دين الله، ودين ملائكته، ودين رسله، ودين أبينا إبراهيم -أو: كما قال ﷺ- بعثني الله به رسولًا إلى العباد، وأنت -أي عم- أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه»، أو كما قال[١].

٢- حرصه ﷺ على دعوة أشراف القبائل وسادتها، وكان يفعل ذلك في الحج:

كان ﷺ يعرض دعوته على وفود العرب في موسم الحج، وفي أسواقهم، وكانت من المناسبات الهامة التي يحرص فيها ﷺ على دعوة ذوي المكانة من رؤساء العرب[٢].

عَنْ رجل من بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَتَخَلَّلُهَا يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تُفْلِحُوا»، قَالَ: وَأَبُو جَهْلٍ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ لِتَتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ، وَتَتْرُكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى، قَالَ: وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. الحديث.

---

(١) سيرة ابن هشام (١/ ٢٤٧) لعبد الملك بن هشام الحميري المعافري، ت: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ.

(٢) ينظر: سيرة ابن هشام (١/ ٤٢٥).

٣- حرصه ﷺ على دعوة سادة ثقيف:

ذهب ﷺ إلى الطائف لدعوة سادة ثقيف وأشرافهم، يقول ابن إسحاق[١] رحمه الله: "لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف، عمد إلى نفر من ثقيف، هم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم"[٢].

٤- حرصه ﷺ على تألف عبد الله بن أبي ابن سلول، وعدم أذيته، مع عدائه الشديد للدعوة:

ونقل ابن حجر قول الخطابي -رحمة الله على الجميع- في الحكمة من تألف ابن سلول: "إنما فعل النبي ﷺ مع عبد الله بن أبي ما فعل لكمال شفقته على من تعلق بطرف من الدين، ولتطييب قلب ولده عبد الله الرجل الصالح، ولتألف قومه من الخزرج لرياسته فيهم"[٣].

٥- حرصه ﷺ على إسلام زعماء اليهود:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَوْ آمَنَ بِي عَشَرَةٌ مِنَ اليَهُودِ، لآمَنَ بِي اليَهُودُ»[٤]، قال ابن حجر رحمه الله معلقًا: "والذي يظهر أنهم الذين كانوا حينئذ رؤساء في اليهود، ومن عداهم كان تبعًا لهم"[٥].

٦- ومن الأمثلة على أثر إسلام القادة قصة إسلام أسيد بن حضير وسعد بن

---

(١) العلامة، الحافظ، الأخباري، مُحَّد بن إسحاق بن يسار صاحب السيرة النبوية، من أقدم مؤرخي العرب، وكان عالِمًا بالسير والمغازي وأيام الناس، وأخبار المبتدأ، وقصص الأنبياء، وتوفي رحمه الله سنة (١٥١هـ). ينظر: تاريخ بغداد (٢/ ٧)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٣٣)، الأعلام للزركلي (٦/ ٢٨).

(٢) سيرة ابن هشام (١/ ٤١٩).

(٣) فتح الباري (٨/ ٣٣٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب مناقب الأنصار واللفظ له، باب إتيان اليهود النبي ﷺ، حين قدم المدينة (٥/ ٧٠) ح (٣٩٤١)، ومسلم في كتاب صفة القيامة..باب نزل أهل الجنة (٤/ ٢١٥١) ح (٢٧٩٣).

(٥) فتح الباري (٧/ ٢٧٥).

معاذ رضي عنهما، وأذكرها بطولها لما فيها من العبر، كما يرويها ابن كثير رحمه الله، فيقول:

"إن أسعد بن زرارة خرج بمصعب بن عمير يريد به دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطًا من حوائط بني ظفر، على بئر يقال له: بئر مرق، فجلسا في الحائط، واجتمع إليهما رجال ممن أسلم، وسعد بن معاذ وأسيد بن حضير يومئذ سيدا قومهما من بني عبد الأشهل، وكلاهما مشرك على دين قومه، فلما سمعا به قال سعد لأسيد: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما، وانههما عن أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أسعد بن زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك؛ هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدمًا.

قال: فأخذ أسيد بن حضير حربته، ثم أقبل إليهما، فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيد قومه، وقد جاءك فاصدق الله فيه، قال مصعب: إن يجلس أكلمه، قال: فوقف عليهما متشتمًا[(١)]، فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة.

وقال موسى بن عقبة[(٢)]: فقال له: علام أتيتنا في دورنا بهذا الوحيد الغريب الطريد، يسفه ضعفاءنا بالباطل ويدعوهم إليه؟ قال ابن إسحاق: فقال له مصعب: أوَتجلس فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا قبلته، وإن كرهته كف عنك ما تكره، قال:

---

(١) متشتمًا: من الشتم وهو ذكر الناس بقبيح القول.

ينظر: تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح (٥٥-٥٦) لأحمد بن يوسف اللَّبْلِيُّ الفهري، ت: د. عبد الملك بن عيضة الثبيتي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة لفرع اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، في المحرم ١٤١٧هـ.

(٢) موسى بن عقبة بن أبي عياش الأسدي الإمام الكبير، الثقة، أبو محمد القرشي، وعداده في صغار التابعين، عالم بالسيرة النبويّة، من ثقات رجال الحديث، من أهل المدينة، توفي رحمه الله سنة (١٤١هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ١١٤)، تاريخ الإسلام (٣/ ٩٨٦)، الأعلام (٧/ ٣٢٥).

أنصفت.

قال: ثم ركز حربته، وجلس إليهما، فكلمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن، فقالا فيما يذكر عنهما: والله، لعرفنا في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم، في إشراقه وتسهله، ثم قال: ما أحسن هذا وأجمله! كيف تصنعون إذا أردتم أن تدخلوا في هذا الدين؟ قالا له: تغتسل فتطهر، وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي.

فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وتشهد شهادة الحق، ثم قام فركع ركعتين، ثم قال لهما: إن ورائي رجلًا إن اتبعكما لم يتخلف عنه أحد من قومه، وسأرسله إليكما الآن سعد بن معاذ، ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه، وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلًا قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأسًا، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدثت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه؛ وذلك أنهم عرفوا أنه ابن خالتك ليخفروك.

قال: فقام سعد بن معاذ مغضبًا مبادرًا؛ تخوفًا للذي ذكر له من بني حارثة، وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئًا، ثم خرج إليهما، فلما رآهما سعد مطمئنين عرف أن أسيدًا إنما أراد منه أن يسمع منهما، فوقف عليهما متشتمًا، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمامة، والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رمت هذا مني، أتغشانا في دارينا بما نكره؟! قال: وقد قال أسعد لمصعب: جاءك والله سيد من ورائه قومه، إن يتبعك لا يتخلف عنك منهم اثنان، قال: فقال له مصعب: أوَتقعد فتسمع؟ فإن رضيت أمرًا ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره.

قال سعد: أنصفت، ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن -وذكر موسى بن عقبة أنه قرأ عليه أول الزخرف-، قال: فعرفنا والله في وجهه الإسلام قبل أن يتكلم لإشراقه وتسهله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالا: تغتسل فتطهر، وتطهر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق،

ثم تصلي ركعتين، قال: فقام فاغتسل، وطهر ثوبيه، وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين ثم أخذ حربته، فأقبل عامدًا إلى نادي قومه ومعه أسيد بن الحضير، فلما رآه قومه مقبلًا قالوا: نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، فلما وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل، كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا، وأفضلنا رأيًا، وأيمننا نقيبة(١)، قال: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة"(٢).

الثالث: أعداء الدعوة، وكيفية التعامل معهم:

ومن بصيرة الداعية في دعوته أن يعرف أعداء الدعوة، وكيفية التعامل معهم؛ لأن معرفة أصناف أعداء الدعوة ومواقفهم من الدعوة يمكِّن الداعية من البصيرة في كيفية التعامل معهم لأجل دعوتهم، أو الرد على شبههم بالطريقة المناسبة التي تدمغ باطلهم فتزهقه، كما قال تعالى: ﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞ﴾ [الأنبياء: ١٨].

أو التحذير من خطرهم، ويبين لمن يدعوهم شدة خطرهم عليهم، ويحذر من أساليبهم الخادعة، كما تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأَيۡتَهُمۡ تُعۡجِبُكَ أَجۡسَامُهُمۡۖ وَإِن يَقُولُواْ تَسۡمَعۡ لِقَوۡلِهِمۡۖ كَأَنَّهُمۡ خُشُبٞ مُّسَنَّدَةٞۖ يَحۡسَبُونَ كُلَّ صَيۡحَةٍ عَلَيۡهِمۡۚ هُمُ ٱلۡعَدُوُّ فَٱحۡذَرۡهُمۡۚ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُۖ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤].

أو على أقل الأحوال أن يكسبهم في عدم الوقوف ضد الدعوة علانية وصراحة،

---

(١) النقيبة: السجية والطبيعة، أي: أنه كريم النفس ومبارك.
ينظر: الصحاح (١/ ٢٢٧)، لسان العرب (١/ ٧٦٨)، المعجم الوسيط (٢/ ٩٤٤) مادة (نقب).
(٢) البداية والنهاية (٤/ ٣٧٨-٣٨١).

كما فعل ﷺ مع المنافقين كعبد الله بن أبي ابن سلول وأتباعه ومن على شاكلته.

وقال تعالى عن أعداء الأنبياء، وكذلك أعداء الدعوة: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

ثم ختم الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١١٢]، وفي ذلك إرشاد لنبيه إلى كيفية التعامل مع هذا الأمر، وهكذا الداعية البصير يقتدي بنبيه في كيفية التعامل مع هذا الأساليب المزخرفة في صد الناس عن الدعوة.

وأخبر ﷻ نبيه بأن هناك قلوبًا سوف تصغى لهؤلاء وتقبل على باطلهم، حتى يكون على بينة من ذلك، فيتعامل معهم بما يناسب، فقال تعالى: ﴿وَلِتَصْغَىٰ إِلَيْهِ أَفْئِدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ [الأنعام: ١١٣].

يقول السعدي رحمه الله في بيان الحكمة من وجود أعداء الأنبياء: "ومن حكمة الله تعالى في جعله للأنبياء أعداء وللباطل أنصارًا قائمين بالدعوة إليه أن يحصل لعباده الابتلاء والامتحان، ليتميز الصادق من الكاذب، والعاقل من الجاهل، والبصير من الأعمى.

ومن حكمته أن في ذلك بيانًا للحق، وتوضيحًا له، فإن الحق يستنير ويتضح إذا قام الباطل يصارعه ويقاومه، فإنه حينئذ يتبين من أدلة الحق، وشواهده الدالة على صدقه وحقيقته، ومن فساد الباطل وبطلانه، ما هو من أكبر المطالب التي يتنافس فيها المتنافسون"(١).

(١) تفسير السعدي (٢٧٠).

المسألة الثانية: البصيرة بطريقة الدعوة المناسبة:

الداعية الذي حقق أعمال القلوب، فإن الله يوفقه ليسير في دعوته للناس على بصيرة، ويفتح الله له الطرق المناسبة في دعوة الناس، ويؤتيه الله الحكمة في دعوته، ليعطي لكل من يدعوه ما يناسبه من الطريقة والأسلوب، فمن الناس من يحتاج في دعوته إلى الموعظة الحسنة، واستخدام أساليبها المتنوعة: من خلال الترغيب والترهيب، أو القصة، أو ضرب المثل، أو نحو ذلك من أساليب الموعظة.

ومن الناس من يحتاج في دعوته إلى أساليب الجدال بالتي هي أحسن، وهذا ما سيتم تفصيله[(١)].

المطلب الرابع: أسباب ضعف البصيرة:

كما أن للبصيرة أسبابًا تقويها، وكذلك في المقابل هناك أسباب تضعف البصيرة، فعلى الداعية أن يحذر منها، وهي كثيرة، أذكر منها على سبيل الإجمال:

١- الجهل.

٢- اتّباع الهوى.

٣- التعصب.

٤- التقليد الأعمى.

٥- المعاصي.

ودونك تفصيل يسير لهذه الأسباب:

أولًا: الجهل:

إن مما يضعف البصيرة أو يذهبها: الجهل وعدم العلم؛ لأن الجهل يميت القلوب، فتفقد نور بصيرتها، يقول ابن القيم رحمه الله عن أثر الجهل على القلب: "فإن الجاهل ميت القلب والروح، وإن كان حي البدن فجسده قبر يمشي به على وجه الأرض،

---

(١) ينظر: ص (٥٥٦).

قال الله تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وقال تعالى: ﴿Ü ÖÑ á à â ä ã å ç é è ê ë í﴾ [يس: ٦٩، ٧٠]، وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ [النمل: ٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ [فاطر: ٢٢]، وشبههم في موت قلوبهم بأهل القبور، فإنهم قد ماتت أرواحهم، وصارت أجسامهم قبورًا لها، فكما أنه لا يسمع أصحاب القبور، كذلك لا يسمع هؤلاء، وإذا كانت الحياة هي الحس والحركة وملزومهما، فهذه القلوب لما لم تحس بالعلم والإيمان، ولم تتحرك له: كانت ميتة حقيقة، وليس هذا تشبيهًا لموتها بموت البدن، بل ذلك موت القلب والروح.

وقد ذكر الإمام أحمد في كتاب الزهد من كلام لقمان أنه قال لابنه: يا بني، جالس العلماء، وزاحمهم بركبتيك، فإن الله يحيي القلوب بنور الحكمة، كما يحيي الأرض بوابل القطر[(١)]"[(٢)].

وعلى هذا فإن من مات قلبه بالجهل ماتت بصيرته.

ثانيًا: اتّباع الهوى:

ومن الأمور التي تُطفِئ نور البصيرة: اتباع الهوى، فهو يعمي القلب، ويضل العبد عن سبيل الله، فيترتب على ذلك عمى البصيرة.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

---

(١) ينظر: الزهد لأحمد بن حنبل (٨٩).

(٢) مدارج السالكين (٣/ ٢٤٥-٢٤٦).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿ ﴾ [الجاثية: ٢٣].

يقول ابن القيم رحمه عن أثر اتباع الهوى على البصيرة: "فإن اتباع الهوى يطمس نور العقل، ويعمي بصيرة القلب، ويصد عن اتباع الحق، ويضل عن الطريق المستقيم.. والعبد إذا اتبع هواه فسد رأيه ونظره، فأرته نفسه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، فالتبس عليه الحق بالباطل"(١).

ومن كان هذا حاله طمست بصيرته، وغادرت قلبه إلى غير رجعة، إلا أن ينزع من قلبه اتباع الهوى، ثم يتبع الهدى، فحينئذ تعود إلى قلبه أنوار البصيرة، وتقوى بحسب قربه من الحق واتباعه له، وبعده عن اتباع الهوى.

ثالثًا: التعصب:

ومن أسباب ضعف البصيرة عند الداعية: التعصب المذموم للأشخاص، أو للأحزاب والجماعات، أو لمذهب فقهي؛ فإنه يؤدي به إلى ربط الحق بهؤلاء الذين يتعصب لهم، فتجده يحاول أن يرد الحق إذا جاءه من غير هؤلاء الذين يتعصب لهم، فيقع في اتباع الهوى.

رابعًا: التقليد الأعمى:

ويلحق بالتعصب في إطفاء نور البصيرة التقليد الأعمى الذي هو من أسباب التعصب، وسبيله الموصل إليه، والتقليد بهذه الصفة للأشخاص أو المذاهب ونحوها يجعل صاحبه يرفض الحق إذا جاء من غير الذي يقلده، وهو باب من أبواب اتباع

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٤٧-٤٤٨).

الهوى.

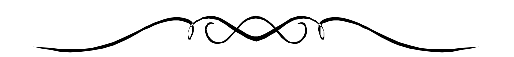
خامسًا: المعاصي:

ومن أسباب ضعف البصيرة عند الداعية: التساهل في الوقوع في المعاصي، وبالذات ذنوب الخلوات، والمعاصي الخفية التي يصر عليها العبد.

يقول ابن القيم رحمه الله في بيان أثر المعاصي على القلب: "ومن عقوباتها: أنها تعمي بصيرة القلب، وتطمس نوره، وتسد طرق العلم، وتحجب مواد الهداية.

وقد قال مالك للشافعي لما اجتمع به ورأى تلك المخايل: إني أرى الله تعالى قد ألقى على قلبك نورًا، فلا تطفئه بظلمة المعصية(١).

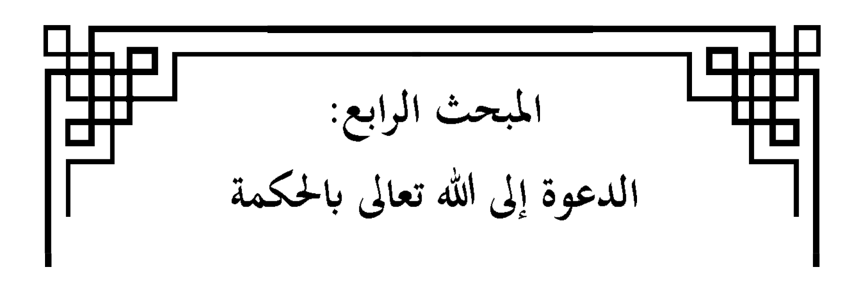
ولا يزال هذا النور يضعف ويضمحل، وظلام المعصية يقوى حتى يصير القلب في مثل الليل البهيم، فكم من مَهْلك يسقط فيه ولا يبصر، كأعمى خرج بالليل في طريق ذات مهالك ومعاطب، فيا عزة السلامة ويا سرعة العطب"(٢).



(١) وفي تاريخ دمشق (٥١/ ٢٨٦) ذكر قصة قريبة مما سبق، وذلك أنه لما التقى الشافعي بمالك وطلبه الوالي للخروج لمقابلة الشافعي في غير وقت الدرس، فغضب مالك، فقال له الشافعي: "أصلحك الله، إني رجل مطَّلبي، ومن حالي ومن قصتي، فلما أن سمع كلامي نظر إليّ ساعة كان لمالك فراسة، فقال: لي ما اسمك؟ فقلت: مُحَمَّد، فقال لي: يا مُحَمَّد، اتق الله واجتنب المعاصي؛ فإنه سيكون لك شأن من الشأن".

(٢) الجواب الكافي (٧٧-٧٨).





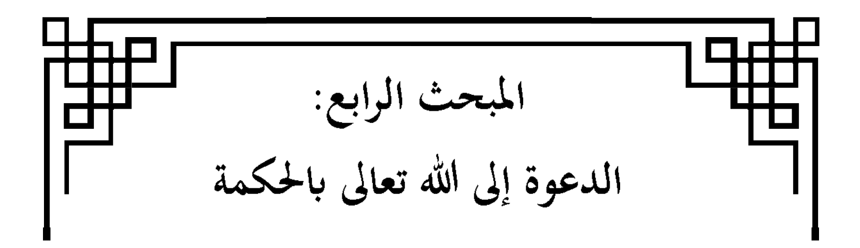
المبحث الرابع:
الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة

المطلب الأول: معنى الحكمة.

المطلب الثاني: أسباب الحكمة.

المطلب الثالث: من معالم فقه الحكمة في الدعوة وأساليبها.

المطلب الرابع: عوائق الحكمة.



المبحث الرابع:
الدعوة إلى الله تعالى بالحكمة

توطئة:

مر في المبحث السابق الكلام عن البصيرة في الدعوة إلى الله وأثرها على الداعية ودعوته، والحكمة لها علاقة وثيقة بالبصيرة لارتباط ما بينهما؛ لأن الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى دليل على البصيرة.

ومن توفيق الله تعالى للداعية الذي اجتهد في تحقيق أعمال القلوب أن يرزقه الله مع البصيرة الحكمة في دعوته، قال تعالى: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة: ٢٦٩]، قال السعدي رحمه الله: "لما أمر تعالى بهذه الأوامر العظيمة المشتملة على الأسرار والحكم، وكان ذلك لا يحصل لكل أحد، بل لمن منَّ عليه وآتاه الله الحكمة، وهي العلم النافع والعمل الصالح ومعرفة أسرار الشرائع وحكمها، وإن من آتاه الله الحكمة فقد آتاه خيرًا كثيرًا، وأي خير أعظم من خير فيه سعادة الدارين والنجاة من شقاوتهما؟! وفيه التخصيص بهذا الفضل وكونه من ورثة الأنبياء، فكمال العبد متوقف على الحكمة، إذ كماله بتكميل قوتيه العلمية والعملية، فتكميل قوته العلمية بمعرفة الحق ومعرفة المقصود به، وتكميل قوته العملية بالعمل بالخير وترك الشر، وبذلك يتمكن من الإصابة بالقول والعمل وتنزيل الأمور منازلها في نفسه وفي غيره، وبدون ذلك لا يمكنه ذلك"(١).

---

(١) تفسير السعدي (١١٥).

وقال ﷻ مخاطبًا نبيه ﷺ والدعاة إلى الله من بعده، في بيان أساليب الدعوة المؤثرة التي سار عليها الأنبياء عليهم السلام، وعلى رأسهم النبي ﷺ: ﴿Z Y [\ ] ^ _` a b c d﴾ [النحل: ١٢٥].

وسيكون الكلام على هذا المبحث في المطالب الآتية:

المطلب الأول: معنى الحكمة.

المطلب الثاني: أسباب الحكمة.

المطلب الثالث: من معالم فقه الحكمة في الدعوة وأساليبها.

المطلب الرابع: عوائق الحكمة.

المطلب الأول: معنى الحكمة:

الحكمة في اللغة:

تطلق على عدة معان، منها: **العلم**، فيقال: صاحب حكمة أي: عالم، **وتأتي بمعنى إتقان الأمر**، فيقال: رجل حكيم، أي: متقن للأمور، **وتأتي بمعنى المنع**، ومنه الحُكْم؛ لأنه يمنع من الظلم، وسمي لجام الدابة حَكَمَة[1]؛ لأنها تمنع الدابة وتردها[2].

والحكمة في الاصطلاح:

لها تعاريف كثيرة، منها:

١- يرى الإمام ابن جرير رحمه الله أن الحكمة: "الإصابة في القول والفعل"[3].

---

(١) الحَكَمَة: حديدة في اللجام تكون على أنف الفرس وحنكه، تمنعه عن مخالفة راكبه.

ينظر: لسان العرب (١٢/ ١٤٤) مادة (حكم).

(٢) ينظر: الصحاح (٥/ ١٩٠١)، مقاييس اللغة (٢/ ٩١)، لسان العرب (١٢/ ١٤١) مادة (حكم).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٥/ ٨، ١٠، ١٢).

٢- وقال القرطبي رحمه الله في معنى الحكمة: "وأصل الحكمة: ما يمتنع به من السفه، فقيل للعلم: حكمة؛ لأنه يمتنع به، وبه يعلم الامتناع من السفه، وهو كل فعل قبيح"(١).

٣- وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "وأما الحكمة في القرآن فهي: معرفة الحق وقوله والعمل به"(٢).

٤- وقال ابن القيم رحمه الله: "وأحسن ما قيل في الحكمة قول مجاهد ومالك: إنها معرفة الحق والعمل به، والإصابة في القول والعمل. وهذا لا يكون إلا بفهم القرآن، والفقه في شرائع الإسلام وحقائق الإيمان"(٣).

٥- ومنهم من عرفها بوضع الشيء في موضعه(٤).

٦- ومن التعاريف الحسنة للحكمة ما قاله ابن القيم رحمه الله: "الحكمة: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي"(٥).

٧- وعرفها الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: "إتقان الأمور وإحكامها بأن تنزل الأمور منازلها، وتوضع في مواضعها"(٦).

وبناءً على ما سبق يمكن أن أضع تعريفًا للحكمة في الدعوة إلى الله تعالى بأنها: "الفقه في الدين والعمل الذي يورّث إصابة الحق في القول والفعل، وإتقان الأمور، ووضعها في موضعها المناسب"، والله أعلم.

---

(١) تفسير القرطبي (٣/ ٣٣٠).
(٢) مجموع الفتاوى (٢/ ٤٥).
(٣) مدارج السالكين (٢/ ٤٤٨).
(٤) ينظر: الكليات (٣٨٢).
(٥) مدارج السالكين (٢/ ٤٤٩).
(٦) الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات (٣٥) للشيخ ابن عثيمين، دار الوطن، ط ١٤٢٦هـ.

المطلب الثاني: أسباب الحكمة[١]:

في نظري أن أسباب البصيرة التي سبق الكلام عنها[٢] هي كذلك أسباب للحكمة، ويضاف إليها:

١- العمل بالعلم المقرون بالإخلاص والصدق:

إن العمل بالعلم الذي يرافقه الإخلاص والصدق يورث الحكمة، ويوفق للإصابة في القول والعمل، والداعية لا يكون حكيمًا في دعوته حتى يعمل بالعلم؛ مخلصًا فيه لله يحدوه الصدق مع ربه، وهذا الذي دعوته دواء للقلوب، تقبل عليها؛ تقرّبًا من الله، وتشوّقًا إلى جنته.

وأما إذا لم يعمل الداعية بعلمه أو ضعف إخلاصه وصدقه، نزعت منه الحكمة وكانت موعظته لا أثر لها، ونفرت منه القلوب.

قال مالك بن دينار[٣] رحمه الله: "إن العالم إذا لم يعمل بعلمه زلت موعظته عن القلوب كما يزل القطر عن الصفا"[٤].

وقال الذهبي رحمه الله: "فمن طلب العلم للعمل كسره العلم، وبكى على نفسه، ومن طلب العلم للمدارس والإفتاء والفخر والرياء تحامق، واختال، وازدرى بالناس،

---

(١) ينظر في ذلك: الحكمة، للدكتور: ناصر العمر (٥٥-٧٦)، الكتاب منشور على موقع وزارة الأوقاف السعودية بدون بيانات، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، للدكتور سعيد القحطاني (٩٦)، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ، الرائد دروس في التربية والدعوة، لمازن الفري(٣/٤٤-٤٨)، دار الأندلس الخضراء جدة، ط٢، ١٤٢٧هـ.

(٢) ينظر: ص (٤٨٦).

(٣) مالك بن دينار عَلَمُ العلماء الأبرار، معدود في ثقات التابعين، ومن أعيان كتبة المصاحف. توفي رحمه الله سنة (١٢٧هـ)، وقيل: سنة (١٣٠هـ)، وقيل: سنة (١٣١هـ)، والله أعلم.
ينظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٣٩)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٢)، الأعلام (٥/ ٢٦٠).

(٤) الزهد للإمام أحمد (٢٦٢).

وأهلكه العُجْب، ومقتته الأنفس"[١].

٢- الحلم والأناة:

من أسباب الحكمة التحلي بخلق الحلم والأناة، وهما خلقان يحبهما الله، قال ﷺ لأشج عبد القيس: «إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ» الحديث[٢]، فمن رزقهما أو جاهد نفسه على التحلي بهما، فتح الله عليه الحكمة في دعوته، ونفع الله بها. وتفصيل هذين السببين كما يلي:

الأول: الحِلم:

هو في اللغة: يطلق على ترك العجلة، والعقل، والتثبت في الأمور[٣].

وفي الاصلاح: لا يبعد معناه الاصطلاحي عن معناه في اللغة، وهو: ضبط النّفس والطبع عند هيجان الغضب[٤] على ترك العجلة، وعلى التعقل والتثبت في الأمور[٥].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ[٦]، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ»[٧].

والداعية الذي يتحلى بخلق الحلم يرزقه الله الحكمة ويعينه عليها؛ لأن من يضبط

(١) سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٩٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله، وشرائع الدين، والدعاء إليه (١/ ٤٨) ح (١٧).

(٣) ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ٩٣)، لسان العرب (١٢/ ١٤٦) مادة (حلم).

(٤) ينظر: المفردات في غريب القرآن (٢٥٣).

(٥) ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ٩٣)، لسان العرب (١٢/ ١٤٦) مادة (حلم).

(٦) وقال في الصحاح (٣/ ١٢٤٣) عن معنى الصرعة: "أي: يصرع الناس كثيراً".

(٧) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب الحذر من الغضب (٨/ ٢٨) ح (٦١١٤)، ومسلم في كتاب البر والصلة، باب فضل من يملك نفسه عند الغضب وبأي شيء يذهب الغضب (٤/ ٢٠١٤) ح (٢٦٠٩).

نفسه عند الغضب، فسيثمر له ذلك المواقف السليمة، والتصرف بحكمة في المواقف الصعبة.

الثاني: الأناة:

وهو خلق جميل بمعنى: التثبت وترك العجلة[١] في الأمور المشكلة[٢]، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "يأمر تعالى عباده المؤمنين إذا خرجوا جهادًا في سبيله وابتغاء مرضاته أن يتبينوا ويتثبتوا في جميع أمورهم المشتبهة.

فإن الأمور قسمان: واضحة وغير واضحة. فالواضحة البينة لا تحتاج إلى تثبت وتبين؛ لأن ذلك تحصيل حاصل.

وأما الأمور المشكلة غير الواضحة فإن الإنسان يحتاج إلى التثبت فيها والتبين، ليعرف هل يقدم عليها أم لا؟

فإن التثبت في هذه الأمور يحصل فيه من الفوائد الكثيرة، والكف لشرور عظيمة، ما به يعرف دين العبد وعقله ورزانته، بخلاف المستعجل للأمور في بدايتها قبل أن يتبين له حكمها، فإن ذلك يؤدي إلى ما لا ينبغي"[٣].

(١) ينظر: شرح النووي على مسلم (١/ ١٨٩).

(٢) تفسير السعدي (١٩٤).

(٣) تفسير السعدي (١٩٤).

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦].

وفي الآية الكريمة منهج تربوي عظيم ينبغي أن يسير عليه المسلمون عامة والدعاة خاصة، وهو منهج التثبت والتبين وعدم العجلة، في بناء الأحكام على يأتي من خبر، وبالذات خبر الفاسق أو المجهول، وقال السعدي رحمه الله: "وهذا أيضًا من الآداب التي على أولي الألباب التأدب بها واستعمالها، وهو أنه إذا أخبرهم فاسق بخبر أن يتثبتوا في خبره، ولا يأخذوه مجردًا، فإن في ذلك خطرًا كبيرًا، ووقوعًا في الإثم، فإن خبره إذا جعل بمنزلة خبر الصادق العدل حكم بموجب ذلك ومقتضاه، فحصل من تلف النفوس والأموال بغير حق بسبب ذلك الخبر ما يكون سببًا للندامة، بل الواجب عند خبر الفاسق التثبت والتبين، فإن دلت الدلائل والقرائن على صدقه عمل به وصُدِّق، وإن دلت على كذبه كُذِّب، ولم يعمل به. ففيه دليل على أن خبر الصادق مقبول، وخبر الكاذب مردود، وخبر الفاسق متوقف فيه كما ذكرنا"(١).

ويلحق بالفاسق -والله أعلم- الشخص المجهول أو المصدر المجهول الذي لا يعرف صدقه من كذبه، أو بمصطلح العصر ما يسمى بالشائعات، فينبغي على الداعية أن يتثبت ويتبين عند حصول خبر من هذه المصادر، حتى لا يبني عليه أحكامًا يندم عليها، يكون ضررها عليه وعلى دعوته، قال تعالى في بيان المنهج: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ وَلَوۡلَا فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَرَحۡمَتُهُۥ لَٱتَّبَعۡتُمُ ٱلشَّيۡطَٰنَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء: ٨٣].

يقول السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية مستنبطًا منها قواعد تربوية مهمة:

(١) تفسير السعدي (٨٠٠).

"هذا تأديب من الله لعباده عن فعلهم هذا غير اللائق، وأنه ينبغي لهم إذا جاءهم أمر من الأمور المهمة والمصالح العامة ما يتعلق بالأمن وسرور المؤمنين أو بالخوف الذي فيه مصيبة عليهم أن يتثبتوا ولا يستعجلوا بإشاعة ذلك الخبر، بل يردونه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم، أهل الرأي والعلم والنصح والعقل والرزانة، الذين يعرفون الأمور ويعرفون المصالح وضدها، فإن رأوا في إذاعته مصلحة ونشاطًا للمؤمنين وسرورًا لهم وتحرزًا من أعدائهم فعلوا ذلك، وإن رأوا أنه ليس فيه مصلحة أو فيه مصلحة ولكن مضرته تزيد على مصلحته لم يذيعوه؛ ولهذا قال: ﴿لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾ أي: يستخرجونه بفكرهم وآرائهم السديدة وعلومهم الرشيدة.

وفي هذا دليل لقاعدة أدبية وهي أنه إذا حصل بحث في أمر من الأمور ينبغي أن يولى من هو أهل لذلك، ويجعل إلى أهله، ولا يتقدم بين أيديهم، فإنه أقرب إلى الصواب وأحرى للسلامة من الخطأ.

وفيه النهي عن العجلة والتسرع لنشر الأمور من حين سماعها، والأمر بالتأمل قبل الكلام والنظر فيه: هل هو مصلحة، فيقدم عليه الإنسان، أم لا فيحجم عنه"[(١)].

٣- العدل:

العدل خلق عظيم، ومبدأ أصيل، يبعث على الحكمة؛ وذلك لأن الداعية المحقق للعدل في نفسه ومع الناس قريب من الله، يؤتيه الله الحكمة، ويوفقه لها، والعدل أقرب للتقوى كما قال تعالى: ﴿ٱعۡدِلُواْ هُوَ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰ﴾ [المائدة: ٨]، وقال تعالى عن أثر التقوى: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا﴾ [الطلاق: ٢]، ومن كان هذا حاله تيسرت له الحكمة ووفق لها.

---

(١) تفسير السعدي (١٩٠).

ولحب الله للعدل جاءت النصوص مرغبة فيه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحْكُمُوا۟ بِٱلْعَدْلِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ٨].

٤- الرحمة واللين والرفق:

من رزقه الله الرحمة واللين والرفق وفقه ﷻ في أصابة الحكمة والقول بها؛ لأن هذه الأسباب تؤثر في خلق العبد، وتضبط نفسه من التسرع والانفعال الذي يتنافى مع الحكمة، فمن كانت صفاته غلظ القلب نفر الناس عنه، وانفضوا من حوله كما قال تعالى مرشدًا خيرة خلقه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وفي الآية إشارة إلى أن لين قلب الداعية من أعظم أسباب إقبال المدعوين عليه، وأن في المقابل غلظ القلب سبب لنفور الناس عن الداعية مهما أوتي من القدرات العلمية؛ لأن الغلظ -والله أعلم- ينزع منه الحكمة في التعامل مع الناس، فينفضون عنه.

وقال تعالى في بيان مقصد رسالته ﷺ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

وعن عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: دَخَلَ رَهْطٌ مِنَ اليَهُودِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، قَالَتْ عَائِشَةُ: فَفَهِمْتُهَا فَقُلْتُ: وَعَلَيْكُمُ السَّامُ وَاللَّعْنَةُ، قَالَتْ: فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «قَدْ قُلْتُ: وَعَلَيْكُمْ»[(١)].

وعَنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ يَهُودَ أَتَوُا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالُوا: السَّامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: عَلَيْكُمْ، وَلَعَنَكُمُ اللَّهُ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ. قَالَ: «مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ، وَإِيَّاكِ وَالعُنْفَ وَالفُحْشَ»، قَالَتْ: أَوَلَمْ تَسْمَعْ مَا قَالُوا؟! قَالَ: «أَوَلَمْ تَسْمَعِي مَا قُلْتُ؟! رَدَدْتُ عَلَيْهِمْ، فَيُسْتَجَابُ لِي فِيهِمْ، وَلاَ يُسْتَجَابُ لَهُمْ فِيَّ»[(٢)].

وعَنْ جَرِيرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الخَيْرَ»[(٣)].

وعَنْ عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»[(٤)].

وعنها رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»[(٥)].

فهذه النصوص تبين أهمية الرفق مع الناس، فإذا اتصف الداعية إلى الله تعالى به

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الأدب، باب الرفق في الأمر كله (٨/ ١٢) ح (٦٠٢٤)، ومسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (٤/ ١٧٠٦) ح (٢١٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب «لم يكن النبي ﷺ فاحشًا ولا متفحشًا» (٨/ ١٢) ح (٦٠٣٠).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٣) ح (٢٥٩٢).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٣) ح (٢٥٩٣).

(٥) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٤) ح (٢٥٩٤).

فتح الله له مغاليق القلوب، ورزقه الحكمة وإصابة الحق في قوله وفعله.

٥- الاستشارة:

ومن أسباب الحكمة استشارة الداعية لأصحاب العلم والخبرة من أولي الألباب قبل أن يقدم على ما يريده من أمور الدعوة في الأمور التي تحتاج إلى اشتراك الرأي فيها، وبالأخص الأمور التي يعود نفعها أو ضررها على الجميع؛ ليوفق فيها للصواب، يقول ابن جرير رحمه الله في ثمرة الاستشارة: "لأن المؤمنين إذا تشاوروا في أمور دينهم متبعين الحق في ذلك لم يخلهم الله ﷻ من لطفه، وتوفيقه للصواب من الرأي والقول فيه"(١).

وإذا كانت الاستشارة مبنية على المحبة والتواد، وإرادة الجميع للصواب، من غير ميل إلى هوى، أو حيد عن هدى، فإن الله يوفقهم ويسددهم(٢).

المطلب الثالث: من معالم فقه الحكمة في الدعوة وأساليبها(٣):

حتى ينجح الداعية في دعوته لا بد أن يكون على اطلاع على معالم فقه الحكمة في الدعوة وأساليبها، وأشير إليه في هذه النقاط الآتية:

أولًا: مراعاة التدرج:

ومعنى التدرج في الدعوة: أن يراعي الداعية حال المدعوين، ويترقى بهم في الدعوة شيئًا فشيئًا، يبدأ بالأهم ثم المهم، حتى يصل بهم الغاية المقصودة، وفق طرق مشروعة مخصوصة(٤).

ويدل على هذا المعلم قوله ﷺ لمعاذ رضي الله عنه لما أرسله داعية إلى أهل اليمن: «إِنَّكَ

---

(١) تفسير الطبري (٦/ ١٩٠).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٦/ ١٩١).

(٣) ينظر في ذلك: الرائد دروس في التربية والدعوة (٣/٥٨-٦٢-)، مفهوم الحكمة في الدعوة (٢٦-٥٨).

(٤) ينظر: التدرج في دعوة النبي ﷺ (١٧) لإبراهيم بن عبد الله المطلق، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ.

سَتَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً، تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ فَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ طَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ المَظْلُومِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ».

وعلى الداعية أن يتعرف على أحكام التدرج التي تناسب المدعوين، فقضية التدرج في دعوة الكفار تختلف عن دعوة غيرهم.

ثانيًا: معرفة طبائع النفوس:

إن الحكمة في الدعوة تقتضي أن يعرف الداعية طبائع النفوس ليتعامل معها بالطريقة المناسبة، فالناس "متباينون في طبائعهم، مختلفون في مدركاتهم، في العلم والذكاء، في الأمزجة والمشاعر، مختلفون في الميول والاتجاهات؛ مما يدعو رجل العلم والدعوة إلى تخير المدخل -بل المداخل- المناسبة لتلك النفوس المختلفة والعقول المتباينة.

نعم، إن فيهم الغضوب والهادئ، وفيهم المثقف والأمي، فيهم الوجيه وغير الوجيه"[(١)]، ولكن إذا أحسنتَ تألف قلوبهم أقبلوا عليك، والذي لا يحسن التعامل مع طبائعهم المختلفة، ويعاملهم بطريقة واحدة، ينفرون منه كما تنفر الوحوش، ومما قيل عن علي رضي الله عنه: القلوب وحشية، فمن تألفها أقبلت عليه"[(٢)].

يقول الشيخ صالح بن حميد[(٣)] حفظه الله في تعليقه على قول علي رضي الله عنه: "إنه

(١) مفهوم الحكمة في الدعوة (٢٧) د. صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٢) ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (١/ ٣٧٩) للزمخشري توفي ٥٨٣هـ، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

(٣) الشيخ إمام الحرم صالح بن عبد الله بن مُحَمَّد ابن حميد، ينتهي نسبة إلى قبيلة بني خالد، نشأ وتربى وتعلم =

يصورها ﷺ وكأنها دواب متوحشة، لا تعرف الألفة في طبعها، ويبدو هذا -والله أعلم- في ميدان النصائح والتوجيهات، فهل رأيت من يرضى أن تنسبه إلى جهل، أو عدم معرفة، أو سوء في التصرف؟!

إن الإنسان يعظم عليه أن ينسب إلى الجهل؛ ولذا تراه يغضب إذا نبه على الخطأ، ويجتهد في مجاهدة الحق بعد معرفته خيفة انكشاف جهله.

إنها في هذا الباب تنفر إذا قرب منها، بل لعلها بدافع الدفاع عن النفس تهجم وتؤذي، ومن كان صاحب حكمة وفطنة في ترويض الوحوش فهو المفلح -بتوفيق الله- في هداية الناس.

وصاحب الترويض الناجح هو الذي يحرص على تلمس الجانب الطيب في نفوس الناس، وتقصد إلى شيء من العطف على أخطائهم وحماقاتهم.. شيء من العناية -غير المتصنعة- باهتماماتهم وهمومهم. وسوف يصل إلى مصدر النبع الخيّر في نفوسهم، وحينئذ يمنحونه حبهم وثقتهم. إن شيئًا من سعة الصدر والإحاطة بطبائع النفوس كفيل بتحقيق الخير في الناس بنتيجة لا يظنها الكثيرون"[1].

ثالثًا: مخاطبة الناس على قدر عقولهم:

وفقه الحكمة في الدعوة يستدعي من الداعية أن يدرس واقع الناس، وأحوالهم، وقدراتهم العقلية؛ ليخاطبهم على قدر عقولهم؛ حتى يتمكن من التأثير فيهم، ويقبلون

على يد والده الإمام العلامة عبد الله ابن حميد، حصل على الدكتوراه في الفقه وأصوله عام ١٤٠٢هـ، وباشر في إمامة الحرم المكي عام ١٤٠٤هـ، وعمل في الكثير من مناصب الدولة، وله الكثير من المشاركات الدعوية والعلمية وفي الأعمال الخيرية، وله من المصنفات: أثر تطبيق الشريعة في استتباب الأمن، أدب الخلاف، أصول الحوار وآدابه في الإسلام وغير ذلك.

ينظر: أئمة المسجد الحرام ١٣٣٤-١٤٣٦هـ(٥٧٧)، جمعه: عبد الله العلاف الغامدي، دار الطرفين، ط٢، ١٤٣٦هـ.

(١) مفهوم الحكمة في الدعوة (٢٧-٣٠).

على دعوته، ولا ينفرون منها[١]، وينبغي على الداعية الحكيم ألا يخاطب الناس بأمور أعلى من قدراتهم العقلية، فيحصل لبعضهم فتنة، كما قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بمحدث قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[٢]، وقال علي رضي الله عنه: «حدثوا الناس بما يعرفون؛ أتحبون أن يكذب الله ورسوله؟!»[٣].

رابعًا: القول الحسن:

من الحكمة مع المدعوين أن يتلطف بهم في الخطاب، وأن يقول القول الحسن الذي ينفذ إلى القلوب، ويقربها من الخير، قال الله تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]، يقول القرطبي رحمه الله: "وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينًا، ووجهه منبسطًا طلقًا مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا﴾ [طه: ٤٤]، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه"[٤].

خامسًا: معرفة فقه الموازنات:

الداعية الحكيم لا بد أن يكون ملمًّا بفقه الموازنات؛ ليعرف قواعد الترجيح بين المصالح والمفاسد، وذلك لأن الشريعة جاءت "بتحصيل المصالح وتكميلها، وتعطيل المفاسد وتقليلها، وأنها ترجح خير الخيرين وشر الشرين، وتحصيل أعظم المصلحتين

---

(١) الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى (٣٣٥).

(٢) أخرجه مسلم موقوفًا على ابن مسعود رضي الله عنه في المقدمة، باب النهي عن الحديث بكل ما سمع (١/ ١١).

(٣) البخاري موقوف على علي رضي الله عنه (١/ ٣٧).

(٤) تفسير القرطبي (٢/ ١٦).

بتفويت أدناهما، وتدفع أعظم المفسدتين باحتمال أدناهما"[١]، وليس العاقل -كما يقول شيخ الإسلام- "الذي يعلم الخير من الشر، وإنما العاقل الذي يعلم خير الخيرين وشر الشرين، وينشد:

إِنَّ اللَّبِيبَ إِذَا بَدَا مِنْ جِسْمِهِ   مَرَضَانِ مُخْتَلِفَانِ دَاوَى الْأَخْطَرَا[٢]

وهذا ثابت في سائر الأمور"[٣].

سادسًا: مراعاة الوقت المناسب:

ومن الحكمة في الدعوة أن يختار الداعية الأوقات المناسبة في وعظه وتذكيره للناس، حتى لا يملوا، ومما يدل على التخول بالموعظة ما ورد عَنْ أَبِي وَائِلٍ قَالَ: كَانَ عَبْدُ اللَّهِ يُذَكِّرُ النَّاسَ فِي كُلِّ خَمِيسٍ، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ، لَوَدِدْتُ أَنَّكَ ذَكَّرْتَنَا كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: "أَمَا إِنَّهُ يَمْنَعُنِي مِنْ ذَلِكَ أَنِّي أَكْرَهُ أَنْ أُمِلَّكُمْ، وَإِنِّي أَتَخَوَّلُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ، كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَوَّلُنَا بِهَا؛ مَخَافَةَ السَّآمَةِ عَلَيْنَا"[٤].

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: "حَدِّثِ الْقَوْمَ مَا حَدَجُوكَ[٥] بِأَبْصَارِهِمْ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْكَ قُلُوبُهُمْ، فَإِذَا انْصَرَفَتْ عَنْكَ قُلُوبُهُمْ، فَلا تُحَدِّثْهُمْ"، قِيلَ: وَمَا عَلامَةُ ذَلِكَ؟ قَالَ: "إِذَا الْتَفَتَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَرَأَيْتَهُمْ يَتَثَاءَبُونَ، فَلا تُحَدِّثْهُمْ"[٦].

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٤٨).

(٢) ذكره ابن أيدمر في الدر الفريد وبيت القصيد (٤/ ١٥٣) ولم ينسبه لأحد، ت: الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ.

(٣) مجموع الفتاوى (٢٠/ ٥٤).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب العلم واللفظ له، باب من جعل لأهل العلم أياما معلومة (١/ ٢٥) ح (٧٠)، ومسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب الاقتصاد في الموعظة (٤/ ٢١٧٢) ح (٢٨٢١).

(٥) قال البغوي رحمه الله: "قوله: «حَدَجُوكَ بِأَبْصَارِهِمْ» أي: رموك بها، يريد: حدثهم ما داموا يشتهون حديثك، فإذا أعرضوا عنك، فاسكت". شرح السنة (١/ ٣١٤).

(٦) شرح السنة للبغوي (١/ ٣١٣).

وَعَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: «حَدِّثِ النَّاسَ كُلَّ جُمُعَةٍ مَرَّةً، فَإِنْ أَبَيْت فَمَرَّتَيْنِ، فَإِنْ أَكْثَرْتَ، فَثَلاثَ مَرَّاتٍ، وَلا تُمِلَّ النَّاسَ هَذَا الْقُرْآنَ، وَلا أُلْفِيَنَّكَ تَأْتِي الْقَوْمَ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِهِمْ، فَتَقُصُّ عَلَيْهِمْ، فَتَقْطَعُ عَلَيْهِمْ حَدِيثَهُمْ، فَتُمِلُّهُمْ، وَلَكِنْ أَنْصِتْ، فَإِذَا أَمَرُوكَ، فَحَدِّثْهُمْ وَهُمْ يَشْتَهُونَهُ»(١).

سابعًا:الأصل التعريض لا التصريح:

ومعنى التعريض: خلا ف التصريح، وهو ما يفهم به السامع المراد من غير تصريح بالقول(٢).

والتعريض من الأساليب الحكيمة المؤثرة في النفوس التي يوفق الله لها أصحاب القلوب الرحيمة، فمن رزق هذا الأسلوب استطاع أن يغير في واقع المدعوين، وكسب قلوبهم، فأما أسلوب التصريح فإنه يؤدي إلى النفور من النصيحة، والتبجح بالمجاهرة، ويهيّج النفس على الإصرار والعناد. أما التعريض فإنه يستميل النفوس الفاضلة(٣)، ويكبح جماح نفور النفس، فتقبل على الدعوة راغبة طالبة؛ ولذا كان المنهج النبوي يقوم على التعريض في الغالب، يقول ﷺ: «مَا بَالُ أَقْوَامٍ قَالُوا كَذَا وَكَذَا؟!..»(٤).

وإن كان هناك بعض الحالات لا ينفع فيها إلا التصريح دون التعريض، وهذا يرجع إلى توفيق الله للعبد للحكمة؛ ليتعامل مع كل حالة بما يناسبها.

---

(١) شرح السنة (١/ ٣١٤).

(٢) ينظر:التعريفات(٦٢).

(٣) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة (٤٢).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب النكاح، باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه، ووجد مؤنه، واشتغال من عجز عن المؤن بالصوم (٢/ ١٠٢٠) ح (١٤٠١).

ثامنًا: المداراة لا المداهنة:

المداراة صورة من صور التعامل الدال على الحكمة، والموصل إلى المقصود، مع حفظ كرامة ومروءة الداعية والمدعو[١].

والمداراة تعني لين الكلمة وترك الإغلاظ في القول للناس، وتألفهم.

ومن أمثلتها دفع شر الظالم المتسلط بغير العنف، كالملاطفة ودفع المال ونحو ذلك[٢].

وقال ابن بطال[٣] رحمه الله: "المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة وسل السخيمة[٤]"[٥].

وبوب البخاري رحمه الله في صحيحه فقال: "باب المداراة مع الناس"، وأورد فيه أثرًا عن أبي الدرداء ﷺ: «إِنَّا لَنَكْشِرُ[٦] فِي وُجُوهِ أَقْوَامٍ وَإِنَّ قُلُوبَنَا لَتَلْعَنُهُمْ»[٧]، وحديث عائشة ﷺ: أَنَّهُ اسْتَأْذَنَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رَجُلٌ فَقَالَ: «ائْذَنُوا لَهُ، فَبِئْسَ ابْنُ

---

(١) ينظر: مفهوم الحكمة في الدعوة (٤٩).

(٢) ينظر: شرح صحيح البخاري لابن بطال(٩/٣٠٥) ، ت: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، مكتبة الرشد، الرياض، ط٢، ١٤٢٣هـ ، معجم لغة الفقهاء(٤١٧).

(٣) العلامة، أبو الحسن علي بن خلف بن بطال البكري، القرطبي، شارح صحيح البخاري، كان من أهل العلم والمعرفة، توفي رحمه الله سنة (٤٤٩هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٨/ ٤٧)، تاريخ الإسلام (٩/ ٧٤١)، الأعلام (٤/ ٢٨٥).

(٤) السخيمة: الحقد في النفس.

ينظر: تهذيب اللغة (٧/ ٩١)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٥١) مادة (سخم).

(٥) شرح صحيح البخاري لابن بطال(٩/ ٣٠٥).

(٦) الكشر: بدو الأسنان عند التبسم.

ينظر: الصحاح (٢/ ٨٠٦)، ولسان العرب (٥/ ١٤٢) مادة (كشر).

(٧) صحيح البخاري: كتاب الأدب (٨/ ٣١).

العَشِيرَةِ» أَوْ: «بِئْسَ أَخُو العَشِيرَةِ»، فَلَمَّا دَخَلَ أَلَانَ لَهُ الكَلَامَ، فَقُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قُلْتَ مَا قُلْتَ، ثُمَّ أَلَنْتَ لَهُ فِي القَوْلِ! فَقَالَ: «أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْزِلَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ تَرَكَهُ -أَوْ: وَدَعَهُ- النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»[1].

وفرق ابن بطال رحمه الله بين المداراة والمداهنة بقوله: "وقال بعض العلماء: وقد ظن من لم ينعم النظر أن المداراة هي المداهنة، وذلك غلط؛ لأن المداراة مندوب إليها والمداهنة محرمة، والفرق بينهما بيّن، وذلك أن المداهنة اشتق اسمها من الدهان الذي يظهر على ظواهر الأشياء ويستر بواطنها، وفسرها العلماء فقالوا: المداهنة هي أن يلقى الفاسق المظهر لفسقه فيؤالفه ويؤاكله ويشاربه، ويرى أفعاله المنكرة ويريه الرضا بها، ولا ينكرها عليه، ولو بقلبه وهو أضعف الإيمان، فهذه المداهنة التي برأ الله ﷻ منها نبيه ﷺ بقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩].

والمداراة هي الرفق بالجاهل الذي يستتر بالمعاصي، ولا يجاهر بالكبائر، والمعاطفة في رد أهل الباطل إلى مراد الله بلين ولطف؛ حتى يرجعوا عما هم عليه"[2].

تاسعًا: إقالة العثرات وغض الطرف عن الأخطاء:

يقول الشيخ صالح بن حميد حفظه الله: "إقالة العثرات، والغض عن الأخطاء، وأسلوب المداراة المتقرر في الفقرة السابقة، يقود إلى غض الطرف عن أخطاء المقصرين ما دام طريقًا لاستصلاحهم، وإقالة عثرات العاثرين إذا كانوا كرامًا ذوي هيئات، أو كان ذلك سبيلًا إلى دفنها وتقليلها"[3].

ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما حصل من حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، فعَنْ عَلِيٍّ رضي الله عنه قَالَ: بَعَثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبَا مَرْثَدٍ الغَنَوِيَّ وَالزُّبَيْرَ بْنَ العَوَّامِ، وَكُلُّنَا فَارِسٌ، قَالَ:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب المداراة مع الناس (٨/ ٣١) ح (٦١٣١).

(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٩/ ٣٠٦).

(٣) مفهوم الحكمة في الدعوة (٥٦).

«انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ[١]، فَإِنَّ بِهَا امْرَأَةً مِنَ المشْرِكِينَ، مَعَهَا كِتَابٌ مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى المشْرِكِينَ». فَأَدْرَكْنَاهَا تَسِيرُ عَلَى بَعِيرٍ لَهَا، حَيْثُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقُلْنَا: الكِتَابُ، فَقَالَتْ: مَا مَعَنَا كِتَابٌ، فَأَنَخْنَاهَا فَالْتَمَسْنَا فَلَمْ نَرَ كِتَابًا، فَقُلْنَا: مَا كَذَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، لَتُخْرِجِنَّ الكِتَابَ أَوْ لَنُجَرِّدَنَّكِ، فَلَمَّا رَأَتِ الجِدَّ أَهْوَتِ إِلى حُجْزَتِهَا، وَهِيَ مُحْتَجِزَةٌ بِكِسَاءٍ، فَأَخْرَجَتْهُ، فَانْطَلَقْنَا بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالمؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا حَمَلَكَ عَلَى مَا صَنَعْتَ؟» قَالَ حَاطِبٌ: وَاللَّهِ، مَا بِي أَنْ لاَ أَكُونَ مُؤْمِنًا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ﷺ، أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ لِي عِنْدَ القَوْمِ يَدٌ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهَا عَنْ أَهْلِي وَمَالِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِكَ إِلَّا لَهُ هُنَاكَ مِنْ عَشِيرَتِهِ مَنْ يَدْفَعُ اللَّهُ بِهِ عَنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «صَدَقَ، وَلاَ تَقُولُوا لَهُ إِلَّا خَيْرًا»، فَقَالَ عُمَرُ: إِنَّهُ قَدْ خَانَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالمؤْمِنِينَ، فَدَعْنِي فَلِأَضْرِبَ عُنُقَهُ، فَقَالَ: «أَلَيْسَ مِنْ أَهْلِ بَدْرٍ؟!» فَقَالَ: «لَعَلَّ اللَّهَ اطَّلَعَ إِلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ وَجَبَتْ لَكُمُ الجَنَّةُ»، أَوْ: «فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ»، فَدَمَعَتْ عَيْنَا عُمَرَ، وَقَالَ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ[٢].

المطلب الرابع: عوائق الحكمة[٣]:

فكما سبق أن للحكمة أسبابًا، من أتى بها وجاهد نفسه على العمل بها وفقه الله للحكمة ورزقه إياها، وفي مقابل هذا من وقع في عوائق الحكمة حرم منها ولم يوفقه الله لها، وهذه بعض العوائق في طريق الحكمة:

---

(١) موضع بقرب حمراء الأسد من حدود العقيق، من نواحي المدينة من جهة مكة، وهو حمى للمدينة، بقرب ذي الحليفة.
ينظر: معجم البلدان (٢/ ٣٣٥)، المعالم الأثيرة في السنة والسيرة (١٠٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب.. (٥/ ٧٧) ح (٣٩٨٣)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أهل بدر ﷺ وقصة حاطب بن أبي بلتعة (٤/ ١٩٤١) ح (٢٤٩٤).

(٣) ينظر في ذلك: الحكمة للدكتور ناصر العمر (٣٥-٥٤)، الرائد دروس في التربية والدعوة(٣/٤٨-٥٥).

١- الجهل:

الجهل يعيق عن الحكمة، ويوقع صاحبه في المزالق الخطيرة، والجاهل ما يفسده أكثر مما يصلحه، وكم يُجرّ على الدعوة من انحرافات بسبب الجهل، وقد ذكر الله في كتابه أن مما يعوق الإنسان عن الحق ويوقعه في رده والبعد عنه الجهل، قال تعالى: ﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤]، وقال تعالى:

﴿



[الأعراف: ١٣٨].

وقد سبق الكلام على هذا الموضوع[١].

٢- الهوى وعدم التجرد:

ومما يضاد الحكمة ويعمي القلب عنها الوقوع في الهوى، قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وقد سبق الكلام عن الهوى[٢].

٣- ضعف التعامل مع الأدلة الشرعية:

وذلك يرجع إلى الجهل، والهوى وعدم التجرد لله، وقلة التقوى، فاذا أصيب الداعية بهذه الأمور لم يرزقه الله الحكمة في التعامل مع أدلة الشرع.

وهذا العائق يندرج تحته مجموعة من الأسباب، منها:

---

(١) ينظر: ص (٥١٦).

(٢) ينظر: ص (٥١٧).

الأول: ضعف المعرفة بالقرآن من ناحية: ناسخه ومنسوخه، ومحكمه ومتشابهه، ومقدمه ومؤخره، وحلاله وحرامه، وأمثاله(١).

والذي يجهل هذه العلوم لا يوفق للحكمة في فهم القرآن الكريم، ويؤدي إلى تأوُّله على غير مراد الله ورسوله.

الثاني: عدم الجمع بين الأدلة.

ويقع في هذا من أصيب بداء العجلة، وأصاب قلبه الهوى؛ لأنه إذا صبر وتجرد لله وجمع بين الأدلة وفهم مراد الله من مجموعها، يوفقه الله للحكمة في التعامل مع هذه الأدلة، فلا يسقطه الشيطان في مرض الهوى وغوائله.

الثالث: الاستدلال بالدليل في غير موضعه.

ويقع في هذا من أصيب بداء الجهل، وعدم فهم مراد الله من النص، والتسرع في الفتوى بسبب العجلة في تنزيل الدليل على الواقعة بدون تأمل وطلب للتوفيق من الله، وينبغي على من يقوم بمهمة تعليم الناس والإفتاء أن يستلهم عون الله، ويستنزل توفيقه له وإعانته، بالدعاء والتضرع في أن يلهمه الله الصواب، فمتى قرع هذا الباب فقد قرع باب التوفيق، فعليه أن يوجه قلبه ونظره إلى منبع الهدى والرشد والصواب إلى النصوص من القرآن والسنة وآثار الصحابة، فيستفرغ وسعه في تعرف حكم تلك النازلة منها، فإن ظفر بذلك أخبر به، وإن اشتبه عليه بادر إلى التوبة والاستغفار والإكثار من ذكر الله، فإن العلم نور الله يقذفه في قلب عبده، والهوى والمعصية رياح تعصف بذلك النور، فتطفئه أو تكاد، ولا بد أن تضعفه(٢).

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٥/ ٨) فقد ذكر عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن معرفة هذه الأمور المتعلقة بالقرآن من الحكمة.

(٢) ينظر: إعلام الموقعين (٤/ ١٣١-١٣٢).

ويقول ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رحمه الله: "وشهدت شيخ الإسلام إذا أعيته المسائل واستعصت عليه فر منها إلى التوبة والاستغفار والاستغاثة بالله واللجأ إليه، واستنزال الصواب من عنده، والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدًّا، وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه بأيَّتهن يبدأ، ولا ريب أن من وفق لهذا الافتقار علمًا وحالًا، وسار قلبه في ميادينه حقيقة وقصدًا، فقد أعطي حظه من التوفيق، ومن حرمه فقد منع الطريق والرفيق، فمتى أعين مع هذا الافتقار ببذل الجهد في درك الحق، فقد سلك به الصراط المستقيم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم"[(١)].

٤- العجلة وعدم ضبط النفس:

إن العجلة وعدم ضبط النفس من الصفات المذمومة التي تتنافى مع حكمة الداعية، وتجر الدعوة إلى مزالق خطره، وفي الغالب تؤدي إلى تصادم الداعية مع الناس؛ ولذا جاء ذم العجلة وأنها من الشيطان، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»[(٢)].

وقال المناوي في شرحه لهذا الحديث: "أي: هو الحامل عليها بوسوسته؛ لأن

(١) إعلام الموقعين (٤/ ١٣٢).

(٢) أخرجه الترمذي عن سهل بن سعد ﵁ بلفظ: (الأناة) بدل (التأني) في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في التأني والعجلة (٤/ ٣٦٧) ح (٢٠١٢) وأشار إلى ضعفه بقوله: "هذا حديث غريب"، وأبو يعلى في مسنده من حديث أنس ﵁ (٧/ ٢٤٧) ح (٤٢٥٦)، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب آداب القاضي، باب التثبت في الحكم (١٠/ ١٧٨) ح (٢٠٢٧٠)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب في كتاب الذكر والدعاء الترغيب في الإكثار من ذكر الله سرا وجهرا (٢/ ٢٨٤) ح (٢٤١٩): "رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح"، وقال في مجمع الزوائد في كتاب الأدب، باب ما جاء في الرفق (٨/ ١٩) ح (١٢٦٥٢): "رجاله رجال الصحيح"، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٤٠٤) ح (١٧٩٥) عن إسناده عن أنس ﵁: "وهذا إسناد حسن رجاله ثقات رجال الشيخين غير سعد بن سنان وهو حسن الحديث كما تقدم غير مرة".

العجلة تمنع من التثبت والنظر في العواقب"(١).

وقال ابن القيم في ذم العجلة: "ولهذا كانت العجلة من الشيطان، فإنها خفة وطيش وحدة في العبد تمنعه من التثبت والوقار والحلم، وتوجب له وضع الأشياء في غير مواضعها، وتجلب عليه أنواعًا من الشرور، وتمنعه أنواعًا من الخير، وهي قرين الندامة فقل من استعجل إلا ندم"(٢).

وكذلك من الصفات التي تنافي الحكمة عدم ضبط النفس عند تعرض الداعية لمواقف يستفزّ فيها، بل ينبغي عليه كظم غيظه، وعدم الغضب لنفسه، قال تعالى في وصف عباده المتقين: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ جُرْعَةٍ أَعْظَمُ أَجْرًا عِنْدَ اللَّهِ مِنْ جُرْعَةِ غَيْظٍ كَظَمَهَا عَبْدٌ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ»(٣).

وعَنْ سَهْلِ بْنِ مُعَاذِ بْنِ أَنَسٍ الجُهَنِيّ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيّ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنفذَهُ دَعَاهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الحُورِ شَاءَ»(٤).

---

(١) فيض القدير (٣/ ١٨٤).

(٢) الروح (٢٥٨) لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت.

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٠/ ٢٧٠) ح (٦١١٤)، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحلم (٢/ ١٤٠١) ح (٤١٨٩)، وصححه الألباني في سنن ابن ماجه (٦٩٦) ح (٤١٨٩) طبعة مكتبة المعارف، الرياض، اعتنى به مشهور آل سلمان، ط١، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (١٠/ ٢٧٠) ح (٦١١٤) وسنن ابن ماجه (٥/ ٢٨٢) ح (٤١٨٩).

(٤) أخرجه أحمد في مسنده (٢٤/ ٣٨٤) ح (١٥٦١٩)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب من كظم غيظًا (٤/ ٢٤٨) ح (٤٧٧٧)، والترمذي في أبواب البر والصلة، باب من كظم غيظًا (٤/ ٣٧٢) ح (٢٠٢١) وقال: "حديث حسن غريب"، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحلم (٢/ ١٤٠٠) ح
=

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ».

وسيأتي مزيد بيان لآفة الاستعجال[١].

٥- الخلل في فقه الموازنات:

إن الخلل في فقه الموازنة بين المصالح والمفاسد في التقديم والدرء يعود بآثاره السلبية على الداعية في دعوته، فلا يصيب الحكمة، فتتعثر دعوته، وقد سبق الكلام على هذا[٢].

٦- ضيق الأفق وسطحية التفكير:

وهذه الصفة تتنافى مع حكمة الداعية، بل توقع الداعية في أمور تخل بدعوته، وتمكن للأعداء من التسلط عليه، وصرفه عن المنهج الصحيح في الدعوة، ولذلك مظاهر منها:

أ- التسرع في إطلاق الأحكام على الأشخاص والهيئات من غير تثبت وروية.

ب- عدم إلمامه بفقه الواقع الذي يعايشه، فلا يدرك خطر الأعداء وكيدهم، ولا يحذر من مكرهم، وغفلته عن ذلك، وربما يستخدمه أعداء الدعوة لضربها وهو لا يشعر.

ت- الفوضوية والارتجال في المواقف بدون دراسة كافية، والبعد عن التخطيط لدعوته.

=

(٤١٨٦)، وحسنه الألباني في سنن أبي داود (٧١٨) ح (٤٧٧٧) طبعة مكتبة المعارف، الرياض، اعتنى به مشهور آل سلمان، ط١، وكذلك في سنن ابن ماجه (٦٩٥) ح (٤١٨٦)، وقال الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٢٤/ ٣٩٨): "إسناده حسن".

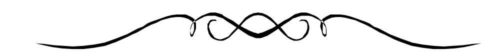
(١) ينظر: ص (٦٨٠).

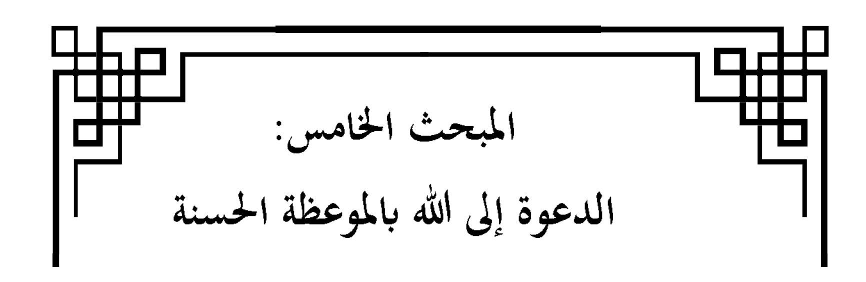
(٢) سبق ص (٥٣٤).

٧- الاستبداد بالرأي وعدم الاستشارة.

ومن أسباب انعدام الحكمة عند الداعية، أن يستبد برأيه ولا يستشير، وبالذات في الأمور التي يترب عليها مصالح أو مفاسد على الدعوة.

وبعض من ينتسب إلى الدعوة يرى في استشارة الآخرين نقص في قدره عند أتباعه، وربما ردد بعض العبارات التي يظهر منها إعتداده بنفسه كقوله هم رجال ونحن رجال، فقد تكون هذه الأمور يحرم الداعية بسببها من الحكمة في الأمر الذي يريد القيام به، وكم جر من هذه التصرفات من خطر على الدعوة، فقد يتمكن الشيطان وأعوانه من التسلط على الدعوة وأهلها بسبب هذا الخلل.



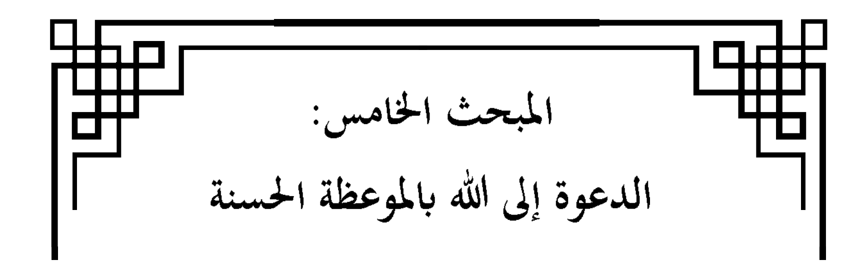


المبحث الخامس:
الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة

المطلب الأول: تعريف الموعظة الحسنة.

المطلب الثاني: صفات تمكن الداعية من الموعظة الحسنة.

المطلب الثالث: نموذج على الموعظة الحسنة.



المبحث الخامس:
الدعوة إلى الله بالموعظة الحسنة

توطئة:

قال تعالى: ﴿Y Z [\ ] ^ _` a
b c d﴾ [النحل: ١٢٥].

فإذا حقق الداعية عمل القلب وجاهد نفسه وحاسبها على ذلك، وفقه الله لأن يتميز في هذه الأساليب في دعوته، فيختار المناسب منها لمن يدعوه، ولا شك أن الموعظة الحسنة منهج نبوي وأسلوب دعوي مؤثر، وبقدر صدق الداعية وإخلاصه لربه يكون لموعظته الأثر الكبير في قلب من يدعوه.

وسيكون الكلام عن الموعظة الحسنة من خلال المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الموعظة الحسنة.

المطلب الثاني: صفات تمكن الداعية من الموعظة الحسنة.

المطلب الثالث: نموذج على الموعظة الحسنة.

وفيما يلي تفصيل ذلك:

المطلب الأول: تعريف الموعظة الحسنة:

أولًا: التعريف اللغوي:

١- تعريف الموعظة:

من وعظ، تقول: وعظته وعظًا وعِظَة فاتَّعظ، أي: قبل الموعظة.

والوعظ: النصح، والتخويف، والتذكير بالعواقب، وبالخير، وما يرق له القلب من

ثواب وعقاب[١].

٢- تعريف الحسنة:

من الحسن وهو: ضد القبح[٢].

ثانيًا: التعريف الاصطلاحي:

يقول البغوي رحمه الله في معنى الموعظة الحسنة: "وقيل: الموعظة الحسنة هي الدعاء إلى الله بالترغيب والترهيب.

وقيل: هو القول اللين الرقيق، من غير غلظة ولا تعنيف"[٣].

ويقول الشوكاني رحمه الله: "والموعظة الحسنة وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها"[٤].

ويقول السعدي رحمه الله عن الموعظة الحسنة: "الأمر والنهي المقرون بالترغيب والترهيب"[٥].

ويقول ابن عاشور[٦] رحمه الله: "والموعظة: القول الذي يلين نفس المقول له لعمل الخير.. ووصفها بالحسن تحريض على أن تكون لينة مقبولة عند الناس"[٧].

---

(١) ينظر: الصحاح (٣/ ١١٨١)، مقاييس اللغة (٦/ ١٢٦)، لسان العرب (٧/ ٤٦٦) مادة (وعظ).

(٢) ينظر: الصحاح (٥/ ٢٠٩٩)، مقاييس اللغة (٢/ ٥٧)، لسان العرب (١٣/ ١١٤) مادة (حسن).

(٣) تفسير البغوي (٥/ ٥٢).

(٤) فتح القدير (٣/ ٢٤٢).

(٥) تفسير السعدي (٤٥٢).

(٦) المفسر محمّد الطاهر بن محمّد بن محمّد الطاهر بن محمّد الشاذلي، ويعرف بابن عاشور، رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس، وله تفسير التحرير والتنوير وغيره، وهو في الصفات على طريقة الأشاعرة، توفي رحمه الله سنة (١٣٩٣هـ).

ينظر: الأعلام (٦/ ١٧٤)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٣/ ٢٥٦٥).

(٧) التحرير والتنوير (١٤/ ٣٢٧).

ولقد جاءت النصوص بالحث على حسن الموعظة، فقال تعالى: ﴿Z Y [\ ] ^ _` a b c d﴾ [النحل: ١٢٥]. يقول ابن القيم رحمه الله: "أطلق الحكمة ولم يقيدها بوصف الحسنة؛ إذ كلها حسنة، ووصف الحسن لها ذاتي، وأما الموعظة فقيدها بوصف الإحسان؛ إذ ليس كل موعظة حسنة"(١).

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال تعالى لموسى وهارون لما أرسلهما إلى فرعون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ﴾ [طه: ٤٤]؛ ليكون ذلك منهجًا للدعاة إلى الله تعالى.

ويحسن هنا أن أورد كلامًا سبق ذكره للإمام القرطبي رحمه الله عن القول الحسن مع الناس، فقال عند قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا۟ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣]: "وهذا كله حض على مكارم الأخلاق، فينبغي للإنسان أن يكون قوله للناس لينًا، ووجهه منبسطًا طلقًا مع البر والفاجر، والسني والمبتدع، من غير مداهنة، ومن غير أن يتكلم معه بكلام يظن أنه يرضي مذهبه؛ لأن الله تعالى قال لموسى وهارون: ﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا﴾ [طه: ٤٤]، فالقائل ليس بأفضل من موسى وهارون، والفاجر ليس بأخبث من فرعون، وقد أمرهما الله تعالى باللين معه"(٢).

المطلب الثاني: صفات تمكن الداعية من الموعظة الحسنة(٣):

هناك صفات لا بد من توفرها في الداعية حتى تكون مواعظه حسنة، من أهمها

(١) مدارج السالكين (١/ ٤٤٤).

(٢) تفسير القرطبي (٢/ ١٦).

(٣) للتوسع في هذه الصفات ينظر: كتاب منهج السلف في الوعظ (١٠١-٢٧٠، ٥٧٣-٦٥١) لأبي يزيد سليمان العربي، مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٣١هـ.

على سبيل الإجمال، وقد مرت الإشارة إلى بعضها وسيأتي البعض الآخر:

١- الصدق والإخلاص.

٢- حرصه على نصح المدعوين.

٣- أن يكون قدوة حسنة.

٤- الحرص على التمكن العلمي.

٥- التخول بالموعظة والقصد فيها.

٦- البعد عن التشهير.

٧- أن يكون ملمًّا بفقه الدعوة القائم على البصيرة والحكمة.

٨- الرحمة واللين.

فالرحمة واللين لهما ارتباط وثيق بحسن مواعظ الداعية خاصة، وهما خلقان عظيمان، قال تعالى في بيان أثرهما على المدعوين في إقبالهم على الدعوة والتفافهم حول الداعية: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يقول السعدي رحمه الله: "فهذه أخلاقه ﷺ، أكمل الأخلاق، التي يحصل بها من المصالح العظيمة ودفع المضار ما هو مشاهد، فهل يليق بمؤمن بالله ورسوله ويدّعي اتباعه والاقتداء به أن يكون كلًّا على المسلمين، شرس الأخلاق، شديد الشكيمة عليهم، غليظ القلب، فظ القول، فظيعه؟! وإن رأى منهم معصية، أو سوء أدب، هجرهم، ومقتهم، وأبغضهم، لا لين عنده، ولا أدب لديه، ولا توفيق، قد حصل من هذه المعاملة من المفاسد وتعطيل المصالح ما حصل، ومع ذلك تجده محتقرًا لمن اتصف بصفات الرسول الكريم، وقد رماه بالنفاق والمداهنة، وقد كمّل نفسه ورفعها، وأعجب بعمله، فهل هذا إلا من جهله، وتزيين الشيطان وخدعه له؟!"[١].

---

(١) تفسير السعدي (٥٩٩).

وبرحمته ولينه وكريم خلقه ﷺ جذب القلوب إليه أشد من جذب المغناطيس لبرادة الحديد، تعلقت به القلوب وأحبته حبًّا عظيمًا يفوق حب النفس والوالد والولد والناس جميعًا والمال.

يقول عمرو بن العاص رضي الله عنه في حبه لرسول ﷺ: "وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنِي مِنْهُ، وَمَا كُنْتُ أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إِجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْتُ أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ"(١).

ويقول عروة بن مسعود الثقفي رضي الله عنه لقريش وهو يصف محبة أصحاب النبي ﷺ له: "أَيْ قَوْمِ، وَاللَّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى المُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى قَيْصَرَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللَّهِ إِنْ رَأَيْتُ مَلِكًا قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ مُحَمَّدًا، وَاللَّهِ إِنْ تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلَّا وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ إِلَيْهِ النَّظَرَ تَعْظِيمًا لَهُ"(٢).

وهكذا الداعية الذي يقتدي بنبيه ﷺ ويسير على منهجه في الرحمة بالمدعوين واللين معهم في مواعظه وتعامله، فيؤدّي ذلك إلى قبول الناس لدعوته، وتنفذ مواعظه إلى قلوبهم، ويقبلون عليها، كما يقبل العطشان على الماء البارد.

٩- الرفق:

والرفق خلق عظيم يرتبط ارتباطاً وثيقاً باللين والرحمة، وهو من الصفات التي تمكن الداعية من الحسن في الموعظة، ومعناه: "لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل،

---

(١) أخرجه مسلم (١/ ١١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٣/ ١٩٥).

وهو ضد العنف"[١]، فعَنْ عَائِشَةَ ﵂، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».

وعَنْ جَرِيرٍ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ»[٢].

وفي رواية للحديث: يقول ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»[٣].

وإذا كان الداعية يتصف بالرفق تجده يحسن القول في وعظه؛ لأن خلق الرفق يمنع من سوء القول في الموعظة، بل يحرص على حسن الموعظة، وعلى الرفق بالمدعوين في تصحيح أخطائهم أو في دعوتهم إلى الخير، فيجعل الله لمواعظه القبول والأثر الحسن.

المطلب الثالث: نموذج على الموعظة الحسنة:

ودونك هذا النموذج العظيم الذي يظهر فيه أثر الموعظة الحسنة على المخاطبين، فآثرت أن أنقله كما هو بدون تعليق عليه؛ لأن تعليقي أحسب أنه يذهب روعته:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﵁ قَالَ: لَمَّا أَعْطَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا أَعْطَى مِنْ تِلْكَ الْعَطَايَا فِي قُرَيْشٍ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الْأَنْصَارِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَجَدَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ فِي أَنْفُسِهِمْ، حَتَّى كَثُرَتْ فِيهِمُ الْقَالَةُ حَتَّى قَالَ قَائِلُهُمْ: لَقِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ قَوْمَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ هَذَا الْحَيَّ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْكَ فِي أَنْفُسِهِمْ لِمَا صَنَعْتَ فِي هَذَا الْفَيْءِ الَّذِي أَصَبْتَ، قَسَمْتَ فِي قَوْمِكَ، وَأَعْطَيْتَ عَطَايَا عِظَامًا فِي قَبَائِلِ الْعَرَبِ، وَلَمْ يَكُ فِي هَذَا الْحَيِّ مِنَ الْأَنْصَارِ شَيْءٌ، قَالَ: «فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ ذَلِكَ يَا سَعْدُ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا أَنَا إِلَّا امْرُؤٌ مِنْ قَوْمِي،

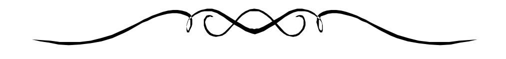
---

(١) فتح الباري (١٠/ ٤٤٩).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق (٤/ ٢٠٠٣) ح (٢٥٩٢).

(٣) وهي عند أبي داود من حديث جرير ﵁، في كتاب الأدب، باب في الرفق (٤/ ٢٥٥) ح (٤٨٠٩)، وصححها الألباني في صحيح الجامع (٢/ ١١٢٣) ح (٦٦٠٦)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٧/ ١٨٧) ح (٤٨٠٩): "إسناده صحيح".

وَمَا أَنَا؟! قَالَ: «فَاجْمَعْ لِي قَوْمَكَ فِي هَذِهِ الْحَظِيرَةِ»، قَالَ: فَخَرَجَ سَعْدٌ، فَجَمَعَ الْأَنْصَارَ فِي تِلْكَ الْحَظِيرَةِ، قَالَ: فَجَاءَ رِجَالٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَتَرَكَهُمْ، فَدَخَلُوا وَجَاءَ آخَرُونَ، فَرَدَّهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا أَتَاهُ سَعْدٌ فَقَالَ: قَدِ اجْتَمَعَ لَكَ هَذَا الْحَيُّ مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: فَأَتَاهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَحَمِدَ اللهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِالَّذِي هُوَ لَهُ أَهْلٌ، ثُمَّ قَالَ: «يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ، مَا قَالَةٌ بَلَغَتْنِي عَنْكُمْ وَجِدَةٌ وَجَدْتُمُوهَا فِي أَنْفُسِكُمْ؟ أَلَمْ آتِكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ، وَعَالَةً فَأَغْنَاكُمُ اللهُ، وَأَعْدَاءً فَأَلَّفَ اللهُ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ؟!»، قَالُوا: بَلِ اللهُ وَرَسُولُهُ أَمَنُّ وَأَفْضَلُ، قَالَ: «أَلَا تُجِيبُونَنِي يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ؟!» قَالُوا: وَبِمَاذَا نُجِيبُكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَلِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْمَنُّ وَالْفَضْلُ؟! قَالَ: «أَمَا وَاللهِ، لَوْ شِئْتُمْ لَقُلْتُمْ فَلَصَدَقْتُمْ وَصُدِّقْتُمْ: أَتَيْتَنَا مُكَذَّبًا فَصَدَّقْنَاكَ، وَمَخْذُولًا فَنَصَرْنَاكَ، وَطَرِيدًا فَآوَيْنَاكَ، وَعَائِلًا فَآسَيْنَاكَ، أَوَجَدْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ -يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ- فِي لُعَاعَةٍ[(١)] مِنَ الدُّنْيَا، تَأَلَّفْتُ بِهَا قَوْمًا لِيُسْلِمُوا، وَوَكَلْتُكُمْ إِلَى إِسْلَامِكُمْ؟! أَفَلَا تَرْضَوْنَ -يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ- أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالشَّاةِ وَالْبَعِيرِ، وَتَرْجِعُونَ بِرَسُولِ اللهِ فِي رِحَالِكُمْ؟! فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْلَا الْهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الْأَنْصَارِ، وَلَوْ سَلَكَ النَّاسُ شِعْبًا وَسَلَكَتِ الْأَنْصَارُ شِعْبًا لَسَلَكْتُ شِعْبَ الْأَنْصَارِ، اللهُمَّ ارْحَمِ الْأَنْصَارَ، وَأَبْنَاءَ الْأَنْصَارِ، وَأَبْنَاءَ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ»، قَالَ: فَبَكَى الْقَوْمُ، حَتَّى أَخْضَلُوا لِحَاهُمْ[(٢)]، وَقَالُوا: رَضِينَا بِرَسُولِ اللهِ قِسْمًا وَحَظًّا، ثُمَّ انْصَرَفَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَتَفَرَّقُوا[(٣)].

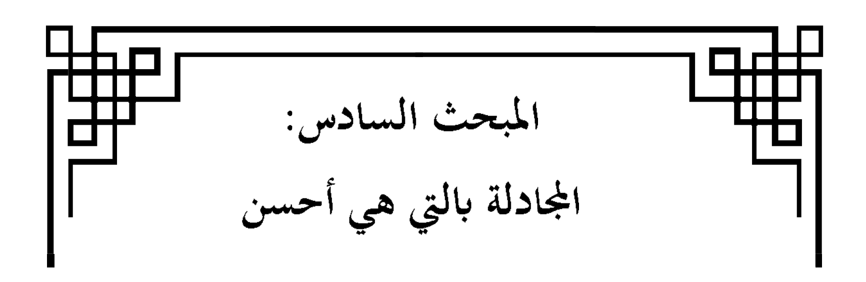


(١) أي: شيء يسير زهيد قليل.
ينظر: لسان العرب (٨/ ٣٢٠) مادة (لعع).

(٢) أي: بلّوا لحاهم بالدموع.
ينظر: لسان العرب (١١/ ٢٠٨) مادة (خضل).

(٣) أخرجه أحمد في مسنده (١٨/ ٢٥٣-٢٥٥) ح (١١٧٣٠)، وذكره ابن كثير في البداية والنهاية (٧/ ٩٨) وقال: "وهو صحيح"، وقال محقق المسند(١٨/ ٢٥٥) ح (١١٧٣٠): "إسناده حسن من أجل مُحَمّد بن إسحاق، وقد صرح بالتحديث هنا، فانتفت شبهة تدليسه، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح".





المبحث السادس:
المجادلة بالتي هي أحسن

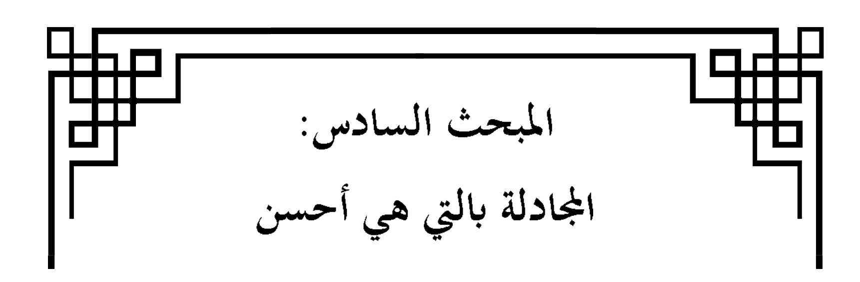
المطلب الأول: تعريف الجدل.

المطلب الثاني: أسباب تمكن الداعية من الجدل المحمود، وضوابطه.

المطلب الثالث: مثال على المجادلة بالتي هي أحسن.







المبحث السادس:
المجادلة بالتي هي أحسن

توطئة:

قال تعالى: ﴿ a b c d ﴾ [النحل: ١٢٥]

هناك صنف من المدعوين لا ينفع معهم الأساليب السابقة، بل يحتاجون إلى نوع من المجادلة لهم؛ لأنهم يعتقدون أن ما هم عليه هو الحق، فلديهم شبهة تحول بينهم وبين الصواب، أو أنهم من أهل الباطل الذين يدعون إلى باطلهم، فعلى الداعية إلى الله أن يتعامل مع كل نوع من هؤلاء بما يناسبه من المجادلة بالتي هي أحسن، فيبين للأول بطلان ما يعتقده بتفنيد تلك الشبه التي حالت بينه وبين الحق، ومع النوع الداعي إلى الباطل، "فيجادل بالتي هي أحسن، وهي الطرق التي تكون أدعى لاستجابته عقلًا ونقلًا.

ومن ذلك الاحتجاج عليه بالأدلة التي كان يعتقدها، فإنه أقرب إلى حصول المقصود، وأن لا تؤدي المجادلة إلى خصام أو مشاتمة تذهب بمقصودها، ولا تحصل الفائدة منها، بل يكون القصد منها هداية الخلق إلى الحق لا المغالبة ونحوها"[(١)].

ولا شك أن لعمل القلب أثره على الداعية في مناظرته ومجادلته بالتي هي أحسن، فله أثره العظيم في توفيق الله للداعية وإعانته وتسديده.

وسيكون الكلام في هذا المبحث وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: تعريف الجدل.

---

(١) تفسير السعدي (٤٥٢).

المطلب الثاني: أسباب تمكن الداعية من الجدل المحمود، وضوابطه.

المطلب الثالث: مثال على المجادلة بالتي هي أحسن.

المطلب الأول: تعريف الجدل:

الجدل لغة: يطلق على عدة معان، منها: **الخصومة**، فيقال: جادله أي: خاصمه، ويطلق على **إحكام الفتل**، فتقول: جدلت الحبل أجدله جدلًا، أي: فتلته فتلًا محكمًا، ويطلق على **الصرع**، يقال: جدلته فانجدل صريعًا، وهو مجدول، ويطلق على مراجعة الكلام[(١)].

والجدل في الاصطلاح:

عرفه الراغب بقوله: "المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة"[(٢)].

وعرفه ابن منظور فقال: "مقابلة الحجة بالحجة"[(٣)].

وقال الجرجاني: "الجدل: دفع المرء خصمه عن إفساد قوله بحجة، أو شبهة، أو يقصد به تصحيح كلامه"[(٤)].

والذي يظهر أن كل تعريف مما سبق راعى جانبًا من جوانب الجدل، وأغفل الجانب الآخر، وبناء عليه فأقول: **الجدل محاورة من تريد أن تدله على الخير، أو تدفع باطله، بإبطال حججه، والرد على شبهه، إظهارًا للحق ودفعًا للباطل.**

المطلب الثاني: أسباب تمكن الداعية من الجدل المحمود، وضوابطه:

وسأوردها مجملة لأن المقام ليس مقام التفصيل، فمن أراد التوسع فليرجع إلى

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (١٠/ ٣٤٢)، الصحاح (٤/ ١٦٥٣)، مقاييس اللغة (١/ ٤٣٣) مادة (جدل).

(٢) المفردات في غريب القرآن (١٨٩).

(٣) لسان العرب (١١/ ١٠٥).

(٤) التعريفات (٧٤).

المراجع التي اعتنت بذلك[1].

١- النية الخالصة الصادقة.

٢- تسلحه بالعلم الشرعي.

٣- تمكنه من علم الجدل والمناظرة.

٤- اطلاعه على ما عند من يريد مجادلته من باطل وشبهات.

إضافة إلى ما سبق فهناك أيضًا ضوابط مهمة لنجاح الداعية في مجادلته بالتي هي أحسن، ومن ذلك:

١- الاتفاق قبل المجادلة على قواعد ينطلق منها الحوار والنقاش، ومن ذلك:

أ- الرد إلى الكتاب والسنة عند الاختلاف.

ب- تقديم النقل ونصوصه على العقل وظنونه.

٢- التحلي بالأخلاق الإسلامية أثناء الجدال، من القول المهذب، واحترام الآخرين، والبعد عن التجريح، وعن الطعن واللمز والسخرية.

٣- أن يكون الهدف من المجادلة إظهار الحق، والإقناع به، والتحذير من الباطل، وعدم التلبيس.

٤- الحذر من الانتصار للنفس، أو الأشخاص، وإيهام الناس أنه ينتصر للحق.

٥- ألا يكون المجادل عنده قلق، واضطراب نفسي، أو تعكر في المزاج، حتى لا ينعكس ذلك سلبًا على مناظرته.

٦- البعد عن الإيجاز المخل عند عرضه لحججه، أو تفنيده للشبه، وكذلك البعد عن الإسهاب في ذلك، حتى يخرج عن الأمر الذي عقدت من أجله المناظرة.

٧- توطين نفسه على قبول الحق والأخذ به إذا ظهر ذلك عند مناظِره.

---

(١) ينظر في ذلك: ضوابط المعرفة (٣٧٢-٣٧٣) لعبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم دمشق، ط١٤، ١٤٣٦هـ، منهج الجدل والمناظرة (٦٩٩-٧٣٣) لعثمان علي حسن، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ، الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية (٧٣٠-٧٣١).

٨- حسن الاستماع لكلام الخصم.

٩- التحلي بالعدل والإنصاف.

المطلب الثالث: مثال على المجادلة بالتي هي أحسن:

ودونك هذا المثال العظيم على المجادلة بالتي هي أحسن، قال تعالى: ﴿• • •

• •• •• • •• •• •• •• •• •• •• •

• • • •• • •• • • • • • • • •

• •• •• •• •• • •• •• •• •• •• •• •• •

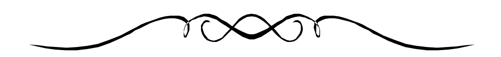
• •﴾ [البقرة: ٢٥٨].

يقول السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "﴿•• •• •• •• •

• • •• •• •﴾ أي: إلى جرائته وتجاهله وعناده ومحاجته فيما لا يقبل التشكيك، وما حمله على ذلك إلا ﴿• • • •﴾، فطغى وبغى، ورأى نفسه مترئسًا على رعيته، فحمله ذلك على أن حاج إبراهيم في ربوبية الله، فزعم أنه يفعل كما يفعل الله، فقال إبراهيم: ﴿• • • • •﴾ أي: هو المنفرد بأنواع التصرف، وخص منه الإحياء والإماتة لكونهما أعظم أنواع التدابير، ولأن الإحياء مبدأ الحياة الدنيا والإماتة مبدأ ما يكون في الآخرة، فقال ذلك المحاج: ﴿•

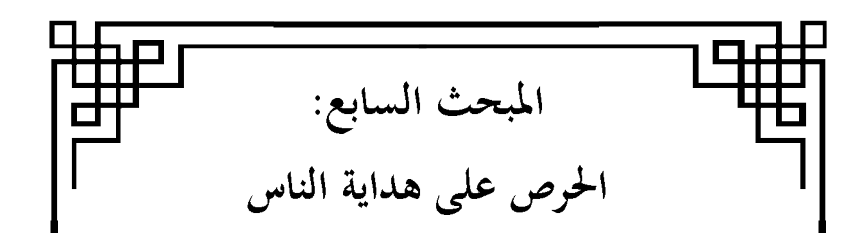
• • •﴾، ولم يقل: أنا الذي أحيي وأميت؛ لأنه لم يدع الاستقلال بالتصرف، وإنما زعم أنه يفعل كفعل الله ويصنع صنعه، فزعم أنه يقتل شخصًا فيكون قد أماته، ويستبقي شخصًا فيكون قد أحياه، فلما رآه إبراهيم يغالط في مجادلته ويتكلم بشيء

لا يصلح أن يكون شبهة فضلًا عن كونه حجة، اطرد معه في الدليل[١]، فقال إبراهيم: ﴿• • • • • •﴾ أي: عيانًا يقر به كل أحد حتى ذلك الكافر، ﴿• • • •﴾، وهذا إلزام له بطرد دليله إن كان صادقًا في دعواه، فلما قال له أمرًا لا قوة له في شبهة تشوش دليله، ولا قادحًا يقدح في سبيله، ﴿• • •﴾ أي: تحير فلم يرجع إليه جوابًا، وانقطعت حجته وسقطت شبهته، وهذه حالة المبطل المعاند الذي يريد أن يقاوم الحق ويغالبه، فإنه مغلوب مقهور، فلذلك قال تعالى: ﴿• • • • •﴾ بل يبقيهم على كفرهم وضلالهم، وهم الذين اختاروا لأنفسهم ذلك، وإلا فلو كان قصدهم الحق والهداية لهداهم إليه، ويسر لهم أسباب الوصول إليه، ففي هذه الآية برهان قاطع على تفرد الرب بالخلق والتدبير، ويلزم من ذلك أن يفرد بالعبادة والإنابة والتوكل عليه في جميع الأحوال"[٢].



(١) أي: بمعنى استمر معه في الاستدلال على ربوبية الله.

(٢) تفسير السعدي (١١١).



المبحث السابع:
الحرص على هداية الناس

لقد ذكر الله في كتابه حرص الأنبياء على هداية الناس، ومن ذلك حرص نوح عليه السلام على هداية قومه ودعوتهم، فقال تعالى عنه: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ ٢ أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ وَأَطِيعُونِ ٣ يَغۡفِرۡ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمۡ وَيُؤَخِّرۡكُمۡ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّىۚ إِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ إِذَا جَآءَ لَا يُؤَخَّرُۚ لَوۡ كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٤ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوۡتُ قَوۡمِي لَيۡلٗا وَنَهَارٗا ٥ فَلَمۡ يَزِدۡهُمۡ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارٗا ٦ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوۡتُهُمۡ لِتَغۡفِرَ لَهُمۡ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَٱسۡتَغۡشَوۡاْ ثِيَابَهُمۡ وَأَصَرُّواْ وَٱسۡتَكۡبَرُواْ ٱسۡتِكۡبَارٗا ٧ ثُمَّ إِنِّي دَعَوۡتُهُمۡ جِهَارٗا ٨ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعۡلَنتُ لَهُمۡ وَأَسۡرَرۡتُ لَهُمۡ إِسۡرَارٗا﴾ [نوح: ١-٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمۡ أَلۡفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمۡسِينَ عَامٗا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمۡ ظَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ١٤].

وتلاحظ ملامح حرصه عليه السلام على هداية قومه واضحة جلية، ومن ذلك:

١- إنذاره لقومه من قبل يأتيهم العذاب الشديد.

٢- وضوح دعوته.

٣- تنوع أساليب الدعوة.

٤- الصبر على دعوتهم، والحرص على ذلك قرونًا عديدة.

وذكر الله في كتابه الكثير من أمثلة حرص الأنبياء على هداية أقوامهم، وهذا أمر واضح بين في دعوتهم لأقوامهم؛ ليكون ذلك منهجًا لكل من يقتدي بهم، ويسير على طريقهم من الدعاة إلى الله تعالى.

ومن أبرز الأمثلة على الحرص الشديد على هداية الناس ما كان من نبينا ﷺ، فقد أخبر الله في كتابه عن ذلك فقال ﷻ: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦].

يقول الشيخ السعدي رحمه الله: "ولما كان النبي ﷺ حريصًا على هداية الخلق، ساعيًا في ذلك أعظم السعي، فكان ﷺ يفرح ويسر بهداية المهتدين، ويحزن ويأسف على المكذبين الضالين، شفقة منه ﷺ عليهم، ورحمة بهم، أرشده الله أن لا يشغل نفسه بالأسف على هؤلاء، الذين لا يؤمنون بهذا القرآن، كما قال في الآية الأخرى: ﴿لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣]، وقال: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر: ٨]، وهنا قال: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: مهلكها غمًّا وأسفًا عليهم؛ وذلك أن أجرك قد وجب على الله، وهؤلاء لو علم الله فيهم خيرًا لهداهم، ولكنه علم أنهم لا يصلحون إلا للنار، فلذلك خذلهم، فلم يهتدوا، فإشغالك نفسك غمًّا وأسفًا عليهم ليس فيه فائدة لك.

وفي هذه الآية ونحوها عبرة، فإن المأمور بدعاء الخلق إلى الله، عليه التبليغ والسعي بكل سبب يوصل إلى الهداية، وسد طرق الضلال والغواية بغاية ما يمكنه، مع التوكل على الله في ذلك، فإن اهتدوا فبها ونعمت، وإلا فلا يحزن ولا يأسف، فإن ذلك مضعف للنفس، هادم للقوى، ليس فيه فائدة، بل يمضي على فعله الذي كلف به وتوجه إليه، وما عدا ذلك فهو خارج عن قدرته، وإذا كان النبي ﷺ يقول الله له: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]، وموسى عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾ الآية [المائدة: ٢٥]، فمن عداهم من باب أولى وأحرى، قال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢١، ٢٢]"[(١)].

---

(١) تفسير السعدي (٤٧٠).

والحرص على هداية الناس يدل على قلب رحيم مشفق على العباد، يريد الخير لهم، والنجاة من العذاب، وقد جاء في السنة أمثلة على حرصه ﷺ الشديد على هداية الناس، فمن ذلك ما يرويه ابن عَبَّاسٍ رضي الله عنهما: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ إِلَى البَطْحَاءِ، فَصَعِدَ إِلَى الجَبَلِ فَنَادَى: «يَا صَبَاحَاهْ»، فَاجْتَمَعَتْ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ، فَقَالَ: «أَرَأَيْتُمْ إِنْ حَدَّثْتُكُمْ أَنَّ العَدُوَّ مُصَبِّحُكُمْ أَوْ مُمَسِّيكُمْ؟ أَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونِي؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «فَإِنِّي نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ»، فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ: أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! تَبًّا لَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] إِلَى آخِرِهَا[١].

وعَنْ أَبِي مُوسَى ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَتَى قَوْمًا فَقَالَ: يَا قَوْمِ، إِنِّي رَأَيْتُ الجَيْشَ بِعَيْنَيَّ، وَإِنِّي أَنَا النَّذِيرُ العُرْيَانُ[٢]، فَالنَّجَاءَ، فَأَطَاعَهُ طَائِفَةٌ مِنْ قَوْمِهِ فَأَدْلَجُوا[٣]، فَانْطَلَقُوا عَلَى مَهَلِهِمْ فَنَجَوْا، وَكَذَّبَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ، فَأَصْبَحُوا مَكَانَهُمْ، فَصَبَّحَهُمُ الجَيْشُ فَأَهْلَكَهُمْ وَاجْتَاحَهُمْ، فَذَلِكَ مَثَلُ مَنْ أَطَاعَنِي فَاتَّبَعَ مَا جِئْتُ بِهِ وَمَثَلُ مَنْ عَصَانِي وَكَذَّبَ بِمَا جِئْتُ بِهِ مِنَ الحَقِّ»[٤].

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَذَكَرَ أَحَادِيثَ مِنْهَا: وَقَالَ رَسُولُ اللهِ

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١، ٢] (٦/ ١٨٠) ح (٤٩٧٢).

(٢) قال النووي رحمه الله في معنى (النذير العريان): "قال العلماء: أصله أن الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يوجب المخافة نزع ثوبه وأشار به إليهم إذا كان بعيدًا منهم ليخبرهم بما دهمهم.. قالوا: وإنما يفعل ذلك لأنه أبين للناظر وأغرب وأشنع منظرًا، فهو أبلغ في استحثاثهم في التأهب للعدو. وقيل معناه: أنا النذير الذي أدركني جيش العدو فأخذ ثيابي فأنا أنذركم عريانًا".
ينظر: شرح النووي على مسلم (١٥/ ٤٨).

(٣) قال الجوهري رحمه الله: "أَدْلَجَ القوم، إذا ساروا من أوّل الليل".
ينظر: الصحاح (١/ ٣١٥) مادة (دلج).

(٤) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٩/ ٩٣) ح (٧٢٨٣)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (٤/ ١٧٨٨) ح (٢٢٨٣).

ﷺ: «مَثَلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهَا جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ[١] الَّتِي فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا، وَجَعَلَ يَحْجُزُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ فَيَتَقَحَّمْنَ[٢] فِيهَا»، قَالَ: «فَذَلِكُمْ مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ، أَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ[٣] عَنِ النَّارِ: هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، هَلُمَّ عَنِ النَّارِ، فَتَغْلِبُونِي تَقَحَّمُونَ فِيهَا»[٤].

ولخص الإمام النووي مقصود إيراد الحديث بقوله رحمه الله: "ومقصود الحديث أنه ﷺ شبه تساقط الجاهلين والمخالفين بمعاصيهم وشهواتهم في نار الآخرة، وحرصهم على الوقوع في ذلك مع منعه إياهم، وقبضه على مواضع المنع منهم بتساقط الفراش في نار الدنيا لهواه وضعف تمييزه، وكلاهما حريص على هلاك نفسه ساع في ذلك لجهله"[٥].

وهذا مثل آخر على حرص النبي ﷺ على هداية الناس: فعَنْ رجل من بَنِي مَالِكِ بْنِ كِنَانَةَ، قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ يَتَخَلَّلُهَا يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ؛ تُفْلِحُوا»، قَالَ: وَأَبُو جَهْلٍ يَحْثِي عَلَيْهِ التُّرَابَ وَيَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ لِتَتْرُكُوا آلِهَتَكُمْ، وَتَتْرُكُوا اللَّاتَ وَالْعُزَّى، قَالَ: وَمَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ. الحديث.

وعَنْ طَارِقِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْمُحَارِبِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي سُوقِ ذِي

---

(١) وهي الحشرات التي تأتي على ضوء النار فتسقط فيها. ينظر: المعجم الوسيط (٢/ ٦٨٢) مادة (فرش).

(٢) التقحم: الرمي بالنفس من غير رويّة في الأمور المهلكة.
ينظر: الصحاح (٥/ ٢٠٠٦) مادة (قحم).

(٣) الحُجْزة: وهي معقد الإزار والسراويل، يقال: تحاجز القوم أخذ بعضهم بِحُجْزَة بعض، وإذا أراد الرجل أن يمسك من يخاف سقوطه أخذه من مكان معقد الإزار.
ينظر: لسان العرب (٥/ ٣٣٢) مادة (حجز)، طرح التثريب في شرح التقريب (٨/ ٢٢٣).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم (٤/ ١٧٨٩) ح (٢٢٨٤).

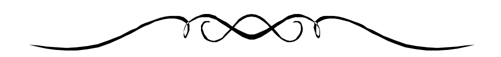
(٥) شرح النووي على مسلم (١٥/ ٥٠).

الْمَجَازِ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، وَهُوَ يَقُولُ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، قُولُوا: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ؛ تُفْلِحُوا»، وَرَجُلٌ يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ، وَقَدْ أَدْمَى عُرْقُوبَيْهِ وَكَعْبَيْهِ، وَهُوَ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ، لَا تُطِيعُوهُ، فَإِنَّهُ كَذَّابٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قِيلَ: هَذَا غُلَامُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قُلْتُ: فَمَنْ هَذَا الَّذِي يَتْبَعُهُ يَرْمِيهِ بِالْحِجَارَةِ؟ قَالَ: هَذَا عَبْدُ الْعُزَّى أَبُو لَهَبٍ. الحديث.

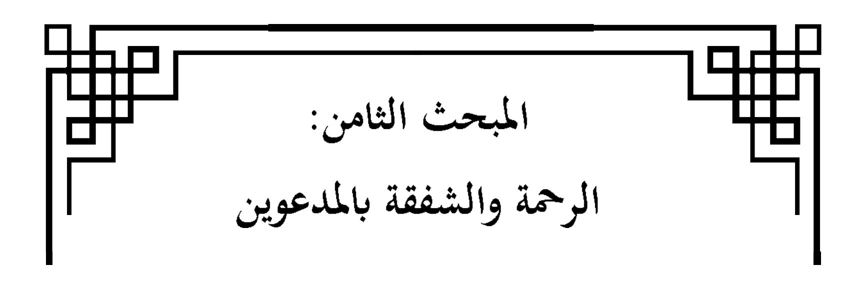
وهكذا ينبغي على الداعية إلى الله أن يسير على منهج الأنبياء في الحرص على هداية الناس، وبذل كل ما يستطيع من أجل ذلك.

ولا يحرص على هداية الناس إلا أصحاب القلوب السليمة من الغل والحسد والبغض والشحناء، قلوب امتلأت بالرحمة والشفقة وحب الخير للناس، تجد لذتها في إيصال الخير إليهم والصبر على أذاهم، همها دلالة الناس على الخير، وبذل الغالي والنفيس من أجل هدايتهم إلى الله تعالى.

وقد سبق أن ذكرت كلام الإمام أحمد رحمه الله في أثر العلماء الصالحين المصلحين على الناس، فمن المناسب إعادة بعضه هنا، فيقول: "الحمد لله الذي جعل في كل زمان فترة من الرسل بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى، يحيون بكتاب الله الموتى، ويبصرون بنور الله أهل العمى، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضالٍّ تائه قد هدوه، فما أحسنَ أثرهم على الناس! وأقبح أثر الناس عليهم!"[1].



(١) الرد على الجهمية والزنادقة (٥٥-٥٧).



المبحث الثامن:
الرحمة والشفقة بالمدعوين

وهذا المبحث له تعلق وثيق بالمبحث الذي قبله، وهو الحرص على هداية الناس، فإذا وفق الله الداعية لذلك، وحرص على تحقيق عمل قلبه، فإن الله يرزقه الرحمة والشفقة بالمدعوين، قال الله تعالى ممتنًا بذلك على رسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]، وقال تعالى عن الهدف من إرساله ﷺ للناس: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقال تعالى في وصفه ﷺ: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

لأن الداعية إذا وفقه الله للحرص على المدعوين والرحمة والشفقة بهم ملك القلوب وأثر فيها، ولهذا جاءت الأحاديث مرغبة في هذه الصفة العظيمة، منها ما ورد عن جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لاَ يَرْحَمُ اللَّهُ مَنْ لاَ يَرْحَمُ النَّاسَ»(١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، يَبْلُغُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ

(١) أخرجه البخاري في كتاب التوحيد، باب قول الله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] (٩/ ١١٥) ح (٧٣٧٦)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (٤/ ١٨٠٩) ح (٢٣١٩).

الرَّحْمَنُ ارْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا الْقَاسِمِ الصَّادِقَ الْمَصْدُوقَ ﷺ صَاحِبَ هَذِهِ الْحُجْرَةِ يَقُولُ: «لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ»(٢).

ودونك -أيها الداعية- أمثلة حية ناطقة من حياة النبي ﷺ، وهو يتمثل الرحمة سلوكًا عمليًا في أحوال دعوته للناس؛ لنقتدي بها ونهتدي بنورها في دعوتنا إلى الله تعالى، فإذا امتثل الداعية هذه الرحمة في بيته، ومع الناس أقبلت عليه القلوب، ونجح في دعوته.

والأمثلة على رحمته ﷺ كثيرة، أذكر منها على سبيل المثال:

١- رحمته ﷺ بالأطفال:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: تُقَبِّلُونَ الصِّبْيَانَ؟ فَمَا نُقَبِّلُهُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَوَأَمْلِكُ لَكَ أَنْ نَزَعَ اللَّهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ؟!»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٣٣) ح (٦٤٩٤)، وأبو داود واللفظ له في كتاب الأدب، باب في الرحمة (٤/ ٢٨٥) ح (٤٩٤١)، والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين (٤/ ٣٢٣) ح (١٩٢٤) وقال: "هذا حديث حسن صحيح"، والحاكم في المستدرك في كتاب البر والصلة (٤/ ١٧٥) ح (٧٢٧٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٦٦١) ح (٣٥٢٢)، وفي صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٤٩) ح (٢٢٥٦) قال: "حسن لغيره"، وقال محقق المسند الأرناؤوط (١١/ ٣٣) ح (٦٤٩٤): "صحيح لغيره".

(٢) أخرجه أحمد (١٣/ ٣٧٨) ح (٨٠٠١)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الرحمة (٤/ ٢٨٦) ح (٤٩٤٢)، والترمذي في أبواب البر والصلة، باب ما جاء في رحمة المسلمين (٤/ ٣٢٣) ح (١٩٢٣) وقال: "هذا حديث حسن"، وابن حبان في صحيحه في باب الرحمة، ذكر البيان بأن رحمة الله جل وعلا لا تنزع إلا من الأشقياء (٢/ ٢١٣) ح (٤٦٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٥٠) ح (٢٢٦١)، وقال شعيب الأرناؤوط في تعليقه على المسند (١٣/ ٣٧٨) ح (٨٠٠١): "إسناده حسن".

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٨/ ٧) ح (٥٩٩٨).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَبَّلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ وَعِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِسٍ التَّمِيمِيُّ جَالِسًا، فَقَالَ الأَقْرَعُ: إِنَّ لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثُمَّ قَالَ: «مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجْتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فِي طَائِفَةٍ مِنَ النَّهَارِ، لَا يُكَلِّمُنِي وَلَا أُكَلِّمُهُ، حَتَّى جَاءَ سُوقَ بَنِي قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، حَتَّى أَتَى خِبَاءَ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «أَثَمَّ لُكَعُ؟ أَثَمَّ لُكَعُ(٢)؟» يَعْنِي حَسَنًا، فَظَنَنَّا أَنَّهُ إِنَّمَا تَحْبِسُهُ أُمُّهُ لِأَنْ تُغَسِّلَهُ وَتُلْبِسَهُ سِخَابًا(٣)، فَلَمْ يَلْبَثْ أَنْ جَاءَ يَسْعَى، حَتَّى اعْتَنَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اللهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ، فَأَحِبَّهُ، وَأَحْبِبْ مَنْ يُحِبُّهُ»(٤).

وعن بُرَيْدَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَخْطُبُنَا إِذْ جَاءَ الحَسَنُ وَالحُسَيْنُ عَلَيْهِمَا قَمِيصَانِ أَحْمَرَانِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ المِنْبَرِ فَحَمَلَهُمَا وَوَضَعَهُمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «صَدَقَ اللهُ: ﴿إِنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ﴾ [التغابن: ١٥]، نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ، فَلَمْ أَصْبِرْ حَتَّى قَطَعْتُ حَدِيثِي وَرَفَعْتُهُمَا»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب رحمة الولد وتقبيله ومعانقته (٨/ ٧) ح (٥٩٩٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب رحمته ﷺ الصبيان والعيال وتواضعه وفضل ذلك (٤/ ١٨٠٨) ح (٢٣١٨).

(٢) يطلق على أكثر من معنى يفهم من السياق، ومنها: الصغير، وهو المقصود هنا.

ينظر: الصحاح (٣/ ١٢٨٠)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٤/ ٢٦٨)، لسان العرب (٨/ ٣٢٢) مادة (لكع).

(٣) السخاب: قلادة من أطياب كالقرنفل والمحلب وغيرهما، يلبسه الصبيان والجواري، وقيل: قلادة من خيط وخرز.

ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٢/ ٣٤٩)، لسان العرب (١/ ٤٦١) مادة (سخب).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق (٣/ ٦٦) ح (٢١٢٢)، ومسلم واللفظ له في كتاب فضائل الصحابة رضي الله عنهم، باب فضائل الحسن والحسين رضي الله عنهما (٤/ ١٨٨٢) ح (٢٤٢١).

(٥) أخرجه أحمد (٣٨/ ٩٩) ح (٢٢٩٩٥)، والترمذي في أبواب المناقب، باب.. (٥/ ٦٥٨) ح =

وعَنْ شداد بن الهاد ﷺ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي إِحْدَى صَلَاتَيِ الْعِشَاءِ وَهُوَ حَامِلٌ حَسَنًا أَوْ حُسَيْنًا، فَتَقَدَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ، ثُمَّ كَبَّرَ لِلصَّلَاةِ فَصَلَّى فَسَجَدَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِهِ سَجْدَةً أَطَالَهَا، قَالَ أَبِي: فَرَفَعْتُ رَأْسِي وَإِذَا الصَّبِيُّ عَلَى ظَهْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَهُوَ سَاجِدٌ فَرَجَعْتُ إِلَى سُجُودِي، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الصَّلَاةَ قَالَ النَّاسُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ سَجَدْتَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ صَلَاتِكَ سَجْدَةً أَطَلْتَهَا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ قَدْ حَدَثَ أَمْرٌ أَوْ أَنَّهُ يُوحَى إِلَيْكَ! قَالَ: «كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعَجِّلَهُ حَتَّى يَقْضِيَ حَاجَتَهُ»[1].

٢- رحمته ﷺ بالمخطئين:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَبَالَ فِي المسْجِدِ، فَتَنَاوَلَهُ النَّاسُ، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «دَعُوهُ، وَهَرِيقُوا عَلَى بَوْلِهِ سَجْلًا مِنْ مَاءٍ -أَوْ: ذَنُوبًا مِنْ مَاءٍ[2]-، فَإِنَّمَا بُعِثْتُمْ مُيَسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ».

وعَنْ أَبِي أُمَامَةَ ﷺ قَالَ: إِنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ الله، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ مَهْ، فَقَالَ: «ادْنُهْ»، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا، قَالَ:

(٣٧٧٤)، والنسائي في كتاب صلاة العيدين، باب نزول الإمام عن المنبر قبل فراغه من الخطبة (٣/ ١٩٢) ح (١٥٨٥)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٣/ ١٧٣٨) ح (٦١٦٨)، وقال محقق مسند أحمد (٣٨/ ١٠٠) ح (٢٢٩٩٥): "إسناده قوي".

(١) أخرجه أحمد (٤٥/ ٦١٣) ح (٢٧٦٤٧)، والنسائي في كتاب التطبيق، باب هل يجوز أن تكون سجدة أطول من سجدة (٢/ ٢٢٩) ح (١١٤١)، والحاكم في المستدرك في كتاب معرفة الصحابة ﷺ (٣/ ١٨١) ح (٤٧٧٥) وصححه، ووافقه الذهبي، وقال الألباني في أصل صفة صلاة النبي ﷺ (٢/ ٧٧٣): "وهذا إسناد صحيح على شرط الشيخين كما قال الحاكم ووافقه الذهبي"، وكتاب: أصل صفة صلاة النبي ﷺ لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ، وقال محقق المسند (٤٥/ ٦١٤) ح (٢٧٦٤٧): "إسناده صحيح".

(٢) أي: صبوا على بوله دلوًا كبيرة من الماء.
ينظر: فتح الباري لابن حجر (١/ ٣٢٣-٣٢٤).

فَجَلَسَ قَالَ: «أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ». قَالَ: «أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟» قَالَ: لَا وَاللهِ، جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: «وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ». قَالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: «اللهُمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ، وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَهُ»، قَالَ: فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[١].

٣- رحمته ﷺ بالمرأة:

يقول ﷺ: «وَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ؛ فَإِنَّ الْمَرْأَةَ خُلِقَتْ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، إِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا»[٢].

فأمر ﷺ بالوصية بالنساء خيرًا، ثم بين ﷺ طبيعةً في خلقة المرأة لا بد من الانتباه لها من قبل الأزواج بالأخص، وبقية الأقارب للمرأة، لا بد أن يراعوا هذه الطبيعة في خلقة المرأة التي متى ما أحسنوا التعامل معها، وأخذوا بوصية رسولهم ﷺ، فعند ذلك سترفرف أعلام السعادة الزوجية والسعادة في البيت على حياتهم، ولكن حينما يتجاهل الرجل هذه الطبيعة في المرأة التي نبه عليها ﷺ، يتعكر صفو الحياة في داخل

(١) أخرجه أحمد (٣٦/ ٥٤٥) ح (٢٢٢١١)، وقال في مجمع الزوائد (١/ ١٢٩): "رواه أحمد والطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح"، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧١٣): "وهذا سند صحيح رجاله كلهم ثقات رجال الصحيح"، وقال محقق المسند (٣٦/ ٥٤٥) ح (٢٢٢١١): "إسناده صحيح، رجاله ثقات رجال الصحيح".

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته (٤/ ١٣٣) ح (٣٣٣١)، ومسلم واللفظ له في كتاب الرضاع، باب الوصية بالنساء (٢/ ١٠٩١) ح (١٤٦٨).

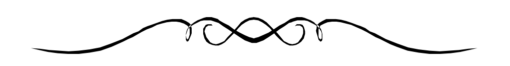
بيوتهم، ويقترب الشيطان منهم، فيحل الشقاق محل الوفاق، والاختلاف والتنازع محل الائتلاف والتوافق، فيجلب الشيطان عليهم بقواته حتى تتمزق البيوت ويتشتت شمل الأسرة، فيفرح الشيطان بهدم ذلك البيت بالطلاق.

ومن أراد النجاح في حياته الزوجية، فعليه الأخذ بوصيته ﷺ بالنساء بالرحمة بهن والشفقة عليهن، وتحمل ما يحصل منهن من طبيعة العوج اللاتي فيهن.

مثال على تعامله مع طبيعة المرأة والرحمة بها عند حدوث الغيرة منها التي هي من طبيعة العوج الذي وجد مع المرأة:

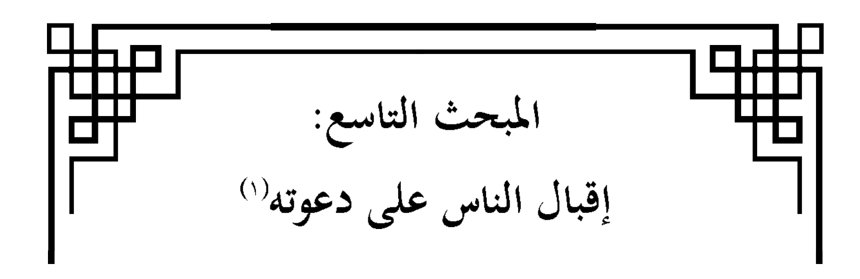
عن أنس رضي الله عنه: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَ بَعْضِ نِسَائِهِ، فَأَرْسَلَتْ إِحْدَى أُمَّهَاتِ المؤْمِنِينَ بِصَحْفَةٍ فِيهَا طَعَامٌ، فَضَرَبَتِ الَّتِي النَّبِيُّ ﷺ فِي بَيْتِهَا يَدَ الخَادِمِ، فَسَقَطَتِ الصَّحْفَةُ فَانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ النَّبِيُّ ﷺ فِلَقَ الصَّحْفَةِ، ثُمَّ جَعَلَ يَجْمَعُ فِيهَا الطَّعَامَ الَّذِي كَانَ فِي الصَّحْفَةِ، وَيَقُولُ: «غَارَتْ أُمُّكُمْ»، ثُمَّ حَبَسَ الخَادِمَ حَتَّى أُتِيَ بِصَحْفَةٍ مِنْ عِنْدِ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا، فَدَفَعَ الصَّحْفَةَ الصَّحِيحَةَ إِلَى الَّتِي كُسِرَتْ صَحْفَتُهَا، وَأَمْسَكَ المكْسُورَةَ فِي بَيْتِ الَّتِي كَسَرَتْ[1].

والأمثلة على رحمته ﷺ كثيرة أكتفي بما ذكر.



(١) أخرجه البخاري في كتاب النكاح، باب الغيرة (٧/ ٣٦) ح (٥٢٢٥).





المبحث التاسع:
إقبال الناس على دعوته(١)

وتضحية الداعية وحرصه على من يدعوهم، ورحمته وشفقته بهم، ودعوتهم بالحكمة والموعظة الحسنة، مع إخلاصه وصدقه مع الله في دعوته، ومجاهدة نفسه على التقرب إلى الله بالنوافل بعد الفرائض، وحرصه على الاستقامة والتقوى، فإن الله يحبه، ويرزقه القبول والوصول إلى قلوب الناس، ويجمع قلوبهم عليه ويؤلف بينها، فيقبلون على دعوته، ولو بعد وفاته، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ [مريم: ٩٦].

وذكر ابن جرير رحمه الله عن ابن عباس ومجاهد في معنى قوله تعالى: ﴿سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾ أي: حبًّا، فيحبهم ويحببهم إلى خلقه(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ» الحديث.

فالله إذا أحب عبده جعل له القبول في الأرض، وجعل القلوب تقبل على دعوته، فإذا وعظ أقبل الناس على موعظته.

---

(١) ينظر: منهج السلف في الوعظ (٥٨٢-٥٨٤).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٥/ ٦٤٢-٦٤٣).

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي الأَرْضِ».

وكتب أبو الدرداء ﷺ إلى مسلمة بن مخلد(١) وهو أمير بمصر: «أما بعد: فإن العبد إذا عمل بطاعة الله أحبه الله، وإذا أحبه الله حببه إلى خلقه، وإذا أبغضه بغضه إلى خلقه»(٢).

قال هرم بن حيان(٣) رحمه الله: "ما أقبل عبد بقلبه إلى الله إلا أقبل الله بقلوب أهل الإيمان عليه حتى يرزقه مودتهم ورحمتهم"(٤).

قال أبو حازم(٥) رحمة الله عليه: "لا يحسن عبد فيما بينه وبين الله تعالى، إلا أحسن الله فيما بينه وبين العباد، ولا يُعَوِّرُ(٦) فيما بينه وبين الله تعالى إلا عوَّر الله فيما بينه وبين العباد، ولمصانعة وجه واحد أيسر من مصانعة الوجوه كلها، إنك إذا

---

(١) مسلمة بن مخلد بن الصامت الأنصاري الخزرجي، وله صحبة، وتوفي النبي ﷺ وله (١٤) سنة، وكان نائبًا لمصر لمعاوية، من كبار الأمراء في صدر الإسلام، توفي ﷺ سنة (٦٢هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٣/ ٤٢٤)، الإصابة (٦/ ٩١)، الأعلام للزركلي (٧/ ٢٢٤).

(٢) مصنف ابن أبي شيبة (٧/ ١١٣)، الزهد لهناد (١/ ٢٩٩).

(٣) هرم بن حيان العبدي ويقال: الأزدي، البصري، أحد العابدين، وقال ابن سعد: كان عاملًا لعمر، وكان ثقة، له فضل وعبادة، مات رحمه الله في أحدى غزواته، ولم يعرف تاريخ وفاته.
ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٨)، الأعلام للزركلي (٨/ ٨٢).

(٤) التمهيد (٢١/ ٢٤٠)، الزهد الكبير للبيهقي (٣٠٠)، وهذا الأثر مروي أيضًا عن مُحَمَّد بن واسع، ومجاهد بن جبر رحمهما الله، ينظر: حلية الأولياء (٢/ ٣٤٥، ٣/ ٢٨٠).

(٥) الإمام، القدوة، الواعظ، أبو حازم سلمة بن دينار المديني المخزومي، ويقال له الأعرج، عالم المدينة وقاضيها وشيخها، فارسي الأصل، وكان ثقة كثير الحديث زاهدًا عابدًا، توفي رحمه الله سنة (١٤٠هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٦/ ٩٦)، الأعلام للزركلي (٣/ ١١٣).

(٦) أي: يفسد ما بينه وبين الله، وقولهم: شاة يعور التي تبول على اللبن فتفسده.
ينظر: المخصص (٢/ ٢٤٦)، لسان العرب (٥/ ٣٠٢) مادة (يعر).

صانعت[١] الله مالت الوجوه كلها إليك، وإذا أفسدت ما بينك وبينه شنأتك[٢] الوجوه كلها"[٣].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: "وإن قلوب الناس لتعرف حال الشخص وتحبه أو تأباه، وتذمه أو تمدحه وفق ما يتحقق بينه وبين الله تعالى، فإنه يكفيه كل هم، ويدفع عنه كل شر. وما أصلح عبد ما بينه وبين الخلق دون الحق[٤]، إلا انعكس مقصوده، وعاد حامده ذامًّا"[٥].

وقال أيضًا عليه رحمة الله: "والله، لقد رأيت من يكثر الصلاة والصوم والصمت، ويتخشع في نفسه ولباسه، والقلوب تنبو عنه، وقدره في النفوس ليس بذاك!

ورأيت من يلبس فاخر الثياب، وليس له كبير نفل، ولا تخشع، والقلوب تتهافت على محبته، فتدبرت السبب، فوجدته السريرة.. فمن أصلح سريرته فاح عبير فضله، وعبقت القلوب بنشر طيبه، فالله الله في السرائر، فإنه ما ينفع مع فسادها صلاح ظاهر"[٦].

ودونك أمثلة تدل على أن القلوب يقبل بها الله على من شاء من عباده، ممن اتصف باللين والرحمة والرفق والصدق مع ربه، وحقق التقوى وحرص على سلامة قلبه من الأمراض:

---

(١) كلمة مصانعة حمالة أوجه تحمل معان لا تليق بالله تعالى، من مثل المداهنة، والرشوة.

ينظر: تهذيب اللغة (١١/ ٢٨١)، مقاييس اللغة (٣/ ٣١٣) مادة (صنع).

ومقصوده رحمه الله: التعامل مع الله والتعلق به، والبعد عن التعامل مع البشر والتعلق بهم، والله أعلم.

(٢) أي: أبغضتك.

ينظر: الصحاح (١/ ٥٧)، مقاييس اللغة (٣/ ٢١٧) مادة (شنأ).

(٣) حلية الأولياء (٣/ ٢٣٩)، سير أعلام النبلاء (٦/ ١٠٠).

(٤) أي: الله تعالى.

(٥) صيد الخاطر (٦٨).

(٦) صيد الخاطر (٢٢٠).

١- قال الله تعالى عن نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٣].

وقال تعالى ممتنًا على عباده المؤمنين: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

٢- قصة الغلام الذي ضحى بنفسه من أجل دعوة الناس إلى الدين الحق، وقال للملك الطاغية الذي يريد قتله: «إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا»(١).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب قصة أصحاب الأخدود والساحر والراهب والغلام (٤/ ٢٢٩٩) ح (٣٠٠٥) والحديث بتمامه: عَنْ صُهَيْبٍ رضي الله عنه، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «كَانَ مَلِكٌ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَكَانَ لَهُ سَاحِرٌ، فَلَمَّا كَبِرَ، قَالَ لِلْمَلِكِ: إِنِّي قَدْ كَبِرْتُ، فَابْعَثْ إِلَيَّ غُلَامًا أُعَلِّمْهُ السِّحْرَ، فَبَعَثَ
=

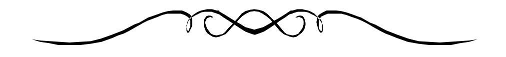
=

إِلَيْهِ غُلَامًا يُعَلِّمُهُ، فَكَانَ فِي طَرِيقِهِ، إِذَا سَلَكَ رَاهِبٌ فَقَعَدَ إِلَيْهِ وَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَأَعْجَبَهُ فَكَانَ إِذَا أَتَى السَّاحِرَ مَرَّ بِالرَّاهِبِ وَقَعَدَ إِلَيْهِ، فَإِذَا أَتَى السَّاحِرَ ضَرَبَهُ، فَشَكَا ذَلِكَ إِلَى الرَّاهِبِ، فَقَالَ: إِذَا خَشِيتَ السَّاحِرَ، فَقُلْ: حَبَسَنِي أَهْلِي، وَإِذَا خَشِيتَ أَهْلَكَ فَقُلْ: حَبَسَنِي السَّاحِرُ، فَبَيْنَمَا هُوَ كَذَلِكَ إِذْ أَتَى عَلَى دَابَّةٍ عَظِيمَةٍ قَدْ حَبَسَتِ النَّاسَ، فَقَالَ: الْيَوْمَ أَعْلَمُ آلسَّاحِرُ أَفْضَلُ أَمِ الرَّاهِبُ أَفْضَلُ؟ فَأَخَذَ حَجَرًا، فَقَالَ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ أَمْرُ الرَّاهِبِ أَحَبَّ إِلَيْكَ مِنْ أَمْرِ السَّاحِرِ فَاقْتُلْ هَذِهِ الدَّابَّةَ، حَتَّى يَمْضِيَ النَّاسُ، فَرَمَاهَا فَقَتَلَهَا، وَمَضَى النَّاسُ، فَأَتَى الرَّاهِبَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ لَهُ الرَّاهِبُ: أَيْ بُنَيَّ، أَنْتَ الْيَوْمَ أَفْضَلُ مِنِّي، قَدْ بَلَغَ مِنْ أَمْرِكَ مَا أَرَى، وَإِنَّكَ سَتُبْتَلَى، فَإِنِ ابْتُلِيتَ فَلَا تَدُلَّ عَلَيَّ، وَكَانَ الْغُلَامُ يُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَيُدَاوِي النَّاسَ مِنْ سَائِرِ الْأَدْوَاءِ، فَسَمِعَ جَلِيسٌ لِلْمَلِكِ كَانَ قَدْ عَمِيَ، فَأَتَاهُ بِهَدَايَا كَثِيرَةٍ، فَقَالَ: مَا هَاهُنَا لَكَ أَجْمَعُ، إِنْ أَنْتَ شَفَيْتَنِي، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَإِنْ أَنْتَ آمَنْتَ بِاللهِ دَعَوْتُ اللهَ فَشَفَاكَ، فَآمَنَ بِاللهِ فَشَفَاهُ اللهُ، فَأَتَى الْمَلِكَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ يَجْلِسُ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَنْ رَدَّ عَلَيْكَ بَصَرَكَ؟ قَالَ: رَبِّي، قَالَ: وَلَكَ رَبٌّ غَيْرِي؟ قَالَ: رَبِّي وَرَبُّكَ اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الْغُلَامِ، فَجِيءَ بِالْغُلَامِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: أَيْ بُنَيَّ قَدْ بَلَغَ مِنْ سِحْرِكَ مَا تُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَتَفْعَلُ وَتَفْعَلُ، فَقَالَ: إِنِّي لَا أَشْفِي أَحَدًا، إِنَّمَا يَشْفِي اللهُ، فَأَخَذَهُ فَلَمْ يَزَلْ يُعَذِّبُهُ حَتَّى دَلَّ عَلَى الرَّاهِبِ، فَجِيءَ بِالرَّاهِبِ، فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى، فَدَعَا بِالْمِئْشَارِ، فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِجَلِيسِ الْمَلِكِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَوَضَعَ الْمِئْشَارَ فِي مَفْرِقِ رَأْسِهِ، فَشَقَّهُ بِهِ حَتَّى وَقَعَ شِقَّاهُ، ثُمَّ جِيءَ بِالْغُلَامِ فَقِيلَ لَهُ: ارْجِعْ عَنْ دِينِكَ، فَأَبَى فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ إِلَى جَبَلِ كَذَا وَكَذَا، فَاصْعَدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَإِذَا بَلَغْتُمْ ذُرْوَتَهُ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ، وَإِلَّا فَاطْرَحُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ فَصَعِدُوا بِهِ الْجَبَلَ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَرَجَفَ بِهِمِ الْجَبَلُ فَسَقَطُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَدَفَعَهُ إِلَى نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: اذْهَبُوا بِهِ فَاحْمِلُوهُ فِي قُرْقُورٍ، فَتَوَسَّطُوا بِهِ الْبَحْرَ، فَإِنْ رَجَعَ عَنْ دِينِهِ وَإِلَّا فَاقْذِفُوهُ، فَذَهَبُوا بِهِ، فَقَالَ: اللهُمَّ اكْفِنِيهِمْ بِمَا شِئْتَ، فَانْكَفَأَتْ بِهِمِ السَّفِينَةُ فَغَرِقُوا، وَجَاءَ يَمْشِي إِلَى الْمَلِكِ، فَقَالَ لَهُ الْمَلِكُ: مَا فَعَلَ أَصْحَابُكَ؟ قَالَ: كَفَانِيهِمُ اللهُ، فَقَالَ لِلْمَلِكِ: إِنَّكَ لَسْتَ بِقَاتِلِي حَتَّى تَفْعَلَ مَا آمُرُكَ بِهِ، قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: تَجْمَعُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَتَصْلُبُنِي عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ خُذْ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِي، ثُمَّ ضَعِ السَّهْمَ فِي كَبِدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قُلْ: بِاسْمِ اللهِ رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ ارْمِنِي، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَتَلْتَنِي، فَجَمَعَ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، وَصَلَبَهُ عَلَى جِذْعٍ، ثُمَّ أَخَذَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ وَضَعَ السَّهْمَ فِي كَبْدِ الْقَوْسِ، ثُمَّ قَالَ: بِاسْمِ اللهِ، رَبِّ الْغُلَامِ، ثُمَّ رَمَاهُ فَوَقَعَ السَّهْمُ فِي صُدْغِهِ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صُدْغِهِ فِي مَوْضِعِ السَّهْمِ فَمَاتَ، فَقَالَ النَّاسُ: آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، آمَنَّا بِرَبِّ الْغُلَامِ، فَأُتِيَ الْمَلِكُ فَقِيلَ لَهُ: أَرَأَيْتَ مَا كُنْتَ تَحْذَرُ؟ قَدْ وَاللهِ نَزَلَ بِكَ حَذَرُكَ، قَدْ آمَنَ النَّاسُ، فَأَمَرَ بِالْأُخْدُودِ فِي أَفْوَاهِ السِّكَكِ، فَخُدَّتْ وَأَضْرَمَ النِّيرَانَ، وَقَالَ: مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ فَأَحْمُوهُ فِيهَا، أَوْ قِيلَ لَهُ: اقْتَحِمْ، فَفَعَلُوا حَتَّى جَاءَتِ امْرَأَةٌ وَمَعَهَا صَبِيٌّ لَهَا فَتَقَاعَسَتْ أَنْ

=

وهكذا ضحى هذا الغلام بنفسه من أجل دعوة الناس شفقة عليهم وحرصًا على إيصال النور إليهم، فصبر على أن يقتل من أجل دعوتهم إلى الله تعالى، وأقبلوا على الحق بعده، وهو فارق الدنيا شهيدًا في سبيل الله، ولم ير ثمرة دعوته في حياته، لكنه أدى ما عليه أعظم أداء، يكفيه شرفًا عند الله أنه جاد بنفسه من أجل دعوتهم إلى الله، فجزاؤه على الله، وقد لحق به من هداهم الله على يديه شهداء بررة، وخلد الله ذكرهم في كتابه، فقال ﷻ: ﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾ [البروج: ٤-١١].

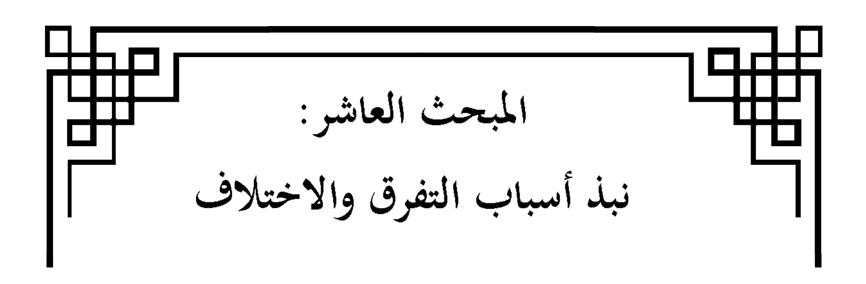
وهذا على قول بعض المفسرين أن هذه الآيات نزلت في هذا الملك الطاغية وأعوانه، وفي من آمنوا بالغلام، وأحرقوا في الأخدود، وهناك أقوال أخرى في المراد بأصحاب الأخدود(١)، والله أعلم.



تَقَعَ فِيهَا، فَقَالَ لَهَا الْغُلَامُ: يَا أُمَّهْ اصْبِرِي فَإِنَّكِ عَلَى الْحَقِّ".

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢٤/ ٢٧٣)، تفسير البغوي (٨/ ٣٨٣)، تفسير ابن كثير (٨/ ٣٦٦).





المبحث العاشر: نبذ أسباب التفرق والاختلاف

المطلب الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة.

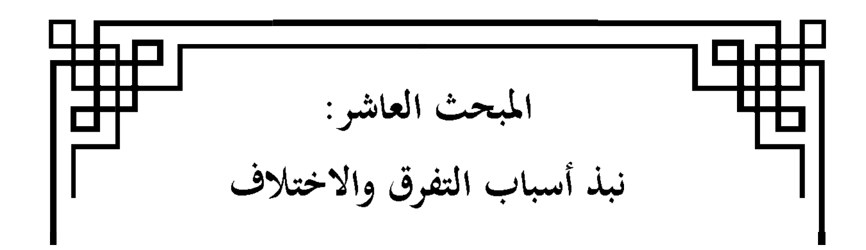
المطلب الثاني: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم وعدم الخروج على ولاة الأمر:

الفرع الأول: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

الفرع الثاني: السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف، والحذر من الخروج عليهم مهما جاروا.

المطلب الثالث: البعد عن سبب الفشل وذهاب الريح.

المطلب الرابع: الحذر من البغي.



المبحث العاشر:
نبذ أسباب التفرق والاختلاف

توطئة:

إنَّ من المقرر في منهج الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم لأممهم التحذير من التفرق والاختلاف، ونبذ أسبابه؛ ولذا جاءت النصوص محذرة من ذلك ومبينة خطره، فقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، وقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

وفي هاتين الآيتين تحذير الأمة من داء التفرق والاختلاف، وقد توعد الله من يقع فيه بالعذاب العظيم والوعيد الشديد؛ لأن التفرق والاختلاف من أعظم أسباب تسلط الأعداء على الأمة، كما في الحديث عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي لِأُمَّتِي أَنْ لَا يُهْلِكَهَا بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، فَيَسْتَبِيحَ بَيْضَتَهُمْ(١)، وَإِنَّ رَبِّي قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، إِنِّي إِذَا قَضَيْتُ قَضَاءً فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ، وَإِنِّي أَعْطَيْتُكَ لِأُمَّتِكَ أَنْ لَا أُهْلِكَهُمْ بِسَنَةٍ عَامَّةٍ، وَأَنْ لَا أُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ سِوَى أَنْفُسِهِمْ، يَسْتَبِيحُ بَيْضَتَهُمْ، وَلَوِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِمْ مَنْ بِأَقْطَارِهَا -أَوْ: قَالَ مَنْ بَيْنَ أَقْطَارِهَا- حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يُهْلِكُ بَعْضًا، وَيَسْبِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا»(٢).

---

(١) أي: مجتمعهم وموضع سلطانهم، ومستقر دعوتهم، وبيضة الدار: وسطها ومعظمها.
ينظر: النهاية في غريب الحديث (١/ ١٧٢).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض (٤/ ٢٢١٥) ح (٢٨٨٩).

دل هذا الحديث على أن من أسباب تسلط العدو الخارجي على المسلمين بسبب منهم، وهو التفرق والاختلاف بينهم الذي يؤدي إلى تقاتل بعضهم مع البعض، فحينئذ يتسلط عدوهم عليهم.

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثًا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ ثَلَاثًا، فَيَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا، وَيَكْرَهُ لَكُمْ قِيلَ وَقَالَ، وَكَثْرَةَ السُّؤَالِ، وَإِضَاعَةِ الْمَالِ»[(١)].

وعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا قَرَأَ آيَةً، وَسَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ خِلَافَهَا، فَجِئْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرْتُهُ، فَعَرَفْتُ فِي وَجْهِهِ الكَرَاهِيَةَ، وَقَالَ: «كِلَاكُمَا مُحْسِنٌ، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»[(٢)].

وعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلَاةِ، وَيَقُولُ: «اسْتَوُوا، وَلَا تَخْتَلِفُوا، فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الْأَحْلَامِ وَالنُّهَى، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»، قَالَ أَبُو مَسْعُودٍ: فَأَنْتُمُ الْيَوْمَ أَشَدُّ اخْتِلَافًا[(٣)].

وقال ابن مسعود ﷺ: "الخلاف شر"[(٤)].

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الأقضية، باب النهي عن كثرة المسائل من غير حاجة، والنهي عن منع وهات، وهو الامتناع من أداء حق لزمه، أو طلب ما لا يستحقه (٣/ ١٣٤٠) ح (١٧١٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار (٤/ ١٧٥) ح (٣٤٧٦).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب تسوية الصفوف وإقامتها.. (١/ ٣٢٣) ح (٤٣٢).

(٤) أخرجه أبو داود في كتاب المناسك، باب الصلاة بمنى (٣/ ٣٢٨) ح (١٩٦٠)، والحديث بتمامه عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: صَلَّى عُثْمَانُ بِمِنًى أَرْبَعًا، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ أَبِي بَكْرٍ رَكْعَتَيْنِ، وَمَعَ عُمَرَ رَكْعَتَيْنِ»، زَادَ، عَنْ حَفْصٍ، وَمَعَ عُثْمَانَ صَدْرًا مِنْ إِمَارَتِهِ، ثُمَّ أَتَمَّهَا زَادَ مِنْ هَا هُنَا عَنْ أَبِي مُعَاوِيَةَ، ثُمَّ تَفَرَّقَتْ بِكُمُ الطُّرُقُ فَلَوَدِدْتُ أَنْ لِي مِنْ أَرْبَعِ رَكَعَاتٍ رَكْعَتَيْنِ مُتَقَبَّلَتَيْنِ. قَالَ: الْأَعْمَشُ، فَحَدَّثَنِي مُعَاوِيَةُ بْنُ قُرَّةَ، عَنْ أَشْيَاخِهِ، أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ صَلَّى أَرْبَعًا، قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: عِبْتَ عَلَى عُثْمَانَ ثُمَّ صَلَّيْتُ أَرْبَعًا، قَالَ: «الْخِلَافُ شَرٌّ». والأثر عن ابن مسعود ﷺ، أخرجه البيهقي في معرفة السنن والآثار (٤/ ٢٦٠) ح (٦٠٧٨) فقال: قال أحمد: وقد روينا بإسناد صحيح عن أبي إسحاق، عن عبد الرحمن =

ووقوع التفرق والاختلاف بين المسلمين من آثار الذنوب، ومن أخطرها خطايا القلوب، يَقُولُ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، مَا تَوَادَّ اثْنَانِ فَفُرِّقَ بَيْنَهُمَا إِلَّا بِذَنْبٍ يُحْدِثُهُ أَحَدُهُمَا» الحديث(١).

وإذا وقع الداعية في خطايا القلوب نفر الناس عنه، وكان من أسباب وجود الفرقة بين الأمة.

ومن آثار تحقيق أعمال القلوب ومجاهدة النفس على ذلك: أن يوفق الله الداعية في دعوته إلى نبذ أسباب التفرق والاختلاف، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، والآية عامة، فكل من جاهد نفسه في الله وحقق أمر الله في ظاهره وباطنه وفقه الله لأسباب نجاحه وفلاحه في الدنيا والآخرة.

ومن أعظم ما ينبغي أن يحرص عليه الداعية نبذ أسباب التفرق والاختلاف، فإذا جاهد نفسه وأصلح قلبه رزقه الله ذلك، وألف به بين القلوب وجمعها على الخير، كما قال تعالى ممتنًا على نبيه ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

بن يزيد في صلاة ابن مسعود أربعًا، وقولهم: ألم يحدثنا أن النبي ﷺ صلى ركعتين وأبا بكر؟ فقال: بلى. ولكن عثمان كان إمامًا، فأخالفه والخلاف شر. وقال عنه الألباني في صحيح أبي داود (٦/ ٢٠٤) ح (١٧١٢): "وهذا إسناد صحيح".

(١) أخرجه أحمد (٩/ ٢٥٩) ح (٥٣٥٧) واللفظ له، والبخاري في الأدب المفرد في باب هجرة المسلم (١٤٥) ح (٤٠١)، والمنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ١٢٨) ح (٣٣٦٢) وقال: "رواه أحمد بإسناد حسن"، وقال في مجمع الزوائد في كتاب البر والصلة، باب حق المسلم على المسلم (٨/ ١٨٤) ح (١٣٦٥٨): "رواه أحمد وإسناده حسن"، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (١٥٨) ح (٤٠١) من حديث أنس ﷺ، وصححه محقق المسند بشواهده (٩/ ٢٦٠) ح (٥٣٥٧) فقال: "حديث صحيح".

وقال تعالى: ﴿وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

وقال السعدي رحمه الله في معنى قوله تعالى: "﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا﴾ وهم الذين هاجروا في سبيل الله، وجاهدوا أعداءهم، وبذلوا مجهودهم في اتباع مرضاته، ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ أي: الطرق الموصلة إلينا، وذلك لأنهم محسنون، ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ بالعون والنصر والهداية.

دل هذا أن من أحسن فيما أمر به أعانه الله ويسر له أسباب الهداية، وعلى أن من جد واجتهد في طلب العلم الشرعي، فإنه يحصل له من الهداية والمعونة على تحصيل مطلوبه أمورًا إلهية خارجة عن مدرك اجتهاده، وتيسر له أمر العلم، فإن طلب العلم الشرعي من الجهاد في سبيل الله، بل هو أحد نوعي الجهاد الذي لا يقوم به إلا خواص الخلق، وهو الجهاد بالقول واللسان للكفار والمنافقين، والجهاد على تعليم أمور الدين، وعلى رد نزاع المخالفين للحق ولو كانوا من المسلمين"(١).

وعلى هذا فإن من جاهد نفسه على إصلاح قلبه، وفقه الله إلى سبيل الائتلاف والاجتماع، وأبعده عن سُبُل التفرق والاختلاف، فيهديه الله إلى الاعتصام بالكتاب والسنة، ولزوم جماعة المسلمين، وعدم الخروج على ولاة الأمر مهما جاروا، ويعصمه الله من سبب الفشل، ويبعده عن البغي والظلم، ويطهر قلبه من الغل الذي هو من أعظم أسباب التفرق والاختلاف، فعن جبير بن مطعم ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُؤْمِنٍ: إِخْلَاصُ الْعَمَلِ لِلَّهِ، وَطَاعَةُ ذَوِي الْأَمْرِ، وَلُزُومُ

---

(١) تفسير السعدي (٦٣٦).

الْجَمَاعَةِ، فَإِنَّ دَعْوَتَهُمْ تَكُونُ مِنْ وَرَائِهِم»[١]، أي: إذا وجدت هذه الأعمال في القلب طهرته من الغش والحقد والضغينة، وإذا سلم القلب من هذه الأمراض سلم من أسباب التفرق والاختلاف، وهناك أسباب إذا تمسك الداعية[٢] بها سلم من داء التفرق والاختلاف، وسيكون الحديث في هذا الأمر وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة.

المطلب الثاني: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم وعدم الخروج على ولاة الأمر، وفيه فرعان:

الفرع الأول: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم.

الفرع الثاني: السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف، والحذر من الخروج عليهم مهما جاروا.

المطلب الثالث: البعد عن سبب الفشل وذهاب الريح.

المطلب الرابع: الحذر من البغي.

المطلب الأول: الاعتصام بالكتاب والسنة[٣]:

مما لا شك فيه أن الاعتصام بالكتاب والسنة هو سبب النجاة في الدنيا

---

(١) أخرجه أحمد (٢٧/ ٣١٨) ح (١٦٧٥٤)، وأبو يعلى (١٣/ ٤٠٨) ح (٧٤١٣) واللفظ له، والحاكم في المستدرك في كتاب العلم (١/ ١٦٢) ح (٢٩٤) وصححه ووافقه الذهبي، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٢٧/ ٣١٩) ح (١٦٧٥٤): "حديث صحيح لغيره"، وصحح إسناده محقق مسند أبي يعلى (١٣/ ٤١١) ح (٧٤١٣).

(٢) وإن كانت هذا الأسباب ليست خاصة بالدعاة، بل هي للمسلمين عامة، ولكن الدعاة يلزمهم من باب أولى الأخذ بهذه الأسباب؛ لأنهم قدوة للناس، ويتأثر بهم أتباعهم الذين يقتدون بهم.

(٣) ينظر في هذا الموضوع: الاعتصام بالكتاب والسنة، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي.

والآخرة، والاعتصام يعني الاستمساك بالشيء[١]، والتمسك بالكتاب والسنة عصمة ونجاة من الفتن والضلالات، ومن أسباب التفرق والاختلاف، قال الله تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ [آل عمران: ١٠٣]، أي: تمسكوا بدين الله وعهده في كتابه بالأمر بالأُلْفة والاجتماع على الحق، وهناك معان في معنى ﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ تندرج ضمن المعنى السابق: الجماعة، بعهد الله وأمره، ووردت أقوال كثيرة في معنى ﴿بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾، فقيل: القرآن، وقيل: الجماعة، وقيل: عهد الله، وقيل: دين الله[٢].

ويقول القرطبي رحمه الله معلقًا على هذه المعاني: "والمعنى كله متقارب متداخل، فإن الله تعالى يأمر بالألفة وينهى عن الفرقة؛ فإن الفرقة هلكة والجماعة نجاة، ورحم الله ابن المبارك حيث قال:

إِنَّ الْجَمَاعَةَ حَبْلُ اللهِ فَاعْتَصِمُوا ... مِنْهُ بِعُرْوَتِهِ الْوُثْقَى لِمَنْ دَانَا"[٣].

ومعنى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ أي: "لا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ والانتهاء إلى أمره"[٤].

ولقد جاءت النصوص في الأمر بالاعتصام بالكتاب والسنة والتحذير من مخالفتهما، ومن ذلك:

---

(١) ينظر: الصحاح (٤/ ١٦٠٨) مادة (مسك).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (٥/ ٦٤٣-٦٤٦)، تفسير القرطبي (٤/ ١٥٩)، تفسير ابن كثير (٢/ ٨٩).

(٣) تفسير القرطبي (٤/ ١٥٩).

(٤) تفسير الطبري (٥/ ٦٤٧).

قول الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

وقوله تعالى: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢].

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١].

وقوله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَاصْبِرُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

هذه الآيات تدل على وجوب الاعتصام بالكتاب والسنة، فإنه لا نجاة للأمة من الفتن والاختلاف والتفرق إلا بالاعتصام بالكتاب والسنة والتمسك بهما، والتحاكم إليهما في صغير الأمر وكبيره، مع التسليم والانقياد التام لأمر الله ولأمر رسوله دون أدنى ضيق أو حرج.

وعن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال النبي ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ. الحديث.

وعن أبي شريح الخزاعي ﷺ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَبْشِرُوا وَأَبْشِرُوا، أَلَيْسَ تَشْهَدُونَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «إِنَّ

هَذَا الْقُرْآنَ سببٌ، طَرَفُهُ بِيَدِ اللَّهِ، وطَرَفُهُ بِأَيْدِيكُمْ، فَتَمَسَّكُوا بِهِ، فَإِنَّكُمْ لَنْ تضلُّوا وَلَنْ تَهْلِكُوا بَعْدَهُ أبدًا»[١].

وقال ﷺ في خطبة حجة الوداع: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ فَلَنْ تَضِلُّوا أَبَدًا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ» الحديث[٢].

وجاءت النصوص في التحذير من مخالفة أمر الله سبحانه وتعالى وأمر رسوله ﷺ، فقال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ونقل ابن بطة عن الإمام أحمد رحمه الله قوله: "نظرت في المصحف فوجدت فيه طاعة رسول الله ﷺ في ثلاثة وثلاثين موضعًا"، ثم جعل يتلو: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣]، وجعل يكررها، ويقول: "وما الفتنة؟ الشرك، لعله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيزيغ فيهلكه"، وجعل يتلو هذه الآية: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]"[٣].

---

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب العلم، ذكر نفي الضلال عن الآخذ بالقرآن (١/ ٣٢٩) ح (١٢٢)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤١) ح (٦٢): "رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد"، وقال في مجمع الزوائد ومنبع الفوائد في كتاب العلم، باب في العمل بالكتاب والسنة (١/ ١٦٩) ح (٧٧٩): "رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح"، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٣٠) ح (٧١٣).

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب العلم (١/ ١٧١) ح (٣١٨) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الذهبي: "وله أصل في الصحيح"، والبيهقي في السنن الكبرى في كتاب آداب القاضي (١٠/ ١٩٤) ح (٢٠٣٣٦)، والمنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٤١) ح (٦٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٤) ح (٤٠).

(٣) الإبانة الكبرى لابن بطة (١/ ٢٦١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ۝٢١ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ۝٢٢ وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ ۖ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنفال: ٢١-٢٣].

ومن أعظم ما يدل على الاعتصام بالكتاب والسنة، ويمنع من التفرق والاختلاف الامتثال والتطبيق في لزوم الرجوع إلى الكتاب والسنة في صغير الأمر وكبيره في كل ما يحصل فيه التنازع، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

المطلب الثاني: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم وعدم الخروج على ولاة الأمر[(١)]:

الفرع الأول: لزوم جماعة المسلمين وإمامهم:

ومما يعصم من التفرق والاختلاف لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، فعن حُذَيْفَةَ بْنَ اليَمَانِ ﷺ قال: كَانَ النَّاسُ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَنِ الخَيْرِ، وَكُنْتُ أَسْأَلُهُ عَنِ الشَّرِّ مَخَافَةَ أَنْ يُدْرِكَنِي، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا كُنَّا فِي جَاهِلِيَّةٍ وَشَرٍّ، فَجَاءَنَا اللَّهُ بِهَذَا الخَيْرِ، فَهَلْ بَعْدَ هَذَا الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: وَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الشَّرِّ مِنْ خَيْرٍ؟ قَالَ: «نَعَمْ، وَفِيهِ دَخَنٌ»، قُلْتُ: وَمَا دَخَنُهُ؟ قَالَ: «قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي، تَعْرِفُ مِنْهُمْ وَتُنْكِرُ»، قُلْتُ: فَهَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، فَقَالَ: «هُمْ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، قُلْتُ: فَمَا تَأْمُرُنِي إِنْ أَدْرَكَنِي ذَلِكَ؟ قَالَ:

---

(١) ينظر: الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة (٥٠٤-٥١٨) للدكتور عبد الله الدميجي، دار طيبة.

«تَلْزَمُ جَمَاعَةَ المسْلِمِينَ وَإِمَامَهُمْ»، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَمَاعَةٌ وَلاَ إِمَامٌ؟ قَالَ: «فَاعْتَزِلْ تِلْكَ الفِرَقَ كُلَّهَا، وَلَوْ أَنْ تَعَضَّ بِأَصْلِ شَجَرَةٍ، حَتَّى يُدْرِكَكَ المَوْتُ وَأَنْتَ عَلَى ذَلِكَ»(١).

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: "والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته خرج عن الجماعة"، قال: "وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام، فافترق الناس أحزابًا، فلا يتبع أحدًا في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك؛ خشية من الوقوع في الشر"(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً» الحديث(٣).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما يَرْوِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ رَأَى مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا يَكْرَهُهُ فَلْيَصْبِرْ، فَإِنَّهُ مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَمَاتَ، فَمِيتَةٌ جَاهِلِيَّةٌ»(٤).

ويقول ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ(٥) الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ» الحديث(١).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام (٤/ ١٩٩) ح (٣٦٠٦)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (٣/ ١٤٧٥) ح (١٨٤٧).

(٢) نقله ابن حجر عن الطبري في فتح الباري (١٣/ ٣٧)، ولابن جرير كتاب في الحديث له تعليقات عظيمة عليه، والكتاب مفقود لم يطبع إلا أجزاء يسيرة، ولم أعثر على هذا النقل فيها.

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (٣/ ١٤٧٦) ح (١٨٤٨).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٩/ ٦٢) ح (٧١٤٣)، ومسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (٣/ ١٤٧٧) ح (١٨٤٩).

(٥) قال أبو عبيد رحمه الله: "بحبوحة الجنَّة يعني وسط الجنَّة، وبحبوحة كلِّ شيء وسطه وخياره". ينظر: غريب الحديث (١/ ٤٣٤).

قال ابن عبد البر رحمه الله: "الآثار المرفوعة في هذا الباب كلها تدل على أن مفارقة الجماعة، وشق عصا المسلمين، والخلاف على السلطان المجتمع عليه، يريق الدم ويبيحه ويوجب قتال من فعل ذلك"(٢).

وقال النووي رحمه الله: "وفي حديث حذيفة هذا لزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ووجوب طاعته وإن فسق وعمل المعاصي مِن أخذ الأموال وغير ذلك، فتجب طاعته في غير معصية"(٣).

الفرع الثاني: السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف، والحذر من الخروج عليهم مهما جاروا:

السمع والطاعة لولاة الأمر في غير معصية الله وعدم الخروج عليهم مهما جاروا مطلب شرعي لما فيه من المصالح العظيمة، ومن أعظمها المحافظة على دماء المسلمين حتى لا تسفك، وكذلك المحافظة على تماسك المجتمع المسلم، ولذا جاءت النصوص الكثيرة بالسمع والطاعة والتحذير من الخروج، ودونك طرفًا منها:

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ

---

(١) أخرجه الترمذي من حديث عمر ﷺ في أبواب الفتن، باب ما جاء في لزوم الجماعة (٤/ ٤٦٦) ح (٢١٦٥) وقال: "هذا حديث حسن صحيح غريب"، ومسند أبي يعلى (١/ ١٣١) ح (١٤١، ١٤٢)، وابن حبان في صحيحه، باب إخباره ﷺ عما يكون في أمته من الفتن والحوادث، ذكر الإخبار عما يظهر في الناس من المسابقة في الشهادات والأيمان الكاذبة (١٥/ ١٢٢) ح (٦٧٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٩٨) ح (٢٥٤٦)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لابن حبان (١٥/ ١٢٢) ح (٦٧٢٨): "حديث صحيح"، وقال حسين سليم أسد في تحقيقه لمسند أبي يعلى (١/ ١٣٢) ح (١٤١، ١٤٢): "رجاله ثقات".

(٢) التمهيد (٢١/ ٢٨٢).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٣٧).

عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ»[١].

قال ابن حجر رحمه الله: "واستدل به على المنع من القيام على السلاطين وإن جاروا؛ لأن القيام عليهم يفضي غالبًا إلى أشد مما ينكر عليهم"[٢].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «عَلَيْكَ السَّمْعَ وَالطَّاعَةَ فِي عُسْرِكَ وَيُسْرِكَ، وَمَنْشَطِكَ وَمَكْرَهِكَ، وَأَثَرَةٍ عَلَيْكَ»[٣].

وذكر النووي رحمه الله في شرحه للحديث: "قال العلماء: معناه تجب طاعة ولاة الأمور فيما يشق وتكرهه النفوس وغيره مما ليس بمعصية، فإن كانت لمعصية فلا سمع ولا طاعة كما صرح به في الأحاديث الباقية، فتحمل هذه الأحاديث المطلقة لوجوب طاعة ولاة الأمور على موافقة تلك الأحاديث المصرحة بأنه لا سمع ولا طاعة في المعصية.

والأَثَرَة بفتح الهمزة والثاء، ويقال: بضم الهمزة وإسكان الثاء[٤]، وبكسر الهمزة وإسكان الثاء[٥]، ثلاث لغات حكاهن في المشارق[٦] وغيره، وهي الاستئثار والاختصاص بأمور الدنيا عليكم، أي: اسمعوا وأطيعوا وإن اختص الأمراء بالدنيا ولم يوصلوكم حقكم مما عندهم.

وهذه الأحاديث في الحث على السمع والطاعة في جميع الأحوال، وسببها

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٩/ ٦٢) ح (٧١٤٢).

(٢) فتح الباري (٢/ ١٨٧).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (٣/ ١٤٦٧) ح (١٨٣٦).

(٤) أي: أُثْرة.

(٥) أي: إِثْرة.

(٦) ينظر: مادة (أثر) في مشارق الأنوار على صحاح الآثار (١/ ١٨) للقاضي عياض، المكتبة العتيقة ودار التراث.

اجتماع كلمة المسلمين، فإن الخلاف سبب لفساد أحوالهم في دينهم ودنياهم"[(١)].

وعَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ وَائِلٍ الْحَضْرَمِيِّ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَأَلَ سَلَمَةُ بْنُ يَزِيدَ الْجُعْفِيُّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللهِ، أَرَأَيْتَ إِنْ قَامَتْ عَلَيْنَا أُمَرَاءُ يَسْأَلُونَا حَقَّهُمْ وَيَمْنَعُونَا حَقَّنَا، فَمَا تَأْمُرُنَا؟ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ، ثُمَّ سَأَلَهُ فِي الثَّانِيَةِ أَوْ فِي الثَّالِثَةِ، فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، وَقَالَ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»[(٢)].

وفي الرواية الأخرى: وَقَالَ: فَجَذَبَهُ الْأَشْعَثُ بْنُ قَيْسٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، فَإِنَّمَا عَلَيْهِمْ مَا حُمِّلُوا، وَعَلَيْكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ»[(٣)].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ، إِلَّا أَنْ يُؤْمَرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِنْ أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ، فَلَا سَمْعَ وَلَا طَاعَةَ»[(٤)].

وقَالَ حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ ﷺ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا كُنَّا بِشَرٍّ، فَجَاءَ اللهُ بِخَيْرٍ، فَنَحْنُ فِيهِ، فَهَلْ مِنْ وَرَاءِ هَذَا الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: هَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الشَّرِّ خَيْرٌ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: فَهَلْ وَرَاءَ ذَلِكَ الْخَيْرِ شَرٌّ؟ قَالَ: «نَعَمْ»، قُلْتُ: كَيْفَ؟ قَالَ: «يَكُونُ بَعْدِي أَئِمَّةٌ لَا يَهْتَدُونَ بِهُدَايَ، وَلَا يَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِي، وَسَيَقُومُ فِيهِمْ رِجَالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشَّيَاطِينِ فِي جُثْمَانِ إِنْسٍ»، قَالَ: قُلْتُ: كَيْفَ أَصْنَعُ -يَا رَسُولَ اللهِ- إِنْ أَدْرَكْتُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «تَسْمَعُ وَتُطِيعُ لِلْأَمِيرِ، وَإِنْ ضُرِبَ ظَهْرُكَ، وَأُخِذَ مَالُكَ، فَاسْمَعْ

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٢٤-٢٢٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق (٣/ ١٤٧٤) ح (١٨٤٦).

(٣) وهي عند مسلم في كتاب الإمارة، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق (٣/ ١٤٧٥) ح (١٨٤٦).

(٤) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب السمع والطاعة للإمام (٤/ ٤٩) ح (٢٩٥٥)، ومسلم واللفظ له في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية (٣/ ١٤٦٩) ح (١٨٣٩).

وَأَطِعْ»(١).

وفي هذه الأحاديث الصبر على أئمة الجور وعدم الخروج عليهم؛ حتى لو ضربوا ظهرك وأخذوا مالك؛ لأن في الخروج عليهم تفريقًا لكلمة المسلمين، وفتحًا لأبواب التفرق والاختلاف وتسلط الأعداء، والله أعلم.

وقال ابن بطال رحمه الله في شرحه لحديث حذيفة ﷺ: "وفيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة المسلمين وترك القيام على أئمة الجور، ألا ترى أنه ﷺ وصف أئمة زمان الشر فقال: «نَعَمْ، دُعَاةٌ إِلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ، مَنْ أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»؟! فوصفهم بالجور والباطل والخلاف لسنته؛ لأنهم لا يكونون دُعاةً على أبواب جهنم إلا وهم على ضلال، ولم يقل فيهم: تعرف منهم وتنكر، كما قال في الأولين، وأمر مع ذلك بلزوم جماعة المسلمين وإمامهم، ولم يأمر بتفريق كلمتهم وشق عصاهم"(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَة ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»(٣).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ خَرَجَ مِنَ السُّلْطَانِ شِبْرًا، فَمَاتَ عَلَيْهِ،

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (٣/ ١٤٧٦) ح (١٨٤٧).

(٢) شرح صحيح البخارى لابن بطال (١٠/ ٣٣).

(٣) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (٣/ ١٤٧٦) ح (١٨٤٨).

إِلَّا مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً».

وعَنْ نَافِعٍ قَالَ: جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ مُطِيعٍ حِينَ كَانَ مِنْ أَمْرِ الْحَرَّةِ مَا كَانَ زَمَنَ يَزِيدَ بْنِ مُعَاوِيَةَ، فَقَالَ: اطْرَحُوا لِأَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ وِسَادَةً، فَقَالَ: إِنِّي لَمْ آتِكَ لِأَجْلِسَ، أَتَيْتُكَ لِأُحَدِّثَكَ حَدِيثًا سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ خَلَعَ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ لَقِيَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا حُجَّةَ لَهُ، وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً»(١).

دلت الأحاديث السابقة على حرمة الخروج على ولاة الأمر وخطره العظيم على من يقع فيه، فإنه يموت ميتة جاهلية، ومعناه أي: على الصفة التي يموت عليها أهل الجاهلية، فوضى على ضلال، لا إمام لهم لأنهم لا يعرفون ذلك(٢)، وأنه لا حجة له ولا عذر له عند الله؛ لأن في الخروج شرًّا عظيمًا على من خرج وعلى الأمة، ولهذا نقل ابن بطال رحمه الله أن "الفقهاء مجمعون على أن طاعة المتغلب واجبة ما أقام على الجمعات والأعياد والجهاد، وأنصف المظلوم في الأغلب، فإن طاعته خير من الخروج عليه؛ لما في ذلك من تسكين الدهماء وحقن الدماء... فتسمع له وتطيع في الحق... ما لم يأمر بنقض شريعة، ولا يهتك حرمة لله تعالى، فإذا فعل ذلك فعلى الناس الإنكار عليه بقدر الاستطاعة، فإن لم يستطيعوا لزموا بيوتهم، أو خرجوا من البلدة إلى

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر (٣/ ١٤٧٨) ح (١٨٥١).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٢/ ٢٣٨)، فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٧)، وعلق ابن حجر رحمه الله في الفتح (١٣/ ٧) على حديث (ميتة جاهلية) قائلًا: "وليس المراد أنه يموت كافرًا بل يموت عاصيًا، ويحتمل أن يكون التشبيه على ظاهره ومعناه أنه يموت مثل موت الجاهلي وإن لم يكن هو جاهليًّا، أو أن ذلك ورد مورد الزجر والتنفير وظاهره غير مراد، ويؤيد أن المراد بالجاهلية التشبيه قوله في الحديث الآخر: «مَنْ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ شِبْرًا فَقَدْ خَلَعَ رِبْقَةَ الْإِسْلَامِ مِنْ عُنُقِهِ» أخرجه الترمذي، وابن خزيمة وابن حبان ومصححًا من حديث الحارث بن الحارث الأشعري في أثناء حديث طويل، وأخرجه البزار والطبراني في الأوسط من حديث بن عباس، وفي سنده خُلَيْدُ بْنُ دَعْلَجٍ وفيه مقال".

موضع الحق إن كان موجودًا"[١].

قال الإمام أحمد رحمه الله: "ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد كانوا اجتمعوا عليه وأقروا بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ، فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنة والطريق"[٢].

وبنحو كلام الإمام أحمد قال علي ابن المديني، وأبو زرعة وابن أبي حاتم الرازيان[٣]، وغيرهم من أئمة السلف[٤].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: "وقلَّ من خرج على إمام ذي سلطان إلا كان ما تولد على فعله من الشر أعظم مما تولد من الخير"[٥]، ثم ذكر أمثلة على من خرجوا على السلطان، وما تولد من فعلهم من شر عظيم عليهم وعلى المسلمين، وأنهم لم يقيموا دينًا ولا أبقوا على دنيًا[٦].

ثم قال رحمه الله: "كان أفاضل المسلمين ينهون عن الخروج والقتال في الفتنة، كما كان عبد الله بن عمر وسعيد بن المسيب وعلي بن الحسين وغيرهم ينهون عام الحرة عن الخروج على يزيد، وكما كان الحسن البصري ومجاهد وغيرهما ينهون عن الخروج في فتنة ابن الأشعث؛ ولهذا استقر أمر أهل السنة على ترك القتال في الفتنة

(١) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ٣٢٨) مع تصرف.

(٢) أصول السنة لأحمد بن حنبل (٤٥- ٤٧)، دار المنار الخرج، ط١، ١٤١١هـ.

(٣) ينظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١/ ١٨٥، ١٩٧).

(٤) ينظر: شرح السنة للبربهاري(٧٧)، ت: خالد الردادي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٤هـ، متن الطحاوية (٦٨-٦٩) للإمام الطحاوي، ت: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.

(٥) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٢٧-٥٢٨).

(٦) ينظر: منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٢٨).

للأحاديث الصحيحة الثابتة عن النبي ﷺ، وصاروا يذكرون هذا في عقائدهم، ويأمرون بالصبر على جور الأئمة وترك قتالهم"[(١)].

ثم قال رحمه الله بعد ذلك: "وهذا كله مما يبين أن ما أمر به النبي ﷺ من الصبر على جور الأئمة وترك قتالهم والخروج عليهم هو أصلح الأمور للعباد في المعاش والمعاد، وأن من خالف ذلك متعمدًا أو مخطئًا لم يحصل بفعله صلاح بل فساد"[(٢)].

المطلب الثالث: البعد عن سبب الفشل وذهاب هيبة الأمة، وهما في معصية الله تعالى ورسوله ﷺ، والتنازع والاختلاف، وعدم الصبر:

وما يحصل للأمة من هزائم أمام أعدائها وتفرق كلمتها، وذهاب هيبتها بين الأمم يعود إلى أسباب: من أعظمها هذه الأسباب، وقد جاء النص عليها في قول الله تعالى: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَـٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾ [الأنفال: ٤٦].

يقول ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "وأن يطيعوا الله ورسوله في حالهم ذلك، فما أمرهم الله تعالى به ائتمروا، وما نهاهم عنه انزجروا، ولا يتنازعوا فيما بينهم أيضًا فيختلفوا فيكون سببًا لتخاذلهم وفشلهم.

﴿وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ أي: قوتكم وحدتكم وما كنتم فيه من الإقبال، ﴿وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾، وقد كان للصحابة ﷺ -في باب الشجاعة والائتمار بأمر الله، وامتثال ما أرشدهم إليه- ما لم يكن لأحد من الأمم والقرون قبلهم، ولا يكون لأحد ممن بعدهم؛ فإنهم ببركة الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وطاعته فيما أمرهم، فتحوا القلوب والأقاليم شرقًا وغربًا في المدة اليسيرة، مع قلة عددهم بالنسبة إلى جيوش سائر الأقاليم، من الروم والفرس والترك والصقالبة والبربر

(١) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٢٩-٥٣٠).

(٢) منهاج السنة النبوية (٤/ ٥٣١).

والحبوش وأصناف السودان والقبط، وطوائف بني آدم، قهروا الجميع حتى علت كلمة الله، وظهر دينه على سائر الأديان، وامتدت الممالك الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها في أقل من ثلاثين سنة، فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين، وحشرنا في زمرتهم، إنه كريم وهاب"(١).

نصت الآية الكريمة على سبب الفشل وذهاب الريح في الأمور الآتية:

أولًا: عدم طاعة الله ورسوله.

ثانيًا: التنازع الذي لا يرجع فيه إلى الكتاب والسنة، وإنما يرجع فيه إلى الأهواء وآراء الرجال؛ لأن الواجب عند التنازع الرجوع إلى الكتاب والسنة، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

ثالثًا: الخلل في الصبر مما يمنع معية الله الخاصة.

المطلب الرابع: الحذر من البغي:

ومن أسباب التفرق: البغي، وهو: الظلم والتعدي(٢)، قال ابن كثير رحمه الله: "وأما البغي فهو: العدوان على الناس"(٣).

وبين السعدي في تفسيره البغيَ فقال: "كل عدوان على الخلق في الدماء والأموال والأعراض"(٤).

وذكر الله في كتابه أن البغي من أسباب الاختلاف والتفرق فقال تعالى:

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٧٢).

(٢) ينظر: الصحاح (٦/ ٢٢٨١)، المعجم الوسيط (١/ ٦٥) مادة (بغى).

(٣) تفسير ابن كثير (٤/ ٥٩٥).

(٤) تفسير السعدي (٤٤٧).

﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٣].

وقال تعالى: ﴿ •• •• ••• •• •• •• •• •• •• • • • • • •• • • • •﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ﴾ [الشورى: ١٣، ١٤].

وقد ربط الله في هذه الآيات بين الاختلاف والبغي، فدل هذا -والله أعلم- على أن البغي من أعظم أسباب الاختلاف والتفرق، وهذا أمر مشاهد محسوس؛ أن ما من أحد يبغي على آخر إلا حصل بينهم الاختلاف والتنازع، سواء على مستوى الفرد أو المجتمع.

وعليه فإن على الدعاة إلى الله تعالى أن يأخذوا حذرهم من هذا الداء العظيم، فيبتعدوا عن البغي على إخوانهم، ويحرصوا على سلامة قلوبهم من هذا الداء، ويجاهدوا أنفسهم على الحذر منه.

والله تعالى يأمر عباده بمحاسن الأخلاق وينهى عن ضدها، كما قال ﷻ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآئِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى في أثر البغي، وأنه يعود وباله على صاحبه: ﴿ • • • •

• • • •﴾ [يونس: ٢٣].

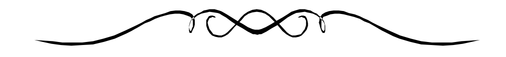
وقد ذكر النبي ﷺ أن عقوبة البغي معجلة في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه من العذاب في الآخرة، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللَّهُ لِصَاحِبِهِ الْعُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ»(١).

ومن مظاهر بغي بعض الدعاة على إخوانهم:

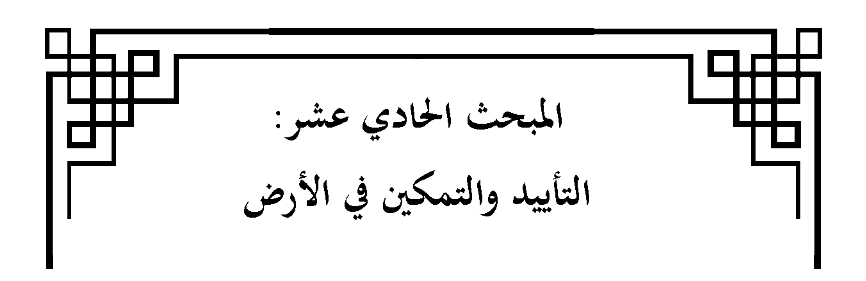
١- اتهام الداعية بما ليس فيه، بدون تثبت وروّية، فتجد البعض يسارع إلى الاتهام في أمور العقيدة بدون تأكد وتثبت.

٢- السعي في إفشال مشاريع إخوانه الدعاة، بتشويه سمعتهم أمام العامة، وتحريض اتباع الداعية على الانفضاض عنه، والسعي للإضرار بالداعية والكيد له، حسداً وبغياً.

٣- اتهام الداعية في مقصده ونيته مما لا يعلمه إلا الله، ولا تظهر قرائن واضحة على ذلك الاتهام.



(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النهي عن البغي (٤/ ٢٧٦) ح (٤٩٠٢)، والترمذي واللفظ له في أبواب صفة القيامة والرقاق والورع، باب.. (٤/ ٦٦٤) ح (٢٥١١) وقال: "هذا حديث صحيح"، وابن ماجه في كتاب الزهد، باب البغي (٢/ ١٤٠٨) ح (٤٢١١)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٧٣) ح (٢٥٣٧)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٧/ ٢٦٣) ح (٤٩٠٢).



المبحث الحادي عشر: التأييد والتمكين في الأرض

إذا أخلص الداعية مع ربه، وصبر على أعباء الدعوة ومشاقها، وتمكن اليقين من قلبه، رزقه الله الإمامة في الدين، وأيده ومكن له ونصره على من يقف في طريق دعوته، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة: ٢٤].

وتأمل بيقين تام هذه الوعود المؤكدة من الله تعالى بالنصر والتمكين لعباده المؤمنين الصادقين الصابرين، إذا هم حققوا أسباب ذلك، من نصرة الله في أنفسهم بامتثال أمره واجتناب نهيه، والله لا يخلف الميعاد، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ﴾ [الحج: ٤٠، ٤١]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧].

وقَالَ المصطفى ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللَّهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا، بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلَاتِهِمْ

وَإِخْلَاصِهِمْ»(١).

وذكر الله في كتابه أنه سيتولى إظهار هذا الدين على جميع الأديان وتأييده بأن الله يتمه، ويظهر أهله العاملين به حقًّا وصدقًا في الباطن والظاهر، فقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٢، ٣٣].

وقال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [الصف: ٨، ٩].

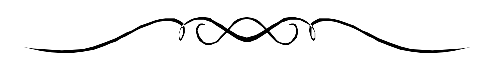
وعَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللهُ بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللهُ بِهِ الْكُفْرَ». وَكَانَ تَمِيمٌ الدَّارِيُّ يَقُولُ: "قَدْ عَرَفْتُ ذَلِكَ فِي أَهْلِ بَيْتِي، لَقَدْ أَصَابَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمُ الْخَيْرُ وَالشَّرَفُ وَالْعِزُّ، وَلَقَدْ أَصَابَ مَنْ كَانَ مِنْهُمْ كَافِرًا الذُّلُّ وَالصَّغَارُ وَالْجِزْيَةُ"(٢).

(١) أخرجه النسائي في سننه الصغرى بهذا اللفظ من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه في كتاب الجهاد، الاستنصار بالضعيف (٦/ ٤٥) ح (٣١٧٨)، وهو أيضًا في السنن الكبرى له (٤/ ٣٠٥) ح (٤٣٧٢)، والسنن الكبرى للبيهقي في كتاب صلاة الاستقساء، باب استحباب الخروج بالضعفاء والصبيان والعبيد والعجائز (٣/ ٤٨٠) ح (٦٣٨٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١/ ٤٧٠) ح (٢٣٨٨)، وأورده شعيب الأرناؤوط في هامش تعليقه على صحيح ابن حبان (١١/ ٨٦) ح (٤٧٦٨) وقال: "وهذا إسناد صحيح"، وأصل الحديث في صحيح البخاري بلفظ (٤/ ٣٧) ح (٢٨٩٦) «هَلْ تُنْصَرُونَ وَتُرْزَقُونَ إِلَّا بِضُعَفَائِكُمْ؟!».

(٢) أخرجه أحمد (٢٨/ ١٥٤-١٥٥) ح (١٦٩٥٧)، والحاكم في المستدرك في كتاب الفتن والملاحم (٤/ ٤٧٧) ح (٨٣٢٦) وصححه ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد في المغازي والسير، باب

=

وعَنْ ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»(١).



تبليغ النبي ﷺ ما أرسل به وصبره على ذلك (٦/ ١٤) ح (٩٨٠٧): "رواه أحمد، والطبراني، ورجال أحمد رجال الصحيح"، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٢٨/ ١٥٥) ح (١٦٩٥٧): "إسناده صحيح على شرط مسلم".

(١) أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب قوله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم» (٣/ ١٥٢٣) ح (١٩٢٠).

الباب الرابع:
من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب
على نفسه وعلى دعوته

الفصل الأول: من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب على نفسه.

الفصل الثاني: من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب على دعوته.

الفصل الأول:
من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب على نفسه

المبحث الأول: التعلق بمطامع الدنيا والتنازل عن الأصول من أجلها.
المبحث الثاني: قسوة القلب وتسلط الشيطان.
المبحث الثالث: اتباع الهوى، والوقوع في فتنة الشبهات والشهوات.
المبحث الرابع: التطلع إلى الرياسة للمكاسب الدنيوية.
المبحث الخامس: الركون إلى الكفار والظلمة.
المبحث السادس: الهزيمة النفسية.
المبحث السابع: لبس الحق بالباطل وكتمانه.
المبحث الثامن: العُجْب، والرياء والسمعة، والكبر.
المبحث التاسع: الاستعجال.
المبحث العاشر: الضيق والتبرم من النصيحة، وعدم حب الناصحين.
المبحث الحادي عشر: تتبع العثرات، وتصيد الهفوات، والفرح بزلات الآخرين.
المبحث الثاني عشر: البخل والشح والعجز والكسل والجبن والهم والحزن.
المبحث الثالث عشر: الخذلان وقلة التوفيق.
المبحث الرابع عشر: الغفلة عن الآخرة
الخامس عشر: الخسارة في الآخرة.

الفصل الأول:
الآثار المترتبة على إهمال الداعية لأعمال القلوب على نفسه

توطئة:

إذا أهمل الداعية تحقيق أعمال القلوب، ولم يجاهد نفسه على إصلاح قلبه، ولم يحاسب نفسه، ويتفقد ما فيها من آفات، ويسعى إلى بذل أسباب علاجها، فحينئذ تتمكن من قلبه الأمراض، وتتجذر الآفات في داخله، وتظهر عليه آثارها عليه في نفسه، ومن ثَمَّ يمتد أثرها إلى دعوته، فيصبح فتنة لكل مفتون، وداعية سوء يجر على أمته ألوانًا من الانحراف، ويسخره أعداء الإسلام لحرب الدين وأهله، ويمكنهم من امتطاء ظهره وهو لا يشعر، فيكون كما قال الله تعالى: ﴿

﴾ [الجمعة: ٥].

وكما قال تعالى أيضًا: ﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

وقال تعالى في بيان أثر الوقوع في أمراض القلوب على من تلبس بذلك: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ [آل عمران: ٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

والآيات في ذلك كثيرة.

ودونك شيئًا من آثار إهمال الداعية لعمل القلب على نفسه، أسوقها أولًا على سبيل الإجمال، وفق المباحث الآتية:

المبحث الأول: التعلق بمطامع الدنيا والتنازل عن الأصول من أجلها.

المبحث الثاني: قسوة القلب وتسلط الشيطان.

المبحث الثالث: اتباع الهوى، والوقوع في فتنة الشبهات والشهوات.

المبحث الرابع: التطلع إلى الرياسة للمكاسب الدنيوية.

المبحث الخامس: الركون إلى الكفار والظلمة.

المبحث السادس: الهزيمة النفسية.

المبحث السابع: لبس الحق بالباطل وكتمانه.

المبحث الثامن: العُجْب، والرياء والسمعة، والكبر.

المبحث التاسع: الاستعجال.

المبحث العاشر: الضيق والتبرم من النصيحة، وعدم حب الناصحين.

المبحث الحادي عشر: تتبع العثرات، وتصيد الهفوات، والفرح بزلات الآخرين.

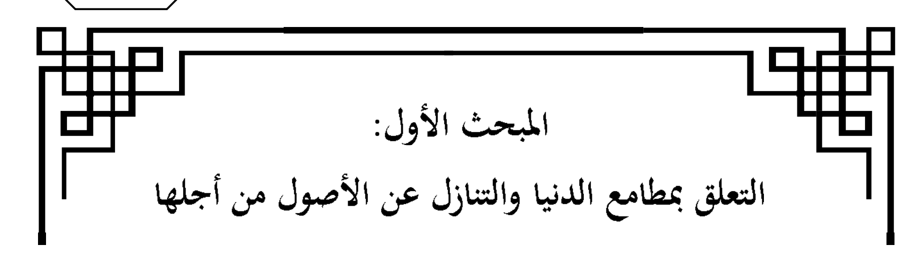
المبحث الثاني عشر: البخل والشح والعجز والكسل والجبن والهم والحزن.

المبحث الثالث عشر: الخذلان وقلة التوفيق.

المبحث الرابع عشر: الغفلة عن الآخرة

الخامس عشر: الخسارة في الآخرة.

ودونك تفصيل هذه الآثار:



المبحث الأول:
التعلق بمطامع الدنيا والتنازل عن الأصول من أجلها

سبق الكلام عن الحياة الدنيا بتفصيل[(١)]، وأضيف إليه هنا فأقول: لقد حذر النبي ﷺ أمته من خطر التعلق بالدنيا والمنافسة عليها، وبين ﷺ أثر التنافس على الدنيا، وأن نتيجته الهلاك في أودية الدنيا وشعابها، والإلهاء عما خلقوا له، فعن عمرو بن عوف الأنصاري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «فَوَاللهِ، مَا الْفَقْرَ أَخْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُبْسَطَ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكَكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ»[(٢)]، وفي رواية للبخاري: «وَتُلْهِيَكُمْ كَمَا أَلْهَتْهُم»[(٣)].

وعلى الداعية أن ينقذ الناس من فتنة الدنيا بقوله وفعله، وأن يكون قدوة حسنة في تخففه منها، فأما إذا كان من المتعلقين بمطامع الدنيا وزهرتها والمنافسين فيها، فقد يبتلى بزيغ القلب، ويصير فتنة لكل مفتون، وهذا لا يحصل إلا إذا حصل الخلل في الأعمال القلبية، وذلك حين امتلأ القلب بحب الدنيا، فغفل عن الآخرة.

وعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رضي الله عنه قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ نَذْكُرُ الْفَقْرَ وَنَتَخَوَّفُهُ، فَقَالَ: «آلْفَقْرَ تَخَافُونَ؟! وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَتُصَبَّنَّ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا صَبًّا، حَتَّى لَا يُزِيغَ قَلْب أَحَدِكُمْ إِزَاغَةً إِلَّا هِيهْ، وَايْمُ اللَّهِ، لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا وَنَهَارُهَا سَوَاءٌ»[(٤)].

---

(١) ينظر: ص (٣٩٤).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المغازي، باب.. (٥/ ٨٤) ح (٤٠١٥)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، ولم يذكر له بابًا (٤/ ٢٢٧٣) ح (٢٩٦١).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا والتنافس فيها (٨/ ٩٠) ح (٦٤٢٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب اتباع سنة الرسول ﷺ (١/ ٤) ح

=

وعلى ذلك فإذا تعلق قلب الداعية بالدنيا ومطامعها، ونافس عليها أهلها، ألهته وأشغلته عن دعوته، وزاغ قلبه بسببها، وأدى ذلك إلى تنازله عن بعض دينه من أجل الحصول عليها، ووقع في البغي على إخوانه الدعاة، وصار يفري[(١)] في أعراضهم، ويسعى في الإيقاع بهم، وتشويه سمعتهم؛ ليتقرب إلى من يجد عندهم الدنيا، فعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «سَيُصِيبُ أُمَّتِي دَاءُ الْأُمَمِ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا دَاءُ الْأُمَمِ؟ قَالَ: «الْأَشَرُ وَالْبَطَرُ[(٢)]، وَالتَّكَاثُرُ وَالتَّنَاجُشُ[(٣)] فِي الدُّنْيَا، وَالتَّبَاغُضُ وَالتَّحَاسُدُ حَتَّى يَكُونَ الْبَغْيُ»[(٤)].

وفي الحديث -والله أعلم- إشارة إلى ارتباط هذه الآفات بالتنافس على الدنيا الذي يؤدي إلى البغي وظلم الآخرين من أجل الحصول على لُعَاعَةٍ من هذه الدنيا، فيبغي على إخوانه ويظلمهم؛ لأجل الحصول على حطام الدنيا، ويتنازل عن أصول دينه؛ ليظهر في أعين من يتقرب إليهم من أجل دنياهم بمظهر القريب منهم وهو يحقق

=(٥)، وحسنه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٠٢) ح (٦٨٨)، وحسنه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (١/ ٥) ح (٥).

(١) أي: يقول فيهم الشيء العظيم من البهتان والافتراء.
ينظر: الصحاح (٦/ ٢٤٥٤) مادة (فرا).

(٢) الأشر والبطر بمعنى متقارب: الطغيان عند النعمة، وكفر النعم وعدم شكرها، وشدة الفرح والمرح مع الكبر.
ينظر: الصحاح (٢/ ٥٧٩)، لسان العرب (٤/ ٦٩)، معجم اللغة العربية المعاصرة (١/ ٢١٦) مادة (أشر، بطر).

(٣) التناجش مأخوذ من نجش، فيقال: نجشت الصيد أي استثرته، والأصل فيه تنفير الوحش من مكان إلى مكان. وهو في البيع والشراء: أن يزيد في ثمن السلعة ولا يريد شراءها، ولكن ليغرر بغيره ويزيد في سعرها.
ينظر: الصحاح (٣/ ١٠٢١)، النهاية في غريب الحديث والأثر (٥/ ٢١)، معجم لغة الفقهاء (٤٧٥) مادة (نجش).

(٤) أخرجه الحاكم في مستدركه وصححه (٤/ ١٨٥) ح (٧٣١١) ووافقه الذهبي، وقال العراقي في تخريج الإحياء (١٠٨٦): "إسناده جيد"، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٢٩٠) ح (٦٨٠).

لأعداء الدين ما يصبون إليه من تشويه للدين بحجة اليسر ومسايرة العصر، فيكون فتنة لكل مفتون.

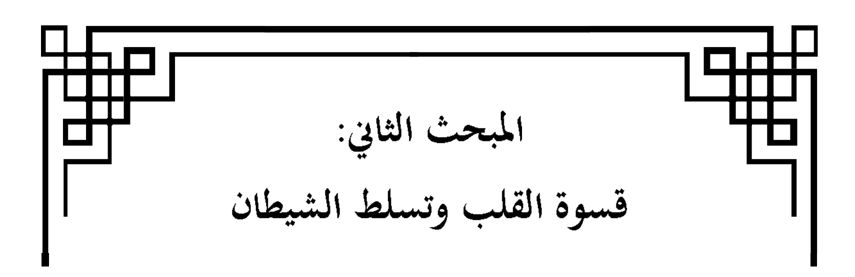
ودونك أمثلة على تنازل بعض الدعاة عن أصول دينه من أجل الدنيا:

١- كتمان الحق ولبسه بالباطل، وسيأتي مزيد بيان لذلك.

٢- المداهنة للمبطلين، والمجادلة عنهم، وتبرير أفعالهم المخالفة للشرع.

٣- القول على الله بغير الحق؛ لأجل إرضاء أهل الدنيا؛ ليحصل على شيء مما في أيديهم منها.

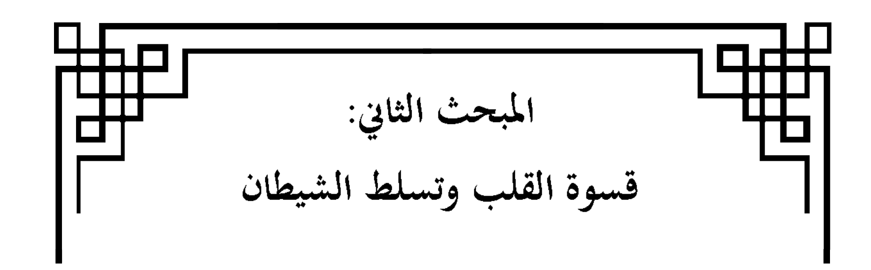




المبحث الثاني:
قسوة القلب وتسلط الشيطان

المطلب الأول: قسوة القلب.

المطلب الثاني: تسلط الشيطان.



المبحث الثاني: قسوة القلب وتسلط الشيطان

توطئة:

ومن آثار ضعف تحقيق عمل القلب على الداعية، وبالأخص حين يتعلق قلبه بالدنيا، فيفتن بها، ويغفل عن آخرته: قسوة قلبه، فإن الله تعالى يعاقبه بقسوة القلب وتسلط الشيطان.

ودونك تفصيل هذا الأمر في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: قسوة القلب:

القسوة في اللغة: الصلابة في كل شيء، والقسوة: غلظ القلب وشدته، يقال: الذنب مقساة للقلب، وحجر قاسٍ: صلب، وقسا القلب إذا ذهب منه اللين والرحمة والخشوع(١).

ومعنى قسوة القلب: غلظه وشدته، وذهاب معاني اللين والرحمة والخشوع منه، وخلوه من الإنابة والإذعان لآيات الله، ولا يتأثر بالمواعظ(٢).

وقد ذم الله قسوة القلب فقال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢].

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٩/ ١٧٩)، الصحاح (٦/ ٢٤٦٢)، لسان العرب (١٥/ ١٨٠-١٨١) مادة (قسا).

(٢) ينظر: المفردات (٦٧١)، لسان العرب (١٥/ ١٨١)، فتح القدير (١/ ١١٨)، تفسير السعدي (٥٥).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [الحديد: ١٦].

وفي الآيات بيان أن القلوب تصيبها القساوة العظيمة بسبب الغفلة وتتابع الذنوب على القلب.

قال مالك بن دينار رحمه الله: "إن لله عقوبات في القلوب والأبدان: ضنك في المعيشة، ووهن في العبادة، وما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب"(١).

وأما أسباب قسوة القلب فكثيرة، فمنها(٢):

١- نقض العهد مع الله تعالى، قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

قال ابن كثير رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "أخبر تعالى عما أحل بهم من العقوبة عند مخالفتهم ميثاقه ونقضهم عهده، فقال: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ﴾ أي: فبسبب نقضهم الميثاق الذي أخذ عليهم لعناهم، أي: أبعدناهم عن الحق وطردناهم عن الهدى، ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً﴾ أي: فلا يتعظون بموعظة

---

(١) حلية الأولياء (٦/ ٢٨٧).

(٢) ينظر: ذم قسوة القلب (٥٨-٦٨)، مدارج السالكين (١/ ٤٥١-٤٥٧).

لغلظها وقساوتها"[١].

وقال السعدي رحمه الله في بيان معنى قسوة قلوبهم: "قوله: ﴿وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ أي: غليظة لا تجدي فيها المواعظ، ولا تنفعها الآيات والنذر، فلا يرغّبهم تشويق، ولا يزعجهم تخويف، وهذا من أعظم العقوبات على العبد، أن يكون قلبه بهذه الصفة التي لا يفيده الهدى والخير إلا شرًّا"[٢].

٢- **تعلق القلب بغير الله**، فإذا تعلق القلب بغير الله أصابه من الخذلان وقلة التوفيق بقدر ذلك التعلق، ووكله الله إلى نفسه، وضربه بالقسوة عقوبة له.

قال ابن القيم رحمه الله: "ومن وكل إلى شيء غير الله فقد فتح له باب الهلاك والعطب، وأغلق عنه باب الفوز والسعادة"[٣].

٣- **كثرة الضحك**، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ»[٤].

ومن أعظم العلامات الدالة على موت القلب قسوته العظيمة.

٤- **كثرة تتابع الذنوب على القلب، مع الإصرار على الذنب وعدم الاستغفار والتوبة**، قال تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

وقد فسر النبي ﷺ الران بتتابع الذنوب على القلب، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٦٦).

(٢) تفسير السعدي (٢٢٥).

(٣) طريق الهجرتين (١٢).

(٤) أخرجه مطولًا أحمد (١٣/ ٤٥٨) ح (٨٠٩٥)، والترمذي في أبواب الزهد، باب من اتقى المحارم فهو أعبد الناس (٤/ ٥٥١) ح (٢٣٠٥) وقال: "وهذا حديث غريب".

وأخرجه بهذا اللفظ البخاري في الأدب المفرد، باب الضحك (٢٣٣-٢٣٤) ح (٢٥٣)، وكذلك ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الحزن والبكاء (٢/ ١٤٠٣) ح (٤١٩٣)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٣٢) ح (٥٠٦)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تعليقه على سنن ابن ماجه (٥/ ٢٨٥) ح (٤١٩٣).

ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ زَادَ زَادَتْ، حَتَّى يَعْلُوَ قَلْبَهُ ذَاكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الْقُرْآنِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]».

وذكر ابن جرير رحمه الله عن الحسن رحمه الله في قوله: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] قال: "الذنب على الذنب حتى يعمى القلب، فيموت"(١).

٥- **كثرة الأكل لا سيما أكل الحرام والمشتبهات**، أما أكل الحرام فأثره على قسوة القلب كبير، فهو من أسبابها، وضرره عليه واضح بين، ويليه في الضرر أكل المشتبهات، وقد جاء في حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ذكر الحلال البين، والحرام البين، والمشتبه، ثم عقب ﷺ بذكر أن الجسد في صلاحه وفساده مرتبط بالقلب، وفي ذلك إشارة إلى أن فساد القلب وقسوته مرتبط بالحرام البين، ويليه في الضرر أكل المشتبه والله أعلم، فقال ﷺ: «الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، فَمَنِ اتَّقَى المُشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ كَرَاعٍ يَرْعَى حَوْلَ الحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلاَ وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلاَ إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلاَ وَإِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلاَ وَهِيَ القَلْبُ».

وكثرة الأكل والإفراط في الشبع دائمًا -حتى من المباحات- يدخل في الإسراف الذي قال الله تعالى عنه: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأعراف: ٣١].

وعَنْ مِقْدَامِ بْنِ مَعْدِي كَرِبَ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ

(١) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٠١).

لِطَعَامِهِ، وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ، وَثُلُثٌ لِنَفَسِهِ»[(١)].

وقال بشر الحافي رحمه الله: "خصلتان تقسيان القلب كثرة الكلام، وكثرة الأكل"[(٢)].

ولقسوة القلب آثار على الداعية، منها:

١- لا ينتفع بمواعظ القرآن، ولا يتأثر بها، ويحرم من تدبره، كما قال تعالى عن أصحاب القلوب المريضة التي ضربت بالقسوة، فحيل بينها وبين تدبر القرآن: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمد: ٢٤].

٢- نفور الناس منه وانفضاضهم من حوله؛ لأن قسوة القلب وفظاظته من الأسباب العظيمة لنفور الناس من الداعية، قال تعالى عن رسوله ﷺ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهذه الآية تدل على منة الله على رسوله ﷺ بأن رزقه الله اللين والرحمة، فلو كان فظًّا غليظ القلب لانفض عنه الناس، وتركوا دعوته، وهو مرسل من الله، فكيف بمن عداه؟!

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٨/ ٤٢٢-٤٢٣) ح (١٧١٨٦)، والترمذي في أبواب الزهد، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل (٤/ ٥٩٠) ح (٢٣٨٠) واللفظ له وقال: "حسن صحيح"، وابن ماجه في كتاب الأطعمة، باب الاقتصاد في الأكل وكراهية الشبع (٢/ ١١١١) ح (٣٣٤٩)، وابن حبان في صحيحه في باب الفقر والزهد والقناعة، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من ترك الفضول في قوته.. (٢/ ٤٤٩) ح (٦٧٤)، والحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق (٤/ ٣٦٧) ح (٧٩٤٥) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه ابن حجر في الفتح (٩/ ٥٢٨)، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٥/ ٣٣٦) ح (٢٢٦٥)، وصححه بمجموع طرقه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٤/ ٤٤٨) ح (٣٣٤٩).

(٢) حلية الأولياء (٨/ ٣٥٠).

٣- ضعف تأثيره في الناس، فمواعظه لا تصل إلى القلوب، وتزل عنها كما يزل القطر عن الصفا.

٤- تسلط الشيطان عليه، وهذا سيأتي تفصيله في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: تسلط الشيطان:

ومن مداخل الشيطان التي يتسلط من خلالها على العبد: ضعفه في تحقيق عمل القلب، فضعف الإخلاص مثلًا عند الداعية يفتح الباب لتسلط الشيطان عليه؛ لأن المخلص لا يقدر عليه الشيطان كما أخبر الله عنه، فقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٣٩ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [الحجر: ٣٩، ٤٠]، قال الشوكاني رحمه الله: "﴿إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ قرأ أهل المدينة وأهل الكوفة بفتح اللام[1]، أي: الذين استخلصتهم من العباد. وقرأ الباقون بكسر اللام[2]، أي: الذين أخلصوا لك العبادة فلم يقصدوا بها غيرك"[3].

وإذا ضعف الإخلاص تسلط عليه الشيطان، وأضعف همته عن الدعوة، بل قد يتولى ويفر من ميدانها، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ وَلَقَدْ عَفَا ٱللَّهُ عَنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٥٥]، قال السعدي رحمه الله في تفسيره للآية: "يخبر تعالى عن حال الذين انهزموا يوم أحد وما الذي أوجب لهم

---

(١) ﴿ٱلْمُخْلَصِينَ﴾.

(٢) ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾.

(٣) فتح القدير (٣/ ١٥٨).

الفرار، وأنه من تسويل الشيطان، وأنه تسلط عليهم ببعض ذنوبهم، فهم الذين أدخلوه على أنفسهم، ومكنوه بما فعلوا من المعاصي؛ لأنها مركبه ومدخله، فلو اعتصموا بطاعة ربهم لما كان له عليهم من سلطان، قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الحجر: ٤٢].

ثم أخبر أنه عفا عنهم بعدما فعلوا ما يوجب المؤاخذة، وإلا فلو واخذهم لاستأصلهم، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ﴾ للمذنبين الخطائين بما يوفقهم له من التوبة والاستغفار، والمصائب المكفرة، ﴿حَلِيمٌ﴾ لا يعاجل من عصاه، بل يستأني به، ويدعوه إلى الإنابة إليه، والإقبال عليه.

ثم إن تاب وأناب قبل منه، وصيره كأنه لم يجر منه ذنب، ولم يصدر منه عيب، فلله الحمد على إحسانه"[١].

وعلى هذا فقد يتولى الداعية عن دعوته بسبب خطيئته، التي يستثمرها الشيطان في تخويفه بأتباعه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، أي: يخوفكم الشيطان بأوليائه بأنهم أصحاب بأس وشدة[٢]، قال ابن القيم رحمه الله: "المعنى عند جميع المفسرين: يخوفكم بأوليائه، قال قتادة: يعظمهم في صدوركم[٣]، ولهذا قال: ﴿فَلَا

---

(١) تفسير السعدي (١٥٣).

(٢) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٣).

(٣) لم أجده عن قتادة عند غير ابن القيم.

وقد ورد في تفسير البغوي قريب من هذا؛ لكن نقله عن السدي فقال رحمه الله في تفسيره (٢/ ١٣٩): "﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ﴾ أي: يخوفكم بأوليائه، وكذلك هو في قراءة أبي بن كعب يعني: يخوف المؤمنين بالكافرين قال السدي: يعظم أولياءه في صدورهم ليخافوهم، يدل عليه قراءة عبد الله بن مسعود: =

﴿تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾، فكلما قوى إيمان العبد زال من قلبه خوف أولياء الشيطان، وكلما ضعف إيمان العبد قوى خوفه منهم"[1]، فإذا تسلط الشيطان على الداعية، وقع مفعول هذا التخويف في قلبه، فضعفت همته، وربما أدى به تخويف الشيطان من أوليائه إلى التولي والانزواء عن ميدان الدعوة، والركض في ميادين الدنيا والانشغال بها.

من أسباب تسلط الشيطان:

١- **عدم الاعتصام بالكتاب والسنة، مما يؤدي بالعبد إلى الوقوع في سبل الشيطان، فيتسلط عليه**، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

وقد فسر النبي ﷺ هذه الآية فعَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: خَطَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ خَطًّا بِيَدِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللهِ مُسْتَقِيمًا»، قَالَ: ثُمَّ خَطَّ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ، ثُمَّ قَالَ: «هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ يَدْعُو إِلَيْهِ»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَأَنَّ

= (يخوفكم أولياءه)".

ونقل ابن أبي حاتم (٣/ ٨٢٠) في تفسيره: "عن أبي مالك قوله: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ [آل عمران: ١٧٥] قال: يعظّم أولياءه في أعينكم".

(١) إغاثة اللهفان (١/ ١١٠)، وقول الإمام ابن القيم رحمه الله أن جميع المفسرين على هذا القول فيه نظر والله أعلم؛ لأن هناك قولًا ثانيًا في تفسير الآية قال به أيضًا الحسن والسدي، كما نقله عنهما القرطبي في تفسيره (٤/ ٢٨٢): "والمعنى يخوف أولياءه المنافقين، ليقعدوا عن قتال المشركين، فأما أولياء الله فإنهم لا يخافونه إذا خوفهم".

وقال الشنقيطي رحمه الله في أضواء البيان (٦/ ٣٦٤): "والأظهر أن قوله: ﴿يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ حذف فيه المفعول الأول، أي: يخوفكم أولياءه، بدليل قوله بعده: ﴿فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ﴾ الآية".

هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣](١).

٢- **الذنوب**، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا۟﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وفي الآية دليل على أن الشيطان يتسلط على العبد، فيوقعه في المنكر؛ لأنه وجد مدخلًا عليه بسبب ذنوبه، فالذنوب الباب الذي يدخل منه الشيطان إلى النفوس، فيستزلها ويوقعها فيما يبعدها عن الله.

٣- **ضعف الإيمان والتوكل**، قال تعالى عن الشيطان: ﴿إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [النحل: ٩٩].

ويتسلط الشيطان على العبد إذا ضعف إيمانه وتوكله على الله، فإذا قوي إيمان الداعية وصدق في توكله على الله حماه الله من كيد الشيطان، ولا يتمكن أعوان الشيطان من التأثير عليه، وصرفه عن دعوته.

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٧/ ٤٣٦) ح (٤٤٣٧)، وابن حبان في صحيحه باب الاعتصام بالسنة.. ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم سنن المصطفى ﷺ.. (١/ ١٨٠) ح (٦)، والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير (٢/ ٢٦١) ح (٢٩٣٨) وصححه ووافقه الذهبي، وقال في مجمع الزوائد في كتاب التفسير، قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ﴾ [الأنعام: ١٥٣] (٧/ ٢٢) ح (١١٠٠٥): "رواه أحمد والبزار، وفيه عاصم بن بهدلة، وهو ثقة، وفيه ضعف"، وحسنه الألباني في مشكاة المصابيح (١/ ٥٨) ح (١٦٦)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٧/ ٤٣٦) ح (٤٤٣٧): "إسناده حسن من أجل عاصم، وهو ابن أبي النجود، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين غير أبي بكر -وهو ابن عياش- فمن رجال البخاري، وأخرج له مسلم في المقدمة".

٤- **تعلق القلب بالدنيا، والافتتان بشهواتها المحرمة، من المال والنساء**، قال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥، ٦].

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ».

والافتتان بالدنيا مدخل لتسلط الشيطان بسبب تعلق القلب بها، فإذا فتن الداعية بالدنيا، وصارت أكبر همه ومبلغ علمه، تمكن الشيطان من استغلال هذا الضعف فيه؛ ليغره ويخدعه ويصرفه عن دعوته بشتى الصوارف.

٥- **الغفلة عن ذكر الله**؛ لأن مما يحصن العبد من تسلط الشيطان عليه ذكره لله تعالى، ويدل على ذلك قوله ﷺ: «وَآمُرُكُمْ أَنْ تَذْكُرُوا اللهَ؛ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ خَرَجَ العَدُوُّ فِي أَثَرِهِ سِرَاعًا، حَتَّى إِذَا أَتَى عَلَى حِصْنٍ حَصِينٍ فَأَحْرَزَ نَفْسَهُ مِنْهُمْ، كَذَلِكَ العَبْدُ لَا يُحْرِزُ نَفْسَهُ مِنَ الشَّيْطَانِ إِلَّا بِذِكْرِ اللَّهِ».

قال تعالى: ﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٩].

ومعنى ﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾ أي: غلب واستولى على قلوبهم حتى أنساهم ذكر الله تعالى(١).

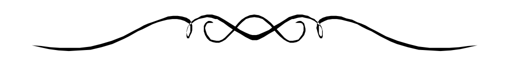
---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٨/ ٦٢)، تفسير ابن كثير (٨/ ٥٣).

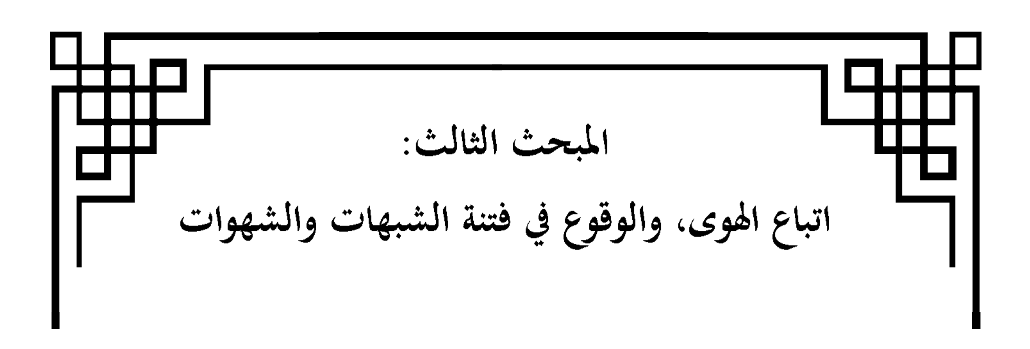
٦- **ومن أسباب تسلط الشيطان ترك صلاة الجماعة، والبعد عن جماعة المسلمين**، فعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَا مِنْ ثَلَاثَةٍ فِي قَرْيَةٍ وَلَا بَدْوٍ لَا تُقَامُ فِيهِمُ الصَّلَاةُ إِلَّا قَدِ اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ، فَعَلَيْكَ بِالْجَمَاعَةِ؛ فَإِنَّمَا يَأْكُلُ الذِّئْبُ الْقَاصِيَةَ»، قَالَ زَائِدَةُ: قَالَ السَّائِبُ: يَعْنِي بِالْجَمَاعَةِ: الصَّلَاةَ فِي الْجَمَاعَةِ[1].

وقال ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالجَمَاعَةِ، وَإِيَّاكُمْ وَالفُرْقَةَ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الوَاحِدِ وَهُوَ مِنَ الِاثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الجَنَّةِ فَلْيَلْزَمُ الجَمَاعَةَ» الحديث.

وتفرد الداعية عن إخوانه الدعاة واستبداده بالرأي، وعدم التشاور مع إخوانه يفتح للشيطان عليه بابًا، فيتسلط عليه، ويوقعه فيما يضر بدعوته.



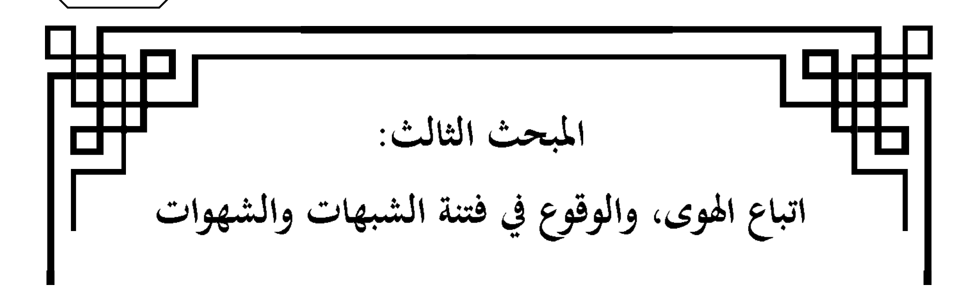
(١) أخرجه أحمد (٣٦/ ٤٢) ح (٢١٧١٠)، وأبو داود واللفظ له في كتاب الصلاة، باب في التشديد في ترك الجماعة (١/ ١٥٠) ح (٥٤٧)، والنسائي في كتاب الإمامة، باب التشديد في ترك الجماعة (٢/ ١٠٦) ح (٨٤٧)، وابن حبان في صحيحه باب فرض الجماعة والأعذار التي تبيح تركها، ذكر استحواذ الشيطان على الثلاثة إذا كانوا في بدو أو قرية ولم يجمعوا الصلاة (٥/ ٤٥٧) ح (٢١٠١)، والحاكم في المستدرك في كتاب التفسير (٢/ ٥٢٤) ح (٣٧٩٦) وصححه ووافقه الذهبي، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٩٤) (٥٧٠١) وقال في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣٠١) ح (٤٢٧): "حسن صحيح"، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٣٦/ ٤٢) ح (٢١٧١٠).



المبحث الثالث:
اتباع الهوى، والوقوع في فتنة الشبهات والشهوات

المطلب الأول: اتباع الهوى.

المطلب الثاني: الوقوع في فتنة الشبهات والشهوات.



المبحث الثالث: اتباع الهوى، والوقوع في فتنة الشبهات والشهوات

توطئة:

إذا تعلق القلب بالدنيا أصابته القسوة وفتن بها، وتسلط عليه الشيطان، وتمكَّن منه الهوى فصار متبعًا له بعيدًا عن الهدى، فوقع صريعًا أمام فتن الشهوات والشبهات، وسيكون الحديث عن هذا المبحث في المطلبين الآتيين:

المطلب الأول: اتباع الهوى.

المطلب الثاني: الوقوع في فتنة الشبهات والشهوات.

المطلب الأول: اتباع الهوى:

ومن آثار الخلل في عمل القلب حصول الزيغ فيه، وذلك بعدوله عن اتباع الحق مع علمه به، فيعاقبه الله بأن يزيغ القلب عن الهدى، فيميل عن اتباع الحق إلى اتباع الهوى، فيصير داعية ضلال بسبب ما في قلبه من مرض اتباع الأهواء، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡۚ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ﴾ [الصف: ٥].

وذكر ابن جرير رحمه الله عن أبي أمامة ﷺ قال: "هم الخوارج"(١).

وينطبق على هؤلاء قول الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ﴾ [فاطر: ٨].

ونقل البغوي رحمه الله عن سعيد بن جبير رحمه الله قوله: "نزلت في أصحاب الأهواء والبدع"، وذكر أيضًا عن قتادة رحمه الله أنه قال: "منهم الخوارج الذين

---

(١) تفسير الطبري (٢٢/ ٦١٢).

يستحلون دماء المسلمين وأموالهم، فأما أهل الكبائر فليسوا منهم؛ لأنهم لا يستحلون الكبائر"[(١)].

وقال ابن كثير رحمه الله: "وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾ أي: فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به، أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وأسكنها الشك والحيرة والخذلان، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقال: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ [النساء: ١١٥]"[(٢)].

ويقول السعدي رحمه الله عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ﴾: "وهذه الآية الكريمة تفيد أن إضلال الله لعباده ليس ظلمًا منه، ولا حجة لهم عليه، وإنما ذلك بسبب منهم، فإنهم الذين أغلقوا على أنفسهم باب الهدى بعدما عرفوه، فيجازيهم بعد ذلك بالإضلال والزيغ الذي لا حيلة لهم في دفعه، وتقليب القلوب عقوبة لهم وعدلًا منه بهم، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفۡـِٔدَتَهُمۡ وَأَبۡصَٰرَهُمۡ كَمَا لَمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَنَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]"[(٣)].

إن خطر اتباع الهوى في كونه يؤدي بصاحبه لاتخاذه إلهًا يعبده، فيصرفه كيف يشاء، ويظن أنه على الهدى وهو يعبد الهوى، وزين له الشيطان ذلك، كما قال

(١) تفسير البغوي (٦/ ٤١٣).
(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ١٠٩).
(٣) تفسير السعدي (٨٥٨).

تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ﴾ [فاطر: ٨]، وقال تعالى في بيان ذلك: ﴿ ﴾ [الجاثية: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

وخطورة اتباع الأهواء تكمن في أن من يقع فيها يسير في طريق الضلالة، وهو يظن أنه على الحق؛ لأن الهوى يعميه عن الحق، ويصم أذنه عن سماعه.

ومن آثار اتباع الهوى على الداعية:

١- قلة التوفيق وحصول الخذلان.

٢- كثرة الشكوك والحيرة.

٣- نفوره من الناصحين، وقربه من المادحين.

٤- تعصبه لقوله وفعله، فلا يقبل أن يستشير، ولا يوفق لأن يستخير.

٥- يتسلط عليه أعداء الدين، فيستغلونه في تشويه الدين، وسمعة أهل المنهج الحق؛ لأنهم يحققون له ما يحبه من المدح والثناء، وإبرازه على أنه الداعية المستنير.

٦- يتعصب لحزبه ويقدم أقوال الرجال على قول الله وقول رسوله ﷺ.

٧- يكشف الله أمره للناس، فينفر منه أهل الخير، ويكون فتنة لكل مفتون.

٨- يقوده هواه إلى الانغماس في الفتن، وسيأتي تفصيله في المطلب الثاني.

المطلب الثاني: الوقوع في فتنة الشبهات والشهوات:

معنى الشهوات والشبهات:

١- **الشهوات:** جمع شهوة وهي في اللغة والاصطلاح بمعنى واحد: نزوع النفس إلى ما تريده، فتحبه وترغب فيه بشدة، كشهوة الطعام والمال،

وشهوة الرجل للمرأة والعكس، ونحو ذلك[1].

٢- **الشبهات**: جمع شبهة، ولها في اللغة معان منها: التماثل والالتباس، والأمور المشتبهات المشْكِلات[2].

والشبهة في الاصطلاح: ما التبس أمره بين الحلال والحرام، والحق والباطل[3].

ومن آثار الخلل في عمل القلب بعد اتباعه للهوى: سقوط صاحبه في براثن[4] فتن الشبهات والشهوات.

أولاً: فتنة الشبهات:

وفتنة الشبهات من أخطر الفتن على القلوب، والمتبع لهواه يسقط في هذه الفتنة لأسباب، منها:

١- بسبب اتباع المتشابه، وذلك ناتج عن زيغ القلب الذي يجعله يبحث عن المتشابه ليوظفه لصالحه في نشر الفتنة التي وقع فيها وزينها له الشيطان، وقد بين الله في كتابه أن القرآن منه محكم وهو أكثره، ومنه متشابه، فتجد أهل الهوى الذين زاغت قلوبهم بسبب ضلالهم يتبعون هذا المتشابه ويتركون المحكم، فقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾ الآية [آل عمران: ٧].

قال السعدي رحمه الله: "وأن هذا الكتاب يحتوي على المحكم الواضح المعاني

---

(١) ينظر: المفردات (٤٦٨)، لسان العرب (١٤/ ٤٤٥)، المعجم الوسيط (١/ ٤٩٨) مادة (شها).

(٢) ينظر: الصحاح (٦/ ٢٢٣٦)، لسان العرب (١٣/ ٥٠٣)، المعجم الوسيط (١/ ٤٧١) مادة (شبه).

(٣) ينظر: شرح النووي على مسلم (١١/٢٧)، جامع العلوم والحكم (١/١٩٩)، المعجم الوسيط (١/٤٧١).

(٤) هي: مخلب السبع أو الطير الجارح.

ينظر: الصحاح (٥/ ٢٠٧٨)، لسان العرب (١٣/ ٥٠)، المعجم الوسيط (١/ ٤٦) مادة (برثن).

البين الذي لا يشتبه بغيره، ومنه آيات متشابهات، تحتمل بعض المعاني، ولا يتعين منها واحد من الاحتمالين بمجردها، حتى تضم إلى المحكم.

فالذين في قلوبهم مرض وزيغ وانحراف -لسوء قصدهم- يتبعون المتشابه منه، فيستدلون به على مقالاتهم الباطلة وآرائهم الزائفة، طلبًا للفتنة، وتحريفًا لكتابه، وتأويلًا له على مشاربهم ومذاهبهم لِيَضِلوا ويُضِلوا"[١]. ثم أتم كلامه بعد ذلك في تفسير تكملة الآية والتي تليها عند قوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٧ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [آل عمران: ٧، ٨]، فقال رحمه الله[٢]: "وأما أهل العلم الراسخون فيه، الذين وصل العلم واليقين إلى أفئدتهم، فأثمر لهم العمل والمعارف، فيعلمون أن القرآن كله من عند الله، وأن كله حق، محكمه ومتشابهه، وأن الحق لا يتناقض ولا يختلف.

فلعلمهم أن المحكمات معناها في غاية الصراحة والبيان، يردون إليها المشتبه، الذي تحصل فيه الحيرة لناقص العلم وناقص المعرفة، فيردون المتشابه إلى المحكم، فيعود كله محكمًا، ويقولون: ﴿ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ﴾ للأمور النافعة، والعلوم الصائبة، ﴿إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ أي: أهل العقول الرزينة، ففي هذا دليل على أن هذا من علامة أولي الألباب، وأن اتباع المتشابه من أوصاف أهل الآراء السقيمة والعقول الواهية والقصود السيئة.

وقوله: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ إن أريد بالتأويل معرفة عاقبة الأمور، وما تنتهي وتؤول إليه، تعين الوقوف على ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾ حيث هو تعالى المتفرد بالتأويل

---

(١) تفسير السعدي (٩٦٢).

(٢) أي: السعدي.

بهذا المعنى، وإن أريد بالتأويل معنى التفسير ومعرفة معنى الكلام كان العطف أولى، فيكون هذا مدحًا للراسخين في العلم أنهم يعلمون كيف ينزلون نصوص الكتاب والسنة، محكمها ومتشابهها، ولما كان المقام مقام انقسام إلى منحرفين ومستقيمين، دعوا الله تعالى أن يثبتهم على الإيمان، فقالوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا﴾ أي: لا تملها عن الحق إلى الباطل، ﴿بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً﴾ تصلح بها أحوالنا ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ أي: كثير الفضل والهبات، وذلك أن الله تعالى ذكر عن الراسخين أنهم يسألونه أن لا يزيغ قلوبهم بعد إذ هداهم"[١].

٢- ومن أسباب الوقوع في الشبهات ما يحصل من مرض للقلب بسبب كسب العبد، فقد أخبر سبحانه عن الأسباب التي بها تزيغ قلوب أهل الأهواء الذين اتبعوا المتشابه ابتغاء الفتنة ورغبة في تأوله على غير مراد الله تعالى، وذلك ناتج عن كسبهم وسعيهم في الضلال والإضلال، فيعاقبهم الله بعدم عصمتهم من فتنة الشبهات، فيقعوا فيها، وما ظلمهم الله لكنهم ظلموا أنفسهم، كما قال الله عنهم: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، ﴿ثُمَّ ٱنصَرَفُواْ صَرَفَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُم﴾ [التوبة: ١٢٧]، ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠]، فالعبد إذا تولى عن ربه، وأعرض عن الحق، ووالى أعداءه، ورأى الباطل فاختاره، وكره الحق واتباعه، فإن الله يوله ما تولى، ويزيغ قلبه عقوبة له على ما حصل منه من زيغ وانحراف، وما ظلمه الله، ولكنه ظلم نفسه، فلا يلم

---

(١) تفسير السعدي (٩٦٢).

إلا نفسه الأمّارة بالسوء(١).

وعلى هذا فلا بد للداعية من الإكثار من هذا الدعاء: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ﴾، وما يماثله من أدعية طلب الثبات على الحق، كما في حديث أَنَسٍ ﷺ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آمَنَّا بِكَ وَبِمَا جِئْتَ بِهِ، فَهَلْ تَخَافُ عَلَيْنَا؟! قَالَ: «نَعَمْ، إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ»، فإن القلوب لا يثبتها على الدين إلا الله تعالى.

ثانياً: فتنة الشهوات:

وأما فتنة الشهوات فتكمن خطورتها في أنها مزينة تميل إليها القلوب، وتقبل عليها، وتنشغل بها عن الدعوة من مثل فتنة المال والنساء، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾ [آل عمران: ١٤]، وكم سقط من دعاة صرعى أمام هذه الشهوات المزينة، فاجتالتهم الدنيا بزخارفها وزينتها، وتسلط عليهم الشيطان، فأبعدهم عن ركب الدعوة، وقعدت بهم شهواتهم، وتنكبوا الطريق الحق، وفتنوا بالدنيا، وقد وصف الله حال من صرعته الدنيا، فترك الانتفاع بآيات الكتاب، ومال إلى الشهوات، وأخلد إلى الأرض وزينتها، فخسر خسرانًا مبينًا، فقال تعالى عنه وعمّن يشبهه: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا

---

(١) تفسير السعدي (٩٦٢).

لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ذَّلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦].

قال السعدي رحمه الله في فوائد الآيات: "وفي هذه الآيات: الترغيب في العمل بالعلم، وأن ذلك رفعة من الله لصاحبه، وعصمة من الشيطان، والترهيب من عدم العمل به، وأنه نزول إلى أسفل سافلين، وتسليط للشيطان عليه، وفيه أن اتباع الهوى وإخلاد العبد إلى الشهوات يكون سببًا للخذلان"(١).

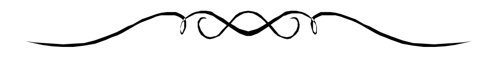
آثار الوقوع في فتنة الشبهات والشهوات على الداعية:

١- الغفلة عن الآخرة.

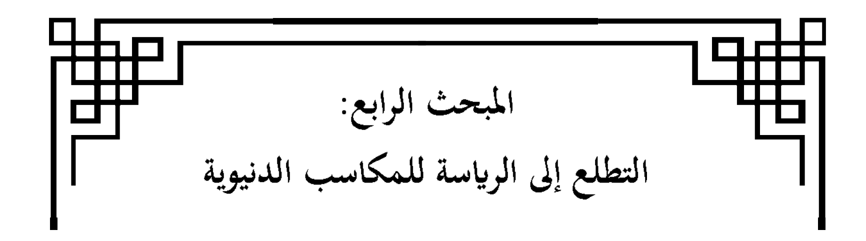
٢- الوقوع في طرق أهل الأهواء، فيكون فتنة لكل مفتون.

٣- الانشغال عن الدعوة بالمال والنساء.

٤- التعلق بالدنيا ومطامعها، وحدوث التنازلات في الأصول من أجلها، وقد سبق الكلام على ذلك أكثر من مرة.



(١) تفسير السعدي (٣٠٩).



المبحث الرابع: التطلع إلى الرياسة للمكاسب الدنيوية

ومن آثار الخلل في تحقيق عمل القلب على الداعية في نفسه: تطلعه إلى الرياسة والمكاسب المادية من خلالها، وهو يدخل في فتنة الشهوات التي سبق الحديث عنها في المبحث السابق.

والتطلع إلى الرياسة وطلبها يفسد على المرء دينه، كما في حديث كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا ذِئْبَانِ جَائِعَانِ أُرْسِلَا فِي غَنَمٍ بِأَفْسَدَ لَهَا مِنْ حِرْصِ الْمَرْءِ عَلَى الْمَالِ وَالشَّرَفِ لِدِينِهِ»[1].

وقال ابن رجب رحمه الله في شرحه لهذا الحديث: "فهذا مثل عظيم جدًّا ضربه النبي ﷺ لفساد دين المسلم بالحرص على المال والشرف في الدنيا، وأن فساد الدين بذلك ليس بدون فساد الغنم بذئبين جائعين ضاريين باتا في الغنم، وقد غاب عنها رعاؤها ليلًا، فهما يأكلان في الغنم ويفترسان فيها.

ومعلوم أنه لا ينجو من الغنم من إفساد الذئبين المذكورين والحالة هذه إلا قليل، فأخبر النبي ﷺ أن حرص المرء على المال والشرف إفساده لدينه ليس بأقل من إفساد الذئبين لهذه الغنم؛ بل إما أن يكون مساويًا وإما أكثر، يشير إلى أنه لا يسلم من دين المسلم مع حرصه على المال والشرف في الدنيا إلا القليل، كما أنه لا يسلم من الغنم

---

(١) أخرجه أحمد في المسند (٢٥/ ٦١) ح (١٥٧٨٤)، والترمذي في أبواب الزهد، باب.. (٤/ ٥٨٨) ح (٢٣٧٦) وقال: "حسن صحيح"، وابن حبان في صحيحه في باب ما جاء في الحرص وما يتعلق به، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من مجانبة الحرص على المال والشرف؛ إذ هما مفسدان لدينه (٨/ ٢٤) ح (٣٢٢٨)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٣١٤) ح (١٧١٠)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٢٥/ ٦٢) ح (١٥٧٨٤).

مع إفساد الذئبين المذكورين فيها إلا القليل.

فهذا المثل العظيم يتضمن غاية التحذير من شر الحرص على المال والشرف في الدنيا"[١].

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: "ما من أحد أحب الرياسة إلا حسد وبغى، وتتبع عيوب الناس، وكره أن يُذكر أحد بخير"[٢].

وقال أبو نعيم رحمه الله: "والله ما هلك من هلك إلا بحب الرياسة"[٣].

وقال سفيان الثوري رحمه الله: "ما رأيت الزهد في شيء أقل منه في الرياسة، ترى الرجل يزهد في المطعم والمشرب والمال والثياب، فإن نوزع الرئاسة حامى عليها، وعادى"[٤].

وقال سعيد بن مُحَمَّد الحداد[٥] رحمه الله: "ما صد عن الله مثل طلب المحامد، وطلب الرفعة"[٦].

وقال ابن قدامة المقدسي رحمه الله: "اعلم أن من غلب على قلبه حب الجاه صار مقصور الهم على مراعاة الخلق، مشغوفًا بالتردد إليهم، والمرآة لهم، ولا يزال في أقواله وأفعاله ملتفتًا إلى ما يعظم منزلته عندهم، وذلك بذر النفاق، وأصل الفساد؛ لأن كل

(١) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٦٤).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧١).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٧١).

(٤) سير أعلام النبلاء (٧/ ٢٦٢).

(٥) الإمام، شيخ المالكية، أبو عثمان، سعيد بن مُحَمَّد بن صبيح بن الحداد المغربي، صاحب سحنون، وهو أحد المجتهدين، وكان بحرًا في الفروع، ورأسًا في لسان العرب، بصيرًا بالسنن، قال ابن حارث: له مقامات كريمة، ومواقف محمودة في الدفع عن الإسلام، والذب عن السنة، توفي رحمه الله سنة (٣٠٢هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٠٥)، شذرات الذهب (٤/ ١٢)، موسوعة مواقف السلف (٤/ ٥٠٣).

(٦) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢١٤).

من طلب المنزلة في قلوب الناس اضطر أن ينافقهم بإظهار ما هو خال عنه، ويجر ذلك إلى المراءاة بالعبادات، واقتحام المحظورات، والتوصل إلى اقتناص القلوب"[(١)].

آثار التطلع للرياسة للمكاسب الدنيوية على الداعية[(٢)]:

وقد سبق بعض الآثار، وأضيف إليه الآتي:

١- من طلب العلم لأجل الشرف في الدنيا حَرَمَه الله رائحة الجنة، كما في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنَ الدُّنْيَا، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» يَعْنِي رِيحَهَا[(٣)].

قال ابن رجب رحمه الله في تعليقه على الحديث: "وسبب هذا -والله أعلم- أن في الدنيا جنة معجلة، وهي معرفة الله ومحبته، والأنس به والشوق إلى لقائه، وخشيته وطاعته، والعلم النافع يدل على ذلك، فمن دله علمه على دخول هذه الجنة المعجلة في الدنيا دخل الجنة في الآخرة، ومن لم يشم رائحتها لم يشم رائحة الجنة في الآخرة.

ولهذا كان أشد الناس عذابًا في الآخرة عالم لم ينفعه الله بعلمه، وهو أشد الناس حسرة يوم القيامة، حيث كان معه آلة يتوصل بها إلى أعلى الدرجات وأرفع المقامات، فلم يستعملها إلا في التوصل إلى أخس الأمور وأدناها وأحقرها، فهو كمن كان معه جواهر نفيسة لها قيمة، فباعها ببعر أو شيء مستقذر لا ينتفع به، بل حال من

(١) مختصر منهاج القاصدين (٢١١).

(٢) ينظر في ذلك: مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٧٩، ٩١، ٩٥).

(٣) أخرجه أحمد (١٤/ ١٦٩) ح (٨٤٥٧)، وأبو داود في كتاب العلم، باب في طلب العلم لغير الله تعالى (٣/ ٣٢٣) ح (٣٦٦٤)، وابن ماجه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب الانتفاع بالعلم والعمل به (١/ ٩٢) ح (٢٥٢)، والحاكم في المستدرك في كتاب العلم (١/ ١٦٠) ح (٢٨٨) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الجامع(٢/ ١٠٦٠) ح (٦١٥٩)، وقال في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٥٣) ح (١٠٥): "صحيح لغيره"، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (١٤/ ١٦٩) ح (٨٤٥٧).

يطلب الدنيا بعلمه أقبح وأقبح، وكذلك من يطلبها بإظهار الزهد فيها، فإن ذلك خداع قبيح جدًّا"[(١)].

٢- حرمانه من الحياة الطيبة في الدنيا، وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في حديث أبي هريرة وكلام ابن رجب عليه الذي تقدم قريبًا.

وهذه الحياة الطيبة حرمها من تطلع إلى الشرف في الدنيا، كما أثر عن إبراهيم بن أدهم رحمه الله قوله: "لو يعلم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه من النعيم لجالدونا عليه بالسيوف"[(٢)].

ومن رزقه الله ذلك اشتغل به عن طلب الشرف الزائل والرياسة الفانية.

٣- طلب الشرف في الدنيا يمنع الشرف في الآخرة، ولا يجتمع معه، والسعيد من آثر الباقي على الفاني؛ لحديث أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﵁، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضَرَّ بِآخِرَتِهِ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضَرَّ بِدُنْيَاهُ، فَآثِرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى»[(٣)].

٤- بروز ظاهرة التنازع والافتراق والاختلاف المذموم بين الدعاة بسبب تعلق القلب بحب الرياسات، ومن علامة ذلك أنه إذا لم يعط مكانة ومركزًا يجعل الناس يقبلون عليه، فإنه يفتعل النزاع والخصومات، وربما يسعى بالتحريش ليفرق الصف، أو ليلتفت إليه بأنه شخص مهم لا يمكن تجاوزه.

---

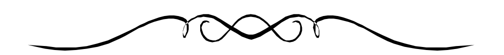
(١) مجموع رسائل ابن رجب (١/ ٧٩).

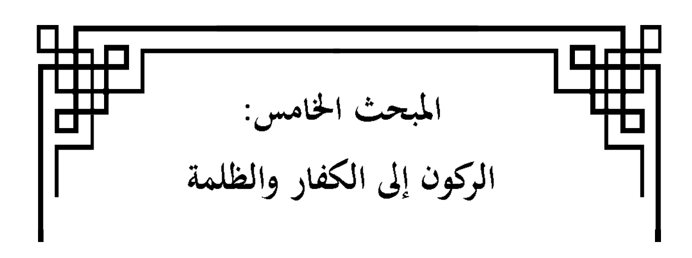
(٢) ينظر: حلية الاولياء (٧/ ٣٧٠).

(٣) أخرجه أحمد في المسند (٣٢/ ٤٧٠) ح (١٩٦٩٧)، وابن حبان في صحيحه في باب الفقر والزهد والقناعة، ذكر الإخبار بأن الإمعان في الدنيا يضر في العقبى.. (٢/ ٤٨٦) ح (٧٠٩)، والحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق (٤/ ٣٤٣) ح (٧٨٥٣) وصححه وأعله الذهبي بالانقطاع، وذكره الحاكم مرة أخرى في (٤/ ٣٥٤) ح (٧٨٩٧)، وصححه، ووافقه الذهبي هنا، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الزهد، باب فيمن أحب الدنيا (١٠/ ٢٤٩) ح (١٧٨٢٥): "رواه أحمد، والبزار، والطبراني، ورجالهم ثقات"، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٦٦) ح (٣٢٤٧): "صحيح لغيره"، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٣٢/ ٤٧٠) ح (١٩٦٩٧): "حسن لغيره".

٥- فشل بعض المشاريع الدعوية القائمة بسبب وجود هذه الآفة في قلوب من يقومون عليها، أو فشلها قبل قيامها؛ لأنه أوكل القيام بها لمن ابتلوا بحب الشرف، فنزع الله منهم البركة ولم يوفقهم لنفع الناس.

٦- استخدام الدعوة جسرًا للحصول على المكاسب المادية أو المعنوية من جاه ونحوه.





المبحث الخامس:
الركون إلى الكفار والظلمة

ومن مظاهر ضعف أعمال القلوب: ميل القلب إلى الكفار والظلمة والركون إليهم، قال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ [هود: ١١٣].

الركون لغة: الميل إلى الشيء، والسكون إليه(١).

وفي الاصطلاح: قال البغوي رحمه الله: "هو المحبة والميل بالقلب"(٢).

وقال القرطبي رحمه الله في تعريفه: "الركون: حقيقة الاستناد والاعتماد، والسكون إلى الشيء والرضا به"(٣).

وعرفه السعدي رحمه الله بقوله: "والمراد بالركون الميل والانضمام إليه بظلمه وموافقته على ذلك، والرضا بما هو عليه من الظلم"(٤).

وقال ابن جرير رحمه الله في معنى الآية: "يقول تعالى ذكره: ولا تميلوا -أيها الناس- إلى قول هؤلاء الذين كفروا بالله، فتقبلوا منهم وترضوا أعمالهم، ﴿فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ﴾ بفعلكم ذلك، ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ من ناصر ينصركم وولي يليكم، ﴿ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾ يقول: فإنكم إن فعلتم ذلك لم ينصركم الله، بل يخليكم

---

(١) ينظر: الصحاح (٥/ ٢١٢٦)، لسان العرب (١٣/ ١٨٥) مادة (ركن).

(٢) تفسير البغوي (٤/ ٢٠٤).

(٣) تفسير القرطبي (٩/ ١٠٨).

(٤) تفسير السعدي (٣٩١).

من نصرته، ويسلط عليكم عدوكم"[١].

وعلى هذا فإن ميل الداعية إلى الظلمة وركونه إلى أعداء الله يكون سببًا لتسلط الأعداء عليه في الدنيا، ثم لا يجد نصر الله حليفه، بل يخذله ويتركه لعدوه يتسلط عليه، فيصرفه عن دعوته، وتصيبه الفتنة والعذاب الأليم في الآخرة، فتمسه النار.

وقال تعالى محذرًا لنبيه ﷺ أشد التحذير من الميل اليسير إلى الكفار، في وعيد تنخلع منه القلوب، وإذا كان هذا الوعيد العظيم مع نبيه ﷺ -وحاشاه أن يقع في ذلك- فكيف بمن عداه؟!

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ ۖ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٧٣-٧٥].

قال السعدي رحمه الله في معنى الآيات: "يذكر تعالى منته على رسوله محمد ﷺ، وحفظه له من أعدائه الحريصين على فتنته بكل طريق، فقال: ﴿وَإِن كَادُواْ لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ﴾ أي: قد كادوا لك أمرًا لم يدركوه، وتحيلوا لك، على أن تفتري على الله غير الذي أنزلنا إليك، فتجيء بما يوافق أهواءهم، وتدع ما أنزل الله إليك.

﴿وَإِذًا﴾ لو فعلت ما يهوون ﴿لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا﴾ أي: حبيبًا صفيًا، أعز عليهم من أحبابهم؛ لما جبلك الله عليه من مكارم الأخلاق ومحاسن الآداب، المحبة للقريب والبعيد، والصديق والعدو.

---

(١) تفسير الطبري (١٢/ ٥٩٩).

ولكن لتعلم أنهم لم يعادوك وينابذوك العداوة إلا للحق الذي جئت به، لا لذاتك، كما قال الله تعالى: ﴿قَدۡ نَعۡلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحۡزُنُكَ ٱلَّذِي يَقُولُونَۖ فَإِنَّهُمۡ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، ﴿وَ﴾ مع هذا فـ﴿لَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ﴾ على الحق، وامتننا عليك بعدم الإجابة لداعيهم، ﴿لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾ من كثرة المعالجة، ومحبتك لهدايتهم.

﴿إِذٗا﴾ لو ركنت إليهم بما يهوون ﴿لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ﴾ أي: لأصبناك بعذاب مضاعف، في الحياة الدنيا والآخرة؛ وذلك لكمال نعمة الله عليك، وكمال معرفتك.

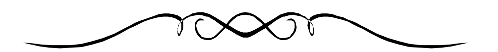
﴿ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا﴾ ينقذك مما يحل بك من العذاب، ولكن الله تعالى عصمك من أسباب الشر، ومن البشر، فثبتك وهداك الصراط المستقيم، ولم تركن إليهم بوجه من الوجوه، فله عليك أتم نعمة وأبلغ منحة... وفي هذه الآيات دليل على شدة افتقار العبد إلى تثبيت الله إياه، وأنه ينبغي له أن لا يزال متملقًا لربه أن يثبته على الإيمان، ساعيًا في كل سبب موصل إلى ذلك؛ لأن النبي ﷺ -وهو أكمل الخلق- قال الله له: ﴿وَلَوۡلَآ أَن ثَبَّتۡنَٰكَ لَقَدۡ كِدتَّ تَرۡكَنُ إِلَيۡهِمۡ شَيۡـٔٗا قَلِيلًا﴾، فكيف بغيره؟!

وفيها: تذكير الله لرسوله منته عليه، وعصمته من الشر، فدل ذلك على أن الله يحب من عباده أن يتفطنوا لإنعامه عليهم -عند وجود أسباب الشر- بالعصمة منه، والثبات على الإيمان.

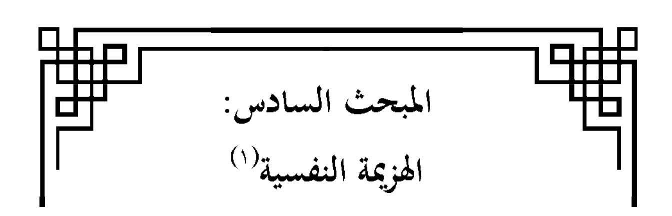
وفيها: أنه بحسب علو مرتبة العبد وتواتر النعم عليه من الله يعظم إثمه، ويتضاعف جرمه، إذا فعل ما يلام عليه؛ لأن الله ذكر رسوله لو فعل -وحاشاه من ذلك- بقوله: ﴿إِذٗا لَّأَذَقۡنَٰكَ ضِعۡفَ ٱلۡحَيَوٰةِ وَضِعۡفَ ٱلۡمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا

نَصِيرًا ﴾"(١).

ومن أبرز مظاهر الميل إلى الكفار والظلمة عند الداعية ظاهرة الهزيمة النفسية، وهذا ما سيكون الحديث عنه في المبحث الآتي.



(١) تفسير السعدي (٤٦٣-٤٦٤).



المبحث السادس:
الهزيمة النفسية[(١)]

من آثار الخلل في الإيمان وأعمال القلب: ضعف العزة بالإسلام والوقوع في الهزيمة النفسية، وهي: شعور المسلم بالضعف والهوان والضعة أمام أعدائه، وشعوره بالعجز عن مجاراتهم، أما التفوق عليهم فلا يخطر له ببال، ويؤدي هذا الشعور إلى ذوبان الشخصية الإسلامية، والتبعية للغرب والتقليد الأعمى؛ مما يجعل المسلم يفقد كل معاني العزة بدينه، فيتفلت من تبعات دينه[(٢)]، ويقذف في قلبه الوهن الذي ذكره النبي ﷺ في حديث ثَوْبَانَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

وإذا أصاب هذا الداء العضال الداعية الذي ينبغي أن يسعى في إنقاذ الأمة من هذه الهزيمة النفسية، فإذا حل بقلبه هذا الأمر، يصبح معول هدم في يدي أعداء الإسلام، يضربون به الأمة في مقاتلها، ويصير فتنة لكل مفتون، وينبت في قلبه مرض النفاق وهو لا يشعر، وكم جر هؤلاء على الأمة من بلايا ورزايا، تتجرع الأمة مرارتها في كل زمن يظهرون فيه، وهم الذين خافهم النبي ﷺ على أمته وحذرها منهم، كما في حديث عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ ﷺ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي كُلُّ مُنَافِقٍ عَلِيمِ اللِّسَانِ».

---

(١) ينظر في هذا الموضوع بتوسع كتاب: المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية، لعبد الله الشبانة، دار طيبة الرياض، ط٣، ١٤٧١هـ.

(٢) ينظر: المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية (٤١).

وللهزيمة النفسية مظاهر عند من يصابون بها ممن يَّدعون أنهم دعاة، منها:

١- إفساد عقائد المسلمين؛ ولذلك عدة أمثلة، منها:

أ- إهمال توحيد الألوهية وعدم الدعوة إليه بحجة أنه يفرق المسلمين.

ب- هدم عقيدة السلف في توحيد الأسماء والصفات بحجة تقديم العقل على النقل، أو تشويهها بتحريفها بالتأويل الباطل تارة، أو تعطيلها، أو تفويضها تارات أخرى.

ت- هدم عقيدة الولاء والبراء بحجة التقارب بين الأديان والتسامح.

ث- إنكار بعض المسلمات العقدية كبعض قضايا الغيب، وأشراط الساعة، بحجة أنها لا يقبلها العقل، أو أن أحاديثها آحاد.

٢- التساهل في الفتوى، ولي أعناق النصوص بحجة التيسير، وتغير الفتوى بتغير الزمان.

٣- الدعوة إلى العلمانية، والديمقراطية، والليبرالية، بحجة أنا إذا أردنا أن نتقدم فلنأخذ بما عند الغرب.

٤- التقليد الأعمى لمظاهر الحضارة الغربية في السلوك، والدعوة إلى ذلك، وله أمثلة، منها:

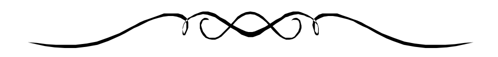
أ- الدعوة إلى التبرج والسفور.

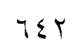
ب- التساهل في خلوة الرجل بالمرأة.

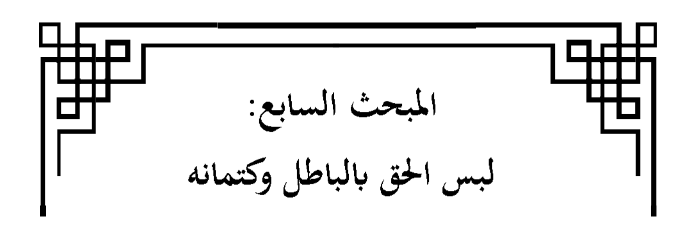
ت- الدعوة إلى اختلاط الرجال بالنساء.

ث- الدعوة إلى تحديد النسل.

٥- ومن المظاهر الدالة على الهزيمة النفسية والرضوخ لضغطها ما يقع فيه بعض الدعاة من لبس الحق بالباطل وكتمانه، وسيأتي تفصيله في المبحث الآتي.







المبحث السابع:
لبس الحق بالباطل وكتمانه

من آثار الخلل في أعمال القلب لبس الباطل بالحق؛ لأجل أن يجد قبولًا عند الناس، أو أنه يكتم الحق؛ لأجل الحصول على مكاسب دنيوية، أو لأجل أن يتزلف إلى من يريد الحظوة عندهم، أو يستسلم لضغط الواقع تحت سياط هزيمة النفس من الأعداء، وهذا الأمر من لبس الحق بالباطل وكتمانه من أخطر الصفات على الداعية التي ينبغي عليه الحذر منها أشد الحذر، وأن يحاسب نفسه عليها محاسبة دقيقة؛ لأنها من أخبث صفات المغضوب عليهم، ولهذا قال بعض السلف: "من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود"[(١)]، وقد قال ﷻ في ذكر صفتهم: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٤٢].

قال السعدي رحمه الله: "ثم قال: ﴿وَلَا تَلْبِسُوا﴾ أي: تخلطوا ﴿الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ﴾ فنهاهم عن شيئين: عن خلط الحق بالباطل، وكتمان الحق؛ لأن المقصود من أهل الكتب والعلم تمييز الحق، وإظهار الحق؛ ليهتدي بذلك المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين؛ لأن الله فصل آياته وأوضح بيناته؛ ليميز الحق من الباطل، ولتستبين سبيل المهتدين من سبيل المجرمين، فمن عمل بهذا من أهل العلم، فهو من خلفاء الرسل وهداة الأمم.

ومن لبس الحق بالباطل، فلم يميز هذا من هذا، مع علمه بذلك، وكتم الحق الذي يعلمه وأمر بإظهاره، فهو من دعاة جهنم؛ لأن الناس لا يقتدون في أمر دينهم

---

(١) ينظر: البداية والنهاية (١٩/ ٤٢) فقد نقله عن سفيان بن عيينة رحمه الله.

بغير علمائهم، فاختاروا لأنفسكم إحدى الحالتين"[١].

ووجه الله الخطاب لأهل الكتاب موبخًا لهم في إضلالهم الناس بخلط الحق بالباطل، وكتمان الحق وهم يعلمون، وفي ذلك تحذير لمن يدعون الناس ويعلموهم أن يسلكوا مسلكهم، فقال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لِمَ تَلۡبِسُونَ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ وَتَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [آل عمران: ٧١]، وقال السعدي رحمه الله في معنى الآية: "فوبخهم على لبس الحق بالباطل وعلى كتمان الحق؛ لأنهم بهذين الأمرين يضلون من انتسب إليهم، فإن العلماء إذا لبسوا الحق بالباطل فلم يميزوا بينهما، بل أبقوا الأمر مبهمًا وكتموا الحق الذي يجب عليهم إظهاره، ترتب على ذلك من خفاء الحق وظهور الباطل ما ترتب، ولم يهتد العوام الذين يريدون الحق لمعرفته حتى يؤثروه، والمقصود من أهل العلم أن يظهروا للناس الحق ويعلنوا به، ويميزوا الحق من الباطل، ويظهروا الخبيث من الطيب، والحلال والحرام، والعقائد الصحيحة من العقائد الفاسدة، ليهتدي المهتدون، ويرجع الضالون، وتقوم الحجة على المعاندين، قال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٨٧]"[٢].

من صور لبس الحق بالباطل أو كتمان الحق عند بعض الدعاة:

ولعل من أبرز صوره في هذا الزمن البحث عن الآراء الشاذة، وتتبع زلل العلماء وإبرازه للناس على أنه خلاف معتبر، ولي أعناق النصوص أو ردها بحجج واهية؛ لأجل اللبس على الناس لقبول هذا الرأي الشاذ، وفي المقابل كتمان القول الحق في المسألة أو رده؛ لأنه لا يوافق هواه أو هوى من يفتي لهم، وهذا من الرأي الذي جاء

(١) تفسير السعدي (٥١).

(٢) تفسير السعدي (١٣٤).

تحذير السلف من القول به، فقال مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ ﷺ يَوْمًا: "إِنَّ مِنْ وَرَائِكُمْ فِتَنًا يَكْثُرُ فِيهَا الْمَالُ، وَيُفْتَحُ فِيهَا الْقُرْآنُ حَتَّى يَأْخُذَهُ الْمُؤْمِنُ وَالْمُنَافِقُ، وَالرَّجُلُ، وَالْمَرْأَةُ، وَالصَّغِيرُ، وَالْكَبِيرُ، وَالْعَبْدُ، وَالْحُرُّ، فَيُوشِكُ قَائِلٌ أَنْ يَقُولَ: مَا لِلنَّاسِ لَا يَتَّبِعُونِي وَقَدْ قَرَأْتُ الْقُرْآنَ؟! مَا هُمْ بِمُتَّبِعِيَّ حَتَّى أَبْتَدِعَ لَهُمْ غَيْرَهُ، فَإِيَّاكُمْ وَمَا ابْتُدِعَ، فَإِنَّ مَا ابْتُدِعَ ضَلَالَةٌ، وَأُحَذِّرُكُمْ زَيْغَةَ الْحَكِيمِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ عَلَى لِسَانِ الْحَكِيمِ، وَقَدْ يَقُولُ الْمُنَافِقُ كَلِمَةَ الْحَقِّ"، فقيل لِمُعَاذٍ: مَا يُدْرِينِي -رَحِمَكَ اللَّهُ- أَنَّ الْحَكِيمَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الضَّلَالَةِ وَأَنَّ الْمُنَافِقَ قَدْ يَقُولُ كَلِمَةَ الْحَقِّ؟! قَالَ: "بَلَى، اجْتَنِبْ مِنْ كَلَامِ الْحَكِيمِ الْمُشْتَهِرَاتِ الَّتِي يُقَالُ لَهَا: مَا هَذِهِ؟ وَلَا يُثْنِيَنَّكَ ذَلِكَ عَنْهُ، فَإِنَّهُ لَعَلَّهُ أَنْ يُرَاجِعَ، وَتَلَقَّ الْحَقَّ إِذَا سَمِعْتَهُ فَإِنَّ عَلَى الْحَقِّ نُورًا"[(١)].

يقول الأوزاعي رحمه الله: "عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآثار الرجال وإن زخرفوا لك القول"[(٢)].

ويقول ابن القيم رحمه الله: "والمقصود أن السلف جميعهم على ذم الرأي والقياس المخالف للكتاب والسنة، وأنه لا يحل العمل به لا فتيًا ولا قضاء، وأن الرأي الذي لا يعلم مخالفته للكتاب والسنة ولا موافقته، فغايته أن يسوغ العمل به عند الحاجة إليه، من غير إلزام ولا إنكار على من خالفه"[(٣)].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٥٩، ١٦٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ

---

(١) أبو داود (٤/ ٢٠٢)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٥٠٧).

(٢) جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٧١) رقم (٢٠٧٧).

(٣) إعلام الموقعين (٢/ ١٤٦-١٤٧).

بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

والآيات وإن كانت نازلة في أهل الكتاب، حينما كتموا نبوة النبي ﷺ وهم يجدونه مكتوبًا عندهم في التوراة والإنجيل، والصحيح أنها عامة في كل من يشابههم في كتم الحق(١)، ويؤيد كونها عامة قول أبي هريرة ﵁: يَقُولُونَ: إِنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ يُكْثِرُ الحَدِيثَ! وَاللَّهُ المَوْعِدُ، وَيَقُولُونَ: مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ لاَ يُحَدِّثُونَ مِثْلَ أَحَادِيثِهِ؟! وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ المهَاجِرِينَ كَانَ يَشْغَلُهُمُ الصَّفْقُ بِالأَسْوَاقِ، وَإِنَّ إِخْوَتِي مِنَ الأَنْصَارِ كَانَ يَشْغَلُهُمْ عَمَلُ أَمْوَالِهِمْ، وَكُنْتُ امْرَأً مِسْكِينًا، أَلْزَمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى مِلْءِ بَطْنِي، فَأَحْضُرُ حِينَ يَغِيبُونَ، وَأَعِي حِينَ يَنْسَوْنَ، وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمًا: «لَنْ يَبْسُطَ أَحَدٌ مِنْكُمْ ثَوْبَهُ حَتَّى أَقْضِيَ مَقَالَتِي هَذِهِ، ثُمَّ يَجْمَعَهُ إِلَى صَدْرِهِ، فَيَنْسَى مِنْ مَقَالَتِي شَيْئًا أَبَدًا»، فَبَسَطْتُ نَمِرَةً لَيْسَ عَلَيَّ ثَوْبٌ غَيْرُهَا، حَتَّى قَضَى النَّبِيُّ ﷺ مَقَالَتَهُ، ثُمَّ جَمَعْتُهَا إِلَى صَدْرِي، فَوَالَّذِي بَعَثَهُ بِالحَقِّ، مَا نَسِيتُ مِنْ مَقَالَتِهِ تِلْكَ إِلَى يَوْمِي هَذَا، وَاللَّهِ لَوْلاَ آيَتَانِ فِي كِتَابِ اللَّهِ، مَا حَدَّثْتُكُمْ شَيْئًا أَبَدًا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ﴾ [البقرة: ١٥٩] إِلَى قَوْلِهِ: ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠](٢).

وقال ابن جرير رحمه الله في بيان أن هذه الآية عامة في كل من كتم علمًا: "وهذه الآية وإن كانت نزلت في خاص من الناس، فإنها معنيٌّ بها كلُّ كاتمٍ علمًا فرض الله تعالى بيانه للناس"(٣).

---

(١) ينظر في تفسير هذه الآيات: تفسير الطبري (٢/ ٧٢٩-٧٣٢)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٢-٤٧٣)، تفسير السعدي (٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب المزارعة، باب ما جاء في الغرس (٣/ ١٠٩) ح (٢٣٥٠)، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة ﷺ، باب من فضائل أبي هريرة الدوسي ﵁ (٤/ ١٩٤٠) ح (٢٤٩٣).

(٣) تفسير الطبري (٢/ ٧٣١).

وفي الآيات تحذير من كتمان الحق، وبيان خطورة ذلك، وما يترتب عليه من عقوبات، منها:

١- **يلعنهم الله:** أصل اللعن: الطرد والإبعاد، بمعنى: يطردهم من القرب منه، ويبعدهم عن رحمته[١].

٢- **يلعنهم اللاعنون:** اختلف المفسرون في المراد باللاعنين على أقوال كثيرة، والذي رجحه ابن جرير رحمه الله بعد أن استعرض أقوال المفسرين في ذلك ما ذكره في قوله رحمه الله: "وأولى هذه الأقوال بالصحة عندنا قول من قال: اللاعنون: الملائكة والمؤمنون؛ لأن الله تعالى ذكره قد وصف الكفار بأن اللعنة التي تحل بهم إنما هي من الله والملائكة والناس أجمعين، فقال تعالى ذكره: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١]، فكذلك اللعنة التي أخبر الله -تعالى ذكره- أنها حالة بالفريق الآخر الذين يكتمون ما أنزل الله من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس، هي لعنة الله التي أخبر أن لعنتهم حالة بالذين كفروا وماتوا وهم كفار، وهم اللاعنون؛ لأن الفريقين جميعًا أهل كفر"[٢].

وأيد الإمام ابن جرير الطبري رحمه الله ترجيحه بأنه لم يرد نص على بقية المخلوقات[٣].

وذكر القرطبي رحمه الله أنه قد جاء نص عن النبي ﷺ من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة:

---

(١) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٢٣٢-٢٣٣)، تفسير القرطبي (٢/ ١٨٦)، تفسير السعدي (٧٧).

(٢) تفسير الطبري (٢/ ٧٣٧).

(٣) ينظر: تفسير الطبري (٢/ ٧٣٧-٧٣٨).

١٥٩]، قَالَ: «دَوَابُّ الْأَرْضِ»، وقال: "أخرجه ابن ماجه[(١)] وسنده حسن"[(٢)].

وكذلك فسر السعدي عليه رحمة الله بأن اللاعنين جميع الخلق، فقال: "﴿وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ وهم جميع الخليقة، فتقع عليهم اللعنة من جميع الخليقة، لسعيهم في غش الخلق وفساد أديانهم، وإبعادهم من رحمة الله، فجوزوا من جنس عملهم، كما أن معلم الناس الخير يصلي الله عليه وملائكته، حتى الحوت في جوف الماء، لسعيه في مصلحة الخلق، وإصلاح أديانهم، وقربهم من رحمة الله، فجوزي من جنس عمله، فالكاتم لما أنزل الله مضاد لأمر الله، مشاق لله، يبين الله الآيات للناس ويوضحها، وهذا يطمسها، فهذا عليه هذا الوعيد الشديد"[(٣)].

وهذا الذي أراه هو الأولى؛ أن اللاعنين جميع الخلق، لورود الدليل بذلك وإن كان فيه مقال، إلا أنه يشهد له حديث: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالأَرَضِينَ حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا وَحَتَّى الحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الخَيْرَ»، ووجه ذلك أنه إذا كان يحصل هذا لمعلم الخير، فكذلك في المقابل تلعن جميع المخلوقات من يكتم العلم عن الناس، والله أعلم.

٣- **يأكلون في بطونهم النار**: أي: ما يأكلونه في مقابل كتمان الحق سيكون نارًا تأجج في بطونهم يوم القيامة؛ لأن الثمن الذي حصل لهم على كتمان الحق إنما حصل لهم بأقبح المكاسب، وأعظم المحرمات، فكان جزاؤهم من جنس عملهم[(٤)].

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الفتن، باب العقوبات (٢/ ١٣٣٤) ح (٤٠٢١)، وضعفه الألباني في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٢/ ١٣٣٤) ح (٤٠٢١)، وضعف إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه (٥/ ١٥١) ح (٤٠٢١).

(٢) ينظر: تفسير القرطبي (٢/ ١٨٧).

(٣) تفسير السعدي (٧٧).

(٤) ينظر: تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٣)، تفسير السعدي (٨٢).

٤- **لا يكلمهم الله يوم القيامة:** لأنه غضبان عليهم، فكتموا الحق وهم يعلمون، فلا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يكلمهم بالرحمة وبما يسرهم، بل يوبخهم، ويسخط عليهم، ويعرض عنهم[1].

٥- **لا يزكيهم الله:** قال السعدي رحمه الله: "أي: لا يطهرهم من الأخلاق الرذيلة، وليس لهم أعمال تصلح للمدح والرضا والجزاء عليها، وإنما لم يزكهم لأنهم فعلوا أسباب عدم التزكية التي أعظم أسبابها العمل بكتاب الله، والاهتداء به، والدعوة إليه، فهؤلاء نبذوا كتاب الله، وأعرضوا عنه، واختاروا الضلالة على الهدى، والعذاب على المغفرة"[2].

لهم عذاب أليم في الآخرة: لهم عذاب موجع في الآخرة في النار، لأنه ذكر عنهم في منتصف الآية﴿أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾، وهذا كما قال تعالى عمن يأكلون أموال اليتامى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلۡيَتَٰمَىٰ ظُلۡمًا إِنَّمَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ نَارٗاۖ وَسَيَصۡلَوۡنَ سَعِيرٗا﴾ [النساء: ١٠]، وختم الآية بأن الذين يكتمون الحق لهم عذاب مؤلم في الآخرة، ثم قال عنهم :﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ وَٱلۡعَذَابَ بِٱلۡمَغۡفِرَةِۚ فَمَآ أَصۡبَرَهُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٧٥].

ولا يسلم من تلك العقوبات إلا من استثناه الله وتوفرت فيه الصفات الآتية التي قال الله عنها: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٠]، وهي: التوبة، والإصلاح، والبيان، وقال السعدي رحمه الله في ذكر معنى هذه الصفات: "﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾ أي: رجعوا عما هم عليه من

(١) ينظر: تفسير البغوي (١/ ١٨٤)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٨٣)، تفسير السعدي (٨٢).

(٢) تفسير السعدي (٨٢).

الذنوب، ندمًا وإقلاعًا، وعزمًا على عدم المعاودة، ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾ ما فسد من أعمالهم، فلا يكفي ترك القبيح حتى يحصل فعل الحسن.

ولا يكفي ذلك في الكاتم أيضًا، حتى يبين ما كتمه، ويبدي ضد ما أخفى، فهذا يتوب الله عليه؛ لأن توبة الله غير محجوب عنها، فمن أتى بسبب التوبة تاب الله عليه؛ لأنه ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾ أي: الرجاع على عباده بالعفو والصفح بعد الذنب إذا تابوا، وبالإحسان والنعم بعد المنع إذا رجعوا، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ الذي اتصف بالرحمة العظيمة، التي وسعت كل شيء، ومن رحمته أن وفقهم للتوبة والإنابة فتابوا وأنابوا، ثم رحمهم بأن قبل ذلك منهم، لطفًا وكرمًا"(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٧].

قال السعدي رحمه الله: "الميثاق هو العهد الثقيل المؤكد، وهذا الميثاق أخذه الله تعالى على كل من أعطاه الله الكتب وعلمه العلم، أن يبين للناس ما يحتاجون إليه مما علمه الله، ولا يكتمهم ذلك، ويبخل عليهم به، خصوصًا إذا سألوه، أو وقع ما يوجب ذلك، فإن كل من عنده علم يجب عليه في تلك الحال أن يبينه، ويوضح الحق من الباطل.

فأما الموفقون، فقاموا بهذا أتم القيام، وعلموا الناس مما علمهم الله؛ ابتغاء مرضاة ربهم، وشفقة على الخلق، وخوفًا من إثم الكتمان.

وأما الذين أوتوا الكتاب، من اليهود والنصارى ومن شابههم، فنبذوا هذه العهود والمواثيق وراء ظهورهم، فلم يعبؤوا بها، فكتموا الحق، وأظهروا الباطل، تجرُّؤًا على محارم

(١) تفسير السعدي (٧٧).

الله، وتهاونًا بحقوق الله وحقوق الخلق، واشتروا بذلك الكتمان ثمنًا قليلًا وهو ما يحصل لهم إن حصل من بعض الرياسات والأموال الحقيرة، من سفلتهم المتبعين أهواءهم، المقدمين شهواتهم على الحق، ﴿فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾؛ لأنه أخس العوض، والذي رغبوا عنه -وهو بيان الحق الذي فيه السعادة الأبدية والمصالح الدينية والدنيوية- أعظم المطالب وأجلها، فلم يختاروا الدنيء الخسيس ويتركوا العالي النفيس إلا لسوء حظهم وهوانهم، وكونهم لا يصلحون لغير ما خلقوا له"[١].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»[٢].

وفي لفظ قَالَ ﷺ: «مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُلَجَّمًا بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[٣].

قال الخطابي رحمه الله: "والمعنى: أن الملجم لسانه عن قول الحق والإخبار عن العلم والإظهار له يعاقب في الآخرة بلجام من نار.

وخرج هذا على معنى مشاكلة العقوبة الذنب كقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]".

---

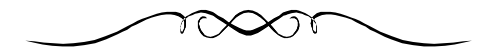
(١) تفسير السعدي (١٦٠).

(٢) أخرجه أحمد (١٣/ ٣٢٥) ح (٧٩٤٣)، وأبو داود واللفظ له في كتاب العلم، باب كراهية منع العلم (٣/ ٣٢١) ح (٣٦٥٨)، والترمذي في أبواب العلم، باب ما جاء في كتمان العلم (٥/ ٢٩) ح (٢٦٤٩) وقال: "حديث حسن"، وابن ماجه في كتاب الإيمان وفضائل الصحابة والعلم، باب من سئل عن علم فكتمه (١/ ٩٨) ح (٢٦٦)، والحاكم في المستدرك في كتاب العلم (١/ ١٨١) ح (٣٤٤) وصححه ووافقه الذهبي، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٦٠) ح (١٢٠)، وصححه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (١٣/ ٣٢٥) ح (٧٩٤٣).

(٣) وهو عند أحمد أخرجه في المسند (١٦/ ٣٥١) ح (١٠٥٩٧)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (١٦/ ٣٥١) ح (١٠٥٩٧): "حديث صحيح".

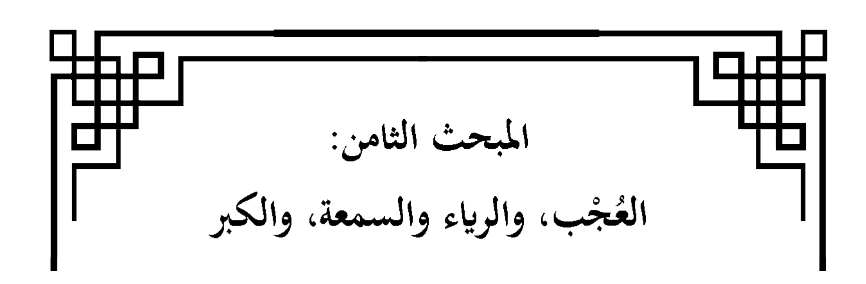
قال: "وهذا في العلم الذي يلزمه تعليمه إياه ويتعين عليه فرضه؛ كمن رأى كافرًا يريد الإسلام يقول: علموني ما الإسلام؟ وما الدين؟ وكمن يرى رجلًا حديث العهد بالإسلام لا يحسن الصلاة وقد حضر وقتها، يقول: علموني كيف أصلي؟ وكمن جاء مستفتيًا في حلال أو حرام يقول: أفتوني وأرشدوني، فإنه يلزم في مثل هذه الأمور أن لا يمنعوا الجواب عما سألوا عنه من العلم، فمن فعل ذلك كان آثمًا مستحقًّا للوعيد والعقوبة.

وليس كذلك الأمر في نوافل العلم التي لا ضرورة بالناس إلى معرفتها"[(١)].



(١) معالم السنن (٤/ ١٨٥).





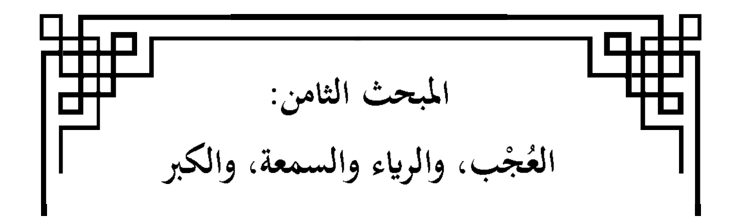
المبحث الثامن:
العُجْب، والرياء والسمعة، والكبر

المطلب الأول: العُجْب.

المطلب الثاني: الرياء والسمعة.

المطلب الثالث: الكبر.

المطلب الرابع: كيفية التخلص من هذه الآفات.



المبحث الثامن:
العُجْب، والرياء والسمعة، والكبر

توطئة:

مطلوب من الداعية أن يتفقد قلبه، ويحاسب نفسه على آفات القلوب، ويحذر من تسللها إلى قلبه، ومن تلك الآفات العجب، والرياء والسمعة، ومن أشدها خطرًا الكبر والتعالي على الناس. وهذه الآفات أو بعضها إذا تسللت إلى قلب الداعية أفسدت عليه قلبه، فقسى وأظلم، وتسلطت عليه شياطين الإنس والجن، وكان فتنة لكل مفتون.

ودونك تفصيل الكلام على هذه الآفات وفق المطالب الآتية:

المطلب الأول: العُجْب.

المطلب الثاني: الرياء والسمعة.

المطلب الثالث: الكبر.

المطلب الرابع: كيفية التخلص من هذه الآفات.

وفيما يلي بيان ذلك:

المطلب الأول: العُجْب:

أولًا: تعريف العُجْب:

العُجْبُ لغة: يطلق على الكبر بالنفس، يقال: معجب بنفسه، وذلك لمن يروقه نفسه، فهو مزهوٌّ بما يكون منه حسنًا أو قبيحًا، وقد يكون العجب بالشيء، فيقال: معجب برأيه وبنفسه(١).

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٤/ ٢٤٣)، المفردات (٥٤٧)، لسان العرب (١/ ٥٨٢) مادة (عجب).

العُجْبُ اصطلاحًا:

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله عن العجب: "أن ترى أن عندك شيئًا ليس عند غيرك"[(١)].

وقال الغزالي رحمه الله عن العجب: "استعظام النعمة والركون إليها مع نسيان إضافتها إلى المنعم"[(٢)].

وقال أبو العباس القرطبي[(٣)]: "إعجاب الرجل بنفسه هو ملاحظته لها بعين الكمال والاستحسان مع نسيان منة الله تعالى"[(٤)].

وقال الجرجاني: "العجب: هو عبارة عن تصور استحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقًّا لها"[(٥)].

ومن خلال ما سبق يتضح أن العجب مرتبط بالنفس، وهو أن يرى بأن عنده ما ليس عند غيره، وملاحظته لنفسه بعين الكمال والاستحسان، مع نسيان أن المنعم عليه هو الله تعالى.

---

(١) شعب الإيمان (١٠/ ٥١٤).

(٢) إحياء علوم الدين (٣/ ٣٧١).

(٣) أحمد بن عمر بن إبراهيم، أبو العباس الأنصاري القرطبي المالكي.

من الأئمة المشهورين والعلماء المعروفين، ومن كتبه: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم، شرح به كتابه الذي اختصره من صحيح مسلم، وقع في تأويل بعض الصفات على طريقة الأشاعرة، توفي رحمه الله سنة(٦٥٦هـ).

ينظر: البداية والنهاية(١٧/ ٣٨١)، الأعلام للزركلي (١/ ١٨٦)، موسوعة مواقف السلف(٧/ ٣٥٩).

(٤) المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم(٥/٤٠٦) لأبي العباس القرطبي، ت: محيي الدين مستو وآخرون، دار ابن كثير دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

(٥) التعريفات (١٤٧).

ثانيًا: حكم العجب:

دلت نصوص الكتاب والسنة على تحريم العجب، ومن ذلك:

قال تعالى في وصية لقمان لابنه: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [لقمان: ١٨].

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ أي: لا تُمِلْهُ وتعبس بوجهك للناس؛ تكبُّرًا عليهم وتعاظمًا. ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا﴾ أي: بطرًا، فخرًا بالنعم، ناسيًا المنعم، معجبًا بنفسك. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ﴾ في نفسه وهيئته وتعاظمه، ﴿فَخُورٍ﴾ بقوله"(١).

وعن أبي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ -أَوْ: قَالَ أَبُو القَاسِمِ ﷺ-: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي فِي حُلَّةٍ، تُعْجِبُهُ نَفْسُهُ، مُرَجِّلٌ جُمَّتَهُ، إِذْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ، فَهُوَ يَتَجَلْجَلُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ»(٢).

وقال ﷺ من حديث أنس ﷺ: «ثلاث مهلكات..»، ثم قال ﷺ: «وأمّا المهلكاتُ: فَشُحٌّ مطاع، وهوًى متَّبع، إعجابُ المرءِ بنفسِه"(٣).

وعَن أَنَسٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَوْ لَمْ تَكُونُوا تُذْنِبُونَ لَخَشِيتُ عَلَيْكُمْ مَا

---

(١) تفسير السعدي (٦٤٩).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب اللباس، باب من جر ثوبه من الخيلاء (٧/ ١٤١) ح (٥٧٨٩)، ومسلم في كتاب اللباس والزينة، باب تحريم التبختر في المشي مع إعجابه بثيابه (٣/ ١٦٥٤) ح (٢٠٨٨).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (١٣/ ١١٤) ح (٦٤٩١)، والطبراني في المعجم الأوسط (٥/ ٣٢٨) ح (٥٤٥٢) ت:طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين القاهرة، وحسنه المنذري بمجموع طرقه في الترغيب والترهيب (١/ ١٧٤) ح (٦٥٤)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ٣١٢) ح (٤٥٣): "حسن لغيره".

هُوَ أَكْثَرُ مِنْهُ: الْعُجْبَ»[١].

وعَنْ أَنَسٍ رضي الله عنه قَالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ -وَلَمْ أَسْمَعْهُ مِنْهُ- «إِنَّ فِيكُمْ قَوْمًا يَعْبُدُونَ وَيَدْأَبُونَ، حَتَّى يُعْجَبَ بِهِمُ النَّاسُ، وَتُعْجِبَهُمْ نُفُوسُهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ»[٢].

ودلت هذه النصوص على أن العجب محرم ومن كبائر الذنوب، بل عده شيخ الإسلام رحمه الله من الشرك، فقال: "وكثيرًا ما يقرن الناس بين الرياء والعجب، فالرياء من باب الإشراك بالخلق، والعجب من باب الإشراك بالنفس، وهذا حال المستكبر، فالمرائي لا يحقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، والمعجب لا يحقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾، فمن حقق قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾ خرج عن الرياء، ومن حقق قوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ خرج عن الإعجاب"[٣].

مما يدل على خطر العجب على الأمة، وأثره العظيم في حصول الهزيمة، ما ذكره الله في تعقيبه على غزوة حنين وهو يربي الأمة على الحذر من هذه المسالك، حينما حصل هزيمة في أول المعركة بسبب العجب بالكثرة وتعلق القلب بها، فقال سبحانه: ﴿لَقَدۡ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٖ وَيَوۡمَ حُنَيۡنٍ إِذۡ أَعۡجَبَتۡكُمۡ

---

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٣/ ٣٢٦) ح (٦٩٣٦)، والبيهقي في شعب الإيمان (٩/ ٣٩٩) ح (٦٨٦٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الزهد، باب ما جاء في العجب (١٠/ ٢٦٩) ح (١٧٩٤٨): "رواه البزار، وإسناده جيد"، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٢/ ٩٣٨) ح (٥٣٠٣).

(٢) أخرجه أحمد في المسند (٢٠/ ٢٤٣-٢٤٤) ح (١٢٨٨٦)، وأبو يعلى (٧/ ١١٦) ح (٤٠٦٦)، وقال الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها (٤/ ٥١٩) ح (١٨٩٥): "وهذا إسناد صحيح على شرط مسلم"، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٢٠/ ٢٤٤) ح (١٢٨٨٦): "إسناده صحيح على شرط الشيخين"، وقال محقق مسند أبي يعلى (٧/ ١١٦) ح (٤٠٦٦): "إسناده صحيح".

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/ ٢٧٧).

كَثۡرَتُكُمۡ فَلَمۡ تُغۡنِ عَنكُمۡ شَيۡـٔٗا وَضَاقَتۡ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ ثُمَّ وَلَّيۡتُم مُّدۡبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، وكان من أسباب الخلل والهزيمة العجب الذي أدى إلى ركون القلب إلى الكثرة والاعتداد بها بأنهم لن يهزموا، وغفلوا عن أن النصر من الله، وليس بالكثرة ولا بالقوة المادية، فأصابهم الخذلان، ولم تغن عنهم الكثرة شيئًا، فحصلت الهزيمة والفرار في أول المعركة من هؤلاء، وثبّت الله نبيه ﷺ والمؤمنين معه، ونصرهم في نهاية المعركة، حيث قال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦].

ومن أقوال السلف في التحذير منه:

- قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: "الإعجاب ضد الصواب، وآفة الألباب"(١).

- وعن كعب رضي الله عنه أنه قال لرجل رآه يتبع الأحاديث: "اتق الله، وارض بالدون من المجلس، ولا تؤذ أحدًا، فإنه لو ملأ علمك ما بين السماء والأرض مع العجب ما زادك الله به إلا سفالًا ونقصانًا"(٢).

- وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: "علامة الجهل ثلاث: العجب، وكثرة المنطق فيما لا يعنيه، وأن ينهى عن شيء ويأتيه"(٣).

- وعن مسروق(٤) رحمه الله قال: "كفى بالمرء علمًا أن يخشى الله، وكفى بالمرء

(١) أدب الدين والدنيا (٢٣٧) للماوردي، دار مكتبة الحياة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.

(٢) حلية الأولياء (٥/ ٣٧٦).

(٣) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٦٩).

(٤) الإمام، القدوة، العلم، مسروق بن الأجدع بن مالك الوادعي الهمداني أبو عائشة الوادعي، الهمداني، الكوفي. من كبار التابعين الثقات، توفي رحمه الله سنة (٦٣هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (١٥/ ٣١١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٦٣)، الأعلام (٧/ ٢١٥).

جهلًا أن يعجب بعمله"[١].

- وقال أبو وهب المروزي[٢] رحمه الله: "سألت ابن المبارك: ما الكبر؟ قال: أن، تزدري الناس. فسألته عن العجب، قال: أن ترى أن عندك شيئا ليس عند غيرك، لا أعلم في المصلين شيئًا شرًّا من العجب"[٣].

- وعن خالد بن يزيد بن معاوية[٤] رحمه الله قال: "إذا رأيت الرجل لجوجًا مماريًا معجبًا بنفسه، فقد تمت خسارته"[٥].

- وكان يحيى بن معاذ رحمه الله يقول: "إياكم والعجب؛ فإن العجب مهلكة لأهله، وإن العجب ليأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب"[٦].

وقيل لعبد الله بن المبارك: ما الذنب الذي لا يغفر؟ قال: "العجب"[٧].

ويقصد ابن المبارك رحمه الله أن العجب من الكبائر التي لا تغفر إلا بالتوبة.

---

(١) جامع بيان العلم وفضله (١/ ٥٦٩).

(٢) مُحَمَّد بن مزاحم، أبو وهب المروزي، مولى بني عامر، أخو سهل بن مزاحم، كان خيرًا فاضلًا، وثقه ابن حبان، توفي سنة (٢٠٩هـ) عليه رحمة الله.

ينظر: الثقات لابن حبان (٩/ ٥٨)، تهذيب الكمال في أسماء الرجال (٢٦/ ٣٩٥)، تاريخ الإسلام (٥/ ١٨٩).

(٣) سير أعلام النبلاء (٨/ ٤٠٧).

(٤) خالد بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان الأمير، أبو هاشم الأموي، حكيم قريش وعالمها في عصره، وكان شاعرًا، وله معرفة بالعلوم الطبيعية توفي رحمه الله سنة (٩٠هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ٤١١)، البداية والنهاية (١٢/ ٤٢٨)، الأعلام (٢/ ٣٠٠).

(٥) مساوئ الأخلاق (٢٦٣).

(٦) شعب الإيمان (٩/ ٣٩٥).

(٧) شعب الإيمان (٩/ ٣٩٦).

ثالثًا: صور من العجب عند الداعية المبتلى به[(١)]:

١- كثرة الحديث عن نفسه ومنجزاته وأعماله الدعوية إما تصريحًا أو تلميحًا.

٢- حبه ونشاطه في الأعمال التي فيها ظهور أمام الجمهور، وفي المقابل البعد أو الكسل عن الأعمال التي لا يراه فيها الناس؛ لأن الظهور أمام الناس يلبي رغبة العجب التي في نفسه.

٣- يحب من يقدمه ويثني عليه، وينفر من الذين لا يثنون عليه، ولا يحب النشاط الدعوي في هذه الأماكن التي لا يثنى عليه فيها.

٤- الضيق والتبرم من النصيحة، والبعد عن الناصحين.

٥- حبه للتصدر وحرصه عليه قبل أن يتأهل لذلك.

٦- الفرح بذكر أو سماع عيوب إخوانه من الدعاة؛ مما يؤدي به إلى البحث والتنقيب عن عيوبهم، ونسيان عيوب نفسه، وهو يظن أنه بذلك يظهر قدرته العلمية.

٧- عدم استشارة أهل العلم، معتدًّا برأيه، ويظن أنه ليس بحاجة إلى استشارة أحد لكمال عقله.

رابعًا: خطر العجب على الداعية:

العجب له خطر عظيم على الداعية في نفسه، وعلى دعوته، ومن ذلك:

١- نفور الناس منه، ومن دعوته.

٢- سبب للكبر والغرور والتعالي على الناس.

٣- سبب للرياء والسمعة.

٤- نسيان الذنوب والتمادي في التقصير، ولا يوفق للتوبة.

٥- الإصرار على الأخطاء في دعوته، وعدم سماع العلماء الناصحين اعتدادًا برأيه.

---

(١) ينظر: مختصر منهاج القاصدين (٢٣٤)، مقال بعنوان العجب داء القلوب الخفي في موقع المسلم على الشبكة، الإخلاص حقيقته ونواقضه (٤٨٦-٤٨٧)، نضرة النعيم (١١/ ٥٣٨٠).

٦- وقد مر في فقرة سابقة في هذا المطلب تحذير السلف من العجب، وبيان خطره، ما يكفي للنفور منه والبعد عنه(١).

٧- سبب للخذلان وقلة التوفيق.

المطلب الثاني: الرياء والسمعة:

وفيه فرعان: الفرع الأول: الرياء، والفرع الثاني: السمعة.

الفرع الأول: الرياء:

أولًا: تعريفه:

الرياء في اللغة: مشتق من الرؤية، وقال ابن فارس رحمه الله: "وَرَاءَى فُلَانٌ يُرَائِي، وَفَعَلَ ذَلِكَ رِئَاءَ النَّاسِ، وَهُوَ أَنْ يَفْعَلَ شَيْئًا لِيَرَاهُ النَّاسُ"(٢).

وتعريفه في الشرع: وردت له تعاريف كثيرة، ومن أجمعها تعريف ابن حجر رحمه الله: "إِظْهَارُ الْعِبَادَةِ لِقَصْدِ رُؤْيَةِ النَّاسِ لَهَا، فَيَحْمَدُوا صَاحِبَهَا"(٣).

ثانيًا: حكم الرياء:

الرياء من الشرك الأصغر، وهو أيضًا من الشرك الخفي؛ ولذا كان خطره عظيمًا، وشره مستطيرًا، فلا بد من الحذر منه، والانتباه له ولعظيم ضرره.

ومن الأدلة على ذلك:

قول الله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢].

---

(١) ينظر: ص (٦٥٧).

(٢) مقاييس اللغة (٢/ ٤٧٣) مادة (رأى)، وينظر كذلك: فتح الباري (١١/ ٣٣٦).

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٣٦).

وقال تعالى: ﴿• • • • • • • • • • •
• • • • • • • • • •﴾ [النساء: ٣٨].

والآيات تدل على عظيم خطر الرياء وأن من تلبس به وأنه من الشرك، ومن صفات المنافقين، وصاحبه الشيطان قرين له فساء قريناً.

قال سفيان الثوري رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزمر: ٤٧]: "ويل لأهل الرياء! ويل لأهل الرياء! هذه آيتهم وقصتهم"(١).

وقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ»(٢).

وذكر الخطابي رحمة الله في معني الحديث: أن من عمل عملًا على غير إخلاص، وإنما يريد أن يراه الناس ويسمعوه، جزاه الله على ذلك بأن يشهره ويفضحه، ويظهر ما كان يبطنه(٣).

وأضاف ابن حجر إلى ما ذكره الخطابي، فقال: "وقيل: من قصد بعمله الجاه والمنزلة عند الناس، ولم يرد به وجه الله، فإن الله يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة ومعنى «يرائي»: يطلعهم على أنه فعل ذلك لهم لا لوجهه"(٤).

وعَنْ مَحْمُودِ بْنِ لَبِيدٍ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ

---

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٢٦٥).

(٢) أخرجه البخاري واللفظ له عن جندب ﷺ في كتاب الرقاق، باب الرياء والسمعة (٨/ ١٠٤) ح (٦٤٩٩)، ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (٤/ ٢٢٨٩) ح (٢٩٨٦).

(٣) ينظر: أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري للخطابي(٣/٢٢٥٧)، ت: مُحَمّد بن سعود آل سعود، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ.

(٤) فتح الباري (١١/ ٣٣٦).

الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَمَا الشِّرْكُ الْأَصْغَرُ؟ قَالَ: «الرِّيَاءُ؛ إِنَّ اللهَ يَقُولُ يَوْمَ تُجَازَى الْعِبَادُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ بِأَعْمَالِكُمْ فِي الدُّنْيَا، فَانْظُرُوا هَلْ تَجِدُونَ عِنْدَهُمْ جَزَاءً؟!»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ»(٢).

وذكر الشيخ صالح آل الشيخ حفظه الله في شرحه على التوحيد أن الرياء على درجتين:

الأولى: رياء المنافقين؛ بأن يظهر الإسلام ويبطن الكفر؛ لأجل رؤية الخلق، وهذا مناف للتوحيد من أصله وكفر أكبر بالله، وقد وصف المنافقين بقوله: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]، فقوله تعالى: ﴿يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ﴾ الرياء الأكبر الذي هو إظهار الإسلام وإبطان الكفر.

الثانية: وهو أن يرائي المسلم بعمله أو ببعض عمله، فهذا شرك خفي ينافي كمال التوحيد(٣).

ثالثًا: صور من الرياء عند من ابتلي به من الدعاة(٤):

١- الصور التي مرت في العجب تنطبق على الرياء لتقارب الآفتين.

---

(١) أخرجه أحمد (٣٩/ ٤٣-٤٤) ح (٢٣٦٣٦)، وجوّد إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١/ ٣٤) ح (٥٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الإيمان، باب ما جاء في الرياء (١/ ١٠٢) ح (٣٧٥): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢٠) ح (٣٢)، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٣٩/ ٤٤) ح (٢٣٦٣٦): "إسناده حسن".

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب من أشرك في عمله غير الله (٤/ ٢٢٨٩) ح (٢٩٨٥).

(٣) ينظر: التمهيد (٣٩٦).

(٤) ينظر: إحياء علوم الدين (٣/ ٢٩٧)، نضرة النعيم (١٠/ ٤٥٥٣)، الإخلاص حقيقته ونواقضه (٣٣٦-٣٣٩).

٢- ينشط في العبادة إذا رآه الناس، ويحسنها ويتقنها من أجل شعوره برؤية الناس له، كما في الحديث عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخدري ﷺ قَالَ: خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا هُوَ أَخْوَفُ عَلَيْكُمْ عِنْدِي مِنَ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ؟» قَالَ: قُلْنَا: بَلَى، فَقَالَ: «الشِّرْكُ الْخَفِيُّ، أَنْ يَقُومَ الرَّجُلُ يُصَلِّي، فَيُزَيِّنُ صَلَاتَهُ؛ لِمَا يَرَى مِنْ نَظَرِ رَجُلٍ»[1].

٣- يحافظ على البعد عن محارم الله إذا كان الناس يرونه، وإذا خلا بمحارم الله انتهكها؛ لأنه لا ينتهي عن المحارم إلا مخافة من الناس، ولهذا عقوبته عظيمة، كما في الحديث عَنْ ثَوْبَانَ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ ﷻ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».

وهذا يحصل من بعض من ينتسبون للدعوة، تجده ينتهك محارم الله إذا خلا بجواله أو جهاز حاسبه أو بالقناة الفضائية التي تعرض ما حرم الله.

٤- يطلب العلم وهمه أن يرى تعظيم الناس له، وقضاء حاجاته، وتقديمه في المجالس.

٥- الرّياء بالقول، وهو أن يقوم بهذه الأعمال من أجل الناس، ويكون مهتمًّا بالوعظ والتّذكير والنّطق بالحكمة، وحفظ الأخبار والآثار؛ لإظهار غزارة العلم، ومن ذلك تحريك الشّفتين بالذّكر في محضر النّاس، والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر أمامهم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه في كتاب الزهد، باب الرياء والسمعة (٢/ ١٤٠٦) ح (٤٢٠٤)، والحاكم في المستدرك في كتاب الرقاق (٤/ ٣٦٥) ح (٧٩٣٦) وصححه ووافقه الذهبي، وحسن إسناده البوصيري في زوائد ابن ماجه (٤/ ٢٣٦) ح (١٥٠٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٩) ح (٣٠).

٦- المراءاة بالأصحاب والزّائرين، كأن يطلب المرائي من عالم أن يزوره ليقال: إنّ فلانًا قد زار فلانًا، ومن ذلك كثرة ذكره للشّيوخ الذين قابلهم وزارهم، ويحرص على إظهار ذلك للناس من خلال الوسائل المتاحة له، لا لأجل الاقتداء ونشر الخير، وإنما لأجل أن يشعر الناس بمكانته.

رابعًا: خطر الرياء على الداعية[1]:

١- نفور الناس منه، ومن دعوته.

٢- خذلان الله له وقلة توفيقه.

٣- تسلط الأعداء عليه من شياطين الإنس والجن.

٤- يحبط أعماله الدعوية وينزع الله منها البركة.

٥- لا يسلم المرائي من أن يفضح الله أمره في الدّنيا، ويظهر عيوبه، فيسقط من أعين النّاس وتذهب هيبته، ناهيك عن حسرته يوم القيامة.

٦- من يرائي بالأعمال الصالحة أول من تسعر به النار، كما في الحديث أَنَّ عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ حَدَّثَ أَنَّ شُفَيًّا الأَصْبَحِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ المدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدْ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ، قال فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ، فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثْنَا قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا البَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ

(١) ينظر: نضرة النعيم(١٠/ ٤٥٦٧).

خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ، وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ»، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ». وَقَالَ الوَلِيدُ أَبُو عُثْمَانَ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ أَنَّ شُفَيًّا هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا. قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: وَحَدَّثَنِي العَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ، أَنَّهُ كَانَ سَيَّافًا لِمُعَاوِيَةَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا، فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟! ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ، ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: صَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [هود: ١٥، ١٦].

الفرع الثاني: السمعة:

أولًا: تعريفها:

في اللغة مأخوذة من الفعل سَمِعَ، وهي حب سماع الذكر الحسن عنه بالأذن فيقال: فَعَلَهُ سمعةً أي: ليسمع به الناس[١].

وفي الاصطلاح: لا يختلف عن المعنى في اللغة أي يحب أن يسمع من الناس الذكر الحسن عنه، فيظهر العبادة لأجل سماع الناس، أو يتحدث بعمله ليُسْمِع الناس، ويقصد المدح والثناء[٢].

ثانيًا: والفرق بينها وبين الرياء كما قال ابن حجر: أن السمعة تتعلق بحاسة السمع[٣]، والرياء يتعلق بحاسة البصر[٤]. وكلاهما بمعنى متقارب في نتيجة الحكم عليهما كما سيأتي.

ثالثًا: حكم السمعة:

السمعة حكمها كحكم الرياء، فكل ما ورد في الرياء من الأدلة يرد فيها، وقد جاء في السنة ما يبين عظيم خطرها، ومن ذلك:

قول النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ».

عن جندب ﷺ: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» الحديث[٥].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٣/ ١٠٢)، الصحاح (٣/ ١٢٣٢)، لسان العرب (٨/ ١٦٥) مادة (سمع).

(٢) ينظر: تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد (٤٥٢)، المفيد في مهمات التوحيد (١٢٩) د. عبد القادر صوفي، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٢هـ.

(٣) أي: الأعمال التي تسمع من تلاوة أو ذكر أو دعاء ونحو ذلك؛ لأجل سماع مدح الناس.

(٤) ينظر: فتح الباري (١١/ ٣٣٦).

(٥) أخرجه البخاري في كتاب الاحكام، باب من شاق الله شق الله عليه (٩/ ٦٤) ح (٧١٥٢).

وكان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يُحَدِّثُ عَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ رضي الله عنهما، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ»، قَالَ: فَذَرَفَتْ عَيْنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ[1].

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَحَقَّرَهُ وَصَغَّرَهُ»[2].

وحكمها حكم الرياء، وبالذات حينما تقارن العمل.

قال ابن حجر رحمه الله: "والسمعة.. مشتقة من سمع، والمراد بها نحو ما في الرياء، لكنها تتعلق بحاسة السمع، والرياء بحاسة البصر"[3].

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله بعد أن ذكر تعريف الرياء: "ويدخل في ذلك من عمل العمل ليسْمَعَه الناس"[4].

رابعًا: ما يستثنى من السمعة:

ويستثنى من السمعة المحرمة ما يعمله الإنسان المقتدى به، فيظهر العمل ليقتدي به الناس، بشرط أن يحرص على سلامة نيته من مقصد السمعة المذمومة، وذلك بحبه لسماع ثناء الناس ومدحهم.

---

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٤٣٠) ح (٦٨٣٩)، وقال في مجمع الزوائد في كتاب الزهد، باب ما جاء في الرياء (١٠/ ٢٢٢) ح (١٧٦٦٠): "رجال أحمد، وأحد أسانيد الطبراني في الكبير رجال الصحيح"، وقال محقق المسند (١١/ ٤٣٠) ح(٦٨٣٩): "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٢) أخرجه أحمد في المسند (١١/ ٥٦٦) ح (٦٩٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١١٧) ح (٢٥)، وقال محقق المسند (١١/ ٥٦٦) ح (٦٩٨٦): "إسناده صحيح على شرط الشيخين".

(٣) فتح الباري (١١/ ٣٣٦)

(٤) القول المفيد على كتاب التوحيد (٢/ ١٢٤).

وقال ابن حجر رحمه الله: "وفي الحديث[١] استحباب إخفاء العمل الصالح، لكن قد يستحب إظهاره ممن يقتدى به على إرادته الاقتداء به، ويقدر ذلك بقدر الحاجة، قال ابن عبد السلام[٢]: يستثنى من استحباب إخفاء العمل من يظهره ليقتدى به، أو لينتفع به ككتابة العلم[٣]، ومنه حديث سهل الماضي في الجمعة: «لِتَأْتَمُّوا بِي، وَلِتَعَلَّمُوا صَلَاتِي»[٤] قال الطبري: كان ابن عمر وابن مسعود وجماعة من السلف يتهجدون في مساجدهم ويتظاهرون بمحاسن أعمالهم ليقتدى بهم، قال: فمن كان إمامًا يستن بعمله عالمًا بما لله عليه قاهرًا لشيطانه استوى ما ظهر من عمله وما خفي؛ لصحة قصده، ومن كان بخلاف ذلك، فالإخفاء في حقه أفضل، وعلى ذلك جرى عمل السلف، فمن الأول حديث حماد بن سلمة[٥] عن ثابت[٦] عن أنس قال: سمع النبي

---

(١) يقصد ابن حجر رحمه الله حديث: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللَّهُ بِهِ».

(٢) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم، الشيخ عز الدين أبو مُحَمَّد السلمي الدمشقي الشافعي، شيخ المذهب ومفيد أهله، الملقب بسلطان العلماء، بلغ رتبة الاجتهاد، وقصد بالفتاوى من الآفاق، وصاحب مصنفات حسان؛ منها التفسير، واختصار النهاية، والقواعد الكبرى، والصغرى، وغير ذلك، وعرف الزهد والورع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصلابة في الدين، توفي رحمه الله(٦٦٠ هـ).

ينظر: البداية والنهاية(١٧/ ٤٤١)،الأعلام(٤/٢١)، موسوعة مواقف السلف(٧/ ٣٨٨).

(٣) لم أجده بهذا اللفظ فيما تيسر لي من كتب العز بن عبد السلام، ووجدت قريباً منه في كتابي: الفوائد ومقاصد الرعاية.

ينظر: الفوائد في اختصار المقاصد(١٢٥-١٢٧) ، مقاصد الرعاية لحقوق الله(٩٨) كلاهما للعز بن عبد السلام، ت: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٤١٦هـ.

(٤) وهو في مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جواز الخطوة والخطوتين في الصلاة (١/ ٣٨٦) (٥٤٤).

(٥) حماد بن سلمة بن دينار البصري الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، وكان مع إمامته في الحديث إمامًا كبيرًا في العربية، فقيهًا، فصيحًا، رأسًا في السنة، كان شديدًا على المبتدعة، توفي رحمه الله سنة (١٦٧هـ).

ينظر: الثقات لابن حبان (٦/ ٢١٦)، سير أعلام النبلاء (٧/ ٤٤٤)، الأعلام (٢/ ٢٧٢).

(٦) ثابت بن أسلم أبو مُحَمَّد البُنَانِي الإمام، القدوة، شيخ الإسلام، أبو مُحَمَّد مولاهم، البصري. أحد أئمة التابعين في البصرة، وكان رأسًا في العلم، والعمل ثقة رفيعًا، توفي رحمه الله سنة (١٢٧هـ).

ينظر: تهذيب الكمال (٤/ ٣٤٢)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٢٢٠)، تاريخ الإسلام (٣/ ٣٨٢).

ﷺ رجلًا يقرأ ويرفع صوته بالذكر، فقال: "إِنَّهُ أَوَّابٌ" قال: فإذا هو المقداد بن الأسود أخرجه الطبري[١].

ومن الثاني حديث الزهري عن أبي سلمة[٢] عن أبي هريرة قال قام رجل يصلي، فجهر بالقراءة، فقال له النبي ﷺ: «لا تسمعني، وأسمع ربك» أخرجه أحمد[٣]، وابن أبي خيثمة[٤]، وسنده حسن"[٥].

خامسًا: من مظاهر السمعة عند من ابتلي بها[٦]:

---

(١) لم أقف عليه فيما تيسر من مصادر، ولكني وجدت قريبًا منه في مسند أحمد (٣١/ ٣٠٦) ح (١٨٩٧١) ولفظه: عَنِ ابْنِ الْأَدْرَعِ قَالَ: كُنْتُ أَحْرُسُ النَّبِيَّ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَخَرَجَ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، قَالَ: فَرَآنِي، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَانْطَلَقْنَا، فَمَرَرْنَا عَلَى رَجُلٍ يُصَلِّي يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَسَى أَنْ يَكُونَ مُرَائِيًا»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، يُصَلِّي يَجْهَرُ بِالْقُرْآنِ، قَالَ: فَرَفَضَ يَدِي، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّكُمْ لَنْ تَنَالُوا هَذَا الْأَمْرَ بِالْمُغَالَبَةِ»، قَالَ: ثُمَّ خَرَجَ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَأَنَا أَحْرُسُهُ لِبَعْضِ حَاجَتِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، فَمَرَرْنَا عَلَى رَجُلٍ يُصَلِّي بِالْقُرْآنِ، قَالَ: فَقُلْتُ: عَسَى أَنْ يَكُونَ مُرَائِيًا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «كَلَّا إِنَّهُ أَوَّابٌ»، قَالَ: فَنَظَرْتُ، فَإِذَا هُوَ عَبْدُ اللهِ ذُو الْبِجَادَيْنِ. وقال في مجمع الزوائد (٩/ ٣٦٩) ح (١٥٩٨٢): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح"، وحسن إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٤/ ٢٨٥) ح (١٧٠٩)، والحديث ضعف إسناده محقق المسند (٣١/ ٣٠٦) ح (١٨٩٧١).

(٢) أبو سلمة بن عبد الرحمن بن عوف الزهري القرشي الحافظ أحد الأعلام بالمدينة، وكان إمامًا حجة، واسع العلم، فقيهًا كثير الحديث، توفي سنة (٩٤هـ)، وقيل: سنة (١٠٤هـ) عليه رحمة الله.

ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٨٧)، تاريخ الإسلام (٢/ ١١٩٩)، تهذيب التهذيب (١٢/ ١١٥).

(٣) مسند أحمد (١٤/ ٧٢) ح (٨٣٢٦).

(٤) النحوي، المقرئ: أحمد بن زهير بن حرب الإمام أبو بكر بن أبي خيثمة البغدادي، أبو بكر النسائي الحافظ، صاحب التاريخ الكبير الكثير الفائدة، كان ثقة، عالما، متقنًا، حافظًا، بصيرًا بأيام الناس، راوية للأدب، توفي رحمه الله سنة (٢٧٩هـ).

ينظر: تاريخ بغداد (٥/ ٢٦٥)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٤٩٢)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (١/ ١٩٦).

ولم أعثر على هذا الحديث في كتب ابن أبي خيثمة المطبوعة والعلم عند الله.

(٥) فتح الباري (١١/ ٣٣٧).

(٦) الأخلاص حقيقته ونواقضه(٣٦٨-٣٧٠).

١- كثرة إطراء النفس والحديث عنها.

٢- التمطيط بقراءة القرآن وإخراجها عن الحد المشروع في القراءة، حتى يخيل لك أنه لا يقرأ وإنما ينشد شعرًا، ويتفاعل مع جماهير السامعين ويردد الآية لا للتدبر، وإنما للتمطيط وزيادة التنغيم والدخول من مقام إلى مقام آخر، حتى يشبع رغبة في نفسه بحب ثناء الناس ومدحهم.

٣- لا يحب الناصح، ويرى أنه ينزل من قدره.

٤- إذا ألقى درسًا أو موعظة ولم يلق مدحًا ولا ثناء يغضب في داخل نفسه، وربما لا يواصل درسه أو مواعظه في نفس المكان.

٥- كثير النقد والاعتراض على الآخرين.

٦- يتصيد الأخطاء ويفرح بها، ويضخمها وهي صغيرة؛ ليشعر من يسمعه أنه عنده غيرة على الدين.

سادسًا: تنبيه:

أما ما يسمعه الإنسان عنه من ثناء حسن من غير قصد لذلك، وتطلع إليه، فلا يدخل في السمعة المذمومة؛ لأن هذا مما استثناه الحديث، فعَنْ أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: أَرَأَيْتَ الرَّجُلَ يَعْمَلُ الْعَمَلَ مِنَ الْخَيْرِ، وَيَحْمَدُهُ النَّاسُ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ»[١].

نقل النووي كلام العلماء في معنى قوله ﷺ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» فقال رحمه الله: "قال العلماء: معناه: هذه البشرى المعجلة له بالخير وهي دليل على رضاء الله تعالى عنه ومحبته له، فيحببه إلى الخلق كما سبق في الحديث[٢]، ثم يوضع له القبول

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أثني على الصالح فهي بشرى ولا تضره (٤/ ٢٠٣٤) ح (٢٦٤٢).

(٢) يشير رحمه الله إلى حديث: « إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ العَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ، فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ: إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ القَبُولُ فِي =

في الأرض، هذا كله إذا حمده الناس من غير تعرض منه لحمدهم، وإلا فالتعرض مذموم"[١].

قال السيوطي[٢] رحمه الله: "قال: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ» أي: هذه البشرى المعجلة دليل للبشرى المؤخرة إلى الآخرة"[٣].

سابعًا: خطر السمعة على الداعية:

يقال هنا ما قيل في خطر الرياء[٤] لتقارب الآفتين، ويضاف ما ورد في الحديث: «مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ» الحديث.

يَقُولُ ﷺ: «مَنْ سَمَّعَ النَّاسَ بِعَمَلِهِ سَمَّعَ اللهُ بِهِ سَامِعَ خَلْقِهِ، وَصَغَّرَهُ وَحَقَّرَهُ»، قَالَ الراوي: فَذَرَفَتْ عَيْنَا عَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ.

ففي هذين الحديثين بيان عقوبة من يقع في السمعة في الدنيا والآخرة.

وذكر أهل العلم[٥] في شرح هذا الحديث عدة معان تدل على خطورة السمعة،

الأَرْضِ»، وحديث أَبِي ذَرٍّ ﷺ قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، الرَّجُلُ يَعْمَلُ لِنَفْسِهِ فَيُحِبُّهُ النَّاسُ؟ قَالَ: «تِلْكَ عَاجِلُ بُشْرَى الْمُؤْمِنِ». أخرجه أحمد في المسند (٣٥/ ٣٧٩) ح (٢١٤٧٧)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٣٥/ ٣٧٩) ح (٢١٤٧٧).

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٨٩).

(٢) الإمام الكبير صاحب التصانيف النحوي اللغوي المفسر عبد الرحمن بن أبي بكر بن مُحَمَّد السيوطي، جلال الدين، حافظ مؤرخ أديب، وله الكثير من المصنفات في شتى الفنون منها: الدر المنثور، تدريب الراوي، الاتقان في علوم القرآن وغيرها، في تفسيره يميل إلى طريقة الأشاعرة في الصفات، توفي رحمه الله سنة (٩١١هـ).

ينظر: البدر الطالع (١/ ٣٢٨)، الأعلام (٣/ ٣٠١)، الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة (٢/ ١١٥٣).

(٣) شرح السيوطي على مسلم (٥/ ٥٥٦) ت: أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفان، الخبر، ط١، ١٤١٦هـ.

(٤) ينظر: ص (٦٦٤).

(٥) ينظر في ذلك: شرح النووي على مسلم (١٨/ ١١٦)، فتح الباري لابن حجر (١١/ ٣٣٦-٣٣٧).

ودونك أهمها:

١- أنه إذا عمل يريد سماع ثناء الناس ليكرموه ويعظموه ويعتقدوا خيره سمع الله به يوم القيامة الناس وفضحه.

٢- يفضحه الله في الدنيا ويظهر ما كان يبطنه ويخفيه عن الناس.

٣- وقيل: إذا أراد بالسمعة الجاه والمنزلة عند الناس ولم يرد به وجه الله فإن الله يجعله حديثًا عند الناس الذين أراد نيل المنزلة عندهم، ولا ثواب له في الآخرة.

٤- وقيل: المعنى: من سمع بعيوب الناس وأذاعها أظهر الله عيوبه وسمعه المكروه.

٥- وقيل: المعنى: من نسب إلى نفسه عملًا صالحًا لم يفعله وادعى خيرًا لم يصنعه، فإن الله يفضحه ويظهر كذبه.

المطلب الثالث: الكبر:

أولًا: تعريفه:

الكبر: العظمة، وكذلك الكبرياء. ويقال: ورثوا المجد كابرًا عن كابر، أي: كبيرًا عن كبير في الشرف والعز، والاستكبار الامتناع عن قبول الحق، وأعظم التّكبّر التّكبّر على الله بالامتناع من قبول الحقّ والإذعان له بالعبادة[١].

الكبر في الشرع: يكفي في تعريفه ما ذكره النبي ﷺ عنه فقال: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ».

ومعنى الحديث: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ» بمعنى رد الحق ودفعه وإنكاره ترفعًا وتجبرًا، «وَغَمْطُ النَّاسِ» أي: احتقارهم[٢].

---

(١) ينظر: مقاييس اللغة (٥/ ١٥٤)، المفردات في غريب القرآن (٦٩٧)، لسان العرب (٥/ ١٢٦) مادة (كبر).

(٢) ينظر: شرح النووي على مسلم (٢/ ٩٠).

ثانيًا: حكم الكبر:

جاءت النصوص بالتحذير والتنفير منه، فقال تعالى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٠].

وقال تعالى: ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ [الزمر: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ [غافر: ٣٥].

وكل هذه الآيات تبين خطورة هذا الذنب العظيم، وقبحه وعظيم حرمته عند الله، وأثره على من يقع فيه.

قال القرطبي رحمه الله: "﴿يَطْبَعُ ٱللَّهُ﴾ أي: يختم ﴿عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾ حتى لا يعقل الرشاد ولا يقبل الحق"(١).

(١) تفسير القرطبي (١٥/ ٣١٣).

وقال تعالى عن قول قوم صالح لمن آمن منهم: ﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [الأعراف: ٧٦].

وقال السعدي رحمه الله: "حملهم الكبر أن لا ينقادوا للحق الذي انقاد له الضعفاء"[(١)].

وعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ يُحِبُّ أَنْ يَكُونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً! قَالَ: «إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ».

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنهما قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْعِزُّ إِزَارُهُ، وَالْكِبْرِيَاءُ رِدَاؤُهُ، فَمَنْ يُنَازِعُنِي عَذَّبْتُهُ»[(٢)].

قال النووي رحمه الله في شرح الحديث: "فالضمير في «إزاره ورداؤه» يعود إلى الله تعالى للعلم به، وفيه محذوف تقديره: قال الله تعالى: «ومن ينازعني ذلك أعذبه» ومعنى «ينازعني»: يتخلق بذلك، فيصير في معنى المشارك، وهذا وعيد شديد في الكبر مصرح بتحريمه"[(٣)].

وعن حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ ﷺ: «كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ»، ثُمَّ قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ؟» قَالُوا: بَلَى، قَالَ: «كُلُّ عُتُلٍّ جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ»[(٤)].

وقال النووي رحمه الله: "أما العُتُل.. فهو الجافي الشديد الخصومة بالباطل، وقيل:

---

(١) تفسير السعدي (٢٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر (٤/ ٢٠٢٣) ح (٢٦٢٠).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٧٣).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء (٤/ ٢١٩٠) ح (٢٨٥٣).

الجافي الفظ الغليظ، وأما الجَوَّاظ.. فهو الجموع المنوع، وقيل: كثير اللحم المختال في مشيته، وقيل: القصير البطين.. وأما المتكبر والمستكبر فهو صاحب الكبر، وهو بطر الحق وغمط الناس"(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله مفصلًا القول في حكم الكبر: "فالذي في قلبه كبر، إما أن يكون كبرًا عن الحق وكراهة له، فهذا كافر مخلد في النار ولا يدخل الجنة؛ لقول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٩]، ولا يحبط العمل إلا بالكفر كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ۖ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

وأما إذا كان كبرًا على الخلق وتعاظمًا على الخلق، لكنه لم يستكبر عن عبادة الله، فهذا لا يدخل الجنة دخولًا كاملًا مطلقًا لم يسبق بعذاب؛ بل لا بد من عذاب على ما حصل من كبره وعلوائه على الخلق، ثم إذا طهر دخل الجنة"(٢).

وبهذا يتضح أن منه ما هو كفر أكبر يخلد في النار، ومنه ما هو كبيرة من الكبائر وصاحبه على خطر عظيم.

ثالثًا: صور من الكبر عند من ابتلي به:

١- رد الحق وعدم قبوله بحجج واهية ظاهرها شيء قد يقبل عند الناس، وباطنها الكبر، منها بحجة أنهم أقل علمًا، أو أصغر سنًّا، أو لا يملكون خبرة كافية ونحو ذلك من الحجج، التي يبرر بها رده للحق.

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٧/ ١٨٨).

(٢) شرح رياض الصالحين (٣/ ٥٤١-٥٤٢).

٢- احتقار الناس وازدراؤهم، والتعالي عليهم بنسبه أو بمنصبه أو بشهادته العلمية أو بماله ونحو ذلك.

٣- النفور من مجالسة الفقراء والمساكين وعامة الناس بحجة أن ذلك يسقط هيبته ومكانته العلمية.

رابعًا: خطر الكبر على الداعية:

١- انفضاض الناس من حوله، ونفورهم من دعوته.

٢- الذل والهوان والخذلان وقلة التوفيق وتسلط الشياطين في الدنيا.

٣- الذل والهوان في الآخرة ودخول أشد العذاب في النار، كما في الحديث عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُوَرِ النَّاسِ، يَعْلُوهُمْ كُلُّ شَيْءٍ مِنَ الصَّغَارِ، حَتَّى يَدْخُلُوا سِجْنًا فِي جَهَنَّمَ، يُقَالُ لَهُ: بُولَسُ، فَتَعْلُوَهُمْ نَارُ الْأَنْيَارِ، يُسْقَوْنَ مِنْ طِينَةِ الْخَبَالِ، عُصَارَةِ أَهْلِ النَّارِ»[1].

المطلب الرابع: كيفية التخلص من هذه الآفات:

ولتقارب هذه الآفات العجب والرياء والكبر، فإني أجمل أهم أسباب التخلص منها في النقاط الآتية:

أولًا: مطالعة القلب لأسماء الله وصفاته، وبالأخص أسماء الله السميع البصير العليم الخبير؛ فإن لها أثرًا عظيمًا في بعد القلب عن مزالق هذه الآفات؛ لأنه يستحي من الله أن يطلع على قلبه وفيه شيء من الآفات، فيمقته:

(١) أخرجه أحمد (١١/ ٢٦٠) ح (٦٦٧٧)، والترمذي في صفة القيامة والرقائق والورع، باب.. (٤/ ٦٥٥) ح (٢٤٩٢) وقال: "حديث حسن"، وقال البغوي في شرح السنة (١٣/ ١٦٧) ح (٣٥٩٠): "هذا حديث حسن"، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ١٠٧) ح (٢٩١١) وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (١١/ ٢٦٠) ح (٦٦٧٧).

ودونك هذه الأدلة من كتاب الله تذكر القلوب باطلاع الله عليها وعلمه بها وسمعه وبصره المحيط بكل شيء، وإن المتدبر لهذه الآيات بقلبه، وهو يستحضر معناها وأثرها على قلبه، سيكون لذلك أعظم الأثر في محاسبة نفسه على التخلص من هذه الآفات.

قال تعالى: ﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾[البقرة: ٧٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ﴾ [التوبة: ٧٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

وقال تعالى: ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ﴾ [النحل: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ

ٱلۡأُمُورُ ۝٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الحديد: ٤-٦].

وقال تعالى: ﴿وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ۝١٣ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣، ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾ [التوبة: ١٦].

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ﴾ [الشورى: ٢٧].

وقال: ﴿وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِي ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[الأنعام: ١٣].

وقال تعالى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

وقال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ﴾ [الحج: ٦١].

وقال تعالى: ﴿قَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوۡجِهَا وَتَشۡتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسۡمَعُ تَحَاوُرَكُمَآۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

والآيات في هذا المعنى كثيرة، والناظر في هذه الآيات بقلب حاضر يتدبر كلام الله ويؤمن بيقين أن الله مطلع عليه عالم بسره ونجواه يسمعه ويراه، فلا بد أن يحدث في قلبه خوفًا وحياء من الله، وحذرًا من الوقوع في هذه الآفات.

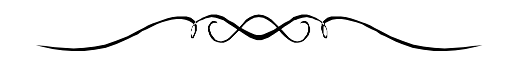
ثانيًا: من أعظم أسباب علاج هذه الآفات الاطلاع على آثارها في الدنيا والآخرة:

وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في خطر هذه الآفات[١].

ثالثًا: من أسباب علاج هذه الآفات الدعاء بأن يذهبها الله من قلب العبد.

رابعًا: الاستعاذة بالله من هذه الآفات، كما في الحديث عن معقل بن يسار قال: انْطَلَقْتُ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ ﷺ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، لَلشِّرْكُ فِيكُمْ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَهَلِ الشِّرْكُ إِلَّا مَنْ جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ؟! فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَلشِّرْكُ أَخْفَى مِنْ دَبِيبِ النَّمْلِ، أَلَا أَدُلُّكَ عَلَى شَيْءٍ إِذَا قُلْتَهُ ذَهَبَ عَنْكَ قَلِيلُهُ وَكَثِيرُهُ؟» قَالَ: «قُلِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ»[٢].

خامسًا: محاسبة النفس، ومجاهدتها على التخلص من هذه الآفات.



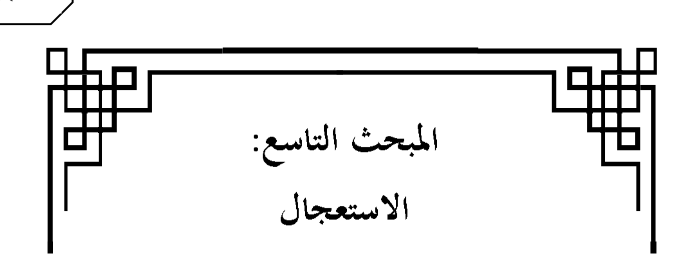
(١) ينظر خطر العجب (٦٦٠)، خطر الرياء (٦٦٥)، خطر الكبر (٦٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد (٣٧٧) ح (٧١٦) وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (٢٦٥-٢٦٦) ح (٥٥٤)، وصححه أيضًا في صحيح الجامع (١/ ٦٩٤) ح (٣٧٣١)، وحسنه لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (١/ ١٢١) ح (٣٦)، وقد قال العلامة ابن باز رحمه الله في برنامج الفتاوى الشهير (نور على الدرب) عن هذا الحديث: "لا أعلم به بأسًا سنده لا أعلم به علة".

ينظر: الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز على الرابط:

ttps://binbaz.org.sa/fatwas/١١٤٣٤/

وبناء على ما قاله هذان العَلمان في الحكم على الحديث فهو حديث صحيح، والله أعلم.



المبحث التاسع: الاستعجال

وهي آفة تصيب بعض الدعاة بسبب قلة صبرهم وضعف البصيرة والحكمة، وقد سبقت الإشارة إلى هذا الداء[١]، وسأضيف إلى ما سبق الآتي:

أولًا: معناه: لغة:

الاستعجال من العَجَلَةِ وهي: الإسراع بخلاف البطء.

يقال: أعجله وعجله تعجيلًا، أي: استحثه[٢].

والاستعجال في **الاصطلاح**: هو العجلة، وقد عرفها الراغب رحمه الله بقوله: "العَجَلَةُ: طلب الشيء وتحرّيه قبل أوانه، وهو من مقتضى الشّهوة"[٣].

ثانيًا: حكمه:

قسم العلماء الاستعجال إلى ممدوح ومذموم، ولكل منهما صور، والذي يهمني في هذا المبحث الاستعجال المذموم وهو الغالب عليه، وعده ابن حجر الهيتمي[٤]

(١) ينظر: ص (٥٤٢).

(٢) ينظر: الصحاح (٥/ ١٧٦٠)، مقاييس اللغة (٤/ ٢٣٧)، لسان العرب (١١/ ٤٢٥) مادة (عجل).

(٣) المفردات (٥٤٨).

(٤) أحمد بن مُحَمَّد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، الفقيه المحدث الصوفي، له تصانيف كثيرة منها: الزواجر عن أقتراف الكبائر، تحفة المحتاج لشرح المنهاج في فقه الشافعية وغير ذلك، له كلمات جيدة في الرد على القبورية وفضح الروافض وبيان ضلالهم، توفي رحمه الله سنة (٩٦٥هـ).
ينظر: النور السافر عن أخبار القرن العاشر (٢٥٨) لمحيي الدين العيدروس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ، الأعلام (١/ ٢٣٤) موسوعة مواقف السلف (٨/ ٥٣٦).

رحمه الله من كبائر الذنوب[١]، وجاءت النصوص بذمه، ومنها:

قول الله تعالى: ﴿وَيَدْعُ ٱلْإِنسَـٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِ ۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾ [الإسراء: ١١].

قال ابن كثير رحمه الله: "يخبر تعالى عن عجلة الإنسان، ودعائه في بعض الأحيان على نفسه أو ولده أو ماله ﴿بِٱلشَّرِّ﴾ أي: بالموت أو الهلاك والدمار واللعنة ونحو ذلك، فلو استجاب له ربه لهلك بدعائه، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١]، وكذا فسره ابن عباس ومجاهد وقتادة... وفي الحديث: «لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ؛ لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ»[٢]، وإنما يحمل ابن آدم على ذلك عجلته وقلقه؛ ولهذا قال تعالى ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ عَجُولًا ﴾"[٣].

وقال تعالى: ﴿خُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ مِنْ عَجَلٍ ۚ سَأُو۟رِيكُمْ ءَايَـٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الأنبياء: ٣٧].

قال القرطبي رحمه الله في تفسيره: "أي: طَبْعُ الإنسان العجلة، فيستعجل كثيراً من الأشياء وإن كانت مضرة"[٤].

وقال تعالى: ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ۚ

(١) ينظر: الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ١٤١) لابن حجر الهيتمي، دار الفكر، ط١، ١٤٠٧هـ.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر (٤/ ٢٣٠٤) ح (٣٠٠٩).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٤٩) مع بعض التصرف اليسير.

(٤) تفسير القرطبي (١١/ ٢٨٨).

﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝٥٣ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٥٣، ٥٤]

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «التَّأَنِّي مِنَ اللَّهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ»، وسبق الكلام على الحديث[(١)].

وعَنْ خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ مُتَوَسِّدٌ بُرْدَةً لَهُ فِي ظِلِّ الكَعْبَةِ، قُلْنَا لَهُ: أَلاَ تَسْتَنْصِرُ لَنَا؟! أَلاَ تَدْعُو اللَّهَ لَنَا؟! قَالَ: «كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ، فَيُجْعَلُ فِيهِ، فَيُجَاءُ بِالْمِنْشَارِ، فَيُوضَعُ عَلَى رَأْسِهِ، فَيُشَقُّ بِاثْنَتَيْنِ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَيُمْشَطُ بِأَمْشَاطِ الحَدِيدِ مَا دُونَ لَحْمِهِ مِنْ عَظْمٍ أَوْ عَصَبٍ، وَمَا يَصُدُّهُ ذَلِكَ عَنْ دِينِهِ، وَاللَّهِ لَيُتِمَّنَّ هَذَا الأَمْرَ، حَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ مِنْ صَنْعَاءَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، لاَ يَخَافُ إِلَّا اللَّهَ، أَوِ الذِّئْبَ عَلَى غَنَمِهِ، وَلَكِنَّكُمْ تَسْتَعْجِلُونَ».

قال أبو إسحاق القيرواني[(٢)] رحمه الله: "قال بعض الحكماء: إياك والعجلة؛ فإنّ العرب كانت تكنيها أمّ الندامة؛ لأنّ صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكّر، ويقطع قبل أن يقدّر، ويحمد قبل أن يجرّب، ويذمّ قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصفة أحد إلّا صحب الندامة، واعتزل السلامة"[(٣)].

ثالثًا: خطر الاستعجال:

إن الداعية إلى الله تعالى بحاجة ماسة إلى ضبط النفس والتأني، والبصيرة

---

(١) ينظر: ص (٥٣٢).

(٢) إبراهيم بن علي بن تميم الأنصاري، أبو إسحاق الحُصري القيرواني الأديب، شاعر المغرب، وله من المصنفات زهر الآداب وثمر الألباب وغيره، توفي رحمه الله سنة (٤٥٣هـ).

ينظر: وفيات الأعيان (١/ ٥٤)، سير أعلام النبلاء (١٨/ ١٣٩)، الأعلام (١/ ٥٠).

(٣) زهر الآداب وثمر الألباب (٤/ ٩٤٢).

والحكمة، والبعد عن الاستعجال، وأن يسير في دعوته وفق منهج الأنبياء مع التدرج وعدم طوي المراحل بعجلة؛ لأن الدعوة توجه إلى أقوام بعضهم ألفت نفسه المنكر، بل يصل الأمر ببعضهم لجهله أن يرى أن الدعاة يقفون في طريق رزقه، ويواجهها كذلك أعداء شرسون في عدائهم، يستميتون في الدفاع عن باطلهم، متمرسون في البحث عن الثغرات، ليصدوا الناس عن الخير ببعض ما يصدر من الدعاة من خلل في فقه الموازنات، فإذا استعجل الداعية في دعوته وتحمس حماسًا غير منضبط بضوابط الفقه في الدعوة، فإنه يخسر أكثر مما يكسب، إن الناس إذا ألفوا المنكر وأراد الداعية أن يبعدهم عنه بدون مقدمات توقظ في القلب مخافة الله وخشيته، وذلك عن طريق الترغيب والترهيب أولًا قبل الكلام في إنكار المنكر الذي إلفه الناس، فإنه قد ينفر الناس من دعوته، كما تقول عائشة ﵂: "إِنَّمَا نَزَلَ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِنْهُ سُورَةٌ مِنَ المفَصَّلِ، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ النَّاسُ إِلَى الإِسْلاَمِ نَزَلَ الحَلاَلُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لاَ تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لاَ تَزْنُوا، لَقَالُوا: لاَ نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا.."(١).

وربما يؤدي استعجال الداعية إلى تعثر الدعوة أو إيقاف مناشطها، كما يقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله لابنه عبد الملك(٢) الذي كان يرى سرعة التغيير والعجلة فيه.

قال ابن عبد الحكم المصري(٣) رحمه الله: "لما ولي عمر بن عبد العزيز قال له ابنه

(١) البخاري (٦/ ١٨٥).

(٢) عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز الأموي، وكان يَفْضُلُ على والده في العبادة والانقطاع عن الناس، كان رجلًا صالحًا يعين أباه على رد المظالم ويحثه على ذلك، مات في حياة أبيه عليه رحمة الله سنة (١٠٠هـ).
ينظر: تاريخ دمشق (٣٧/ ٣٨)، تاريخ الإسلام (٢/ ١١٣٤)، البداية والنهاية (١٢/ ٦٧٤).

(٣) عبد الله بن عبد الحكم بن أعين بن ليث، أبو محمد المصري الإمام، الفقيه، مفتي الديار المصرية، المالكي، صاحب مالك، وله كتاب مناقب عمر بن عبد العزيز وغيره، وقد سارت بتصانيفه الركبان، توفي رحمه الله سنة (٢١٤هـ).

=

عبد الملك: إني لأراك -يا أبتاه- قد أخرت أمورًا كثيرة، كنت أحسبك لو وليت ساعة من النهار عجلتها، ولوددت أنك قد فعلتَ ذلك ولو فارت بي وبك القدور. قال له عمر: أي بني، إنك على حسن قسم الله لك، وفيك بعض رأي أهل الحداثة، والله ما أستطيع أن أخرج لهم شيئًا من الدين إلا ومعه طرف من الدنيا أستلين به قلوبهم؛ خوفًا أن ينخرق علي منهم ما لا طاقة لي به"[(١)].

وقريبًا من هذا ذكر الشاطبي[(٢)] فقال رحمه الله: "وفيما يحكى عن عمر بن عبد العزيز أن ابنه عبد الملك قال له: ما لك لا تنفذ الأمور؟! فوالله، ما أبالي لو أن القدور غلت بي وبك في الحق. قال له عمر: لا تعجل يا بني؛ فإن الله ذم الخمر في القرآن مرتين، وحرمها في الثالثة، وإني أخاف أن أحمل الناس على الحق جملة، فيدفعوه جملة، ويكون من ذا فتنة"[(٣)].

ثالثًا: من صور الاستعجال ومظاهره عند من ابتلي به من الدعاة:

١- التصادم مع الناس، لأجل تغيير المنكرات بدون فقه الأمر والنهي.

= وفيات الأعيان (٣/ ٣٤)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٢٢٠)، الأعلام (٤/ ٩٥).

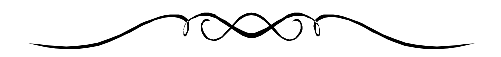
(١) سيرة عمر بن عبد العزيز (٥٧) لأبي مُحَمَّد عبد الله بن عبد الحكم المصري، ت: أحمد عبيد، عالم الكتب بيروت، ط٦، ١٤٠٤هـ.

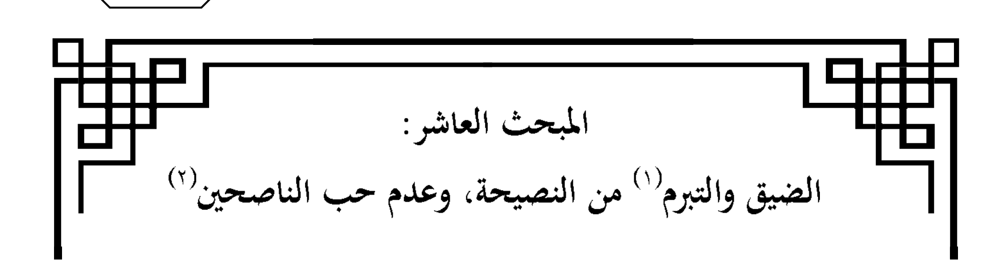
(٢) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن مُحَمَّد اللخمي الغرناطي المالكي، الشهير بالشاطبي، أصولي حافظ محدث، لغوي مفسر مع الصلاح والعفة، والورع واتباع السنة واجتناب البدع، وله من المصنفات الاعتصام والموافقات، وله القدم الراسخ والإمامة في الفنون فقهًا وأصولًا وتفسيرًا وحديثًا وعربية وغيرها، مع التحري والتحقيق. توفي رحمه الله سنة (٧٩٠هـ).
ينظر: نيل الابتهاج بتطريز الديباج (٤٨) لأحمد بابا بن أحمد التكروري التنبكتي السوداني، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس ليبيا، ط٢، ٢٠٠٠م، الأعلام (١/ ٧٥) موسوعة مواقف السلف (٨/ ٤٠٤).

(٣) الموافقات (٢/ ١٤٨) للشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.

٢- التصادم مع الحكومات لأجل المسارعة بتطبيق شرع الله، وتغيير المنكرات الظاهرة باليد دون أن يملك سلطة، ودون مراعاة فقه الموازنات بين المصالح والمفاسد، وعدم مراعاة أوضاع المجتمعات وأحوال الناس، وتسلط الأعداء، وسنن الله في الكون.

٣- إبراز قدوات للناس ليسوا بأهل لذلك؛ بسبب قلة العلم وضعف التربية، فيؤدي إلى تشويه سمعة الدعاة ونفور الناس من الدعوة.





المبحث العاشر:
الضيق والتبرم[١] من النصيحة، وعدم حب الناصحين[٢]

الضيق من النصيحة الحقة، وعدم حب الناصحين دليل على مرض في القلب وفساد فيه، وهو من أحوال الضالين أعداء الرسل.

ذكره الله في كتابه على لسان نبيه صالح عليه السلام، وهو يخاطب قومه، فقال تعالى: ﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٧٩].

قال السعدي رحمه الله: "﴿فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ﴾ صالح عليه السلام حين أحل الله بهم العذاب، ﴿وَقَالَ﴾ مخاطبًا لهم توبيخًا وعتابًا بعدما أهلكهم الله: ﴿يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ﴾ أي: جميع ما أرسلني الله به إليكم، قد أبلغتكم به وحرصت على هدايتكم، واجتهدت في سلوككم الصراط المستقيم والدين القويم، ﴿وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾، بل رددتم قول النصحاء، وأطعتم كل شيطان رجيم"[٣].

ورد النصيحة الحقة وعدم قبولها دليل على الكبر في القلب؛ لأن النبي ﷺ يقول عن الكبر: «الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ».

---

(١) أي: التضجر من النصيحة.
ينظر: تهذيب اللغة (١٥/ ١٥٩) مادة (برم).

(٢) ينظر في ذلك: الأحكام الفقهية المتعلقة بالنصيحة (٢١-٢٣) بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد الثاني، شوال عام ١٤٣٣هـ، وهي مجلة علمية متخصصة محكمة، تصدر من مصر.

(٣) تفسير السعدي (٢٩٥).

وبطر الحق رده، والنصيحة من الحق، خاصة إذا كانت بما أمر الله به أو نهى الله عنه، فردها والضيق منها أمر محرم، يكون من باب المكابرة والإعراض، وينطبق عليه قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

ويجب قبول النصيحة ممن بذلها وعدم ردها إذا كانت حقًّا؛ لأنها داخلة في الاستجابة لله والرسول، وقد أمر الله بذلك، والأمر يقتضي الوجوب، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

والنصيحة التي يجب قبولها لا بد أن تشتمل على الدليل الشرعي، ولأن الناصح إذا أمر بحق عليه من الله برهان من كتاب أو سنة صحيحة، فما على المنصوح إلا أن يرضى ويسلم، ويقول: سمعنا وأطعنا، كما قال الله عن المؤمنين: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١]، ولا يرد النصيحة، فيكون من الذين قال الله فيهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [البقرة: ٢٠٦]، ورد النصيحة الحقة يدخل في كره الحق الذي كان سببًا لدخول النار والمكوث فيها، كما قال الله تعالى عن أهل النار: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾ [الزخرف: ٧٤-٧٨].

وإذا كان الداعية مصابًا بهذا الداء، ينفر من نصيحة الناصحين الصادقين، ويضيق بها، ويظهر عليه التبرم منها، فليسارع في علاج قلبه، ويسأل الله أن يطهر قلبه

من الأمراض التي فيه، ويجاهد نفسه على ذلك؛ حتى يجد نفسه تقبل على قبول نصح الناصحين، والانتفاع بتذكير المذكرين؛ لأن المسلم مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيبًا نصحه وسدده، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ» الحديث[١]، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ موقوفًا قَالَ ﵁: "الْمُؤْمِنُ مرآة أخيه، إذا رأى فيه عيبًا أصلحه"[٢].

بل يعتبر الداعية الموفق أن من ينصحه يسدي له خدمة عظيمة ينبغي أن يدعو له، كما دل على ذلك قول عمر ﵁: "رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَهْدَى إِلَيَّ عُيُوبِي"[٣].

وفي المقابل على الداعية الناصح أن يلتزم بالشروط والضوابط الشرعية في نصحه، حتى لا يكون سببًا في نفور الناس من النصيحة، ودونك بعض شروط وضوابط النصيحة الحقة[٤]:

١- الإخلاص لله تعالى:

أن يكون مقصد الناصح وجه الله تعالى، لا يريد جزاء ولا شكورًا من المنصوح، وإنما يريد بنصحه دلالته على الخير، أو تحذيره من الشر.

٢- أن يكون المنصوح به صوابًا دل عليه الشرع:

---

(١) أخرجه أبو داود في كتاب الأدب، باب في النصيحة والحياطة (٤/ ٢٨٠) ح (٤٩١٨)، وحسن إسناده في الأحاديث المختارة (٦/ ١٧٩) ح (٢١٨٥)، وحسنه العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (٦٣٩)، وحسن إسناده الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (٢/ ٥٩٦) ح (٩٢٦)، وحسن إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٧/ ٢٧٩) ح (٤٩١٨).

(٢) الجامع لابن وهب (٣٠٠)، ت: مصطفى أبو الخير، دار ابن الجوزي، الرياض، ط١، ١٤١٦هـ، والبخاري في الأدب المفرد (٩٣) رقم (٢٣٨)، وهو في صحيح الأدب المفرد (١٠٦) رقم (٢٣٨).

(٣) الدارمي في سننه (١/ ٥٠٩) في رسالة عباد الشامي، ت: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.

(٤) ينظر في ذلك: فقه النصيحة (٤٧-٥٩) للدكتوره: الجوهرة الطريفي، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام، ١٤٣٥هـ، الأحكام الفقهية المتعلقة بالنصيحة (٢٧-٣٤).

كما سبق أن يدل على المنصوح به الكتاب والسنة الصحيحة.

٣- العلم الشرعي المؤهل للناصح:

لأن الناصح بلا علم ما يفسده أكثر مما يصلحه، فقد ينفر المنصوح بأسلوبه، وقد تكون موعظته ليست حسنة كما أمر الشرع بذلك.

٤- العلم بحدود ما ينصح به، وذلك وفق الأمور الآتية:

أ- أن يكون معروفًا دل الدليل عليه، أو منكرًا دل الدليل على النهي عنه.

ب- إذا كان المنهي عنه منكرًا، فيكون ظاهرًا من غير تجسس.

ت- أن لا يكون الْمُنْكَرُ من المسائل الخلافية الاجتهادية، وذلك بأن يكون في المسائل التي فيها مجال للنظر والاختلاف لعدم وجود الدليل، قال ابن القيم رحمه الله: "وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع وللاجتهاد فيها مساغ لم تنكر على من عمل بها مجتهِدًا أو مقلِّدًا"[(١)].

أما إذا كانت المسألة خلافية، لكن ثبت فيها نص أو نصوص صريحة تدل على صحة أحد الأقوال فيها، فهذه تكون فيها النصيحة؛ لأن المخالف خالف نصًّا أو نصوصًا صريحة تدل على صحة أحد الأقوال في المسألة المختلف فيها.

٥- أن تكون النصيحة سرًّا:

وذلك أدعى لقبولها، ويتأكد ذلك إذا كان المنصوح له سلطة على الناصح؛ كالوالدين، وولاة الأمر، وأهل العلم.

٦- أن تكون النصيحة بشفقة ورحمة ورفق لا ازدراء فيها ولا تعيير:

قال ابن رجب رحمه الله في كتابه المهم في هذا الشأن (الفرق بين النصيحة والتعيير): "فشتان بين من قصده النصيحة وبين من قصده الفضيحة، ولا تلتبس

(١) إعلام الموقعين (٣/ ٢٢٤).

إحداهما بالأخرى إلا على من ليس من ذوي العقول الصحيحة"[١].

٧- أن يسلك طريق الحكمة في النصيحة.

٨- اختيار الوقت المناسب للنصيحة:

وقد مر الكلام على هذه الأمور في مسألة الحكمة[٢].

٩- الصبر على الأذى:

صبر الناصح على الأذى من المنصوح أدب مهم لنجاح الداعية في نصحه، قال لقمان لابنه كما ذكر الله تعالى في وصيته الثمينة: ﴿وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧].

١٠- أن يكون الناصح قدوة حسنة:

وهذا أدعى لقبول النصح، وبما أن النصح داخل في الأمر والنهي، فإنه يقتضي التنبيه على مسألة مهمة، وهي عدم الاحتجاج بحديث: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ، مَا شَأْنُكَ؟! أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المنْكَرِ؟! قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المنْكَرِ وَآتِيهِ»[٣] أي: لا يحتج به على ترك الأمر والنهي والنصح، خوفًا من الوقوع في هذه العقوبة، ولا شك أنه ينبغي على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يكون قدوة حسنة ليكون لأمره ونهيه أثر، لكن لا يسقط الأمر والنهي لأجل قصور الآمر والناهي وتفريطه، بل يجب

---

(١) الفرق بين النصيحة والتعيير (١٩) علق عليه وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبد الحميد، الناشر: دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٠٩هـ.

(٢) ص (٥٣٢، ٥٣٦).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب صفة النار وأنها مخلوقة (٤/ ١٢١) ح (٣٢٦٧)، ومسلم في كتاب الزهد والرقائق، باب عقوبة من يأمر بالمعروف ولا يفعله، وينهى عن المنكر ويفعله (٤/ ٢٢٩٠) ح (٢٩٨٩).

الأمر والنهي بحسب وسعه، ولا يسقط عنه حتى لو كان يقع فيما ينهى عنه أو يترك ما يأمر به، وقال القرطبي رحمه الله: "وليس من شرط الناهي أن يكون عدلًا عند أهل السنة، خلافًا للمبتدعة حيث تقول: لا يغيره إلا عدل، وهذا ساقط، فإن العدالة محصورة في القليل من الخلق، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عام في جميع الناس"(١).

وقال ابن عطية رحمه الله(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ﴾ [المائدة: ٧٩]: "والإجماع على أن النهي عن المنكر واجب لمن أطاقه ونهى بمعروف وأمن الضرر عليه وعلى المسلمين، فإن تعذر على أحد النهي لشيء من هذه الوجوه ففرض عليه الإنكار بقلبه وأن لا يخالط ذا المنكر، وقال حذاق أهل العلم: ليس من شروط الناهي أن يكون سليمًا من المعصية، بل ينهى العصاة بعضهم بعضًا، وقال بعض الأصوليين فرض على الذين يتعاطون الكؤوس أن ينهى بعضهم بعضًا، واستدل قائل هذه المقالة بهذه الآية؛ لأن قوله: ﴿يَتَنَاهَوْنَ﴾ و﴿فَعَلُوهُ﴾ يقتضي اشتراكهم في الفعل وذمهم على ترك التناهي"(٣).

وقال النووي رحمه الله: "قال العلماء: ولا يشترط في الآمر والناهي أن يكون كامل الحال، ممتثلًا ما يأمر به مجتنبًا ما ينهى عنه، بل عليه الأمر وإن كان مخلًّا بما

---

(١) تفسير القرطبي (٤/ ٤٧).

(٢) الإمام، العلامة، شيخ المفسرين، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الغرناطي، وكان رحمه الله إمامًا في الفقه، وفي التفسير، وفي العربية، قوي المشاركة، ذكيًّا فطنًا مدركًا، من أوعية العلم، يقول الذهبي عنه في تاريخ الإسلام: "ولو لم يكن له إلّا تفسيره الكبير لكَفَاه"، وتوفي رحمه الله سنة (٥٤١هـ)، وقيل: (٥٤٢هـ).

ينظر: سير أعلام النبلاء (١٩/ ٥٨٧)، تاريخ الإسلام (١١/ ٧٨٧)، الأعلام (٣/ ٢٨٢).

(٣) تفسير ابن عطية (٢/ ٢٢٤) واسم تفسيره: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

يأمر به، والنهي وإن كان متلبسًا بما ينهى عنه؛ فإنه يجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخلَّ بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر؟!"(١).

وفي تفسير القرطبي رحمه الله: "قال الحسن لمطرف بن عبد الله(٢): عظ أصحابك، فقال: إني أخاف أن أقول ما لا أفعل، قال: يرحمك الله، وأيُّنا يفعل ما يقول؟! ويود الشيطان أنه قد ظفر بهذا، فلم يأمر أحد بمعروف ولم ينه عن منكر.

وقال مالك، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن(٣): سمعت سعيد بن جبير يقول: لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر حتى لا يكون فيه شيء، ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر. قال مالك: وصدق؛ من ذا الذي ليس فيه شيء؟!"(٤).

١١- أن يكون المنصوح به مقدورًا على فعله:

ألا يشتط الناصح فيقع في إيقاع الناس في العنت والمشقة ونصحهم بما لا يقدرون على فعله، فيكون سببًا لنفورهم من الحق، والدين مبني على اليسر ودفع المشقة والعنت عن الناس، وهذا يستدعي من الناصح أن يكون على علم بحال المدعوين وقدراتهم الجسمية والعقلية، وأن يلم بفقه الموازنات وفقه التيسير.

---

(١) شرح النووي على مسلم (٢/ ٢٣).

(٢) مطرف بن عبد الله بن الشِّخِّيْرِ الحَرَشِيُّ العامري الإمام، القدوة، الحجة، أبو عبد الله من كبار التابعين، كان رأسًا في العلم والعمل، توفي رحمه الله سنة (٨٦هـ)، وقيل غير ذلك.

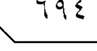
ينظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ١٨٧)، الأعلام (٧/ ٢٥٠)، موسوعة مواقف السلف (١/ ٤٨٦).

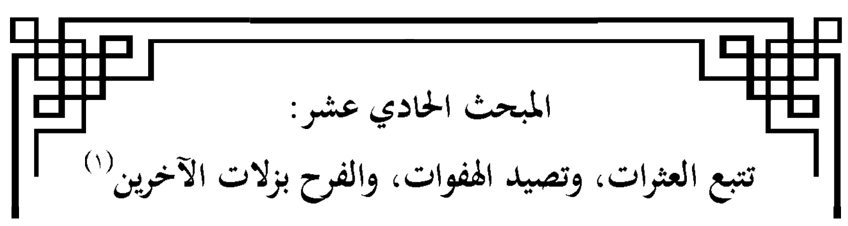
(٣) ربيعة بن أبي عبد الرحمن فروخ الإمام مفتي المدينة، وعالم الوقت أبو عثمان، ويقال: أبو عبد الرحمن القرشي التيمي مولاهم المشهور بربيعة الرأي، قال الذهبي: وكان من أوعية العلم. وقال النووي: اتفق العلماء من المحدثين، وغيرهم على توثيقه وجلالته وعظم مرتبته في العلم والفهم. توفي سنة (١٣٦هـ) عليه رحمة الله تعالى.

ينظر: تاريخ بغداد (٨/ ٤٢٠)، تهذيب الأسماء (١/ ١٨٨)، وفيات الأعيان (٢/ ٢٨٨)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩).

(٤) تفسير القرطبي (١/ ٣٦٧-٣٦٨).







المبحث الحادي عشر: تتبع العثرات، وتصيد الهفوات، والفرح بزلات الآخرين[(١)]

إن من علامات مرض القلب: تتبع الداعية لعورات إخوانه من الدعاة، والبحث عن عيوبهم، والفرح بزلاتهم، ونسيانه لعيوب نفسه؛ ولذا أخبر النبي ﷺ عن عظيم العقوبة لمن كان هذا حاله، فعَنْ أَبِي بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ»[(٢)].

وتتبع العورات والكلام في ظهور إخوانه من الدعاة، وتلبيس ذلك بلبوس النصح، وهي إلى التعيير والفضيحة أقرب، هي في الحقيقة من الغيبة التي قال الله عنها في صورة تَنْفُرُ منها النفوس وتكرهها؛ لعظيم قبحها، فقال تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

---

(١) ينظر في هذا: الجامع في أسباب وعلاج الانحراف (٦٤٤-٦٤٨) لعبد الوهاب الحدائي، الناشر المتميز، الرياض، ط١، ١٤٣٩هـ.

(٢) أخرجه أحمد (٣٣/ ٢٠) ح (١٩٧٧٦)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة (٤/ ٢٧٠) ح (٤٨٨٠)، ومسند أبي يعلى (١٣/ ٤١٩) ح (٧٤٢٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الأدب، باب ما جاء في الغيبة والنميمة (٨/ ٩٣) ح (١٣١٤١): "رواه أبو يعلى، ورجاله ثقات"، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٥٨٩) ح (٢٣٤٠): "حسن صحيح"، وقال شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٣٣/ ٢٠) ح (١٩٧٧٦): "صحيح لغيره"، وحسن إسناده محقق مسند أبي يعلى (١٣/ ٤٢٠) ح (٧٤٢٣).

وعرفها النبي ﷺ حتى لا يلتبس أمرها على أحد، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا الْغِيبَةُ؟» قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «ذِكْرُكَ أَخَاكَ بِمَا يَكْرَهُ»، قِيلَ: أَفَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ فِي أَخِي مَا أَقُولُ؟ قَالَ: «إِنْ كَانَ فِيهِ مَا تَقُولُ فَقَدِ اغْتَبْتَهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ فَقَدْ بَهَتَّهُ»(١).

وإذا كان الداعية يذكر إخوانه في مجالسه بما هو فيهم من العيب والخلل، ولم يقم بدوره في نصحهم نصيحة المشفق عليهم المحب لهم الخير، فهو في الحقيقة ممن يأكلون لحوم الموتى، وهو يشعر أو لا يشعر، ومهما زين له الشيطان عمله ذلك فأخرجه في قالب التحذير من المنكرات، والحرص على سلامة الأمة منها، والتحذير من دعاة السوء، ونحو ذلك من لبس الحق بالباطل ليروج على الأتباع، وهو في الحقيقة ممن وقع في الغيبة وأكل لحوم إخوانه، وجر على نفسه وأتباعه شرًّا، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا، كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا﴾ الآية [فاطر: ٨].

وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ قَالَتْ: قُلْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: حَسْبُكَ مِنْ صَفِيَّةَ كَذَا وَكَذَا، -قَالَ غَيْرُ مُسَدَّدٍ: تَعْنِي قَصِيرَةً-، فَقَالَ: «لَقَدْ قُلْتِ كَلِمَةً لَوْ مُزِجَتْ بِمَاءِ الْبَحْرِ لَمَزَجَتْهُ» الحديث(٢).

قال النووي رحمه الله: "أي: خالطته مخالطة يتغيرُ بها طعمُه أو ريحُه لشدّة نتنها وقبحها. وهذا الحديث من أعظم الزواجر عن الغيبة أو أعظمها، وما أعلم شيئًا من الأحاديث يبلغُ في الذمّ لها هذا المبلغ"(٣).

---

(١) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الغيبة (٤/ ٢٠٠١) ح (٢٥٨٩).

(٢) أخرجه أبو داود واللفظ له في كتاب الأدب، باب في الغيبة (٤/ ٢٦٩) ح (٤٨٧٥)، والترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب.. (٤/ ٦٦٠) ح (٢٥٠٢) ح (٢٥٠٣) وقال: "حسن صحيح"، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٧٧) ح (٢٨٣٤)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (٧/ ٢٣٧) ح (٤٨٧٥).

(٣) الأذكار (٣٣٨).

وفي عون المعبود: "أي: لو خلط (بها) أي: على فرض تجسيدها وتقدير كونها مائعًا (البحر) أي: ماؤه (لمزجته) أي: غلبته وغيرته وأفسدته"(١).

وهذا يدل على عظم خطر الغيبة، وإذا كان مجرد الإشارة عن صفية بقصرها عدّها النبي ﷺ كلمة عظيمة، لو قدر مزج ماء البحر بها لغيرته على عظم البحر واتساعه، وصعوبة تغيره لشدة ملوحته، فكيف بما هو أشد من الإشارة؟!

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَمَّا عُرِجَ بِي مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفَارٌ مِنْ نُحَاسٍ يَخْمُشُونَ وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ، فَقُلْتُ: مَنْ هَؤُلَاءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَؤُلَاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ، وَيَقَعُونَ فِي أَعْرَاضِهِمْ»(٢).

وكفى بهذه العقوبة رادعًا وزاجرًا عن هذا الذنب العظيم، لو تخيل المغتاب هذه العقوبة لفر هاربًا هائمًا على وجهه من هذه الخطيئة، أي ألم حسي ونفسي يشعر به هؤلاء المغتابون وهم يجرحون بأظفار من نحاس قوية شديدة الأثر تنغرس في أشرف ما فيهم وجوههم، وإذا الدماء والصراخ والعويل، ثم ينزلون بأظفارهم إلى صدورهم، فيخمشونها ويجرحونها، ثم تستمر العقوبة لا تتوقف عنهم، ومعها الآلام والحسرات، في مشهد تنخلع منه القلوب؟!

أقوال السلف في التحذير من تتبع العثرات، وتصيد الهفوات، والفرح بزلات الآخرين:

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "عليكم بذكر الله فإنه شفاء، وإياكم وذكر الناس فإنه داء"(٣).

(١) عون المعبود وحاشية ابن القيم (١٣/ ١٥١).

(٢) أخرجه أحمد (٢١/ ٥٣) ح (١٣٣٤٠)، أبو داود في كتاب الأدب، باب في الغيبة (٤/ ٢٦٩) ح (٤٨٧٨)، ومعجم الطبراني الأوسط (١/ ٧) ح (٨)، وصحح إسناده الضياء في المختارة (٦/ ٢٦٥) ح (٢٢٨٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٧٩) ح (٢٨٣٩)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٢١/ ٥٣) ح (١٣٣٤٠).

(٣) الصمت لابن أبي الدنيا (١٣٣) ت: أبي أسحاق الحويني، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.

وقال ابن حبان[(١)] رحمه الله: "الواجب على العاقل لزوم السلامة بترك التجسس عن عيوب الناس، مع الاشتغال بإصلاح عيوب نفسه، فإن من اشتغل بعيوبه عن عيوب غيره أراح بدنه ولم يتعب قلبه، فكلما اطلع على عيب لنفسه هان عليه ما يرى مثله من أخيه، وإن من اشتغل بعيوب الناس عن عيوب نفسه عمي قلبه، وتعب بدنه، وتعذر عليه ترك عيوب نفسه"[(٢)].

وقال عون بن عبد الله[(٣)] رحمه الله: "ما أحسب أحدًا تفرغ لعيوب الناس إلا من غفلة غفلها عن نفسه"[(٤)].

ويقول الحسن البصري رحمه الله: "ابن آدم، إنك لن تصيب حقيقة الإيمان حتى لا تعيب الناس بعيب هو فيك، وحتى تبدأ بصلاح ذلك العيب فتصلحه من نفسك، فإذا فعلت ذلك كان شغلك في خاصة نفسك، وأحب العباد إلى الله من كان هكذا"[(٥)].

مما أثر عن السلف قولهم: "أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم، ولا في

(١) الإمام، العلامة، الحافظ الكبير، المجود، شيخ خراسان، محمد بن حبان بن أحمد بن حبان، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي، من أوعية العلم في الفقه، واللغة، والحديث، والوعظ، ومن عقلاء الرجال، صنف المسند الصحيح، يعني به: كتاب (الأنواع والتقاسيم)، وكتاب الثقات، وكتاب الضعفاء، وفقه الناس بسمرقند. توفي رحمه الله سنة (٣٥٤هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ٩٢)، البداية والنهاية (١٥/ ٢٨١)، الأعلام (٦/ ٧٨).

(٢) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (١٢٥) لابن حبان، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.

(٣) الإمام، القدوة، العابد، أبو عبد الله الهذلي، عون بن عبد الله بن عتبة بن مسعود الكوفي، أخو فقيه المدينة عبيد الله، وكان من أفقه أهل المدينة، توفي رحمه الله سنة (١١٦هـ).
ينظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ١٠٣)، الأعلام (٥/ ٩٨)، موسوعة مواقف السلف (٢/ ١٤٥).

(٤) الصمت (١٣٢).

(٥) الصمت (١٣١).

الصلاة، ولكن في الكف عن أعراض الناس"[١].

ويقول الفضيل رحمه الله: "يكون شغلك في نفسك، ولا يكون شغلك في غيرك، فمن كان شغله في غيره فقد مُكِرَ بهِ"[٢].

وقال السري السقطي[٣] رحمه الله: "ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس"[٤].

وقال بكر بن عبد الله المزني[٥]: "إذا رأيتم الرجل موكلًا بعيوب الناس ناسيًا لعيبه، فاعلموا أنه قد مُكِرَ به"[٦].

وعن مُحَمَّد بن سيرين رحمه الله قال: "التقي عن الخطائين مشغول، وإن أكثر الناس خطايا أكثرهم ذكرًا لخطايا الناس"[٧].

ويقول الحسن رحمه الله: "والله للغيبة أسرع في دين المؤمن من الآكلة[٨] في

---

(١) ذكره ابن أبي الدنيا في الصمت (١٣٠) عن: خصاف، وخصيف، وعبد الكريم بن مالك رحمهم الله.

(٢) حلية الأولياء (٨/ ١٠٢).

(٣) الإمام، القدوة، السَّرِيُّ بن المغَلِّسِ السَّقَطِيُّ أبو الحسن البغدادي، كان من المشايخ المذكورين، وأحد العباد المجتهدين، من كبار أئمة التصوف، توفي رحمه الله سنة (٢٥٣هـ)، وقيل غير ذلك.
ينظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٢٦٠)، سير أعلام النبلاء (١٢/ ١٨٥)، الأعلام (٣/ ٨٢).

(٤) حلية الأولياء (١٠/ ١٢٤).

(٥) الإمام، القدوة، الواعظ، الحجة، بكر بن عبد الله بن عمرو أبو عبد الله المزني، البصري، أحد الأعلام، يذكر مع الحسن، وابن سيرين، وكان ثقة ثبتًا مأمونًا، كثير الحديث، حجة، وكان فقيهًا، توفي رحمه الله سنة (١٠٦هـ)، وقيل غير ذلك.
ينظر: الطبقات الكبرى (٧/ ٢٠٩)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٣٢)، تهذيب التهذيب (١/ ٤٨٤).

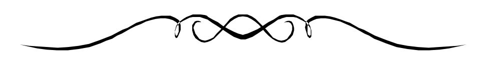
(٦) صفة الصفوة (٢/ ١٤٧).

(٧) المجالسة وجواهر العلم (٥/ ١٦٦) لأبي بكر الدينوري، ت: أبو عبيدة آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.

(٨) داء يصيب أعضاء الإنسان فيأكلها حتى يتساقط لحمها ويقال له: الجذام.
ينظر: المطلع على ألفاظ المقنع (٣٩٤)، المعجم الوسيط (١/ ١١٣) معجم لغة الفقهاء (١٦١).

جسده"[١].

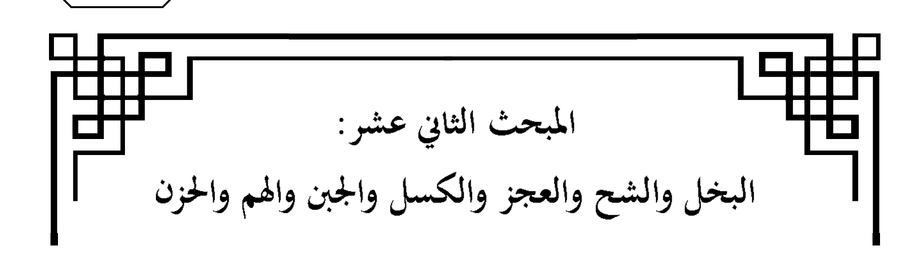
ويقول ابن القيم رحمه الله: "فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وويل لمن نسي عيبه وتفرغ لعيوب الناس، هذا من علامة الشقاوة"[٢].



(١) الصمت (١٢٩).

(٢) مفتاح دار السعادة (١/ ٢٩٨).





المبحث الثاني عشر: البخل والشح والعجز والكسل والجبن والهم والحزن

هذه عقوبات يسلطها الله على من يشاء، ممن أعرضوا عن ذكره، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ١٢٤].

ولهذا كان ﷺ يستعيذ بالله كثيرًا من هذه الآفات، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِأَبِي طَلْحَةَ: «التَمِسْ غُلاَمًا مِنْ غِلْمَانِكُمْ يَخْدُمُنِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَى خَيْبَرَ»، فَخَرَجَ بِي أَبُو طَلْحَةَ مُرْدِفِي وَأَنَا غُلاَمٌ رَاهَقْتُ الحُلُمَ، فَكُنْتُ أَخْدُمُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِذَا نَزَلَ، فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ»(١).

ولخص ابن حجر رحمه الله معنى الأربع الآفات الأولى فقال: "إن الهم لما يتصوره العقل من المكروه في الحال، والحزن لما وقع في الماضي، والعجز ضد الاقتدار، والكسل ضد النشاط، والبخل ضد الكرم، والجبن ضد الشجاعة"(٢). ثم ذكر رحمه الله معنى بقية الآفات، فقال: "قوله: «وَضَلَعِ الدَّيْنِ» أصل الضَّلَع وهو بفتح المعجمة واللام الاعوجاج يقال: ضلع بفتح اللام يضلع أي: مال، والمراد به هنا: ثقل الدَّين وشدته، وذلك حيث لا يجد من عليه الدين وفاء، ولا سيما مع المطالبة، وقال بعض السلف: ما دخل هم الدين قلبًا إلا أذهب من العقل ما لا يعود إليه(٣).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجهاد والسير، باب من غزا بصبي للخدمة (٤/ ٣٦) ح (٢٨٩٣).

(٢) فتح الباري (١١/ ١٧٨).

(٣) وهذه المقولة عن السلف نقلها أيضاً شيخ ابن حجر ابن الملقن في كتابه التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٢٩/ ٢٩٨)، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وقام على تحقيقه مجموعة من محققي الدار، الناشر: دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٩هـ.

قوله: «وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» أي: شدة تسلطهم كاستيلاء الرِّعَاعِ[١] هَرْجًا وَمَرْجًا[٢]، قال الكرماني: هذا الدعاء من جوامع الكلم"[٣].

وعلى الداعية أن يكثر من هذا الدعاء كما كان يفعل ﷺ؛ لأن هذه الآفات إذا أصيب بها الداعية أو ببعضها أقعدته عن دعوته، وفتن بها.

ومن الأمراض التي تصيب الدعاة بسبب هذه الآفات:

١- الفتور.

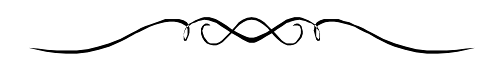
٢- ضعف الإرادة ونزول الهمة.

٣- التسويف وضعف القدرة على التغيير.

٤- الشح وعدم البذل في مجالات الخير.

٥- كثرة الأوهام والوساوس المقعدة عن الانطلاق في مجالات الدعوة.

٦- هم الدَّيْنِ والتفكير فيه، يشغل الداعية ويعوقه عن دعوته.



---

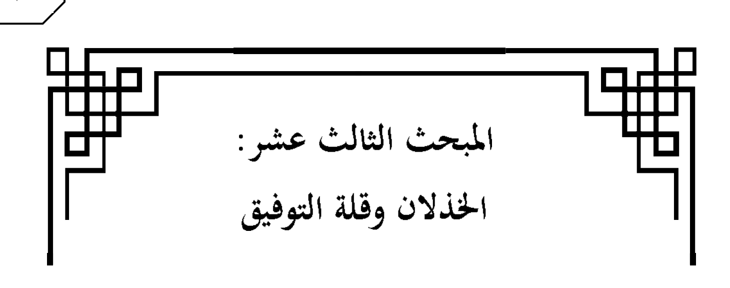
(١) الرعاع: سفلة الناس الهمج.

ينظر: مقاييس اللغة (٢/ ٣٧٥) مادة (رعع)، لسان العرب (٢/ ٣٩٢) مادة (همج).

(٢) الهرج والمرج: الاختلاط والاضطراب، وشدة القتل.

ينظر: الصحاح (١/ ٣٤١)، لسان العرب (٢/ ٣٦٥)، المعجم الوسيط (٢/ ٩٨٠) مادة (مرج).

(٣) فتح الباري (١١/ ١٧٤).



المبحث الثالث عشر: الخذلان وقلة التوفيق

ومن آثار تعلق القلب بغير الله تعالى، وضعف تحقيق عمله في توكله على الله والاستعانة به، والخلل في المقاصد والنيات، فإنه بقدر ذلك يحصل الخذلان من الله وقلة التوفيق.

ومعنى الخذلان في اللغة: يطلق على ترك نصرة المسلم، وعدم عونه، وخذلان الله للعبد أن لا يعصمه من السيئات والشبه، فيقع فيها[١].

والمقصود بالخذلان هنا ضد التوفيق، وهو أن لا يعينه الله، ولا ينصره، ولا يعصمه، بل يكله إلى نفسه، كما قال تعالى: ﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠].

يقول ابن القيم رحمه الله: "فإن العارفين كلهم مجمعون على أن التوفيق أن لا يكلك الله تعالى إلى نفسك، والخذلان أن يكلك الله تعالى إلى نفسك"[٢]، وقال رحمه الله في موضع آخر: "وإذا قام العبد في الحق لله؛ ولكن قام بنفسه وقوته، ولم يقم بالله مستعينًا به متوكلًا عليه مفوضًا إليه بريًّا من الحول والقوة إلا به، فله من الخذلان وضعف النصرة بحسب ما قام به من ذلك"[٣]. وعلى هذا فلا بد للداعية من الاستعانة بالله تعالى، والتضرع بقلب مقبل على الله مع التوكل عليه، والبراءة من الحول والقوة، ليسلم من الخذلان، ويجد توفيق الله تعالى يحف به.

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٧/ ١٤٠)، الصحاح (٤/ ١٦٨٣)، لسان العرب (١١/ ٢٠٢) مادة (خذل).
(٢) الوابل الصيب (٧).
(٣) إعلام الموقعين (٢/ ١٢٢).

ومن أعظم علامة الخذلان أن لا يثبته الله عند الموت، بسبب ذنوب خفية في القلب وسريرة أسرها بينه وبين الله من خطايا القلوب التي لا يعلمها إلا الله، فيختم له بسوء الخاتمة، ويكله الله في هذه اللحظات العظيمة إلى نفسه وشيطانه، فلا يوفق لقول: لا إله إلا الله؛ ولذا ينبغي على الداعية أن يتفقد قلبه ويتوب إلى الله من ذنوب السرائر التي متى ما أصر عليها العبد ولم يتب منها، فإنها تكون سببًا لهلاكه وسوء خاتمته عند الموت، وسيأتي في نهاية هذا المبحث عند ذكر أسباب الخذلان ذكر الأحاديث في خطر الذنوب، يقول الربيع بن خثيم رحمه الله في التحذير من ذنوب السرائر: "السرائرَ السرائرَ اللاتي يخفين من الناس وهن لله بوادٍ، التمسوا دواءهن، وما دواؤهن إلا أن يتوب، ثم لا يعود"(١).

وللخذلان وقلة التوفيق أسباب، منها:

١- **تعلق القلب بغير الله**، فإن القلب إذا تعلق بغير الله وكله الله إلى نفسه، وخذل أعظم الخذلان، يقول ابن القيم رحمه الله: "فأعظم الناس خذلانًا من تعلق بغير الله، فإن ما فاته من مصالحه وسعادته وفلاحه أعظم مما حصل له ممن تعلق به، وهو معرض للزوال والفوات، ومثل المتعلق بغير الله كمثل المستظل من الحر والبرد ببيت العنكبوت"(٢).

٢- **الخلل في النية**، يقول ابن القيم رحمه الله: "فأما النية فهي رأس الأمر وعموده وأساسه وأصله الذي عليه يبنى؛ فإنها روح العمل وقائده وسائقه، والعمل تابع لها يبنى عليها، يصح بصحتها ويفسد بفسادها، وبها يستجلب التوفيق، وبعدمها يحصل الخذلان"(٣).

---

(١) الطبقات الكبرى (٦/ ١٨٥) لابن سعد، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ط١، ١٩٦٨م، حلية الأولياء (٢/ ١٠٨)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٢٥٩).

(٢) مدارج السالكين (١/ ٤٥٥).

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ١٥٢).

٣- **الضعف في التوكل على الله والاستعانة به**؛ لأن التوكل على الله والاستعانة به ودعاءَه مما يقوي الداعية وييسر له الأمور.

ومما أثر عن بعض السلف قوله: "من سره أن يكون أقوى الناس فليتوكل على الله"(١).

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق: ٣].

وللداعية نصيب من التوفيق والتأثير بحسب استعانته بالله وتوكله عليه، وكذلك له نصيب من الخذلان والضعف والمهانة والعجز بحسب قلة توكله واستعانته بربه(٢).

٤- **اتباع الهوى**، قال تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [ص: ٢٦].

يقول ابن القيم رحمه الله: "إن اتباع الهوى يغلق عن العبد أبواب التوفيق، ويفتح عليه أبواب الخذلان، فتراه يلهج بأن الله لو وفق لكان كذا وكذا، وقد سد على نفسه طرق التوفيق باتباعه هواه. قال الفضيل بن عياض: من استحوذ عليه الهوى واتباع الشهوات انقطعت عنه موارد التوفيق"(٣).

٥- **العجب بالنفس أو بالعمل أو بكثرة الأتباع** سبب لخذلان الله للعبد، وأن يكله إلى نفسه فلا ينصره، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥].

٦- **التساهل في الذنوب وبالأخص صغائر الذنوب، وعدم التوبة**، عن سهل بن سعد ﵁: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّمَا مَثَلُ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ كَقَوْمٍ نَزَلُوا فِي بَطْنِ وَادٍ، فَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، وَجَاءَ ذَا بِعُودٍ، حَتَّى أَنْضَجُوا

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ٣٢-٣٣).

(٢) ينظر: مدارج السالكين (١/ ١٠٣).

(٣) روضة المحبين (٤٧٩) لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٤٠٣هـ.

خُبْزَتَهُمْ، وَإِنَّ مُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ مَتَى يُؤْخَذْ بِهَا صَاحِبُهَا تُهْلِكْهُ»[١].

وفي الرواية الأخرى: عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ؛ فَإِنَّهُنَّ يَجْتَمِعْنَ عَلَى الرَّجُلِ حَتَّى يُهْلِكْنَهُ»، وَإِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ ضَرَبَ لَهُنَّ مَثَلًا كَمَثَلِ قَوْمٍ نَزَلُوا أَرْضَ فَلَاةٍ، فَحَضَرَ صَنِيعُ الْقَوْمِ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَنْطَلِقُ، فَيَجِيءُ بِالْعُودِ، وَالرَّجُلُ يَجِيءُ بِالْعُودِ، حَتَّى جَمَعُوا سَوَادًا، فَأَجَّجُوا نَارًا، وَأَنْضَجُوا مَا قَذَفُوا فِيهَا[٢].

وقَالَ ﷺ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ كَانَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ، فَإِنْ تَابَ وَنَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ، فَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]».

وذكر ابن جرير رحمه الله في تفسيره عن الحسن البصري رحمه الله قوله في بيان خطر تتابع الذنب على القلب مع عدم التوبة عند قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤] قال: "الذنب على الذنب حتى يعمى القلب، فيموت"[٣].

(١) أخرجه أحمد في المسند (٣٧/ ٤٦٧) ح (٢٢٨٠٨)، وقال في مجمع الزوائد في كتاب التوبة، باب فيما يحتقر من الذنوب (١٠/ ١٩٠) ح (١٧٤٦٢): "رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح"، وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة (١/ ٧٤٤) ح (٣٨٩)، وقال محقق المسند: (٣٧/ ٤٦٦) ح (٢٢٨٠٨): "إسناده صحيح".

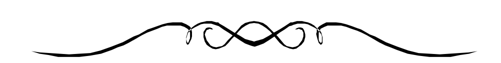
(٢) عند أحمد في مسنده (٦/ ٣٦٧) ح (٣٨١٨)، وجوَّد إسنادها العراقي في تخريج كتاب الإحياء (١٩٠٩) وقال في مجمع الزوائد في كتاب التوبة، باب فيما يحتقر من الذنوب (١٠/ ١٨٩): "رواه أحمد، والطبراني في الأوسط، ورجالهما رجال الصحيح غير عمران بن داود القطان، وقد وثق"، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٦٤٣) ح (٢٤٧٠): "صحيح لغيره"، وقال محقق المسند (٦/ ٣٦٨) ح (٣٨١٨): "حديث حسن لغيره".

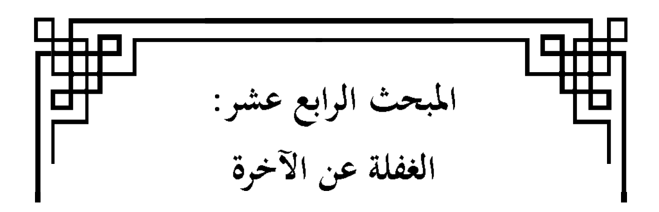
(٣) تفسير الطبري (٢٤/ ٢٠١).

وتأمل معي هذا الحديث الذي يظهر خطر ذنوب السرائر حين يخلو الإنسان بربه، ولا يراه أحد من البشر ممن كان لا يفعل تلك الأمور أمامهم حياء منهم أو خوفًا من عقوبتهم، أو رغبة في البقاء معهم من أجل الاستفادة من الميزات التي يحصل عليها ببقائه معهم، فعن ثوبان رضي الله عنه، عن النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنْ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».

وفي هذا الحديث بيان أن من أعظم أسباب سوء الخاتمة والخذلان وخسارة الحسنات في الآخرة الاعتداء على محارم الله في حال خلوة الإنسان عن الناس، وبعده عن نظرهم، وربما كان يظهر أعمالًا صالحة من قيام ليل ونحوه، ويجلس مع الصالحين، لكنها لا تنفعه، لتجرئه على محارم في حال خلوته.

٧- **الافتراق والتنازع في الدين**، وهو من الأسباب العظيمة للخذلان، قال تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦].





المبحث الرابع عشر: الغفلة عن الآخرة

والغفلة: تطلق على معان منها: ترك الشيء إما تعمدًا أو سهوًا(١).

والغفلة: غيبة الشيء عن بال الإنسان، وعدم تذكُّره له(٢).

وعلى هذا فيكون معنى الغفلة عن الآخرة: **غيبة الآخرة عن القلب، وعدم تذكره لها؛ لأن القلب عمي عنها، وتعلق بالدنيا، كما قال تعالى:** ﴿فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦]. والقلوب تعمى عن الآخرة، وهذا هو العمى المهلك؛ لأن عمى القلب يضر في الدين، فيعمى القلب عن الآخرة ويغفل عنها، قال البغوي رحمه الله في معنى الآية: "معناه أن العمى الضار هو عمى القلب، فأما عمى البصر فليس بضار في أمر الدين، قال قتادة: البصر الظاهر: بلغة ومتعة، وبصر القلب: هو البصر النافع"(٣).

وبقدر تعلق القلب بالدنيا وافتتانه بها وبتقصيره في تطهير قلبه من دواخل السوء، تحصل له الغفلة عن الآخرة، حيث يقول الله تعالى عن حال الغافلين عن الآخرة: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ [الروم: ٧].

قال البغوي رحمه الله في معنىقوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: "يعني: أمر معاشهم، كيف يكتسبون ويتجرون، ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون، وكيف يبنون ويعيشون، قال الحسن: إن أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فيذكر وزنه

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة (٨/ ١٣٣)، مقاييس اللغة (٤/ ٣٨٦)، لسان العرب (١١/ ٤٩٧) مادة (غفل).

(٢) معجم اللغة العربية المعاصرة (٢/ ١٦٣٠) مادة (غفل).

(٣) تفسير البغوي (٥/ ٣٩١).

ولا يخطئ، وهو لا يحسن يصلي، ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ ساهون عنها جاهلون بها، لا يتفكرون فيها ولا يعملون لها"(١).

وذكر السعدي في معنى هذه الآية كلامًا نفيسًا، فقال رحمه الله: "وهؤلاء الذين لا يعلمون أي: لا يعلمون بواطن الأشياء وعواقبها، وإنما ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، فينظرون إلى الأسباب، ويجزمون بوقوع الأمر الذي في رأيهم انعقدت أسباب وجوده، ويتيقنون عدم الأمر الذي لم يشاهدوا له من الأسباب المقتضية لوجوده شيئًا، فهم واقفون مع الأسباب غير ناظرين إلى مسببها المتصرف فيها.

﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ قد توجهت قلوبهم وأهواؤهم وإراداتهم إلى الدنيا وشهواتها وحطامها، فعملت لها وسعت، وأقبلت بها وأدبرت، وغفلت عن الآخرة، فلا الجنة تشتاق إليها، ولا النار تخافها وتخشاها، ولا المقام بين يدي الله ولقائه يروعها ويزعجها، وهذا علامة الشقاء وعنوان الغفلة عن الآخرة.

ومن العجب أن هذا القسم من الناس قد بلغت بكثير منهم الفطنة والذكاء في ظاهر الدنيا إلى أمر يحير العقول ويدهش الألباب.

وأظهروا من العجائب الذرية والكهربائية والمراكب البرية والبحرية والهوائية ما فاقوا به وبرزوا، وأعجبوا بعقولهم، ورأوا غيرهم عاجزًا عما أقدرهم الله عليه، فنظروا إليهم بعين الاحتقار والازدراء، وهم مع ذلك أبلد الناس في أمر دينهم، وأشدهم غفلة عن آخرتهم، وأقلهم معرفة بالعواقب، قد رآهم أهل البصائر النافذة في جهلهم يتخبطون، وفي ضلالهم يعمهون، وفي باطلهم يتردَّدون، نسوا الله فأنساهم أنفسهم، أولئك هم الفاسقون.

ثم نظروا إلى ما أعطاهم الله وأقدرهم عليه من الأفكار الدقيقة في الدنيا وظاهرها

(١) تفسير البغوي (٦/ ٢٦٢).

وما حرموا من العقل العالي، فعرفوا أن الأمر لله، والحكم له في عباده، وإن هو إلا توفيقه وخذلانه، فخافوا ربهم، وسألوه أن يتم لهم ما وهبهم من نور العقول والإيمان حتى يصلوا إليه، ويحلوا بساحته، وهذه الأمور لو قارنها الإيمان وبنيت عليه؛ لأثمرت الرقي العالي والحياة الطيبة، ولكنها لما بني كثير منها على الإلحاد لم تثمر إلا هبوط الأخلاق وأسباب الفناء والتدمير"(١).

أسباب الغفلة عن الآخرة:

وأسباب الغفلة عن الآخرة لا تخرج عن سببين عظمين، ذكرهما الله في كتابه، فقال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥، ٦].

وبيّن الله في هذه الآيات أن ما يغر الناس ويخدعهم ويجعلهم في غفلة عن الآخرة لا يخرج عن سببين عظمين، وبقية الأسباب تندرج تحتهما، وهما:

السبب الأول: الاغترار بزينة الحياة الدنيا ولذاتها وشهواتها المزينة، ومتعها التي تغر النفوس التي ضعف إيمانها بالغيب، وتعلقت بالمتاع المادي المحسوس، قال تعالى في التحذير من ذلك: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [فاطر: ٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال تعالى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [الأنعام: ٣٢].

---

(١) تفسير السعدي (٦٣٧).

وقال تعالى: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

يقول الطبري رحمه الله: "يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ التي يتمتع منها هؤلاء المشركون ﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾ يقول: إلا تعليل النفوس بما تلتذ به، ثم هو منقض عن قريب، لا بقاء له ولا دوام، ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ يقول: وإن الدار الآخرة لفيها الحياة الدائمة التي لا زوال لها، ولا انقطاع، ولا موت معها"(١).

والآيات في هذا المعنى كثيرة في كتاب الله تعالى، وقد سبق الكلام في ذلك(٢).

ومن السنة قوله ﷺ: «إِنَّ الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ، وَإِنَّ اللهَ مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا، فَيَنْظُرُ كَيْفَ تَعْمَلُونَ، فَاتَّقُوا الدُّنْيَا وَاتَّقُوا النِّسَاءَ، فَإِنَّ أَوَّلَ فِتْنَةِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَانَتْ فِي النِّسَاءِ»(٣).

قال النووي رحمه الله: "ومعنى «الدُّنْيَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ» يحتمل أن المراد به شيئان:

أحدهما: حسنها للنفوس ونضارتها ولذتها، كالفاكهة الخضراء الحلوة، فإن النفوس تطلبها طلبًا حثيثًا، فكذا الدنيا.

والثاني: سرعة فنائها كالشيء الأخضر في هذين الوصفين.

ومعنى «مُسْتَخْلِفُكُمْ فِيهَا»: جاعلكم خلفاء من القرون الذين قبلكم، فينظر هل تعملون بطاعته، أم بمعصيته وشهواتكم"(٤).

---

(١) تفسير الطبري (١٨/ ٤٤٠).

(٢) ينظر: ص (٣٩٤).

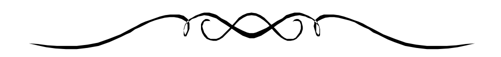
(٣) أخرجه مسلم في كتاب الرقاق، باب أكثر أهل الجنة الفقراء وأكثر أهل النار النساء وبيان الفتنة بالنساء (٤/ ٢٠٩٨) ح (٢٧٤٢).

(٤) شرح النووي على مسلم (١٧/ ٥٥).

والسبب الثاني: أن يغره الشيطان ويخدعه بالأماني الكاذبة، قال تعالى: ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٥، ٦].

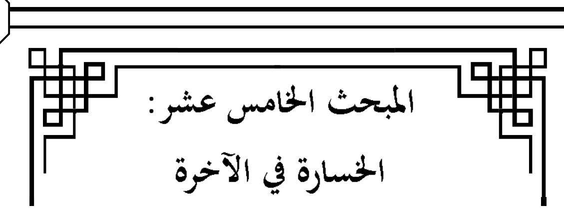
وقال تعالى: ﴿يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [النساء: ١٢٠]، يعدهم ويمنيهم ويخدعهم بالوساوس بأنهم أهل الفوز والنجاح في الدنيا والآخرة، وقد كذب عليهم وغرهم، كما قال تعالى عنه في يوم القيامة: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِيۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُمۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [إبراهيم: ٢٢](١)، وقد سبق الكلام عن الشيطان وعداوته لبني الإنسان(٢).

ولا شك أن للغفلة عن الآخرة أسبابًا أخرى، لكنها -في نظري- لا تخرج في مجملها عن هذين السببين، والله أعلم.



(١) ينظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٤١٦).

(٢) ينظر: ص (٦١٦).



المبحث الخامس عشر: الخسارة في الآخرة

إن إهمال تحقيق أعمال القلوب، والتقصير في محاسبة النفس، ومجاهدتها في ذلك، والوقوع في داء الغفلة عن الآخرة، وتعلق القلب بالدنيا والافتتان بها، يعود بالخسارة العظيمة في الآخرة، وتكون الخسارة أعظم من شخص يدل الناس على الآخرة بقوله، ويفتنهم بفعله، بتشبثه بالدنيا ونسيان الآخرة، قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [المائدة: ٤١، ٤٢]. وسياق الآيات وإن كان في اليهود الذين كتموا حكم الله في رجم الزاني، فكل من شابههم في صفتهم التي منها كتم الحق وأكل السحت يصيبه ما أصابهم في الدنيا والآخرة، ولهذا قال بعض السلف: "من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود"(١).

وفي تفسير المنار: "ولذلك قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ﴾ أي: أولئك الذين بلغت منهم الفتنة هذا الحد هم الذين لم تتعلق إرادة الله تعالى بتطهير قلوبهم من الكفر والنفاق؛ لأن إرادته تعالى إنما تتعلق بما اقتضته حكمته البالغة وسننه العادلة، ومن سننه في قلوب البشر وأنفسهم أنها إذا جرت على الباطل والشر، ونشأت على الكيد والمكر، واعتادت اتخاذ دينها شبكة لشهواتها وأهوائها، ومردت على الكذب والنفاق، وألفت عصبية الخلاف والشقاق، وصار ذلك من ملكاتها الثابتة وأخلاقها الموروثة الثابتة، تحيط بها خطيئتها، وتطبق عليها ظلمتها، حتى لا يبقى لنور الحق منفذ ينفذ منه إليها"(٢).

---

(١) ينظر: البداية والنهاية (١٩/ ٤٢) فقد نقله عن سفيان بن عيينة رحمه الله.

(٢) تفسير المنار (٦/ ٣٢٣) لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.

فكل من شابههم من أصحاب القلوب المريضة في استغلال الدين لشهواته، ولي أعناق النصوص لأجل أن توافق أهواءه، أصابه الخزي في الدنيا والعذاب الأليم في الآخرة.

وهذه أهم مراحل خسارة أصحاب القلوب المريضة في الآخرة:

عند الموت يخذلون فلا يثبتهم الله لقول: لا إله إلا الله، ولا يوفقهم لحسن الخاتمة، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

وفي الاعتصام: "إن سوء الخاتمة لا يكون لمن استقام ظاهره وصلح باطنه، ما سمع بهذا قط، ولا علم به والحمد لله، وإنما يكون لمن كان له فساد في العقل، أو إصرار على الكبائر، وإقدام على العظائم، أو لمن كان مستقيمًا ثم تغيرت حاله، وخرج عن سننه، وأخذ في غير طريقه، فيكون عمله ذلك سببًا لسوء خاتمته، وسوء عاقبته والعياذ بالله، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]"[(١)].

وأخبر ﷻ عن حالهم بأن الملائكة تضرب وجوههم وأدبارهم عند الموت بسبب فساد قلوبهم وأمراضها، فقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ ٱلْأَمْرِۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ

(١) نقله الشاطبي عن عبد الحق الأشبيلي في الاعتصام (١/ ٢٢٤-٢٢٥)، ت: الجزء الأول: د. مُحَمَّد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د. هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ.

بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾ [محمد: ٢٥-٢٩].

وفي **يوم القيامة** يذهب الله أعمالهم من بين أيديهم ويجعلها هباءً منثورًا، فعَنْ ثَوْبَانَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ عز وجل هَبَاءً مَنْثُورًا»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا؛ أَنْ لَا نَكُونَ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا».

فغفلتهم عن علم الله واطلاعه عليهم في الدنيا جعلهم ينتهكون محارم الله إذا خلوا وأبعدوا عن أعين الناس، يقول تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢، ٢٣].

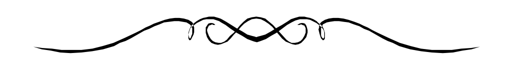
قال السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ "أي: وما كنتم تختفون عن شهادة أعضائكم عليكم، ولا تحاذرون من ذلك، ﴿وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ﴾ بإقدامكم على المعاصي ﴿أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾ فلذلك صدر منكم ما صدر، وهذا الظن، صار سبب هلاكهم وشقائهم؛ ولهذا قال: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ﴾ الظن السيئ، حيث ظننتم به ما لا يليق بجلاله، ﴿أَرْدَىٰكُمْ﴾ أي: أهلككم ﴿فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ لأنفسهم وأهليهم وأديانهم؛ بسبب الأعمال التي أوجبها

لكم ظنكم القبيح بربكم، فحقت عليكم كلمة العقاب والشقاء، ووجب عليكم الخلود الدائم في العذاب الذي لا يفتر عنهم ساعة"(١).

وأما في **النار** فعقوبته كما في حديث أسامة بن زيد رضي الله عنهما يقول عن الرسول ﷺ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «يُجَاءُ بِالرَّجُلِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُهُ فِي النَّارِ، فَيَدُورُ كَمَا يَدُورُ الحِمَارُ بِرَحَاهُ، فَيَجْتَمِعُ أَهْلُ النَّارِ عَلَيْهِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُلاَنُ، مَا شَأْنُكَ؟ أَلَيْسَ كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَانَا عَنِ المنْكَرِ؟! قَالَ: كُنْتُ آمُرُكُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَلاَ آتِيهِ، وَأَنْهَاكُمْ عَنِ المنْكَرِ وَآتِيهِ».

قال ابن حجر رحمه الله: "والْأَقْتَابُ جَمْعُ قِتْبٍ.. هي الأمعاء واندلاقها خروجها بسرعة"(٢).

وفي رواية يَقُولُ ﷺ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يُطَاعُ فِي مَعَاصِي اللهِ تَعَالَى، فَيُقْذَفُ فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ بِهِ أَقْتَابُهُ، فَيَسْتَدِيرُ فِيهَا كَمَا يَسْتَدِيرُ الْحِمَارُ فِي الرَّحَا، فَيَأْتِي عَلَيْهِ أَهْلُ طَاعَتِهِ مِنَ النَّاسِ فَيَقُولُونَ: أَيْ فُل، أَيْنَ مَا كُنْتَ تَأْمُرُنَا بِهِ؟! فَيَقُولُ: إِنِّي كُنْتُ آمُرُكُمْ بِأَمْرٍ، وَأُخَالِفُكُمْ إِلَى غَيْرِهِ»(٣).



(١) تفسير السعدي (٧٤٧).

(٢) فتح الباري (١٣/ ٥٢).

(٣) وهي عند الإمام أحمد (٣٦/ ١٢٨) ح (٢١٧٩٤)، وقال محقق المسند شعيب الأرناؤوط (٣٦/ ١٢٨) ح (٢١٧٩٤): "حديث صحيح".

الفصل الثاني:
من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب على دعوته

المبحث الأول: التفرق والاختلاف والتنازع وذهاب الريح.

المبحث الثاني: تسلط الأعداء على الأمة.

المبحث الثالث: تسلط أعداء الأمة على الدعاة، وتنفير الناس من دعوتهم.

المبحث الرابع: نفور الناس من الدعاة، وتفرقهم عنهم.

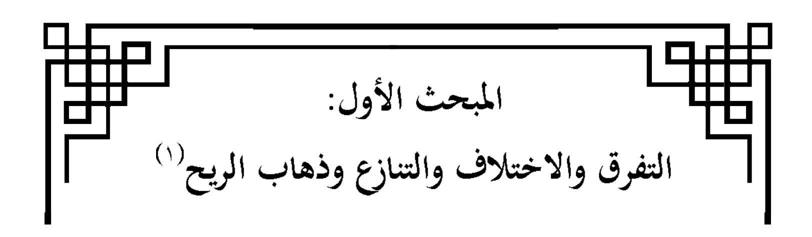
المبحث الخامس: تأخر النصر.

الفصل الثاني:
من آثار إهمال الداعية لأعمال القلوب على دعوته

إن الداعية إذا أهمل تحقيق أعمال القلب في نفسه، وفرط في محاسبتها على ذلك، فتمكنت أمراض القلوب منه، انعكس أثر ذلك على دعوته، فحدث التفرق والاختلاف، وهبت ريح التنازع، ودب داء الفرقة بين الأمة ودعاتها، وذهبت هيبتها من قلوب أعدائها، فتسلط الأعداء عليها، ومن ثَمّ تسلطوا على دعاتها، وتمكنوا من إحداث شرخ بين الأمة ودعاتها، وشوهوا سمعة الدين وأهله، وصدوا الناس عن الصراط المستقيم، وزينوا لهم سبل الجحيم، ونفر الناس من الدعاة، وتفرقوا عنهم، وذلك لأن هؤلاء الدعاة أسهموا في تمكين العدو من ذلك، بسبب بتفرطيهم وأهمالهم في تحقيق أعمال القلوب ومحاسبة النفس عليها، فحين تعلقت قلوبهم بالدنيا وغفلوا عن الآخرة، فصاروا قدوة سيئة لاتباعهم في تكالبهم على الدنيا، وغفلتهم عن الآخرة، إن هؤلاء بفعلهم هذا أسهموا في تأخر النصر عن الأمة، وأطالت أمد المعركة مع أعداء الدين، فانتشر الفساد في الأرض، وفتن الناس في دينهم، وضعف الدعاة في صد هجمة الباطل، وتقهقروا عن القيام بدورهم في إنقاذ الأمة، لأنهم ما صدقوا مع الله وتعلقت قلوبهم بغيره، فتمكن الشيطان وأعوانه من نشر باطلهم بدون مقاومة تذكر من هؤلاء الدعاة، بل ربما تمكن الشيطان وأعوانه من استخدام هؤلاء الدعاة في نشر الباطل، وتلبيس الحق بالباطل وكتمان الحق.

ودونك تفصيل هذه الآثار في المباحث الآتية:





المبحث الأول:
التفرق والاختلاف والتنازع وذهاب الريح[١]

وقد سبق الكلام على هذه الآفات[٢] التي يقع فيها من ابتلي بفساد النيات والمقاصد، والحسد، والبغض لإخوانه.

وهذه الآفات طالما جرت إلى فساد ذات البين التي قال عنها النبي ﷺ وهو يحذر أمته بأنها الحالقة، فيقول: «وَفَسَادُ ذَاتِ الْبَيْنِ[٣] هِيَ الْحَالِقَةُ» الحديث[٤]، وفسرها في الحديث الآخر بأنها تحلق الدين[٥].

وهذه الآفات كم جرت على الأمة من رزايا وبلاء، ترتب عليه انصراف الناس عن دعوة هؤلاء الدعاة؛ لما يرون بينهم من التنازع والتهارش[٦] وهم يزعمون أنهم

---

(١) أي ذهاب القوة والهيبة من قلوب الأعداء، فيغلبونكم. ينظر: الصحاح (١/ ٣٦٨) مادة (روح)، مقاييس اللغة (٢/ ٤٦٤) مادة (ريح).

(٢) ينظر: ص (٥٧٩).

(٣) أي: الاختلاف والتنازع والشحناء والبغضاء.

(٤) أخرجه أحمد (٤٥/ ٥٠٠) ح (٢٧٥٠٨)، وأبو داود في كتاب الأدب، باب في إصلاح ذات البين (٤/ ٢٨٠) ح (٤٩١٩)، والترمذي في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب.. (٤/ ٦٦٣) ح (٢٥٠٩) وقال: "حسن صحيح"، وابن حبان في صحيحه باب الصلح، ذكر الإخبار عما يجب على المرء من لزوم إصلاح ذات البين بين المسلمين (١١/ ٤٨٩) ح (٥٠٩٢)، وصححه الألباني صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٧٠) ح (٢٨١٤)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لمسند أحمد (٤٥/ ٥٠٠) ح (٢٧٥٠٨).

(٥) سيأتي ص (٧٢٣)، ومعنى الحالقة أي: تهلك وتستأصل الدين، كما يستأصل موس الحلاقة الشعر. ينظر: النهاية (١/ ٤٢٨) مادة (حلق)، ويعني ذلك: لا تبقي شيئًا من الحسنات. ينظر: شرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٤٠٤)، ت: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.

(٦) قال في مقاييس اللغة (٦/ ٤٦) عند مادة (هرش): "الهاء والراء والشين: كلمة واحدة، هي مهارشة الكلاب: تحريش بعضها على بعض. ومنه يقاس التهريش، وهو الإفساد بين الناس".

يسعون في إنقاذ الأمة ويريدون السير بها إلى بر الأمان، فلما رأى الناس اختلاف الدعاة، وتفرق كلمتهم، وطعن بعضهم في بعض، وربما يصل الأمر مع بعضهم البعض إلى أشد من ذلك من التكفير والقتل، أو على الأقل الأذية باليد واللسان، فأدى ذلك إلى نفور الناس من هؤلاء الدعاة، وانفضوا من حولهم.

الأضرار المترتبة على التفرق والاختلاف والتنازع وأثرها على الدعوة:

١- فشل الدعاة في إيصال الخير للناس، ونقلهم من حالة السوء والتقصير إلى حالة الاستقامة والتمسك؛ لخذلان الله لهم بسبب تنازعهم، ولذا كم فشلت مشاريع دعوية كانت تقوم بدور كبير في تعليم الناس الخير، فلما هبت عليها ريح الاختلاف والتنازع توقفت، وحرم الناس من خيرها، كل جماعة تريد أن تستخدمها لمصالحها الحزبية الضيقة.

٢- ذهاب الريح والهيبة من القلوب وقلة الاحترام والتقدير، وضعف أثر التربية، وبالتالي ضَعُفَ أثر الدعاة على الناس.

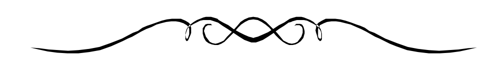
قال تبارك وتعالى آمرًا بطاعة الله ورسوله، ومحذرًا الأمة من التنازع ومبينًا أثر ذلك: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال: ٤٦].

٣- ضَعُفَ الاعتصامُ بالكتاب والسنة، وهبت ريح الأهواء والبدع، ووقع الضلال والانحراف عن الصراط المستقيم، ولما خالفوا قول الله تعالى: ﴿وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وخالفوا قول الرسول ﷺ: «وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟» قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: «اللهُمَّ اشْهَدْ، اللهُمَّ اشْهَدْ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ.. الحديث، ولم يمتثلوا قوله ﷺ: «إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ».

ولما حصل ذلك منهم سلط الله عليهم الاختلاف والتفرق، وذهاب الهيبة منهم من قلوب الأعداء، فتسلط عليهم عدوهم، وسعى في إبعادهم عن الدعوة بكل ما يستطيع، وسيأتي تفصيل لهذا الموضوع[١].

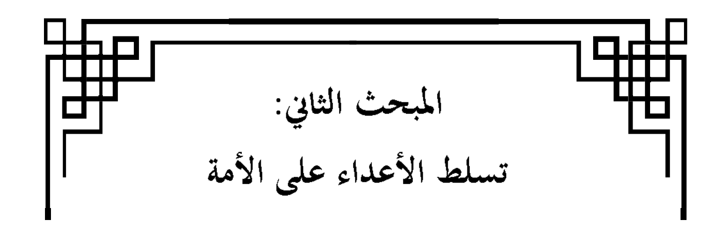
٤- وقوع الهلاك الذي حذر منه النبي أمته، فقالَ ﷺ : «لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا»، وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ».

٥- أدى الاختلاف والتنازع إلى انصراف طلاب العلم عنه، وانشغالهم بالرد على بعضهم، فحصل الجهل، وفهم الدين على حسب الأهواء، وليس على منهج الأنبياء، ومنهم من أقبل على العبادة بجهل، وترك طلب العلم ومجالسة العلماء، فدب إليهم داء الافتراق والتنازع، فهلكوا ووصل الأمر في بعض الأحيان إلى سفك الدماء، كما قال ابن سيرين رحمه الله: "إن قومًا تركوا طلب العلم ومجالسة العلماء، وأخذوا في الصلاة والصيام حتى يبس جلد أحدهم على عظمه، ثم خالفوا السنة، فهلكوا وسفكوا دماء المسلمين، فوالذي لا إله غيره، ما عمل أحد عملًا على جهل إلا كان يفسد أكثر مما يصلح"[٢].



(١) ينظر: ص (٧٢١، ٧٢٣).

(٢) الاستذكار (٨/ ٦١٦).



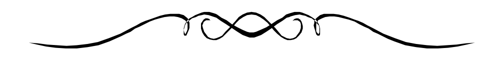
المبحث الثاني: تسلط الأعداء على الأمة

لما دب إلى القلوب داء الأمم قبلنا الحسد والبغضاء، وتمكن حب الدنيا من القلوب، وكره الدعاة وأتباعهم الموت في سبيل الله، وظهر التفرق، والتحزب، والتنازع، تداعت الأعداء على هذه الأمة كما يتداعى الأكلة على موائد الطعام، مع كثرة الأمة إلا أنهم لا وزنهم لهم ولا قيمة؛ لأنهم مشغولون بأنفسهم عن أعدائهم، وقد أخبر النبي ﷺ بهذه الحالة، فقال: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَى قَصْعَتِهَا»، فَقَالَ قَائِلٌ: وَمِنْ قِلَّةٍ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمُ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْذِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فَقَالَ قَائِلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ».

وحب الدنيا باب الشيطان الكبير الذي يدخل منه إلى القلوب، ويسعى في التفريق والتحريش به بين المؤمنين، ويُمكّن من خلاله لتسلط الأعداء؛ ولهذا –والله أعلم– نجد أن الله تعالى يقدم التحذير من الاغترار بالدنيا على التحذير من الاغترار بالشيطان، فقال تعالى: ﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [لقمان: ٣٣]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [فاطر: ٥]؛ لأن القلوب إذا تعلقت بالدنيا أحبتها وزهدت في الآخرة، وكرهت لأجلها الموت في سبيل الله، ورضيت بأن تعيش لشهواتها، وأخلدت إلى الأرض، فتسلطت عليها شياطين الجن والإنس، وأشغلتها بالتنازع والافتراق، وضربت قلوب بعضها ببعض، ومن ثَمَّ تُركت الدعوة أو ضعف الاهتمام بها، وأقبلت النفوس على الدنيا تسابق إليها وتنافس فيها،

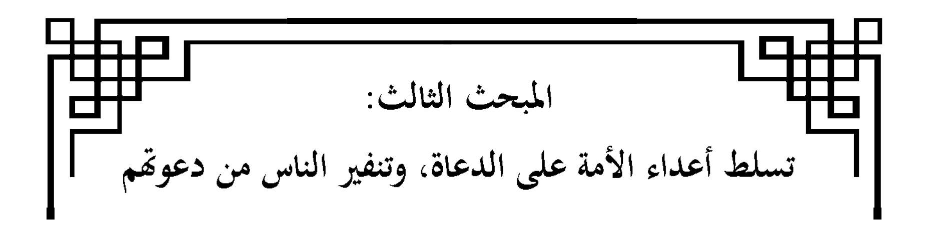
ودب إلى القلوب داء الأمم الحسد والبغضاء كما قال ﷺ: «دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الحَسَدُ وَالبَغْضَاءُ، هِيَ الحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ: تَحْلِقُ الشَّعَرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟! أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ»[(١)].

واستغلَّ الشيطان هذه الأجواء ليستفيد من إذكاء نار الفتنة وزيادة الفرقة والتنازع بتحريشه بينهم، كما في حديث جابرٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ»[(٢)].



(١) أخرجه أحمد في المسند (٣/ ٢٩) ح (١٤١٢)، والترمذي واللفظ له في أبواب صفة القيامة والرقائق والورع، باب.. (٤/ ٦٦٤) ح (٢٥١٠) وذكر أن الحديث مختلف فيه، وجوّد إسناده كل من المنذري في الترغيب والترهيب (٣/ ٢٨٥) ح (٤٠٨٤) والهيثمي في مجمع الزوائد في كتاب الأدب، باب أجر السلام (٨/ ٣٠) ح (١٢٧٣٢)، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/ ٢٣) ح (٢٦٩٥).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب صفة القيامة والجنة والنار، باب تحريش الشيطان وبعثه سراياه لفتنة الناس وأن مع كل إنسان قرينًا (٤/ ٢١٦٦) ح (٢٨١٢).



المبحث الثالث:
تسلط أعداء الأمة على الدعاة، وتنفير الناس من دعوتهم

وإذا سعى الشيطان ليفرق بين المسلمين، فحدث التنازع والاختلاف بينهم، عند ذلك تسلط أعداء الأمة عليها، وسعوا في صرفها عن دينها، وفي إبعادها عن دعاتها، بتشويه سمعتهم، وصرف الناس عنهم، فإذا كان الدعاة لديهم خلل في علاقتهم بربهم، بسبب القصور في تحقيق أعمال قلوبهم الذي أحدث خللًا في سلوكهم، فصاروا قدوات سيئة؛ لأن القلب إذا فسد فسدت سائر الجوارح، وظهر الخلل في سلوك صاحب القلب المريض، كما أخبر بذلك النبي ﷺ(١)، فإذا حصل الخلل في سلوك من ينتسب إلى الدعوة صرف الله القلوب عن حبهم، كما قال ﷺ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبَّهُ، قَالَ: فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي السَّمَاءِ فَيَقُولُ: إِنَّ اللهَ يُحِبُّ فُلَانًا فَأَحِبُّوهُ، فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ، قَالَ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الْأَرْضِ، وَإِذَا أَبْغَضَ عَبْدًا دَعَا جِبْرِيلَ فَيَقُولُ: إِنِّي أُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضْهُ، قَالَ فَيُبْغِضُهُ جِبْرِيلُ، ثُمَّ يُنَادِي فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللهَ يُبْغِضُ فُلَانًا فَأَبْغِضُوهُ، قَالَ: فَيُبْغِضُونَهُ، ثُمَّ تُوضَعُ لَهُ الْبَغْضَاءُ فِي الْأَرْضِ».

وهنا يتمكن أعداء الدعوة من مرادهم، فيحدث الإرجاف والتخويف من قبل الشيطان وحزبه، وتقوى دعاية أهل الباطل، فتجد آذانًا صاغية من أتباع الدعاة -بسبب الدعاة أنفسهم- لأنهم رسموا صورة قبيحة في أذهان أتباعهم بتكالبهم على الدنيا، والتساهل في ارتكاب الحرام بأدنى الحيل، وتنازعهم وتفرقهم واختلاف كلمتهم، وطعن بعضهم في بعض، فلم يكونوا قدوة صالحة، فضعف تأثيرهم، وصدّق أتباعهم

---

(١) كما في الحديث الذي سبق تخريجه يقول ﷺ: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ، فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ».

ما يقال عنهم، أو على الأقل اهتزت صورتهم في أعين المدعوين؛ لأنهم رأوا بأعينهم من مظاهر الخلل الواضحة عند هؤلاء الدعاة في أقوالهم وأفعالهم، وهذا ما مكّن لأعدائهم ما يسعون له من التشويه وتنفير الناس عنهم.

ومن ثَمَّ تسلطت عليهم شياطين الإنس والجن، فبثوا الرعب في قلوبهم وقلوب أتباعهم، حتى انصرفوا عن الدعوة بسبب تخويف الشيطان لهم بأوليائه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]. قال ابن كثير رحمه الله: "أي: يخوفكم أولياءه، ويوهمكم أنهم ذوو بأس وذوو شدة"(١).

وإنما يؤتى الدعاة من قبل أنفسهم بسبب الخلل الذي في قلوبهم الذي يعلمه الله من ضعف الإيمان والتعلق بالحياة الدنيا، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ مِنكُمْ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ إِنَّمَا ٱسْتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُواْ﴾ [آل عمران: ١٥٥].

وقال تعالى عما حصل من خلل في غزوة أحد بسبب تعلق القلوب بالدنيا: ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ وَعَصَيْتُم مِّنۢ بَعْدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْأَخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢].

وفي غزوة حنين حينما اغترت بعض القلوب بالكثرة، وحصل العجب في القلوب، وضعف تعلق القلب بالله في النصر، حصلت الهزيمة في أول المعركة؛ ليربي الأمة ويعطيها درسًا تنتفع به في كل زمان، فقال تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ١٧٢).

كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾ [التوبة: ٢٥].

فعدم الإيمان أو ضعفه أو تعلق القلب بالدنيا، أو حصول الأمراض في القلب من عجب أو رياء أو تعلق بغير الله وغيرها من أسباب الخلل مما يؤدي إلى تسلط العدو على الدعاة وبث الدعاية ضدهم، لكن إذا قوي إيمان الداعية وتعلق قلبه بالله وتدرع بالصبر والتقوى، حينها يقوى خوفه من الله، ويخرج الله من قلبه الخوف من أولياء الشيطان، ولم يتمكنوا من صده عن الدعوة، ولا يمكّنهم الله من تشويه سمعته بما قذف في قلوب عباده من حبه، بل يفشل الله خططهم، ويجعل مكرهم يحيق بهم، كما نصت على ذلك الآيات حيث بين ﷻ أن التقوى والصبر يدفعان كيد العدو، فلا يضر الداعية ولا يسري مفعوله في قلبه، فقال تعالى: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴾ [آل عمران: ١٢٠].

قال السعدي رحمه الله في تعليقه على الآية: "فإذا أتيتم بالأسباب التي وعد الله عليها النصر -وهي الصبر والتقوى- لم يضركم مكرهم، بل يجعل الله مكرهم في نحورهم؛ لأنه محيط بهم علمه وقدرته، فلا منفذ لهم عن ذلك، ولا يخفى [عليهم](١) منهم شيء"(٢).

وقد أخبر تعالى عن حال من يفسدون في الأرض ولا يصلحون، إذا واجهوا أهل الحق الأقوياء بإيمانهم وتمسكهم بالحق الذي معهم، كيف أن الله يدافع عن أهل الحق ويحطم مكر عدوهم ويدمره، فقال تعالى: ﴿

---

(١) هكذا في الأصل، ولا يستقيم المعنى بذلك، فالصحيح: (عليه).

(٢) تفسير السعدي (١٤٥).

﴾ [النمل: ٤٨-٥٣].

وأخبر ﷻ أن المكر السيّئ لا يحيق إلا بصاحبه، فيهلكه الله به، وقد جرت سنة الله بذلك، وسنته ﷻ لا تتبدل ولا تتحول، كما قال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ [فاطر: ٤٢، ٤٣].

وقد أخبر ﷻ أنه يدافع عن عباده المؤمنين، فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحج: ٣٨]، وقد تكفل بنصرهم بكل أنواع النصر إذا هم صدقوا في إيمانهم، وجاهدوا أنفسهم في إصلاح خلل قلوبهم، واجتهدوا في العمل الصالح، فقد وعد ﷻ فقال: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الروم: ٤٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿• • • • • • • • • • • •

• • • • • • • • • • • •

• • • • • • • • • • •﴾ [يونس: ٦٢-٦٤].

وذكر النبي ﷺ أن الله ﷻ سيتولى محاربة من يحارب أولياءه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ» الحديث.

ولكن قد يتأخر النصر، ويُمَكَّنُ للعدو إلى حين ابتلاءً وتمحيصًا، ولله في ذلك حكمة، ليظهر في الواقع معلوم الله، فيعرف الصادق من الكاذب، ويميز بين المؤمن وغيره، ويتخذ من المؤمنين شهداء، ثم تحدث سنة الله في محق أعداء الدين، قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ ۚ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَاءَ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩-١٤١].

وفي الآيات السابقة التي أنزلها الله ضمن آيات عقّب بها الله على غزوة أحد؛ لتكون درسًا للمؤمنين إلى قيام الساعة ينتفعون بها، ويأخذون منها العبر والعظات في حياتهم، يقول السعدي رحمه الله: "وذكر تعالى أنه لا ينبغي ولا يليق بهم الوهن والحزن، وهم الأعلون في الإيمان، ورجاء نصر الله وثوابه، فالمؤمن المتيقن ما وعده الله من الثواب الدنيوي والأخروي لا ينبغي منه ذلك، ولهذا قال تعالى: ﴿وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾.

ثم سلاهم بما حصل لهم من الهزيمة، وبيَّن الحِكَم العظيمة المترتبة على ذلك، فقال: ﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ﴾، فأنتم وإياهم قد تساويتم في القرح، ولكنكم ترجون من الله ما لا يرجون، كما قال تعالى: ﴿إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ ۖ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا يَرْجُونَ﴾ [النساء: ١٠٤].

ومن الحكم في ذلك أن هذه الدار يعطي الله منها المؤمن والكافر، والبر والفاجر، فيداول الله الأيام بين الناس، يوم لهذه الطائفة، ويوم للطائفة الأخرى؛ لأن هذه الدار الدنيا منقضية فانية، وهذا بخلاف الدار الآخرة، فإنها خالصة للذين آمنوا.

﴿وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ هذا أيضا من الحكم أنه يبتلي الله عباده بالهزيمة والابتلاء؛ ليتبين المؤمن من المنافق؛ لأنه لو استمر النصر للمؤمنين في جميع الوقائع لدخل في الإسلام من لا يريده، فإذا حصل في بعض الوقائع بعض أنواع الابتلاء، تبين المؤمن حقيقة الذي يرغب في الإسلام، في الضراء والسراء، واليسر والعسر، ممن ليس كذلك.

﴿وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ﴾ وهذا أيضًا من بعض الحكم؛ لأن الشهادة عند الله من أرفع المنازل، ولا سبيل لنيلها إلا بما يحصل من وجود أسبابها، فهذا من رحمته بعباده المؤمنين أن قيَّض لهم من الأسباب ما تكرهه النفوس؛ لينيلهم ما يحبون من المنازل العالية والنعيم المقيم، ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الذين ظلموا أنفسهم، وتقاعدوا عن القتال في سبيله، وكأن في هذا تعريضًا بذم المنافقين، وأنهم مبغضون لله، ولهذا ثبطهم عن القتال في سبيله.

﴿وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ﴾ [التوبة: ٤٦].

﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ وهذا أيضًا من الحكم أن الله يمحص بذلك المؤمنين من ذنوبهم وعيوبهم، يدل ذلك على أن الشهادة والقتال في سبيل الله يكفر الذنوب، ويزيل العيوب، وليمحص الله أيضًا المؤمنين من غيرهم من المنافقين، فيتخلصون منهم، ويعرفون المؤمن من المنافق.

ومن الحكم أيضًا أنه يقدر ذلك، ليمحق الكافرين، أي: ليكون سببًا لمحقهم واستئصالهم بالعقوبة، فإنهم إذا انتصروا، بغوا، وازدادوا طغيانًا إلى طغيانهم، يستحقون

به المعاجلة بالعقوبة رحمة بعباده المؤمنين"(١).

وسيأتي مزيد بيان حول أسباب تأخر النصر في مبحث قادم(٢).

وفي المقابل ذكر الله حال أصحاب القلوب المريضة، عندما يحصل لهم فتنة من أعداء الدعوة يجعلونها كفتنة الله، وينكصون على أعقابهم، ويظهر علم الله فيهم في الواقع، فيُعْلَمُ المؤمن الصادق من المنافق، كما قال تعالى عنهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِۖ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠، ١١].

قال البغوي رحمه الله: "قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾ أصابه بلاء من الناس افتتن، ﴿جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ أي: جعل أذى الناس وعذابهم كعذاب الله في الآخرة، أي: جزع من عذاب الناس ولم يصبر عليه، فأطاع الناس كما يطيع الله من يخاف عذابه، هذا قول السدي وابن زيد، قالا: هو المنافق إذا أوذي في الله رجع عن الدين وكفر"(٣).

ويقول السعدي رحمه الله: "لما ذكر تعالى أنه لا بد أن يمتحن من ادَّعى الإيمان، ليظهر الصادق من الكاذب(٤)، بيَّن تعالى أن من الناس فريقًا لا صبر لهم على المحن، ولا ثبات لهم على بعض الزلازل فقال: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ

(١) تفسير السعدي (١٤٩-١٥٠).

(٢) ينظر: ص (٧٤١).

(٣) تفسير البغوي (٦/ ٢٣٤).

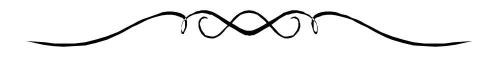
(٤) يشير بهذا إلى قول الله تعالى: ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣].

﴿فِي ٱللَّهِ﴾ بضرب، أو أخذ مال، أو تعيير؛ ليرتد عن دينه، وليراجع الباطل، ﴿جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ أي: يجعلها صادَّة له عن الإيمان والثبات عليه، كما أن العذاب صادٌّ عما هو سببه.

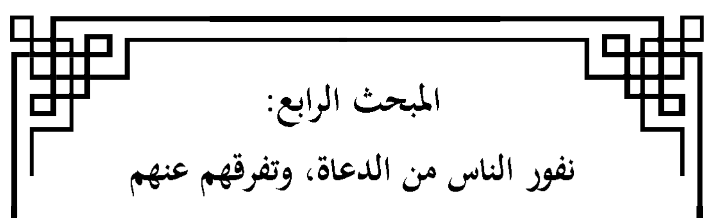
﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ﴾ لأنه موافق للهوى، فهذا الصنف من الناس من الذين قال الله فيهم: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

﴿أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ حيث أخبركم بهذا الفريق الذي حاله كما وصف لكم، فتعرفون بذلك كمال علمه وسعة حكمته.

﴿وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾ أي: فلذلك قَدَّرَ مِحَنًا وابتلاء؛ ليظهر علمه فيهم، فيجازيهم بما ظهر منهم، لا بما يعلمه بمجرده؛ لأنهم قد يحتجون على الله، أنهم لو ابتُلوا لَثَبَتُوا"(١).



(١) تفسير السعدي (٦٢٧).



المبحث الرابع:
نفور الناس من الدعاة، وتفرقهم عنهم

توطئة:

وقد ذكرت في المبحث السابق كيف أن الأعداء يشوهون سمعة الدعاة بما يظهر عليهم من خلل وقصور في سلوكهم وسوء خلق في تعاملهم، فأضيف هنا أنه إذا فرط الداعية في أعمال القلوب، وفي تحقيقها ومحاسبة نفسه ومجاهدتها على ذلك، انعكس أثر ذلك على سلوكه فظاظة في القلب، وقلة رحمة بالمدعوين، وانعدامًا للرفق، وغير ذلك من الآثار، وهذه الأخلاق الذميمة ستؤدي إلى نفور المدعوين منه ومن دعوته، وانفضاضهم من حوله، ودونك شيئًا من أسباب نفور الناس من بعض الدعاة، بسبب صفات السوء التي وقعوا فيها، ومنها:

١- سوء أخلاق الداعية:

سوء الخلق عند الداعية من الأسباب العظيمة التي تجعل الناس ينفرون من دعوته، وينفضون من حوله، ودونك صورًا من سوء الخلق التي يتصف بها بعض الدعاة، فتكون سببًا لنفور الناس منهم ومن دعوتهم، ومن تلك الأخلاق السيئة:

أ- **غلظ القلب وقلة الرحمة فيه**، قال الله تعالى عن أثر هذا الخلق السيّئ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

ب- **أن يحرم الداعية من الرفق:** عَنْ جَرِيرٍ ﵁، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ»، وفي رواية عَنْ جَرِيرٍ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»، وعَنْ عَائِشَةَ ﵂ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».

وقد مر الكلام على الرفق في أكثر من موطن في هذه الدراسة[١].

ت- اتصاف الداعية بالشح والبخل[٢]:

إذا اتصف الداعية بالشح والبخل نفر الناس منه؛ لأن الداعية لا بد أن يكون قدوة حسنة في البذل والإنفاق والكرم كما كان القدوة لجميع الدعاة إلى الله، يقول الواصف له ﷺ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رضي الله عنه: «كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَشْجَعَ النَّاسِ»[٣].

وعن جُبَيْرِ بْنُ مُطْعِمٍ رضي الله عنه أَنَّهُ بَيْنَا هُوَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَمَعَهُ النَّاسُ، مُقْبِلًا مِنْ حُنَيْنٍ، عَلِقَتْ[٤] رَسُولَ اللَّهِ ﷺ الأَعْرَابُ يَسْأَلُونَهُ حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ عَدَدُ هَذِهِ العِضَاهِ[٥] نَعَمًا، لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلًا، وَلاَ كَذُوبًا، وَلاَ جَبَانًا»[٦].

---

(١) ينظر: ص (٥٣٠).

(٢) الشح أشد البخل، فهو بخل مع حرص.

ينظر: مقاييس اللغة (٣/ ١٧٨)، المفردات في غريب القرآن (ص: ٤٤٦)، لسان العرب (٢/ ٤٩٥) مادة (شح).

وقال الخطابي رحمه الله في التفريق بين البخل والشح: "الشح أبلغ في المنع من البخل، وإنما الشح بمنزلة الجنس والبخل بمنزلة النوع، وأكثر ما يقال البخل إنما هو في إفراد الأمور وخواص الأشياء، والشح عام وهو كالوصف اللازم للإنسان من قبل الطبع والجبلة. وقال بعضهم: البخل أن يضن بمال، والشح أن يبخل بماله وبمعروفه". معالم السنن (٢/ ٨٣-٨٤).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء، وما يكره من البخل (٨/ ١٣) ح (٦٠٣٣)، ومسلم واللفظ له في كتاب الفضائل، باب في شجاعة النبي ﷺ وتقدمه للحرب (٤/ ١٨٠٢) ح (٢٣٠٧).

(٤) أي استمسكوا وتعلقوا به.

ينظر: النهاية في غريب الحديث (٣/٢٨٨)، المعجم الوسيط(٢/٦٢٢) مادة (علق).

(٥) قال ابن قتيبة في غريب الحديث (١/٢٧٣): "العضاه كل شجر له شوك مثل الطَّلْح والسَّلَم والسَّمُر والسِّدْر".

(٦) أخرجه البخاري في كتاب فرض الخمس، باب ما كان النبي ﷺ يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه (٤/٩٤) ح (٣١٤٨).

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ، وَأَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ؛ لِأَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، حَتَّى يَنْسَلِخَ يَعْرِضُ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ القُرْآنَ، فَإِذَا لَقِيَهُ جِبْرِيلُ كَانَ أَجْوَدَ بِالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ»(١).

وقال ﷺ عن هذه الأخلاق السيئة: «وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ» الحديث(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «وَلَا يَجْتَمِعُ الشُّحُّ وَالْإِيمَانُ فِي قَلْبِ عَبْدٍ أَبَدًا» الحديث(٣).

ويقول ﷺ: «وَإِيَّاكُمْ والشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، أَمَرَهُمْ بِالْقَطِيعَةِ فَقَطَعُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْبُخْلِ فَبَخِلُوا، وَأَمَرَهُمْ بِالْفُجُورِ فَفَجَرُوا» الحديث(٤).

وكان ﷺ يتعوذ كثيراً من مجموعة من الأخلاق السيئة منها البخل، كما ذكر عنه أنس ﷺ(٥).

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كان جبريل يعرض القرآن على النبي ﷺ (٦/ ١٨٦) ح (٤٩٩٧)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير من الريح المرسلة (٤/ ١٨٠٣) ح (٢٣٠٨).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الظلم (٤/ ١٩٩٦) ح (٢٥٧٨).

(٣) أخرجه أحمد (٤٣٣/١٥) ح (٩٦٩٣)، والنسائي في كتاب الجهاد، باب فضل من عمل في سبيل الله على قدمه (١٣/٦) ح (٣١١٠)، وابن حبان في صحيحه في باب الوعيد لمانع الزكاة، ذكر نفي اجتماع الإيمان والشح عن قلب المسلم (٤٣/٨) ح (٣٢٥١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٢٦٢/٢) ح (٧٦١٦)، وصححه بمجموع طرقه شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (٤٣٣/١٥) ح (٩٦٩٣).

(٤) أخرجه أحمد (١١/ ٢٦) ح (٦٤٨٧)، وأبو داود في كتاب الزكاة، باب في الشح (٢/ ١٣٣) ح (١٦٩٨)، وابن حبان في صحيحه في كتاب الغضب، ذكر الزجر عن الظلم والفحش والشح (١١/ ٥٧٩) ح (٥١٧٦)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/ ٧٠١) ح (٢٦٠٤)، وصحح إسناده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند (١١/ ٢٦) ح (٦٤٨٧).

(٥) كما ورد في حديث أنس ﷺ: فَكُنْتُ أَسْمَعُهُ كَثِيرًا يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الهَمِّ وَالحَزَنِ، وَالعَجْزِ وَالكَسَلِ، وَالبُخْلِ وَالجُبْنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ» وقد سبق تخريجه.

ث-استخدام أساليب الشتم والتجريح مع المدعوين:

إن من سمات منهج الأنبياء في دعوتهم اللين في القول، والبعد عن الفظاظة وسيّئ القول، كما وجه الله موسى وهارون عليهما السلام في دعوتهم للطاغية فرعون بالقول اللين معه؛ لعله يتذكر أو يخشى، فقال ﷻ: ﴿ٱذۡهَبَآ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ۝٤٣ فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

وفي هذا دليل على أن منهج الداعية في الدعوة إلى الله تعالى يكون بالرفق واللين ولطيف الكلام، مع حسن الأدب، من دون غلظة في القول أو فظاظة في الفعل، حتى لا ينفر الناس من الداعية؛ وليكون كلامه أوقع في النفوس وأبلغ(١).

وقد حث الله عباده على القول الحسن مع الناس في أكثر من آية؛ ليكون منهجًا يسير عليه المؤمن، والدعاة إلى الله تعالى من باب أولى، فقال تعالى: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا﴾ [البقرة: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿Y Z [\ ] ^ _` a b c d e f g h i j k l m n o p﴾ [النحل: ١٢٥].

وقال تعالى: ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ۝٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ

---

(١) ينظر: تفسير البغوي (٥/ ٢٧٤)، تفسير ابن كثير (٥/ ٢٩٥)، تفسير السعدي (٥٠٦).

أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ۝٣٤ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ۝٣٥ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [فصلت: ٣٣-٣٦].

ووقوع من يدعو إلى الله في القول السيّئ والسب والفحش في القول ليس من منهج الأنبياء، ولهذا جاء في السنة في بيان خلق رسول الله ﷺ نفي هذه الصفات عنه، فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشًا وَلاَ مُتَفَحِّشًا، وَكَانَ يَقُولُ: «إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ أَحْسَنَكُمْ أَخْلاَقًا»(١).

وعَنْ أَنَسٍ ﷺ قَالَ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاحِشًا، وَلاَ لَعَّانًا، وَلاَ سَبَّابًا، كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْمَعْتَبَةِ(٢): «مَا لَهُ؟! تَرِبَ جَبِينُهُ»(٣).

ومما يدل على قبح هذه الصفات أن الله لا يحبها، ولا يحب لعبده أن يتصف بها، فقَالَ ﷺ: «فَإِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفُحْشَ وَالتَّفَحُّش»(٤).

والفحش هو القبيح من القول والفعل(٥).

ومن كانت لديه هذه الأخلاق السيئة نفر الناس من دعوته، ولو كان يملك قدرة علمية كبيرة.

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ (٤/ ١٨٩) ح (٣٥٥٩)، ومسلم في كتاب الفضائل، باب في كثرة حيائه ﷺ (٤/ ١٨١٠) ح (٢٣٢١).

(٢) هو الذي يعاتب صديقه إشفاقًا عليه ونصيحة له.

ينظر: لسان العرب (١/ ٥٧٧) مادة (عتب).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب الأدب، باب ما ينهى من السباب واللعن (٨/ ١٥) ح (٦٠٤٦).

(٤) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (٤/ ١٧٠٧) ح (٢١٦٥).

(٥) ينظر: شرح النووي على مسلم (١٤/ ١٤٧).

ج- العجب والغرور والكبر:

وسبق الكلام على هذه الأخلاق السيئة(١).

٢- القدوة السيئة من قبل بعض الدعاة:

الداعية إلى الله لا بد أن يكون قدوة حسنة في قوله وفعله، وخصوصًا أمام أهل بيته، ومن يقوم بدعوتهم؛ لأنهم يأخذون قوله وفعله على سبيل الاقتداء، فحينئذ كان لزامًا عليه أن يستشعر خطر القدوة السيئة؛ لأن ذلك يؤدي إلى أن يتحمل أوزار من اقتدى به، ويؤدي أيضًا إلى نفور الناس من دعوته، ولهذا قال تعالى محذرًا من ذلك ومبينًا خطره: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾ [الصف: ٢، ٣].

وقال تعالى: ﴿لِيَحۡمِلُوٓاْ أَوۡزَارَهُمۡ كَامِلَةٗ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَمِنۡ أَوۡزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥].

وقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»(٢).

ومن منهج الأنبياء عليهم السلام في دعوتهم أنه لا يخالف قولهم فعلهم، كما قال تعالى عن خطيب الأنبياء شعيب عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَرَزَقَنِي مِنۡهُ رِزۡقًا حَسَنٗاۚ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أُخَالِفَكُمۡ إِلَىٰ مَآ أَنۡهَىٰكُمۡ عَنۡهُۚ

(١) ينظر: العجب(٦٥٤)، الرياء(٦٦١)، الكبر(٦٧٣).

(٢) أخرجه مسلم في كتاب العلم، باب من سن سنة حسنة أو سيئة ومن دعا إلى هدى أو ضلالة (٤/ ٢٠٥٩) ح (١٠١٧).

إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُۚ وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨].

وفي الحديث يقُولُ ﷺ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُلْقَى فِي النَّارِ، فَتَنْدَلِقُ أَقْتَابُ بَطْنِهِ، فَيَدُورُ بِهَا كَمَا يَدُورُ الْحِمَارُ بِالرَّحَى، فَيَجْتَمِعُ إِلَيْهِ أَهْلُ النَّارِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، مَا لَكَ؟! أَلَمْ تَكُنْ تَأْمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ؟! فَيَقُولُ: بَلَى، قَدْ كُنْتُ آمُرُ بِالْمَعْرُوفِ وَلَا آتِيهِ، وَأَنْهَى عَنِ الْمُنْكَرِ وَآتِيهِ».

وهناك صور تمثل القدوة السيئة من قبل بعض الدعاة، مثل:

- وقوعه في بعض مظاهر الشرك والخلل في مقام توحيد الألوهية، كحضور الموالد، وعدم إنكاره على ما يحصل من مظاهر شركية عند القبور.
- التفريط في الصلوات.
- التساهل في صلاة الجماعة.
- التساهل في أكل المال الحرام.
- البذاءة في اللفظ.
- إخلاف الموعد.
- الركون إلى الدنيا وتعلق القلب بها، ويظهر هذا في كثرة حديثه عن الدنيا.
- ضياع الأوقات.
- السلبية وعدم تحمل المسؤولية.
- كثرة الهزل والضحك والمزاح.
- عدم الجدية في طلب العلم.
- التساهل في النظر إلى الحرام أو سماعه.
- وقوعه في الغيبة.

وقوع بعض الدعاة في مثل هذه الأخطاء يجعلهم قدوة سيئة، مما يلقي بظلاله على تربيتهم لأتباعهم، فيقتدون بهم في هذه الصفات القبيحة، وقد ينفر منهم بعض المدعوين فلا ينتفعون بهم.

وقد يكشف الله حالهم بالابتلاءات فيعرفون على حقيقتهم كما قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ﴾ الآية [آل عمران: ١٧٩].

قال السعدي رحمه الله في تفسيره لهذه الآية: "أي: ما كان في حكمة الله أن يترك المؤمنين على ما أنتم عليه من الاختلاط وعدم التميز حتى يميز الخبيث من الطيب، والمؤمن من المنافق، والصادق من الكاذب.

ولم يكن في حكمته أيضًا أن يطلع عباده على الغيب الذي يعلمه من عباده، فاقتضت حكمته الباهرة أن يبتلي عباده، ويفتنهم بما به يتميز الخبيث من الطيب، من أنواع الابتلاء والامتحان، فأرسل الله رسله، وأمر بطاعتهم، والانقياد لهم، والإيمان بهم، ووعدهم على الإيمان والتقوى الأجر العظيم.

فانقسم الناس بحسب اتباعهم للرسل قسمين: مطيعين وعاصين، ومؤمنين ومنافقين، ومسلمين وكافرين، ليرتب على ذلك الثواب والعقاب، وليظهر عدله وفضله، وحكمته لخلقه"(١).

٣- ضعف الصلة بالله، ويكون بتقصير الداعية في الفرائض وفي نوافل العبادات مما يجعل القلوب تنصرف عنه(٢).

٤- مخالفة الداعية لوصية النبي ﷺ لمعاذ وأبي موسى رضي الله عنهما حين بعثهما إلى اليمن في مهمة دعوية: فقال ﷺ: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا، وَتَطَاوَعَا وَلاَ تَخْتَلِفَا»(٣).

---

(١) تفسير السعدي (١٥٨).

(٢) وقد سبق الكلام عن أثر العبادات على الداعية في صلاح قلبه الذي يجعل قبولاً عند الناس، فاذا صلته بربه انصرفت القلوب عنه وعن دعوته ينظر مثلاً: ص (١٦٠، ٥٧٣).

(٣) أخرجه البخاري في كتاب فضل الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه (٤/ ٦٥) ح (٣٠٣٨)، ومسلم في كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير، وترك

=

وقال ابن حجر رحمه الله في فوائد الحديث: "وفي الحديث الأمر بالتيسير في الأمور، والرفق بالرعية وتحبيب الإيمان إليهم، وترك الشدة لئلا تنفر قلوبهم، ولا سيما فيمن كان قريب العهد بالإسلام أو قارب حد التكليف من الأطفال، ليتمكن الإيمان من قلبه ويتمرن عليه"[١].

٥- وقوع الداعية في أعمال تنفر المدعوين، ويكون بتكليفهم بما يشق عليهم، ويعجزون عن القيام به، وذلك بعدم مراعاة أحوالهم:

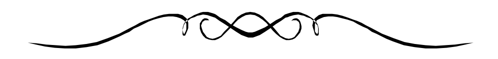
مثال على ذلك: إطالة الصلاة بهم إطالة تخالف منهج التيسير، وقد ورد في النصوص ما يبين المنهج الشرعي في العبادة المبني على التيسير، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥].

وقال تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾ [المائدة: ٦].

وقال تعالى: ﴿

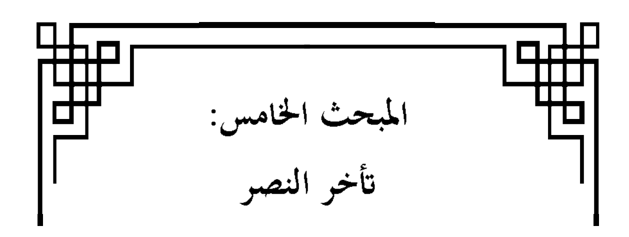
النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا قَوْمٌ نَعْمَلُ بِأَيْدِينَا، وَنَسْقِي بِنَوَاضِحِنَا، وَإِنَّ مُعَاذًا صَلَّى بِنَا البَارِحَةَ، فَقَرَأَ البَقَرَةَ، فَتَجَوَّزْتُ، فَزَعَمَ أَنِّي مُنَافِقٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «يَا مُعَاذُ، أَفَتَّانٌ أَنْتَ؟! -ثَلاَثًا- اقْرَأْ: وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا، وَسَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى، وَنَحْوَهَا»[١].

وعن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي لَأَقُومُ إِلَى الصَّلاَةِ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ أُطَوِّلَ فِيهَا، فَأَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ، فَأَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِي كَرَاهِيَةَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ»[٢].



(١) أخرجه البخاري واللفظ له في كتاب الأدب، باب من لم ير إكفار من قال ذلك متأولًا أو جاهلًا (٨/ ٢٦) ح (٦١٠٦)، ومسلم في كتاب الصلاة، باب القراءة في العشاء (١/ ٣٣٩) ح (٤٦٥).

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الأذان، باب خروج النساء إلى المساجد بالليل والغلس (١/ ١٧٣) ح (٨٦٨).



المبحث الخامس:
تأخر النصر

الذي أعنيه هنا بتأخر النصر ما يكون بسبب الذنوب التي انطوت عليها القلوب، وقد سبق الحديث عن آثارها في الفصل السابق، ولا أقصد في هذا المبحث تأخر النصر ابتلاءً واختبارًا وتمحيصًا ولرفعة الدرجات، وقد حصل ذلك للأنبياء عليهم السلام ولأتباعهم، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤].

قال السعدي رحمه الله: "يخبر تبارك وتعالى أنه لا بد أن يمتحن عباده بالسراء والضراء والمشقة كما فعل بمن قبلهم، فهي سنته الجارية التي لا تتغير ولا تتبدل، أن من قام بدينه وشرعه لا بد أن يبتليه، فإن صبر على أمر الله، ولم يبال بالمكاره الواقفة في سبيله، فهو الصادق الذي قد نال من السعادة كمالها، ومن السيادة آلتها.

ومن جعل فتنة الناس كعذاب الله، بأن صدته المكاره عما هو بصدده، وثنته المحن عن مقصده، فهو الكاذب في دعوى الإيمان، فإنه ليس الإيمان بالتحلي والتمني، ومجرد الدعاوى، حتى تصدقه الأعمال أو تكذبه.

فقد جرى على الأمم الأقدمين ما ذكر الله عنهم: ﴿مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ أي: الفقر، ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ أي: الأمراض في أبدانهم، ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ بأنواع المخاوف من التهديد بالقتل والنفي وأخذ الأموال وقتل الأحبة، وأنواع المضار حتى وصلت بهم الحال وآل بهم الزلزال إلى أن استبطؤوا نصر الله مع يقينهم به.

ولكن لشدة الأمر وضيقه قال ﴿ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ

ٱللَّهِ﴾، فلما كان الفرج عند الشدة، وكلما ضاق الأمر اتسع، قال تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾، فهكذا كل من قام بالحق فإنه يمتحن.

فكلما اشتدت عليه وصعبت، إذا صابر وثابر على ما هو عليه انقلبت المحنة في حقه منحة، والمشقات راحات، وأعقبه ذلك الانتصار على الأعداء وشفاء ما في قلبه من الداء، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢].

وقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدۡ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ فَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١-٣]، فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان"[١].

وقال تبارك وتعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

والظن في هذه الآية ليس من باب الشك؛ لأن الأنبياء منزهون عن ذلك، وإنما المراد به كما ذكر ابن عباس رضي الله عنهما: ما يخطر بالبال وتحدث به النفس من استبطاء النصر على ما تقتضيه الطبيعة البشرية من الضعف، وظن الأنبياء أنهم أُخْلِفوا، كما قال الله: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾[٢]، وهذا ما مال له شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، وذكر أن ظاهر الآية معه[٣].

---

(١) تفسير السعدي (٩٦).

(٢) ينظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣٩٣)، تفسير البغوي (٤/ ٢٨٦)، تفسير القرطبي (٩/ ٢٧٦).

(٣) ينظر: مجموع الفتاوى (١٥/ ١٧٦).

وكذلك فسر السعدي رحمه الله هذه الآية، ومال في تفسيرها إلى قول ابن عباس رضي الله عنهما، حيث قال: "يخبر تعالى أنه يرسل الرسل الكرام، فيكذبهم القوم المجرمون اللئام، وأن الله تعالى يمهلهم ليرجعوا إلى الحق، ولا يزال الله يمهلهم حتى إنه تصل الحال إلى غاية الشدة منهم على الرسل.

حتى إن الرسل -على كمال يقينهم، وشدة تصديقهم بوعد الله ووعيده- ربما أنه يخطر بقلوبهم نوع من الإياس، ونوع من ضعف العلم والتصديق، فإذا بلغ الأمر هذه الحال ﴿جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ﴾ وهم الرسل وأتباعهم، ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ﴾ أي: ولا يرد عذابنا، عمن اجترم، وتجرأ على الله، فما له من قوة ولا ناصر"[١].

أمثلة على أسباب تأخر النصر، نذكرها على سبيل الإجمال؛ لأنه مر الكلام عليها فيما سبق:

أولًا: الخلل في الإيمان بالله تعالى ويشمل:

أ- ضعف عقيدة التوحيد.

ب- ضعف الإيمان باليوم الآخر وتعلق القلب بالدنيا.

ت- وجود أمراض القلب ولذلك عدة صور، منها:

١- ضعف التوكل على الله.

٢- ضعف الإخلاص والخلل في المقاصد.

٣- العجب والكبر والرياء وحب السمعة.

٤- الخلل في الصبر والتقوى.

ثانيًا: الفرقة والاختلاف والتنازع.

---

(١) تفسير السعدي (٤٠٧).

ثالثًا: الغفلة عن ذكر الله.

رابعًا: التقصير في الفرائض والواجبات وارتكاب المنهيات، وله عدة صور منها:

١- التهاون بالصلاة.

٢- قطيعة الرحم.

٣- أذية الجار.

٤- التساهل في أكل المال الحرام، وارتكاب الحيل من أجل ذلك.

٥- الوقوع في آفات اللسان.

٦- السماع والنظر إلى الحرام.

خامسًا: التقصير في الإعداد المادي:

أما الإعداد المادي فقد أمر الله به، وأن يكون بحسب الوسع، فقال ﷻ: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقال ابن كثير رحمه الله: "ثم أمر تعالى بإعداد آلات الحرب لمقاتلتهم حسب الطاقة والإمكان والاستطاعة، فقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم﴾ أي: مهما أمكنكم، ﴿مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ﴾"(١).

وقال السعدي رحمه الله: "أي: ﴿وَأَعِدُّوا﴾ لأعدائكم الكفار الساعين في هلاككم وإبطال دينكم ﴿مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ أي: كل ما تقدرون عليه من القوة العقلية والبدنية وأنواع الأسلحة ونحو ذلك مما يعين على قتالهم، فدخل في ذلك أنواع الصناعات التي تعمل فيها أصناف الأسلحة والآلات من المدافع والرشاشات

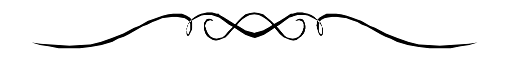
---

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٨٠).

والبنادق، والطيارات الجوية، والمراكب البرية والبحرية، والحصون والقلاع والخنادق، وآلات الدفاع، والرأي والسياسة التي بها يتقدم المسلمون ويندفع عنهم به شر أعدائهم، وتَعَلُّم الرَّمْيِ، والشجاعة والتدبير؛ ولهذا قال النبي ﷺ: «أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ»[(١)]. ومن ذلك: الاستعداد بالمراكب المحتاج إليها عند القتال؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾، وهذه العلة موجودة فيها في ذلك الزمان، وهي إرهاب الأعداء، والحكم يدور مع علته.

فإذا كان شيء موجود أكثر إرهابًا منها، كالسيارات البرية والهوائية المعدة للقتال التي تكون النكاية فيها أشد، كانت مأمورًا بالاستعداد بها، والسعي لتحصيلها، حتى إنها إذا لم توجد إلا بتعلُّم الصناعة وجب ذلك؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب"[(٢)].

وغير ذلك من الأسباب التي يتأخر النصر بسببها، والأسباب المعنوية أكثر أثرًا وخطرًا من الأسباب المادية.



(١) والحديث أخرجه مسلم في كتاب الإمارة، باب فضل الرمي والحث عليه، وذم من علمه ثم نسيه (٣/ ١٥٢٢) ح (١٩١٧) ولفظه: عن عُقْبَةَ بْنَ عَامِرٍ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى الْمِنْبَرِ يَقُولُ: «﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ، أَلَا إِنَّ الْقُوَّةَ الرَّمْيُ».

(٢) تفسير السعدي (٣٢٤).



الخاتمة

أهم النتائج.

أهم التوصيات والمقترحات.

ملخص لأهم النتائج والتوصيات والمقترحات.

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على نبينا وإمامنا وقدوتنا ﷺ، وبعد أن وفقني الله تعالى للعيش في ظلال هذا البحث الموسوم بـ(أثر أعمال القلوب على الداعية والدعوة) وقد كانت فترة ممتعة من جوانب كثيرة ومهمة صعبة ومرتقاً عال من جوانب أخرى، وقد أعانني الله فله الحمد والمنة، وها أنا أصل إلى خاتمة هذا البحث؛ فأقول مستعيناً بالله تعالى، متبرئاً من حولي وقوتي مسطراً في خاتمة هذا البحث خلاصة مركزة لأهم ما توصلت إليه من نتائج وتوصيات:

أولاً: أبرز النتائج.

- ظهر للباحث بجلاء المكانة العظيمة لأعمال القلوب من خلال نصوص الكتاب والسنة فقد كثرت النصوص في كتاب الله العظيم وفي سنة الرسول الكريم ﷺ في بيان المكانة الرفيعة والمنزلة العالية لعمل القلب، ولهذا قال ابن القيم رحمه الله وهو أحد أطباء القلوب: "فعمل القلب هو روح العبودية ولبها، فإذا خلا عمل الجوارح منه كان كالجسد الموات بلا روح... ومن تأمل الشريعة في مصادرها ومواردها علم ارتباط أعمال الجوارح بأعمال القلوب، وأنها لا تنفع بدونها، وأن أعمال القلوب أفرض على العبد من أعمال الجوارح، وهل يميز المؤمن عن المنافق إلا بما في قلب كل واحد منهما من الأعمال التي ميزت بينهما؟! وهل يمكن أحد الدخول في الإسلام إلا بعمل قلبه قبل جوارحه؟! وعبودية القلب أعظم من عبودية الجوارح وأكثر وأدوم، فهي واجبة في كل وقت؛ ولهذا كان الإيمان واجب القلب على الدوام، والإسلام واجب الجوارح في بعض الأحيان"[1].

وأعمال القلوب هي الأصل، وهي فرض على الأعيان باتفاق أهل الإيمان، من تركها بالكلية فهو إما كافر أو منافق، وأعمال الجوارح تابعة ومتممة لأعمال

([1]) بدائع الفوائد (٣/ ١٩٢-١٩٣)

القلوب، فلا تتم إلا بها[١].

- ولعمل القلب أثره العظيم في حياة المسلم بعامة وفي حياة الدعاة بخاصة، والنصوص حافلت بذكر أثر عمل القلب على صاحبه حينما يحققه ويجتهد في ذلك.
- ولا يصلح القلب ليظهر أثره على صاحبه إلا بقيام المسلم بتحقيق أسباب صلاح القلب، فهناك ارتباط وثيق بين صلاح الظاهر وصلاح الباطن.
- وإن المتأمل في حياة سلف الأمة يرى الدلائل العظيمة على أثر عمل القلب في حياتهم، وإن الناظر بعين البصيرة يرى بجلاء آثار الأعمال القلبية في حياة سلف الأمة، وما رفع الله ذكرهم وعطر الزمان بأخبارهم وسيرهم، ونشر علمهم في الأرض إلا تلك السرائر من خبايا أعمال القلوب التي تحققت فيهم.
- **إن المتأمل في حياة دعاة الأمة وعلى رأسهم العلماء الذين اجتهدوا في تحقيق عمل القلب في حياتهم وحاسبوا أنفسهم على ذلك، يرى تلك الآثار العظيمة عليهم وعلى دعوتهم:**

- من سلامة المقاصد وخلوصها لله وحده، وما وجدوه في قلوبهم لما صدقوا مع الله تعالى من الشعور القوي المتمكن في القلب الذي يجعلهم يستشعرون معية الله الخاصة ورعايته وتوفيقه وإعانته لهم.

- يقينهم بنصر الله لدينه، وتعلق قلوبهم بالله أثمر تفاؤلاً حسناً وقطع دابر اليأس من قلوبهم، فهم في أحلك الظروف وأشدها لا يفارق الفأل الحسن قلوبهم فلهذا ثبتهم الله أمام أعاصير الفتن، وضربوا أروع الأمثلة في الثبات على الحق والدعوة إليه بدون ملل ولا كلل، مهما كان صلف الباطل وقوته، فلما قويت قلوبهم بإيمانهم الصادق وحَمْلُهم للحق بحق وصدق وإخلاص، كانت كلماتهم ومواقفهم تنزل على الباطل فتدمغه فاذا

---

(١) ينظر: مجموع الفتاوى (١٨/ ١٨٤-١٨٥)، بدائع الفوائد (٣/ ١٨٧-١٨٨).

هو زاهق، كما قال الله تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ [الأنبياء: ١٨].

ولهذا نصرهم الله ونصر بهم دعوته فكانوا دعاة إلى بحق أوصل نور هذا على أيديهم إلى مشارق الأرض ومغاربها، وفتحوا الله لهم قلوب العباد قبل البلاد.

- معرفتهم بحقيقة الدنيا وحقيقة الآخرة جعلهم يزهدون في الدنيا وتتعلق قلوبهم بالآخرة، الزهد الصحيح على منهاج النبوة زهد لم يتكدر بمشارب صوفية استقت زهدها من الهندوس والبوذيين أو من رهبانية نصرانية.

- لما تعلقت قلوبهم بالله رزقهم حلاوة الإيمان وطعمه فاطمأنت القلوب بالحق وقويت فلا ترهبها صولة الباطل، ولا تخويف الشيطان بأوليائه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٧٥]، بل هم يتلذذون بما يجدونه في ذات الله.

- ولما حققوا عمل القلب تشوقوا إلى مرضاة الله وكانوا يسارعون إلى فعل القربات وهم لها يسابقون.

- ومن أعظم آثار تحقيق عمل القلب الفوز العظيم في الآخرة.

- **ولما صدقوا مع الله وحققوا عمل القلب وفقهم الله في دعوتهم للسير على منهج الأنبياء، والذي من معالمه:**

- كانت دعوة الأنبياء عليهم السلام خالصة لله، لا يريدون من أحد جزاءً ولا شكورًا.
- كان الأنبياء عليهم السلام أول ما يدعون إليه توحيد الله وإفراده بالعبادة، وتحذير أممهم من الشرك كبيره وصغيره، وتحذيرهم كذلك من الذرائع والسبل الموصلة إليه.
- ومن المعالم البارزة في دعوة الأنبياء الدعوة إلى الله على بصيرة، وبالحكمة والموعظة الحسنة، والمجادلة بالتي هي أحسن.

- كان الأنبياء عليهم السلام حريصين على هداية الناس، وإنقاذهم من الجاهلية، وإخراجهم من الظلمات إلى النور.
- ومن معالم دعوة الأنبياء عليهم السلام الرحمة والشفقة بالمدعوين، مما يجعل قلوب المدعوين تهوي إليهم، وتقبل عليهم، فيفتح الله لهم مغاليق القلوب.
- ومن المعالم البارزة في دعوة الأنبياء عليهم السلام أنهم يدعون إلى نبذ أسباب التفرق والاختلاف والتنازع، ويحذّرون من ذلك، وفي المقابل يدعون إلى الألفة والمحبة والاجتماع على الحق والاعتصام بالوحي.
- ومن سنن الله الكونية التي يجريها لأنبيائه، وللدعاة إلى الله الذين يقتفون أثر أنبيائه أن ينصرهم الله ويمكن لهم.

- **من القواعد المسلمة أن الدعوة لا تأتى إلا من قبل أهلها، ولا يحصل انحراف في الدعاة أو منهجهم في الغالب إلا إذا قصروا في عمل القلب، فاذا حصل الخلل في عمل القلب وأهمل الداعية تحقيقه، ولم يبذل أسباب صلاح قلبه، ولم يجاهد نفسه على ذلك، ظهرت الآثار المرة على الداعية في نفسه ومن ثم على دعوته:**

- وما يصيب الدعاة من خلل وقصور في دعوتهم، مرجعه الأول إلى القلب وما تراه اليوم من ضعف في الدعاة انعكس أثره على الأمة فظهرت نوابت الغلو وتمكنت من بعض القلوب بسبب الخلل في عمل القلب، أو في المقابل – وهو الأكثر– التفريط والتضييع للدعوة وتمييع الدين والهزيمة النفسية أمام العدو، فتلك مظاهر تخبر عما حصل من خلل في عمل القلب.
- تعلقت القلوب بالدنيا وتنازلت عن أصول دينها من أجل لعاعة من الدنيا، فقست القلوب، وتسلطت الشياطين.
- وظهر اتباع الهوى والولوغ في فتن الشبهات والشهوات، ولهث بعض الدعاة وراء الرياسات للمكاسب الدنيوية، فركنوا إلى الكفار والظلمة علهم يجدون ما

يبحثون عنه من الجاه والمال، فتسلقوا على أكتاف الدعوة طلباً للدنيا، فتسلط عليهم الأعداء ونفر الناس منهم.

- لما غزت الهزيمة النفسية قلوب بعض الدعاة، وقعوا بسبب ذلك في لبس الحق بالباطل وكتمانه، بحجة يسر الدين وتقريب الدين وعصرنته ليقبلوا عند من يسمونه بالآخر، فظهرت الفتاوى التي يلبس فيها الحق بالباطل ويكتم الحق إما رغبة في الحصول على الدنيا، أو رهبة من العدو الذين يخوفهم الشيطان به.
- وظهرت على بعض الدعاة أمراض القلوب من العجب،، والرياء، وحب السمعة والشهرة، وظهر الكبر، والبغضاء والشحناء والبغي .. فظهرت آثار ذلك من الضيق والتبرم من نصح الناصحين الصادقين، بل وصل الأمر إلى النفور من النصيحة وعدم حب الناصحين، وظهرت كذلك تتبع العثرات وتصيد الهفوات، والفرح بزلات الآخرين، وحصل التفرق والاختلاف وصار الولاء والبراء وفق الحزبيات الضيقة.
- ولما حصل الخلل في عمل القلب نتج عن ذلك الخذلان وقلة التوفيق من الله تعالى، فهزم الدعاة وضعفت شوكتهم، وتسلط عليهم العدو، ونفر اتباعهم منهم، وتأخر النصر عن الأمة بسببهم.
- ومن أعظم آثار الخلل في عمل القلب الخسارة الآخرة.

ثانياً: أبرز التوصيات والمقترحات.

يوصي الباحث بالآتي:

- أن يهتم المسلم بعامة والداعية بخاصة في تحقيق أعمال القلوب، وتفقد القلب ومحاسبة النفس على ما يحصل من خلل في هذه الأمور.
- الحرص على سلامة القلب لأنه الذي ينفع صاحبه يوم القيامة.
- ويرى الباحث أن من المناسب أن تقرر مادة دراسية في كليات الدعوة ومعاهد الحسبة تتعني بأعمال القلوب وأثرها على الداعية والمحتسب.
- وأرى أن تهتم جمعيات الدعوة ومراكز الدعوة ببرامج تستهدف بها دعاتها في أعمال القلوب وأثرها على الداعية وذلك بتخصيص دورات في هذا المجال.
- وأوصي بأن تهتم وزارة الشؤون الإسلامية بهذا الأمر وتوجه الدعاة والخطباء للأعتناء بأعمال القلوب وأثرها، ويعطونه نصيباً موفوراً من خلال خطب الجمعة ودروس المساجد والمحاضرات والكلمات الوعظية.
- يوصي الباحث بأن تؤلف كتب من قبل المختصين للتدارسها من قبل الأئمة على جماعة المسجد، ومن الأفكار المقترحة أن يؤلف كتاب على غرار رياض الصالحين تجمع فيه الآيات والأحاديث التي تعتني بأعمال القلوب وآفاتها مع ذكر الآثار لكل عمل بشكل مختصر.
- إنشاء مواقع على الشبكة تعتني بالمادة العلمية وتكون متجددة، ويقوم عليها من يهتم بهذا الأمر من المؤهلين لذلك، ومن المختصين بالبرمجة.
- أن تؤلف رسائل علمية تركز على أثر عمل القلب على المسلم في جانب العقيدة، وفي الجانب العبادي.
- إنشاء أكاديمية تعتني بأعمال القلوب وأثرها وتستقطب من يهتم بهذا الأمر لعمل كتب دراسية تقرر على الدارسين في هذه الأكاديمية، مع إنشاء قناة فضائية ترتبط بهذه الأكاديمية تبث البرامج الموجهة للمسلمين، ويستقطب من أهل الإعلام من لهم ميول في هذا الموضوع، ويكون لها موقع على الشبكة.

فهرس الآيات

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ ﴾	[البقرة: ١٥٣]	٢١٧-٢٨٨-٣٣٩
﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	[البقرة: ١٥٥]	٤٣٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ ﴾	[البقرة: ١٥٩].	٦٤٤-٦٤٥-٦٤٦
﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	[البقرة: ١٦٠]	٦٤٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾	[البقرة: ١٦١]	٦٤٦
﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾	[البقرة: ١٦٥]	٢٢٨-٣٨٤
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ﴾	[البقرة: ١٧٢].	٢٥٤-٤٩٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾	[البقرة: ١٧٤]	٦٤٥
﴿ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ ﴾	[البقرة: ١٧٧]	١٥٦-٢١٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ ﴾	[البقرة: ١٨٣]	١٧٥-٢٤٨
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾	[البقرة: ١٨٥]	٥٠٥-١٨٥
﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾	[البقرة: ١٨٦]	١٧٧-٣٤١-٣٨٧
﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓاْۚ ﴾	[البقرة: ١٩٠]	٢٢٧
﴿ وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْۚ وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾	[البقرة: ١٩١].	٤٤٤

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	[البقرة: ١٩٣].	٤٤٤
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	[البقرة: ١٩٤]	٢٤٩-٣٣٩- ٤٨٩
﴿ وَأَنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ ﴾	[البقرة: ١٩٥]	١٨٨
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ﴾	البقرة: ٢٠٦	٢٨٧
﴿ كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ ﴾	[البقرة: ٢١٣].	٥٩٧
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم ﴾	البقرة: ٢١٤	٧٤١
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ﴾	[البقرة: ٢١٦]	٢٢٢
﴿ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ ﴾	[البقرة: ٢١٧]	٦٧٥
﴿ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴾	البقرة: ٢٣٤	٦٧٨
﴿ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ ﴾	[البقرة: ٢٣٥]	١٦٥-٦٧٧
﴿ حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾	[البقرة: ٢٣٨]	١٣١
﴿ . . . . ﴾	[البقرة: ٢٥٨].	٥٥٩
﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	[البقرة: ٢٦١].	١٨٨
﴿ يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ﴾	[البقرة: ٢٦٩]	٥٢١
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً ﴾	[البقرة: ٢٧٤].	١٨٨
﴿ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ ﴾	[البقرة: ٢٧٥]	٦٥٠
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ ﴾	[البقرة: ٢٧٧]	٣٠-١٧٤
﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُ ﴾	[البقرة: ٢٨٢]	٢٨٨-٤٨٩

الآية	السورة ورقم الآية	الصفحة
﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾	[البقرة: ٢٨٦].	٥٠٦
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾	[آل عمران: ٥]	٦٨
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ ﴾	[آل عمران: ٧]	٧٤-٧٥- ٦٠٥-٦٢٦- ٦٢٧
﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ ﴾	[آل عمران: ٨]	٣٩٠-٦٢٧
﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	[آل عمران: ١٣].	٤٦٢
﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾	[آل عمران: ١٤]	٣٩٥-٦٢٩
﴿• •• •• •• •• •• •• • • •••• • •• •• •• •﴾	[آل عمران: ١٩]	٥٩٧
﴿ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ﴾	[آل عمران: ٢٨]	١٩١
﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾	[آل عمران: ٣١]	٢٢٨
﴿ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	[آل عمران: ٣٢]	٢٢٦
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	[آل عمران: ٧١]	٦٤٣
﴿ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾	[آل عمران: ٧٦]	٢٢٦
﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾	[آل عمران: ١٠١]	٤٩٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ ﴾	[آل عمران: ١٠٢]	٨-٢٤٨- ٢٥٠
﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ﴾	[آل عمران: ١٠٣]	٥٧٥-٥٨٤
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ﴾	آل عمران:١٠٤	٤٧

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	[آل عمران: ١٠٥]	٥٧٩
﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾	آل عمران: ١١٠	٤٧
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾	[آل عمران: ١٠٥]	٥٧٩
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾	[آل عمران: ١٠٣]	٧١٩
﴿ يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾	[آل عمران: ١١٤]	١٥٦
﴿ هَٰٓأَنتُمْ أُو۟لَآءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِٱلْكِتَٰبِ كُلِّهِۦ﴾	[آل عمران: ١١٩]	٦٩
﴿ وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾	[آل عمران: ١٢٠]	٣٣٩-٣٧٦- ٣٧٧-٧٢٥
﴿ وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾	ال عمران:١٢١-١٢٢	٢٤٢-٢٤٣
﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴾	[آل عمران: ١٢٦]	٣٧٨
﴿ وَٱتَّقُوا۟ ٱلنَّارَ ٱلَّتِىٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴾	[آل عمران: ١٣١]	١٥٥
﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	[آل عمران: ١٣٢]	٥٨٥
﴿ وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	[آل عمران ١٣٣]	١٥٧-٢٤٨
﴿وَٱلْكَٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	[آل عمران: ١٣٤]	٥٤٣

﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَٰحِشَةً أَوۡ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ ذَكَرُواْ ٱللَّهَ فَٱسۡتَغۡفَرُواْ لِذُنُوبِهِمۡ ﴾	[آل عمران: ١٣٥]	٣٩٠
﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ١٣٩ إِن يَمۡسَسۡكُمۡ قَرۡحٞ فَقَدۡ مَسَّ ٱلۡقَوۡمَ قَرۡحٞ مِّثۡلُهُۥ ﴾ **إلى قوله تعالى** ﴿ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴾	[آل عمران: ١٣٩ - ١٤١]	٤٢٤-٧٢٩
﴿ أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَعۡلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمۡ وَيَعۡلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	[آل عمران: ١٤٢]	٧٤٢
﴿ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	[آل عمران: ١٤٦]	٢١٧-٢٢٧
﴿ سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمۡ يُنَزِّلۡ بِهِۦ سُلۡطَٰنٗا ﴾	آل عمران:١٥١	٩٨
﴿ وَلَقَدۡ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥٓ إِذۡ تَحُسُّونَهُم بِإِذۡنِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلۡتُمۡ وَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَعَصَيۡتُم مِّنۢ بَعۡدِ مَآ أَرَىٰكُم مَّا تُحِبُّونَۚ مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَ ﴾	[آل عمران: ١٥٢]	٧٢٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْ ﴾	[آل عمران: ١٥٥]	٥٢٦-٦١٩- ٧٢٤
﴿ فَبِمَا رَحۡمَةٖ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمۡۖ وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَ ﴾	[آل عمران: ١٥٩]	٥٢٩-٥٥٠- ٥٦٦-٥٧٥- ٥٨١-٦١٥- ٧٣١
﴿ إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡۖ وَإِن يَخۡذُلۡكُمۡ فَمَن ذَا ٱلَّذِي يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعۡدِهِۦۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾	[آل عمران: ١٦٠]	٧٠٢
﴿ أَوَلَمَّآ أَصَٰبَتۡكُم مُّصِيبَةٞ قَدۡ أَصَبۡتُم مِّثۡلَيۡهَا قُلۡتُمۡ أَنَّىٰ هَٰذَاۖ قُلۡ هُوَ مِنۡ عِندِ أَنفُسِكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴾ الآيات.	[آل عمران: ١٦٥]	٣٧٨
﴿ ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدۡ جَمَعُواْ لَكُمۡ فَٱخۡشَوۡهُمۡ فَزَادَهُمۡ	[آل عمران: ١٧٣ - ١٧٥]	١١٧-٢٣٣- ٣٨٥-٤٢٣-

إِيمَٰنًا وَقَالُواْ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾		٦١٧-٧٢٤- ٧٥٠
﴿ مَّا كَانَ ٱللَّهُ لِيَذَرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَمِيزَ ٱلْخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُطْلِعَكُمْ عَلَى ٱلْغَيْبِ.. ﴾ الآية	آل عمران: ١٧٩	٧٣٨
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ﴾	[آل عمران: ١٨٥]	٣٩٧-٧٠٩
﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ ﴾	[آل عمران: ١٨٧]	٦٤٣
﴿ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ ﴾	[آل عمران: ١٩١]	١٩١-٣٨٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾	[النساء: ١].	٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا ۖ وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا﴾	[النساء: ١٠]	٦٤٨
﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾	[النساء: ٢٩]	٢٨٠
﴿. .. .. ﴾	النساء: ٣٨	٦٦١
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا ﴾	[النساء: ٥٨]	٥٢٩
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾	[النساء: ٥٩]	١٥٦-٤٤٠- ٥٨٧-٥٩٦
﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ	[النساء: ٦٥]	٢٢١-٤٤٠-

لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا ﴾		-٤٤٣-٤٤١ -٥٨٥-٥٠١ ٥٨٦
﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ﴿٨٢﴾ ﴾	[النساء: ٨٢]	١٨٣
﴿ وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡۗ ﴾	[النساء: ٨٣]	٥٢٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبۡلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَتَبَيَّنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴾	[النساء: ٩٤]	٥٢٦
﴿ إِن تَكُونُواْ تَأۡلَمُونَ فَإِنَّهُمۡ يَأۡلَمُونَ كَمَا تَأۡلَمُونَۖ وَتَرۡجُونَ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا يَرۡجُونَ﴾	[النساء: ١٠٤]	٧٢٧
﴿ وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴾	[النساء: ١١٥]	٦٢٤-٤٤٤
﴿ يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴾	[النساء: ١٢٠]	٧١١
﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴾	[النساء: ١٢٣]	٣٠
﴿ وَمَن يَعۡمَلۡ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	[النساء: ١٢٤]	٣٠
﴿ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴾	[النساء: ١٣٦]	١٥٦
﴿ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ سَبِيلٗا ﴾	[النساء: ١٤٢ – ١٤٣]	-٦٦٠-٩٤ ٦٦٢
﴿ فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ	[النساء: ١٥٥]	٧٢



وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾		
﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾	[النساء: ١٦٥]	١٤٦
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ **إلى قوله تعالى**﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا﴾	[النساء: ١٧٤ – ١٧٥]	١٨٣-٤٩٠
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾	[المائدة: ٣]	٢٧-٢٢٠-٤٤١
﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ﴾	[المائدة: ٦]	٧٣٩
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ﴾	[المائدة: ٨]	٥٢٨-٥٢٩
﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۙ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ﴾	[المائدة: ٩]	٥٠٢
﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ۖ﴾	[المائدة: ١٣]	٧١-٦١٢
﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	[المائدة: ١٥، ١٦]	١٨٥-٤٣٩-٤٤١-٤٨٧
﴿رَبِّ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِى وَأَخِى﴾	[المائدة: ٢٥]	٥٦٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ﴾	[المائدة: ٤١]	٧٠
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾	[المائدة: ٤١]	١١٠-١٢٨-٥٤١
﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا	[المائدة: ٤١ – ٤٢]	٧١٢

خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾		
﴿ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَاخْشَوْنِ ﴾	[المائدة: ٤٤]	٢٣٣
﴿ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴾	[المائدة: ٥٠]	٢١٢
﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾	[المائدة: ٥٤]	٢٢٨
﴿ ﴾	[المائدة: ٧٢]	٤٨٢
﴿ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ ﴾	[المائدة: ٧٩]	٦٩١
﴿ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴾	[المائدة: ٨٣]	٦٨
﴿ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴾	[المائدة: ٩٩]	٦٧٧
﴿ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ ۖ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ﴾	[الأنعام: ٣]	٤٩٤-٦٧٧
﴿ وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ۚ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾	[الأنعام: ١٣]	٢٣٣-٦٧٨
﴿ قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾	[الأنعام: ١٤]	٢٢٢
﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	[الأنعام:١٥]	١٥٧
﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ (١٥) مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ ۚ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾	[الأنعام: ١٥ — ١٦]	٤٠٣
﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ ۖ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا ۚ حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوكَ يُجَادِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ (٢٥) وَهُمْ	[الأنعام: ٢٥، ٢٦]	٧٣



يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴾		
﴿ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾	[الأنعام: ٣٢]	٧٠٩-٣٩٧
﴿ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾	[الأنعام: ٣٣]	٦٣٨
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴾	[الأنعام: ٨٢]	١٤٣
﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ﴾ **إلى قوله تعالى** ﴿ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ﴾	[الأنعام: ٨٣ — ٨٨]	٤٣٩-١٤٣
﴿ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ ﴾	[الأنعام: ٨٩]	٤٧١
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾	[الأنعام: ٩٠]	٤٧٠-٤٤٠
﴿ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	[الانعام:١١٠]	-٦٢٤-٩٢ ٦٢٨
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ﴾	[الأنعام: ١١٢]	٥١٥-٤٤٧
﴿ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُواْ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴾	[الأنعام: ١١٣]	٥١٥
﴿ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ﴾	[الأنعام: ١١٤]	٢٢٣
﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ﴾	[الأنعام:١٢٢]	-١٨٢-١٨٠ ٥١٧
﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾	[الأنعام: ١٢٥]	١٤٣

الآية	السورة: رقم الآية	الصفحة
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾	[الأنعام: ١٥٣]	١٦٠-٢٤٩- ٦١٨-٦١٩
﴿ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾	[الأنعام: ١٥٥]	١٤٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ ﴾	[الأنعام: ١٥٩]	٥٧٩
﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴾	[الأنعام: ١٦٠]	١٥٣
﴿ قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِى رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَىْءٍ ﴾	[الأنعام: ١٦٤]	٢٢٢
﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾	[الأعراف:٦- ٧]	١٥٥
﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۚ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴾	[الأعراف: ٢٩]	٢٠٥
﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴾	[الأعراف: ٣١ – ٣٢]	٤٠٥-٦١٤
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ ﴾	الأعراف: ٤٠	٦٧٣
﴿ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ ﴾	[الأعراف: ٥١]	٣٩٧
﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	[الأعراف: ٥٤]	٤٩٨
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ ﴾	[الأعراف: ٥٩]	١٣٨-٤٧٩
﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ	[الأعراف: ٧٦]	٦٧٤



﴾		
﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾	[الأعراف: ٧٩]	٦٨٦
﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾	[الأعراف: ٩٩]	٣٨٨-٣٨٩
﴿ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾	[الأعراف:١٠٠]	٩٣
﴿ ﴾	[الأعراف: ١٣٨]	٥٤٠
﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾	[الأعراف: ١٤٦]	٦٧٣
﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴾	[الأعراف: ١٥٦]	٢٣٧
﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾	[الأعراف: ١٧٥ – ١٧٦]	٦٠٤-٦٣٠
﴿ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا ﴾	الأعراف:١٧٩	٣٦
﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾	[الأنفال: ١]	٦١-٢٤٢-٥٨٥
﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ.. ﴾ الآية	الأنفال:٢	٨٨-١١٧-١٨٢
﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴾	[الأنفال: ٩]	٣٧٩
﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	[الأنفال: ١٠]	٣٧٨

﴿ إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴾	[الأنفال: ١٢]	١٤٧-٣٤٤
﴿ فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلْأَدْبَارَ ﴾	[الأنفال: ١٥]	٢١٧
﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	[الأنفال: ١٩]	٣٤٠
﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾	[الأنفال: ٢١ – ٢٥]	٤٤٢-٥٨٧-٦٨٧-٧٢٥
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾	[الأنفال: ٢٩]	١٠١-٢٤٢-٢٨٨-٤٨٩
﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾	[الأنفال: ٣٩]	٤٧٥
﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴾	[التوبة: ٢٥]	٧٠٤
﴿ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾	[الأنفال: ٤٦]	٢١٧-٥٨٥-٥٩٥-٧٠٦-٧١٩
﴿ إِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمْ ۗ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	[الأنفال: ٤٩]	٣٠٣-٣٨٣
﴿ وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ ﴾	[الأنفال: ٦٠]	٧٤٤
﴿ وَإِن يُرِيدُوٓا۟ أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ ٱللَّهُ ۚ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	[الأنفال: ٦٢ – ٦٣]	٥٧٥-٥٨٢
﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟	[التوبة: ١٨]	١٥٧



مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴾		
﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾	[التوبة: ٢٥-٢٧]	٣٧٩-٦٥٧
﴿ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾	[التوبة: ٣٢ – ٣٣]	٣٧٤-٦٠٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ ۚ فَمَا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴾	[التوبة: ٣٨]	١٥٨-٣٩٦
﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾	[التوبة: ٤٠]	٣٤٢-٣٨١
﴿ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴾	[التوبة:٤٥].	٩٣
﴿ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴾	[التوبة: ٤٦].	٧٢٨
﴿ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴾	[التوبة: ٥٤]	٩٤

الآية	السورة	الصفحة
﴿ ` a b c d e f g h ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ v w x y ﴾	[التوبة: ٧٢]	٤٥٥-٥٠٢
﴿ وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴾	[التوبة: ٧٥ - ٧٧]	٧٤
﴿ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾	[التوبة: ٧٨]	٦٨-١٦٥-٤٩٤-٦٧٧
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾.	[التوبة: ١٠٠]	٢٢١
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِۦٓ إِيمَٰنًا ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾.	[التوبة: ١٢٤ - ١٢٥]	٧٣
﴿ وَإِذَا مَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَىٰكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ ٱنصَرَفُوا۟ ﴾.	[التوبة: ١٢٧]	٦٢٨
﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾	[التوبة: ١٢٨]	٥٦٦
﴿ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾.	[التوبة: ١٢٩]	٢٤٣
﴿ وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ﴾	[يونس: ١١]	٦٨١
﴿ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	[يونس: ١٥]	١٥٧
﴿ • • • • • • • ﴾	[يونس: ٢٣]	٥٩٨
﴿ •• •• •• •• •• •• •• •• •• • • •• • ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ •• •• •• • ﴾	[يونس: ٢٤]	٣٩٨



•﴿ •﴾.		
﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾.	[يونس: ٢٦]	٤٦١
﴿هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾	[يونس: ٥٦]	١٤١
﴿• •• •• •• •• •• ••• •• •• •• • • •﴾ إلى قوله تعالى﴿• •• •• •• •﴾	[يونس: ٦٢ – ٦٤].	٧٢٦-٤٥٦
﴿ وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُۥ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ٣ ﴾	[هود: ٣].	١٩٣
﴿ أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُواْ مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	[هود: ٥]	٦٧٧-٦٩
﴿ وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ ﴾	[هود: ٧]	١٨٨
﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ إلى قوله تعالى﴿ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾	[هود: ١٥ – ١٦]	-٨٥-٧٤ ٦٦٥-٣٩٤
﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾	[هود: ١٨]	١٥٤
﴿ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَٰلِحٍ﴾	[هود: ٤٦]	٣٠
﴿ وَيَٰقَوْمِ ٱسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓاْ إِلَيْهِ ﴾ إلى قوله تعالى﴿ وَلَا تَتَوَلَّوْاْ مُجْرِمِينَ ٥٢ ﴾	[هود: ٥٢]	-٢٥٢-١٩٣ ٣٩١
﴿ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا ﴾ إلى قوله تعالى﴿ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾	[هود: ٨٨]	٧٣٧
﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾	[هود: ١١٣]	٦٣٦

﴿ فَٱعۡبُدۡهُ وَتَوَكَّلۡ عَلَيۡهِۚ﴾.	[هود: ١٢٣]	٢٤٢
﴿ كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾	[يوسف: ٢٤].	٣٣١
﴿ فَٱللَّهُ خَيۡرٌ حَٰفِظٗاۖ وَهُوَ أَرۡحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾	[يوسف: ٦٤]	٣٦١
﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَشۡكُواْ بَثِّي وَحُزۡنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴾	[يوسف: ٨٦]	٤٣٨
﴿ قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾	يوسف:١٠٨	٥٠-٤٧١-٤٧٦-٤٨٤
﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾	يوسف: ١١٠	٧٤٢
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾	[الرعد: ١١]	٧١٣
﴿ أَفَمَن يَعۡلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ ٱلۡحَقُّ كَمَنۡ هُوَ أَعۡمَىٰٓۚ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلۡحِسَابِ ﴾	الرعد: ١٩ — ٢١	٢٣١-٢٣٣
﴿ ٱللَّهُ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ وَفَرِحُواْ بِٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٞ ﴾.	[الرعد: ٢٦]	٣٩٦
﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ﴾	[الرعد:٢٨]	٦٣-٨٨-١٨٢
﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾	[إبراهيم: ١، ٢].	١٨٤
﴿ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴾	[إبراهيم: ١٤].	٢٣٣-٥٠٢
﴿ وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡۖ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾	[إبراهيم: ٢٢]	٧١١



﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾	[إبراهيم: ٢٧]	٤٣٣-٤٥٢-٧١٣
﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ ﴾ **إلى قوله تعالى** ﴿ إِلَّا مَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾	[الحجر: ٣٩ – ٤٢]	٣٣٠-٦١٦
﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴾	[الحجر: ٤٥]	٢٤٩
﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴾	[الحجر: ٧٢]	٤٩٢-٦١٧
﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾	[الحجر: ٧٥]	٣٠٢
﴿ وَيَدْعُ ٱلْإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلْخَيْرِۖ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا ﴾	[الإسراء: ١١]	
﴿ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌۚ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأٓخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴾	[النحل:٢٢]	٧٦-٧٧-٩٤
﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ﴾	[النحل: ٢٣]	٦٧٧
﴿ لِيَحْمِلُوٓاْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۗ ﴾	[النحل: ٢٥]	٧٣٦
﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾	[النحل: ٣٦]	٢٧-٤٦-١٣٨-٤٧٨
﴿ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾	[النحل: ٨٩]	١٤٦-١٦٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْيِۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾	[النحل: ٩٠].	٥٢٩-٥٩٧
﴿ وَلَنَجْزِيَنَّ ٱلَّذِينَ صَبَرُوٓاْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾	[النحل: ٩٦]	٤٣٨

﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ﴾	[النحل: ٩٧]	٢٢٤
﴿ إِنَّهُۥ لَيۡسَ لَهُۥ سُلۡطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ ﴾	[النحل: ٩٩]	٦١٩
﴿ Z Y [\ ] ^ _ ` a b c d﴾	[النحل: ١٢٥]	٤٧١-٥٢٢- ٥٤٧-٥٤٩- ٥٥٦-٧٣٤
﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا ﴿٩﴾ ﴾.	[الإسراء: ٩]	١٨٥
﴿وَيَدۡعُ ٱلۡإِنسَٰنُ بِٱلشَّرِّ دُعَآءَهُۥ بِٱلۡخَيۡرِۖ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ عَجُولٗا ﴾	[الإسراء: ١١]	٦٨١
﴿ مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعَاجِلَةَ عَجَّلۡنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ﴾.	[الإسراء: ١٨ – ٢٠]	٣٩٣
﴿ وَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ جَعَلۡنَا بَيۡنَكَ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَلَّوۡاْ عَلَىٰٓ أَدۡبَٰرِهِمۡ نُفُورٗا ﴾	[الإسراء:٤٥-٤٦]	٩٥
﴿ وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُواْ ٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ يَنزَغُ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ كَانَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٗا مُّبِينٗا ﴾	[الإسراء: ٥٣]	٧٣٤
﴿ وَإِن كَادُواْ لَيَفۡتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيۡنَا نَصِيرٗا ﴾.	[الإسراء: ٧٣ – ٧٥]	٦٣٧
﴿ وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَيَخِرُّونَ لِلۡأَذۡقَانِ يَبۡكُونَ وَيَزِيدُهُمۡ خُشُوعٗا ﴾	[الإسراء: ١٠٦ - ١٠٩]	١٨٥-١٨٧
﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾	الإسراء: ١١٠	٥٦٦-٦٦٠
﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾	[الكهف: ٦].	٥٦٢
﴿ إِنَّا جَعَلۡنَا مَا عَلَى ٱلۡأَرۡضِ زِينَةٗ لَّهَا﴾	[الكهف: ٧]	٣٩٥



﴿ نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ لَّقَدۡ قُلۡنَآ إِذٗا شَطَطًا ﴾	[الكهف: ١٣ - ١٤]	٦٤-٨٩
﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ﴾	[الكهف: ٢٨]	١٩٧-٥١٨
﴿ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴾	[الكهف: ٢٩]	١٥٥
﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ فَأَعۡرَضَ عَنۡهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُۚ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ فَلَن يَهۡتَدُوٓاْ إِذًا أَبَدٗا ﴾	[الكهف: ٥٧]	٧٣
﴿ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٞ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَمَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلۡيَعۡمَلۡ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَلَا يُشۡرِكۡ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدَۢا ﴾	[الكهف: ١١٠]	٢٠٩-٣٢٦- ١١٠
﴿ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا ﴾	[مريم: ٥٨]	١٨٥-٣٨٧
﴿ وَيَزِيدُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ هُدٗى﴾]	[مريم: ٧٦]	١١٧
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجۡعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وُدّٗا﴾	[مريم: ٩٦]	١٩٨-٥٧٢
﴿ مَا يَأۡتِيهِم مِّن ذِكۡرٖ مِّن رَّبِّهِم مُّحۡدَثٍ إِلَّا ٱسۡتَمَعُوهُ وَهُمۡ يَلۡعَبُونَ ۝٢ لَاهِيَةٗ قُلُوبُهُمۡ﴾	[الأنبياء:٢-٣]	٩٦
﴿لَقَدۡ أَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ كِتَٰبٗا فِيهِ ذِكۡرُكُمۡۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ۝١٠ ﴾	[الأنبياء: ١٠]	١٨٣
﴿ بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ فَيَدۡمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٞۚ﴾	[الأنبياء: ١٨]	٣٣٩-٤٢٣- ٥١٤-٧٥٠
﴿ لَوۡ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾	[الأنبياء: ٢٢]	١٣٧
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴾	[الأنبياء: ٢٥]	٢٧-١٣٨- ٤٧٨
﴿ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ	[الأنبياء: ٢٨].	١٤٥

ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ﴾		
﴿ وَنَبۡلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلۡخَيۡرِ فِتۡنَةٗۖ وَإِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ﴾	[الأنبياء: ٣٥].	٤٣٥
﴿ خُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖۚ سَأُوْرِيكُمۡ ءَايَٰتِي فَلَا تَسۡتَعۡجِلُونِ ﴾.	[الأنبياء: ٣٧]	٦٨١
﴿ وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴾	[الأنبياء: ٤٧].	١٥٣
﴿ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ﴾	[الأنبياء: ٤٩]	٦٧
﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِي ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾	[الأنبياء: ٨٧ – ٨٨].	٣٢٧
﴿ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ﴾	[الأنبياء: ٩٠].	٤٣٠-٣٤٥
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ هَٰذَا يَوۡمُكُمُ ٱلَّذِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴾	[الأنبياء: ١٠١ – ١٠٣].	٤٥٩
﴿ كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴾	[الأنبياء: ١٠٤].	١٥٢
﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾	[الأنبياء: ١٠٧]	٥٦٦-٥٢٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾	[الحج: ٦]	
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾	[الحج: ١١]	٧٣٠
﴿ذَٰلِكَۖ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾	[الحج: ٣٢]	٦٠
﴿ فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴾	[الحج: ٣٤ - ٣٥].	٩٠-٦٤

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾	[الحج: ٣٨]	٧٢٦-١٤٣
﴿ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلۡأُمُورِ ﴾	[الحج: ٤٠ – ٤١]	٥٩٩-١٧٤
﴿ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَتَكُونَ لَهُمۡ قُلُوبٞ يَعۡقِلُونَ بِهَآ ﴾	[الحج:٤٦]	-٣٥-٣٣ -٩٨-٩٦ ٧٠٧
﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعۡمَى ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَلَٰكِن تَعۡمَى ٱلۡقُلُوبُ ٱلَّتِي فِي ٱلصُّدُورِ ﴾	[الحج:٤٦]	
﴿ لِّيَجۡعَلَ مَا يُلۡقِي ٱلشَّيۡطَٰنُ فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمۡ﴾	[الحج:٥٣]	٩٦-٧٧
﴿ وَلِيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَيُؤۡمِنُواْ بِهِۦ فَتُخۡبِتَ لَهُۥ قُلُوبُهُمۡ ﴾	[الحج:٥٤]	٩٠-٦٤
﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ﴾	[الحج: ٦١].	٦٧٨-١٦٦
﴿ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾	[الحج: ٧٠]	١٤٩



﴿ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّن دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴾	[المؤمنون:٦٣]	٩٦
﴿ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾	[المؤمنون: ٨٨]	١٤٤
﴿ $ % & ' ( ) * + ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ A B C ﴾	[المؤمنون: ١٠٩– ١١١]	٤٥٦
﴿ a b c d e f g h ﴾	[المؤمنون: ١١٥].	١٥٣
﴿ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾	[النور: ٢٢].	٢٨٤
﴿ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣١﴾ ﴾	[النور: ٣١].	١٩٤
﴿ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾	[النور:٣٧]	١٧٤
﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾	[النور: ٤٠]	٣٩-٤٨٧
﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾	[النور: ٥١ – ٥٢]	٤٤٢-٦٨٧
﴿ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾	[النور: ٥٤]	٤٩٥
﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾	[النور: ٦٣].	٤٤٣-٤٤٤- ٥٨٦
﴿ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾	[الفرقان: ٢٣]	٧٤-٣٢٦
﴿ لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾	[الشعراء: ٣]	٥٦٢
﴿ قَالَ لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾	[الشعراء: ٢٩]	٢٩٧
﴿ قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ أَن كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ ﴾	[الشعراء: ٤٣ – ٥١]	٤٢٦
﴿ فَلَمَّا تَرَاءَا الْجَمْعَانِ قَالَ أَصْحَابُ مُوسَى إِنَّا لَمُدْرَكُونَ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴾.	[الشعراء: ٦١ – ٦٨]	٣٤٣

الآية	السورة	الصفحة
﴿ يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾	[الشعراء: ٨٨ – ٩٠]	٤٥٥-٥٩
﴿ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾	[الشعراء: ١٠٩]	٤٧٣
﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾	[النمل:٣]	١٧٤
﴿ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ ﴾	[النمل: ٥٠ – ٥٣]	٧٢٦-٣٧٧
﴿ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾	[النمل: ٦٢]	٣٢٩
﴿ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَٰهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ....﴾	[النمل: ٦٠-٦٤]	٤٩٨
﴿ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ ﴾	[النمل: ٧٩]	٢٤٢
﴿ إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ ﴾	[النمل: ٨٠]	٥١٧-١٨٠
﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ ﴾	[القصص: ٥٦]	٥٦٢
﴿ وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴾	[القصص: ٧٧]	٤٠٤
﴿ الم ﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾	[العنكبوت: ١ – ٣]	٧٤٢-٤٣٤
﴿ وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٦﴾ ﴾	[العنكبوت: ٦]	٣٢٤-١٩٩
﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴾	[العنكبوت: ١٤].	٥٦١
﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ ﴾ **إلى قوله**	[العنكبوت: ١٠ –	٧٢٩

تعالى﴿ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴾	١١].	
﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ ﴾ إلى قوله تعالى﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ ﴾	[العنكبوت: ٥٣ – ٥٤]	٦٨٢
﴿ وَمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴾	[العنكبوت: ٦٤]	٣٩٧-٧١٠
﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾	[العنكبوت: ٦٩]	١٩٨-٢٠٩-٢٧٥-٣٢٤-٣٤٠-٤٧٠-٥٨١
﴿ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴾	[الروم: ٧].	٣٩-٧٠٧
﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾	[الروم: ٤٤]	٣٢٤
﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾	[الروم: ٤٧]	٣٧٥-٥٩٩-٧٢٦
﴿ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾	[الروم: ٦٠]	٢١٣
﴿ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴾	[لقمان: ١٧]	٦٩٠
﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾	[لقمان: ١٨].	٦٥٥
﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ﴾	[لقمان: ٢٠]	١٦٨
﴿ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴾	[لقمان: ٣٣]	٦٢٠-٧٠٧-٧٢١
﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾	[السجدة: ١٧].	١٥٥-١٨١-٤٥١-٤٦٨
﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا	[السجدة: ٢٤].	٢١٣-٥٩٩

يُوقِنُونَ ﴾		
﴿ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴾	[الأحزاب: ١٠]	٣٠٢-٣٨٢
﴿ وَإِذْ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴾	[الأحزاب: ١٢]	٣٠٣-٣٨٣
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْءَاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴾	[الأحزاب: ٢١].	٥٠٣
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾	[الأحزاب: ٣٦]	٢٢١
﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾	[الأحزاب: ٤٠].	١٤٦
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ ﴾	[الأحزاب: ٤١].	١٩١
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾	[الأحزاب:٤٥-٤٦]	٤٧
﴿ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى قُلُوبِكُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴿٥١﴾ ﴾	[الأحزاب: ٥١]	١٦٥-٥٠٣
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾	[الأحزاب: ٦٤-٦٥]	١٥٦
﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾	[سبأ: ٢٨]	٢٧
﴿ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾	[سبأ: ٤٧]	٤٧٣
﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	[فاطر: ٢]	٣٣٠
﴿ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا	[فاطر: ٥ – ٦].	٣٢٤-٦٢٠- ٧٠٩-٧١١-

إِنَّمَا يَدْعُواْ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾		٧٢١
﴿ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ ﴾	[فاطر: ٨]	-٦٢٣-٥٦٢ ٦٩٥-٦٢٥
﴿وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴾	[فاطر: ١٠]	٣٧٧-٣٤٠
﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ﴾	فاطر: ١٨	٤٩٤-٣٢٤
﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ ﴾	[فاطر: ٢٢]	٥١٧-١٨٠
﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾	[فاطر: ٢٨]	-٢٣١-٦٥ ٢٣٢
﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴾ **إلى قوله تعالى** ﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴾	[فاطر: ٤٢ — ٤٣]	٧٢٦-٣٧٧
﴿ ÑÖ Ü á à â ä ã å ç é è ê ë í ﴾	[يس: ٦٩ — ٧٠]	٥١٧-١٨٠
﴿ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴾ **إلى قوله تعالى** ﴿ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴾	[الصافات: ٤٠ — ٤٩]	٤٥٥
﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾	[الصافات: ١٧١ — ١٧٣]	٣٧٥
﴿ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴾	[ص: ٥]	٤٧٩-٣١٣
﴿ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾	[ص: ٢٦]	-٥٤٠-٥١٧ ٧٠٤-٦٢٥
﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾	[ص: ٢٩]	-٣٨٧-١٨٣ ٤٤٦
﴿ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴾	[ص: ٨٦]	٤٧٦
﴿ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ ﴾	[الزمر: ١٠].	-٢١٨-٢١٧ ٤٣٧
﴿ قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾	[الزمر: ١٣]	٤٠٣

﴿ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴾	[الزمر: ٢٢]	٦١١-١٤٣
﴿ ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾ **إلى قوله تعالى** ﴿ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴾	[الزمر: ٢٣].	-١٨٥-٦٨ ٣٨٧
﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾	[الزمر: ٤٥]	٢٠٦-٩٥
﴿ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ﴾	[الزمر: ٤٧]	٦٦١
﴿ قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾	[الزمر: ٥٣]	٢٣٨
﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ﴾	[الزمر: ٦٢]	١٤١
﴿قُلۡ أَفَغَيۡرَ ٱللَّهِ تَأۡمُرُوٓنِّيٓ أَعۡبُدُ أَيُّهَا ٱلۡجَٰهِلُونَ ﴾	[الزمر: ٦٤]	٥٤٠
﴿ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴾	[الزمر: ٧٢]	٦٧٣
﴿ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا ﴾	[غافر: ٧]	٢٣٧
﴿ فَٱدۡعُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴾	[غافر: ١٤].	٢٠٥
﴿ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡۖ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْۚ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلۡبِ مُتَكَبِّرٖ جَبَّارٖ ﴾	[غافر:٣٥]	-٩٨-٧٢ ٦٧٣
﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ﴾	[غافر: ٥١]	-٣٧٦-٣٧٥ ٧٢٦-٥٩٩
﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ٦٠ ﴾	[غافر:٦٠]	-٣٨٧-١٧٧ ٦٧٣



﴾		
﴿وَلَوْلَا أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ **إلى قوله تعالى**﴿وَٱلْأَخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾	[الزخرف: ٣٣ - ٣٥]	٣٩٨
﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾	[الزخرف: ٤٣، ٤٤]	١٨٤
﴿ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ ﴾	[الزخرف: ٦٨ — ٧٣]	٤٦٠
﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾﴾ **إلى قوله تعالى**﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾	[الزخرف: ٧٤ — ٧٨]	٦٨٧
﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	[الجاثية: ٢]	٢١٣
﴿ ﴾	[الجاثية: ٢٣]	٥١٨-٦٢٥
﴿É Ñ Ö Ü á à â ä ãå ç é è ê﴾	[الجاثية: ٣٠]	٤٥٦
﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ﴾	الأحقاف: آية ٢٦	٣٦
﴿فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ﴾	[الأحقاف: ٣٥]	٢١٧
قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ﴾	[محمد: ٧]	٣٤٣-٣٧٥- ٣٧٦-٥٩٩
﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾	[محمد: ٩]	٦٧٥
﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾	[محمد: ٢٤].	٦١٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى﴾ **إلى قوله تعالى**﴿أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ﴾	[محمد: ٢٥ — ٢٩].	٧١٤
﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾	[الفتح: ٢]	٣٩١

﴿ لَّقَدۡ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ يُبَايِعُونَكَ تَحۡتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمۡ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيۡهِمۡ وَأَثَٰبَهُمۡ فَتۡحٗا قَرِيبٗا ﴾	[الفتح:١٨]	٦٥-٩٠
﴿ إِذۡ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ﴾	[الفتح:٢٦]	٩٧
﴿ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا ﴾	[الفتح: ٢٨]	٣٧٥
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ﴾	[الحجرات: ١]	٤٤٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾	[الحجرات: ٦].	٥٢٧
﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴾	[الحجرات: ٧]	٦٠
﴿ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴾	[الحجرات: ١٢]	٦٩٤
﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡ﴾	[الحجرات: ١٤]	٣٧-٦٠
﴿ وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ غَيۡرَ بَعِيدٍ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَلَدَيۡنَا مَزِيدٞ ﴾	[ق: ٣١ – ٣٥]	٤٥٥
﴿ فَذَكِّرۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾	[ق: ٤٥]	٥٠٢
﴿ كَانُواْ قَلِيلٗا مِّنَ ٱلَّيۡلِ مَا يَهۡجَعُونَ ١٧ وَبِٱلۡأَسۡحَارِ هُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ ١٨ ﴾	[الذاريات:١٧ – ١٨]	١٨١
وقال تعالى:﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلۡقُوَّةِ ٱلۡمَتِينُ ﴾	[الذاريات: ٥٨]	١٤١
﴿ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ﴾	[القمر: ٤٩]	١٥١
﴿ وَلِمَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴾	[الرحمن: ٤٦]	٢٣٣
﴿ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ١٠ ﴾	[الواقعة: ١٠]	١٦٥
﴿ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿	[الحديد: ٤ – ٦]	٦٩-٦٧٨

وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾		
﴿ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾	[الحديد: ١٢]	٤٦٠
﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾	[الحديد: ١٣]	٢٩٣
﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴾	[الحديد: ١٦]	-٧١-٧٠ ٦١٢
﴿ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾	[الحديد: ٢٠]	-٣٩٧-١٥٨ ٤١١
﴿ سَابِقُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾	[الحديد: ٢١].	٤٦١-١٥٧
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾	[الحديد: ٢٢ – ٢٣]	٤٣٦-١٤٩
﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾	[الحديد:٢٥]	١٤٥-٢٧
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَءَامِنُوا۟ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾	[الحديد: ٢٨]	-٢٤٩-١٠٢ ٤٨٩-٢٨٨
﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴾	[المجادلة:١]	-٤٩٤-١٦٦ ٦٧٨
﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ﴾	[المجادلة: ١٩]	٦٢٠

الآية	السورة	الصفحة
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ﴾	[المجادلة:٢٢]	٣٧-٦٠
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴾	[الحشر: ١٨]	١٩٦-٢٤٨
﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾	[الحشر: ٢١]	١٨٥-٣٨٧
﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾	[الحشر: ٢٢-٢٤]	١٤٢
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴾	[الصف: ٢ – ٣]	٧٣٦
﴿ فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾	[الصف:٥]	٣٨-٧٤- ٩٢-٦٠٤- ٦٢٣-٦٢٨
﴿ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴾	[الصف: ٨ – ٩]	٣١٣-٣٧٥- ٦٠٠
﴿ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾	[المنافقون: ٤].	٥١٤
﴿ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾	[التغابن: ٤]	٦٩-١٦٥- ٢١٥-٢٢٢- ٤٣٦
﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾	[التغابن: ١١]	١٥١
﴿ إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾	[التغابن: ١٥]	٥٦٨
﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾	[الطلاق: ٢-٣]	٢٤٣-٢٤٩- ٥٢٨-٧٠٤



﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴾	[الطلاق: ٤]	٢٤٩-٤٨٩
﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴾	[الطلاق: ٥]	٢٤٩
﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيۡهِ ﴾	[التحريم: ٤]	٤٠١
﴿ وَنَجِّنِي مِن فِرۡعَوۡنَ وَعَمَلِهِۦ ﴾	[التحريم: ١١]	٣٠
﴿ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗا﴾	[الملك: ٢]	٢٠٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴾	الملك: ١٢	٦٦-٤٩٤
﴿ وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ⑬ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴾	[الملك: ١٣ – ١٤]	٦٧٨
﴿ وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴾	[القلم: ٩]	٥٣٨
﴿ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَآ أَسۡلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡأَيَّامِ ٱلۡخَالِيَةِ ﴾	[الحاقة: ٢٤].	٤٦٠
﴿ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ أَنۡ أَنذِرۡ قَوۡمَكَ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴾	[نوح: ١ – ٩].	٢٨-٥٦١
﴿ فَقُلۡتُ ٱسۡتَغۡفِرُواْ رَبَّكُمۡ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارٗا ⑩ يُرۡسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيۡكُم مِّدۡرَارٗا ⑪ وَيُمۡدِدۡكُم بِأَمۡوَٰلٖ وَبَنِينَ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ جَنَّٰتٖ وَيَجۡعَل لَّكُمۡ أَنۡهَٰرٗا ﴾	[نوح: ١٠ – ١٢]	١٩٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَأَقۡوَمُ قِيلًا﴾	[المزمل: ١ – ٦]	١٨١-٤٣٠
﴿ إِنَّ رَبَّكَ يَعۡلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدۡنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيۡلِ وَنِصۡفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَۚ ..﴾ الآية	[المزمل: ٢٠]	١٨١-٤٠٨
﴿ بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ﴾	[القيامة: ١٤]	٤٨٥
﴿ وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴾	[القيامة:٢٣]	٥٣
﴿ وَلَقَّىٰهُمۡ نَضۡرَةٗ وَسُرُورٗا ﴾	[الإنسان:١١]	٥٣
﴿ وَجَزَىٰهُم بِمَا صَبَرُواْ جَنَّةٗ وَحَرِيرٗا ﴾	[الإنسان: ١٢]	٤٣٧
﴿ إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي	[المرسلات: ٤١-٤٤]	٢٤٩-٤٦١

﴿ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾		
﴿ وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ ﴾	[النازعات: ٤٠ – ٤١]	٢٣٣

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ ﴾	[عبس: ٣٣ – ٣٩]	٤٥٨
﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ﴾	[التكوير: ٢٨]	١٥٠
﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾	[التكوير: ٢٩]	١٥٠
﴿ كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾	[المطفّفين:١٤]	٦١٣-٦١٤-٧٠٥
﴿ إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴾	[المطفّفين:٢٢-٢٦]	٤٦٢
﴿ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ﴿٤﴾ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ ﴾	[البروج: ٤ – ١١]	٤٥٦-٥٧٧
﴿ فَذَكِّرۡ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٞ ﴿٢١﴾ لَّسۡتَ عَلَيۡهِم بِمُصَيۡطِرٍ ﴾	[الغاشية: ٢١ – ٢٢]	٥٦٢
﴿ إِنَّ إِلَيۡنَآ إِيَابَهُمۡ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيۡنَا حِسَابَهُم ﴾	[الغاشية: ٢٥ – ٢٦]	١٥٣
﴿ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ... ﴾ الآية	[الليل: ٦]	١٨٩
﴿ وَٱسۡجُدۡ وَٱقۡتَرِب ﴾	[العلق: ١٩].	١٧٣
﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴾	[البينة: ٥]	١٠٨-٢٠٦
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ﴾	[البينة: ٧-٨]	٦٦-١٥٥
﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ ﴾ **إلى قوله تعالى**﴿ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴾	[العصر: ١ – ٣]	٤٨
﴿ تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ..... ﴾	[المسد:١-٥]	٥٦٣



فهرس الآحاديث

قَالَ اللهُ ﷻ: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ	أبو هريرة	١٧٥
قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ	أبو هُرَيْرَةَ	٦٦٢
قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: يَا ابْنَ آدَمَ، إِنَّكَ مَا دَعَوْتَنِي	أنس	٢٣٨
قَالَ اللَّهُ: أَعْدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ مَا لاَ عَيْنٌ رَأَتْ		١٥٥
قَوْمٌ يَهْدُونَ بِغَيْرِ هَدْيِي	حذيفة	٥٨٧
كَانَ الرَّجُلُ فِيمَنْ قَبْلَكُمْ يُحْفَرُ لَهُ فِي الأَرْضِ	خَبَّابِ بْنِ الأَرَتِّ	٣٧٥
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ بِالخَيْرِ	ابْنِ عَبَّاسٍ	٧٣٣
كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَذْكُرُ اللهَ عَلَى كُلِّ أَحْيَانِهِ	عائشة	٣٨٥
كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ	أَنَسُ	٧٣٢
كُلُّ ذَلِكَ لَمْ يَكُنْ، وَلَكِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي	شداد بن أوس	٥٦٩
كِلاَكُمَا مُحْسِنٌ، وَلاَ تَخْتَلِفُوا	ابن مسعود	٥٨٠
كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا	عبد الله بن عمرو	٤٠٧
لَا تَحْزَنْ؛ إِنَّ اللهَ مَعَنَا	أبو بكر	٣٤٣
لاَ تَخْتَلِفُوا، فَإِنَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمُ اخْتَلَفُوا فَهَلَكُوا		٧٢٠
لا تدعوا على أنفسكم		٦٨١
لَا تَزَالُ الْمَسْأَلَةُ بِأَحَدِكُمْ حَتَّى يَلْقَى اللهَ		٤٠٩
لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ	ثوبان	٦٠١
لا تسمعني، وأسمع ربك	أبو هريرة	٦٦٩
لَا تُكْثِرُوا الضَّحِكَ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الضَّحِكِ تُمِيتُ الْقَلْبَ	أبو هريرة	٦١٣
لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ	أبو هريرة	٥٦٧

عَلَى اللَّهِ		
مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ الْمُؤَذِّنَ	سعد بن أبي وقاص	٢٢٣
مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ المُلْكُ وَلَهُ الحَمْدُ	أبو هريرة	١٦٢
مَنْ كَانَتِ الآخِرَةُ هَمَّهُ جَعَلَ اللَّهُ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ	أنس	٨٠
مَنْ كَتَمَ عِلْمًا يَعْلَمُهُ	أبو هُرَيْرَةَ	٦٥٠
مَنْ كَرِهَ مِنْ أَمِيرِهِ شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَيْهِ	ابن عباس	٥٩٢
مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنفذَهُ	معاذ بن أنس	٥٤٢
مَنْ لاَ يَرْحَمُ لاَ يُرْحَمُ	أبو هريرة	٥٦٨
مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ	أنس	٨٠
مَنْ مَاتَ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ	عثمان	٧٩
مَنْ يُحْرَمِ الرِّفْقَ يُحْرَمِ الْخَيْرَ	جرير البجلي	٥٣٠
مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الرِّفْقَ	عائشة	٥٣٠
مَهْلًا يَا عَائِشَةُ، عَلَيْكِ بِالرِّفْقِ	عائشة	٥٣٠
مَوْضِعُ سَوْطٍ فِي الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا	سهل بن سعد	٣٩٨
الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ أخيه	أبو هريرة	٦٨٩
الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ	أبو هريرة	٦٨٩
نَضَّرَ اللَّهُ امْرأً سَمِعَ مِنَّا حَدِيثًا	زيد بن ثابت	٥٢
نَظَرْتُ إِلَى هَذَيْنِ الصَّبِيَّيْنِ يَمْشِيَانِ وَيَعْثُرَانِ	بريدة	٥٦٨
هَذِهِ السُّبُلُ، لَيْسَ مِنْهَا سَبِيلٌ إِلَّا عَلَيْهِ شَيْطَانٌ	ابن مسعود	٦١٨
هو العبد تصيبه المصيبة	ابن مسعود	٢١٦
هِيَ فِي النَّارِ	أبو هريرة	١٩٠
وَاتَّقُوا الشُّحَّ؛ فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ		٧٣٣
وَأُحِبُّ الْفَأْلَ الصَّالِحَ		٣٨٠

فهرس الآثار



نعمت الدار كانت الدُّنيا للمؤمن	الحسن البصري	٤١٢
هذا الذي أوردني الموارد	أبو بكر الصديق	٢٣٤
هل أخذت طريقًا ذا شوك	أبو هريرة	٢٥٠
والذين جاهدوا في إقامة السنة لنهدينهم سبل الجنة	سهل التستري	١٩٩
والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا	ابن عباس	١٩٩
والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به	الفضيل بن عياض	١٩٨
والله ما هلك من هلك إلا بحب الرياسة	أبو نعيم	٦٣٢
وجدنا خير عيشنا بالصبر	عمر بن الخطاب	٢١٨
الورع اجتناب المحارم.	الفضيل بن عياض	٢٥٦
ومن علامة الاستدراج العمى عن عيوب النفس	السري السقطي	٦٩٨
ويل لأهل الرياء	الثوري	٦٦١
ويلي وويل أمي إن لم يرحمني ربي	عمر بن الخطاب	٢٣٤
يا ليتني كنت شجرة تعضد ثم تؤكل	أبو بكر الصديق	٢٣٤
يا ليتني هذه التبنة	عبد الله بن عامر بن ربيعة	٢٣٤
يكون شغلك في نفسك	الفضيل بن عياض	٦٩٨
يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء	ابن عباس	٤٤٣

فهرس الأعلام المترجم لهم





فهرس المصطلحات والكلمات الغريبة





فهرس الفرق والمذاهب المعرّف بها

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

- الإبانة الكبرى، لابن بطة، ت: رضا معطي، وعثمان الأثيوبي، ويوسف الوابل، والوليد بن سيف النصر، وحمد التويجري، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض.
- إتحاف الخيرة المهرة بزوائد المسانيد العشرة، للبوصيري، ت: دار المشكاة للبحث العلمي، دار الوطن الرياض، ط١، ١٤٢٠هـ.
- الأحاديث المختارة، لضياء الدين المقدسي، ت: ابن دهيش، دار خضر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- الأحكام الفقهية المتعلقة بالنصيحة، بحث منشور في مجلة البحوث والدراسات الشرعية، العدد الثاني، شوال عام ١٤٣٣هـ، وهي مجلة علمية متخصصة محكمة، تصدر من مصر.
- إحياء علوم الدين، للغزالي، دار المعرفة بيروت.
- الإخلاص حقيقته ونواقضه، رسالة ماجستير، للباحث: عبد الله بن عيسى الأحمدي، إشراف: أ. د. مُحَمَّد حسان كسبة، جامعة أم القرى، عام ١٤٢٤هـ.
- الإخلاص والنية، لابن أبي الدنيا، ت: إياد الطباع، طبعة دار البشائر، ط١، ١٤١٣هـ.
- الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح، الناشر: عالم الكتب.
- أدب الدين والدنيا، للماوردي، دار مكتبة الحياة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م.
- الإرشاد، للجويني، ت: د. مُحَمَّد يوسف موسى، مكتبة الخانجي مصر، ١٣٦٩هـ.
- إرواء الغليل، للألباني، إشراف: الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤٠٥هـ.

- الاستذكار، لابن عبد البر، ت: سالم مُحَّد عطا، مُحَّد علي معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢١هـ.
- الاستيعاب، لابن عبد البر، ت: البجاوي، دار الجيل بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- أسد الغابة، لابن الاثير، دار الفكر بيروت، ١٤٠٩هـ.
- الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، للدكتور عبد الرحيم المغذوي، دار الحضارة الرياض، ط٢، ١٤٣١هـ.
- الإسلام أصوله ومبادئه، لمحمد بن عبد الله السحيم، طبعته وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.
- الإصابة، لابن حجر، ت: عادل الموجود وعلي معوض، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٥هـ.
- أصول السنة لأحمد بن حنبل، دار المنار الخرج، ط١، ١٤١١هـ.
- أضواء البيان، للشنقيطي، دار الفكر بيروت، ١٤١٥هـ.
- الاعتصام بالكتاب والسنة، لسعيد بن علي بن وهف القحطاني، مطبعة سفير، الرياض، توزيع: مؤسسة الجريسي.
- الاعتصام، للشاطبي، ت: الجزء الأول: د. مُحَّد بن عبد الرحمن الشقير، الجزء الثاني: د سعد بن عبد الله آل حميد، الجزء الثالث: د. هشام بن إسماعيل الصيني، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٩هـ.
- أعلام الحديث في شرح صحيح البخاري، للخطابي، ت: مُحَّد بن سعد آل سعود، مركز البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، ط١، ١٤٠٩هـ.
- أعلام السنة المنشورة لاعتقاد الطائفة الناجية المنصورة، لحافظ الحكمي، ت: حازم القاضي، طبعة وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، ط٢، ١٤٢٢هـ.

- الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية، لعمر بن علي البزار، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط٣، ١٤٠٠هـ.
- إعلام الموقعين، لابن القيم، ت: مُحَمَّد عبد السلام، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط١٥، ٢٠٠٢م.
- أعمال القلوب بين المتكلمين والصوفية وموقف أهل السنة منهم، رسالة دكتوراه، للباحث: مطر سالم بن حميد العازمي، إشراف: أ. د. مُحَمَّد السيد الجليند، جامعة القاهرة، عام ٢٠١٠م.
- أعمال القلوب حقيقتها وأحكامها عند أهل السنة والجماعة وعند مخالفيهم، رسالة دكتوراه، للباحث: سهل بن رفاع العتيبي، إشراف: الشيخ الدكتور عبد الرحمن البراك، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٢٣هـ، وقد طبعت الرسالة جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية عام ١٤٢٦هـ وتقع في (١٠٤٦) صفحة.
- أعمال القلوب عند الإمام ابن القيم جمعًا ودراسة، رسالة ماجستير، للباحثة: وفاء بنت زيد العزيري، إشراف: الدكتور مُحَمَّد بن عبد الله الوهيبي، جامعة الملك سعود، عام ١٤٢٥هـ.
- أعمال القلوب عند الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله جمعًا ودراسة، رسالة ماجستير، للباحث: عبد الله بن عبد الرحمن بن ناجي الرحيلي، إشراف: الدكتور ذياب بن مدحل دخيل العلوي، الجامعة الإسلامية، عام ١٤٣٤هـ.
- أعمال القلوب عند شيخ الإسلام ابن تيمية جمعًا ودراسة، رسالة ماجستير، للباحث: غزمند مهمتي بن عمر، إشراف: الدكتور مُحَمَّد بن خليفة التميمي، الجامعة الإسلامية، عام ١٤٣٢هـ.
- أعمال القلوب للدكتور خالد السبت، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣٩هـ.
- أعمال القلوب وأثرها في الإيمان، رسالة دكتوراه، للباحث: مُحَمَّد دوكوري بن

مُحَمَّد، إشراف: الدكتور أحمد عطية الغامدي، الجامعة الإسلامية، عام ١٤١٧هـ.

- أعمال القلوب، للمنجد، مجموعة زاد للنشر الخبر، جدة، توزيع مكتبة العبيكان الرياض، ط١، ١٤٣٨هـ.
- إغاثة اللهفان، لابن القيم، ت: مُحَمَّد الفقي، مكتبة المعارف الرياض.
- إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، لعبد الله الغازي المكي الحنفي، ت: ابن دهيش، توزيع مكتبة الأسدي بمكة، ط١، ١٤٣٠هـ.
- الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة، للدكتور عبد الله الدميجي، دار طيبة.
- الأنساب، للسمعاني، ت: عبد الرحمن المعلمي، مجلس دائرة المعارف العثمانية، ط١، ١٣٨٢هـ.
- الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي، دار إحياء التراث العربي، ط٢.
- الإيمان بالقضاء والقدر، للحمد، دار ابن خزيمة الرياض، ط٤، ١٤٣٥هـ.
- الإيمان والرد على أهل البدع (مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام، الجزء الثاني)، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، دار العاصمة، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١ بمصر، ١٣٤٩هـ، النشرة الثالثة، ١٤١٢هـ.
- أئمة المسجد الحرام في العهد السعودي من عام١٣٤٣هـ-١٤٣٦هـ، جمع وإعداد: عبد الله آل علاف الغامدي، دار الطرفين الطائف، ط٢، ١٤٣٦هـ.
- الإيناس في فتح قلوب الناس، للدكتور سيد العفاني، دار العفاني القاهرة، ط١، ١٤٣٦هـ.
- البحر الرائق شرح كنز الدقائق ومنحة الخالق وتكملة الطوري، البحر الرائق

لابن نجيم المصري، وعلى هامشه منحة الخالق لابن عابدين، وتكملة البحر الرائق للطوري، دار الكتاب الإسلامي، ط٢.

- البداية والنهاية، لابن كثير، ت: عبد الله التركي، دار هجر، ط١، ١٤١٨هـ، سنة النشر ١٤٢٤هـ.
- بدائع الفوائد، لابن القيم، دار الكتاب العربي، بيروت.
- البدر الطالع، للشوكاني، دار المعرفة بيروت.
- البرصان والعرجان والعميان والحولان، للجاحظ، ت: عبد السلام هارون. دار الجيل بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادى، ت: مُحَمَّد علي النجار،
- بغية الوعاة، للسيوطي، ت: مُحَمَّد أبو الفضل، المكتبة العصرية لبنان.
- البلدان، لليعقوبي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- تاريخ ابن الوردي ، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- تاريخ ابن غنام، اعتنى به سليمان الخراشي، دار الثلوثية الرياض، ط١، ١٤٣١هـ.
- تاريخ الإسلام، للذهبي، ت: د. بشير عواد، دار الغرب الإسلامي، ط١، ٢٠٠٣م. مشكاة المصابيح، للخطيب التبريزي، ت: مُحَمَّد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط٣، ١٩٨٥م.
- التاريخ الكبير، للبخاري، دائرة المعارف العثمانية حيدر آباد، مراقبة مُحَمَّد عبد المعيد خان.
- التاريخ المعتبر في أنباء من غبر، لمجير الدين العليمي، ت: لجنة مختصة من المحققين، إشراف: نور الدين طالب، دار النوادر، سوريا، ط١، ١٤٣١هـ.
- تاريخ بغداد، للخطيب البغدادي، ت: الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.

- تاريخ دمشق، لابن عساكر، ت: عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر ١٤١٥هـ.
- التبيان في أقسام القرآن، لابن القيم، ت: مُحَّد الفقي، دار المعرفة بيروت.
- تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح، لأحمد بن يوسف اللَّبْلِيُّ الفهري، ت: د. عبد الملك بن عيضة الثبيتي، أصل الكتاب: رسالة دكتوراة لفرع اللغة العربية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، في المحرم ١٤١٧هـ.
- تخريج أحاديث إحياء علوم الدين، المؤلفون: العِراقي، ابن السبكى، الزبيدي، استِخرَاج: أبي عبد الله مَحمُود بِن مُحَمّد الحَدّاد، دار العاصمة للنشر الرياض،ط١، ١٤٠٨ هـ.
- تخريج أحاديث الإحياء، للعراقي، طبعة دار ابن حزم بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ، مطبوع بهامش إحياء علوم الدين.
- التدرج في دعوة النبي ﷺ، لإبراهيم بن عبد الله المطلق، وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، مركز البحوث والدراسات الإسلامية، ط١، ١٤١٧هـ.
- تدريب الراوي، للسيوطي، ت: أبي قتيبة الفاريابي، دار طيبة.
- تذكرة الحفاظ، للذهبي دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٩هـ، البداية والنهاية.
- ترتيب المدارك وتقريب المسالك، للقاضي عياض، ت: ابن تاويت الطنجي وآخرين، مطبعة فضالة المغرب، ط١.
- ترجمة الشيخ الزاهد العابد الناصح إبراهيم بن عبد الرحمن الحصين على موقع الألوكة على الشبكة.
- الترغيب والترهيب، للمنذري، ت: إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ.
- التعريفات الفقهية، للبركتي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٢٤هـ.

- التعريفات، للجرجاني، ت: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- تفسير ابن أبي حاتم، ت: اسعد مُحَمَّد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ.
- تفسير ابن كثير، ت: سامي سلامة، دار طيبة، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- تفسير البغوي، ت: مُحَمَّد عبد الله النمر وعثمان جمعة ضميرية وسليمان مسلم الحرش، دار طيبة، ط٤، ١٤١٧هـ.
- تفسير الرازي، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- تفسير السعدي، ت: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢٠هـ.
- تفسير السمعاني، ت: ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس دار الوطن الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- تفسير الطبري، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- تفسير القرطبي، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ.
- التفسير القيم، لابن القيم، ت: مكتب الدراسات والبحوث بإشراف الشيخ إبراهيم رمضان، دار ومكتبة الهلال بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م.
- تلبيس إبليس، لابن الجوزي، دار الفكر لبنان، ط١، ١٤٢١هـ.
- تمام المنة في التعليق على فقه السنة، للألباني ، دار الراية، ط٥.
- التمهيد في أصول الفقه، لأبي الخطاب الحنبلي، ت: مفيد أبو عمشة ومُحَمَّد بن علي بن إبراهيم، الناشر: مركز البحث العلمي جامعة أم القرى، طبعة دار

المدني، ط١، ١٤٠٦هـ.

- التمهيد لشرح كتاب التوحيد، لصالح بن عبد العزيز آل الشيخ، دار التوحيد، ط١، ١٤٢٤هـ.
- التمهيد، لابن عبد البر، ت: مصطفى بن أحمد العلوي، مُحَمَّد عبد الكبير البكري، وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية المغرب، ١٣٨٧هـ.
- التمهيد، للباقلاني، ت: عماد أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، ط١، ١٤٠٧هـ.
- التنوير شرح الجامع الصغير، لمحمد بن إسماعيل الأمير، ت: د. مُحَمَّد إسحاق، مكتبة دار السلام الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.
- تهذيب التهذيب، لابن حجر، مطبعة دائرة المعارف النظامية الهند، ط١، ١٣٢٦هـ.
- تهذيب الكمال، للمزي، ت: بشار عواد، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤٠٠هـ.
- تهذيب اللغة، للأزهري، ت: مُحَمَّد عوض مرعب، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.
- التوضيح لشرح الجامع الصحيح، لابن الملقن، ت: دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وقام على تحقيقه مجموعة من محققي الدار، الناشر: دار النوادر، دمشق، سوريا، ط١، ١٤٢٩هـ.
- التوضيح والبيان لشجرة الإيمان، للسعدي، مكتبة أضواء السلف الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
- التوكل على الله تعالى وعلاقته بالأسباب، للدكتور عبد الله الدميجي، دار الوطن الرياض، ط١، ١٤١٧هـ.
- التوكل على الله، لابن أبي الدنيا، ت: مصطفى عبد القادر عطا، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.

- تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله بن مُحَمَّد بن عبد الوهاب، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط١، ١٤٢٣هـ.
- التيسير في الفتوى ضوابطه وأثره في النوازل المعاصرة، "بحث ضمن مؤتمر الفتوى واستشراف المستقبل"، أعد البحث: د. زياد مقداد، أ. نادية الغول، والمؤتمر عقد في كلية الشريعة جامعة القصيم، ١٤٣٥هـ.
- الثبات على دين الله، للدكتور الأمين الصادق، دار ابن الجوزي، الرياض، ط٢، ١٤٣١هـ. جلاء الأفهام، لابن القيم، ت: شعيب الأرناؤوط، وعبد القادر الأرناؤوط، دار العروبة الكويت، ط٢، ١٤٠٧هـ.
- الثقات ممن لم يقع في الكتب الستة، لابن قطلوبغا الحنفي، ت: شادي آل نعمان، مكز النعمان للبحوث والدراسات صنعاء، ط١، ١٤٣٢هـ.
- الثقات، لابن حبان، طبع بإعانة: وزارة المعارف للحكومة العالية الهندية، تحت مراقبة: الدكتور مُحَمَّد عبد المعيد خان مدير دائرة المعارف العثمانية، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن، الهند، ط١، ١٣٩٣هـ.
- الثقات، للعجلي، ت: عبد العليم البستوي، مكتبة الدار المدينة النبوية، ط١، ١٤٠٥هـ.
- ثلاثة الأصول وشروط الصلاة والقواعد الأربع، لمحمد بن عبد الوهاب، من مطبوعات وزارة الشؤون الإسلامية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.
- جامع العلوم والحكم، لابن رجب الحنبلي، ت: شعيب الأرناؤوط وإبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٧، ١٤٢٢هـ.
- جامع بيان العلم وفضله، لابن عبد البر، ت: أبي الأشبال الزهيري، دار ابن الجوزي السعودية، ط١، ١٤١٤هـ.
- الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية خلال سبعة قرون، لمحمد شمس وعلي العمران، تقديم أبو بكر زيد، دار عالم الفوائد مكة، ط٢، ١٤٢٢هـ .
- الجواب الكافي، لابن القيم، ت: مُحَمَّد الاصلاحي، وخرج أحاديثه: زائد

النشيري، دار عالم الفوائد مكة، ط١، ١٤٢٩هـ.

- جوانب من سيرة الإمام عبدالعزيز بن باز، رحمه الله، رواية الشيخ مُحَمَّد بن موسى الموسى، مدير مكتب بيت الشيخ، **إعداد** :دكتور مُحَمَّد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة،ط١ ،١٤٢٣هـ.
- حاشية البيجوري على جوهرة التوحيد، دار السلام، ط١، ١٣٢٢هـ.
- حاشية السندي على سنن ابن ماجه، الناشر: دار الجيل – بيروت، بدون طبعة.
- حافظ بن أحمد الحكمي، حياته وآثاره، لسعود السيف، بحث متمم للماجستير من قسم الدعوة بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، إشراف: الدكتور يوسف أبو هلالة، عام ١٤٠٦هـ.
- الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، للدكتور سعيد القحطاني، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٣هـ.
- حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، دار السعادة مصر، ١٣٩٤هـ.
- حلية الأولياء، لأبي نعيم الأصبهاني، دار السعادة مصر، ١٣٩٤هـ.
- الخوارج أول الفرق في تاريخ الإسلام، لناصر العقل، دار إشبيليا الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
- الخوف والرجاء في الكتاب والسنة، رسالة ماجستير، للباحث: عبد الرحمن سليمان علي الشمسان، إشراف: الدكتور عبد المحسن بن حمد العباد، الجامعة الإسلامية، عام ١٤١١هـ.

- الدر الفريد وبيت القصيد، لابن أيدمر، ت: الدكتور كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٣٦هـ.
- الدر المنثور، للسيوطي، دار الفكر بيروت.
- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، ت: د. مُحَمَّد رشاد سالم، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود، ط٢، ١٤١١هـ.
- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، لمجموعة من علماء الدعوة، جمع عبد الرحمن بن قاسم، ط٦، ١٤١٦هـ.
- الدرر الكامنة، لابن حجر العسقلاني، ت: مُحَمَّد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية الهند، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- الذخيرة للقرافي، ت: مُحَمَّد حجي وآخرين، دار الغرب الإسلامي بيروت، ط١، ١٩٩٤م. الأمنية في إدراك النية، للقرافي، دار الكتب العلمية بيروت.
- الذريعة الى مكارم الشريعة، للراغب الأصفهاني، ت: د. أبو اليزيد العجمي، دار السلام القاهرة، ط١٤٢٨هـ.
- ذيل طبقات الحنابلة، لابن رجب الحنبلي، ت: د عبد الرحمن بن سليمان العثيمين، مكتبة العبيكان – الرياض، ط١، ١٤٢٥هـ.
- الرائد دروس في التربية والدعوة، لمازن الفريح، دار الأندلس الخضراء، جدة، ط٢، ١٤٢٧هـ.
- ربيع الأبرار ونصوص الأخيار، للزمخشري، مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
- الرد الوافر، لابن ناصر الدين، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي بيروت، ط١، ١٣٩٣هـ.
- الرد على الجهمية والزنادقة للأمام أحمد، ت: صبري بن سلامة شاهين، دار الثبات، ط١.

- الرسالة القشيرية، للقشيري، ت: د. عبد الحليم محمود، د. محمود بن الشريف، دار المعارف القاهرة.
- الرسائل الشخصية للشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب (مطبوع ضمن بحوث ندوة دعوة الشيخ مُحَمَّد بن عبد الوهاب، الجزء الأول)، لعبد الله بن صالح العثيمين، من مطبوعات عمادة البحث العلمي بجامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- الرضا عن الله بقضائه، لابن أبي الدنيا، ت: ضياء الحسن السلفي، الدار السلفية بومباي، ط١، ١٤١٠هـ.
- رفع الإصر عن قضاة مصر، لابن حجر، ت: د. علي مُحَمَّد عمر، مكتبة الخانجي مصر، ط١، ١٤١٨هـ.
- الروح، لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت.
- روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان، ت: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت.
- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت، ط ١٤٠٣هـ.
- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل، لابن قدامة المقدسي، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٣هـ.
- رياض الصالحين، للنووي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط٣، ١٤١٩هـ.
- زاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- زاد المعاد في هدي خير العباد، لابن القيم، مؤسسة الرسالة بيروت، مكتبة

المنار الكويت، ط٢٧، ١٤١٥هـ.
- الزهد الكبير، للبيهقي، ت: عامر أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية بيروت، ط٣، ١٩٩٦م.
- الزهد والورع والعبادة، لابن تيمية، ت: حماد سلامة ومُحَمَّد عويضة، مكتبة المنار الأردن، ط١، ١٤٠٧هـ.
- الزهد، لهناد بن السري، ت: عبد الرحمن الفريوائي، دار الخلفاء الكويت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- الزهد، لوكيع، ت: عبد الرحمن عبد الجبار الفريوائي، مكتبة الدار المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٤ هـ.
- الزهد، لابن أبي الدنيا، دار ابن كثير دمشق، ط١، ١٤٢٠ هـ.
- الزهد، للإمام أحمد، وضع حواشيه: مُحَمَّد عبد السلام شاهين، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.
- زوائد ابن ماجه للبوصيري ، ت: مُحَمَّد الكشناوي، دار العربية بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، ط١.
- سلسلة الأحاديث الضعيفة، للألباني، دار المعارف، الرياض المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.
- السنة، للخلال، ت: د. عطية الزهراني، دار الراية الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.
- سنن ابن ماجه، ت: شعيب الأرناؤوط ،دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- سنن ابن ماجه، ت: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي.
- سنن ابن ماجه، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، اعتنى به مشهور آل سلمان، ط١.

- سنن أبي داود، ت: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة العالمية، ط١، ١٤٣٠هـ.
- سنن أبي داود، ت: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، صيدا بيروت.
- سنن أبي داود، ت: مستو، دار ابن كثير، دمشق، ط٢، ١٤١٠هـ.
- سنن أبي داود، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، اعتنى به مشهور آل سلمان، ط١.
- السنن الاجتماعية في القرآن الكريم، للدكتور: مُحَمَّد أمحزون، دار طيبة الرياض، ط١، ١٤٣٢هـ.
- السنن الإلهية في الأمم والجماعات والأفراد، للدكتور: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤١٣هـ.
- سنن الترمذي في سننه ت: أحمد شاكر (جـ ١، ٢) ومُحَمَّد فؤاد عبد الباقي (جـ ٣) وإبراهيم عطوة (جـ ٤، ٥)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط٢، ١٣٩٥هـ.
- سنن الترمذي، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، اعتنى به مشهور آل سلمان، ط١.
- سنن الدارمي، رسالة عباد الشامي، ت: حسين سليم أسد الداراني، دار المغني للنشر والتوزيع، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٢هـ.
- السنن الكبرى، للبيهقي، ت: مُحَمَّد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٣، ١٤٢٤هـ.
- السنن الكبرى، للنسائي، ت: حسن عبد المنعم شلبي، أشرف عليه: شعيب الأرناؤوط، قدم له: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١، ١٤٢١ هـ.
- سنن النسائي، ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، ط٢، ١٤٠٦هـ.

- سنن النسائي، طبعة مكتبة المعارف، الرياض، اعتنى به مشهور آل سلمان، ط١.
- سير أعلام النبلاء، للذهبي، ت: مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ.
- سيرة ابن هشام، لعبد الملك بن هشام الحميري المعافري، ت: مصطفى السقا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ الشلبي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر، ط٢، ١٣٧٥هـ.
- شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي، ت: محمود الأرناؤوط، وخرج أحاديثه عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير دمشق بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، للالكائي، ت: أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي، دار طيبة السعودية، ط٨، ١٤٢٣هـ.
- شرح الاصول الخمسة، للقاضي عبد الجبار، ت: الدكتور عبد الكريم عثمان، مكتبة القاهرة، ط٣، ١٤١٦هـ.
- شرح الرسالة التدمرية، للدكتور مُحَمَّد الخميس، دار أطلس الخضراء، طبعة ١٤٢٥هـ.
- شرح الزرقاني على الموطأ، ت: طه عبد الرءوف سعد، مكتبة الثقافة القاهرة، ط١، ١٤٢٤هـ.
- شرح الزركشي على مختصر الخرقي، دار العبيكان، ط١، ١٤١٣هـ.
- شرح السنة للبربهاري، ت: خالد الردادي، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة النبوية، ط١، ١٤١٤هـ.
- شرح السنة، لأبي مُحَمَّد الفراء البغوي، ت: شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي دمشق بيروت، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- شرح السيوطي على مسلم، ت: أبو إسحاق الحويني، دار ابن عفان، الخبر، ط١، ١٤١٦هـ.

- شرح الطحاوية، لابن أبي العز الحنفي، ت: شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة بيروت، ط١٠، ١٤١٧هـ.
- شرح العقائد النسفية، للتفتازاني، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى بغداد.
- شرح النووي على مسلم، المسمى المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- شرح ثلاثة الأصول لمحمد بن صالح العثيمين، دار الثريا، ط٤، ١٤٢٤هـ.
- الشريعة، للآجري، ت: الدكتور عبد الله بن عمر بن سليمان الدميجي، دار الوطن الرياض السعودية، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- شعب الإيمان، للبيهقي، ت: د. عبد العلي، مكتبة الرشد الرياض بالتعاون مع الدار السلفية بومباي، ط١، ١٤٢٣هـ.
- شفاء العليل، لابن القيم، دار المعرفة بيروت، ط: ١٣٩٨هـ.
- الشيخ الإمام مُحَمَّد بن عبد الوهاب ومنهجه في مباحث العقيدة، لآمنة مُحَمَّد نصير، دار الشروق بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ.
- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لابن تيمية، ت: مُحَمَّد محيي الدين عبد الحميد، طبعة الحرس الوطني السعودية.
- الصبر والثواب عليه لابن أبي الدنيا، ت: مُحَمَّد رمضان خير يوسف، دار ابن حزم بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- الصحاح، للجوهري، ت: أحمد عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٤٠٧هـ.
- الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، للشيخ ابن عثيمين، دار الوطن، ط ١٤٢٦هـ.
- صحيح ابن حبان، بترتيب: ابن بلبان، ت: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- صحيح ابن خزيمة، ت: د. الأعظمي، المكتب الإسلامي، ط٣، ١٤٢٤هـ.

- صحيح الأدب المفرد، ت: الألباني، دار الصديق للنشر والتوزيع، ط٤، ١٤١٨هـ.
- صحيح البخاري، ت: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية بيروت، ط٣، ١٤٠٩هـ.
- صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل البخاري، ت: مُحَمَّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ.
- صحيح الترغيب والترهيب، للألباني، مكتَبَة المعارف لِلنَشْرِ والتوزيْع، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢١هـ.
- صحيح الجامع وزيادته، للألباني، طبعة المكتب الإسلامي.
- صحيح سنن أبي داود، للألباني، مؤسسة غراس للنشر والتوزيع، الكويت،ط١، ١٤٢٣ هـ.
- صحيح سنن النسائي، للألباني، مكتبة المعارف الرياض، ط١، ١٤١٩هـ.
- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري ت: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- صحيفة الخليج الموقع الإليكتروني، ملحق استراحة الجمعة، حوار مُحَمَّد رضا السيد أجراه مع الدكتور الشعالي بتاريخ ٣/ ٧/ ٢٠٠٩م.
- صفة الصفوة، لابن الجوزي، ت: أحمد بن علي، دار الحديث القاهرة، الطبعة: ١٤٢١هـ.
- صفة صلاة النبي ﷺ، لمحمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع الرياض، ط١، ١٤٢٧هـ.
- الصمت، لابن أبي الدنيا، ت: أبو إسحاق الحويني، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤١٠هـ.
- الصواعق المرسلة، لابن القيم، ت: علي الدخيل، دار العاصمة الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

- صيد الخاطر، لابن الجوزي، بعانية: حسن المساحي، دار القلم دمشق، ط١، ١٤٢٥هـ.
- ضعيف الجامع الصغير، للألباني، طبعة المكتب الإسلامي أشرف على طبعه: زهير الشاويش.
- ضوابط المعرفة، لعبد الرحمن حسن الميداني، دار القلم دمشق، ط١٤، ١٤٣٦هـ.
- طبقات الحنابلة، لابن أبي يعلى، ت: مُحَمَّد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت.
- طبقات الشافعية الكبرى، للسبكي، ت: د. محمود الطناحي، ود. عبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط٢، ١٤١٣هـ.
- طبقات الشافعية، لابن قاضي شهبة، ت: د. الحافظ عبد الحليم خان، عالم الكتب بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ.
- طبقات الصوفية، للسلمي، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٩هـ.
- الطبقات الكبرى، لابن سعد، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت ط١، ١٩٦٨م.
- طرح التثريب في شرح التقريب، لزين الدين العراقي وأكمله ابنه أحمد، الطبعة المصرية القديمة، وصورتها دور عدة منها: دار إحياء التراث العربي، ومؤسسة التاريخ العربي، ودار الفكر العربي.

- عبد الرحمن السميط أسطورة العمل الإغاثي، لعبد العزيز سعود العويد، آفاق للنشر الكويت، ط١، ١٤٣٧هـ.
- عدة الصابرين، لابن القيم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، مكتبة دار التراث، المدينة المنورة، ط٣، ١٤٠٩هـ.

- العدة في أصول الفقه، لأبي يعلى، ت: د. أحمد بن علي سير المباركي، بدون ناشر، ط٢، ١٤١٠هـ.
- العذب النمير من مجالس الشنقيطي في التفسير، للشنقيطي، ت: خالد السبت، إشراف بكر أبو زيد، دار عالم الفوائد مكة، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- العقيدة الصحيحة وما يضادها، لابن باز، طبعة الجامعة الإسلامية، السنة السابعة العدد الثالث: المحرم ١٣٩٥هـ.
- عقيدة الصوفية وحدة الوجود الخفية، للدكتور أحمد القصير، مكتبة الرشد، ط١، ٢٤٢٤هـ.
- العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: أشرف بن عبد المقصود، أضواء السلف الرياض، ط٢، ١٤٢٠هـ.
- عقيدة أهل السنة والجماعة، للعثيمين، طبعة الجامعة الإسلامية، ط٤، ١٤٢٢هـ.
- عقيدة محمد بن عبد الوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، لصالح العبود، من مطبوعات عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية، ط٢، ١٣٢٤هـ.
- علماء نجد خلال ثمانية قرون، لعبد الله البسام، دار العاصمة الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.
- العمل الإغاثي عند الدكتور عبد الرحمن السميط وأثره في قبول دعوته، إعداد: الأستاذ علي محمد الشهري، مدار الوطن، ط١، ١٤٣٧هـ.
- عنوان المجد في تاريخ نجد، لعثمان بن بشر، ت: عبد الرحمن آل الشيخ، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز الرياض، ط٤، ١٤٠٢هـ.
- عون المعبود، للعظيم آبادي، ومعه حاشية ابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٤١٥هـ.
- العين ت: د. مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

- غريب الحديث للخطابي، ت: عبد الكريم إبراهيم الغرباوي، خرج أحاديثه: عبد القيوم عبد رب النبي، دار الفكر – دمشق، ١٤٠٢ هـ.
- غريب الحديث، لابن سلام، ت: د. مُحَمَّد عبد المعيد خان، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، ط١، ١٣٨٤هـ.
- الفتاوى، للعلامة مُحَمَّد الأمين الشنقيطي، ت: سليمان العمير، مجمع الفقه الإسلامي بجدة، دار عالم الفوائد، إشراف العلامة بكر أبو زيد، ط١، ١٤٢٦هـ.
- فتح الباري لابن حجر، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- فتح الباري، لابن حجر، دار المعرفة بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: مُحَمَّد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.
- فتح الباري، لابن رجب.
- فتح الباري، لابن رجب، ت: مجموعة من المحققين، مكتبة الغرباء الأثرية المدينة النبوية، الحقوق: مكتب تحقيق دار الحرمين القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ.
- فتح القدير، للشوكاني، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ .
- الفتوى الحموية الكبرى، لابن تيمية، ت: د. حمد التويجري، دار الصميعي الرياض، ط٢، ١٤٢٥هـ.
- الفرق بين الفرق، لأبي منصور البغدادي، دار الآفاق الجديدة بيروت، ط٢، ١٩٧٧م،.
- الفرق بين النصيحة والتعيير، لابن رجب، علق عليه وخرج أحاديثه: علي حسن علي عبد الحميد، الناشر: دار عمار، عمان، ط٢، ١٤٠٩هـ.

- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لابن تيمية، ت: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان دمشق، عام النشر: ١٤٠٥ هـ.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل، لابن حزم، مكتبة الخانجي القاهرة.
- فقه السيرة للغزالي، دار القلم دمشق، خرج أحاديثه الألباني، ط١، ١٤٢٧هـ.
- فقه النصيحة ، للدكتوره: الجوهرة الطريفي، المعهد العالي للدعوة والاحتساب، جامعة الإمام، ١٤٣٥هـ.
- فقه مقاصد الدعوة إلى الله تعالى، رسالة ماجستير في قسم الدعوة والثقافة جامعة أم القرى، للطالب سعد القعود، إشراف أ. د. مُحَّد جمعة، ١٤٣١هـ، وقد طبعته دار أطلس الخضراء الرياض، ط١، ١٤٣٣هـ.
- الفقيه والمتفقه، للخطيب البغدادي، ت: أبي عبد الرحمن عادل الغرازي، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢١هـ.
- الفوائد في اختصار المقاصد، للعز بن عبد السلام، ت: إياد خالد الطباع، دار الفكر المعاصر ، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٤١٦هـ.
- الفوائد، لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت، ط٢، ١٣٩٣هـ.
- فيض القدير لزين الدين المناوي القاهري، المكتبة التجارية الكبرى مصر، ط١، ١٣٥٦هـ
- القضاء والقدر، للمحمود، مدار الوطن للنشر الرياض، ط٢، ١٤١٨هـ.
- قواعد وضوابط فقه الدعوة عند شيخ الإسلام، لعابد الثبيتي، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٣٠هـ.
- القول السديد، لابن سعدي، ت: المرتضي الزين أحمد، مجموعة التحف النفائس الدولية، ط٣.
- القول المفيد على كتاب التوحيد، لابن عثيمين، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٢٤هـ.
- الكامل في التاريخ لابن الاثير، ت: عمر تدمري، دار الكتاب العربي،

بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.

- الكامل في التاريخ، لابن الأثير، ت: تدمري، دار الكتاب العربي بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
- كتاب الاعتقاد، لابن أبي يعلى، ت: مُحَمَّد بن عبد الرحمن الخميس، دار أطلس الخضراء، ط١، ١٤٢٣هـ.
- كتاب التوحيد وقرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين، لعبد الرحمن بن حسن آل الشيخ، ت: بشير عيون، مكتبة المؤيد الطائف، مكتبة دار البيان دمشق، ط١، ١٤١١هـ.
- كتاب التوحيد، لمحمد بن عبد الوهاب، ت: عبد العزيز السعيد، من مطبوعات جامعة الإمام بالرياض.
- كشف الظنون، لحاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، ط١٩٤١م.
- الكليات، للكفوي، ت: عدنان درويش ومُحَمَّد المصري، مؤسسة الرسالة.
- اللباب في تهذيب الأنساب، لابن الأثير، دار صادر بيروت.
- لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط٣، ١٤١٣هـ.
- لوامع الأنوار البهية، للسفاريني، مؤسسة الخافقين ومكتبتها دمشق، ط٢، ١٤٠٢هـ.
- الماتريدية دراسة وتقويمًا، لأحمد بن عوض الله الحربي، دار العاصمة، ط١، ١٤١٣هـ.
- متن الطحاوية، بتعليق الألباني، المكتب الإسلامي بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- متن الطحاوية، للإمام الطحاوي، ت: الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط٢، ١٤١٤هـ.
- مثير الوجد، لراشد بن علي بن جريس، ت: أبي عبد الرحمن ابن عقيل الظاهري، من مطبوعات دارة الملك عبد العزيز، ط٢، ١٤١٩هـ.

- المجالسة وجواهر العلم، لأبي بكر الدينوري، ت: أبو عبيدة آل سلمان، دار ابن حزم، بيروت، ١٤١٩هـ.
- مجلة الكوثر العدد: ١٧٨ مقال: تمنيت لو أن عندنا خمسة من السميط للدكتور جاسم المطوع.

المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ج ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ، ج ٤، ٥: ١٤١٢ هـ ، ج ٦: ١٣٩٣ هـ.

- مجمع الزوائد، للهيثمي،ت: حسام الدين القدسي، مكتبة القدسي، القاهرة، ١٤١٤هـ،
- مجموع الفتاوى، لابن تيمية، جمع: عبد الرحمن بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ١٤١٦هـ.
- مجموع فتاوى ورسائل العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر السليمان، دار الوطن، ط١٤١٣هـ.
- محاسبة النفس، لابن أبي الدنيا، ت: المستعصم بالله أبي هريرة مصطفى بن علي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٠٦هـ.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية، ت: عبد السلام عبد الشافي، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ.
- المحن، لأبي العرب المغربي، ، ت:الدكتور: عمر سليمان العقيلي، وطبع الكتاب عدة طبعات منها: بدار العلوم الرياض السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٤هـ.
- مختصر منهاج القاصدين، لأبي العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي، قدم له: الأستاذ مُحَمَّد أحمد دهمان، مكتبة دار البيان، دمشق، ط ١٣٩٨هـ.
- المخصص، لابن سيده، ت: خليل جفال، دار إحياء التراث العربي بيروت،

ط١، ١٤١٧هـ.

- مدارج السالكين، لابن القيم، ت: مُحَمَّد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربي بيروت، ط٣، ١٤١٦هـ.
- المدخل إلى علم الدعوة، للدكتور مُحَمَّد البيانوني، مؤسسة الرسالة، ط٣، ١٤٣٥هـ.
- مرآة الزمان في تواريخ الأعيان، لسبط ابن الجوزي، لمجموعة من المحققين، دار الرسالة العالمية دمشق، ط١، ١٤٣٤هـ.
- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع المسالك والممالك للبكري.
- مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، لعلي القاري، دار الفكر، بيروت ط١، ١٤٢٢هـ. تحفة الأحوذي، للمباركفوري، دار الكتب العلمية بيروت.
- المزهر في علوم اللغة وأنواعها، للسيوطي، ت: فؤاد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- مستدرك الحاكم، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية بيروت، ط١، ١٤١١هـ.
- المستدرك على مجموع الفتاوى، لابن تيمية، وهو مجموع مستدرك زيادة على مجموع الفتاوى، يقع في خمسة مجلدات، جمعه ورتبه وطبعه على نفقته: مُحَمَّد بن عبد الرحمن بن قاسم، ط١، ١٤١٨هـ.
- المسلمون وظاهرة الهزيمة النفسية .
- مسند أبي يعلى الموصلي، ت: حسين سليم أسد، دار المأمون للتراث دمشق، ط١، ١٤٠٤هـ.
- مسند أحمد، ت: شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد وآخرين، إشراف: د. عبد الله التركي، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.
- مشاهير علماء نجد وغيرهم، لعبد الرحمن بن عبد اللطيف آل الشيخ، إشراف دار اليمامة الرياض، ط١، ١٣٩٢هـ،

- مصطلحات المذاهب الفقهية وأسرار الفقه المرموز، لمريم محمد صالح الظفيري، دار ابن حزم، ط١، ١٤٢٢هـ.
- مصنف ابن أبي شيبة، ت: كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤٠٩هـ.
- معارج القبول بشرح سلم الوصول، لحافظ الحكمي، ت: عمر بن محمود أبو عمر، دار ابن القيم الدمام، ط١، ١٤١٠هـ.
- المعالم الأثيرة في السنة والسيرة، لمحمد بن محمد حسن شُراب، دار القلم الشامية بيروت، دمشق، ط١، ١٤١١هـ.
- معالم السنن، للخطابي، المطبعة العلمية حلب، ط١، ١٣٥١هـ.
- معجم الأدباء، لياقوت الحموي، ت: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤١٤هـ.
- المعجم الاشتقاقي المؤصل للدكتور محمد حسن جبل، مكتبة الآداب القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- المعجم الأوسط، للطبراني، ت:طارق بن عوض الله بن محمد ، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين القاهرة.
- معجم البلدان، لياقوت الحموي، دار صادر بيروت، ط٢، ١٩٩٥م.
- المعجم الجغرافي عالية نجد، لسعد بن عبد الله بن جنيدل، من مطبوعات دار اليمامة الرياض.
- معجم الشيوخ الكبير، للذهبي، ت: محمد الهيلة، مكتبة الصديق الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ.
- المعجم الصغير، للطبراني، ت: محمد شكور محمود الحاج أمرير، المكتب الإسلامي ، دار عمار بيروت، عمان، ط١، ١٤٠٥هـ.
- المعجم الكبير، للطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية القاهرة،ط٢، ويشمل القطعة التي نشرها لاحقا المحقق الشيخ حمدي السلفي

من المجلد ١٣، دار الصميعي الرياض، ط١، ١٤١٥ هـ.

- معجم اللغة العربية المعاصرة، للدكتور أحمد مختار عبد الحميد ومعه فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ.
- المعجم المختص بالمحدثين، للذهبي، ت: د. مُحَمَّد الهيلة، مكتبة الصديق الطائف، ط١، ١٤٠٨هـ.
- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، لعاتق البلادي، دار مكة للنشر مكة، ط١، ١٤٠٢هـ.
- معجم المؤلفين، لعمر كحالة، مكتبة المثنى بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.
- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة لإبراهيم مصطفى وآخرين، دار الدعوة.
- معجم اليمامة، لعبد الله بن خميس، طبع على نفقة صاحب السمو الملكي سلطان بن عبد العزيز، ط١، ١٣٩٨هـ.
- معجم لغة الفقهاء، لمحمد قلعجي وقنيبي، دار النفائس، ط٢، ١٤٠٨هـ.
- معجم معالم الحجاز، لعاتق البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع مكة المكرمة، ط٢، ١٤٣١هـ.
- المعلم بفوائد مسلم، للمازري، ت: مُحَمَّد الشاذلي النيفر، الدار التونسية والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر، ط٢، ١٩٨٨م.
- المعية الإلهية في ضوء القرآن الكريم معانيها ودلالاتها، للدكتور ناصر الماجد، بحث منشور في مجلة الدراسات القرآنية العدد (١٠) ١٤٣٣هـ، وهي مجلة علمية محكمة، تصدرها الجمعية السعودية للقرآن الكريم وعلومه، جامعة الإمام مُحَمَّد بن سعود الإسلامية.
- المغني، لابن قدامة المقدسي، مكتبة القاهرة، ط: عام ١٣٨٨هـ.
- مفتاح دار السعادة، لابن القيم، دار الكتب العلمية بيروت.

● المفردات، للراغب الأصفهاني، ت: صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.
● المفهم لما أشكل من تلخيص مسلم، لأبي العباس القرطبي، ت: محيي الدين مستو وآخرون، دار ابن كثير، ودار الكلم الطيب، دمشق بيروت، ط١، ١٤١٧هـ.
● مفهوم الحكمة في الدعوة، د. صالح بن عبد الله بن حميد، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، ط١، ١٤٢٢هـ.
● المفيد في مهمات التوحيد، د. عبد القادر صوفي، دار الأعلام، ط١، ١٤٢٢هـ.
● مقاصد الرعاية لحقوق الله عز وجل أو مختصر رعاية المحاسبي، للعز بن عبد السلام، ت: إياد خالد الطباع، دار الفكر – دمشق، ط١، ١٤١٦هـ.
● مقال بعنوان عبد الرحمن بن مُحَمَّد بن دايل ممن قالوا عنه -أي: عن الشيخ ابن باز- على موقع الشيخ على الشبكة.
● مقال بعنوان: ترجمة الشيخ صالح العبود حفظه الله على موقع الآجري على الشبكة.
● مقال بعنوان: عبد الرحمن السميط (فاتح القلوب) ليوسف مُحَمَّد الكندري في مجلة الكوثر عدد ١٧٨، شوال - ذو القعدة ١٤٣٥هـ.
● مقال في صحيفة الجزيرة العدد ١٤٨٦٠ بعنوان: ابن شقراء د. مُحَمَّد بن سعد بن شويعر على موقعها على الشبكة،
● مقال في صحيفة الرياض العدد ١٥٧٨٧ بعنوان: ورحل صاحب ابن باز على موقعها على الشبكة.
● مقال في صحيفة الرياض عدد ١٣٩٠٦ على موقعها على الشبكة بعنوان: موضي بنت أبي وهطان الكثيري.

- مقالات الإسلاميين، لأبي الحسن الأشعري، ت: نعيم زرزور، المكتبة العصرية، ط١.
- مقالة على موقع صحيفة الجزيرة على الشبكة عدد (١٦١٩٠) بعنوان: حريملاء مدينة العلم والعلماء.
- مقاييس اللغة، لابن فارس، ت: عبد السلام هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
- الملل والنحل، للشهرستاني، مؤسسة الحلبي.
- مناقب الإمام أحمد، لابن الجوزي، ت: د. عبد الله التركي، دار هجر، ط٢، ١٤٠٩هـ.
- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٤٠٦هـ.
- منهج ابن الجوزي في الدعوة، للدكتور عبد الرحيم المغذوي، من مطبوعات الجامعة الإسلامية ط١، ١٤٣١هـ.
- منهج ابن تيمية المعرفي، د. عبد الله الدعجاني، من مطبوعات تكوين للدراسات والأبحاث، ط١، ١٤٣٥هـ.
- منهج الإسلام في تزكية النفس وأثره في الدعوة إلى الله تعالى، رسالة دكتوراه، للباحث: أنس أحمد كرزون، إشراف: الدكتور أحمد أبو السعادات، جامعة أم القرى، عام ١٤١٥هـ.
- منهج الإمام عبد العزيز بن باز رحمه الله في الدعوة إلى الله تعالى، إعداد: محمد بن خالد البداح، رسالة علمية لنيل درجة الدكتوراة من جامعة الإمام.
- منهج التيسير المعاصر، لعبد الله الطويل، دار الهدي النبوي مصر، ط١، ١٤٢٦هـ.
- منهج الجدل والمناظرة، لعثمان علي حسن، مكتبة الرشد الرياض، ط١، ١٤٣٦هـ.

- منهج السلف في الوعظ، لأبي يزيد سليمان العربي، مكتبة دار المنهاج، ط١، ١٤٣١هـ.
- منهج المباركفوري في كتابه تحفة الأحوذي، رسالة علمية من إعداد الطالب: عبد الله بن رفدان الشهراني، إشراف الدكتور: مُحَمَّد سعيد البخاري، جامعة أم القرى ١٤١٨هـ.
- منهج مُحَمَّد بن عبد الوهاب في التفسير، لمسعد الحسيني، من مطبوعات الجامعة الإسلامية.
- الموافقات، للشاطبي، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، دار ابن عفان، ط١، ١٤١٧هـ.
- المواقف، للإيجي، ت: عبد الرحمن عميرة، دار الجيل بيروت، ط١، ١٩٧٧م.
- مؤسسة أعمال الموسوعة الرياض، ط٢، ١٤١٩هـ.
- الموسوعة الحرة على الشبكة.
- الموسوعة الحرة على الشبكة، وموقع الشيخ صالح آل الشيخ على الشبكة.
- الموسوعة الفقهية الكويتية، صادر عن وزارة الأوقاف الكويتية، ط ١٤٠٤-١٤٢٧هـ.
- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة، للندوة العالمية للشباب الإسلامي، إشراف د. مانع الجهني، من مطبوعات دار الندوة العالمية، ط٤، ١٤٢٠هـ.
- الموسوعة الميسرة في تراجم أئمة التفسير والإقراء والنحو واللغة، جمع وإعداد: وليد بن أحمد الحسين الزبيري، إياد بن عبد اللطيف القيسي، مصطفى بن قحطان الحبيب، بشير بن جواد القيسي، عماد بن مُحَمَّد البغدادي، مجلة الحكمة، مانشستر، بريطانيا، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ.
- موسوعة مواقف السلف في العقيدة والمنهج والتربية، للمغرواي، المكتبة الإسلامية القاهرة والنبلاء للكتاب مراكش، ط١.

- موقع إسلام ويب على الشبكة.
- الموقع الرسمي لسماحة الشيخ الإمام ابن باز على الشبكة.
- الموقع الرسمي للدكتور جاسم المطوع على الشبكة.
- موقع جمعية العون المباشر على الشبكة.
- موقع مؤسسة الشيخ ابن باز الخيرية، ديوانية الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله الثقافية الشهرية.

- موقف المتكلمين من الاستدلال بنصوص الكتاب والسنة، للدكتور سليمان الغصن، دار العاصمة الرياض، ط٢، ١٤٣٣هـ.
الناشر: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، تمت طبعاته جـ ١، ٢، ٣: ١٤١٦ هـ ،جـ ٤، ٥: ١٤١٢ هـ،جـ ٦: ١٣٩٣ هـ.
- نبذة في العقيدة الإسلامية، لابن عثيمين، دار الثقة مكة، ط١، ١٤١٢هـ.
- نبذة مختصرة عن السيرة الذاتية لفضيلة العلامة الشيخ بكر عبد الله أبو زيد على موقع صيد الفوائد على الشبكة، موقع الموسوعة الحرة على الشبكة.
- نزهة النظر، لابن حجر العسقلاني، ت: عتر، مطبعة الصباح، دمشق، ط٣، ١٤٢٣هـ،.
- نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم، لعدد من المختصين بإشراف إمام الحرم المكي صالح بن حميد، دار الوسيلة جدة، ط٤.
- نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام، لسارة بنت عبد المحسن آل سعود، دار المنارة جدة، ط١، ١٤١١هـ.
- نفح الطيب، للتلمساني، ت: إحسان عباس، دار صادر بيروت.
- النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير، ت: طاهر الزاوي ومحمود

الطناحي، المكتبة العلمية بيروت، ١٣٩٩هـ.

- النور السافر عن أخبار القرن العاشر، لمحيي الدين العيدروس، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٥هـ.
- نيل الابتهاج بتطريز الديباج، لأحمد بابا بن أحمد التكروري التنبكتي السوداني، عناية وتقديم: الدكتور عبد الحميد عبد الله الهرامة، دار الكاتب، طرابلس ليبيا، ط٢، ٢٠٠٠م.
- الوابل الصيب من الكلم الطيب، لابن القيم، ت: سيد إبراهيم، دار الحديث القاهرة، ط٣، ١٩٩٩م.
- الوافي بالوفيات، للصفدي، ت: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث بيروت، ١٤٢٠هـ.
- الورع لأحمد رواية المروذي، ت: سمير الزهيري، دار الصميعي الرياض، ط١، ١٤١٨هـ.
- الورع، لابن أبي الدنيا، ت: أبي عبد الله مُحَمَّد الحمود، الدار السلفية الكويت، ط١، ١٤٠٨هـ.
- وفيات الأعيان، لابن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ط١٩، ١٩٧١، ١٩٩٤م.
- اليقين في الاعتقاد حقيقته ونواقضه، رسالة ماجستير، للباحث: عبد الله بن علي بن عبد الله الرشيد، إشراف: أ. د. سعود بن عبد العزيز العريفي، جامعة أم القرى.

فهرس الموضوعات